



مرکز تحقیقات اسلامی

اصفهان

گامی



عمران
علیه السلام

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

برگزینہ
قصیدہ



پروفیسر سید امین
آیت اللہ مکارم شیرازی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

برگزیده تفسیر نمونه

نویسنده:

آیت الله العظمی ناصر مکارم شیرازی (دام ظلّه)

ناشر چاپی:

دارالکتب الاسلامیه

ناشر دیجیتال:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

۵	فهرست
۶۱	برگزیده تفسیر نمونه جلد چهارم
۶۱	مشخصات کتاب
۶۱	جلد چهارم
۶۱	پیشگفتار ص : ۱۹
۶۲	ادامه جزء ۲۲ ص : ۲۳
۶۲	سوره سیأ [۳۴] ص : ۲۳
۶۲	اشاره
۶۲	محتوای سوره: ص : ۲۳
۶۳	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۲۳
۶۳	سوره سیأ(۳۴): آیه ۱ ص : ۲۴
۶۴	سوره سیأ(۳۴): آیه ۲ ص : ۲۵
۶۵	سوره سیأ(۳۴): آیه ۳ ص : ۲۶
۶۵	سوره سیأ(۳۴): آیه ۴ ص : ۲۷
۶۵	سوره سیأ(۳۴): آیه ۵ ص : ۲۷
۶۶	سوره سیأ(۳۴): آیه ۶ ص : ۲۸
۶۶	سوره سیأ(۳۴): آیه ۷ ص : ۲۸
۶۶	سوره سیأ(۳۴): آیه ۸ ص : ۲۹
۶۷	سوره سیأ(۳۴): آیه ۹ ص : ۲۹
۶۷	سوره سیأ(۳۴): آیه ۱۰ ص : ۳۰
۶۸	سوره سیأ(۳۴): آیه ۱۱ ص : ۳۱
۶۸	سوره سیأ(۳۴): آیه ۱۲ ص : ۳۱
۶۹	سوره سیأ(۳۴): آیه ۱۳ ص : ۳۲
۶۹	سوره سیأ(۳۴): آیه ۱۴ ص : ۳۳

- ٧٠ سورة سبأ(٣٤): آية ١٥ ص : ٣٣
- ٧٠ سورة سبأ(٣٤): آية ١٦ ص : ٣٤
- ٧١ سورة سبأ(٣٤): آية ١٧ ص : ٣٥
- ٧١ سورة سبأ(٣٤): آية ١٨ ص : ٣٥
- ٧١ سورة سبأ(٣٤): آية ١٩ ص : ٣٦
- ٧٢ سورة سبأ(٣٤): آية ٢٠ ص : ٣٧
- ٧٢ سورة سبأ(٣٤): آية ٢١ ص : ٣٧
- ٧٣ سورة سبأ(٣٤): آية ٢٢ ص : ٣٨
- ٧٣ سورة سبأ(٣٤): آية ٢٣ ص : ٣٨
- ٧٤ سورة سبأ(٣٤): آية ٢٤ ص : ٣٩
- ٧٤ سورة سبأ(٣٤): آية ٢٥ ص : ٤٠
- ٧٤ سورة سبأ(٣٤): آية ٢٦ ص : ٤٠
- ٧٥ سورة سبأ(٣٤): آية ٢٧ ص : ٤١
- ٧٥ سورة سبأ(٣٤): آية ٢٨ ص : ٤٢
- ٧٦ سورة سبأ(٣٤): آية ٢٩ ص : ٤٢
- ٧٦ سورة سبأ(٣٤): آية ٣٠ ص : ٤٢
- ٧٦ سورة سبأ(٣٤): آية ٣١ ص : ٤٣
- ٧٧ سورة سبأ(٣٤): آية ٣٢ ص : ٤٣
- ٧٧ سورة سبأ(٣٤): آية ٣٣ ص : ٤٤
- ٧٧ سورة سبأ(٣٤): آية ٣٤ ص : ٤٤
- ٧٨ سورة سبأ(٣٤): آية ٣٥ ص : ٤٥
- ٧٨ سورة سبأ(٣٤): آية ٣٦ ص : ٤٥
- ٧٨ سورة سبأ(٣٤): آية ٣٧ ص : ٤٥
- ٧٩ سورة سبأ(٣٤): آية ٣٨ ص : ٤٦
- ٧٩ سورة سبأ(٣٤): آية ٣٩ ص : ٤٦
- ٧٩ سورة سبأ(٣٤): آية ٤٠ ص : ٤٧

٨٠	سورة سبأ(٣٤): آية ٤١ ص : ٤٧
٨٠	سورة سبأ(٣٤): آية ٤٢ ص : ٤٨
٨٠	سورة سبأ(٣٤): آية ٤٣ ص : ٤٨
٨١	سورة سبأ(٣٤): آية ٤٤ ص : ٤٩
٨١	سورة سبأ(٣٤): آية ٤٥ ص : ٤٩
٨١	سورة سبأ(٣٤): آية ٤٦ ص : ٥٠
٨٢	سورة سبأ(٣٤): آية ٤٧ ص : ٥٠
٨٢	سورة سبأ(٣٤): آية ٤٨ ص : ٥١
٨٣	سورة سبأ(٣٤): آية ٤٩ ص : ٥١
٨٣	سورة سبأ(٣٤): آية ٥٠ ص : ٥٢
٨٣	سورة سبأ(٣٤): آية ٥١ ص : ٥٢
٨٤	سورة سبأ(٣٤): آية ٥٣ ص : ٥٣
٨٤	سورة سبأ(٣٤): آية ٥٤ ص : ٥٣
٨٤	سورة سبأ(٣٤): آية ٥٥ ص : ٥٤
٨٥	سوره فاطر [٣٥] ص : ٥٥
٨٥	اشاره
٨٥	محتواى سوره: ص : ٥٥
٨٥	فضيلت تلاوت سوره: ص : ٥٦
٨٥	سورة فاطر(٣٥): آية ١ ص : ٥٦
٨٦	سورة فاطر(٣٥): آية ٢ ص : ٥٧
٨٦	سورة فاطر(٣٥): آية ٣ ص : ٥٧
٨٧	سورة فاطر(٣٥): آية ٤ ص : ٥٨
٨٧	سورة فاطر(٣٥): آية ٥ ص : ٥٨
٨٧	سورة فاطر(٣٥): آية ٦ ص : ٥٨
٨٨	سورة فاطر(٣٥): آية ٧ ص : ٥٩
٨٨	سورة فاطر(٣٥): آية ٨ ص : ٥٩

٨٨	سورة فاطر(٣٥): آية ٩ ص : ٦٠
٨٩	سورة فاطر(٣٥): آية ١٠ ص : ٦٠
٨٩	سورة فاطر(٣٥): آية ١١ ص : ٦١
٩٠	سورة فاطر(٣٥): آية ١٢ ص : ٦٣
٩١	سورة فاطر(٣٥): آية ١٣ ص : ٦٣
٩١	سورة فاطر(٣٥): آية ١٤ ص : ٦٤
٩٢	سورة فاطر(٣٥): آية ١٥ ص : ٦٥
٩٢	سورة فاطر(٣٥): آية ١٦ ص : ٦٥
٩٢	سورة فاطر(٣٥): آية ١٧ ص : ٦٥
٩٢	سورة فاطر(٣٥): آية ١٨ ص : ٦٦
٩٣	سورة فاطر(٣٥): آية ١٩ ص : ٦٧
٩٣	سورة فاطر(٣٥): آية ٢٠ ص : ٦٧
٩٤	سورة فاطر(٣٥): آية ٢١ ص : ٦٧
٩٤	سورة فاطر(٣٥): آية ٢٢ ص : ٦٧
٩٤	سورة فاطر(٣٥): آية ٢٣ ص : ٦٨
٩٤	سورة فاطر(٣٥): آية ٢٤ ص : ٦٨
٩٤	سورة فاطر(٣٥): آية ٢٥ ص : ٦٨
٩٥	سورة فاطر(٣٥): آية ٢٦ ص : ٦٨
٩٥	سورة فاطر(٣٥): آية ٢٧ ص : ٦٩
٩٥	سورة فاطر(٣٥): آية ٢٨ ص : ٦٩
٩٦	سورة فاطر(٣٥): آية ٢٩ ص : ٧٠
٩٦	سورة فاطر(٣٥): آية ٣٠ ص : ٧١
٩٧	سورة فاطر(٣٥): آية ٣١ ص : ٧١
٩٧	سورة فاطر(٣٥): آية ٣٢ ص : ٧٢
٩٨	سورة فاطر(٣٥): آية ٣٣ ص : ٧٣
٩٨	سورة فاطر(٣٥): آية ٣٤ ص : ٧٣

٩٨	سورة فاطر (٣٥): آية ٣٥ ص : ٧٣
٩٩	سورة فاطر (٣٥): آية ٣٦ ص : ٧٤
٩٩	سورة فاطر (٣٥): آية ٣٧ ص : ٧٤
٩٩	سورة فاطر (٣٥): آية ٣٨ ص : ٧٥
١٠٠	سورة فاطر (٣٥): آية ٣٩ ص : ٧٥
١٠٠	سورة فاطر (٣٥): آية ٤٠ ص : ٧٦
١٠١	سورة فاطر (٣٥): آية ٤١ ص : ٧٧
١٠١	سورة فاطر (٣٥): آية ٤٢ ص : ٧٧
١٠١	اشاره
١٠١	شأن نزول: ص : ٧٧
١٠٢	تفسير: ص : ٧٨
١٠٢	سورة فاطر (٣٥): آية ٤٣ ص : ٧٨
١٠٣	سورة فاطر (٣٥): آية ٤٤ ص : ٧٩
١٠٣	سورة فاطر (٣٥): آية ٤٥ ص : ٨٠
١٠٤	سوره يس [٣٦] ص : ٨١
١٠٤	اشاره
١٠٤	محتواى سوره: ص : ٨١
١٠٤	فضيلت تلاوت سوره: ص : ٨١
١٠٥	سورة يس (٣٦): آية ١ ص : ٨٢
١٠٥	سورة يس (٣٦): آية ٢ ص : ٨٢
١٠٥	سورة يس (٣٦): آية ٣ ص : ٨٣
١٠٥	سورة يس (٣٦): آية ٤ ص : ٨٣
١٠٥	سورة يس (٣٦): آية ٥ ص : ٨٣
١٠٥	سورة يس (٣٦): آية ٦ ص : ٨٣
١٠٦	سورة يس (٣٦): آية ٧ ص : ٨٣
١٠٦	سورة يس (٣٦): آية ٨ ص : ٨٣

سورة يس (٣٦): آية ٩ ص : ٨٤ ----- ١٠٦

سورة يس (٣٦): آية ١٠ ص : ٨٤ ----- ١٠٦

سورة يس (٣٦): آية ١١ ص : ٨٤ ----- ١٠٧

سورة يس (٣٦): آية ١٢ ص : ٨٥ ----- ١٠٧

سورة يس (٣٦): آية ١٣ ص : ٨٥ ----- ١٠٧

سورة يس (٣٦): آية ١٤ ص : ٨٦ ----- ١٠٨

سورة يس (٣٦): آية ١٥ ص : ٨٦ ----- ١٠٨

سورة يس (٣٦): آية ١٦ ص : ٨٦ ----- ١٠٨

سورة يس (٣٦): آية ١٧ ص : ٨٦ ----- ١٠٨

سورة يس (٣٦): آية ١٨ ص : ٨٧ ----- ١٠٨

سورة يس (٣٦): آية ١٩ ص : ٨٧ ----- ١٠٩

سورة يس (٣٦): آية ٢٠ ص : ٨٧ ----- ١٠٩

سورة يس (٣٦): آية ٢١ ص : ٨٨ ----- ١١٠

سورة يس (٣٦): آية ٢٢ ص : ٨٨ ----- ١١٠

سورة يس (٣٦): آية ٢٣ ص : ٨٩ ----- ١١٠

سورة يس (٣٦): آية ٢٤ ص : ٨٩ ----- ١١٠

سورة يس (٣٦): آية ٢٥ ص : ٨٩ ----- ١١١

سورة يس (٣٦): آية ٢٦ ص : ٩٠ ----- ١١١

سورة يس (٣٦): آية ٢٧ ص : ٩٠ ----- ١١١

أغاز جزء ٢٣ قرآن مجيد ص : ٩١ ----- ١١١

ادامه سوره يس ص : ٩١ ----- ١١١

سورة يس (٣٦): آية ٢٨ ص : ٩١ ----- ١١٢

سورة يس (٣٦): آية ٢٩ ص : ٩١ ----- ١١٢

سورة يس (٣٦): آية ٣٠ ص : ٩١ ----- ١١٢

سورة يس (٣٦): آية ٣١ ص : ٩١ ----- ١١٢

سورة يس (٣٦): آية ٣٢ ص : ٩٢ ----- ١١٣

- سورة يس (٣٦): آية ٣٣ ص : ٩٢ ١١٣
- سورة يس (٣٦): آية ٣٤ ص : ٩٣ ١١٣
- سورة يس (٣٦): آية ٣٥ ص : ٩٣ ١١٣
- سورة يس (٣٦): آية ٣٦ ص : ٩٣ ١١٤
- سورة يس (٣٦): آية ٣٧ ص : ٩٤ ١١٤
- سورة يس (٣٦): آية ٣٨ ص : ٩٤ ١١٤
- سورة يس (٣٦): آية ٣٩ ص : ٩٥ ١١٥
- سورة يس (٣٦): آية ٤٠ ص : ٩٥ ١١٥
- سورة يس (٣٦): آية ٤١ ص : ٩٦ ١١٥
- سورة يس (٣٦): آية ٤٢ ص : ٩٦ ١١٦
- سورة يس (٣٦): آية ٤٣ ص : ٩٦ ١١٦
- سورة يس (٣٦): آية ٤٤ ص : ٩٧ ١١٦
- سورة يس (٣٦): آية ٤٥ ص : ٩٧ ١١٦
- سورة يس (٣٦): آية ٤٦ ص : ٩٨ ١١٧
- سورة يس (٣٦): آية ٤٧ ص : ٩٨ ١١٧
- سورة يس (٣٦): آية ٤٨ ص : ٩٩ ١١٨
- سورة يس (٣٦): آية ٤٩ ص : ٩٩ ١١٨
- سورة يس (٣٦): آية ٥٠ ص : ١٠٠ ١١٨
- سورة يس (٣٦): آية ٥١ ص : ١٠٠ ١١٩
- سورة يس (٣٦): آية ٥٢ ص : ١٠١ ١١٩
- سورة يس (٣٦): آية ٥٣ ص : ١٠١ ١١٩
- سورة يس (٣٦): آية ٥٤ ص : ١٠١ ١٢٠
- سورة يس (٣٦): آية ٥٥ ص : ١٠٢ ١٢٠
- سورة يس (٣٦): آية ٥٦ ص : ١٠٢ ١٢٠
- سورة يس (٣٦): آية ٥٧ ص : ١٠٢ ١٢٠
- سورة يس (٣٦): آية ٥٨ ص : ١٠٢ ١٢٠

- سورة يس(٣٦): آية ٥٩ ص : ١٠٣ ----- ١٢١
- سورة يس(٣٦): آية ٦٠ ص : ١٠٣ ----- ١٢١
- سورة يس(٣٦): آية ٦١ ص : ١٠٤ ----- ١٢١
- سورة يس(٣٦): آية ٦٢ ص : ١٠٤ ----- ١٢٢
- سورة يس(٣٦): آية ٦٣ ص : ١٠٤ ----- ١٢٢
- سورة يس(٣٦): آية ٦٤ ص : ١٠٥ ----- ١٢٢
- سورة يس(٣٦): آية ٦٥ ص : ١٠٥ ----- ١٢٢
- سورة يس(٣٦): آية ٦٦ ص : ١٠٥ ----- ١٢٣
- سورة يس(٣٦): آية ٦٧ ص : ١٠٦ ----- ١٢٣
- سورة يس(٣٦): آية ٦٨ ص : ١٠٦ ----- ١٢٣
- سورة يس(٣٦): آية ٦٩ ص : ١٠٦ ----- ١٢٤
- سورة يس(٣٦): آية ٧٠ ص : ١٠٨ ----- ١٢٤
- سورة يس(٣٦): آية ٧١ ص : ١٠٨ ----- ١٢٥
- سورة يس(٣٦): آية ٧٢ ص : ١٠٨ ----- ١٢٥
- سورة يس(٣٦): آية ٧٣ ص : ١٠٩ ----- ١٢٥
- سورة يس(٣٦): آية ٧٤ ص : ١٠٩ ----- ١٢٥
- سورة يس(٣٦): آية ٧٥ ص : ١٠٩ ----- ١٢٦
- سورة يس(٣٦): آية ٧٦ ص : ١١٠ ----- ١٢٦
- سورة يس(٣٦): آية ٧٧ ص : ١١٠ ----- ١٢٦
- اشاره ----- ١٢٦
- شأن نزول: ص : ١١٠ ----- ١٢٦
- تفسير: ص : ١١٠ ----- ١٢٧
- سورة يس(٣٦): آية ٧٨ ص : ١١١ ----- ١٢٧
- سورة يس(٣٦): آية ٧٩ ص : ١١١ ----- ١٢٧
- سورة يس(٣٦): آية ٨٠ ص : ١١٢ ----- ١٢٨
- سورة يس(٣٦): آية ٨١ ص : ١١٣ ----- ١٢٨

سورة يس(۳۶): آية ۸۲ ص : ۱۱۳ -	۱۲۹
سورة يس(۳۶): آية ۸۳ ص : ۱۱۴ -	۱۲۹
اشاره -	۱۲۹
نکته‌ها: ص : ۱۱۴ -	۱۲۹
اشاره	۱۲۹
۱- اعتقاد به معاد یک امر فطری است ص : ۱۱۴ -	۱۲۹
۲- بازتاب معاد در زندگی انسانها ص : ۱۱۶ -	۱۳۱
۳- دلایل عقلی معاد ص : ۱۱۹ -	۱۳۲
اشاره -	۱۳۲
الف- برهان حکمت: ص : ۱۱۹ -	۱۳۲
ب- برهان عدالت: ص : ۱۲۰ -	۱۳۳
ج- برهان هدف: ص : ۱۲۱ -	۱۳۴
د- برهان نفی اختلاف: ص : ۱۲۲ -	۱۳۴
۴- قرآن و مسأله معاد ص : ۱۲۳ -	۱۳۵
۵- معاد جسمانی ص : ۱۲۵ -	۱۳۶
۶- بهشت و دوزخ ص : ۱۲۷ -	۱۳۷
سوره صافات [۳۷] ص : ۱۲۹ -	۱۳۷
اشاره	۱۳۸
محتوای سوره: ص : ۱۲۹ -	۱۳۸
فضیلت تلاوت سوره ص : ۱۳۰ -	۱۳۸
سورة الصافات(۳۷): آية ۱ ص : ۱۳۰ -	۱۳۹
سورة الصافات(۳۷): آية ۲ ص : ۱۳۱ -	۱۳۹
سورة الصافات(۳۷): آية ۳ ص : ۱۳۱ -	۱۳۹
سورة الصافات(۳۷): آية ۴ ص : ۱۳۱ -	۱۳۹
سورة الصافات(۳۷): آية ۵ ص : ۱۳۱ -	۱۴۰
سورة الصافات(۳۷): آية ۶ ص : ۱۳۲ -	۱۴۰

- سورة الصافات(٣٧): آية ٧ ص : ١٣٢ ----- ١٤٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ٨ ص : ١٣٢ ----- ١٤٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ٩ ص : ١٣٢ ----- ١٤٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٠ ص : ١٣٣ ----- ١٤١
- سورة الصافات(٣٧): آية ١١ ص : ١٣٣ ----- ١٤١
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٢ ص : ١٣٤ ----- ١٤١
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٣ ص : ١٣٤ ----- ١٤٢
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٤ ص : ١٣٤ ----- ١٤٢
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٥ ص : ١٣٤ ----- ١٤٢
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٦ ص : ١٣٤ ----- ١٤٢
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٧ ص : ١٣٤ ----- ١٤٢
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٨ ص : ١٣٥ ----- ١٤٢
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٩ ص : ١٣٥ ----- ١٤٢
- سورة الصافات(٣٧): آية ٢٠ ص : ١٣٥ ----- ١٤٣
- سورة الصافات(٣٧): آية ٢١ ص : ١٣٥ ----- ١٤٣
- سورة الصافات(٣٧): آية ٢٢ ص : ١٣٦ ----- ١٤٣
- سورة الصافات(٣٧): آية ٢٣ ص : ١٣٦ ----- ١٤٣
- سورة الصافات(٣٧): آية ٢٤ ص : ١٣٦ ----- ١٤٣
- سورة الصافات(٣٧): آية ٢٥ ص : ١٣٦ ----- ١٤٤
- سورة الصافات(٣٧): آية ٢٦ ص : ١٣٧ ----- ١٤٤
- سورة الصافات(٣٧): آية ٢٧ ص : ١٣٧ ----- ١٤٤
- سورة الصافات(٣٧): آية ٢٨ ص : ١٣٧ ----- ١٤٤
- سورة الصافات(٣٧): آية ٢٩ ص : ١٣٧ ----- ١٤٥
- سورة الصافات(٣٧): آية ٣٠ ص : ١٣٧ ----- ١٤٥
- سورة الصافات(٣٧): آية ٣١ ص : ١٣٨ ----- ١٤٥
- سورة الصافات(٣٧): آية ٣٢ ص : ١٣٨ ----- ١٤٥

- سورة الصافات(٣٧): آية ٣٣ ص : ١٣٨ ----- ١٤٥
- سورة الصافات(٣٧): آية ٣٤ ص : ١٣٨ ----- ١٤٦
- سورة الصافات(٣٧): آية ٣٥ ص : ١٣٩ ----- ١٤٦
- سورة الصافات(٣٧): آية ٣٦ ص : ١٣٩ ----- ١٤٦
- سورة الصافات(٣٧): آية ٣٧ ص : ١٣٩ ----- ١٤٦
- سورة الصافات(٣٧): آية ٣٨ ص : ١٣٩ ----- ١٤٦
- سورة الصافات(٣٧): آية ٣٩ ص : ١٣٩ ----- ١٤٧
- سورة الصافات(٣٧): آية ٤٠ ص : ١٤٠ ----- ١٤٧
- سورة الصافات(٣٧): آية ٤١ ص : ١٤٠ ----- ١٤٧
- سورة الصافات(٣٧): آية ٤٢ ص : ١٤٠ ----- ١٤٧
- سورة الصافات(٣٧): آية ٤٣ ص : ١٤٠ ----- ١٤٧
- سورة الصافات(٣٧): آية ٤٤ ص : ١٤١ ----- ١٤٨
- سورة الصافات(٣٧): آية ٤٥ ص : ١٤١ ----- ١٤٨
- سورة الصافات(٣٧): آية ٤٦ ص : ١٤١ ----- ١٤٨
- سورة الصافات(٣٧): آية ٤٧ ص : ١٤١ ----- ١٤٨
- سورة الصافات(٣٧): آية ٤٨ ص : ١٤١ ----- ١٤٨
- سورة الصافات(٣٧): آية ٤٩ ص : ١٤١ ----- ١٤٨
- سورة الصافات(٣٧): آية ٥٠ ص : ١٤٢ ----- ١٤٩
- سورة الصافات(٣٧): آية ٥١ ص : ١٤٢ ----- ١٤٩
- سورة الصافات(٣٧): آية ٥٢ ص : ١٤٢ ----- ١٤٩
- سورة الصافات(٣٧): آية ٥٣ ص : ١٤٢ ----- ١٤٩
- سورة الصافات(٣٧): آية ٥٤ ص : ١٤٢ ----- ١٤٩
- سورة الصافات(٣٧): آية ٥٥ ص : ١٤٢ ----- ١٥٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ٥٦ ص : ١٤٣ ----- ١٥٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ٥٧ ص : ١٤٣ ----- ١٥٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ٥٨ ص : ١٤٣ ----- ١٥٠

- سورة الصافات(٣٧): آية ٥٩ ص : ١٤٣ ----- ١٥٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ٦٠ ص : ١٤٣ ----- ١٥٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ٦١ ص : ١٤٣ ----- ١٥٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ٦٢ ص : ١٤٤ ----- ١٥١
- سورة الصافات(٣٧): آية ٦٣ ص : ١٤٤ ----- ١٥١
- سورة الصافات(٣٧): آية ٦٤ ص : ١٤٤ ----- ١٥١
- سورة الصافات(٣٧): آية ٦٥ ص : ١٤٤ ----- ١٥١
- سورة الصافات(٣٧): آية ٦٦ ص : ١٤٤ ----- ١٥٢
- سورة الصافات(٣٧): آية ٦٧ ص : ١٤٥ ----- ١٥٢
- سورة الصافات(٣٧): آية ٦٨ ص : ١٤٥ ----- ١٥٢
- سورة الصافات(٣٧): آية ٦٩ ص : ١٤٥ ----- ١٥٢
- سورة الصافات(٣٧): آية ٧٠ ص : ١٤٥ ----- ١٥٢
- سورة الصافات(٣٧): آية ٧١ ص : ١٤٥ ----- ١٥٢
- سورة الصافات(٣٧): آية ٧٢ ص : ١٤٥ ----- ١٥٣
- سورة الصافات(٣٧): آية ٧٣ ص : ١٤٦ ----- ١٥٣
- سورة الصافات(٣٧): آية ٧٤ ص : ١٤٦ ----- ١٥٣
- سورة الصافات(٣٧): آية ٧٥ ص : ١٤٦ ----- ١٥٣
- سورة الصافات(٣٧): آية ٧٦ ص : ١٤٦ ----- ١٥٣
- سورة الصافات(٣٧): آية ٧٧ ص : ١٤٦ ----- ١٥٤
- سورة الصافات(٣٧): آية ٧٨ ص : ١٤٦ ----- ١٥٤
- سورة الصافات(٣٧): آية ٧٩ ص : ١٤٧ ----- ١٥٤
- سورة الصافات(٣٧): آية ٨٠ ص : ١٤٧ ----- ١٥٤
- سورة الصافات(٣٧): آية ٨١ ص : ١٤٧ ----- ١٥٤
- سورة الصافات(٣٧): آية ٨٢ ص : ١٤٧ ----- ١٥٤
- سورة الصافات(٣٧): آية ٨٣ ص : ١٤٧ ----- ١٥٥
- سورة الصافات(٣٧): آية ٨٤ ص : ١٤٨ ----- ١٥٥

- سورة الصافات(٣٧): آية ٨٥ ص : ١٤٨ ----- ١٥٥
- سورة الصافات(٣٧): آية ٨٦ ص : ١٤٨ ----- ١٥٥
- سورة الصافات(٣٧): آية ٨٧ ص : ١٤٨ ----- ١٥٥
- سورة الصافات(٣٧): آية ٨٨ ص : ١٤٨ ----- ١٥٦
- سورة الصافات(٣٧): آية ٨٩ ص : ١٤٩ ----- ١٥٦
- سورة الصافات(٣٧): آية ٩٠ ص : ١٤٩ ----- ١٥٦
- سورة الصافات(٣٧): آية ٩١ ص : ١٤٩ ----- ١٥٦
- سورة الصافات(٣٧): آية ٩٢ ص : ١٤٩ ----- ١٥٦
- سورة الصافات(٣٧): آية ٩٣ ص : ١٤٩ ----- ١٥٦
- سورة الصافات(٣٧): آية ٩٤ ص : ١٤٩ ----- ١٥٧
- سورة الصافات(٣٧): آية ٩٥ ص : ١٥٠ ----- ١٥٧
- سورة الصافات(٣٧): آية ٩٦ ص : ١٥٠ ----- ١٥٧
- سورة الصافات(٣٧): آية ٩٧ ص : ١٥٠ ----- ١٥٧
- سورة الصافات(٣٧): آية ٩٨ ص : ١٥٠ ----- ١٥٧
- سورة الصافات(٣٧): آية ٩٩ ص : ١٥١ ----- ١٥٨
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٠٠ ص : ١٥١ ----- ١٥٨
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٠١ ص : ١٥١ ----- ١٥٨
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٠٢ ص : ١٥١ ----- ١٥٨
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٠٣ ص : ١٥٢ ----- ١٥٩
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٠٤ ص : ١٥٣ ----- ١٥٩
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٠٥ ص : ١٥٤ ----- ١٦٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٠٦ ص : ١٥٤ ----- ١٦٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٠٧ ص : ١٥٤ ----- ١٦٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٠٨ ص : ١٥٤ ----- ١٦٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٠٩ ص : ١٥٤ ----- ١٦٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ١١٠ ص : ١٥٤ ----- ١٦١

١٦١ ----- اشارة

١٦١ ----- ذبيح الله كيست؟ ص : ١٥٥

١٦١ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١١١ ص : ١٥٥

١٦١ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١١٢ ص : ١٥٥

١٦١ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١١٣ ص : ١٥٥

١٦٢ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١١٤ ص : ١٥٦

١٦٢ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١١٥ ص : ١٥٦

١٦٢ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١١٦ ص : ١٥٦

١٦٢ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١١٧ ص : ١٥٦

١٦٢ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١١٨ ص : ١٥٧

١٦٣ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١١٩ ص : ١٥٧

١٦٣ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١٢٠ ص : ١٥٧

١٦٣ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١٢١ ص : ١٥٧

١٦٣ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١٢٢ ص : ١٥٧

١٦٣ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١٢٣ ص : ١٥٨

١٦٤ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١٢٤ ص : ١٥٨

١٦٤ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١٢٥ ص : ١٥٨

١٦٤ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١٢٦ ص : ١٥٨

١٦٤ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١٢٧ ص : ١٥٨

١٦٤ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١٢٨ ص : ١٥٨

١٦٤ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١٢٩ ص : ١٥٩

١٦٥ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١٣٠ ص : ١٥٩

١٦٥ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١٣١ ص : ١٥٩

١٦٥ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١٣٢ ص : ١٥٩

١٦٥ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١٣٣ ص : ١٥٩

١٦٥ ----- سورة الصافات(٣٧): آية ١٣٤ ص : ١٥٩

- سورة الصافات(٣٧): آية ١٣٥ ص : ١٦٠ ----- ١٦٥
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٣٦ ص : ١٦٠ ----- ١٦٦
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٣٧ ص : ١٦٠ ----- ١٦٦
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٣٨ ص : ١٦٠ ----- ١٦٦
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٣٩ ص : ١٦٠ ----- ١٦٦
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٤٠ ص : ١٦١ ----- ١٦٦
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٤١ ص : ١٦١ ----- ١٦٧
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٤٢ ص : ١٦١ ----- ١٦٧
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٤٣ ص : ١٦١ ----- ١٦٧
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٤٤ ص : ١٦٢ ----- ١٦٧
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٤٥ ص : ١٦٢ ----- ١٦٧
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٤٦ ص : ١٦٢ ----- ١٦٨
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٤٧ ص : ١٦٢ ----- ١٦٨
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٤٨ ص : ١٦٣ ----- ١٦٨
- اشاره ----- ١٦٨
- درسهای بزرگ: ص : ١٦٣ ----- ١٦٩
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٤٩ ص : ١٦٣ ----- ١٦٩
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٥٠ ص : ١٦٤ ----- ١٦٩
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٥١ ص : ١٦٤ ----- ١٦٩
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٥٢ ص : ١٦٤ ----- ١٧٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٥٣ ص : ١٦٤ ----- ١٧٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٥٤ ص : ١٦٤ ----- ١٧٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٥٥ ص : ١٦٥ ----- ١٧٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٥٦ ص : ١٦٥ ----- ١٧٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٥٧ ص : ١٦٥ ----- ١٧٠
- سورة الصافات(٣٧): آية ١٥٨ ص : ١٦٥ ----- ١٧٠

١٧١	سورة الصافات(٣٧): آية ١٥٩ ص : ١٦٦
١٧١	سورة الصافات(٣٧): آية ١٦٠ ص : ١٦٦
١٧١	سورة الصافات(٣٧): آية ١٦١ ص : ١٦٦
١٧١	سورة الصافات(٣٧): آية ١٦٢ ص : ١٦٦
١٧١	سورة الصافات(٣٧): آية ١٦٣ ص : ١٦٦
١٧٢	سورة الصافات(٣٧): آية ١٦٤ ص : ١٦٦
١٧٢	سورة الصافات(٣٧): آية ١٦٥ ص : ١٦٦
١٧٢	سورة الصافات(٣٧): آية ١٦٦ ص : ١٦٧
١٧٢	سورة الصافات(٣٧): آية ١٦٧ ص : ١٦٧
١٧٢	سورة الصافات(٣٧): آية ١٦٨ ص : ١٦٧
١٧٢	سورة الصافات(٣٧): آية ١٦٩ ص : ١٦٧
١٧٣	سورة الصافات(٣٧): آية ١٧٠ ص : ١٦٧
١٧٣	سورة الصافات(٣٧): آية ١٧١ ص : ١٦٨
١٧٣	سورة الصافات(٣٧): آية ١٧٢ ص : ١٦٨
١٧٣	سورة الصافات(٣٧): آية ١٧٣ ص : ١٦٨
١٧٣	سورة الصافات(٣٧): آية ١٧٤ ص : ١٦٨
١٧٤	سورة الصافات(٣٧): آية ١٧٥ ص : ١٦٨
١٧٤	سورة الصافات(٣٧): آية ١٧٦ ص : ١٦٨
١٧٤	سورة الصافات(٣٧): آية ١٧٧ ص : ١٦٩
١٧٤	سورة الصافات(٣٧): آية ١٧٨ ص : ١٦٩
١٧٤	سورة الصافات(٣٧): آية ١٧٩ ص : ١٦٩
١٧٤	سورة الصافات(٣٧): آية ١٨٠ ص : ١٦٩
١٧٥	سورة الصافات(٣٧): آية ١٨١ ص : ١٦٩
١٧٥	سورة الصافات(٣٧): آية ١٨٢ ص : ١٧٠
١٧٥	سوره ص [٣٨] ص : ١٧١
١٧٥	اشاره

١٧٦	محتوای سوره: ص : ١٧١
١٧٦	فضیلت تلاوت سوره: ص : ١٧٢
١٧٦	سوره ص(٣٨): آیه ١ ص : ١٧١
١٧٦	اشاره
١٧٧	شأن نزول: ص : ١٧١
١٧٧	تفسیر: ص : ١٧٣
١٧٧	سوره ص(٣٨): آیه ٢ ص : ١٧٣
١٧٧	سوره ص(٣٨): آیه ٣ ص : ١٧٣
١٧٨	سوره ص(٣٨): آیه ٤ ص : ١٧٤
١٧٨	اشاره
١٧٨	شأن نزول: ص : ١٧٤
١٧٩	تفسیر: ص : ١٧٥
١٧٩	سوره ص(٣٨): آیه ٥ ص : ١٧٥
١٧٩	سوره ص(٣٨): آیه ٦ ص : ١٧٥
١٧٩	سوره ص(٣٨): آیه ٧ ص : ١٧٦
١٨٠	سوره ص(٣٨): آیه ٨ ص : ١٧٦
١٨٠	سوره ص(٣٨): آیه ٩ ص : ١٧٧
١٨٠	سوره ص(٣٨): آیه ١٠ ص : ١٧٧
١٨١	سوره ص(٣٨): آیه ١١ ص : ١٧٧
١٨١	سوره ص(٣٨): آیه ١٢ ص : ١٧٨
١٨١	سوره ص(٣٨): آیه ١٣ ص : ١٧٨
١٨١	سوره ص(٣٨): آیه ١٤ ص : ١٧٨
١٨١	سوره ص(٣٨): آیه ١٥ ص : ١٧٨
١٨٢	سوره ص(٣٨): آیه ١٦ ص : ١٧٩
١٨٢	سوره ص(٣٨): آیه ١٧ ص : ١٧٩
١٨٢	سوره ص(٣٨): آیه ١٨ ص : ١٨٠

١٨٣	سورة ص(٣٨): آية ١٩ ص : ١٨٠
١٨٣	سورة ص(٣٨): آية ٢٠ ص : ١٨٠
١٨٣	سورة ص(٣٨): آية ٢١ ص : ١٨٠
١٨٣	سورة ص(٣٨): آية ٢٢ ص : ١٨١
١٨٤	سورة ص(٣٨): آية ٢٣ ص : ١٨١
١٨٤	سورة ص(٣٨): آية ٢٤ ص : ١٨١
١٨٥	سورة ص(٣٨): آية ٢٥ ص : ١٨٢
١٨٥	سورة ص(٣٨): آية ٢٦ ص : ١٨٣
١٨٥	سورة ص(٣٨): آية ٢٧ ص : ١٨٣
١٨٦	سورة ص(٣٨): آية ٢٨ ص : ١٨٤
١٨٦	سورة ص(٣٨): آية ٢٩ ص : ١٨٤
١٨٦	سورة ص(٣٨): آية ٣٠ ص : ١٨٤
١٨٦	سورة ص(٣٨): آية ٣١ ص : ١٨٥
١٨٧	سورة ص(٣٨): آية ٣٢ ص : ١٨٥
١٨٧	سورة ص(٣٨): آية ٣٣ ص : ١٨٥
١٨٧	سورة ص(٣٨): آية ٣٤ ص : ١٨٦
١٨٨	سورة ص(٣٨): آية ٣٥ ص : ١٨٦
١٨٨	سورة ص(٣٨): آية ٣٦ ص : ١٨٧
١٨٨	سورة ص(٣٨): آية ٣٧ ص : ١٨٧
١٨٨	سورة ص(٣٨): آية ٣٨ ص : ١٨٧
١٨٩	سورة ص(٣٨): آية ٣٩ ص : ١٨٨
١٨٩	سورة ص(٣٨): آية ٤٠ ص : ١٨٨
١٨٩	سورة ص(٣٨): آية ٤١ ص : ١٨٨
١٩٠	سورة ص(٣٨): آية ٤٢ ص : ١٩٠
١٩٠	سورة ص(٣٨): آية ٤٣ ص : ١٩٠
١٩٠	سورة ص(٣٨): آية ٤٤ ص : ١٩٠

١٩١	سورة ص(٣٨): آية ٤٥ ص : ١٩١
١٩١	سورة ص(٣٨): آية ٤٦ ص : ١٩٢
١٩١	سورة ص(٣٨): آية ٤٧ ص : ١٩٢
١٩٢	سورة ص(٣٨): آية ٤٨ ص : ١٩٢
١٩٢	سورة ص(٣٨): آية ٤٩ ص : ١٩٣
١٩٢	سورة ص(٣٨): آية ٥٠ ص : ١٩٣
١٩٣	سورة ص(٣٨): آية ٥١ ص : ١٩٣
١٩٣	سورة ص(٣٨): آية ٥٢ ص : ١٩٣
١٩٣	سورة ص(٣٨): آية ٥٣ ص : ١٩٤
١٩٣	سورة ص(٣٨): آية ٥٤ ص : ١٩٤
١٩٣	سورة ص(٣٨): آية ٥٥ ص : ١٩٤
١٩٤	سورة ص(٣٨): آية ٥٦ ص : ١٩٤
١٩٤	سورة ص(٣٨): آية ٥٧ ص : ١٩٤
١٩٤	سورة ص(٣٨): آية ٥٨ ص : ١٩٥
١٩٤	سورة ص(٣٨): آية ٥٩ ص : ١٩٥
١٩٤	سورة ص(٣٨): آية ٦٠ ص : ١٩٥
١٩٥	سورة ص(٣٨): آية ٦١ ص : ١٩٥
١٩٥	سورة ص(٣٨): آية ٦٢ ص : ١٩٦
١٩٥	سورة ص(٣٨): آية ٦٣ ص : ١٩٦
١٩٥	سورة ص(٣٨): آية ٦٤ ص : ١٩٦
١٩٦	سورة ص(٣٨): آية ٦٥ ص : ١٩٧
١٩٦	سورة ص(٣٨): آية ٦٦ ص : ١٩٧
١٩٦	سورة ص(٣٨): آية ٦٧ ص : ١٩٨
١٩٦	سورة ص(٣٨): آية ٦٨ ص : ١٩٨
١٩٦	سورة ص(٣٨): آية ٦٩ ص : ١٩٨
١٩٧	سورة ص(٣٨): آية ٧٠ ص : ١٩٨

١٩٧	سورة ص(٣٨): آية ٧١ ص : ١٩٨
١٩٧	سورة ص(٣٨): آية ٧٢ ص : ١٩٨
١٩٧	سورة ص(٣٨): آية ٧٣ ص : ١٩٨
١٩٧	سورة ص(٣٨): آية ٧٤ ص : ١٩٩
١٩٨	سورة ص(٣٨): آية ٧٥ ص : ١٩٩
١٩٨	سورة ص(٣٨): آية ٧٦ ص : ١٩٩
١٩٨	سورة ص(٣٨): آية ٧٧ ص : ٢٠٠
١٩٩	سورة ص(٣٨): آية ٧٨ ص : ٢٠٠
١٩٩	سورة ص(٣٨): آية ٧٩ ص : ٢٠٠
١٩٩	سورة ص(٣٨): آية ٨٠ ص : ٢٠١
١٩٩	سورة ص(٣٨): آية ٨١ ص : ٢٠٠
١٩٩	سورة ص(٣٨): آية ٨٢ ص : ٢٠٠
٢٠٠	سورة ص(٣٨): آية ٨٣ ص : ٢٠٠
٢٠٠	سورة ص(٣٨): آية ٨٤ ص : ٢٠٢
٢٠٠	سورة ص(٣٨): آية ٨٥ ص : ٢٠٢
٢٠٠	سورة ص(٣٨): آية ٨٦ ص : ٢٠٢
٢٠١	سورة ص(٣٨): آية ٨٧ ص : ٢٠٣
٢٠١	سورة ص(٣٨): آية ٨٨ ص : ٢٠٣
٢٠١	سورة زمر [٣٩] ص : ٢٠٥
٢٠١	اشاره
٢٠١	محتواى سوره: ص : ٢٠٥
٢٠٢	فضيلت تلاوت سوره: ص : ٢٠٦
٢٠٢	سورة الزمر(٣٩): آية ١ ص : ٢٠٦
٢٠٢	سورة الزمر(٣٩): آية ٢ ص : ٢٠٦
٢٠٣	سورة الزمر(٣٩): آية ٣ ص : ٢٠٧
٢٠٤	سورة الزمر(٣٩): آية ٤ ص : ٢٠٨

٢٠٤	سورة الزمر(٣٩): آية ٥ ص : ٢٠٩
٢٠٥	سورة الزمر(٣٩): آية ٦ ص : ٢١٠
٢٠٦	سورة الزمر(٣٩): آية ٧ ص : ٢١١
٢٠٦	سورة الزمر(٣٩): آية ٨ ص : ٢١٢
٢٠٧	سورة الزمر(٣٩): آية ٩ ص : ٢١٣
٢٠٨	سورة الزمر(٣٩): آية ١٠ ص : ٢١٤
٢٠٩	سورة الزمر(٣٩): آية ١١ ص : ٢١٦
٢٠٩	سورة الزمر(٣٩): آية ١٢ ص : ٢١٦
٢٠٩	سورة الزمر(٣٩): آية ١٣ ص : ٢١٦
٢٠٩	سورة الزمر(٣٩): آية ١٤ ص : ٢١٦
٢٠٩	سورة الزمر(٣٩): آية ١٥ ص : ٢١٦
٢١٠	سورة الزمر(٣٩): آية ١٦ ص : ٢١٧
٢١٠	سورة الزمر(٣٩): آية ١٧ ص : ٢١٧
٢١٠	سورة الزمر(٣٩): آية ١٨ ص : ٢١٨
٢١١	سورة الزمر(٣٩): آية ١٩ ص : ٢١٨
٢١١	سورة الزمر(٣٩): آية ٢٠ ص : ٢١٨
٢١١	سورة الزمر(٣٩): آية ٢١ ص : ٢١٩
٢١٢	سورة الزمر(٣٩): آية ٢٢ ص : ٢٢٠
٢١٢	سورة الزمر(٣٩): آية ٢٣ ص : ٢٢١
٢١٢	اشاره
٢١٢	شأن نزول: ص : ٢٢١
٢١٣	تفسير: ص : ٢٢١
٢١٤	سورة الزمر(٣٩): آية ٢٤ ص : ٢٢٣
٢١٤	سورة الزمر(٣٩): آية ٢٥ ص : ٢٢٣
٢١٤	سورة الزمر(٣٩): آية ٢٦ ص : ٢٢٣
٢١٥	سورة الزمر(٣٩): آية ٢٧ ص : ٢٢٤

٢١٥	سورة الزمر(٣٩): آية ٢٨ ص : ٢٢٤
٢١٥	سورة الزمر(٣٩): آية ٢٩ ص : ٢٢٤
٢١٦	سورة الزمر(٣٩): آية ٣٠ ص : ٢٢٥
٢١٦	سورة الزمر(٣٩): آية ٣١ ص : ٢٢٥
٢١٦	أغاز جزء ٢٤ قرآن مجيد ص : ٢٢٥
٢١٦	ادامه سوره زمر ص : ٢٢٥
٢١٦	سورة الزمر(٣٩): آية ٣٢ ص : ٢٢٥
٢١٧	سورة الزمر(٣٩): آية ٣٣ ص : ٢٢٦
٢١٧	سورة الزمر(٣٩): آية ٣٤ ص : ٢٢٦
٢١٧	سورة الزمر(٣٩): آية ٣٥ ص : ٢٢٦
٢١٧	سورة الزمر(٣٩): آية ٣٦ ص : ٢٢٧
٢١٧	اشاره
٢١٨	شأن نزول: ص : ٢٢٧
٢١٨	تفسير: ص : ٢٢٧
٢١٨	سورة الزمر(٣٩): آية ٣٧ ص : ٢٢٨
٢١٨	اشاره
٢١٩	هدايت و ضلالت از سوى خداست! ص : ٢٢٨
٢٢٠	سورة الزمر(٣٩): آية ٣٨ ص : ٢٣١
٢٢١	سورة الزمر(٣٩): آية ٣٩ ص : ٢٣٢
٢٢١	سورة الزمر(٣٩): آية ٤٠ ص : ٢٣٢
٢٢١	سورة الزمر(٣٩): آية ٤١ ص : ٢٣٢
٢٢٢	سورة الزمر(٣٩): آية ٤٢ ص : ٢٣٣
٢٢٢	سورة الزمر(٣٩): آية ٤٣ ص : ٢٣٣
٢٢٢	سورة الزمر(٣٩): آية ٤٤ ص : ٢٣٤
٢٢٣	سورة الزمر(٣٩): آية ٤٥ ص : ٢٣٤
٢٢٣	سورة الزمر(٣٩): آية ٤٦ ص : ٢٣٥

٢٢٣	سورة الزمر(٣٩): آية ٤٧ ص : ٢٣٥
٢٢٣	سورة الزمر(٣٩): آية ٤٨ ص : ٢٣٥
٢٢٤	سورة الزمر(٣٩): آية ٤٩ ص : ٢٣٥
٢٢٤	سورة الزمر(٣٩): آية ٥٠ ص : ٢٣٦
٢٢٤	سورة الزمر(٣٩): آية ٥١ ص : ٢٣٦
٢٢٥	سورة الزمر(٣٩): آية ٥٢ ص : ٢٣٧
٢٢٥	سورة الزمر(٣٩): آية ٥٣ ص : ٢٣٧
٢٢٥	سورة الزمر(٣٩): آية ٥٤ ص : ٢٣٨
٢٢٦	سورة الزمر(٣٩): آية ٥٥ ص : ٢٣٨
٢٢٦	سورة الزمر(٣٩): آية ٥٦ ص : ٢٣٩
٢٢٦	سورة الزمر(٣٩): آية ٥٧ ص : ٢٣٩
٢٢٦	سورة الزمر(٣٩): آية ٥٨ ص : ٢٣٩
٢٢٧	سورة الزمر(٣٩): آية ٥٩ ص : ٢٣٩
٢٢٧	سورة الزمر(٣٩): آية ٦٠ ص : ٢٤٠
٢٢٧	سورة الزمر(٣٩): آية ٦١ ص : ٢٤٠
٢٢٧	سورة الزمر(٣٩): آية ٦٢ ص : ٢٤١
٢٢٨	سورة الزمر(٣٩): آية ٦٣ ص : ٢٤١
٢٢٨	سورة الزمر(٣٩): آية ٦٤ ص : ٢٤١
٢٢٨	سورة الزمر(٣٩): آية ٦٥ ص : ٢٤٢
٢٢٩	سورة الزمر(٣٩): آية ٦٦ ص : ٢٤٢
٢٢٩	سورة الزمر(٣٩): آية ٦٧ ص : ٢٤٣
٢٣٠	سورة الزمر(٣٩): آية ٦٨ ص : ٢٤٤
٢٣٠	سورة الزمر(٣٩): آية ٦٩ ص : ٢٤٤
٢٣١	سورة الزمر(٣٩): آية ٧٠ ص : ٢٤٦
٢٣١	سورة الزمر(٣٩): آية ٧١ ص : ٢٤٦
٢٣٢	سورة الزمر(٣٩): آية ٧٢ ص : ٢٤٧

٢٣٢	سورة الزمر(٣٩): آية ٧٣ ص : ٢٤٨
٢٣٣	سورة الزمر(٣٩): آية ٧٤ ص : ٢٤٩
٢٣٣	سورة الزمر(٣٩): آية ٧٥ ص : ٢٤٩
٢٣٤	سوره مؤمن «غافر» [٤٠] ص : ٢٥١
٢٣٤	اشاره
٢٣٤	محتواى سوره: ص : ٢٥١
٢٣٥	فضيلت تلاوت سوره: ص : ٢٥٢
٢٣٥	سورة غافر(٤٠): آية ١ ص : ٢٥٢
٢٣٥	سورة غافر(٤٠): آية ٢ ص : ٢٥٣
٢٣٦	سورة غافر(٤٠): آية ٣ ص : ٢٥٣
٢٣٦	سورة غافر(٤٠): آية ٤ ص : ٢٥٣
٢٣٦	سورة غافر(٤٠): آية ٥ ص : ٢٥٤
٢٣٧	سورة غافر(٤٠): آية ٦ ص : ٢٥٥
٢٣٧	سورة غافر(٤٠): آية ٧ ص : ٢٥٥
٢٣٨	سورة غافر(٤٠): آية ٨ ص : ٢٥٦
٢٣٨	سورة غافر(٤٠): آية ٩ ص : ٢٥٦
٢٣٨	سورة غافر(٤٠): آية ١٠ ص : ٢٥٧
٢٣٩	سورة غافر(٤٠): آية ١١ ص : ٢٥٧
٢٣٩	سورة غافر(٤٠): آية ١٢ ص : ٢٥٨
٢٤٠	سورة غافر(٤٠): آية ١٣ ص : ٢٥٨
٢٤٠	سورة غافر(٤٠): آية ١٤ ص : ٢٥٩
٢٤٠	سورة غافر(٤٠): آية ١٥ ص : ٢٥٩
٢٤١	سورة غافر(٤٠): آية ١٦ ص : ٢٦٠
٢٤١	سورة غافر(٤٠): آية ١٧ ص : ٢٦١
٢٤٢	سورة غافر(٤٠): آية ١٨ ص : ٢٦٢
٢٤٢	سورة غافر(٤٠): آية ١٩ ص : ٢٦٣

- سورة غافر (٤٠): آية ٢٠ ص : ٢٦٣ ----- ٢٤٣
- سورة غافر (٤٠): آية ٢١ ص : ٢٦٣ ----- ٢٤٣
- سورة غافر (٤٠): آية ٢٢ ص : ٢٦٤ ----- ٢٤٤
- سورة غافر (٤٠): آية ٢٣ ص : ٢٦٥ ----- ٢٤٤
- سورة غافر (٤٠): آية ٢٤ ص : ٢٦٥ ----- ٢٤٤
- سورة غافر (٤٠): آية ٢٥ ص : ٢٦٥ ----- ٢٤٤
- سورة غافر (٤٠): آية ٢٦ ص : ٢٦٦ ----- ٢٤٥
- سورة غافر (٤٠): آية ٢٧ ص : ٢٦٦ ----- ٢٤٥
- سورة غافر (٤٠): آية ٢٨ ص : ٢٦٧ ----- ٢٤٦
- سورة غافر (٤٠): آية ٢٩ ص : ٢٦٨ ----- ٢٤٦
- سورة غافر (٤٠): آية ٣٠ ص : ٢٦٨ ----- ٢٤٧
- سورة غافر (٤٠): آية ٣١ ص : ٢٦٩ ----- ٢٤٧
- سورة غافر (٤٠): آية ٣٢ ص : ٢٦٩ ----- ٢٤٧
- سورة غافر (٤٠): آية ٣٣ ص : ٢٦٩ ----- ٢٤٧
- سورة غافر (٤٠): آية ٣٤ ص : ٢٧٠ ----- ٢٤٨
- سورة غافر (٤٠): آية ٣٥ ص : ٢٧١ ----- ٢٤٨
- سورة غافر (٤٠): آية ٣٦ ص : ٢٧١ ----- ٢٤٩
- سورة غافر (٤٠): آية ٣٧ ص : ٢٧١ ----- ٢٤٩
- سورة غافر (٤٠): آية ٣٨ ص : ٢٧٢ ----- ٢٤٩
- سورة غافر (٤٠): آية ٣٩ ص : ٢٧٢ ----- ٢٥٠
- سورة غافر (٤٠): آية ٤٠ ص : ٢٧٣ ----- ٢٥٠
- سورة غافر (٤٠): آية ٤١ ص : ٢٧٣ ----- ٢٥٠
- سورة غافر (٤٠): آية ٤٢ ص : ٢٧٤ ----- ٢٥٠
- سورة غافر (٤٠): آية ٤٣ ص : ٢٧٤ ----- ٢٥١
- سورة غافر (٤٠): آية ٤٤ ص : ٢٧٤ ----- ٢٥١
- سورة غافر (٤٠): آية ٤٥ ص : ٢٧٥ ----- ٢٥١

٢٥١	سورة غافر (٤٠): آية ٤٦ ص : ٢٧٥
٢٥٢	سورة غافر (٤٠): آية ٤٧ ص : ٢٧٥
٢٥٢	سورة غافر (٤٠): آية ٤٨ ص : ٢٧٦
٢٥٢	سورة غافر (٤٠): آية ٤٩ ص : ٢٧٦
٢٥٢	سورة غافر (٤٠): آية ٥٠ ص : ٢٧٦
٢٥٣	سورة غافر (٤٠): آية ٥١ ص : ٢٧٧
٢٥٣	سورة غافر (٤٠): آية ٥٢ ص : ٢٧٧
٢٥٣	سورة غافر (٤٠): آية ٥٣ ص : ٢٧٧
٢٥٤	سورة غافر (٤٠): آية ٥٤ ص : ٢٧٨
٢٥٤	سورة غافر (٤٠): آية ٥٥ ص : ٢٧٨
٢٥٤	سورة غافر (٤٠): آية ٥٦ ص : ٢٧٩
٢٥٥	سورة غافر (٤٠): آية ٥٧ ص : ٢٧٩
٢٥٥	سورة غافر (٤٠): آية ٥٨ ص : ٢٨٠
٢٥٦	سورة غافر (٤٠): آية ٥٩ ص : ٢٨٠
٢٥٦	سورة غافر (٤٠): آية ٦٠ ص : ٢٨٠
٢٥٦	سورة غافر (٤٠): آية ٦١ ص : ٢٨١
٢٥٧	سورة غافر (٤٠): آية ٦٢ ص : ٢٨٢
٢٥٧	سورة غافر (٤٠): آية ٦٣ ص : ٢٨٢
٢٥٧	سورة غافر (٤٠): آية ٦٤ ص : ٢٨٢
٢٥٨	سورة غافر (٤٠): آية ٦٥ ص : ٢٨٤
٢٥٨	سورة غافر (٤٠): آية ٦٦ ص : ٢٨٤
٢٥٩	سورة غافر (٤٠): آية ٦٧ ص : ٢٨٥
٢٦٠	سورة غافر (٤٠): آية ٦٨ ص : ٢٨٦
٢٦٠	سورة غافر (٤٠): آية ٦٩ ص : ٢٨٧
٢٦٠	سورة غافر (٤٠): آية ٧٠ ص : ٢٨٧
٢٦٠	سورة غافر (٤٠): آية ٧١ ص : ٢٨٧

٢٦١	سورة غافر (٤٠): آية ٧٢ ص : ٢٨٧
٢٦١	سورة غافر (٤٠): آية ٧٣ ص : ٢٨٧
٢٦١	سورة غافر (٤٠): آية ٧٤ ص : ٢٨٧
٢٦١	سورة غافر (٤٠): آية ٧٥ ص : ٢٨٨
٢٦٢	سورة غافر (٤٠): آية ٧٦ ص : ٢٨٨
٢٦٢	سورة غافر (٤٠): آية ٧٧ ص : ٢٨٩
٢٦٢	سورة غافر (٤٠): آية ٧٨ ص : ٢٨٩
٢٦٣	سورة غافر (٤٠): آية ٧٩ ص : ٢٩٠
٢٦٣	سورة غافر (٤٠): آية ٨٠ ص : ٢٩١
٢٦٤	سورة غافر (٤٠): آية ٨١ ص : ٢٩١
٢٦٤	سورة غافر (٤٠): آية ٨٢ ص : ٢٩٢
٢٦٤	سورة غافر (٤٠): آية ٨٣ ص : ٢٩٢
٢٦٤	سورة غافر (٤٠): آية ٨٤ ص : ٢٩٣
٢٦٥	سورة غافر (٤٠): آية ٨٥ ص : ٢٩٤
٢٦٥	سوره فصلت [٤١] ص : ٢٩٥
٢٦٥	اشاره
٢٦٥	محتواى سوره: ص : ٢٩٥
٢٦٦	فضيلت تلاوت سوره: ص : ٢٩٥
٢٦٦	سورة فصلت (٤١): آية ١ ص : ٢٩٦
٢٦٧	سورة فصلت (٤١): آية ٢ ص : ٢٩٧
٢٦٧	سورة فصلت (٤١): آية ٣ ص : ٢٩٧
٢٦٧	سورة فصلت (٤١): آية ٤ ص : ٢٩٧
٢٦٧	سورة فصلت (٤١): آية ٥ ص : ٢٩٨
٢٦٨	سورة فصلت (٤١): آية ٦ ص : ٢٩٨
٢٦٨	سورة فصلت (٤١): آية ٧ ص : ٢٩٩
٢٦٨	سورة فصلت (٤١): آية ٨ ص : ٢٩٩

- سورة فصلت(٤١): آية ٩ ص : ٢٩٩ ----- ٢٦٨
- سورة فصلت(٤١): آية ١٠ ص : ٣٠٠ ----- ٢٦٩
- سورة فصلت(٤١): آية ١١ ص : ٣٠٠ ----- ٢٦٩
- سورة فصلت(٤١): آية ١٢ ص : ٣٠٠ ----- ٢٦٩
- سورة فصلت(٤١): آية ١٣ ص : ٣٠٢ ----- ٢٧٠
- سورة فصلت(٤١): آية ١٤ ص : ٣٠٢ ----- ٢٧٠
- سورة فصلت(٤١): آية ١٥ ص : ٣٠٢ ----- ٢٧١
- سورة فصلت(٤١): آية ١٦ ص : ٣٠٣ ----- ٢٧١
- سورة فصلت(٤١): آية ١٧ ص : ٣٠٤ ----- ٢٧١
- سورة فصلت(٤١): آية ١٨ ص : ٣٠٤ ----- ٢٧٢
- سورة فصلت(٤١): آية ١٩ ص : ٣٠٤ ----- ٢٧٢
- سورة فصلت(٤١): آية ٢٠ ص : ٣٠٤ ----- ٢٧٢
- سورة فصلت(٤١): آية ٢١ ص : ٣٠٥ ----- ٢٧٣
- سورة فصلت(٤١): آية ٢٢ ص : ٣٠٥ ----- ٢٧٣
- سورة فصلت(٤١): آية ٢٣ ص : ٣٠٦ ----- ٢٧٣
- سورة فصلت(٤١): آية ٢٤ ص : ٣٠٦ ----- ٢٧٣
- سورة فصلت(٤١): آية ٢٥ ص : ٣٠٦ ----- ٢٧٤
- سورة فصلت(٤١): آية ٢٦ ص : ٣٠٧ ----- ٢٧٤
- سورة فصلت(٤١): آية ٢٧ ص : ٣٠٨ ----- ٢٧٥
- سورة فصلت(٤١): آية ٢٨ ص : ٣٠٨ ----- ٢٧٥
- سورة فصلت(٤١): آية ٢٩ ص : ٣٠٨ ----- ٢٧٥
- سورة فصلت(٤١): آية ٣٠ ص : ٣٠٩ ----- ٢٧٥
- سورة فصلت(٤١): آية ٣١ ص : ٣١٠ ----- ٢٧٦
- سورة فصلت(٤١): آية ٣٢ ص : ٣١٠ ----- ٢٧٦
- سورة فصلت(٤١): آية ٣٣ ص : ٣١٠ ----- ٢٧٧
- سورة فصلت(٤١): آية ٣٤ ص : ٣١١ ----- ٢٧٧

٢٧٧	سورة فصلت(٤١): آية ٣٥ ص : ٣١١
٢٧٨	سورة فصلت(٤١): آية ٣٦ ص : ٣١٢
٢٧٨	سورة فصلت(٤١): آية ٣٧ ص : ٣١٢
٢٧٩	سورة فصلت(٤١): آية ٣٨ ص : ٣١٣
٢٧٩	سورة فصلت(٤١): آية ٣٩ ص : ٣١٤
٢٧٩	سورة فصلت(٤١): آية ٤٠ ص : ٣١٤
٢٨٠	سورة فصلت(٤١): آية ٤١ ص : ٣١٥
٢٨٠	سورة فصلت(٤١): آية ٤٢ ص : ٣١٦
٢٨١	سورة فصلت(٤١): آية ٤٣ ص : ٣١٦
٢٨١	سورة فصلت(٤١): آية ٤٤ ص : ٣١٧
٢٨٢	سورة فصلت(٤١): آية ٤٥ ص : ٣١٨
٢٨٢	سورة فصلت(٤١): آية ٤٦ ص : ٣١٨
٢٨٣	أغاز جزء ٢٥ قرآن مجيد ص : ٣١٩
٢٨٣	ادامه سوره فصلت ص : ٣١٩
٢٨٣	سورة فصلت(٤١): آية ٤٧ ص : ٣١٩
٢٨٣	سورة فصلت(٤١): آية ٤٨ ص : ٣٢٠
٢٨٣	سورة فصلت(٤١): آية ٤٩ ص : ٣٢٠
٢٨٤	سورة فصلت(٤١): آية ٥٠ ص : ٣٢٠
٢٨٤	سورة فصلت(٤١): آية ٥١ ص : ٣٢١
٢٨٥	سورة فصلت(٤١): آية ٥٢ ص : ٣٢٢
٢٨٥	سورة فصلت(٤١): آية ٥٣ ص : ٣٢٢
٢٨٦	سورة فصلت(٤١): آية ٥٤ ص : ٣٢٣
٢٨٦	سوره شوری [٤٢] ص : ٣٢٥
٢٨٦	اشاره
٢٨٦	محتواى سوره: ص : ٣٢٥
٢٨٧	فضيلت تلاوت سوره: ص : ٣٢٥

٢٨٧	سورة الشورى(٤٢): الآيات ١ الى ٢ ص : ٣٢٦
٢٨٧	سورة الشورى(٤٢): آية ٣ ص : ٣٢٦
٢٨٧	سورة الشورى(٤٢): آية ٤ ص : ٣٢٦
٢٨٧	سورة الشورى(٤٢): آية ٥ ص : ٣٢٦
٢٨٨	سورة الشورى(٤٢): آية ٦ ص : ٣٢٧
٢٨٨	سورة الشورى(٤٢): آية ٧ ص : ٣٢٧
٢٨٩	سورة الشورى(٤٢): آية ٨ ص : ٣٢٨
٢٨٩	سورة الشورى(٤٢): آية ٩ ص : ٣٢٨
٢٨٩	سورة الشورى(٤٢): آية ١٠ ص : ٣٢٩
٢٩٠	سورة الشورى(٤٢): آية ١١ ص : ٣٢٩
٢٩٠	سورة الشورى(٤٢): آية ١٢ ص : ٣٣٠
٢٩١	سورة الشورى(٤٢): آية ١٣ ص : ٣٣١
٢٩١	سورة الشورى(٤٢): آية ١٤ ص : ٣٣٢
٢٩٢	سورة الشورى(٤٢): آية ١٥ ص : ٣٣٣
٢٩٣	سورة الشورى(٤٢): آية ١٦ ص : ٣٣٥
٢٩٣	سورة الشورى(٤٢): آية ١٧ ص : ٣٣٥
٢٩٤	سورة الشورى(٤٢): آية ١٨ ص : ٣٣٦
٢٩٤	سورة الشورى(٤٢): آية ١٩ ص : ٣٣٧
٢٩٥	سورة الشورى(٤٢): آية ٢٠ ص : ٣٣٧
٢٩٥	سورة الشورى(٤٢): آية ٢١ ص : ٣٣٨
٢٩٦	سورة الشورى(٤٢): آية ٢٢ ص : ٣٣٩
٢٩٦	سورة الشورى(٤٢): آية ٢٣ ص : ٣٣٩
٢٩٦	اشاره
٢٩٦	شأن نزول: ص : ٣٣٩
٢٩٧	تفسير: ص : ٣٤٠
٢٩٧	سورة الشورى(٤٢): آية ٢٤ ص : ٣٤١

٢٩٨	سورة الشورى(٤٢): آية ٢٥ ص : ٣٤٢
٢٩٨	سورة الشورى(٤٢): آية ٢٦ ص : ٣٤٢
٢٩٩	سورة الشورى(٤٢): آية ٢٧ ص : ٣٤٢
٢٩٩	اشاره
٢٩٩	شأن نزول: ص : ٢٤٢
٢٩٩	تفسير: ص : ٢٤٣
٢٩٩	سورة الشورى(٤٢): آية ٢٨ ص : ٣٤٣
٣٠٠	سورة الشورى(٤٢): آية ٢٩ ص : ٣٤٤
٣٠٠	سورة الشورى(٤٢): آية ٣٠ ص : ٣٤٤
٣٠٠	سورة الشورى(٤٢): آية ٣١ ص : ٣٤٥
٣٠١	سورة الشورى(٤٢): آية ٣٢ ص : ٣٤٥
٣٠١	سورة الشورى(٤٢): آية ٣٣ ص : ٣٤٥
٣٠١	سورة الشورى(٤٢): آية ٣٤ ص : ٣٤٦
٣٠١	سورة الشورى(٤٢): آية ٣٥ ص : ٣٤٦
٣٠٢	سورة الشورى(٤٢): آية ٣٦ ص : ٣٤٦
٣٠٢	سورة الشورى(٤٢): آية ٣٧ ص : ٣٤٧
٣٠٣	سورة الشورى(٤٢): آية ٣٨ ص : ٣٤٨
٣٠٣	سورة الشورى(٤٢): آية ٣٩ ص : ٣٤٨
٣٠٣	سورة الشورى(٤٢): آية ٤٠ ص : ٣٤٨
٣٠٤	سورة الشورى(٤٢): آية ٤١ ص : ٣٤٩
٣٠٤	سورة الشورى(٤٢): آية ٤٢ ص : ٣٤٩
٣٠٤	سورة الشورى(٤٢): آية ٤٣ ص : ٣٥٠
٣٠٤	سورة الشورى(٤٢): آية ٤٤ ص : ٣٥٠
٣٠٥	سورة الشورى(٤٢): آية ٤٥ ص : ٣٥٠
٣٠٥	سورة الشورى(٤٢): آية ٤٦ ص : ٣٥١
٣٠٥	سورة الشورى(٤٢): آية ٤٧ ص : ٣٥٢

- سورة الشورى(۴۲): آية ۴۸ ص : ۳۵۲ ----- ۳۰۶
- سورة الشورى(۴۲): آية ۴۹ ص : ۳۵۳ ----- ۳۰۶
- سورة الشورى(۴۲): آية ۵۰ ص : ۳۵۳ ----- ۳۰۶
- سورة الشورى(۴۲): آية ۵۱ ص : ۳۵۴ ----- ۳۰۷
- اشاره ----- ۳۰۷
- شأن نزول: ص : ۳۵۴ ----- ۳۰۷
- تفسير: ص : ۳۵۴ ----- ۳۰۷
- سورة الشورى(۴۲): آية ۵۲ ص : ۳۵۵ ----- ۳۰۸
- سورة الشورى(۴۲): آية ۵۳ ص : ۳۵۵ ----- ۳۰۸
- اشاره ----- ۳۰۸
- پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله قبل از نبوت چه آئینی داشت؟ ص : ۳۵۶ ----- ۳۰۹
- سوره زخرف [۴۳] ص : ۳۵۷ ----- ۳۰۹
- اشاره ----- ۳۰۹
- محتوای سوره: ص : ۳۵۷ ----- ۳۰۹
- فضیلت تلاوت سوره: ص : ۳۵۸ ----- ۳۰۹
- سورة الزخرف(۴۳): آية ۱ ص : ۳۵۸ ----- ۳۱۰
- سورة الزخرف(۴۳): آية ۲ ص : ۳۵۸ ----- ۳۱۰
- سورة الزخرف(۴۳): آية ۳ ص : ۳۵۸ ----- ۳۱۰
- سورة الزخرف(۴۳): آية ۴ ص : ۳۵۹ ----- ۳۱۰
- سورة الزخرف(۴۳): آية ۵ ص : ۳۵۹ ----- ۳۱۱
- سورة الزخرف(۴۳): آية ۶ ص : ۳۵۹ ----- ۳۱۱
- سورة الزخرف(۴۳): آية ۷ ص : ۳۵۹ ----- ۳۱۱
- سورة الزخرف(۴۳): آية ۸ ص : ۳۶۰ ----- ۳۱۱
- سورة الزخرف(۴۳): آية ۹ ص : ۳۶۰ ----- ۳۱۱
- سورة الزخرف(۴۳): آية ۱۰ ص : ۳۶۰ ----- ۳۱۲
- سورة الزخرف(۴۳): آية ۱۱ ص : ۳۶۱ ----- ۳۱۲

٣١٢	سورة الزخرف(٤٣): آية ١٢ ص : ٣٦١
٣١٣	سورة الزخرف(٤٣): آية ١٣ ص : ٣٦٢
٣١٣	سورة الزخرف(٤٣): آية ١٤ ص : ٣٦٢
٣١٣	سورة الزخرف(٤٣): آية ١٥ ص : ٣٦٢
٣١٣	سورة الزخرف(٤٣): آية ١٦ ص : ٣٦٣
٣١٤	سورة الزخرف(٤٣): آية ١٧ ص : ٣٦٣
٣١٤	سورة الزخرف(٤٣): آية ١٨ ص : ٣٦٣
٣١٤	سورة الزخرف(٤٣): آية ١٩ ص : ٣٦٤
٣١٤	سورة الزخرف(٤٣): آية ٢٠ ص : ٣٦٤
٣١٥	سورة الزخرف(٤٣): آية ٢١ ص : ٣٦٥
٣١٥	سورة الزخرف(٤٣): آية ٢٢ ص : ٣٦٥
٣١٥	سورة الزخرف(٤٣): آية ٢٣ ص : ٣٦٥
٣١٦	سورة الزخرف(٤٣): آية ٢٤ ص : ٣٦٥
٣١٦	سورة الزخرف(٤٣): آية ٢٥ ص : ٣٦٦
٣١٦	سورة الزخرف(٤٣): آية ٢٦ ص : ٣٦٦
٣١٧	سورة الزخرف(٤٣): آية ٢٧ ص : ٣٦٧
٣١٧	سورة الزخرف(٤٣): آية ٢٨ ص : ٣٦٧
٣١٧	سورة الزخرف(٤٣): آية ٢٩ ص : ٣٦٧
٣١٧	سورة الزخرف(٤٣): آية ٣٠ ص : ٣٦٨
٣١٧	سورة الزخرف(٤٣): آية ٣١ ص : ٣٦٨
٣١٨	سورة الزخرف(٤٣): آية ٣٢ ص : ٣٦٨
٣١٨	سورة الزخرف(٤٣): آية ٣٣ ص : ٣٦٩
٣١٨	سورة الزخرف(٤٣): آية ٣٤ ص : ٣٦٩
٣١٩	سورة الزخرف(٤٣): آية ٣٥ ص : ٣٦٩
٣١٩	سورة الزخرف(٤٣): آية ٣٦ ص : ٣٧٠
٣١٩	سورة الزخرف(٤٣): آية ٣٧ ص : ٣٧٠

٣١٩	سورة الزخرف(٤٣): آية ٣٨ ص : ٣٧٠
٣٢٠	سورة الزخرف(٤٣): آية ٣٩ ص : ٣٧١
٣٢٠	سورة الزخرف(٤٣): آية ٤٠ ص : ٣٧١
٣٢٠	سورة الزخرف(٤٣): آية ٤١ ص : ٣٧١
٣٢٠	سورة الزخرف(٤٣): آية ٤٢ ص : ٣٧١
٣٢١	سورة الزخرف(٤٣): آية ٤٣ ص : ٣٧٢
٣٢١	سورة الزخرف(٤٣): آية ٤٤ ص : ٣٧٢
٣٢١	سورة الزخرف(٤٣): آية ٤٥ ص : ٣٧٢
٣٢١	سورة الزخرف(٤٣): آية ٤٦ ص : ٣٧٢
٣٢٢	سورة الزخرف(٤٣): آية ٤٧ ص : ٣٧٣
٣٢٢	سورة الزخرف(٤٣): آية ٤٨ ص : ٣٧٣
٣٢٢	سورة الزخرف(٤٣): آية ٤٩ ص : ٣٧٣
٣٢٢	سورة الزخرف(٤٣): آية ٥٠ ص : ٣٧٤
٣٢٣	سورة الزخرف(٤٣): آية ٥١ ص : ٣٧٤
٣٢٣	سورة الزخرف(٤٣): آية ٥٢ ص : ٣٧٤
٣٢٣	سورة الزخرف(٤٣): آية ٥٣ ص : ٣٧٥
٣٢٣	سورة الزخرف(٤٣): آية ٥٤ ص : ٣٧٥
٣٢٤	سورة الزخرف(٤٣): آية ٥٥ ص : ٣٧٦
٣٢٤	سورة الزخرف(٤٣): آية ٥٦ ص : ٣٧٦
٣٢٤	سورة الزخرف(٤٣): آية ٥٧ ص : ٣٧٦
٣٢٤	اشاره
٣٢٤	شأن نزول: ص : ٣٧٦
٣٢٥	تفسير: ص : ٣٧٧
٣٢٥	سورة الزخرف(٤٣): آية ٥٨ ص : ٣٧٧
٣٢٥	سورة الزخرف(٤٣): آية ٥٩ ص : ٣٧٨
٣٢٦	سورة الزخرف(٤٣): آية ٦٠ ص : ٣٧٨

٣٢٦	سورة الزخرف(٤٣): آية ٦١ ص : ٣٧٨
٣٢٦	سورة الزخرف(٤٣): آية ٦٢ ص : ٣٧٩
٣٢٧	سورة الزخرف(٤٣): آية ٦٣ ص : ٣٧٩
٣٢٧	سورة الزخرف(٤٣): آية ٦٤ ص : ٣٧٩
٣٢٧	سورة الزخرف(٤٣): آية ٦٥ ص : ٣٨٠
٣٢٨	سورة الزخرف(٤٣): آية ٦٦ ص : ٣٨٠
٣٢٨	سورة الزخرف(٤٣): آية ٦٧ ص : ٣٨١
٣٢٨	سورة الزخرف(٤٣): آية ٦٨ ص : ٣٨١
٣٢٨	سورة الزخرف(٤٣): آية ٦٩ ص : ٣٨١
٣٢٩	سورة الزخرف(٤٣): آية ٧٠ ص : ٣٨٢
٣٢٩	سورة الزخرف(٤٣): آية ٧١ ص : ٣٨٢
٣٢٩	سورة الزخرف(٤٣): آية ٧٢ ص : ٣٨٣
٣٢٩	سورة الزخرف(٤٣): آية ٧٣ ص : ٣٨٣
٣٣٠	سورة الزخرف(٤٣): آية ٧٤ ص : ٣٨٣
٣٣٠	سورة الزخرف(٤٣): آية ٧٥ ص : ٣٨٣
٣٣٠	سورة الزخرف(٤٣): آية ٧٦ ص : ٣٨٣
٣٣٠	سورة الزخرف(٤٣): آية ٧٧ ص : ٣٨٤
٣٣١	سورة الزخرف(٤٣): آية ٧٨ ص : ٣٨٤
٣٣١	سورة الزخرف(٤٣): آية ٧٩ ص : ٣٨٤
٣٣١	سورة الزخرف(٤٣): آية ٨٠ ص : ٣٨٥
٣٣١	سورة الزخرف(٤٣): آية ٨١ ص : ٣٨٥
٣٣٢	سورة الزخرف(٤٣): آية ٨٢ ص : ٣٨٥
٣٣٢	سورة الزخرف(٤٣): آية ٨٣ ص : ٣٨٥
٣٣٢	سورة الزخرف(٤٣): آية ٨٤ ص : ٣٨٦
٣٣٢	سورة الزخرف(٤٣): آية ٨٥ ص : ٣٨٦
٣٣٣	سورة الزخرف(٤٣): آية ٨٦ ص : ٣٨٧

۳۳۳	سورة الزخرف(۴۳): آية ۸۷ ص : ۳۸۷
۳۳۳	سورة الزخرف(۴۳): آية ۸۸ ص : ۳۸۷
۳۳۳	سورة الزخرف(۴۳): آية ۸۹ ص : ۳۸۸
۳۳۴	سوره دخان [۴۴] ص : ۳۸۹
۳۳۴	اشاره
۳۳۴	محتواى سوره: ص : ۳۸۹
۳۳۴	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۳۹۰
۳۳۵	سورة الدخان(۴۴): آية ۱ ص : ۳۹۰
۳۳۵	سورة الدخان(۴۴): آية ۲ ص : ۳۹۰
۳۳۵	سورة الدخان(۴۴): آية ۳ ص : ۳۹۰
۳۳۵	سورة الدخان(۴۴): آية ۴ ص : ۳۹۱
۳۳۶	سورة الدخان(۴۴): آية ۵ ص : ۳۹۱
۳۳۶	سورة الدخان(۴۴): آية ۶ ص : ۳۹۱
۳۳۶	سورة الدخان(۴۴): آية ۷ ص : ۳۹۱
۳۳۶	سورة الدخان(۴۴): آية ۸ ص : ۳۹۲
۳۳۶	(آیه ۹) - آن روز که دودی کشنده همه آسمان را فرا می‌گیرد: ص : ۳۹۲
۳۳۷	سورة الدخان(۴۴): آية ۱۰ ص : ۳۹۲
۳۳۷	سورة الدخان(۴۴): آية ۱۱ ص : ۳۹۲
۳۳۷	سورة الدخان(۴۴): آية ۱۲ ص : ۳۹۳
۳۳۷	سورة الدخان(۴۴): آية ۱۳ ص : ۳۹۳
۳۳۷	سورة الدخان(۴۴): آية ۱۴ ص : ۳۹۳
۳۳۸	سورة الدخان(۴۴): آية ۱۵ ص : ۳۹۳
۳۳۸	سورة الدخان(۴۴): آية ۱۶ ص : ۳۹۳
۳۳۸	سورة الدخان(۴۴): آية ۱۷ ص : ۳۹۳
۳۳۸	سورة الدخان(۴۴): آية ۱۸ ص : ۳۹۴
۳۳۸	سورة الدخان(۴۴): آية ۱۹ ص : ۳۹۴

٣٣٨	سورة الدخان(٤٤): آية ٢٠ ص : ٣٩٤
٣٣٩	سورة الدخان(٤٤): آية ٢١ ص : ٣٩٤
٣٣٩	سورة الدخان(٤٤): آية ٢٢ ص : ٣٩٥
٣٣٩	سورة الدخان(٤٤): آية ٢٣ ص : ٣٩٥
٣٣٩	سورة الدخان(٤٤): آية ٢٤ ص : ٣٩٥
٣٤٠	سورة الدخان(٤٤): آية ٢٥ ص : ٣٩٦
٣٤٠	سورة الدخان(٤٤): آية ٢٦ ص : ٣٩٦
٣٤٠	سورة الدخان(٤٤): آية ٢٧ ص : ٣٩٦
٣٤٠	سورة الدخان(٤٤): آية ٢٨ ص : ٣٩٦
٣٤٠	سورة الدخان(٤٤): آية ٢٩ ص : ٣٩٦
٣٤١	سورة الدخان(٤٤): آية ٣٠ ص : ٣٩٧
٣٤١	سورة الدخان(٤٤): آية ٣١ ص : ٣٩٧
٣٤١	سورة الدخان(٤٤): آية ٣٢ ص : ٣٩٧
٣٤١	سورة الدخان(٤٤): آية ٣٣ ص : ٣٩٧
٣٤٢	سورة الدخان(٤٤): آية ٣٤ ص : ٣٩٨
٣٤٢	سورة الدخان(٤٤): آية ٣٥ ص : ٣٩٨
٣٤٢	سورة الدخان(٤٤): آية ٣٦ ص : ٣٩٨
٣٤٢	سورة الدخان(٤٤): آية ٣٧ ص : ٣٩٨
٣٤٢	سورة الدخان(٤٤): آية ٣٨ ص : ٣٩٨
٣٤٣	سورة الدخان(٤٤): آية ٣٩ ص : ٣٩٩
٣٤٣	سورة الدخان(٤٤): آية ٤٠ ص : ٣٩٩
٣٤٣	سورة الدخان(٤٤): آية ٤١ ص : ٣٩٩
٣٤٣	سورة الدخان(٤٤): آية ٤٢ ص : ٣٩٩
٣٤٣	سورة الدخان(٤٤): آية ٤٣ ص : ٤٠٠
٣٤٤	سورة الدخان(٤٤): آية ٤٤ ص : ٤٠٠
٣٤٤	سورة الدخان(٤٤): آية ٤٥ ص : ٤٠٠

٣٤٤	سورة الدخان(٤٤): آية ٤٦ ص : ٤٠٠
٣٤٤	سورة الدخان(٤٤): آية ٤٧ ص : ٤٠٠
٣٤٤	سورة الدخان(٤٤): آية ٤٨ ص : ٤٠٠
٣٤٤	سورة الدخان(٤٤): آية ٤٩ ص : ٤٠٠
٣٤٥	سورة الدخان(٤٤): آية ٥٠ ص : ٤٠١
٣٤٥	سورة الدخان(٤٤): آية ٥١ ص : ٤٠١
٣٤٥	سورة الدخان(٤٤): آية ٥٢ ص : ٤٠١
٣٤٥	سورة الدخان(٤٤): آية ٥٣ ص : ٤٠١
٣٤٥	سورة الدخان(٤٤): آية ٥٤ ص : ٤٠٢
٣٤٦	سورة الدخان(٤٤): آية ٥٥ ص : ٤٠٢
٣٤٦	سورة الدخان(٤٤): آية ٥٦ ص : ٤٠٢
٣٤٦	سورة الدخان(٤٤): آية ٥٧ ص : ٤٠٢
٣٤٦	سورة الدخان(٤٤): آية ٥٨ ص : ٤٠٣
٣٤٦	سورة الدخان(٤٤): آية ٥٩ ص : ٤٠٣
٣٤٧	سوره جاثيه [٤٥] ص : ٤٠٥
٣٤٧	اشاره
٣٤٧	محتواى سوره: ص : ٤٠٥
٣٤٧	فضيلت تلاوت سوره: ص : ٤٠٥
٣٤٧	سورة الجاثية(٤٥): آية ١ ص : ٤٠٦
٣٤٨	سورة الجاثية(٤٥): آية ٢ ص : ٤٠٦
٣٤٨	سورة الجاثية(٤٥): آية ٣ ص : ٤٠٦
٣٤٨	سورة الجاثية(٤٥): آية ٤ ص : ٤٠٦
٣٤٨	سورة الجاثية(٤٥): آية ٥ ص : ٤٠٦
٣٤٩	سورة الجاثية(٤٥): آية ٦ ص : ٤٠٧
٣٤٩	سورة الجاثية(٤٥): آية ٧ ص : ٤٠٨
٣٥٠	سورة الجاثية(٤٥): آية ٨ ص : ٤٠٨

- سورة الجاثية(٤٥): آية ٩ ص : ٤٠٩ ----- ٣٥٠
- سورة الجاثية(٤٥): آية ١٠ ص : ٤٠٩ ----- ٣٥٠
- سورة الجاثية(٤٥): آية ١١ ص : ٤٠٩ ----- ٣٥٠
- سورة الجاثية(٤٥): آية ١٢ ص : ٤١٠ ----- ٣٥١
- سورة الجاثية(٤٥): آية ١٣ ص : ٤١٠ ----- ٣٥١
- سورة الجاثية(٤٥): آية ١٤ ص : ٤١١ ----- ٣٥١
- سورة الجاثية(٤٥): آية ١٥ ص : ٤١١ ----- ٣٥٢
- سورة الجاثية(٤٥): آية ١٦ ص : ٤١١ ----- ٣٥٢
- سورة الجاثية(٤٥): آية ١٧ ص : ٤١٢ ----- ٣٥٣
- سورة الجاثية(٤٥): آية ١٨ ص : ٤١٣ ----- ٣٥٣
- سورة الجاثية(٤٥): آية ١٩ ص : ٤١٣ ----- ٣٥٣
- سورة الجاثية(٤٥): آية ٢٠ ص : ٤١٤ ----- ٣٥٤
- سورة الجاثية(٤٥): آية ٢١ ص : ٤١٤ ----- ٣٥٤
- سورة الجاثية(٤٥): آية ٢٢ ص : ٤١٤ ----- ٣٥٤
- سورة الجاثية(٤٥): آية ٢٣ ص : ٤١٥ ----- ٣٥٤
- سورة الجاثية(٤٥): آية ٢٤ ص : ٤١٥ ----- ٣٥٥
- سورة الجاثية(٤٥): آية ٢٥ ص : ٤١٦ ----- ٣٥٥
- سورة الجاثية(٤٥): آية ٢٦ ص : ٤١٦ ----- ٣٥٦
- سورة الجاثية(٤٥): آية ٢٧ ص : ٤١٧ ----- ٣٥٦
- سورة الجاثية(٤٥): آية ٢٨ ص : ٤١٧ ----- ٣٥٦
- سورة الجاثية(٤٥): آية ٢٩ ص : ٤١٨ ----- ٣٥٧
- سورة الجاثية(٤٥): آية ٣٠ ص : ٤١٨ ----- ٣٥٧
- سورة الجاثية(٤٥): آية ٣١ ص : ٤١٨ ----- ٣٥٧
- سورة الجاثية(٤٥): آية ٣٢ ص : ٤١٩ ----- ٣٥٧
- أغاز جزء ٢٦ قرآن مجيد ص : ٤١٩ ----- ٣٥٧
- ادامه سوره جاثيه ص : ٤١٩ ----- ٣٥٨

٣٥٨	سورة الجاثية(٤٥): آية ٣٣ ص : ٤١٩
٣٥٨	سورة الجاثية(٤٥): آية ٣٤ ص : ٤١٩
٣٥٨	سورة الجاثية(٤٥): آية ٣٥ ص : ٤١٩
٣٥٨	سورة الجاثية(٤٥): آية ٣٦ ص : ٤٢٠
٣٥٩	سورة الجاثية(٤٥): آية ٣٧ ص : ٤٢٠
٣٥٩	سوره احقاف [٤٦] ص : ٤٢١
٣٥٩	اشاره
٣٥٩	محتواى سوره: ص : ٤٢١
٣٥٩	فضيلت تلاوت سوره: ص : ٤٢١
٣٦٠	سورة الأحقاف(٤٦): آية ١ ص : ٤٢٢
٣٦٠	سورة الأحقاف(٤٦): آية ٢ ص : ٤٢٢
٣٦٠	سورة الأحقاف(٤٦): آية ٣ ص : ٤٢٢
٣٦٠	سورة الأحقاف(٤٦): آية ٤ ص : ٤٢٣
٣٦١	سورة الأحقاف(٤٦): آية ٥ ص : ٤٢٣
٣٦١	سورة الأحقاف(٤٦): آية ٦ ص : ٤٢٤
٣٦١	سورة الأحقاف(٤٦): آية ٧ ص : ٤٢٤
٣٦٢	سورة الأحقاف(٤٦): آية ٨ ص : ٤٢٤
٣٦٢	سورة الأحقاف(٤٦): آية ٩ ص : ٤٢٥
٣٦٢	سورة الأحقاف(٤٦): آية ١٠ ص : ٤٢٥
٣٦٣	سورة الأحقاف(٤٦): آية ١١ ص : ٤٢٦
٣٦٣	اشاره
٣٦٣	شأن نزول: ص : ٤٢٦
٣٦٣	تفسير: ص : ٤٢٦
٣٦٣	سورة الأحقاف(٤٦): آية ١٢ ص : ٤٢٦
٣٦٤	سورة الأحقاف(٤٦): آية ١٣ ص : ٤٢٧
٣٦٤	سورة الأحقاف(٤٦): آية ١٤ ص : ٤٢٧

- سورة الأحقاف(٤٦): آية ١٥ ص : ٤٢٧ ٣٦٤
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ١٦ ص : ٤٢٩ ٣٦٥
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ١٧ ص : ٤٢٩ ٣٦٦
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ١٨ ص : ٤٣٠ ٣٦٦
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ١٩ ص : ٤٣١ ٣٦٦
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ٢٠ ص : ٤٣١ ٣٦٧
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ٢١ ص : ٤٣٢ ٣٦٧
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ٢٢ ص : ٤٣٢ ٣٦٨
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ٢٣ ص : ٤٣٢ ٣٦٨
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ٢٤ ص : ٤٣٣ ٣٦٨
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ٢٥ ص : ٤٣٣ ٣٦٨
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ٢٦ ص : ٤٣٤ ٣٦٩
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ٢٧ ص : ٤٣٥ ٣٦٩
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ٢٨ ص : ٤٣٥ ٣٧٠
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ٢٩ ص : ٤٣٦ ٣٧٠
- ٣٧٠ - - - - - اشاره
- ٣٧٠ - - - - - شأن نزول: ص : ٤٣٦
- ٣٧٠ - - - - - تفسير: ص : ٤٣٦
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ٣٠ ص : ٤٣٧ ٣٧١
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ٣١ ص : ٤٣٧ ٣٧١
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ٣٢ ص : ٤٣٧ ٣٧١
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ٣٣ ص : ٤٣٨ ٣٧٢
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ٣٤ ص : ٤٣٨ ٣٧٢
- سورة الأحقاف(٤٦): آية ٣٥ ص : ٤٣٩ ٣٧٣
- ٣٧٣ - - - - - اشاره
- ٣٧٣ - - - - - پیامبر اسلام اسطوره صبر و استقامت بود! ص : ٤٤٠

٣٧٤	سوره محمد [٤٧] ص : ٤٤٣
٣٧٤	اشاره
٣٧٤	محتواى سوره: ص : ٤٤٣
٣٧٥	فضيلت تلاوت سوره: ص : ٤٤٤
٣٧٥	سوره محمد(٤٧): آيه ١ ص : ٤٤٤
٣٧٥	سوره محمد(٤٧): آيه ٢ ص : ٤٤٥
٣٧٦	سوره محمد(٤٧): آيه ٣ ص : ٤٤٥
٣٧٦	سوره محمد(٤٧): آيه ٤ ص : ٤٤٥
٣٧٧	سوره محمد(٤٧): آيه ٥ ص : ٤٤٧
٣٧٨	سوره محمد(٤٧): آيه ٦ ص : ٤٤٨
٣٧٨	سوره محمد(٤٧): آيه ٧ ص : ٤٤٨
٣٧٨	سوره محمد(٤٧): آيه ٨ ص : ٤٤٨
٣٧٨	سوره محمد(٤٧): آيه ٩ ص : ٤٤٩
٣٧٩	سوره محمد(٤٧): آيه ١٠ ص : ٤٤٩
٣٧٩	سوره محمد(٤٧): آيه ١١ ص : ٤٤٩
٣٧٩	سوره محمد(٤٧): آيه ١٢ ص : ٤٥٠
٣٨٠	سوره محمد(٤٧): آيه ١٣ ص : ٤٥٠
٣٨٠	سوره محمد(٤٧): آيه ١٤ ص : ٤٥١
٣٨٠	سوره محمد(٤٧): آيه ١٥ ص : ٤٥١
٣٨١	سوره محمد(٤٧): آيه ١٦ ص : ٤٥٣
٣٨٢	سوره محمد(٤٧): آيه ١٧ ص : ٤٥٣
٣٨٢	سوره محمد(٤٧): آيه ١٨ ص : ٤٥٣
٣٨٢	سوره محمد(٤٧): آيه ١٩ ص : ٤٥٤
٣٨٣	سوره محمد(٤٧): آيه ٢٠ ص : ٤٥٤
٣٨٣	سوره محمد(٤٧): آيه ٢١ ص : ٤٥٥
٣٨٣	سوره محمد(٤٧): آيه ٢٢ ص : ٤٥٥

٣٨٤	سورة محمد(٤٧): آية ٢٣ ص : ٤٥٦
٣٨٤	سورة محمد(٤٧): آية ٢٤ ص : ٤٥٦
٣٨٤	سورة محمد(٤٧): آية ٢٥ ص : ٤٥٦
٣٨٤	سورة محمد(٤٧): آية ٢٦ ص : ٤٥٧
٣٨٥	سورة محمد(٤٧): آية ٢٧ ص : ٤٥٧
٣٨٥	سورة محمد(٤٧): آية ٢٨ ص : ٤٥٧
٣٨٥	سورة محمد(٤٧): آية ٢٩ ص : ٤٥٨
٣٨٦	سورة محمد(٤٧): آية ٣٠ ص : ٤٥٨
٣٨٦	سورة محمد(٤٧): آية ٣١ ص : ٤٥٩
٣٨٦	سورة محمد(٤٧): آية ٣٢ ص : ٤٥٩
٣٨٧	سورة محمد(٤٧): آية ٣٣ ص : ٤٦٠
٣٨٧	سورة محمد(٤٧): آية ٣٤ ص : ٤٦٠
٣٨٧	سورة محمد(٤٧): آية ٣٥ ص : ٤٦٠
٣٨٨	سورة محمد(٤٧): آية ٣٦ ص : ٤٦١
٣٨٨	سورة محمد(٤٧): آية ٣٧ ص : ٤٦٢
٣٨٨	سورة محمد(٤٧): آية ٣٨ ص : ٤٦٢
٣٩٠	سوره فتح [٤٨] ص : ٤٦٥
٣٩٠	اشاره
٣٩٠	محتواى سوره: ص : ٤٦٥
٣٩٠	فضيلت تلاوت سوره: ص : ٤٦٦
٣٩١	سورة الفتح(٤٨): آية ١ ص : ٤٦٦
٣٩١	اشاره
٣٩١	داستان صلح حديبيه: ص : ٤٦٦
٣٩٢	سورة الفتح(٤٨): آية ٢ ص : ٤٦٨
٣٩٢	سورة الفتح(٤٨): آية ٣ ص : ٤٦٩
٣٩٢	اشاره

- ٣٩٣ پاسخ به یک سؤال مهم: ص : ٤٦٩
- ٣٩٣ سورة الفتح(٤٨): آية ٤ ص : ٤٧٠
- ٣٩٤ سورة الفتح(٤٨): آية ٥ ص : ٤٧١
- ٣٩٤ سورة الفتح(٤٨): آية ٦ ص : ٤٧٢
- ٣٩٥ سورة الفتح(٤٨): آية ٧ ص : ٤٧٢
- ٣٩٥ سورة الفتح(٤٨): آية ٨ ص : ٤٧٢
- ٣٩٥ سورة الفتح(٤٨): آية ٩ ص : ٤٧٣
- ٣٩٦ سورة الفتح(٤٨): آية ١٠ ص : ٤٧٣
- ٣٩٦ سورة الفتح(٤٨): آية ١١ ص : ٤٧٣
- ٣٩٦ سورة الفتح(٤٨): آية ١٢ ص : ٤٧٤
- ٣٩٧ سورة الفتح(٤٨): آية ١٣ ص : ٤٧٥
- ٣٩٧ سورة الفتح(٤٨): آية ١٤ ص : ٤٧٥
- ٣٩٧ سورة الفتح(٤٨): آية ١٥ ص : ٤٧٥
- ٣٩٨ سورة الفتح(٤٨): آية ١٦ ص : ٤٧٦
- ٣٩٨ سورة الفتح(٤٨): آية ١٧ ص : ٤٧٧
- ٣٩٩ سورة الفتح(٤٨): آية ١٨ ص : ٤٧٨
- ٤٠٠ سورة الفتح(٤٨): آية ١٩ ص : ٤٧٩
- ٤٠٠ اشاره
- ٤٠٠ بيعت و خصوصيات آن: ص : ٤٧٩
- ٤٠١ سورة الفتح(٤٨): آية ٢٠ ص : ٤٨٠
- ٤٠١ سورة الفتح(٤٨): آية ٢١ ص : ٤٨١
- ٤٠١ سورة الفتح(٤٨): آية ٢٢ ص : ٤٨١
- ٤٠٢ سورة الفتح(٤٨): آية ٢٣ ص : ٤٨١
- ٤٠٢ سورة الفتح(٤٨): آية ٢٤ ص : ٤٨٢
- ٤٠٢ سورة الفتح(٤٨): آية ٢٥ ص : ٤٨٢
- ٤٠٣ سورة الفتح(٤٨): آية ٢٦ ص : ٤٨٣

- سورة الفتح(٤٨): آية ٢٧ ص : ٤٨٥ ----- ٤٠٤
- سورة الفتح(٤٨): آية ٢٨ ص : ٤٨٦ ----- ٤٠٤
- سورة الفتح(٤٨): آية ٢٩ ص : ٤٨٧ ----- ٤٠٥
- سوره حجرات [٤٩] ص : ٤٩١ ----- ٤٠٧
- اشاره ----- ٤٠٧
- محتواى سوره: ص : ٤٩١ ----- ٤٠٧
- فضيلت تلاوت سوره: ص : ٤٩٢ ----- ٤٠٧
- سورة الحجرات(٤٩): آية ١ ص : ٤٩٢ ----- ٤٠٧
- اشاره ----- ٤٠٨
- شأن نزول: ص : ٤٩٢ ----- ٤٠٨
- تفسير: ص : ٤٩٢ ----- ٤٠٨
- سورة الحجرات(٤٩): آية ٢ ص : ٤٩٣ ----- ٤٠٨
- اشاره ----- ٤٠٨
- شأن نزول: ص : ٤٩٣ ----- ٤٠٨
- تفسير: ص : ٤٩٣ ----- ٤٠٩
- سورة الحجرات(٤٩): آية ٣ ص : ٤٩٤ ----- ٤٠٩
- سورة الحجرات(٤٩): آية ٤ ص : ٤٩٤ ----- ٤٠٩
- سورة الحجرات(٤٩): آية ٥ ص : ٤٩٤ ----- ٤١٠
- اشاره ----- ٤١٠
- نکتهها: ص : ٤٩٥ ----- ٤١٠
- ١- ادب برترين سرمايه است: ص : ٤٩٥ ----- ٤١٠
- ٢- انضباط اسلامى در همه چيز و همه جا: ص : ٤٩٥ ----- ٤١٠
- سورة الحجرات(٤٩): آية ٦ ص : ٤٩٦ ----- ٤١١
- اشاره ----- ٤١١
- شأن نزول: ص : ٤٩٦ ----- ٤١١
- تفسير: ص : ٤٩٦ ----- ٤١١

- سورة الحجرات(۴۹): آیه ۷ ص : ۴۹۷ ----- ۴۱۲
- سورة الحجرات(۴۹): آیه ۸ ص : ۴۹۷ ----- ۴۱۲
- سورة الحجرات(۴۹): آیه ۹ ص : ۴۹۸ ----- ۴۱۲
- اشاره ----- ۴۱۲
- شأن نزول: ص : ۴۹۸ ----- ۴۱۳
- تفسیر: ص : ۴۹۸ ----- ۴۱۳
- سورة الحجرات(۴۹): آیه ۱۰ ص : ۴۹۹ ----- ۴۱۳
- اشاره ----- ۴۱۴
- اهمیت اخوت اسلامی: ص : ۵۰۰ ----- ۴۱۴
- سورة الحجرات(۴۹): آیه ۱۱ ص : ۵۰۱ ----- ۴۱۵
- اشاره ----- ۴۱۵
- شأن نزول: ص : ۵۰۱ ----- ۴۱۵
- تفسیر: ص : ۵۰۱ ----- ۴۱۵
- سورة الحجرات(۴۹): آیه ۱۲ ص : ۵۰۳ ----- ۴۱۶
- اشاره ----- ۴۱۶
- شأن نزول: ص : ۵۰۳ ----- ۴۱۶
- تفسیر: ص : ۵۰۳ ----- ۴۱۷
- نکته‌ها: ص : ۵۰۵ ----- ۴۱۸
- ۱- امنیت کامل و همه جانبه اجتماعی: ص : ۵۰۵ ----- ۴۱۸
- ۲- تجسس نکنید! ص : ۵۰۵ ----- ۴۱۸
- ۳- غیبت از بزرگترین گناهان است: ص : ۵۰۶ ----- ۴۱۹
- سورة الحجرات(۴۹): آیه ۱۳ ص : ۵۰۷ ----- ۴۱۹
- اشاره ----- ۴۱۹
- نکته‌ها: ص : ۵۰۹ ----- ۴۲۰
- ۱- ارزشهای راستین و ارزشهای کاذب! ص : ۵۰۹ ----- ۴۲۰
- ۲- حقیقت تقوا: ص : ۵۱۰ ----- ۴۲۱

- ٤٢١ سورة الحجرات(٤٩): آية ١٤ ص : ٥١٠ -----
- ٤٢١ اشاره -----
- ٤٢١ شأن نزول: ص : ٥١٠ -----
- ٤٢٢ تفسير: ص : ٥١٠ -----
- ٤٢٢ سورة الحجرات(٤٩): آية ١٥ ص : ٥١١ -----
- ٤٢٣ سورة الحجرات(٤٩): آية ١٦ ص : ٥١٢ -----
- ٤٢٣ اشاره -----
- ٤٢٣ شأن نزول: ص : ٥١٢ -----
- ٤٢٣ تفسير: ص : ٥١٢ -----
- ٤٢٣ سورة الحجرات(٤٩): آية ١٧ ص : ٥١٣ -----
- ٤٢٤ سورة الحجرات(٤٩): آية ١٨ ص : ٥١٤ -----
- ٤٢٤ سورة ق [٥٠] ص : ٥١٥ -----
- ٤٢٤ اشاره -----
- ٤٢٤ محتوای سوره: ص : ٥١٥ -----
- ٤٢٥ فضیلت تلاوت سوره: ص : ٥١٥ -----
- ٤٢٥ سورة ق(٥٠): آية ١ ص : ٥١٦ -----
- ٤٢٦ سورة ق(٥٠): آية ٢ ص : ٥١٦ -----
- ٤٢٦ سورة ق(٥٠): آية ٣ ص : ٥١٧ -----
- ٤٢٦ سورة ق(٥٠): آية ٤ ص : ٥١٧ -----
- ٤٢٦ سورة ق(٥٠): آية ٥ ص : ٥١٨ -----
- ٤٢٧ سورة ق(٥٠): آية ٦ ص : ٥١٨ -----
- ٤٢٧ سورة ق(٥٠): آية ٧ ص : ٥١٩ -----
- ٤٢٧ سورة ق(٥٠): آية ٨ ص : ٥١٩ -----
- ٤٢٨ سورة ق(٥٠): آية ٩ ص : ٥١٩ -----
- ٤٢٨ سورة ق(٥٠): آية ١٠ ص : ٥١٩ -----
- ٤٢٨ سورة ق(٥٠): آية ١١ ص : ٥١٩ -----

- سورة ق(٥٠): آية ١٢ ص : ٥٢٠ ٤٢٨
- سورة ق(٥٠): آية ١٣ ص : ٥٢٠ ٤٢٨
- سورة ق(٥٠): آية ١٤ ص : ٥٢٠ ٤٢٩
- سورة ق(٥٠): آية ١٥ ص : ٥٢١ ٤٢٩
- سورة ق(٥٠): آية ١٦ ص : ٥٢١ ٤٢٩
- سورة ق(٥٠): آية ١٧ ص : ٥٢٢ ٤٣٠
- سورة ق(٥٠): آية ١٨ ص : ٥٢٣ ٤٣٠
- سورة ق(٥٠): آية ١٩ ص : ٥٢٣ ٤٣٠
- سورة ق(٥٠): آية ٢٠ ص : ٥٢٤ ٤٣١
- سورة ق(٥٠): آية ٢١ ص : ٥٢٤ ٤٣١
- سورة ق(٥٠): آية ٢٢ ص : ٥٢٥ ٤٣٢
- سورة ق(٥٠): آية ٢٣ ص : ٥٢٥ ٤٣٢
- سورة ق(٥٠): آية ٢٤ ص : ٥٢٥ ٤٣٢
- سورة ق(٥٠): آية ٢٥ ص : ٥٢٦ ٤٣٢
- سورة ق(٥٠): آية ٢٦ ص : ٥٢٦ ٤٣٢
- سورة ق(٥٠): آية ٢٧ ص : ٥٢٦ ٤٣٣
- سورة ق(٥٠): آية ٢٨ ص : ٥٢٦ ٤٣٣
- سورة ق(٥٠): آية ٢٩ ص : ٥٢٦ ٤٣٣
- سورة ق(٥٠): آية ٣٠ ص : ٥٢٦ ٤٣٣
- سورة ق(٥٠): آية ٣١ ص : ٥٢٧ ٤٣٣
- سورة ق(٥٠): آية ٣٢ ص : ٥٢٧ ٤٣٤
- سورة ق(٥٠): آية ٣٣ ص : ٥٢٧ ٤٣٤
- سورة ق(٥٠): آية ٣٤ ص : ٥٢٨ ٤٣٤
- سورة ق(٥٠): آية ٣٥ ص : ٥٢٨ ٤٣٤
- سورة ق(٥٠): آية ٣٦ ص : ٥٢٨ ٤٣٥
- سورة ق(٥٠): آية ٣٧ ص : ٥٢٩ ٤٣٥

٤٣٥	سورة ق(٥٠): آية ٣٨ ص : ٥٢٩
٤٣٦	سورة ق(٥٠): آية ٣٩ ص : ٥٣٠
٤٣٦	سورة ق(٥٠): آية ٤٠ ص : ٥٣٠
٤٣٦	سورة ق(٥٠): آية ٤١ ص : ٥٣٠
٤٣٧	سورة ق(٥٠): آية ٤٢ ص : ٥٣١
٤٣٧	سورة ق(٥٠): آية ٤٣ ص : ٥٣١
٤٣٧	سورة ق(٥٠): آية ٤٤ ص : ٥٣١
٤٣٧	سورة ق(٥٠): آية ٤٥ ص : ٥٣١
٤٣٨	سوره ذاريات [٥١] ص : ٥٣٣
٤٣٨	اشاره
٤٣٨	محتواى سوره: ص : ٥٣٣
٤٣٨	فضيلت تلاوت سوره: ص : ٥٣٣
٤٣٩	سورة الذاريات(٥١): آية ١ ص : ٥٣٤
٤٣٩	سورة الذاريات(٥١): آية ٢ ص : ٥٣٤
٤٣٩	سورة الذاريات(٥١): آية ٣ ص : ٥٣٤
٤٣٩	سورة الذاريات(٥١): آية ٤ ص : ٥٣٥
٤٣٩	سورة الذاريات(٥١): آية ٥ ص : ٥٣٥
٤٣٩	سورة الذاريات(٥١): آية ٦ ص : ٥٣٥
٤٤٠	سورة الذاريات(٥١): آية ٧ ص : ٥٣٥
٤٤٠	سورة الذاريات(٥١): آية ٨ ص : ٥٣٥
٤٤٠	سورة الذاريات(٥١): آية ٩ ص : ٥٣٦
٤٤١	سورة الذاريات(٥١): آية ١٠ ص : ٥٣٦
٤٤١	سورة الذاريات(٥١): آية ١١ ص : ٥٣٧
٤٤١	سورة الذاريات(٥١): آية ١٢ ص : ٥٣٧
٤٤١	سورة الذاريات(٥١): آية ١٣ ص : ٥٣٧
٤٤١	سورة الذاريات(٥١): آية ١٤ ص : ٥٣٧

- ٤٤١ سورة الناريات(٥١): آية ١٥ ص : ٥٣٧
- ٤٤٢ سورة الناريات(٥١): آية ١٦ ص : ٥٣٧
- ٤٤٢ سورة الناريات(٥١): آية ١٧ ص : ٥٣٨
- ٤٤٢ سورة الناريات(٥١): آية ١٨ ص : ٥٣٨
- ٤٤٢ سورة الناريات(٥١): آية ١٩ ص : ٥٣٨
- ٤٤٣ سورة الناريات(٥١): آية ٢٠ ص : ٥٣٩
- ٤٤٣ سورة الناريات(٥١): آية ٢١ ص : ٥٤٠
- ٤٤٤ سورة الناريات(٥١): آية ٢٢ ص : ٥٤١
- ٤٤٤ سورة الناريات(٥١): آية ٢٣ ص : ٥٤١
- ٤٤٤ سورة الناريات(٥١): آية ٢٤ ص : ٥٤١
- ٤٤٥ سورة الناريات(٥١): آية ٢٥ ص : ٥٤٢
- ٤٤٥ سورة الناريات(٥١): آية ٢٦ ص : ٥٤٢
- ٤٤٥ سورة الناريات(٥١): آية ٢٧ ص : ٥٤٣
- ٤٤٥ سورة الناريات(٥١): آية ٢٨ ص : ٥٤٣
- ٤٤٦ سورة الناريات(٥١): آية ٢٩ ص : ٥٤٣
- ٤٤٦ سورة الناريات(٥١): آية ٣٠ ص : ٥٤٣
- ٤٤٦ آغاز جزء ٢٧ قرآن مجيد ص : ٥٤٤
- ٤٤٦ ادامه سوره ذاريات ص : ٥٤٤
- ٤٤٦ سورة الناريات(٥١): آية ٣١ ص : ٥٤٤
- ٤٤٧ سورة الناريات(٥١): آية ٣٢ ص : ٥٤٤
- ٤٤٧ سورة الناريات(٥١): آية ٣٣ ص : ٥٤٥
- ٤٤٧ سورة الناريات(٥١): آية ٣٤ ص : ٥٤٥
- ٤٤٧ سورة الناريات(٥١): آية ٣٥ ص : ٥٤٥
- ٤٤٧ سورة الناريات(٥١): آية ٣٦ ص : ٥٤٥
- ٤٤٨ سورة الناريات(٥١): آية ٣٧ ص : ٥٤٦
- ٤٤٨ سورة الناريات(٥١): آية ٣٨ ص : ٥٤٦

٤٤٨	سورة الناريات(٥١): آية ٣٩ ص : ٥٤٦
٤٤٩	سورة الناريات(٥١): آية ٤٠ ص : ٥٤٧
٤٤٩	سورة الناريات(٥١): آية ٤١ ص : ٥٤٧
٤٤٩	سورة الناريات(٥١): آية ٤٢ ص : ٥٤٧
٤٤٩	سورة الناريات(٥١): آية ٤٣ ص : ٥٤٨
٤٥٠	سورة الناريات(٥١): آية ٤٤ ص : ٥٤٨
٤٥٠	سورة الناريات(٥١): آية ٤٥ ص : ٥٤٨
٤٥٠	سورة الناريات(٥١): آية ٤٦ ص : ٥٤٨
٤٥٠	سورة الناريات(٥١): آية ٤٧ ص : ٥٤٩
٤٥٠	سورة الناريات(٥١): آية ٤٨ ص : ٥٤٩
٤٥١	سورة الناريات(٥١): آية ٤٩ ص : ٥٤٩
٤٥١	سورة الناريات(٥١): آية ٥٠ ص : ٥٥٠
٤٥١	سورة الناريات(٥١): آية ٥١ ص : ٥٥٠
٤٥٢	سورة الناريات(٥١): آية ٥٢ ص : ٥٥٠
٤٥٢	سورة الناريات(٥١): آية ٥٣ ص : ٥٥١
٤٥٢	سورة الناريات(٥١): آية ٥٤ ص : ٥٥١
٤٥٢	سورة الناريات(٥١): آية ٥٥ ص : ٥٥١
٤٥٣	سورة الناريات(٥١): آية ٥٦ ص : ٥٥٢
٤٥٣	سورة الناريات(٥١): آية ٥٧ ص : ٥٥٢
٤٥٣	سورة الناريات(٥١): آية ٥٨ ص : ٥٥٢
٤٥٤	سورة الناريات(٥١): آية ٥٩ ص : ٥٥٣
٤٥٤	سورة الناريات(٥١): آية ٦٠ ص : ٥٥٤
٤٥٤	سوره طور [٥٢] ص : ٥٥٥
٤٥٤	اشاره
٤٥٤	محتواى سوره: ص : ٥٥٥
٤٥٥	فضيلت تلاوت سوره: ص : ٥٥٦

٤٥٥	سورة الطور(٥٢): آية ١ ص : ٥٥٦
٤٥٦	سورة الطور(٥٢): آية ٢ ص : ٥٥٦
٤٥٦	سورة الطور(٥٢): آية ٣ ص : ٥٥٧
٤٥٦	سورة الطور(٥٢): آية ٤ ص : ٥٥٧
٤٥٦	سورة الطور(٥٢): آية ٥ ص : ٥٥٧
٤٥٦	سورة الطور(٥٢): آية ٦ ص : ٥٥٧
٤٥٧	سورة الطور(٥٢): آية ٧ ص : ٥٥٨
٤٥٧	سورة الطور(٥٢): آية ٨ ص : ٥٥٨
٤٥٧	سورة الطور(٥٢): آية ٩ ص : ٥٥٨
٤٥٨	سورة الطور(٥٢): آية ١٠ ص : ٥٥٩
٤٥٨	سورة الطور(٥٢): آية ١١ ص : ٥٥٩
٤٥٨	سورة الطور(٥٢): آية ١٢ ص : ٥٥٩
٤٥٨	سورة الطور(٥٢): آية ١٣ ص : ٥٥٩
٤٥٨	سورة الطور(٥٢): آية ١٤ ص : ٥٦٠
٤٥٨	سورة الطور(٥٢): آية ١٥ ص : ٥٦٠
٤٥٩	سورة الطور(٥٢): آية ١٦ ص : ٥٦٠
٤٥٩	سورة الطور(٥٢): آية ١٧ ص : ٥٦٠
٤٥٩	سورة الطور(٥٢): آية ١٨ ص : ٥٦١
٤٦٠	سورة الطور(٥٢): آية ١٩ ص : ٥٦١
٤٦٠	سورة الطور(٥٢): آية ٢٠ ص : ٥٦٢
٤٦٠	سورة الطور(٥٢): آية ٢١ ص : ٥٦٢
٤٦١	سورة الطور(٥٢): آية ٢٢ ص : ٥٦٣
٤٦١	سورة الطور(٥٢): آية ٢٣ ص : ٥٦٣
٤٦١	سورة الطور(٥٢): آية ٢٤ ص : ٥٦٤
٤٦٢	سورة الطور(٥٢): آية ٢٥ ص : ٥٦٤
٤٦٢	سورة الطور(٥٢): آية ٢٦ ص : ٥٦٤

٤٦٢	سورة الطور(٥٢): آية ٢٧ ص : ٥٦٥
٤٦٢	سورة الطور(٥٢): آية ٢٨ ص : ٥٦٥
٤٦٣	سورة الطور(٥٢): آية ٢٩ ص : ٥٦٥
٤٦٣	اشاره
٤٦٣	شأن نزول: ص : ٥٦٥
٤٦٣	تفسير: ص : ٥٦٦
٤٦٤	سورة الطور(٥٢): آية ٣٠ ص : ٥٦٦
٤٦٤	سورة الطور(٥٢): آية ٣١ ص : ٥٦٦
٤٦٤	سورة الطور(٥٢): آية ٣٢ ص : ٥٦٧
٤٦٤	سورة الطور(٥٢): آية ٣٣ ص : ٥٦٧
٤٦٤	سورة الطور(٥٢): آية ٣٤ ص : ٥٦٧
٤٦٥	سورة الطور(٥٢): آية ٣٥ ص : ٥٦٨
٤٦٥	سورة الطور(٥٢): آية ٣٦ ص : ٥٦٩
٤٦٦	سورة الطور(٥٢): آية ٣٧ ص : ٥٦٩
٤٦٦	سورة الطور(٥٢): آية ٣٨ ص : ٥٧٠
٤٦٧	سورة الطور(٥٢): آية ٣٩ ص : ٥٧٠
٤٦٧	سورة الطور(٥٢): آية ٤٠ ص : ٥٧٠
٤٦٧	سورة الطور(٥٢): آية ٤١ ص : ٥٧١
٤٦٧	سورة الطور(٥٢): آية ٤٢ ص : ٥٧١
٤٦٧	سورة الطور(٥٢): آية ٤٣ ص : ٥٧١
٤٦٨	سورة الطور(٥٢): آية ٤٤ ص : ٥٧٢
٤٦٨	سورة الطور(٥٢): آية ٤٥ ص : ٥٧٢
٤٦٨	سورة الطور(٥٢): آية ٤٦ ص : ٥٧٢
٤٦٩	سورة الطور(٥٢): آية ٤٧ ص : ٥٧٣
٤٦٩	سورة الطور(٥٢): آية ٤٨ ص : ٥٧٣
٤٧٠	سورة الطور(٥٢): آية ٤٩ ص : ٥٧٤

۴۷۰	سوره نجم [۵۳] ص : ۵۷۵
۴۷۰	اشاره
۴۷۰	محتوای سوره: ص : ۵۷۵
۴۷۱	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۵۷۶
۴۷۱	سوره النجم(۵۳): آیه ۱ ص : ۵۷۶
۴۷۱	سوره النجم(۵۳): آیه ۲ ص : ۵۷۷
۴۷۱	سوره النجم(۵۳): آیه ۳ ص : ۵۷۷
۴۷۲	سوره النجم(۵۳): آیه ۴ ص : ۵۷۷
۴۷۲	سوره النجم(۵۳): آیه ۵ ص : ۵۷۸
۴۷۲	سوره النجم(۵۳): آیه ۶ ص : ۵۷۸
۴۷۳	سوره النجم(۵۳): آیه ۷ ص : ۵۷۸
۴۷۳	سوره النجم(۵۳): آیه ۸ ص : ۵۷۸
۴۷۳	سوره النجم(۵۳): آیه ۹ ص : ۵۷۸
۴۷۳	سوره النجم(۵۳): آیه ۱۰ ص : ۵۷۸
۴۷۳	سوره النجم(۵۳): آیه ۱۱ ص : ۵۷۹
۴۷۳	سوره النجم(۵۳): آیه ۱۲ ص : ۵۷۹
۴۷۴	سوره النجم(۵۳): آیه ۱۳ ص : ۵۸۰
۴۷۴	سوره النجم(۵۳): آیه ۱۴ ص : ۵۸۰
۴۷۴	سوره النجم(۵۳): آیه ۱۵ ص : ۵۸۰
۴۷۵	سوره النجم(۵۳): آیه ۱۶ ص : ۵۸۰
۴۷۵	سوره النجم(۵۳): آیه ۱۷ ص : ۵۸۰
۴۷۵	سوره النجم(۵۳): آیه ۱۸ ص : ۵۸۱
۴۷۵	اشاره
۴۷۵	نکته‌ها: ص : ۵۸۱
۴۷۵	۱- هدف معراج، ص : ۵۸۱
۴۷۵	۲- گوشه‌ای از گفتگوهای خداوند با پیامبرش در شب معراج: ص : ۵۸۱

٤٧٧	سورة النجم(٥٣): آية ١٩ ص : ٥٨٥
٤٧٨	سورة النجم(٥٣): آية ٢٠ ص : ٥٨٥
٤٧٨	سورة النجم(٥٣): آية ٢١ ص : ٥٨٥
٤٧٨	سورة النجم(٥٣): آية ٢٢ ص : ٥٨٥
٤٧٨	سورة النجم(٥٣): آية ٢٣ ص : ٥٨٦
٤٧٩	سورة النجم(٥٣): آية ٢٤ ص : ٥٨٦
٤٧٩	سورة النجم(٥٣): آية ٢٥ ص : ٥٨٧
٤٨٠	سورة النجم(٥٣): آية ٢٦ ص : ٥٨٧
٤٨٠	سورة النجم(٥٣): آية ٢٧ ص : ٥٨٨
٤٨٠	سورة النجم(٥٣): آية ٢٨ ص : ٥٨٨
٤٨٠	سورة النجم(٥٣): آية ٢٩ ص : ٥٨٨
٤٨١	سورة النجم(٥٣): آية ٣٠ ص : ٥٨٩
٤٨١	سورة النجم(٥٣): آية ٣١ ص : ٥٨٩
٤٨١	سورة النجم(٥٣): آية ٣٢ ص : ٥٩٠
٤٨٢	اشاره
٤٨٢	«كباثر الاثم» چیست؟ ص : ٥٩١
٤٨٣	سورة النجم(٥٣): آية ٣٣ ص : ٥٩٢
٤٨٣	اشاره
٤٨٣	شأن نزول: ص : ٥٩٢
٤٨٣	تفسير: ص : ٥٩٢
٤٨٣	سورة النجم(٥٣): آية ٣٤ ص : ٥٩٢
٤٨٤	سورة النجم(٥٣): آية ٣٥ ص : ٥٩٣
٤٨٤	سورة النجم(٥٣): آية ٣٦ ص : ٥٩٣
٤٨٤	سورة النجم(٥٣): آية ٣٧ ص : ٥٩٣
٤٨٤	سورة النجم(٥٣): آية ٣٨ ص : ٥٩٣
٤٨٤	سورة النجم(٥٣): آية ٣٩ ص : ٥٩٣

- ٤٨٤ سورة النجم(٥٣): آية ٤٠ ص : ٥٩٣
- ٤٨٥ سورة النجم(٥٣): آية ٤١ ص : ٥٩٤
- ٤٨٥ سورة النجم(٥٣): آية ٤٢ ص : ٥٩٤
- ٤٨٥ سورة النجم(٥٣): آية ٤٣ ص : ٥٩٥
- ٤٨٦ سورة النجم(٥٣): آية ٤٤ ص : ٥٩٥
- ٤٨٦ سورة النجم(٥٣): آية ٤٥ ص : ٥٩٥
- ٤٨٦ سورة النجم(٥٣): آية ٤٦ ص : ٥٩٥
- ٤٨٦ سورة النجم(٥٣): آية ٤٧ ص : ٥٩٥
- ٤٨٦ سورة النجم(٥٣): آية ٤٨ ص : ٥٩٥
- ٤٨٦ سورة النجم(٥٣): آية ٤٩ ص : ٥٩٦
- ٤٨٧ سورة النجم(٥٣): آية ٥٠ ص : ٥٩٦
- ٤٨٧ سورة النجم(٥٣): آية ٥١ ص : ٥٩٦
- ٤٨٧ سورة النجم(٥٣): آية ٥٢ ص : ٥٩٦
- ٤٨٧ سورة النجم(٥٣): آية ٥٣ ص : ٥٩٧
- ٤٨٨ سورة النجم(٥٣): آية ٥٤ ص : ٥٩٧
- ٤٨٨ سورة النجم(٥٣): آية ٥٥ ص : ٥٩٧
- ٤٨٨ سورة النجم(٥٣): آية ٥٦ ص : ٥٩٧
- ٤٨٨ سورة النجم(٥٣): آية ٥٧ ص : ٥٩٨
- ٤٨٨ سورة النجم(٥٣): آية ٥٨ ص : ٥٩٨
- ٤٨٩ سورة النجم(٥٣): آية ٥٩ ص : ٥٩٨
- ٤٨٩ سورة النجم(٥٣): آية ٦٠ ص : ٥٩٨
- ٤٨٩ سورة النجم(٥٣): آية ٦١ ص : ٥٩٨
- ٤٨٩ سورة النجم(٥٣): آية ٦٢ ص : ٥٩٩

مشخصات کتاب

عنوان و نام پدید آور: برگزیده تفسیر نمونه / مکارم شیرازی، تنظیم احمد-علی بابایی

مشخصات نشر: تهران: دارالکتب اسلامی، ۱۳۸۶

مشخصات ظاهری: ج.

شابک: ۹۷۸۹۶۴۴۴۰۳۸۲۸

وضعیت فهرست نویسی: در انتظار فهرست نویسی

شماره کتابشناسی ملی: ۱۰۹۶۰۵۵

جلد چهارم

پیشگفتار ص: ۱۹

گزیده تفسیر نمونه! بزرگترین سرمایه ما مسلمانان قرآن مجید است. معارف، احکام، برنامه زندگی، سیاست اسلامی، راه به سوی قرب خدا، همه و همه را در این کتاب بزرگ آسمانی می‌یابیم.

بنابر این، وظیفه هر مسلمان این است که با این کتاب بزرگ دینی خود روز به روز آشنا تر شود این از یکسوی

از سوی دیگر آوازه اسلام که بر اثر بیداری مسلمین در عصر ما، و بخصوص بعد از انقلاب اسلامی در سراسر جهان پیچیده است، حس کنجکاوای مردم غیر مسلمان جهان را برای آشنایی بیشتر به این کتاب آسمانی برانگیخته است، به همین دلیل در حال حاضر از همه جا تقاضای ترجمه و تفسیر قرآن به زبانهای زنده دنیا می‌رسد، هر چند متأسفانه جوابگویی کافی برای این تقاضاها نیست، ولی به هر حال باید تلاش کرد و خود را آماده برای پاسخگویی به این تقاضاهای مطلوب کنیم.

خوشبختانه حضور قرآن در زندگی مسلمانان جهان و بخصوص در محیط کشور ما روز به روز افزایش پیدا می‌کند، قاریان بزرگ، حافظان ارجمند، مفسران آگاه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۰

در جامعه امروز ما بحمد الله کم نیستند، رشته تخصصی تفسیر در حوزه علمیه قم به صورت یکی از رشته‌های تخصصی مهم در آمده و متقاضیان بسیاری دارد، درس تفسیر نیز از دروس رسمی حوزه‌ها و از مواد امتحانی است، و در همین راستا «تفسیر نمونه» نوشته شد، که تفسیری است سلیس و روان و در عین حال پر محتوا و ناظر به مسائل روز و نیازهای زمان، و شاید یکی از دلایل گسترش سریع آن همین اقبال عمومی مردم به قرآن مجید است.

گر چه برای تهیه این تفسیر به اتفاق گروهی از فضیلات گرامی حوزه علمیه قم (دانشمندان و حجج اسلام آقایان: محمد رضا آشتیانی - محمد جعفر امامی - داود الهامی - اسد الله ایمانی - عبد الرسول حسینی - سید حسن شجاعی - سید نور الله طباطبائی - محمود عبد اللهی - محسن قرائتی و محمد محمدی اشتهاردی) در مدت پانزده سال زحمات زیادی کشیده شد، ولی با توجه به استقبال فوق العاده‌ای که از سوی تمام قشرها و حتی برادران اهل تسنن از آن به عمل آمد، تمام خستگی تهیه آن بر طرف گشت و این امید در دل دوستان بوجود آمد که ان شاء الله اثری است مقبول در پیشگاه خدا.

متن فارسی این تفسیر دهها بار چاپ و منتشر شده، و ترجمه کامل آن به زبان «اردو» در (۲۷) جلد نیز بارها به چاپ رسیده

است، و ترجمه کامل آن به زبان «عربی» نیز به نام تفسیر «الأمثل» اخیراً در بیروت به چاپ رسید و در نقاط مختلف کشورهای اسلامی انتشار یافت.

ترجمه آن به زبان «انگلیسی» هم اکنون در دست تهیه است که امیدواریم آن هم به زودی در افق مطبوعات اسلامی ظاهر گردد.

بعد از انتشار تفسیر نمونه گروه کثیری خواهان نشر «خلاصه» آن شدند.

چرا که مایل بودند بتوانند در وقت کوتاهاتر و با هزینه کمتر به محتوای اجمالی آیات، و شرح فشرده‌ای آشنا شوند، و در بعضی از کلاسهای درسی که تفسیر قرآن مورد توجه است به عنوان متن درسی از آن بهره‌گیری شود. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۱

این درخواست مکرر، ما را بر آن داشت که به فکر تلخیص تمام دوره (۲۷) جلدی تفسیر نمونه، در پنج جلد بیفتیم ولی این کار آسانی نبود، مدتی در باره آن مطالعه و برنامه‌ریزی شد و بررسیهای لازم به عمل آمد تا این که فاضل محترم جناب مستطاب آقای احمد- علی بابائی که سابقه فعالیت و پشتکار و حسن سلیقه ایشان در تهیه «فهرست موضوعی تفسیر نمونه» بر ما روشن و مسلم بود عهده‌دار انجام این مهم گردید و در مدت سه سال کار مستمر شبانه روزی این مهم به وسیله ایشان انجام گردید.

اینجانب نیز با فکر قاصر خود کرارا بر نوشته‌های ایشان نظارت کردم و در مواردی که نیاز به راهنمایی بود به اندازه توانایی مسائل لازم را تذکر دادم، و در مجموع فکر می‌کنم بحمد الله اثری ارزنده و پربار به وجود آمده که هم قرآن با ترجمه سلیس را در بردارد و هم تفسیر فشرده و گویایی، برای کسانی که می‌خواهند با یک مراجعه سریع از تفسیر آیات آگاه شوند، می‌باشد.

و نام آن برگزیده تفسیر نمونه نهاده شد.

و من به نوبه خود از زحمات بی‌دریغ ایشان تشکر و قدردانی می‌کنم، امیدوارم این خلاصه و فشرده که گزیده‌ای است از قسمتهای حساس، و حدیث مجملی از آن مفصل، نیز مورد قبول اهل نظر و عموم قشرهای علاقه‌مند به قرآن گردد و ذخیره‌ای برای همه ما در «یوم الجزاء» باشد.

قم- حوزه علمیه ناصر مکارم شیرازی ۱۳ رجب ۱۴۱۴ روز میلاد مسعود امیر مؤمنان حضرت علی علیه السلام مطابق با ۱۶ / ۱۰ / ۱۳۷۲

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۳

ادامه جزء ۲۲ ص: ۲۳

سوره سبأ [۳۴] ص: ۲۳

اشاره

این سوره در «مکه» نازل شده و دارای ۵۴ آیه است

محتوای سوره: ص: ۲۳

بحثهای این سوره- که به مناسبت شرح سرگذشت قوم «سبأ» به نام «سبأ» نامیده شده- ناظر به پنج مطلب است:

۱- «مسأله توحید» و قسمتی از نشانه‌های خداوند در عالم هستی، و صفات پاک او از جمله «توحید» «ربوبیت» و «الوهیت».

۲- «مسأله معاد» که از همه مسائل در این سوره بیشتر مطرح شده.

۳- «مسأله نبوت انبیای پیشین و مخصوصاً پیامبر اسلام» و پاسخ به بهانه جوئیهای دشمنان در باره او، و بیان پاره‌ای از معجزات انبیای سلف.

۴- بیان بخشی از نعمتهای بزرگ خداوند و سرنوشت شکرگزاران و کفران‌کنندگان، ضمن بیان گوشه‌ای از زندگی سلیمان و قوم سبا.

۵- دعوت به تفکر و اندیشه و ایمان و عمل صالح.

فضیلت تلاوت سوره: ص : ۲۳

در حدیثی از پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله چنین می‌خوانیم:

«کسی که سوره سبأ را بخواند در قیامت تمام انبیا و رسولان رفیق و همنشین او خواهند بود، و همگی با او مصافحه می‌کنند».

در حدیث دیگری از امام صادق علیه السلام چنین نقل شده است: «کسی که دو سوره‌ای را که با حمد آغاز می‌شود (سوره

سبأ و فاطر) در یک شب بخواند، تمام آن برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۴

شب را در حفظ و حراست الهی خواهد بود، و اگر آن دو را در روز بخواند هیچ مکروهی به او نمی‌رسد، و آن قدر از خیر دنیا و آخرت به او داده می‌شود که هرگز به قلبش خطور نکرده، و فکر و آرزویش به آن نرسیده است! مسلماً این پادشاهی عظیم نصیب کسانی نمی‌شود که تنها به خواندن و لقلقه زبان قناعت کنند، بلکه خواندن باید مقدمه‌ای باشد برای اندیشیدن که آن نیز انگیزه عمل است.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره سبأ (۳۴): آیه ۱ ص : ۲۴

(آیه ۱)- او مالک همه چیز و عالم به همه چیز است: پنج سوره از سوره‌های قرآن مجید با حمد پروردگار شروع می‌شود که

در سه سوره، حمد و ستایش خداوند به خاطر آفرینش آسمان و زمین و موجودات دیگر است (سوره سبأ، فاطر، و انعام).

و در یک سوره (سوره کهف) این حمد و ستایش به خاطر نزول قرآن بر قلب پاک پیامبر صلی الله علیه و اله می‌باشد.

در حالی که در سوره حمد تعبیر جامعی شده که همه این امور را در بر می‌گیرد «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

به هر حال سخن در آغاز سوره «سبأ» از حمد و سپاس خداست به خاطر مالکیت و حاکمیت او در دنیا و آخرت.

می‌فرماید: «حمد مخصوص خداوندی است که تمام آنچه در آسمانها و زمین است از آن اوست» (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ).

«و نیز حمد و سپاس برای او در سرای آخرت است» (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ).

چرا که هر نعمتی، و هر فایده و برکتی، و هر خلقت موزون و شگرف و عجیبی، همه تعلق به ذات پاک او دارد.

بنابر این هر کس در این عالم مدح و ستایشی از چیزی کند این حمد و ستایش سرانجام به ذات پاک او بر می‌گردد، و به

گفته شاعر: برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۵

به جهان خرم از آنم که جهان خرم از اوست عاشقم بر همه عالم، که همه عالم از اوست و در پایان آیه می‌افزاید: «و او حکیم و خبیر است» (وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ).

بر اساس حکمت بالغه اوست که این نظام عجیب بر جهان حکومت می‌کند، و بر اساس علم و آگاهی اوست که هر چیز به جای خود قرار گرفته، و هر موجودی آنچه را که نیاز دارد در اختیار دارد.

این حمد نه تنها از زبان انسانها و فرشتگان است که از تمام ذرات جهان هستی نیز زمزمه حمد و تسبیح او به گوش هوش می‌رسد، هیچ موجودی نیست جز این که حمد و تسبیح او می‌گوید.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۲..... ص: ۲۵

(آیه ۲) - این آیه به شرح گوشه‌ای از علم بی‌پایان پروردگار به تناسب توصیف خداوند به «حکیم» و «خبیر» در آیه قبل پرداخته، چنین می‌گوید: «آنچه را در زمین فرو می‌رود و آنچه را از آن خارج می‌شود می‌داند» (يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا).

آری! او از تمام قطرات باران و امواج سیلاب که در اعماق زمین فرو می‌روند و به طبقه نفوذ ناپذیر می‌رسند و در آنجا متمرکز و برای انسانها ذخیره می‌شوند آگاه است.

او از دانه‌های گیاهان که در زمین فرو می‌روند و روزی به درخت سرسبز یا گیاه پر طراوتی تبدیل می‌گردند با خبر است.

از ریشه‌های درختان به هنگامی که در جستجوی آب و غذا به اعماق زمین پیشروی می‌کنند.

از امواج الکتریسته، از گازهای مختلف و ذرات هوا که به داخل زمین نفوذ می‌کنند، و نیز از گنجها و دینه‌ها و اجساد مردگان اعم از انسانها و غیر انسانها که در این زمین گسترده دفن می‌شوند، آری از همه اینها با خبر است.

همچنین از گیاهانی که از زمین خارج می‌شوند، از انسانها که از آن برخاسته‌اند، از چشمه‌هایی که از آن می‌جوشد، از گازهایی که از آن بر می‌خیزد، از برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۶

آتشفشانهایی که از آن زبانه می‌کشد، و خلاصه از تمام موجوداتی که از اعماق زمین بیرون می‌ریزند، اعم از آنچه ما می‌دانیم و نمی‌دانیم، او از همه آنها مطلع و آگاه است.

سپس می‌افزاید: «او از آنچه از آسمان نازل می‌شود و یا به آسمان بالا- می‌رود باخبر است» (وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا).

از دانه‌های باران، از اشعه حیات‌بخش خورشید، از امواج نیرومند وحی و شرایع آسمانی، از فرشتگانی که برای ابلاغ رسالت یا انجام مأموریت‌های دیگر به زمین نزول می‌کنند، از اشعه کیهانی که از ماوراء جو به زمین نازل می‌شود، از شهابها و سنگریزه‌های سرگردان فضا که به سوی زمین جذب می‌شوند، او از همه اینها مطلع است.

و نیز از اعمال بندگان که به آسمان عروج می‌کنند، از فرشتگانی که پس از ادای رسالت خود به آسمان باز می‌گردند، از شیاطینی که برای استراق سمع به آسمانها می‌روند، از بخارهایی که از دریا بر می‌خیزد و بر فراز آسمان ابرها را تشکیل می‌دهد، از آهی که از دل مظلومی بر می‌خیزد و به آسمان صعود می‌کند، آری از همه اینها آگاه است.

و در پایان می‌افزاید: «اوست مهربان و آمرزنده» (وَ هُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ).

سوره سبأ (۳۴): آیه ۳ ص: ۲۶

(آیه ۳) - به پروردگار سوگند قیامت خواهد آمد! آیات گذشته در عین این که از توحید و صفات خدا سخن می گفت زمینه ساز مسأله معاد بود، زیرا بحث معاد جز از طریق علم بی پایان حق حل نمی شود.

لذا آیه می گوید: «و کافران گفتند: (این دروغ است که قیامتی در پیش داریم) هرگز قیامت به سراغ ما نمی آید!» (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ).

آنها می خواستند از این طریق آزادی عمل پیدا کنند و هر کاری از دستشان ساخته است - به این امید که حساب و کتاب و عدل و دادی در کار نیست - انجام دهند.

اما از آنجا که دلایل قیامت روشن است قرآن با یک جمله قاطع و به صورت برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۷ بیان نتیجه به پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ می گوید: «بگو: آری، به پروردگارم سوگند که قیامت به سراغ همه شما خواهد آمد» (قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَأَتِيَنَّكُمْ).

تکیه روی کلمه «رَبِّ» به خاطر این است که قیامت از شؤون ربوبیت است، چگونه ممکن است خداوند مالک و مربی انسانها باشد و آنها را در مسیر تکامل پیش برد اما نیمه کاره رها کند و با مرگ همه چیز پایان گیرد! و از آنجا که یکی از اشکالات مخالفان معاد این بوده که به هنگام خاک شدن بدن انسان، و پراکنده شدن اجزای آن در اطراف زمین، چه کسی می تواند آنها را بشناسد و جمع کند و به زندگی نوین بازگرداند؟ از سوی دیگر چه کسی می تواند آنها را بشناسد و جمع کند و به زندگی نوین بازگرداند؟ از سوی دیگر چه کسی می تواند حساب این همه اعمال بندگان را در نهان و آشکار و درون و برون نگاه دارد و به موقع به این حسابها برسد؟ لذا در دنباله آیه اضافه می کند: «او از تمام امور پنهانی باخبر است و به اندازه سنگینی ذره ای در تمام آسمانها و نه در زمین از حوزه علم بی پایان او بیرون نخواهد بود» (عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ).

«و نه کوچکتر از ذره، و نه بزرگتر از آن، مگر این که همه اینها در کتاب مبین ثبت و ضبط است» (وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ).

سوره سبأ (۳۴): آیه ۴ ص: ۲۷

(آیه ۴) - سپس ضمن دو آیه هدف قیام قیامت را بیان می کند، و یا به تعبیر دیگر دلیل بر لزوم چنین عالمی را بعد از جهان کنونی در برابر منکران شرح داده، می فرماید: «هدف این است آنها را که ایمان آورده اند و عمل صالح انجام داده اند پاداش دهد» (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ).

آری «برای آنها مغفرت و روزی پرازشی است» (أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ).

آیا اگر مؤمنان صالح العمل به پاداش خود نرسند اصل عدالت که از اساسی ترین اصول خلقت است تعطیل نمی گردد؟

سوره سبأ (۳۴): آیه ۵ ص: ۲۷

(آیه ۵) - و از آنجا که بخش دیگر عدالت در مورد مجازات گنهکاران و مجرمان است در این آیه می افزاید: «و کسانی که

سعی در (تکذیب) آیات ما برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۸ داشتند، و گمان کردند از حوزه قدرت ما می‌توانند بگریزند، عذابی بد و دردناک خواهند داشت» (وَ الَّذِينَ سَبَّحُوا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ).

سوره سبأ (۳۴): آیه ۶..... ص: ۲۸

(آیه ۶) - عالمان، دعوت تو را حق می‌دانند: در آیات گذشته سخن از بی‌خبران کوردلی بود که قاطعانه معاد را با آن همه دلایل، انکار می‌کردند.

به همین مناسبت در این آیه سخن از عالمان و اندیشمندانی می‌گوید که به تصدیق آیات الهی و تشویق دیگران به پذیرش آن می‌پردازند، می‌فرماید: «کسانی که به ایشان علم داده شده، آنچه را از سوی پروردگارت بر تو نازل شده حق می‌دانند که به راه خداوند عزیز و حمید هدایت می‌کند» (وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ).

(الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) همه دانشمندان و اندیشمندان را در هر عصر و هر زمان و مکان در بر می‌گیرد. امروز کتابهای مختلفی از سوی دانشمندان غربی و شرقی در باره اسلام و قرآن تألیف یافته که در آنها اعترافات بسیار گویا و روشنی بر عظمت اسلام و صدق آیه فوق دیده می‌شود.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۷..... ص: ۲۸

(آیه ۷) - در این آیه بار دیگر به مسأله قیامت و رستاخیز باز می‌گردد و بحثهای گذشته را به صورت دیگری تکمیل می‌کند، می‌فرماید: «و کافران گفتند:

آیا مردی را به شما نشان دهیم که خبر می‌دهد هنگامی که همگی خاک شدید و ذرات بدن شما از یکدیگر جدا شد و هر یک در گوشه‌ای قرار گرفت (و یا شاید جزء بدن حیوان یا انسان دیگری شد) بار دیگر به آفرینش تازه‌ای باز می‌گردید؟! (وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ).

به نظر می‌رسد اصرار آنها بر مسأله انکار معاد از دو امر سرچشمه گرفته، نخست این که: چنین می‌پنداشتند معادی که پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله مطرح می‌کرد (معاد جسمانی) مطلبی است آسیب‌پذیر! دیگر این که اعتقاد به معاد و یا حتی قبول احتمالی آن به هر حال در انسان برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۹

ایجاد مسؤولیت و تعهد می‌کند، و این مطلبی بود که برای سردمداران کفر سخت خطرناک محسوب می‌شد.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۸..... ص: ۲۹

(آیه ۸) - و عجب این که آنها این سخن را دلیل بر دروغگویی و یا جنون گوینده‌اش می‌گرفتند، و می‌گفتند: «آیا او بر خدا دروغ بسته؟ یا نوعی جنون دارد؟»

(أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ). و گر نه آدم راستگو و عاقل چگونه ممکن است لب به چنین سخنی بگشاید؟! ولی قرآن به طرز قاطعی به آنها چنین پاسخ می‌گوید: چنین نیست نه او دیوانه است و نه دروغگو «بلکه آنها که ایمان به آخرت ندارند

(هم اکنون) در عذاب و گمراهی دوری هستند» (بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ). چه گمراهی از این آشکارتر که انسان منکر معاد شود.

به راستی اگر زندگی محدود به همین چند روز عمر دنیا بود تصور مرگ برای هر انسانی کابوس وحشتناکی می شد به همین دلیل منکران معاد همیشه در یک نوع نگرانی جانکاه و عذاب الیم به سر می برند در حالی که مؤمنان به معاد مرگ را دریچه‌ای به سوی جهان بقا، و وسیله‌ای برای شکسته شدن قفس و آزادی از این زندان می‌شمرند.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۹..... ص: ۲۹

(آیه ۹) - سپس به دلیل دیگری پیرامون معاد، دلیلی توأم با تهدید غافلان لجوج، پرداخته چنین می‌گوید: «آیا به آنچه پیش رو و پشت سر آنان از آسمان و زمین قرار گرفته نگاه نکردند؟» (أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ). این آسمان با این همه اختران ثابت و سیار و همچنین این زمین با تمام موجودات زنده و برکات و مواهبش، گویاترین دلیل بر قدرت آفریدگار است.

این همان «برهان قدرت» است که در آیات دیگر قرآن در برابر منکران معاد به آن استدلال شده از جمله در آیه ۸۲ سوره یس و آیه ۹۹ سوره اسراء.

در ضمن، این جمله مقدمه‌ای است برای تهدید این گروه متعصب تیره دل که اصرار دارند چشم به روی همه حقایق ببندند، لذا به دنبال آن می‌فرماید: «اگر ما برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۰

بخواهیم به زمین دستور می‌دهیم پیکر آنها را در خود فرو برد» زلزله‌ای ایجاد شود، زمین شکاف بردارد و در میان آن دفن کردند! (إِنْ نَشَاءُ نَحْشِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ).

«و یا (اگر بخواهیم) فرمان می‌دهیم قطعات سنگهای آسمانی بر آنها فرو بارد» و خودشان و خانه و زندگیشان را در هم بکوبد (أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ).

آری «در این موضوع، نشانه روشنی است (بر قدرت خداوند و توانایی او بر همه چیز، اما برای هر بنده‌ای که به سوی خدا بازگردد» و فکر و اندیشه خود را به کار گیرد (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ).

ما که از هر سو در قبضه قدرت او قرار داریم چگونه می‌توانیم توانائیش را بر معاد انکار کنیم! و یا چگونه می‌توانیم از حوزه حکومت او فرار نمائیم.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۱۰..... ص: ۳۰

(آیه ۱۰) - مواهب بزرگ خدا بر داود! از آنجا که در آیه قبل سخن از «عبد منیب» و بنده توبه‌کار بود و می‌دانیم این توصیف در بعضی از آیات قرآن (ص/ ۲۴) برای داود پیامبر ذکر شده است چه بهتر که گوشه‌ای از حال این پیامبر بزرگ و فرزندش سلیمان به عنوان یک الگو بازگو شود و بحث گذشته تکمیل گردد.

ضمناً هشدار می‌باشد برای همه کسانی که نعمتهای خدا را به دست فراموشی می‌سپارند و به هنگامی که بر اریکه قدرت می‌نشینند خدا را بنده نیستند.

آیه می‌گوید: «ما به داود از فضل خود نعمتی بزرگ بخشیدیم» (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا).

بعد از این اشاره سر بسته به شرح آن می‌پردازد و قسمتی از فضائل معنوی و بخشی از فضیلت‌های مادی داود را بدین گونه شرح می‌دهد: ما گفتیم «ای کوهها! با داود هم صدا شوید و همچنین شما ای پرندگان با او هم آواز گردید» و هر گاه او ذکر و تسبیح خدا می‌گوید زمزمه را سر دهید (یا جِبَالُ أُوبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرُ).

در روایتی از امام صادق علیه السّلام می‌خوانیم: «داود به سوی دشت و بیابان خارج شد، و هنگامی که زبور را تلاوت می‌کرد هیچ کوه و سنگ و پرندۀ‌ای نبود مگر این که با او هم صدا می‌شد». برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۱
بعد از ذکر این فضیلت معنوی به ذکر یک فضیلت مادی پرداخته، می‌گوید:
«و ما آهن را برای او نرم کردیم» (وَ أَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ).

ظاهر آیه این است که، نرم شدن آهن در دست داود به فرمان الهی و به صورت اعجاز انجام می‌گرفت.
در حدیثی آمده است که خداوند به داود وحی فرستاد «تو بنده خوبی هستی جز این که از بیت المال ارتزاق می‌کنی، داود چهل روز گریه کرد (و از خدا راه حلی خواست) خداوند آهن را برای او نرم کرد، و هر روز زرهی می‌ساخت ... و به این وسیله از بیت المال بی‌نیاز شد».

سوره سبأ (۳۴): آیه ۱۱ ص: ۳۱

(آیه ۱۱) - این آیه شرحی برای زره ساختن داود و فرمان بسیار پر معنی پروردگار در این زمینه است، می‌گوید: ما به او گفتیم «زره‌های کامل بساز، و حلقه‌های آنها را به اندازه و متناسب کن» (أَنْ اَعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرْ فِي السَّرْدِ).
در واقع خداوند به داود دستوری می‌دهد که باید سرمشقی برای همه صنعتگران و کارگران با ایمان جهان باشد، دستور محکم کاری و رعایت دقت در کیفیت و کمیت در مصنوعات، آن چنان که مصرف کنندگان به خوبی و راحتی بتوانند از آن استفاده کنند، و از استحکام کامل برخوردار باشد.
و در پایان آیه داود و خاندانش را مخاطب ساخته، می‌گوید: «عمل صالح به جا آورید که من نسبت به آنچه انجام می‌دهید بصیر و بینا هستم» (وَ اَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).
هدف ساختن زره و کسب درآمد نیست، هدف عمل صالح است، و اینها وسیله‌ای است در آن مسیر که هم داود از آن بهره می‌گرفت و هم خاندان و قومش.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۱۲ ص: ۳۱

(آیه ۱۲) - حشمت سلیمان و مرگ عبرت انگیز او! به دنبال بحث از مواهبی که خدا به داود داده بود سخن را به فرزندش سلیمان می‌کشاند، و از سه موهبت بزرگ - که از عوامل مهم اداره یک کشور پهناور است - بحث می‌کند، می‌فرماید:
«و برای سلیمان باد را مسخّر ساختیم که صبحگاهان مسیر یک ماه را می‌پیمود و عصرگاهان مسیر یک ماه را!» (وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غَدُوها شَهْرٌ وَ رَوَاحُها شَهْرٌ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۲
جالب این که برای پدر جسم خشن و فوق العاده محکمی یعنی آهن را مسخّر می‌کند و برای فرزند موجود بسیار لطیف! ولی هر دو کار سازنده و اعجاز آمیزند.

در این که باد چگونه دستگاه سلیمان (کرسی یا فرش او را) به حرکت در می‌آورد، بر ما روشن نیست، همین قدر می‌دانیم

هیچ چیز در برابر قدرت خدا مشکل و پیچیده نمی‌باشد.

سپس به دومین موهبت الهی نسبت به سلیمان اشاره کرده، می‌گوید: «و برای او چشمه مس (مذاب) را روان ساختیم!» (وَ أَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ).

چگونگی این امر نیز دقیقاً بر ما روشن نیست، همین اندازه می‌دانیم که از الطاف الهی در باره این پیامبر بزرگ بود. و بالأخره به بیان سومین موهبت پروردگار نسبت به سلیمان یعنی تسخیر گروه عظیمی از جن پرداخته، چنین می‌گوید: «و گروهی از جن پیش روی او به اذن پروردگار برایش کار می‌کردند» (وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ). «و هرگاه کسی از آنها از فرمان ما سرپیچی می‌کرد او را با آتش سوزان مجازات می‌کردیم» (وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ).

سوره سبأ (۳۴): آیه ۱۳ ص: ۳۲

(آیه ۱۳) - در این آیه به بخشی از کارهای مهم تولیدی گروه جن که به فرمان سلیمان انجام می‌دادند اشاره کرده، چنین می‌گوید: «سلیمان هر چه می‌خواست از معبدها، و تمثالها، و ظرفهای بزرگ غذا که همچون حوض‌های بزرگ بود، و دیگرهای عظیم ثابت برای او تهیه می‌کردند» (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَ تَمَاثِيلٍ وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ). که بخشی از آنها مربوط به مسائل معنوی و عبادی بود، و بخشی با نیازهای جسمانی انسانها و جمعیت عظیم لشکریان و کارگزارانش تناسب داشت.

در پایان آیه، بعد از ذکر این مواهب خداوند خطاب به دودمان حضرت داود کرده، می‌فرماید: «ای آل داود! شکرگزاری کنید» (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا).

«اما عده کمی از بندگان من شکر گزارند!» (وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ).

منظور از شکرگزاری در اینجا «شکر در عمل» است یعنی استفاده از مواهب برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۳ در مسیر همان اهدافی که به خاطر آن آفریده و اعطا شده‌اند، و مسلم است کسانی که مواهب الهی را عموماً در جای خود به کار گیرند اندکی بیش نیستند.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۱۴ ص: ۳۳

(آیه ۱۴) - این آیه که در عین حال آخرین سخن پیرامون «سلیمان» در اینجا است، از مرگ عجیب و عبرت انگیز این پیامبر بزرگ خدا سخن می‌گوید، و این واقعیت را روشن می‌سازد که پیامبر با آن عظمت، و حکمرانی با آن قدرت و ابهت، چگونه به آسانی جان به جان آفرین سپرد.

می‌فرماید: «هنگامی که مرگ را برای سلیمان مقرر کردیم کسی مردم را از مرگ او آگاه نساخت، مگر جنبنده‌ای از زمین که عصای او را می‌خورد» تا عصا شکست و پیکر سلیمان فرو افتاد (فَلَمَّا فَضِنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ).

لذا بعد از آن می‌افزاید: «هنگامی که سلیمان فرو افتاد جنیان فهمیدند که اگر از غیب آگاه بودند در عذاب خوارکننده باقی نمی‌ماندند» (فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ).

یعنی تا آن زمان گروه جن از مرگ سلیمان آگاه نبودند و فهمیدند که اگر از اسرار غیب آگاه بودند در این مدت در زحمت و رنج کارهای سنگین باقی نمی ماندند.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۱۵ ص: ۳۳

(آیه ۱۵) - تمدن درخشانی که بر اثر کفران بر باد رفت! بعد از بیان نعمتهای مهمی که خداوند به داود و سلیمان ارزانی داشت، و قیام این دو پیامبر به وظیفه شکرگزاری، سخن از قوم دیگری به میان می آورد که در نقطه مقابل آنها قرار داشتند، قومی بودند که خدا انواع نعمتها را به آنها بخشید، ولی راه کفران را در پیش گرفتند، و آنها «قوم سبا» بودند. قرآن مجید سرگذشت عبرت انگیز آنها را ضمن پنج آیه بیان کرده، نخست می گوید: «برای قوم سبا در محل سکونتشان نشانه‌ای (از قدرت الهی) بود» (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ).

معروف این است که «سبا» نام پدر اعراب «یمن» است، ولی ممکن است سبا بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۴ در ابتدا نام کسی بوده، سپس تمام فرزندان و قوم او به آن نام نامیده شده‌اند، و بعد این اسم به سرزمین آنها نیز منتقل گردیده. سپس قرآن به شرح این آیت الهی که در اختیار قوم سبا قرار داشت پرداخته چنین می گوید: «دو باغ (بزرگ) بود از طرف راست و چپ» (جَنَّاتٍ عَن يَمِينٍ وَ شِمَالٍ).

ماجرا چنین بود که قوم سبا توانستند با سدّ عظیمی که در میان کوههای مهم آن ناحیه بر پا ساختند سیلابهای فراوانی را در پشت آن سد عظیم ذخیره کنند، و به این ترتیب سرزمینهای وسیع و گسترده‌ای را زیر کشت در آورند. سپس می افزاید: ما به آنها گفتیم «از روزی پروردگارتان بخورید و شکر او را به جا آورید» (كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ).

«شهری است پاکیزه و پروردگاری آمرزنده و مهربان» (بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبُّ غَفُورٌ).

از نظر نعمتهای مادی هوایی پاک و نسیمی فرح افزا داشت، و سرزمینی حاصلخیز و درختانی پر بار و اما از نظر نعمت معنوی غفران خداوند شامل حال آنها بود، از تقصیر و کوتاهی آنها صرف نظر می کرد، و آنها را مشمول عذاب و سرزمینشان را گرفتار بلا نمی ساخت.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۱۶ ص: ۳۴

(آیه ۱۶) - اما این ناسپاس مردم از بوته آزمایش سالم بیرون نیامدند لذا می فرماید: «آنها از خدا روی گردان شدند» (فَأَعْرَضُوا).

نعمتهای خدا را ناچیز شمردند، عمران و آبادی و امنیت را ساده انگاشتند، از یاد حق غافل شدند، و مست نعمت گشتند. اینجا بود که شلاق مجازات بر پیکر آنها نواخته شد، چنانکه قرآن می گوید:

«پس ما سیل وحشتناک و بنیان کن را بر آنها فرستادیم» و سرزمین آباد آنها به ویرانه‌ای مبدل شد (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ). سپس قرآن وضع بازپسین این سرزمین را چنین توصیف می کند: «ما دو باغ وسیع و پر نعمت آنها را به دو باغ بی ارزش با میوه‌های تلخ و درختان بی مصرف برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۵

شوره‌گر و اندکی از درخت سدر مبدل ساختیم» (وَ بَدَّلْنَاهُمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أثلٍ وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ).

تو خود حدیث مفصل بخوان از این مجمل، که چه بر سر آنها و سرزمین آبادشان آمد!

سوره سبأ (۳۴): آیه ۱۷ ص: ۳۵

(آیه ۱۷) - در این آیه به عنوان یک نتیجه گیری با صراحت می گوید: «این کیفر را به خاطر کفرانشان به آنها دادیم» (ذَلِكْ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا).

اما برای این که تصور نشود این سرنوشت مخصوص به این گروه بود، بلکه عمومیت آن نسبت به همه کسانی که دارای اعمال مشابهی هستند مسلم است چنین می افزاید: «و آیا جز کفران کننده را کیفر می دهیم؟» (وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ).

سوره سبأ (۳۴): آیه ۱۸ ص: ۳۵

(آیه ۱۸) - چنان آنها را متلاشی کردیم که ضرب المثل شدند! در این آیه شرح و تفصیل بیشتری پیرامون قوم سبأ می دهد، به گونه ای که برای هر شنونده درسی است بسیار مهم و آموزنده.

می فرماید: سرزمین آنها را تا آن حد آباد کردیم که نه تنها شهرهایشان را غرق نعمت ساختیم بلکه «میان آنها و سرزمینهایی را که برکت به آن داده بودیم شهرها و آبادیهای آشکار قرار دادیم» (وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقَرْيَاتِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورًى ظَاهِرَةً). در حقیقت در میان آنها و سرزمین مبارک آبادیهای متصل و زنجیره ای وجود داشت، و فاصله این آبادیها به اندازه ای کم بود که از هر یک دیگری را می دیدند.

- و این است معنی «قری ظاهره» آبادیهای آشکار.

منظور از «سرزمینهای مبارک» «صنعاء» یا «مأرب» می باشد که هر دو در منطقه یمن واقع شده است.

ولی از آنجا که تنها عمران کافی نیست، و شرط مهم و اساسی آن «امنیت» است اضافه می کند: «ما در میان این آبادیها فاصله های مناسب و نزدیک مقرر کردیم» (وَ قَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۶ و به آنها گفتیم: «در میان این قریه ها شبها و روزها در امنیت کامل مسافرت کنید» (سَيُرُوا فِيهَا لِيَالِي وَ أَيَّاماً آمِنِينَ).

سوره سبأ (۳۴): آیه ۱۹ ص: ۳۶

(آیه ۱۹) - اما این مردم ناسپاس گرفتار غرور و غفلت شدند، از مسیر حق منحرف شده و به دستورات الهی بی اعتنا گردیدند. از جمله تقاضاهای جنون آمیز آنها این بود که از خداوند تقاضا کردند در میان سفرهای آنها فاصله افکنند، «پس گفتند: پروردگارا! میان سفرهای ما دوری بیفکن» تا بینوایان نتوانند دوش به دوش اغنیا سفر کنند! (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا). منظورشان این بود که در میان این قریه های آباد فاصله ای بیفتد و بیابانهای خشکی پیدا شود، به این جهت که اغنیا و ثروتمندان مایل نبودند افراد کم درآمد همانند آنها سفر کنند، و به هر جا می خواهند بی زاد و توشه و مرکب بروند! گویی سفر از افتخارات آنها و نشانه قدرت و ثروت بود.

به هر حال «آنها (با این عملشان) به خودشان ستم کردند» (وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ).

آری! اگر فکر می کردند به دیگران ستم می کردند در اشتباه بودند، خنجری برداشته بودند و سینه خود را می شکافتند.

چه تعبیر جالبی! قرآن به دنبال این جمله که در باره سرنوشت دردناک آنها بیان می کند، می گوید: چنان آنها را مجازات

کردیم، و زندگیشان را در هم پیچیدیم که «آنها را سرگذشت و داستان و اخباری برای دیگران قرار دادیم!» (فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ).

آری! از آن همه زندگانی با رونق و تمدن درخشان و گسترده چیزی جز اخباری بر سر زبانها، و یادی در خاطره‌ها، و سطوری بر صفحات تاریخها باقی نماند، «و آنها را سخت متلاشی و پراکنده ساختیم» (و مَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ).

چنان سرزمین آنها ویران گشت که برای ادامه زندگی مجبور شدند هر گروهی به سویی روی آورند آن چنان که پراکندگی آنها به صورت «ضرب المثل» در آمد که هرگاه می‌خواستند بگویند فلان جمعیت سخت متلاشی شدند، می‌گفتند: «تَفَرَّقُوا إِيَادِي سَبَا» همانند قوم سبا و نعمتهای آنها پراکنده شده‌اند! برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۷

و در پایان آیه می‌فرماید: «در این ماجرا نشانه‌های عبرتی است برای هر صبر کننده شکر گزار» (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ).

این به خاطر آن است که آنها به واسطه صبر و استقامتشان مرکب سرکش هوی و هوس را مهار می‌کنند و در برابر معاصی پر قدرتند، و به خاطر شکر گزاریشان در طریق اطاعت خدا آماده و بیدارند به همین دلیل به خوبی عبرت می‌گیرند.

سوره سبا (۳۴): آیه ۲۰ ص: ۳۷

(آیه ۲۰) - هیچ کس مجبور به پیروی و سوسه‌های شیطان نیست! در اینجا یک نوع نتیجه‌گیری کلی از داستان «قوم سبا» کرده، می‌فرماید: «به یقین ابلیس گمان خود را در باره آنها (و هر جمعیتی که از ابلیس پیروی کنند) محقق یافت!» (وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ).

«پس آنان همگی از او پیروی کردند جز گروه اندکی از مؤمنان» (فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ).
یا به تعبیر دیگر پیش بینی ابلیس که بعد از سرپیچی از سجده برای آدم و طرد شدن از درگاه کبریایی خداوند گفت: «به عزت سوگند که همه آنها را جز بندگان مخلصت گمراه خواهم کرد» در باره این گروه درست از آب درآمد. (نمل / ۱۹)

سوره سبا (۳۴): آیه ۲۱ ص: ۳۷

(آیه ۲۱) - در این آیه در رابطه با وسوسه‌های ابلیس و کسانی که در حوزه نفوذ او قرار می‌گیرند، و آنها که بیرون از این حوزه‌اند، به دو مطلب اشاره می‌کند، نخست می‌گوید: «شیطان سلطه‌ای بر آنها نداشت» و کسی را به پیروی خود نمی‌تواند مجبور کند (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ).

قرآن در جای دیگر از گفتار خود شیطان نقل می‌کند: «من سلطه‌ای بر شما نداشتم جز این که شما را دعوت کردم و شما هم دعوت مرا اجابت نمودید. (ابراهیم / ۲۲).

ولی پیداست بعد از اجابت دعوت او از ناحیه افراد بی‌ایمان و هوی پرست او آرام نمی‌نشینند و پایه‌های سلطه خود را بر وجود آنان مستحکم می‌کند.

لذا در دنباله آیه می‌افزاید: «هدف (از آزادی ابلیس در وسوسه‌هایش) این بود، که مؤمنان به آخرت از افراد بی‌ایمان و کسانی که در شکند شناخته شوند» (إِلَّا بَرَّغَزِيدَهُ تَفْسِيرِ نَمُونَهُ، ج ۴، ص: ۳۸

لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ)

و در پایان آیه به عنوان یک هشدار به همه بندگان می‌گوید: «و پروردگار تو حافظ همه چیز و نگاهبان آن است» (و رَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ).

تا پیروان شیطان تصور نکنند چیزی از اعمال و گفتار آنها در این جهان از بین می‌رود یا خداوند آن را فراموش می‌کند.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۲۲..... ص: ۳۸

(آیه ۲۲) - بخش قابل ملاحظه‌ای از آیات این سوره پیرامون مبدأ و معاد و اعتقادات حق سخن می‌گوید، و از پیوند آنها مجموعه‌ای از معارف راستین حاصل می‌شود.

در اینجا مشرکان را به محاکمه می‌کشد، با ضربات کوبنده سؤالات منطقی آنها را به زانو در می‌آورد، و بی‌پایه بودن منطق پوسیده آنها را در زمینه شفاعت بتها آشکار می‌سازد.

می‌فرماید: «به آنها بگو: کسانی را که غیر از خدا (معبود خود) می‌پندارند بخوانید» (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ). اما بدانید آنها هرگز دعای شما را اجابت نمی‌کنند و گرهی از کارتان نمی‌کشایند.

سپس به دلیل این سخن پرداخته، می‌گوید: این به خاطر آن است که «این معبودهای ساختگی نه مالک ذره‌ای در آسمان و زمینند، و نه شرکت و نصیبی در خلقت و مالکیت آنها دارند، و نه هیچ یک از آنها یاور خداوند در آفرینش بوده‌اند!» (لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ).

واجب الوجود یکی است، و بقیه همه ممکن الوجود و وابسته به اویند، که اگر لحظه‌ای نظر لطفش از آنها برداشته شود راهی دیار عدم می‌شوند «اگر نازی کند یک دم، فرو ریزند قالبها!»

سوره سبأ (۳۴): آیه ۲۳..... ص: ۳۸

(آیه ۲۳) - در اینجا فوراً این سؤال به ذهن می‌آید که اگر چنین است پس مسأله «شفاعت» شفیعان چه می‌شود؟

در این آیه به پاسخ این سؤال پرداخته، چنین می‌گوید: اگر شفیعی در درگاه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۹ خدا وجود دارند آن هم به اذن و فرمان اوست، زیرا: «هیچ شفاعتی نزد او جز برای کسانی که اذن داده فایده ندارد» (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ).

بنابر این، بهانه بت پرستان برای پرستش بتها که می‌گفتند: «اینها شفیعان ما نزد خدایند!» (یونس / ۱۸) به این وسیله قطع می‌شود، چرا که خدا هرگز اجازه شفاعتی به آنها نداده است.

بعد از این جمله چنین می‌گوید: در آن روز اضطراب و وحشتی بر دلها چیره می‌شود هم شفاعت کنندگان و هم شفاعت شوندگان غرق در اضطراب می‌شوند، و در انتظار این هستند که ببینند خداوند به چه کسانی اجازه شفاعت می‌دهد؟

و در باره چه کسانی؟ و این حالت اضطراب و نگرانی همچنان ادامه می‌یابد «تا زمانی که فزع و اضطراب از دلهای آنها زایل گردد» و فرمان از ناحیه خدا صادر شود (حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ).

اینجاست که هر دو گروه رو به یکدیگر می‌کنند و از هم «می‌پرسند (یا مجرمان از شافعان می‌پرسند) پروردگار شما چه دستوری داد؟» (قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ).

در پاسخ «می‌گویند: خداوند حق را بیان کرد» (قَالُوا الْحَقَّ).

و «حق» چیزی جز اجازه شفاعت در باره آنها که رابطه خود را بکلی از درگاه خدا قطع نکرده‌اند نمی‌باشد. و در پایان آیه اضافه می‌کند: «و اوست خداوند بلند مقام و بزرگ مرتبه» (وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ). در حقیقت آنها می‌گویند: چون خداوند علی و کبیر است هر دستوری می‌دهد عین واقعیت و هر واقعیتی منطبق بر دستور اوست.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۲۴ ص: ۳۹

(آیه ۲۴) - در این آیه از طریق دیگری برای ابطال عقائد مشرکان وارد می‌شود و مسأله «رازقیت» را بعد از مسأله «خالقیت» عنوان می‌کند، می‌گوید: «بگو:

چه کسی شما را از آسمانها و زمین روزی می‌دهد» و برکات آن را در اختیاران می‌گذارد؟! (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۰

بدیهی است هیچ کس از آنها نمی‌توانست بگوید این بتهای سنگی و چوبی باران را از آسمان نازل می‌کنند، گیاهان را از زمین می‌رویانند.

جالب این که بدون آن که در انتظار پاسخ آنها باشد بلا فاصله می‌فرماید: «بگو: الله» (قُلِ اللَّهُ).

در پایان آیه اشاره به مطلبی می‌کند که خود می‌تواند پایه دلیلی را تشکیل دهد، دلیلی واقع بینانه و توأم با نهایت انصاف و ادب، به گونه‌ای که طرف از مرکب لجاج و غرور پایین آید، و به اندیشه و فکر پردازد، می‌گوید: «مسلم ما یا شما بر هدایت یا ضلالت آشکاری هستیم!» (وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ).

اشاره به این که عقیده ما و شما با هم تضاد روشنی دارد، بنابر این ممکن نیست هر دو حق باشد، چرا که جمع بین نقیضین و ضدین امکان ندارد.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۲۵ ص: ۴۰

(آیه ۲۵) - این آیه باز همان استدلال را به شکل دیگری - و با همان لحن منصفانه‌ای که خصم را از مرکب لجاجت و غرور فرود آورد - ادامه می‌دهد، می‌گوید: «بگو: شما مسؤول گناهان ما نیستید، و ما نیز در برابر اعمال شما مسؤول نخواهیم بود» (قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ).

عجیب این که در اینجا پیامبر صلی الله علیه و اله مأمور است در مورد خودش تعبیر به «جرم» کند، و در مورد مخالفان تعبیر به کارهایی که انجام می‌دهند! و به این ترتیب این حقیقت را روشن سازد که هر کس باید پاسخگوی اعمال و کردار خویش باشد، چرا که نتایج اعمال هر انسانی چه زشت و چه زیبا به خود او می‌رسد.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۲۶ ص: ۴۰

(آیه ۲۶) - این آیه در حقیقت بیان نتیجه دو آیه قبل است، زیرا هنگامی که به آنها اخطار کرد که یکی از ما دو گروه بر حق و دیگری بر باطلیم، و نیز اخطار کرد که هر کدام از ما مسؤول اعمال خویش هستیم، به بیان این حقیقت می‌پردازد که

چگونه به وضع همگی رسیدگی می‌شود.

می‌فرماید: «به آنها بگو: پروردگار ما همه ما را در روز رستاخیز جمع می‌کند، سپس در میان ما به حق داوری می‌کند» و ما را از یکدیگر جدا می‌سازد، تا هدایت شدگان از گمراهان بازشناخته شوند، و هر کدام به نتیجه اعمالشان برسند برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۱

(قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ).

اگر می‌بینید امروز همه با هم آمیخته‌اند و هر کسی ادعا می‌کند من بر حقم و اهل نجاتم، این وضع برای همیشه ادامه پیدا نخواهد کرد، و روز جدایی صفوف سرانجام فراخواهد رسید، چرا که «ربوبیت» پروردگار چنین اقتضا می‌کند که «سره» از «ناسره» و «خالص» از «ناخالص» و «حق» از «باطل» سرانجام جدا شوند، و هر کدام در بستر خویش قرار گیرند. اکنون بیندیشید در آن روز چه خواهید کرد؟ و در کدامین صف قرار خواهید گرفت؟ و آیا پاسخی برای سؤالات پروردگار در آن روز آماده کرده‌اید؟

در پایان آیه برای این که روشن سازد این کار قطعاً شدنی است می‌افزاید:

«اوست داور و جدا کننده آگاه» (وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ).

این دو نام که از اسماء الحسنی الهی است، یکی اشاره به قدرت او بر مسأله جداسازی صفوف می‌کند، و دیگری به علم بی‌پایان او، چرا که جدا ساختن صفوف حق و باطل از یکدیگر بدون این دو ممکن نیست.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۲۷ ص: ۴۱

(آیه ۲۷) - در این آیه که پنجمین فرمان به پیامبر صلی الله علیه و اله می‌باشد بار دیگر به مسأله توحید که سخن را از آن آغاز کرده بود باز می‌گردد و با این مسأله بحث را خاتمه می‌دهد. می‌فرماید: «بگو: کسانی را که به عنوان شریک به خداوند ملحق ساخته‌اید به من ارائه دهید» (قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ).

لذا به دنبال این جمله با یک کلمه خط بطلان بر همه این اوهام کشیده می‌گوید: «نه هرگز چنین نیست!» (كَلَّا).

اینها هرگز ارزش معبود بودن را ندارند، و در این پندارهای شما چیزی از واقعیت نیست، بس است بیدار شوید.

و سرانجام برای تأکید و تحکیم این سخن می‌گوید: «بلکه تنها اوست خداوند عزیز و حکیم» (بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

عزت و شکست‌ناپذیریش ایجاب می‌کند که در حریم ربوبیتش کسی راه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۲

نیابد، و حکمتش اقتضا می‌کند که این قدرت را به جا صرف کند.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۲۸ ص: ۴۲

(آیه ۲۸) - تو مبعوث برای همه جهانیان هستی! این آیه سخن از نبوت پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله می‌گوید، و آیات بعد از آن پیرامون معاد بحث می‌کند.

نخست به وسعت دعوت پیامبر صلی الله علیه و اله و عمومیت نبوت او به همه انسانها اشاره کرده، می‌گوید: «و ما تو را نفرستادیم مگر برای همه مردم جهان در حالی که همگان را به پادشاهای بزرگ الهی بشارت می‌دهی، و از عذاب الهی انذار

می‌کنی، ولی بیشتر مردم از این معنی بی‌خبرند» (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).

سوره سبأ (۳۴): آیه ۲۹ ص: ۴۲

(آیه ۲۹) - از آنجا که در آیات قبل به این معنی اشاره شده بود که خداوند همه مردم را در روز رستاخیز جمع کرده و میان آنها داوری می‌کند، در این آیه سؤالی از ناحیه منکران معاد به این صورت نقل می‌کند: «آنها می‌گویند: اگر راست می‌گویند این وعده رستاخیز در چه زمانی است؟! (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).

سوره سبأ (۳۴): آیه ۳۰ ص: ۴۲

(آیه ۳۰) - ولی قرآن همواره از پاسخ صریح به این مطلب و تعیین زمان وقوع رستاخیز خودداری می‌کند و تأکید می‌کند این از اموری است که علم آن مخصوص خداست، و احدی جز او از آن آگاه نیست.

این آیه همین معنی را با عبارت دیگری بازگو کرده، می‌فرماید: «بگو: وعده شما روزی خواهد بود که نه ساعتی از آن تأخیر خواهید کرد، و نه ساعتی بر آن پیشی خواهید گرفت» (قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ).

این مخفی ماندن تاریخ قیام قیامت - حتی بر شخص پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله - به خاطر آن است که خداوند می‌خواهد مردم یک نوع آزادی عمل توأم با حالت آماده باش دائمی داشته باشند، چرا که اگر تاریخ قیامت تعیین می‌شد هرگاه زمانش دور بود همه در غفلت و غرور و بی‌خبری فرو می‌رفتند، و هرگاه زمانش نزدیک بود ممکن بود آزادی عمل را از دست بدهند و اعمالشان جنبه اضطراری پیدا کند، و در هر دو صورت هدفهای تربیتی انسان عقیم می‌ماند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۳

سوره سبأ (۳۴): آیه ۳۱ ص: ۴۳

(آیه ۳۱) - به تناسب بحثی که در آیات گذشته پیرامون موضعگیری مشرکان در برابر مسأله معاد بود در اینجا بعضی از صحنه‌های دردناک معاد را برای آنها مجسم می‌سازد تا به سرانجام کار خویش واقف گردند.

نخست می‌گوید: «کافران گفتند: ما هرگز به این قرآن و کتابهای آسمانی دیگری که قبل از آن بوده ایمان نخواهیم آورد» (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ).

انکار ایمان نسبت به کتب انبیای پیشین شاید به این منظور بوده که قرآن روی این مطلب تکیه می‌کند که نشانه‌های پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله در تورات و انجیل به وضوح آمده است، آنها برای نفی نبوت پیامبر اسلام کتب آسمانی دیگر را نیز نفی می‌کنند.

سپس به وضع آنها در قیامت پرداخته روی سخن را به پیامبر صلی الله علیه و اله کرده، می‌گوید: «اگر بینی هنگامی که این ستمگران در پیشگاه پروردگارشان (برای حساب و دادرسی) نگه داشته شده‌اند در حالی که هر کدام گناه خود را به گردن دیگری می‌اندازد» از وضع آنها تعجب می‌کنی (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلِ).

در این حال «مستضعفان به مستکبران می‌گویند: اگر شما نبودید ما مؤمن بودیم» (يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ).

آنها می‌خواهند به این وسیله تمام گناهان خویش را بر گردن این «مستکبران» بی‌رحم بیندازند، هر چند در دنیا حاضر نبودند چنین برخورد قاطعی با آنها داشته باشند.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۳۲ ص: ۴۳

(آیه ۳۲) - ولی مستکبران خاموش نمی‌مانند و «در پاسخ به مستضعفین می‌گویند: آیا ما شما را از طریق هدایت باز داشتیم بعد از آن که هدایت به سراغ شما آمد» و به قدر کافی اتمام حجت شد و پیامبران گفتنی‌ها را گفتند (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا اَنْ نَّخُنَّ صَدَدَنَا كُمْ عَنِ الْهُدٰى بَعْدَ اِذْ جَاءَكُمْ).

نه ما مسؤول نیستیم، «بلکه خود شما گنهکار بودید» (بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ).

که با داشتن آزادی اراده تسلیم سخنان بی‌اساس ما شدید، به کفر و الحاد روی برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۴ آوردید و سخنان منطقی انبیا را به دست فراموشی سپردید.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۳۳ ص: ۴۴

(آیه ۳۳) - «و مستضعفان به مستکبران می‌گویند: وسوسه‌های فریبکارانه شما در شب و روز (مایه گمراهی ما شد) هنگامی که به ما دستور می‌دادید که به خداوند کافر شویم و همتیانی برای او قرار دهیم!» (وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوْا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ اِذْ تَأْمُرُوْنَا اَنْ نَّكْفُرَ بِاللّٰهِ وَنَجْعَلَ لَهُ اَنْدَادًا).

درست است که ما در پذیرش آزاد بودیم و مقصر و گنهکار، ولی شما هم به عنوان عامل فساد مسؤولید و گنهکار، بلکه سنگ اول به دست ناپاک شما گذاشته شد، بخصوص این که همواره از موضع قدرت با ما سخن می‌گفتید.

لذا هر دو گروه از کرده خود پشیمان می‌شوند، مستکبران از گمراه ساختن دیگران و مستضعفان از پذیرش بی‌قید و شرط این وسوسه‌های شوم، «اما هنگامی که عذاب الهی را می‌بینند ندامت خود را کتمان می‌کنند (مبادا بیشتر رسوا شوند) و ما غل و زنجیر بر گردن کافران می‌نهم» (وَ اَسْرُوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَاَوْا الْعَذَابَ وَ جَعَلْنَا الْاَغْلَالَ فِیْ اَغْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوْا).

آری! آنها هر وقت در دنیا به اشتباه خود پی می‌بردند و نادم می‌شدند شجاعت اظهار ندامت را نداشتند، و همین خصیصه اخلاقی خود را در قیامت نیز به کار می‌گیرند اما چه سود؟

به هر حال اینها نتیجه اعمال خودشان است که از پیش فراهم ساخته‌اند «آیا آنها جزایی جز اعمالی که انجام می‌دادند دارند؟! (هَلْ يُجْزَوْنَ اِلَّا مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ).

آری! این اعمال و کردار کفار و مجرمین است که به صورت زنجیرهای اسارت بر گردن و دست و پای آنها گذارده می‌شود.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۳۴ ص: ۴۴

(آیه ۳۴) - از آنجا که در آیات گذشته سخن از اغواگری مستکبران بود در اینجا گوشه‌ای از این اغواگری را منعکس می‌سازد، می‌گوید: «و ما هرگز در هیچ شهر و دیاری پیامبر انداز کننده‌ای نفرستادیم مگر این که مترفین (همان متنعمان مغرور و مست نعمت) می‌گفتند: ما به آنچه شما به آن فرستاده شده‌اید کافریم» برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۵

و آنچه را نامش پیام الهی می‌نهد قبول نداریم (وَ مَا اَرْسَلْنَا فِیْ قَوْمِیْهِ مِنْ نَّذِیْرٍ اِلَّا قَالَ مُتْرَفُوْهَا اِنَّا بِمَا اُرْسِلْتُمْ بِهٖ كَافِرُوْنَ).

نه تنها در برابر انبیا که در برابر هر قدم اصلاحی از ناحیه هر دانشمند مصلح و عالم مجاهدی برداشته شود این گروه سر به مخالفت بر می دارند.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۳۵ ص: ۴۵

(آیه ۳۵) - مال و فرزند دلیل قرب به خدا نیست! این آیه به منطق پوشالی آنها که در هر زمانی برای اثبات برتری خود به آن متوسل می شدند و به اغفال عوام می پرداختند اشاره کرده، می گوید: «و آنها گفتند: ما از همه ثروتمندتر و پر اولادتریم» (وَ قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا).

خداوند به ما محبت دارد هم اموال فراوان در اختیار ما نهاده، و هم نیروی انسانی بسیار، و این دلیل بر لطف او در حق ما و نشانه مقام و موقعیت ما در نزد اوست «و ما (نور چشمی ها) هرگز مجازات نخواهیم شد!» (وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ). اگر ما مطرود در گاه او بودیم این همه نعمت چرا به ما می داد؟ خلاصه آبادی دنیای ما دلیل روشنی بر آبادی آخرت ماست!

سوره سبأ (۳۴): آیه ۳۶ ص: ۴۵

(آیه ۳۶) - این آیه این منطق پوشالی و عوام فریبانه را به عالیتین وجهی پاسخ می دهد و درهم می کوبد، روی سخن را به پیامبر صلی الله علیه و اله کرده، می فرماید: «به آنها بگو: پروردگار من روزی را برای هر کس بخواهد گسترش می دهد، و (برای هر کس بخواهد) سخت می گیرد» (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ). و اینها همه طبق مصالحی است که برای آزمون خلق و نظام زندگی انسان لازم می داند و ربطی به قدر و مقام در درگاه خدا ندارد.

بنابر این هرگز نباید وسعت روزی را دلیل بر سعادت، و تنگی روزی را دلیل بر شقاوت شمرد «اما اکثر مردم از این واقعیت بی خبرند» (وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ). البته اکثریت ناآگاه و بی خبر چنین هستند.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۳۷ ص: ۴۵

(آیه ۳۷) - سپس با صراحت بیشتری همین معنی را تعقیب کرده، می گوید: «هرگز چنان نیست که اموال و اولادتان شما را نزد ما مقرب سازد» (وَ مَا أَمْوَالُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۶

این سخن بدان معنی نیست که انسان دست از تلاش و کوشش لازم برای زندگی بردارد، بلکه هدف این است که داشتن امکانات اقتصادی و نیروی انسانی فراوان هرگز معیار ارزش معنوی انسانها در پیشگاه خدا نمی شود.

سپس به معیار اصلی ارزشهای انسانها و آنچه مایه تقرب به درگاه خدا می شود پرداخته و به صورت یک استثنا می گوید: «مگر کسانی که ایمان آورند و عمل صالح انجام دهند که برای آنها در برابر اعمالشان پاداش مضاعف است، و در غرفه های بهشتی در نهایت امنیت به سر می برند» (إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعْفُ بِمَا عَمِلُوا وَ هُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ).

بنابر این تمام معیارها به این دو امر باز می گردد «ایمان» و عمل «صالح».

اینجاست که قرآن با صراحت بی نظیرش قلم بطلان بر تمام پندارهای انحرافی و خرافی در زمینه عوامل قرب به پروردگار

سوره سبأ (۳۴): آیه ۳۸ ص: ۴۶

(آیه ۳۸) - در این آیه گروه مقابل آنها را توصیف کرده، می گوید: «اما آنها که برای انکار و ابطال آیات ما تلاش و کوشش می کنند (نه خود ایمان دارند و نه اجازه می دهند دیگران در راه حق گام نهند) در حالی که چنین می پندارند که می توانند از چنگال قدرت ما فرار کنند، آنها در عذاب دردناک روز قیامت احضار می شوند» (وَ الَّذِينَ يَسْتَعْوَنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ).

آنها همان کسانی هستند که با استفاده از اموال و اولاد و نفرت خود به تکذیب انبیا پرداخته و به وسوسه خلق خدا مشغول شدند.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۳۹ ص: ۴۶

(آیه ۳۹) - بیزاری معبودان از عابدان: بار دیگر در اینجا به پاسخ گفتار آنها که اموال و اولاد خود را دلیل بر قرب خویش در درگاه خداوند می پنداشتند باز می گردد، و به عنوان تأکید می گوید: «بگو: پروردگار من روزی را برای هر کس از بندگانش بخواهد گسترده یا محدود می کند» (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ).

سپس می افزاید: «آنچه را در راه خدا انفاق کنید خداوند جای آن را پر می کند و او بهترین روزی دهندگان است» (وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ بِرِزْقِهِ تَفْسِيرِ نَمُونِه، ج ۴، ص: ۴۷ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)

در روایتی از پیغمبر صلی الله علیه و اله می خوانیم: «کسی که یقین به عوض و جانشین داشته باشد در انفاق کردن سخاوتمند خواهد بود».

اما مسأله مهم این است که انفاق از اموال حلال و مشروع باشد که خدا غیر آن را قبول نمی کند و برکت نمی دهد.

گر چه محتوای این آیه تأکید بر مطلب گذشته است ولی از دو جهت تازگی دارد:

نخست این که آیه ۳۷ که مفهومش همین مفهوم بود بیشتر ناظر به اموال و اولاد کفار بود در حالی که این آیه ناظر به مؤمنان است.

دیگر این که آیه قبل وسعت و تنگی معیشت را در باره دو گروه مختلف بیان می کرد در حالی که این آیه ممکن است اشاره به دو حالت مختلف از یک انسان باشد که گاه روزیش گسترده و گاه تنگ و محدود است.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۴۰ ص: ۴۷

(آیه ۴۰) - و از آنجا که این گروه از ثروتمندان ظالم و طاغی در زمره مشرکان بودند و ادعا می کردند که ما فرشتگان را می پرستیم و آنها شفیعیان ما در قیامت هستند، قرآن به پاسخ این ادعای بی اساس نیز پرداخته چنین می گوید: «و به خاطر بیاور روزی را که خداوند همه آنها (چه عبادت کنندگان و چه عبادت شوندگان) را محشور می کند، سپس فرشتگان را مخاطب ساخته می گوید: آیا اینها شما را عبادت می کردند؟! (وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَ هَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ).

هدف از سؤال فوق این است که از بیان فرشتگان حقایق گفته شود، تا این گروه عبادت کننده سرافکنده و شرمنده شوند، و بدانند آنها از عمل اینها کاملاً بیزارند.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۴۱ ص: ۴۷

(آیه ۴۱) - اکنون ببینیم «فرشتگان» در پاسخ سؤال پروردگار چه می گویند؟ آنها جامعترین و مؤدبانه‌ترین پاسخ را انتخاب کرده چنین «عرض می کنند: منزهی تو ای پروردگار!» از این نسبت‌های ناروا که به ساحت مقدست داده‌اند (قَالُوا سُبْحَانَكَ).

ما به هیچ وجه با این گروه ارتباط نداشته‌ایم «تنها تو ولی ما هستی نه آنها» برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۸ (أَنْتَ وَآلِنَا مِنْ دُونِهِمْ).

آنها ما را پرستش نمی کردند «بلکه جن را می پرستیدند و اکثرشان به جنیان ایمان داشتند» (بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ).

منظور از «جن» شیطان و سایر موجودات خبیثی است که بت پرستان را به این عمل تشویق می کردند، بنابراین مراد از عبادت جن همان اطاعت و پیروی از فرمان و پذیرش وسوسه‌های آنهاست.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۴۲ ص: ۴۸

(آیه ۴۲) - به این ترتیب امید مشرکان در آن روز به نومییدی کامل تبدیل می شود و به وضوح این حقیقت برای آنها روشن می گردد که معبودان آنها کوچکترین گرهی از کارشان نخواهند گشود، بلکه از آنان متنفر و بیزارند.

لذا در این آیه به عنوان یک نتیجه گیری پر معنی می گوید: «پس امروز هیچ یک از شما نسبت به دیگری مالک سود و زیانی نیست» (فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا).

بنابر این نه فرشتگان که ظاهراً معبود آنها بودند می توانند شفاعتی کنند، و نه آنها نسبت به یکدیگر می توانند کمکی انجام دهند.

اینجاست که «به این ظالمان می گوئیم: بچشید عذاب آتشی را که آن را تکذیب می کردید» (و نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ).

سوره سبأ (۳۴): آیه ۴۳ ص: ۴۸

(آیه ۴۳) - با کدام منطق آیات ما را انکار می کنند؟

آیات گذشته از وضع مشرکان و افراد بی ایمان در قیامت سخن می گفت، در اینجا بار دیگر به وضع آنها در این دنیا پرداخته عکس العمل آنان را در برابر شنیدن قرآن بازگو می کند، تا روشن شود آن سرنوشت شوم در قیامت معلول این موضعگیری غلط در مقابل آیات الهی در دنیا است.

نخست می گوید: «هنگامی که آیات روشننگر ما بر آنها خوانده می شود می گویند: این مرد فقط می خواهد شما را از آنچه نیاکانتان پرستش می کردند باز دارد» (وَ إِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصِدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ).

آبَاؤُكُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۹

این نخستین عکس العمل آنها در برابر این «آیات بینات» است که به منظور تحریک حس عصیبت در این قوم متعصب مطرح می کردند.

سپس دومین گفتاری را که برای ابطال دعوت پیامبر صلی الله علیه و اله مطرح می ساختند بیان می کند، می فرماید: «و آنها می گویند: این (قرآن) جز دروغ بزرگی که به خدا بسته شده چیز دیگری نیست!» (قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَارٌ مِّمَّنْ قَدْ كَفَرُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ).

و بالأخره سومین اتهامی را که به پیامبر صلی الله علیه و اله بستند تهمت «سحر» بود، چنانکه در پایان آیه می خوانیم: «کسانی که کافر شدند هنگامی که حق به سراغشان آمد گفتند: این چیزی جز سحر آشکار نیست!» (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ).

سوره سبأ (۳۴): آیه ۴۴ ص: ۴۹

(آیه ۴۴) - قرآن در این آیه بر تمام ادعاهای آنها خط بطلان می کشد، هر چند ناگفته بطلانش روشن است، تمام ادعاهای واهی آنها را با یک جمله پاسخ می دهد، می گوید: «ما قبلا چیزی از کتابهای آسمانی را به آنها نداده ایم که آن را بخوانند (و بر اساس آن به انکار دعوت تو پردازند) و قبل از تو هیچ پیامبری برای آنها نیز نفرستادیم» (وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَ مَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ).

اشاره به این که این ادعاها از کسی قابل طرح است که قبلا پیامبری به سراغ او آمده و کتاب آسمانی برای او آورده و محتوای دعوت تازه را با آن مخالف می بیند و به تکذیب بر می خیزد.

اما کسی که تنها به اتکا فکر خود - بدون هیچ گونه وحی آسمانی - و با نداشتن بهره ای از علم، خرافاتی به هم بافته حق ندارد چنین قضاوت کند.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۴۵ ص: ۴۹

(آیه ۴۵) - در این آیه این گروه سرکش را با بیانی مؤثر و گویا مورد تهدید قرار داده، چنین می گوید: «کسانی که قبل از اینها بودند نیز آیات الهی را تکذیب کردند» (وَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ).

«در حالی که اینها (از نظر قوت و قدرت حتی) به یک دهم آنچه به اقوام پیشین دادیم نمی رسند» (وَ مَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ).

اما ببینید سرنوشت آنها به کجا رسید؟ آری «آنها رسولان مرا تکذیب کردند، برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۰

پس بنگرید مجازات من نسبت به آنها چگونه بود؟» (فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ).

شهرهای ویران شده آنها در زیر ضربات کوبنده مجازات الهی در نزدیکی شما و در مسیرتان به سوی شام قرار دارد، آنها را آینه عبرت بگیرید، که نه سنت الهی تغییر پذیر است و نه شما از آنها برترید!

سوره سبأ (۳۴): آیه ۴۶ ص: ۵۰

(آیه ۴۶) - انقلاب فکری ریشه هر انقلاب اصیل: در این آیه و آیات آینده که بحثهای اواخر این سوره را تشکیل می دهد بار

دیگر به پیامبر اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ می‌دهد که آنها را با دلایل مختلف به سوی حق دعوت کند، و از گمراهی باز دارد.

نخست به خمیر مایه همه تحولات و دگرگونیهای اجتماعی و اخلاقی و سیاسی و اقتصادی و فرهنگی اشاره کرده، و در جمله‌هایی بسیار کوتاه و پرمحتوا می‌گوید: «به آنها بگو: من تنها شما را به یک چیز اندرز می‌دهم، و آن این که برای خدا قیام کنید دو نفر، دو نفر، با یک نفر، یک نفر، سپس اندیشه کنید» (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا).

یعنی در همه چیز، در زندگی معنوی، در زندگی مادی، در مسائل مهم، در مسائل کوچک، و خلاصه در هر کار باید نخست اندیشه کرد، ولی از همه مهمتر، اندیشه برای پیدا کردن پاسخ این چهار سؤال است:

از کجا آمده‌ام؟ آمدنم بهر چه بود؟ به کجا می‌روم؟ و اکنون در کجا هستم؟

«این دوست و همنشین شما (محمد) هیچ گونه انحراف فکری و جنون ندارد» (مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ).

بلکه «او فقط بیم دهنده شماست در برابر عذاب شدید الهی» (إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ).

آیه فوق عصاره دین و خمیر مایه تکامل و پیشرفت انسان را همین اندیشه و تفکر می‌داند.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۴۷ ص: ۵۰

(آیه ۴۷) - در آیه قبل سخن از دعوت به تفکر، و نفی هر گونه عدم تعادل روحی از پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بود. در این آیه سخن از عدم مطالبه اجر و مزد در برابر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۱ رسالت است.

می‌گوید: «بگو: هر اجر و پاداشی از شما خواستم برای شماست» (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ).

«اجر و پاداش من تنها بر خداوند است» (إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ).

من شما را دعوت به تفکر کردم، اکنون بیندیشید، چه چیز سبب شده که من شما را از عذاب شدید الهی انذار کنم؟ چه سود مادی از این کار عائد من می‌شود؟

من اصولاً از شما اجر و پاداشی نخواسته‌ام، و اگر می‌بینید من در بعضی از سخنانم که از سوی پروردگار آورده‌ام به شما گفته‌ام: «من از شما پاداشی نمی‌طلبم جز دوستی خویشاوندانم» (شوری/ ۲۳). این نیز سودش به خود شما بازگشت می‌کند چرا که مودت ذی القربی بازگشت به مسأله «امامت و ولایت» و «تداوم خط نبوت» است که آن نیز برای ادامه هدایت شما ضروری است.

و در پایان آیه می‌فرماید: «و او بر هر چیز شاهد و گواه است» (وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ).

اگر من پاداشم را از او می‌خواهم به خاطر آن است که او از همه اعمال و نیات من آگاه است.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۴۸ ص: ۵۱

(آیه ۴۸) - با توجه به آنچه پیرامون حقانیت دعوت پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ گفته شد، در این آیه می‌گوید: قرآن واقعیتی است انکار ناپذیر که از ناحیه خدا بر قلب پیامبر القا شده است «بگو: پروردگار من حق را می‌افکند که او علام الغیوب است و

از تمام اسرار نمان آگاه است» (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِرُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ).

منظور افكندن «حق» یعنی كتب آسمانی و وحی الهی بر قلوب انبیا و فرستادگان پروردگار است. و این بی شباهت به حدیث معروف (العلم نور یقذفه الله فی قلب من یشاء) علم نوری است که خداوند به دلهای کسانی که بخواهد و شایسته ببیند می افکند» نیست.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۴۹..... ص: ۵۱

(آیه ۴۹) - سپس برای تأکید بیشتر می افزاید: «بگو: حق آمد و باطل (کاری از آن ساخته نیست و) نمی تواند آغازگر چیزی باشد و نه تجدید کننده آن» (قُلْ جَاءَ بَرَكزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۲) الْحَقُّ وَ مَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَ مَا يُعِيدُ)

و به این ترتیب در برابر حق هیچ گونه نقشی نخواهد داشت، نه یک نقش جدید و آغازگر و نه یک نقش تکراری چرا که نقشه هایش نقش بر آب است و درست به همین دلیل نمی تواند نور حق را بپوشاند و اثر آن را از خاطره ها بزدايد.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۵۰..... ص: ۵۲

(آیه ۵۰) - سپس برای این که روشن سازد که آنچه می گوید از سوی خداست، و هر هدایتی از ناحیه اوست، و در وحی الهی هرگز خطایی رخ نمی دهد، می افزاید: «بگو: اگر من گمراه شوم از ناحیه خویشتن گمراه می شوم، و اگر هدایت یابم به وسیله آنچه پروردگارم به من وحی می کند هدایت می یابم» (قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي). یعنی من نیز اگر به حال خود بمانم گمراه می شوم، چرا که پیدا کردن راه حق از میان انبوه باطلها جز به مدد پروردگار ممکن نیست، و نور هدایتی که هیچ گمراهی در آن راه ندارد نور وحی اوست.

به هر حال جایی که پیامبر با تمام علم و آگاهی بدون هدایت الهی به جایی نرسد تکلیف دیگران روشن است. و در پایان آیه می افزاید: «او شنوا و نزدیک است» (إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ). مبادا فکر کنید سخنان ما و شما را نمی شنود!

سوره سبأ (۳۴): آیه ۵۱..... ص: ۵۲

(آیه ۵۱) - آنها راه فرار ندارند: در اینجا با توجه به بحثهایی که پیرامون مشرکان لجوج در آیات پیشین گذشت، روی سخن را بار دیگر به پیامبر صلی الله علیه و اله کرده، حال این گروه را به هنگام گرفتاری در چنگال عذاب الهی مجسم می سازد که چگونه آنها پس از گرفتاری به فکر ایمان می افتند اما ایمانشان سودی نخواهد داشت.

می فرماید: «اگر بینی هنگامی که فریادشان بلند می شود اما نمی توانند فرار کنند، و از چنگال عذاب الهی بگریزند، و آنها را از مکان نزدیکی می گیرند» و گرفتار می سازند از بیچارگی آنها تعجب خواهی کرد (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَ أُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۳

این فریاد و فرغ و بیتابی مربوط به دنیا و عذاب استیصال، و یا لحظه جان دادن است، چرا که در آخرین آیه همین سوره می گوید: «میان آنها و آنچه مورد علاقه آنها بود جدایی افکنده می شود، همان گونه که قبل از آن در باره گروههای دیگری

از کفار این عمل انجام گرفت».

منظور از جمله «أَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ» این است که این افراد بی‌ایمان و ستمگر نه تنها نمی‌توانند از حوزه قدرت خدا فرار کنند بلکه خدا آنها را از جایی گرفتار می‌کند که بسیار به آنها نزدیک است!

سوره سبأ (۳۴): آیه ۵۳ ص: ۵۳

(آیه ۵۲) - در این آیه حال آنها را به هنگام گرفتار شدن در چنگال مجازات الهی بیان کرده، می‌فرماید: «آنها می‌گویند: ما به آن (قرآن و آورنده‌اش و مبدأ و معاد) ایمان آوردیم» (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ).
«ولی چگونه آنها می‌توانند از آن فاصله دور دسترسی به آن پیدا کنند؟! (وَ أُنِّي لَهُمُ التَّنَافُثُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ).
آری! با فرارسیدن مرگ و عذاب استیصال درهای بازگشت بکلی بسته می‌شود، و میان انسان و جبران خلاف کاریهای گذشته گویی سدّ محکمی ایجاد می‌گردد، به همین دلیل اظهار ایمان در آن هنگام گویی از نقطه دور دستی انجام می‌گیرد. اصولاً چنین ایمانی که جنبه اضطراری دارد، ارزشی ندارد.

سوره سبأ (۳۴): آیه ۵۴ ص: ۵۳

(آیه ۵۳) - آنها چگونه می‌توانند در این لحظه‌ای که همه چیز پایان گرفته در مقام جبران خطاهای خویش برآیند و ایمان بیاورند «در حالی که پیش از آن (در همان حالتی که در نهایت اختیار و آزادی اراده بودند) به آن کافر شدند؟! (وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ).
نه تنها کافر شدند بلکه انواع اتهامات را به پیامبر اسلام و تعلیمات او بستند و «در باره جهان غیب (عالم ماوراء طبیعت، و قیامت و نبوت پیامبر) داوریه‌های نادرستی می‌کردند و از نقطه دوردستی نسبتهایی به آن می‌دادند» (وَ يَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۴

سوره سبأ (۳۴): آیه ۵۵ ص: ۵۴

(آیه ۵۴) - سپس می‌افزاید: «سرانجام میان آنها و آنچه مورد علاقه آنان بود (بوسیله مرگ) جدایی افکنده می‌شود، همان گونه که با گروههای مشابه آنها از قبل چنین عمل شد» (وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ).
در یک لحظه دردناک تمام اموال و ثروتها، تمام کاخها و مقامها، و تمام آرزوهای خود را می‌بینند که از آنها جدا می‌شود، آنهایی که سخت به یک درهم و دینار چسبیده بودند و دل از کمترین امکانات مادی بر نمی‌کنند چه حالی خواهند داشت در آن لحظه که باید با همه آن یکباره وداع گویند، و چشم ببوشند، و به سوی آینده‌ای تاریک و وحشتناک گام بردارند؟
بالآخره در آخرین جمله می‌گوید: علت همه این مسائل آن است که «آنها پیوسته در حال شک و تردید به سر می‌بردند» و طبعاً چنین سرنوشتی در انتظار آنها بود (إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ).

«پایان سوره سبأ»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۵

اشاره

این سوره در «مکه» نازل شده و ۴۵ آیه است

محتوای سوره: ص : ۵۵

این سوره- به خاطر سر آغاز آن که با عنوان «فاطر» و «ملائکه» شروع می‌شود- گاه سوره «فاطر» و گاه سوره «ملائکه» نامیده شده و آیات آن را در پنج بخش می‌توان خلاصه کرد.

۱- بخش مهمی پیرامون نشانه‌های عظمت خداوند در عالم هستی و دلائل توحید سخن می‌گوید.

۲- بخش دیگری از آن از ربوبیت پروردگار و خالقیت و رازقیت او و آفرینش انسان از خاک و مراحل تکامل او بحث می‌کند.

۳- بخش دیگر پیرامون معاد و نتایج اعمال در آخرت، و رحمت گسترده الهی در این جهان، و سنت تخلف ناپذیر او در باره مستکبران است.

۴- قسمتی به مسأله رهبری انبیا و مبارزه پی‌گیر و مستمرشان با دشمنان لجوج و سرسخت و دلداری پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله در این زمینه می‌باشد.

۵- سرانجام بخشی از آن بیان مواعظ و اندرزهای الهی در زمینه‌های مختلف است.

بعضی از مفسران تمام این سوره را در یک حلقه خلاصه کرده‌اند و آن مسأله قاهریت خداوند در تمام زمینه‌هاست.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۶

فضیلت تلاوت سوره: ص : ۵۶

علاوه بر روایتی که در آغاز سوره سبأ خواندیم در حدیثی از پیامبر صلی الله علیه و اله آمده است: «هر کس سوره فاطر را بخواند در روز قیامت سه در از درهای بهشت، او را به سوی خود دعوت می‌کند که از هر کدام می‌خواهی وارد شو!» با توجه به این که می‌دانیم درهای بهشت همان عقائد و اعمال صالحی است که سبب وصول به بهشت می‌شود، ممکن است این روایت اشاره به ابواب سه گانه اعتقاد به توحید، معاد و رسالت پیامبر صلی الله علیه و اله باشد.

چنانکه قبلاً هم گفته‌ایم قرآن برنامه عمل است، و تلاوت آن سر آغازی است برای تفکر و ایمان، و آن نیز وسیله‌ای است برای عمل به محتوای آن و این همه پادشاهای عظیم نیز از همین جا و با همین شرائط تحقق می‌یابد- دقت کنید.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره فاطر (۳۵): آیه ۱ ص : ۵۶

(آیه ۱)- گشاینده درهای بسته اوست! آغاز این سوره با حمد پروردگار شروع می‌شود، حمد و ستایش او به خاطر آفرینش

جهان پهناور هستی.

می‌فرماید: «حمد مخصوص خداوندی است که خالق آسمانها و زمین است» و همه نعمتها و مواهب هستی از وجود ذی‌جود او سرچشمه می‌گیرد (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

«فاطر» از ماده «فطور» به معنی شکافتن است، و از آنجا که آفرینش موجودات همانند شکافته شدن ظلمت عدم، و بیرون آمدن نور هستی است، این تعبیر در مورد خلقت و آفرینش به کار می‌رود.

و از آنجا که تدبیر این عالم از سوی پروردگار- به حکم این که عالم، عالم اسباب است- بر عهده فرشتگان گذارده شده، بلافاصله از آفرینش آنها و قدرتهای عظیمی که پروردگار در اختیارشان گذارده سخن می‌گوید.

خداوندی که «فرشتگان را رسولانی قرار داد که دارای بالهای دو گانه و سه گانه و چهار گانه‌اند» (جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعًا).

رسالت در اینجا در معنی وسیع و گسترده‌ای به کار رفته که هم «رسالت برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۷ تشریحی» یعنی همان پیام آوردن از سوی خدا برای انبیا را شامل می‌شود و هم «رسالت تکوینی» را یعنی به عهده گرفتن مأموریت‌های مختلف در جهان آفرینش.

سپس می‌افزاید: «خداوند هر چه بخواهد در آفرینش می‌افزاید چرا که او بر هر چیزی قادر و تواناست» (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

سوره فاطر (۳۵): آیه ۲ ص: ۵۷

(آیه ۲)- بعد از بیان خالقیت پروردگار و رسالت فرشتگان که واسطه فیض‌اند سخن از رحمت او به میان می‌آورد که زیر بنای تمام عالم هستی است.

می‌فرماید: «آنچه را خداوند از رحمت برای مردم بگشاید کسی نمی‌تواند جلو آن را بگیرد» (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا).

«و آنچه را باز دارد و امساک کند کسی بعد از او قادر به فرستادن آن نیست» (وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ).

«چرا که او قدرتمندی است شکست‌ناپذیر و در عین حال حکیم و آگاه» (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

خلاصه این که تمام خزائن رحمت نزد اوست و هر کس را لایق ببیند مشمول آن می‌سازد.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۳ ص: ۵۷

(آیه ۳)- در این آیه به مسأله «توحید عبادت» بر اساس «توحید خالقیت و رازقیت» اشاره کرده، می‌فرماید: «ای مردم! نعمت خداوند را بر خودتان به یاد آورید» (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ).

درست فکر کنید: این همه مواهب و برکات، و این همه امکانات حیاتی که در اختیار شما قرار گرفته و در آن غوطه‌ورید منشأ اصلی و سرچشمه آنها کیست؟! «آیا خالق غیر از خدا، از آسمان و زمین به شما روزی می‌دهد؟» (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ).

اکنون که می‌دانید سرچشمه همه این برکات اوست، پس بدانید «معبودی جز او وجود ندارد» و عبادت و پرستش تنها شایسته

ذات پاک اوست (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ).

«با این حال چگونه (از طریق حق) به سوی باطل منحرف می‌شوید» و به جای الله در برابر بتها سجده می‌کنید! (فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ).
برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۸

سوره فاطر (۳۵): آیه ۴ ص: ۵۸

(آیه ۴) - در بخش دوم از آیات این سوره به دنبال سخنی که پیرامون توحید خالقیت و رازقیت بود، روی سخن را نخست به پیامبر صلی الله علیه و اله و بعد به عموم مردم کرده برنامه‌های عملی آنها را به دنبال برنامه‌های عقیدتی گذشته تشریح می‌کند.

نخست به پیغمبر درس استقامت در مسیر راهش می‌دهد که مهمترین درس برای او همین است، می‌فرماید: «اگر تو را تکذیب کنند (غم مخور، این چیز تازه‌ای نیست) پیامبران قبل از تو نیز مورد تکذیب قرار گرفتند» (وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ). آنها نیز در این راه مقاومت کردند.

مهم این است که «همه کارها به سوی خدا باز می‌گردد» و او ناظر بر همه چیز و حساب‌کننده همه کارهاست (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ).

او هرگز زحمات تو را در این راه نادیده نمی‌گیرد، همان‌گونه که تکذیبهای این مخالفان لجوج را بی‌کیفر نمی‌گذارد.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۵ ص: ۵۸

(آیه ۵) - سپس به بیان مهمترین برنامه انسانها پرداخته، می‌گوید: «ای مردم! وعده خداوند حق است» (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ).

قیامت و حساب کتاب و میزان و مجازات و کیفر و جنت و نار وعده‌هایی است تخلف ناپذیر از سوی خداوند قادر حکیم.
با توجه به این وعده حق «مبادا زندگی دنیا شما را بفریید، و مبادا شیطان مغرور کننده شما را فریب دهد» و به عفو و کرم خدا مغرور سازد (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ).

آری! عوامل سرگرم کننده، و زرق و برقه‌های دل فریب این جهان می‌خواهد تمام قلب شما را پر کنند، و از آن وعده بزرگ الهی غافل سازد مراقب آنها باشید.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۶ ص: ۵۸

(آیه ۶) - این آیه هشدار می‌دهد که به همه مؤمنان در ارتباط با مسأله وسوسه‌های شیطان که در آیه قبل مطرح شده بود، می‌گوید: «شیطان بطور مسلم دشمن شماست، شما نیز او را دشمن خود بدانید» (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا). عداوت او از نخستین روز آفرینش آدم شروع شد.

در دنباله آیه برای تأکید بیشتر می‌افزاید: «او فقط حزبش را برای این دعوت برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۹

می‌کند که اهل آتش سوزان جهنم باشند» (إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ).

شیطان حزب خود را به آلودگی و گناه، به پلیدیهای شهوات، به شرک و طغیان و ستم و سرانجام به آتش جهنم دعوت

می کند.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۷ ص: ۵۹

(آیه ۷) - در این آیه سر انجام کار «حزب الله» و عاقبت دردناک «حزب شیطان» را این چنین بیان می کند: «کسانی که کافر شدند عذاب دردناک از آن آنهاست، و کسانی که ایمان آوردند و عمل صالح انجام دادند مغفرت و پاداش بزرگ دارند» (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ). طبق این آیه کفر به تنهایی موجب عذاب است ولی ایمان بدون عمل مایه نجات نخواهد بود.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۸ ص: ۵۹

(آیه ۸) - از آنجا که در آیات گذشته مردم به دو گروه تقسیم شدند در این آیه یکی از ویژگیهای مهم این دو گروه را که در واقع سرچشمه سایر برنامه های آنهاست بیان کرده، می گوید: «آیا کسی که زشتی عملش در نظر او زینت داده شده، و آن را زیبا می بیند» همانند کسی است که واقعیات را آن گونه که هست زشت و زیبا درک می کند؟ (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا).

در حقیقت این مسأله کلید همه بدبختیهای اقوام گمراه و لجوج است که اعمال زشتشان به خاطر هماهنگی بودن با شهوات و قلبهای سیاهشان در نظرشان زیباست.

اما چه کسی اعمال سوء بدکاران را در نظرشان جلوه می دهد؟

بدون شک عامل اصلی، هوای نفس و شیطان است، اما چون خدا این اثر را در اعمال آنها آفریده می توان آن را به خدا نیز نسبت داد، زیرا انسانها هنگامی که گناهی را مرتکب می شوند در آغاز از عمل خود ناراحت می شوند، اما هر قدر آن را تکرار می کنند از ناراحتی آنها کاسته می شود. تدریجا به مرحله بی تفاوتی می رسند، و اگر باز هم تکرار کنند زشتیها در نظرشان زیبا می شود. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۶۰

سپس قرآن به بیان علت تفاوت این دو گروه پرداخته، می افزاید: «خداوند هر کس را بخواهد گمراه می کند و هر کس را بخواهد هدایت می نماید» (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ).

روشن است این مشیت الهی توأم با حکمت اوست و به هر کس آنچه لایق است می دهد.

لذا در پایان آیه می فرماید: «مبادا بر اثر شدت تأسف و حسرت بر وضع آنها جان خود را از دست دهی» (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ).

اما چرا حسرت نخوری؟ «برای این که خداوند از اعمال آنها آگاه است» و آنچه را شایسته آند به آنها می دهد (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ).

سوره فاطر (۳۵): آیه ۹ ص: ۶۰

(آیه ۹) - در این آیه با توجه به بحثهایی که قبلا- پیرامون هدایت و ضلالت و ایمان و کفر گذشت به بیان کوتاه و روشنی پیرامون مبدأ و معاد می پردازد و اثبات «مبدأ» را با اثبات «معاد» در یک دلیل جالب قرین کرده، می فرماید: «خداوند همان

کسی است که بادهای را فرستاد تا ابرهائی را به حرکت در آورند» (وَ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا).
 «پس ما این ابرها را به سوی سرزمین مرده و خشکی می‌رانیم» (فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ).
 «سپس به وسیله آن زمین را بعد از مردنش زنده می‌کنیم» (فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا).
 «آری! زنده شدن مردگان بعد از مرگ نیز همین گونه است!» (كَذَلِكَ النُّشُورُ).

نظام حساب شده‌ای که بر حرکت بادهای، و سپس حرکت ابرها، و بعد از آن نزول قطره‌های حیات بخش باران، و به دنبال آن زنده شدن زمینهای مرده حاکم است، خود بهترین دلیل و گواه بر این حقیقت است که دست قدرت حکیمی در پشت این دستگاه قرار دارد و آن را تدبیر می‌کند.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۱۰..... ص: ۶۰

(آیه ۱۰) - به دنبال این بحث توحیدی، به اشتباه بزرگ مشرکان که عزت خویش را از بتها می‌خواستند، اشاره کرده، می‌فرماید: «کسانی که عزت می‌خواهند برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۶۱
 (از خدا بطلبند چرا که) تمام عزت از آن خداست» (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا).
 از آنجا که تنها ذات پاک اوست که شکست ناپذیر است، لذا تمام عزت از آن اوست، و هر کس عزتی کسب می‌کند از برکت دریای بی‌انتهای اوست.

در حالات امام حسن مجتبی علیه السلام می‌خوانیم که در ساعات آخر عمرش هنگامی که یکی از یاران به نام «جناده بن ابی سفیان» از او اندرز خواست نصایح ارزنده و مؤثری برای او بیان فرمود که از جمله این بود: «هر گاه بخواهی بدون داشتن قبیله «عزیز» باشی و بدون قدرت حکومت و هیبت داشته باشی، از سایه ذلت معصیت خدا به در آی و در پناه عزت اطاعت او قرار گیر!» سپس راه وصول به «عزت» را چنین تشریح می‌کند: «سخنان پاکیزه و عقاید پاک به سوی او صعود می‌کند» (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ).

«و عمل صالح را او بالا می‌برد» (وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ).

«الکلم الطَّيِّبُ» به اعتقادات صحیح نسبت به مبدأ و معاد و آیین خداوند تفسیر شده است.

سپس به نقطه مقابل آن پرداخته، می‌گوید: «و کسانی که نقشه سوء می‌کشند عذاب شدیدی برای آنهاست» (وَ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ).

«و تلاش و کوشش آلوده و ناپاک و فاسد آنها نابود می‌گردد» و به جایی نمی‌رسد (وَ مَكْرُهُمْ هُوَ يَبُورُ).

سوره فاطر (۳۵): آیه ۱۱..... ص: ۶۱

(آیه ۱۱) - با توجه به این که در آیات گذشته سخن از مسأله توحید و معاد و صفات خدا در میان بود، در این آیه نخست به آفرینش انسان در مراحل مختلف اشاره کرده، می‌گوید: «خداوند شما را از خاک آفرید» (وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ).
 «سپس از نطفه» (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ).

«بعد از آن شما را به صورت همسران یکدیگر درآورد» (ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا).

مسلم است که انسان از خاک است هم از این نظر که جد انسانها، آدم از خاک آفریده شده، و هم از این نظر که تمام موادی

که جسم انسان را تشکیل می‌دهد و یا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۶۲

انسان از آن تغذیه می‌کند، و یا نطفه او از آن منعقد می‌شود همه سر انجام به موادی که در خاکها نهفته است منتهی می‌شود. سپس وارد چهارمین و پنجمین مرحله حیات انسان شده، موضوع «بارداری مادران» و «وضع حمل» آنها را پیش کشیده، می‌گوید: «هیچ جنس ماده‌ای باردار نمی‌شود و وضع حمل نمی‌کند مگر به علم پروردگار» (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ).

خاک بی‌جان و مرده کجا و انسان زنده عاقل و هوشیار و پرابتکار کجا؟! نطفه بی‌ارزش که از چند قطره آب متعفن تشکیل شده کجا و انسانی رشید و زیبا و مجهز به حواس مختلف و دستگاههای گوناگون کجا؟! بعد به مرحله «ششم» و «هفتم» این برنامه شگرف در حلقه دیگر پرداخته و به مراحل مختلف عمر و فزونی و کاستی آن بر اثر عوامل مختلف اشاره کرده، می‌گوید:

«و هیچ انسانی عمر طولانی نمی‌کند، یا از عمرش کاسته نمی‌شود مگر این که در کتاب (علم خداوند) ثبت است» و از قوانین و برنامه‌هایی تبعیت می‌کند که حاکم بر آنها علم و قدرت اوست (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ). و سر انجام آیه را با این جمله پایان می‌دهد: «همه اینها بر خداوند آسان است» (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ).

آفرینش این موجود عجیب و همچنین مسائل مربوط به جنسیت، و زوجیت، و بارداری، و وضع حمل، و افزایش و کاستی عمر، چه از نظر قدرت، و چه از نظر علم و محاسبه همه برای او سهل و ساده است، و اینها گوشه‌ای از آیات انفسی هستند که از یک سو ما را به مبدأ عالم هستی مربوط و آشنا می‌کنند و از سوی دیگر دلائل زنده‌ای بر مسأله امکان معاد محسوب می‌شوند. یک سلسله عوامل طبیعی در افزایش یا کوتاهی عمر دخالت دارند که بسیاری از آنها برای بشر تا کنون شناخته شده است، همانند تغذیه صحیح، کار و حرکت مداوم، دوری از هیجانات مداوم، و داشتن ایمان قوی که بتواند انسان را در ناملایمات زندگی آرامش و قدرت بخشد. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۶۳

ولی علاوه بر اینها عواملی وجود دارد که در روایات اسلامی روی آن تأکید شده است، به عنوان نمونه به دو روایت زیر توجه فرمایید:

الف) پیغمبر گرامی صلی الله علیه و اله می‌فرماید: «انفاق در راه خدا و صلّه رحم خانه‌ها را آباد و عمرها را طولانی می‌کند».

ب) امام باقر علیه السلام می‌فرماید: «نیکوکاری و انفاق پنهانی فقر را بر طرف ساخته، و عمر را افزون می‌کند».

سوره فاطر (۳۵): آیه ۱۲ ص: ۶۳

(آیه ۱۲) - دریای آب شیرین و شور یکسان نیستند! در این آیه به بخش دیگری از آیات آفاقی که نشانه‌های عظمت و قدرت اویند در مورد آفرینش دریاها و برخی برکات و فوائد آنها اشاره کرده، می‌فرماید: «دو دریا یکسان نیستند، این یکی گوارا و شیرین و برای نوشیدن خوشگوار است، و آن دیگر شور و تلخ» (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَ هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ).

با آن که هر دو، روز نخست به صورت قطرات باران شیرین و گوارا از آسمان بر زمین نازل شده‌اند، و هر دو از یک ریشه مشتقند، اما در دو چهره کاملاً مختلف با فوائد متفاوت ظاهر گشته‌اند.

و عجیب این که: «از هر دو گوشت تازه می‌خورید» (وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا).

«و از هر دو وسائل زینتی برای پوشیدن استخراج می کنید» (وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا).

به علاوه از هر دو می توانید برای نقل و انتقالات خود و متاعها بهره بگیرید لذا «کشتیها را می بینی که از هر طرف دریاها را می شکافند و پیش می روند، تا از فضل خداوند بهره گیرید و شاید حق شکر او را ادا کنید» (وَ تَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

سوره فاطر (۳۵): آیه ۱۳..... ص: ۶۳

(آیه ۱۳) - باز در اینجا به قسمت دیگری از آیات توحید و نعمتهای بی پایان پروردگار اشاره می کند تا ضمن آگاهی دادن به انسان حس شکرگزاری آنان را در مسیر شناخت معبود حقیقی برانگیزد، می فرماید: «او شب را در روز داخل می کند برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۶۴

و روز را در شب» (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ).

بعد به مسأله تسخیر خورشید و ماه اشاره کرده، می گوید: «و خورشید و ماه را مسخر (شما) کرده» (وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ). چه تسخیری از این برتر و بالاتر که همه آنها در مسیر منافع انسان حرکت می کنند، و سر چشمه انواع برکات در زندگی بشوند.

اما این خورشید و ماه در عین این که بطور کاملا منظم در مسیر خود می گردند و خدمتگزار لایق و خوبی برای انسانند نظامی که حاکم بر آنهاست جاودانی نیست.

لذا به دنبال بحث تسخیر می افزاید: «هر یک تا سر آمد معینی به حرکت خود ادامه می دهد» (كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى). سپس به عنوان نتیجه گیری از این بحث توحیدی می فرماید: «این است خداوند، پروردگار شما» (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ). خداوندی که نظام نور و ظلمت و حرکات حساب شده خورشید و ماه را با تمام برکاتشان مقرر فرموده است. «حاکمیت در عالم مخصوص اوست» (لَهُ الْمُلْكُ).

«و معبودهایی را که شما جز او می خوانید حتی حاکمیت و مالکیت (به اندازه) پوست نازکی که روی هسته خرما کشیده شده (در سرتاسر عالم هستی) ندارند» (وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ).

سوره فاطر (۳۵): آیه ۱۴..... ص: ۶۴

(آیه ۱۴) - سپس می افزاید: «اگر آنها را (برای حل مشکلات خود) بخوانید هرگز صدای شما را نمی شنوند» (إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ).

چرا که قطعاتی از سنگ و چوب بیش نیستند جمادند و بی شعور! «و به فرض که (ناله و اصرار و الحاح شما را) بشنوند هرگز توانایی پاسخگویی به نیازهای شما ندارند» (وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ).

چرا که روشن شد حتی به اندازه پوست نازک هسته خرمایی مالک سود و زیانی در جهان هستی نیستند. و از این بالاتر «روز قیامت که می شود آنها پرستش و شرک شما را منکر می شوند» (وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۶۵

و می گویند: خداوند! اینها پرستش ما نمی کردند بلکه هوای نفس خویش را در حقیقت می پرستیدند.

در پایان آیه برای تأکید بیشتر می‌فرماید: «هیچ کس مانند خداوندی که از همه چیز آگاه است تو را با خبر نمی‌سازد» (وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ).

اگر می‌گویند: بتها در قیامت پرستش شما را انکار می‌کنند، و از شما بیزاری می‌جویند، تعجب نکنید، زیرا کسی از این موضوع خبر می‌دهد که از تمام عالم هستی و ذره ذره آن آگاه است.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۱۵ ص: ۶۵

(آیه ۱۵) - در تعقیب دعوت مؤکدی که در آیات گذشته به سوی توحید و مبارزه با هر گونه شرک و بت پرستی آمده بود ممکن است این توهم برای بعضی پیش آید که خداوند چه نیازی به پرستش ما دارد؟

در این آیه می‌فرماید: «ای مردم! شما نیازمند به خدا هستید و خداوند از هر نظر بی‌نیاز و شایسته حمد و ستایش است» (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ).

آری! بی‌نیاز حقیقی و قائم بالذات در تمام عالم هستی یکی است و او خدا است، همه انسانها بلکه همه موجودات سر تا پا نیازمند و فقر و وابسته به آن وجود مستقل که اگر لحظه‌ای ارتباطشان قطع شود هیچند و پوچ. این ما هستیم که از طریق عبادت و اطاعت او، راه تکامل را می‌پیمایم و به آن مبدأ بی‌پایان فیض در پرتو عبودیتش لحظه به لحظه نزدیکتر می‌شویم.

بنابر این او هم «غنی» است و هم «حمید» یعنی در عین بی‌نیازی آنقدر بخشنده و مهربان است که شایسته هر گونه حمد و سپاسگزاری است.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۱۶ ص: ۶۵

(آیه ۱۶) - در این آیه برای تأکید همین فقر و نیاز انسانها به او می‌فرماید: «اگر بخواهد شما را می‌برد و خلق جدیدی را می‌آورد» (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ). او نه نیازی به طاعت شما دارد و نه بیمی از گناهانتان.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۱۷ ص: ۶۵

(آیه ۱۷) - و در این آیه باز به عنوان تأکید مجدد می‌فرماید: «و این کار برای خدا ناممکن نیست» (وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۶۶

آری! او هر چه را اراده کند به آن فرمان می‌دهد موجود باش آن نیز بلافاصله موجود می‌شود.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۱۸ ص: ۶۶

(آیه ۱۸) - این آیه به پنج «نکته» در ارتباط با آیات قبل اشاره می‌کند:

نخست این که در آیات گذشته آمده بود که «اگر خدا بخواهد شما را می‌برد و قوم دیگری را به جای شما می‌آورد» این سخن ممکن است برای بعضی این سؤال را به وجود آورد که مخاطبین این آیه همه از افراد گنهکار نیستند، آیا ممکن است

مؤمنان صالح نیز گرفتار عواقب گناهان دیگران شوند و محکوم به فنا گردند؟

اینجاست که می‌فرماید: «و هیچ گنهکاری بار گناه دیگری را بر دوش نمی‌کشد» (وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى .

این جمله از یک سوار تباط به عدل خداوند دارد که هر کس را در گرو کار خود می‌شمرد، و از سوی دیگر به شدت مجازات روز رستاخیز اشاره دارد.

در جمله دوم همین مسأله را به صورت دیگری مطرح می‌کند، می‌گوید:

«و اگر شخص سنگین باری، دیگری را برای حمل گناهان خود بخواند (پاسخ منفی به دعوت او می‌دهد و) چیزی از آن را بر دوش نخواهد گرفت هر چند از نزدیکان او باشد» (وَ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَ لَوْ كَانَتْ ذَا قُرْبَى .

بالأخره در سومین جمله پرده از این حقیقت بر می‌دارد که انذارهای پیامبر صلی الله علیه و اله تنها در دل‌های آماده اثر می‌گذارد، می‌فرماید: «تو فقط کسانی را بیم می‌دهی که از پروردگار خود در پنهانی می‌ترسند و نماز را بر پا می‌دارند» (إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ).

تا در دلی خوف خدا نباشد، و در نهان و آشکار احساس مراقبت یک نیروی معنوی بر خود نکند، و با انجام نماز که قلب را زنده می‌کند و به یاد خدا و او می‌دارد به این احساس درونی مدد نرساند، انذارهای انبیا و اولیا بی‌اثر خواهد بود.

در جمله چهارم باز به این حقیقت بر می‌گردد که خدا از همگان بی‌نیاز است، می‌افزاید: «و هر کس پاکی (و تقوا) پیشه کند نتیجه آن به خودش باز می‌گردد» (وَ مَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۶۷

و سرانجام در پنجمین و آخرین جمله هشدار می‌دهد که اگر نیکان و بدان به نتایج اعمال خود در این جهان نرسند مهم نیست چرا که «بازگشت (همگان) به سوی خداست» و سرانجام حساب همه را خواهد رسید! (وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ).

سوره فاطر (۳۵): آیه ۱۹ ص: ۶۷

(آیه ۱۹) - نور و ظلمت یکسان نیست! به تناسب بحثهایی که پیرامون ایمان و کفر در آیات گذشته بود، در اینجا چهار مثال جالب برای مؤمن و کافر ذکر می‌کند که آثار «ایمان» و «کفر» به روشنترین وجه در آن مجسم شده است.

در نخستین مثال «کافر» و «مؤمن» را به «نابینا» و «بینا» تشبیه کرده، می‌گوید:

«هرگز کور و بینا مساوی نیستند» (وَ مَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَ الْبَصِيرُ).

ایمان به انسان در جهان بینی، و اعتقاد، و عمل، و تمام زندگی روشنایی و آگاهی می‌دهد، اما کفر ظلمت است و تاریکی، و در آن نه بینش صحیحی از کل عالم هستی است، و نه از اعتقاد درست و عمل صالح خبری.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۲۰ ص: ۶۷

(آیه ۲۰) - و از آن جا که چشم بینا به تنهایی کافی نیست باید روشنایی و نوری نیز باشد، تا انسان با کمک این دو عامل موجودات را مشاهده کند، در این آیه می‌افزاید: «و نه تاریکیها با نور برابرند» (وَ لَا الظُّلُمَاتُ وَ لَا النُّورُ).

چرا که تاریکی منشأ گمراهی و عامل سکون و رکود است، اما نور و روشنایی منشأ حیات و زندگی و حرکت و جنبش و رشد و نمو و تکامل است.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۲۱..... ص: ۶۷

(آیه ۲۱) - سپس می‌افزاید: «و هرگز سایه (آرام بخش) با باد داغ و سوزان یکسان نیستند» (وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُّورُ). مؤمن در سایه ایمانش در آرامش و امن و امان به سر می‌برد، اما کافر به خاطر کفرش در ناراحتی و رنج می‌سوزد.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۲۲..... ص: ۶۷

(آیه ۲۲) - و سرانجام در آخرین تشبیه می‌گوید: «و هرگز زندگان و مردگان یکسان نیستند!» (وَمَا يَشْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ).

مؤمنان زندگانند، و دارای تلاش و کوشش و حرکت و جنبش، اما کافر همچون چوب خشکیده‌ای است که نه طراوتی، نه برگی، نه گلی و نه سایه دارد و جز برای سوزاندن مفید نیست. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۶۸
و در پایان آیه می‌افزاید: «خداوند پیام خود را به گوش هر کس بخواهد می‌رساند» (إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ). تا دعوت حق را به گوش جان بشنود، و به ندای منادیان توحید لبیک گوید.

«و تو نمی‌توانی سخن خود را به گوش آنان که در گور خفته‌اند برسانی!» (وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ). فریاد تو هر قدر رسا، و سخنان هر اندازه دلنشین، و گویا باشد، مردگان و کسانی که بر اثر اصرار در گناه و غوطه‌ور شدن در تعصب و عناد و ظلم و فساد روح انسانی خود را از دست داده‌اند مسلماً آمادگی برای پذیرش دعوت تو ندارند.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۲۳..... ص: ۶۸

(آیه ۲۳) - بنابراین از عدم ایمان آنها نگران مباش، و بیتابی مکن، وظیفه تو ابلاغ و انذار است «تو تنها بیم دهنده‌ای» (إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ).

سوره فاطر (۳۵): آیه ۲۴..... ص: ۶۸

(آیه ۲۴) - اگر کوردلان ایمان نیاورند عجیب نیست در آیات گذشته به اینجا رسیدیم که افرادی هستند همچون مردگان و نابینایان که سخنان انبیا در دل آنان کمترین اثری ندارد، به دنبال آن در اینجا برای این که پیامبر صلی الله علیه و اله را در این زمینه دلداری دهد، می‌فرماید: «ما تو را به حق برای بشارت و انذار فرستادیم، و هیچ امتی در گذشته نبود مگر این که انذار کننده‌ای داشت» (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ).

تو ندای خود را به گوش آنان برسان، به پادشاهای الهی بشارت ده، و از کیفرهای پروردگار آنها را بترسان، خواه پذیرا شوند یا بر سر عناد و لجاج بایستند.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۲۵..... ص: ۶۸

(آیه ۲۵) - در این آیه می‌افزاید: «اگر تو را تکذیب کنند (عجیب نیست و غمگین مباش) زیرا کسانی که قبل از آنها بودند نیز (پیامبرانشان را) تکذیب کردند، در حالی که فرستادگان آنها با معجزات و دلائل روشن، و کتابهای محتوی پند و اندرز، و

کتابهای آسمانی مشتمل بر احکام و قوانین روشنی بخش، به سراغشان آمدند» (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ).

سوره فاطر (۳۵): آیه ۲۶..... ص: ۶۸

(آیه ۲۶) - در این آیه به کیفر دردناک این گروه اشاره کرده، می فرماید: چنان بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۶۹ نبود که آنها از کیفر الهی مصون بمانند، و دائما به تکذیبهای خود ادامه دهند، «سپس، کافران را گرفتم» و سخت مجازات کردم (ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا).

جمعی را گرفتار طوفان ساختیم، گروهی را گرفتار تندباد ویرانگر، و جمعی را بوسیله صیحه آسمانی و صاعقه و زلزله درهم کوبیدیم! سپس در پایان برای تأکید و بیان عظمت و شدت مجازات آنها می گوید: «مجازات من نسبت به آنها چگونه بود؟! (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ).

این درست به آن می ماند که شخصی عمل مهمی را انجام می دهد و بعد از حاضران سؤال می کند کار من چگونه بود؟

سوره فاطر (۳۵): آیه ۲۷..... ص: ۶۹

(آیه ۲۷) - این همه نقش عجب بر در و دیوار وجود! در اینجا بار دیگر به مسأله توحید باز می گردد، و صفحه تازه ای از کتاب تکوین را در برابر دیدگان انسانها می گشاید، تا پاسخی دندان شکن به مشرکان لجوج و منکران سرسخت توحید باشد. نخست می گوید: «آیا ندیدی خداوند از آسمان آبی نازل کرد و بوسیله آن میوههایی به وجود آوردیم با الوان مختلف» (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا).

آری! می بینید که از آب و زمین واحد یکی بی رنگ و دیگری تنها دارای یک رنگ این همه رنگهای مختلفی از میوههای گوناگون، گلهای زیبا، برگها و شکوفهها، در چهرههای مختلف به وجود آمده است. «الوان» ممکن است به معنی رنگهای ظاهری میوهها باشد و ممکن است کنایه از تفاوت در طعم و ساختمان و خواص گوناگون آنها بوده باشد.

در دنباله آیه به تنوع طوقی که در کوهها وجود دارد، و سبب شناخت جادهها از یکدیگر می شود اشاره کرده، می گوید: «و از کوهها نیز جادههایی آفریده شده به رنگ سفید و سرخ، با رنگهایی متفاوت و (گاه) به رنگ کاملاً سیاه» (وَ مِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَ غَرَابِيبٌ سُودٌ).

سوره فاطر (۳۵): آیه ۲۸..... ص: ۶۹

(آیه ۲۸) - در این آیه مسأله تنوع الوان را در انسانها و جانداران دیگر مطرح کرده، می گوید: «از انسانها و جنبندها و چهار پایان نیز (افرادی آفریده شده که) بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۷۰ رنگهای متفاوتی دارند» (وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ).

آری! انسانها با این که همه از یک پدر و مادرند دارای نژادها و رنگهای کاملاً متفاوتند، بعضی سفید همچون برف، بعضی سیاه همچون مرکب، حتی در یک نژاد نیز تفاوت در میان رنگها بسیار است.

گذشته از چهره ظاهری، رنگهای باطنی آنها، و خلق و خویهای آنها، و استعداد و ذوقهایشان، کاملاً متنوع و مختلف است. پس از بیان این نشانه‌های توحیدی در پایان به صورت یک جمع بندی می‌گوید: «آری مطلب چنین است» (كَذَلِكَ). و از آنجا که بهره‌گیری از این آیات بزرگ آفرینش بیش از همه برای بندگان خردمند و دانشمند است در دنباله آیه می‌فرماید: «تنها بندگان عالم و دانشمندان که از خدا می‌ترسند» (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ). آری! از میان تمام بندگان، دانشمندانند که به مقام عالی خشیت یعنی «ترس از مسؤولیت توأم با درک عظمت مقام پروردگار» نائل می‌گردند، این حالت «خشیت» مولود سیر در آیات آفاقی و انفسی و آگاهی از علم و قدرت پروردگار، و هدف آفرینش است.

در حدیثی از امام صادق علیه السلام در تفسیر همین آیه می‌خوانیم: «منظور از علما کسانی هستند که اعمالشان آنها هماهنگ با سخنانشان باشد کسی که گفتارش با کردارش هماهنگ نباشد عالم نیست». و در پایان آیه به عنوان یک دلیل کوتاه بر آنچه گذشت می‌فرماید: «خداوند توانای شکست‌ناپذیر و آمرزنده است» (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ).

«عزت» و قدرت بی‌پایانش سرچشمه خوف و خشیت اندیشمندان است، و «غفوریتش» که نشانه رحمت بی‌انتهای اوست سبب رجاء و امید آنان است، و به این ترتیب این دو نام مقدس، بندگان خدا را در میان خوف و رجاء نگه می‌دارد، و می‌دانیم حرکت مداوم به سوی تکامل بدون اتصاف به این دو وصف ممکن نیست.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۲۹ ص: ۷۰

(آیه ۲۹) - معامله پرسود با پروردگار! از آنجا که در آیه قبل به مقام خوف برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۷۱ و خشیت عالمان اشاره شده بود در این آیه به مقام «امید و رجاء» آنها اشاره کرده، می‌فرماید: «کسانی که کتاب الهی را تلاوت می‌کنند، و نماز را بر پا می‌دارند، و از آنچه به آنها روزی داده‌ایم در پنهان و آشکار انفاق می‌کنند، آنها امید تجارته دارند که نابودی و فساد و کساد در آن نیست» (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ).

بدیهی است که «تلاوت» در اینجا به معنی قرائت سرسری و خالی از تفکر و اندیشه نیست، خواندنی است که سرچشمه فکر باشد، فکری که سرچشمه عمل صالح گردد، عملی که از یک سو انسان را به خدا پیوند دهد که مظهر آن نماز است، و از سوی دیگر به خلق خدا ارتباط دهد که مظهر آن انفاق است.

این انفاق گاهی مخفیانه صورت می‌گیرد تا نشانه اخلاص کامل باشد «سراً».

و گاه آشکارا تا مشوق دیگران گردد و تعظیم شعائر شود «علانیه».

آری! علمی که چنین اثری دارد مایه رجاء و امیدواری است.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۳۰ ص: ۷۱

(آیه ۳۰) - این آیه هدف این مؤمنان راستین را چنین بیان می‌کند: «آنها (این اعمال صالح را انجام می‌دهند) تا خداوند اجر و پاداششان را بطور کامل بپردازد، و از فضلش بر آنها بیفزاید که او آمرزنده و شکور است» (لِيُؤْتِيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَ يَرِيدهُمْ مِنْ

فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ).

این جمله در حقیقت اشاره به نهایت اخلاص آنهاست که در اعمال نیک خود جز به پاداش الهی نظر ندارند، و خداوند علاوه بر پاداش معمولی که آن خود گاهی صدها یا هزاران برابر عمل است از فضل خود بر آنان می‌افزاید، و مواهبی، از فضل گسترده‌اش به آنها می‌بخشد.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۳۱ ص: ۷۱

(آیه ۳۱) - از آنجا که در آیات گذشته سخن از مؤمنان پاکدلی در میان بود که آیات کتاب الهی را تلاوت می‌کنند و به کار می‌بندند، در این آیه از این کتاب آسمانی و دلائل صدق آن و همچنین حاملان واقعی کتاب سخن می‌گوید، و بحثی را که در آیات پیشین پیرامون توحید بود با این بحث که پیرامون نبوت است تکمیل کرده، می‌فرماید: «و آنچه از کتاب بر تو وحی فرستادیم حق است، و آنچه را در کتب برگزیده تفسیر نموده، ج ۴، ص: ۷۲

پیشین آمده تصدیق می‌کند، خداوند نسبت به بندگانش آگاه و بیناست» (وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ).

جمله (إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) بیانگر علت حقانیت قرآن و هماهنگی آن با واقعیتها و نیازهاست، چرا که از سوی خداوندی نازل شده که بندگان خود را به خوبی می‌شناسد و نسبت به نیازهایشان بصیر و بیناست.

«خبیر» به معنی آگاهی از بواطن و عقائد و نیات و ساختمان روحی انسان، و «بصیر» به معنی بینایی نسبت به ظواهر و پدیده‌های جسمانی اوست.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۳۲ ص: ۷۲

(آیه ۳۲) - وارثان حقیقی میراث انبیا: این آیه به موضوع مهمی در این رابطه - یعنی حاملان این کتاب بزرگ آسمانی، همان کسانی که بعد از نزول قرآن بر قلب پاک پیامبر صلی الله علیه و اله این مشعل فروزان را در آن زمان و قرون و اعصار دیگر حفظ و پاسداری نمودند - اشاره کرده، می‌فرماید: «سپس این کتاب آسمانی را به گروهی از بندگان برگزیده خود به ارث دادیم» (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا).

منظور از «کتاب» در اینجا قرآن مجید است.

«ارث» به چیزی گفته می‌شود که بدون داد و ستد و زحمت به دست می‌آید، و خداوند این کتاب بسیار بزرگ را این گونه در اختیار مسلمانان قرار دارد.

سپس به یک تقسیم‌بندی مهم در این زمینه پرداخته، می‌گوید: «از میان آنها عده‌ای به خویشتن ستم کردند، و گروهی راه میانه را در پیش گرفتند، و گروهی به فرمان خدا در نیکیها بر دیگران پیشی گرفتند، و این فضیلت بزرگی است» (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ).

خداوند پاسداری این کتاب آسمانی را بعد از پیامبرش بر عهده این امت گذاشته، امتی که برگزیده خداست، ولی در میان این امت گروه‌های مختلفی یافت می‌شوند: بعضی به وظیفه بزرگ خود در پاسداری از این کتاب و عمل به احکامش کوتاهی کرده، و در حقیقت بر خویشتن ستم نمودند.

گروهی دیگر تا حد زیادی به این وظیفه پاسداری و عمل به کتاب قیام نموده‌اند، هر چند لغزشها و نارسائیهایی در کار خود نیز داشته‌اند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۷۳

و بالأخره گروه ممتازی وظائف سنگین خود را به نحو احسن انجام داده، و در این میدان مسابقه بزرگ بر همگان پیشی گرفته‌اند که در رأس این گروه امامان معصوم علیهم السلام قرار دارند.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۳۳ ص: ۷۳

(آیه ۳۳) - آنجا که نه غمی است، نه رنجی، و نه درماندگی! این آیات در حقیقت نتیجه‌ای است برای آنچه در آیات گذشته آمده بود، می‌فرماید: پاداش پیشگامان در خیرات و نیکیها «باغهای جاویدان بهشت است که همگی در آن وارد می‌شوند» (جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا).

سپس به سه بخش از نعمتهای بهشتی که بعضی جنبه مادی دارد و ظاهری، و بعضی جنبه معنوی و باطنی، و قسمتی نیز ناظر به نفی و طرد هر گونه مانع و مزاحم است اشاره کرده، می‌گوید: «این پیشگامان در خیرات در آن بهشت جاویدان به دستبندهایی از طلا و مروارید آراسته‌اند و لباسشان در آنجا حریر است!» (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤًا وَ لِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ).

آنها در این دنیا به زرق و برقها بی‌اعتنایی کردند، در بند لباسهای فاخر نبودند، خداوند به جبران اینها در جهان دیگر بهترین لباسها و زیورها را بر آنها می‌پوشاند.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۳۴ ص: ۷۳

(آیه ۳۴) - بعد از ذکر این نعمت مادی به نعمت معنوی خاصی اشاره کرده، می‌فرماید: «آنها می‌گویند: حمد (و ستایش) برای خداوندی است که اندوه را از ما بر طرف ساخته» (وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ). سپس این مؤمنان بهشتی می‌افزایند: «پروردگار ما آمرزنده و سپاسگزار است» (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ). با وصف غفوریتش اندوه سنگین لغزشها و گناهان را بر طرف ساخته، و با وصف شکوریتش مواهب جاودانی که هرگز سایه شوم غم بر آنها نمی‌افتد به ما ارزانی داشته.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۳۵ ص: ۷۳

(آیه ۳۵) - سر انجام به سراغ آخرین نعمت که نبودن عوارض ناراحتی و عوامل مشقت و خستگی و رنج و تعب است رفته، از قول آنها می‌گوید: ستایش برای «آن کسی است که با فضل خود ما را در این سرای اقامت (جاویدان) جای داد برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۷۴

که نه در آنجا رنجی به ما می‌رسد و نه سستی و واماندگی!» (الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ).

و به این ترتیب در آنجا نه عوامل مشقت‌بار جسمانی وجود دارد، نه از اسباب رنج روحی خبری است.

(آیه ۳۶) - معمولاً - قرآن در کنار «بشارتها» به «انذارها» می‌پردازد تا دو عامل خوف و رجا را که انگیزه حرکت تکاملی است تقویت کند. لذا در اینجا سخن از مجازاتهای مادی و معنوی است.

نخست می‌فرماید: «آنها که راه کفر را پیش گرفتند آتش دوزخ برای آنهاست» (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ).

همان گونه که بهشت دار مقام و سرای جاویدان است، دوزخ نیز برای این گروه جایگاه ابدی است.

سپس می‌افزاید: «هرگز فرمان مرگ آنها صادر نمی‌شود تا بمیرند» و از این رنج و الم‌رهایی یابند (لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا). مرگ برای این گونه اشخاص یک دریچه نجات است، اما با جمله گذشته این دریچه بسته شده، باقی می‌ماند دریچه دیگر و آن این که زنده بمانند و مجازاتشان تدریجاً تخفیف یابد، و یا تحمل آنها را بیفزاید تا نتیجه آن تخفیف درد و رنج باشد، این دریچه را نیز با جمله دیگری می‌بندد، می‌گوید: «چیزی از عذاب دوزخ از آنها تخفیف داده نخواهد شد» (وَ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا).

و در پایان آیه به عنوان تأکید بر قاطعیت این وعید الهی می‌فرماید: «این گونه هر کفران کننده‌ای را جزا می‌دهیم!» (كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ).

آری! جزای کفران کننده سوختن در عذاب دردناک آتش است، آتشی که با دست خود افروخته و هیزمش را افکار و اعمال و وجود او تشکیل می‌دهد.

(آیه ۳۷) - ما را بازگردانید تا عمل صالح انجام دهیم! این آیه به قسمت دیگری از عذاب دردناک آنها پرداخته، و انگشت روی بعضی از نکات حساس در این زمینه گذارده، می‌گوید: «آنها در دوزخ فریاد می‌زنند: برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص:

۷۵

پروردگارا! ما را خارج کن تا عمل صالحی به جا بیاوریم غیر از آنچه انجام می‌دادیم» (وَ هُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ).

آری! آنها با مشاهده نتایج اعمال سوء خود در ندامت عمیقی فرو می‌روند، و تقاضای بازگشت به دنیا می‌کنند برای انجام اعمال صالح.

به هر حال در برابر این تقاضای یک پاسخ قاطع از سوی خداوند به آنها داده می‌شود، می‌فرماید: «آیا شما را به اندازه‌ای که هر کس اهل تذکر است در آن متذکر می‌شود عمر ندادیم؟! (أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُ).

«و (آیا) بیم دهنده الهی به سراغ شما نیامد؟! (وَ جَاءَكُمْ النَّذِيرُ).

اکنون که چنین است و تمام وسائل نجات در اختیاران بوده و از آن بهره نگرفتید باید در همین جا گرفتار باشید «اکنون بچشید که برای ستمگران یآوری نیست!» (فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ).

(آیه ۳۸) - در این آیه به تقاضایی که کفار در دوزخ برای بازگشت به دنیا دارند پاسخ داده، می گوید: «خداوند غیب آسمانها و زمین را می داند، چنین خدایی مسلماً از آنچه در درون دلهاست آگاه است» (إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)

آری! او می داند اگر به درخواست دوزخیان پاسخ مثبت گفته شود و باز به دنیا برگردند همان اعمال گذشته را ادامه خواهند داد.

علاوه بر این، آیه هشدار است به همه مؤمنان که در اخلاص نیات خویش بکوشند و جز خدا کسی را در نظر نداشته باشند.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۳۹ ص: ۷۵

(آیه ۳۹) - به دنبال بحثهایی که در آیات گذشته پیرامون سرنوشت کفار و مشرکان آمده بود، در اینجا از طریق دیگری آنها را مورد بازخواست قرار داده، بطلان طریقه آنها را با دلائل آشکاری روشن می سازد.

نخست می گوید: «او کسی است که شما را جانشینان در زمین قرار داد» (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ).

او عقل و شعور و فکر و هوش داده، و طریقه استفاده کردن از این امکانات را برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۷۶ به شما انسانها آموخته است، با این حال چگونه ولی نعمت اصلی خود را فراموش کردید.

این جمله، هشدار است به همه انسانها که بدانند دوران آنها ابدی و جاودانی نیست، همان گونه که آنها جانشین اقوام دیگر شدند پس از چند روزی آنها نیز می روند و اقوام دیگری جانشین آنها خواهند شد.

به همین دلیل بلافاصله می گوید: «پس هر کس کافر شود کفر او به زیان خودش خواهد بود» (فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ).

«و کفر کافران در نزد پروردگارشان چیزی جز خشم و غضب نمی افزاید» (وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا). خشم

الهی به معنی بر چیدن دامنه رحمت و دریغ داشتن لطف از کسانی است که مرتکب اعمال زشتی شده اند.

و به هر حال «کفرشان چیزی جز زیان و خسران به آنان نمی افزاید» (وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا).

سوره فاطر (۳۵): آیه ۴۰ ص: ۷۶

(آیه ۴۰) - این آیه پاسخ قاطع دیگری به مشرکان می دهد و به آنها خاطر نشان می سازد که اگر انسان از چیزی تبعیت می کند یا به آن دل می بندد باید دلیلی از عقل بر آن داشته باشد، یا دلیلی از نقل قطعی، شما که هیچ یک از این دو را در اختیار ندارید تکیه گاهی جز فریب و غرور نخواهید داشت.

می فرماید: «بگو: این معبودانی را که جز خدا می خوانید به من نشان دهید چه چیزی از زمین را آفریده اند!» (قُلْ أَرَأَيْتُمْ

شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ).

«یا این که در آفرینش آسمان شریکند»؟! (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ).

با این حال پرستش آنها چه دلیلی دارد؟! معبود بودن فرع بر خالق بودن است، حال که ثابت شد هیچ دلیل عقلی برای مدعای

شما نیست، آیا دلیلی از نقل در اختیار دارید؟ «آیا کتابی (آسمانی) در اختیار آنها گذارده ایم و آنها دلیل روشنی از آن بر کار

خود دارند»؟! (أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ).

نه آنها هیچ دلیل و بینه و برهان روشنی از کتب الهی در اختیار ندارند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۷۷

پس سرمایه آنها چیزی جز مکر و فریب نیست «بلکه این ستمگران به یکدیگر جز وعده‌های دروغین نمی‌دهند» (بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا).

سوره فاطر (۳۵): آیه ۴۱ ص: ۷۷

(آیه ۴۱) - آسمانها و زمین با دست قدرت او برپاست! در این آیه سخن از حاکمیت خدا بر مجموعه آسمانها و زمین است، و در حقیقت بعد از نفی دخالت معبودهای ساختگی در جهان هستی به اثبات توحید خالقیت و ربوبیت پرداخته، می‌فرماید: «خداوند آسمانها و زمین را نگاه می‌دارد تا از نظام خود منحرف نشوند» (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا).
نه تنها آفرینش در آغاز با خداست که نگهداری و تدبیر و حفظ آنها نیز به دست قدرت اوست، بلکه آنها هر لحظه آفرینش جدیدی دارند و فیض هستی لحظه به لحظه به آنها می‌رسد، که اگر لحظه‌ای رابطه آنها با آن مبدأ بزرگ قطع شود راه فنا و نیستی را پیش می‌گیرند.

اگر نازی کند یکدم فرو ریزند قالبها!

سپس به عنوان تأکید می‌افزاید: «و هر گاه منحرف گردند، کسی جز او نمی‌تواند آنها را نگاه دارد» (وَلَيْئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَرَ كَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ).

نه بت‌های ساختگی شما، نه فرشتگان، و نه غیر آنها، هیچ کس قادر بر این کار نیست.

در پایان آیه برای این که راه توبه را به روی مشرکان گمراه نبندد و اجازه بازگشت در هر مرحله به آنها دهد می‌فرماید: «او بردبار و غفور است» (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا).

به مقتضای حلمش در مجازات آنها تعجیل نمی‌کند و به مقتضای غفوریتش توبه آنها را با شرایطش در هر مرحله که باشد پذیرا می‌شود.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۴۲ ص: ۷۷

اشاره

(آیه ۴۲)

شأن نزول: ص: ۷۷

«مشرکان عرب هنگامی که می‌شنیدند بعضی از امت‌های پیشین همچون یهود، پیامبران الهی را تکذیب کردند، و آنها را به شهادت رساندند، می‌گفتند: ولی ما چنین نیستیم! اگر فرستاده الهی به سراغ ما بیاید ما هدایت پذیرترین امت‌ها خواهیم بود! ولی همانها هنگامی که آفتاب عالم‌تاب اسلام از افق برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۷۸
سرزمینشان طلوع کرد و پیامبر اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ همراه بزرگترین کتاب آسمانی به سراغشان آمد نه تنها نپذیرفتند بلکه در مقام تکذیب و مبارزه و انواع مکر و فریب برآمدند.

این آیه و دو آیه بعد نازل شد و آنها را بر این ادعاهای تو خالی و بی اساس مورد ملامت و سرزنش قرار داد.

تفسیر: ص: ۷۸

استکبار و حيله گری، سر چشمه بدبختیهای آنها بود در آیات پیشین سخن از مشرکان و سرنوشت آنها در دنیا و آخرت در میان بود.

در این آیه می فرماید: «آنها با نهایت تأکید سوگند یاد کردند اگر انذار کننده ای به سراغشان بیاید بطور مسلم از همه امتها هدایت یافته تر خواهند بود» (وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ إِيحَادِي الْأُمَمِ). آری! آنها هنگامی که تماشاگر صفحات تاریخ گذشته بودند، بسیار تعجب می کردند و همه گونه ادعا در باره خود داشتند و لافها می زدند.

اما هنگامی که «محک تجربه آمد به میان» و کوره امتحان سخت داغ شد و خواسته آنها عملی شد نشان دادند که آنها نیز از همان قماشند، بطوریکه قرآن در دنباله همین آیه فرموده: «پس هنگامی که انذار کننده الهی آمد جز فرار و فاصله گرفتن از حق چیزی بر آنها نیفزود!» (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا).

این تعبیر نشان می دهد که آنها قبلاً نیز بر خلاف ادعاهایشان طرفدار حق نبودند، قسمتی از آیین ابراهیم را که در میان آنها وجود داشت محترم نمی شمردند.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۴۳ ص: ۷۸

(آیه ۴۳) - این آیه توضیحی است بر آنچه در آیه قبل گذشت، می گوید:

دوری آنها از حق «به خاطر این بود که طریق استکبار در زمین را پیش گرفتند» و هرگز حاضر نشدند در برابر حق تسلیم شوند (اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ).

و نیز به خاطر آن بود که «حيله گریهای زشت و بد را» پیشه کردند (وَ مَكْرُ السَّيِّئِ).

«ولی این حيله گریهای سوء تنها دامان صاحبانش را می گیرد» (وَ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ).

او را در برابر خلق خدا رسوا و بینوا، و در پیشگاه الهی شرمسار می کند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۷۹

در حقیقت این آیه می گوید: آنها تنها به دوری کردن از این پیامبر بزرگ الهی قناعت نکردند، بلکه برای ضربه زدن به او از تمام توان و قدرت خود کمک گرفتند، و انگیزه اصلی آن کبر و غرور و عدم خضوع در مقابل حق بود.

در دنباله آیه این گروه مستکبر مکار و خیانتکار را با جمله پر معنی و تکان دهنده ای تهدید کرده، می گوید: «آیا آنها انتظاری جز این دارند که گرفتار همان سرنوشت پیشینیان شوند؟! (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ).

این جمله کوتاه اشاره ای دارد به تمام سرنوشتهای شوم اقوام گردنکش و طغیانگری همچون قوم نوح، و عاد، و ثمود، و قوم فرعون که هر کدام به بلای عظیمی گرفتار شدند.

سپس برای تأکید بیشتر می افزاید: «هرگز برای سنت الهی تغییر و تبدیلی نمی یابی، و هرگز برای سنت الهی دگرگونی نخواهی یافت» (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا).

نوسان و دگرگونی سنتها در باره کسی تصور می‌شود که آگاهی محدودی دارد، ولی پروردگاری که عالم و حکیم و عادل است سنتش در باره آیندگان همان است که در باره پیشینیان بوده است، سنتهایش ثابت و تغییر ناپذیر است.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۴۴ ص: ۷۹

(آیه ۴۴) - در این آیه این گروه مشرک و مجرم را به پیگیری آثار گذشتگان و سرنوشتی که به آن گرفتار شدند دعوت می‌کند، تا آنچه را از تاریخ در باره آنها شنیده‌اند با چشم در سرزمینهای متعلق به آنها، و در لابلای آثارشان ببینند، می‌فرماید: «آیا سیر در زمین نکردند تا بنگرند عاقبت کار کسانی که پیش از آنها بودند چه شد؟! (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ).

اگر اینها چنین تصور می‌کنند که از آنان نیرومندترند سخت در اشتباهند، چرا که «آنها از اینها قویتر و پر قدرت تر بودند» (وَ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً).

به علاوه انسانها هر قدر نیرومند و قوی باشند قدرت آنها در برابر قدرت خداوند صفر است، چرا که «نه چیزی در آسمان، نه در زمین، از حوزه قدرت او فرار برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۸۰

نخواهد کرد، و او را عاجز و ناتوان نخواهد ساخت» (وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ).
زیرا «او دانا و تواناست» (إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا).

نه چیزی از نظرش مخفی و پنهان می‌ماند، و نه کاری در برابر قدرتش مشکل است، و نه کسی بر او چیره می‌شود.

سوره فاطر (۳۵): آیه ۴۵ ص: ۸۰

(آیه ۴۵) - اگر لطف او نبود جنبنده‌ای بر پشت زمین نبود! این آیه که آخرین آیه سوره «فاطر» است بحثهای تند و تهدیدهای شدید گذشته این سوره را با بیان لطف و رحمت پروردگار بر مردم روی زمین پایان می‌دهد، همان گونه که این سوره را با گشایش رحمت خدا بر مردم آغاز کرد.

آیه قبل که مجرمان بی‌ایمان را تهدید به سرنوشت پیشینیان می‌کرد این سؤال را برای بسیاری از آنها و دیگران مطرح می‌سازد که اگر سنت الهی در باره همه گردنکشان چنین است پس چرا این قوم مشرک و سرکش مگه را مجازات نمی‌کند؟! در پاسخ این سؤال می‌فرماید: «اگر خداوند همه مردم را به خاطر اعمالی که انجام داده‌اند مجازات کند (و هیچ مهلتی برای اصلاح و تجدید نظر و خودسازی به آنان ندهد) جنبنده‌ای را بر پشت زمین باقی نخواهد گذاشت» (وَ لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ).

آن چنان مجازاتهای پی در پی نازل می‌شد و صاعقه‌ها و زلزله‌ها و طوفانها گنهکاران ظالم را در هم می‌کوبید که زمین جای زندگی برای کسی نبود.

«ولی خداوند (به لطف و کرمش) آنها را تا زمان معینی به تأخیر می‌اندازد» و به آنها فرصت برای توبه و اصلاح می‌دهد (وَ لَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى).

اما این حلم و فرصت الهی حسابی دارد، تا زمانی است که اجل آنها فرا نرسیده باشد، «اما هنگامی که اجل آنها فرارسد (هر کس را به مقتضای عملش جزا می‌دهد چرا که) خداوند نسبت به بندگانش بصیر و بیناست» هم اعمال آنها را می‌بیند و هم از

نیات آنها با خبر است (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا).

«پایان سوره فاطر»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۸۱

سوره یس [۳۶] ص: ۸۱

اشاره

این سوره در «مکه» نازل شده و ۸۳ آیه دارد

محتوای سوره: ص: ۸۱

در این سوره چهار بخش عمده مخصوصاً دیده می‌شود:

- ۱- نخست سخن از رسالت پیامبر اسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَوَالِدِهِ الْأَمِيِّنَ و هدف از نزول این کتاب بزرگ آسمانی است.
- ۲- بخش دیگر از رسالت سه نفر از پیامبران الهی، و چگونگی دعوت آنها به سوی توحید و مبارزه پی‌گیر و طاقتفرسای آنها با شرک سخن می‌گوید.
- ۳- بخشی از این سوره که از آیه ۳۳ شروع می‌شود و تا آیه ۴۴ ادامه دارد مملو از نکات جالب توحیدی، و بیان گویا از آیات و نشانه‌های عظمت پروردگار در عالم هستی است.
- ۴- بخش مهم دیگری از این سوره در مسائل مربوط به «معاد» و دلایل گوناگون آن و چگونگی حشر و نشر، و سؤال و جواب در روز قیامت، و پایان جهان، و بهشت و دوزخ سخن می‌گوید، و در لابلاهای این بحثها آیاتی تکان دهنده برای بیداری و هشیاری غافلان و بی‌خبران آمده است که اثری نیرومند در دلها و جانها دارد.

فضیلت تلاوت سوره: ص: ۸۱

سوره «یس» در احادیث به عنوان «قلب قرآن» نامیده شده است.

در حدیثی از پیامبر اسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَوَالِدِهِ الْأَمِيِّنَ می‌خوانیم: «هر چیز قلبی دارد، و قلب قرآن یس است». برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۸۲

در حدیثی از امام صادق علیه السلام نیز همین معنی آمده است و در ذیل آن می‌افزاید: «هر کس آن را در روز پیش از آن که غروب شود بخواند در تمام طول روز محفوظ و پر روزی خواهد بود، و هر کس آن را در شب پیش از خفتن بخواند خداوند هزار فرشته را بر او مأمور می‌کند که او را از هر شیطان رجیم و هر آفتی حفظ کنند...» و به دنبال آن فضائل مهم دیگری نیز بیان می‌فرماید.

این عظمت به خاطر محتوای عظیم این سوره است.

محتوایی بیدارگر ایمان بخش و مسئولیت آفرین و تقوازا که وقتی انسان در آن اندیشه کند و این اندیشه در اعمال او پرتوافکن گردد خیر دنیا و آخرت را برای او به ارمغان می‌آورد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره یس (۳۶): آیه ۱ ص: ۸۲

(آیه ۱) - سر آغاز «قلب قرآن» این سوره همانند ۲۸ سوره دیگر قرآن مجید با حروف مقطعه آغاز می‌شود، و این بار دو حرف «یا- سین» (یس). آیه اول سوره را تشکیل می‌دهد.
در خصوص سوره «یس» در روایتی از امام صادق علیه السلام می‌خوانیم که فرمود:
«یس نام رسول خداست و دلیل بر آن این است که بعد از آن می‌فرماید تو از مرسلین و بر صراط مستقیم هستی».

سوره یس (۳۶): آیه ۲ ص: ۸۲

(آیه ۲) - به دنبال این حروف مقطعه - همانند بسیاری از سوره‌هایی که با حروف مقطعه آغاز شده - سخن از قرآن مجید به میان می‌آورد، منتها در اینجا به آن سوگند یاد کرده، می‌گوید: «سوگند به قرآن حکیم» (وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ).
گویی قرآن را موجودی زنده و عاقل و رهبر و پیشوا معرفی می‌کند که می‌تواند درهای حکمت را به روی انسانها بگشاید.
البته خداوند نیازی به سوگند ندارد، ولی سوگندهای قرآن همواره دارای دو فایده مهم است: نخست تأکید روی مطلب، و دیگر بیان عظمت چیزی که به آن سوگند یاد می‌شود.
برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۸۳

سوره یس (۳۶): آیه ۳ ص: ۸۳

(آیه ۳) - این آیه چیزی را که سوگند آیه قبل به خاطر آن بوده است بازگو می‌کند، می‌فرماید: «مسلمتا تو از رسولان خداوند هستی» (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ).

سوره یس (۳۶): آیه ۴ ص: ۸۳

(آیه ۴) - رسالتی که توأم با حقیقت است و «بودن تو بر صراط مستقیم» (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

سوره یس (۳۶): آیه ۵ ص: ۸۳

(آیه ۵) - سپس می‌افزاید: این قرآنی است که «از ناحیه خداوند عزیز و رحیم نازل شده» (تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ).
عزّت و رحمتش که یکی مظهر «انذار» و دیگری مظهر «بشارت» است با هم آمیخته و این کتاب بزرگ آسمانی را در اختیار انسانها گذارده است.

سوره یس (۳۶): آیه ۶ ص: ۸۳

(آیه ۶) - این آیه هدف اصلی نزول قرآن را این گونه شرح می دهد:

قرآن را بر تو نازل کردیم «تا قومی را انذار کنی که پدران آنها انذار نشدند و به همین دلیل آنها در غفلت فرو رفته اند» (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ).

قرآن نازل شد تا مردم غافل را هوشیار، و خواب زدگان را بیدار سازد.

سوره یس (۳۶): آیه ۷ ص: ۸۳

(آیه ۷) - سپس قرآن به عنوان یک پیشگویی در باره سران کفر و سردمداران شرک می گوید: «فرمان و وعده الهی بر اکثر آنها تحقق یافته و به همین دلیل ایمان نمی آورند» (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ).

حقیقت این است که انسان در صورتی اصلاح پذیر و قابل هدایت است که فطرت توحیدی خود را با اعمال زشت و اخلاق آلوده اش بکلی پایمال نکرده باشد و گر نه تاریکی مطلق بر قلب او چیره خواهد شد و تمام روزنه های امید برای او بسته می شود.

سوره یس (۳۶): آیه ۸ ص: ۸۳

(آیه ۸) - این آیه ادامه توصیف این گروه نفوذ ناپذیر است، در نخستین توصیف آنها می گوید: «ما در گردنهای آنها غلهایی قرار دادیم که تا چانه های آنها ادامه دارد، و سرهای آنها را به بالا نگاه داشته است» (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ).

چه جالب است تشبیهی که از حال بت پرستان لجوج خصوصا سران آنها به برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۸۴ چنین انسانهایی شده، آنها طوق «تقلید» و زنجیر «عادات و رسوم خرافی» را بر گردن و دست و پای خود بسته اند و غلهای آنها آنقدر پهن و گسترده است که سر آنها را بالا نگاه داشته و از دیدن حقایق محروم ساخته، آنها اسیرانی هستند که نه قدرت فعالیت و حرکت دارند و نه قدرت دید! آیه فوق هم می تواند ترسیمی از حال این گروه بی ایمان در دنیا باشد، و هم بیان حال آنها در آخرت که تجسمی است از مسائل این جهان.

سوره یس (۳۶): آیه ۹ ص: ۸۴

(آیه ۹) - این آیه توصیف دیگری از همین افراد است، و ترسیم گویایی از عوامل نفوذ ناپذیری آنها، می فرماید: «و ما در پیش روی آنها سدی قرار دادیم و در پشت سرشان سدی» (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا).

آنها در میان این دو سد چنان محاصره شده اند که نه راه پیش دارند و نه راه بازگشت! و در همین حال «چشمانشان را پوشانده ایم لذا نمی بینند» (فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ).

و چنین است حال مستکبران خودخواه و خودبین، و مقلدان کور و کر، و متعصبان لجوج در برابر چهره حقایق!

سوره یس (۳۶): آیه ۱۰ ص: ۸۴

(آیه ۱۰) - به همین دلیل در این آیه صریحا می گوید: «برای آنها یکسان است، چه آنها را انذار کنی، یا نکنی، ایمان نمی آورند!» (وَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ).
گفتار تو هر قدر نافذ، و وحی آسمانی هر قدر مؤثر باشد، تا در زمینه آماده وارد نشود تأثیر نخواهد گذاشت.

سوره یس (۳۶): آیه ۱۱ ص: ۸۴

(آیه ۱۱) - چه کسانی انذار تو را می پذیرند؟ در آیات گذشته سخن از گروهی در میان بود که به هیچ وجه آمادگی پذیرش انذارهای الهی را ندارند، اما در اینجا از گروه دیگری که درست در نقطه مقابل آنها قرار گرفته اند سخن می گوید، تا با مقایسه با یکدیگر - همان گونه که روش قرآن در بحث است - مسأله روشنتر شود.

می فرماید: «تو تنها کسی را انذار می کنی که از ذکر پیروی کند، و از خداوند برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۸۵
رحمان در پنهان بترسد» و از طریق برهان و استدلال او را بشناسد (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ). کسی که گوش شنوا و قلب آماده دارد.

«و کسی که چنین است او را بشارت به مغفرت و پاداش پر ارزش ده» (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ).

سوره یس (۳۶): آیه ۱۲ ص: ۸۵

(آیه ۱۲) - سپس به تناسب بحثی که در آیات گذشته پیرامون اجر و پاداش پر ارزش مؤمنان و پذیرندگان انذارهای انبیا آمده بود در این آیه به مسأله «معاد و رستخیز و ثبت و ضبط اعمال برای حساب و جزا» اشاره کرده، می فرماید: «ما مردگان را زنده می کنیم» (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى).

«و تمام آثار آنها را می نویسیم» (و نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آثَارَهُمْ).

بنابر این چیزی فروگذار نخواهد شد مگر این که در نامه اعمال برای روز حساب محفوظ خواهد بود.

و در پایان آیه برای تأکید بیشتر می افزاید: «و ما همه چیز را در کتاب آشکار احصا کرده ایم» (وَ كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ).

سوره یس (۳۶): آیه ۱۳ ص: ۸۵

(آیه ۱۳) - سرگذشت «اصحاب القریه» برای آنها عبرتی است در تعقیب بحثهایی که در زمینه قرآن و نبوت پیامبر اسلام صلی الله علیه و آله و مؤمنان راستین و منکران لجوج گذشت در اینجا نمونه ای از وضع امتهای پیشین در همین زمینه مطرح شده، و در ضمن این آیه و چندین آیه بعد که مجموعا هجده آیه را تشکیل می دهد سرگذشتی از چند تن از پیامبران پیشین را بیان می کند، تا هم هشدار باشد برای مشرکان مکه، و هم تسلی و دلداری باشد برای پیامبر و مؤمنان اندک آن روز، به هر حال تکیه بر این سرگذشت در قلب این سوره که خود قلب قرآن است به خاطر شباهت تمامی است که با موقعیت مسلمانان آن روز دارد.

نخست می فرماید: «و برای آنها اصحاب قریه را مثال بزن هنگامی که فرستادگان خدا به سوی آنها آمدند» (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۸۶

«قریه» مفهوم گسترده‌ای دارد که هم شهرها را شامل می‌گردد و هم روستاها را، هر چند در زبان فارسی معمولی تنها به روستا اطلاق می‌شود.

مشهور در میان مفسران این است که منظور از «قریه» در اینجا «انطاکیه» یکی از شهرهای شامات بوده است. از آیات این سوره بر می‌آید که اهل این شهر بت پرست بودند و این رسولان برای دعوت آنها به سوی توحید و مبارزه با شرک آمده بودند.

سوره یس (۳۶): آیه ۱۴ ص: ۸۶

(آیه ۱۴) - سپس قرآن بعد از این بیان اجمالی و سر بسته، به شرح ماجرا پرداخته، چنین می‌گوید: «در آن زمان که دو نفر از رسولان را به سوی آنها فرستادیم، اما آنها رسولان ما را تکذیب کردند، لذا برای تقویت آن دو، شخص سومی ارسال نمودیم، آنها همگی گفتند: ما فرستادگان به سوی شما از طرف پروردگاریم» (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ).

سوره یس (۳۶): آیه ۱۵ ص: ۸۶

(آیه ۱۵) - اکنون بینیم آن قوم گمراه در مقابل دعوت رسولان چه واکنشی نشان دادند، قرآن می‌گوید: همان بهانه‌ای را که بسیاری از کافران سرکش در برابر پیامبران الهی پیش کشیدند مطرح نمودند «آنان (در جواب) گفتند: شما بشری همانند ما نیستید و خداوند رحمان چیزی نازل نکرده، شما فقط دروغ می‌گویید!» (قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ).

اگر بنا بود فرستاده‌ای از طرف خدا بیاید باید فرشته مقربی باشد نه انسانی همچون ما، و همین را دلیل برای تکذیب رسولان و انکار نزول فرمان الهی پنداشتند.

سوره یس (۳۶): آیه ۱۶ ص: ۸۶

(آیه ۱۶) - به هر حال این پیامبران از مخالفت سرسختانه آن قوم گمراه مأیوس نشدند و ضعف و سستی به خود راه ندادند، و در پاسخ آنها چنین گفتند:

پروردگار ما می‌داند که ما قطعاً فرستادگان او به سوی شما هستیم» (قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ).

سوره یس (۳۶): آیه ۱۷ ص: ۸۶

(آیه ۱۷) - «و بر عهده ما چیزی جز ابلاغ رسالت بطور آشکار و روشن نیست» (وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۸۷

سوره یس (۳۶): آیه ۱۸ ص: ۸۷

(آیه ۱۸) - ولی این کوردلان در برابر آن منطق روشن و معجزات تسلیم نشدند، بلکه بر خشونت خود افزودند، و از مرحله تکذیب پا فراتر نهاده به مرحله تهدید و شدت عمل گام نهادند «گفتند: ما شما را به فال بد گرفته‌ایم» وجود شما شوم است و مایه بدبختی شهر و دیار ما! (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ).

ممکن است مقارن آمدن این پیامبران الهی بعضی مشکلات در زندگی مردم آن دیار بر اثر گناهانشان و یا به عنوان هشدار الهی حاصل شده باشد، باز به این هم قناعت نکردند، بلکه با تهدیدی صریح و آشکار نیات شوم و زشت خود را ظاهر ساختند، و گفتند: «اگر از این سخنان دست برندارید مسلماً شما را سنگسار خواهیم کرد، و مجازات دردناکی از ما به شما خواهد رسید!» (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَ لَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ).

ممکن است ذکر «عذاب الیم» اشاره به این باشد که سنگسار نمودن شما را آنقدر ادامه می‌دهیم تا مایه مرگ شما شود.

سوره یس (۳۶): آیه ۱۹ ص: ۸۷

(آیه ۱۹) - اینجا بود که رسولان الهی با منطق گویای خود به پاسخ هذیانهای آنها پرداختند، و «گفتند: شومی شما از خودتان است اگر درست بیندیشید به این حقیقت واقف خواهید شد» (قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَ إِنْ ذُكِّرْتُمْ).

اگر بدبختی و تیره روزی و حوادث شوم محیط جامعه شما را فرا گرفته، و برکات الهی از میان شما رخت بر بسته، عامل آن را در درون جان خود، در افکار منحط و اعمال زشت و شومتان جستجو کنید، نه در دعوت ما.

و سرانجام آخرین سخن این فرستادگان پروردگار به آنان این بود که: «شما گروهی اسرافکارید» (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِفُونَ).

اگر توحید را انکار کرده، به شرک روی می‌آورید، دلیل آن اسراف و تجاوز از حق است، و اگر جامعه شما گرفتار سرنوشت شوم شده است سبب آن نیز اسراف در گناه و آلودگی به شهوات است.

سوره یس (۳۶): آیه ۲۰ ص: ۸۷

(آیه ۲۰) - مجاهدی جان بر کف! در اینجا بخش دیگری از مبارزات رسولانی که در این داستان به آنها اشاره شده، آمده است، و آن مربوط به حمایت برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۸۸

حساب شده و شجاعانه مؤمنان اندک از آنهاست که در برابر اکثریت کافر و مشرک و لجوج ایستادند و تا سر حد جان از پیامبران الهی دفاع کردند.

نخست می‌فرماید: «و مردی (با ایمان) از نقطه دور دست شهر با سرعت و شتاب (به سراغ گروه کافران) آمد و گفت: ای قوم من! از فرستادگان خدا پیروی کنید» (وَ جَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ).

این مرد که نامش را «حسیب نجار» ذکر کرده‌اند هنگامی که به او خبر رسید، در قلب شهر مردم بر این پیامبران الهی شوریده‌اند، و شاید قصد شهید کردن آنها را دارند، سکوت را مجاز ندانست، با سرعت و شتاب خود را به مرکز شهر رسانید و آنچه در توان داشت در دفاع از حق فروگذار نکرد.

تعبیر به «رجل» به صورت ناشناخته، شاید اشاره به این نکته است که او یک فرد عادی بود، قدرت و شوکتی نداشت، و در مسیر خود تک و تنها بود، تا مؤمنان عصر پیامبر صلی الله علیه و آله در آغاز اسلام که عده قلیلی بیش نبودند سرمشق بگیرند و بدانند حتی یک نفر مؤمن تنها نیز دارای مسؤولیت است و سکوت برای او جایز نیست.

سوره یس (۳۶): آیه ۲۱ ص: ۸۸

(آیه ۲۱) - اکنون ببینیم این مؤمن مجاهد به چه منطق و دلیلی برای جلب توجه همشهریانش متوسل گشت؟ نخست از این در وارد شد: «از کسانی پیروی کنید که از شما اجر و مزدی (در برابر دعوت خود) نمی‌خواهند» (اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا).

این خود نخستین نشانه صدق آنهاست که هیچ منفعت مادی در دعوتشان ندارند، نه از شما مالی می‌خواهند، و نه جاه و مقام، و نه حتی تشکر و سپاسگزاری، و این همان چیزی است که بارها در آیات قرآن در مورد انبیای بزرگ به عنوان نشانه‌ای از اخلاص روی آن تکیه شده، تنها در سوره «شعرا» پنج بار جمله «و ما اسئلكم عليه من اجر» تکرار گردیده است. سپس می‌افزاید: به علاوه «این رسولان (چنانکه از محتوای دعوت و سخنانشان بر می‌آید) افرادی هدایت یافته‌اند» (وَهُمْ مُهْتَدُونَ).

سوره یس (۳۶): آیه ۲۲ ص: ۸۸

(آیه ۲۲) - سپس به دلیل دیگری می‌پردازد و به سراغ اصل توحید که برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۸۹ عمده‌ترین نکته دعوت این رسولان بوده است می‌رود و می‌گوید: «من چرا کسی را پرستش نکنم که مرا آفریده است؟» (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي).

فطرت سلیم می‌گوید: کسی شایسته پرستش است که خالق و مالک و بخشنده مواهب باشد نه این بتها که هیچ کاری از آنان ساخته نیست.

و به دنبال آن هشدار می‌دهد که مراقب باشید «همه شما سرانجام تنها به سوی او باز می‌گردید» (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ). یعنی نه تنها سر و کار شما در زندگی این جهان با اوست که در جهان دیگر نیز تمام سرنوشت شما در دست قدرت او می‌باشد، آری به سراغ کسی بروید که در هر دو جهان سرنوشت شما را به دست گرفته.

سوره یس (۳۶): آیه ۲۳ ص: ۸۹

(آیه ۲۳) - و در سومین استدلال خود به وضع بتها پرداخته، و اثبات عبودیت را برای خداوند با نفی عبودیت از بتها تکمیل می‌کند، می‌گوید: «آیا غیر از خداوند معبودانی را انتخاب کنم که اگر خداوند رحمن بخواهد زبانی به من برساند شفاعت آنها کمترین فایده‌ای برای من نخواهد داشت، و مرا از مجازات او هرگز نجات نخواهند داد» (أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدِّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ).

باز در اینجا از خودش سخن می‌گوید تا جنبه تحکم و آمریت نداشته باشد، و دیگران حساب کار خود را برسند.

سوره یس (۳۶): آیه ۲۴ ص: ۸۹

(آیه ۲۴) - سپس این مؤمن مجاهد برای تأکید و توضیح بیشتر افزود: «هر گاه من چنین بتهایی را پرستش کنم و آنها را شریک پروردگار قرار دهم در گمراهی آشکار خواهم بود» (إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ).

کدام گمراهی از این آشکارتر که انسان عاقل و با شعور در برابر این موجودات بی شعور زانو زند و آنها را در کنار خالق زمین و آسمان قرار دهد.

سوره یس (۳۶): آیه ۲۵ ص: ۸۹

(آیه ۲۵) - این مؤمن تلاشگر و مبارز پس از این استدلالات و تبلیغات مؤثر و گیرا با صدای رسا در حضور جمع اعلام کرد: همه بدانید «من به پروردگار شما ایمان آورده‌ام» و دعوت این رسولان را پذیرا شده‌ام (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۹۰

«بنابر این سخنان مرا بشنوید» (فَاسْمِعُونِ). و بدانید من به دعوت این رسولان مؤمنم و گفتار مرا به کار بندید که به سود شماست.

سوره یس (۳۶): آیه ۲۶ ص: ۹۰

(آیه ۲۶) - اما بینیم عکس العمل این قوم لجوج در برابر این مؤمن پاکباز چه بود؟ قرآن سخنی از آن به میان نمی آورد، ولی از لحن آیات بعد استفاده می شود که آنها بر او شوریدند و شهیدش کردند.

قرآن این حقیقت را با جمله جالب و سر بسته‌ای بیان کرده، می گوید: «به او گفته شد وارد بهشت شو!» (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ).

این تعبیر نشان می دهد که شهادت این مرد مؤمن همان، و داخل شدن او در بهشت همان.

البته روشن است منظور از بهشت در اینجا بهشت برزخی است، چرا که هم از آیات و هم از روایات استفاده می شود که بهشت جاویدان در قیامت نصیب مؤمنان خواهد شد همان گونه که دوزخ نیز در مورد بدکاران چنین است.

به هر حال روح پاک این مرد به آسمانها، در جوار قرب رحمت الهی و در نعیم بهشتی، شتافت، و در آنجا تنها آرزویش این بود که «گفت: ای کاش قوم من می دانستند» (قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ). و این چنین مؤمن، عاشق هدایت مردم است و از گمراهی آنان رنج می برد.

سوره یس (۳۶): آیه ۲۷ ص: ۹۰

(آیه ۲۷) - ای کاش می دانستند که: «پروردگرم مرا مشمول آمرزش و عفو خویش قرار داد و در صف گرامیان جای داد» (بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ).

ای کاش چشم حق بینی داشتند و آنچه را در پشت این پرده است بینند یعنی تا این همه نعمت و اکرام و احترام خدا را بنگرند و بدانند در مقابل اهانت‌های آنها خداوند چه لطفی در حق من فرموده است، ای کاش می دیدند و ایمان می آوردند اما افسوس! برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۹۱

آغاز جزء ۲۳ قرآن مجید ص: ۹۱

ادامه سوره یس ص: ۹۱

سوره یس (۳۶): آیه ۲۸..... ص: ۹۱

(آیه ۲۸) - دیدیم که مردم شهر «انطاکیه» چگونه به مخالفت با پیامبران الهی قیام کردند اکنون بینیم سر انجام کارشان چه شد؟

قرآن در این زمینه می گوید: «ما بر قوم او بعد از (شهادت) وی هیچ لشکری از آسمان نفرستادیم، و اصولاً سنت ما چنین نیست که برای نابود ساختن این اقوام سرکش متوسل به این امور شویم» (وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا كُنَّا مُنْزِلِينَ).

ما نیاز به این امور نداریم، تنها یک اشاره کافی است که همه آنها را خاموش سازیم و به دیار عدم بفرستیم و تمام زندگی آنها را در هم بکوبیم.

سوره یس (۳۶): آیه ۲۹..... ص: ۹۱

(آیه ۲۹) - سپس می افزاید: «تنها یک صیحه آسمانی تحقق یافت، صیحه‌ای تکان دهنده و مرگبار، ناگهان همگی خاموش شدند!» (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ).

یک صیحه، آن هم در یک لحظه زود گذر، بیش نبود، فریادی بود که همه فریادها را خاموش کرد، و تکانی بود که همه را بی حرکت ساخت!

بسوزند چوب درختان بی بر سزا خود همین است مر بی بری را!

سوره یس (۳۶): آیه ۳۰..... ص: ۹۱

(آیه ۳۰) - در این آیه با لحنی بسیار گیرا و مؤثر برخورد تمام سرکشان تاریخ را با دعوت پیامبران خدا یک جا مورد بحث قرار داده، می گوید: «وا حسرتا بر این بندگان که هیچ پیامبری برای هدایت آنها نیامد مگر این که او را به باد استهزا گرفتند» (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ).

بیچاره و محروم از سعادت آنها گروهی که نه تنها گوش هوش به ندای رهبران ندهند، بلکه به استهزا و سخریه آنها برخیزند.

سوره یس (۳۶): آیه ۳۱..... ص: ۹۱

(آیه ۳۱) - غفلت دائم: در این آیه با توجه به بحثی که در آیه قبل در باره غفلت مستمر گروه عظیمی از مردم جهان در طول اعصار و قرون پیشین گذشت، می فرماید: «آیا آنها ندیدند که ما افراد زیادی از قرون و اقوام پیشین از آنها را (بر اثر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۹۲)

طغیان و ظلمشان) به هلاکت رساندیم؟! (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ).

اینها نخستین گروه نیستند، اقوام سرکش دیگری در این جهان زندگی می کردند، و سرنوشت دردناک آنها که بر صفحات تاریخ ثبت است و آثار غم انگیزشان که در ویرانه‌های شهرهای آباد آنها بر جای مانده در برابر چشم آنها قرار دارد، آیا این مقدار برای درس عبرت کافی نیست؟! در پایان آیه می افزاید: «آنها هرگز به سوی ایشان بازگشت نمی کنند» (أَنْتُمْ إِلَيْهِمْ لَا

يَزْجَعُونَ). یعنی مصیبت بزرگ اینجاست که امکان بازگشت به دنیا و جبران گناهان و بدبختیهای گذشته را ندارند، چنان پلها در پشت سر آنان ویران گشته که بازگشتشان هرگز ممکن نیست!

سوره یس (۳۶): آیه ۳۲ ص: ۹۲

(آیه ۳۲) - در این آیه می‌افزاید: «همه آنها بدون استثنا در روز قیامت نزد ما حاضر می‌شوند» (وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَعَدَيْنَا مُخَضَّرُونَ).

یعنی اینطور نیست که اگر هلاک شدند و نتوانستند به این جهان بازگردند مسأله تمام است، نه مرگ در حقیقت آغاز کار است نه پایان، به زودی همگی در عرصه محشر برای حساب گردآوری می‌شوند، و بعد از آن مجازات دردناک الهی، مجازاتی مستمر و پی‌گیر در انتظار آنهاست.

سوره یس (۳۶): آیه ۳۳ ص: ۹۲

(آیه ۳۳) - این هم نشانه‌های دیگر: از آنجا که بحث در آیات گذشته پیرامون مبارزه فرستادگان پروردگار با شرک و بت پرستی بود، همچنین در آیه قبل اشاره‌ای به مسأله معاد شده بود در اینجا نشانه‌هایی از توحید و معاد را توأماً بیان می‌کند تا وسیله‌ای باشد برای بیداری منکران و ایمان به مبدأ و معاد.

نخست از احیای زمینهای مرده و برکاتی که از آن عائد انسانها می‌شود بحث کرده، می‌فرماید: «زمینهای مرده برای آنها نشانه آشکاری است (از مبدأ و معاد) ما آن را زنده کردیم، و دانه‌هایی از آن خارج ساختیم و آنها از آن تغذیه می‌کنند» (وَ آيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ).

مسأله حیات و زندگی از مهمترین دلائل توحید است و با تمام پیشرفتهای علمی هنوز کسی به درستی نمی‌داند تحت تأثیر چه عواملی در روز نخست زنده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۹۳ موجودات بی‌جان تبدیل به سلولهای زنده شده است؟

سوره یس (۳۶): آیه ۳۴ ص: ۹۳

(آیه ۳۴) - این آیه توضیح و تشریحی بر آیه قبل است و چگونگی حیات زمینهای مرده را بیان می‌کند، می‌فرماید: «و ما در آن باغهایی از نخلها و انگورها قرار دادیم و چشمه‌هایی از آن جاری ساختیم» (وَ جَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ).

در آیه قبل سخن از دانه‌های غذایی در میان بود، اما در اینجا از میوه‌های نیرو بخش و مغذی سخن می‌گوید که دو نمونه بارز و کامل آنها «خرما» و «انگور» است که هر یک غذایی کامل محسوب می‌شود.

سوره یس (۳۶): آیه ۳۵ ص: ۹۳

(آیه ۳۵) - این آیه هدف آفرینش این درختان پر بار را چنین بیان می‌کند:

«غرض این است که از میوه آن بخورند، در حالی که دست آنها در ساختمان آن کمترین دخالتی نداشته، آیا شکر خدا را به جا نمی آورند!» (لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ).

آری! میوه‌هایی که به صورت غذای کامل بر شاخسار درختان ظاهر می‌شود بی‌آنکه کمترین نیازی به پختن و یا تغییرات دیگر داشته باشد به مجرد چیدن از درخت قابل استفاده است، و این نهایت لطف و عظمت پروردگار را در باره انسانها نشان می‌دهد.

هدف آن است که حس حق شناسی و شکر گذاری انسانها را تحریک کند تا از طریق شکر گذاری قدم در مرحله معرفت پروردگار بگذارند، که شکر منعم نخستین گام معرفت کردگار است.

سوره یس (۳۶): آیه ۳۶ ص: ۹۳

(آیه ۳۶) - این آیه سخن از تسبیح و تنزیه پروردگار می‌گوید، خط بطلان بر شرک مشرکان که در آیات گذشته از آن سخن بود می‌کشد، و راه توحید و یکتا پرستی را به همگان نشان می‌دهد، می‌فرماید: «منزه است کسی که تمام زوجها را آفرید، از آنچه زمین می‌رویاند، و از خود آنان، و از آنچه نمی‌دانند!» (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ).

بدیهی است خداوند نیاز به این ندارد که خویشان را تسبیح و تنزیه کند، این برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۹۴ تعلیمی است برای بندگان و دستور العملی است برای پیمودن خط تکامل. این آیه یکی دیگر از آیاتی است که محدود بودن علم انسان را بیان می‌کند و نشان می‌دهد که در این جهان حقایق بسیاری است - از جمله «زوجیت» در موجودات جهان - که از علم و دانش ما پوشیده است.

سوره یس (۳۶): آیه ۳۷ ص: ۹۴

(آیه ۳۷) - هر یک از خورشید و ماه آیتی هستند: در اینجا بخش دیگری از نشانه‌های عظمت خدا را در جهان هستی بیان می‌کند.

نخست می‌فرماید: «شب برای آنها آیه و نشانه‌ای است» از عظمت خدا (وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ). در حالی که نور آفتاب همه جا را فرا گرفته و سپاه ظلمت به عقب رانده شده «ما نور آفتاب و روز را از آن بر می‌داریم، ناگهان تاریکی همه آنها را فرا می‌گیرد» (نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ). دقت در این تعبیر این نکته را بازگو می‌کند که طبیعت اصلی کره زمین تاریکی است، نور و روشنایی صفتی است عارضی که از منبع دیگری به او داده می‌شود، همچون لباس که بر تن کسی بپوشانند که هرگاه آن لباس را بیرون آورد رنگ طبیعی تن آشکار می‌شود!

سوره یس (۳۶): آیه ۳۸ ص: ۹۴

(آیه ۳۸) - سومین نشانه‌ای که بعد از آیت شب به آن اشاره شده آیت نور و روشنایی و آفتاب است، می‌گوید: «و خورشید نیز (برای آنها آیتی است) که پیوسته به سوی قرارگاهش در حرکت است!» (وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا).

این آیه به وضوح حرکت خورشید را بطور مستمر بیان می‌کند، اما در این که منظور از این حرکت چیست. جدیدترین تفسیر همان است که اخیراً دانشمندان کشف کرده‌اند و آن حرکت خورشید با مجموعه منظومه شمسی در وسط کهکشان ما به سوی یک سمت معین و ستاره دور دستی که آن را ستاره «وگا» نامیده‌اند می‌باشد.

به هر حال حرکت دادن خورشید این کره بسیار عظیمی که یک میلیون و دویست هزار مرتبه از کره زمین بزرگتر است آن هم با حرکت حساب شده در این برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۹۵

فضای بیکران از هیچ کس میسر نیست جز از خداوندی که قدرتش فوق همه قدرتها و علم و دانشش بی‌انتهاست.

و به همین جهت در پایان آیه می‌فرماید: «این تقدیر خداوند قادر و داناست» (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ).

در تعبیرات این آیه اشاره‌ای است بر معنی به نظام سال شمسی که از حرکت خورشید در برجها حاصل می‌گردد و به زندگی بشر نظم و برنامه می‌دهد.

سوره یس (۳۶): آیه ۳۹ ص: ۹۵

(آیه ۳۹) - لذا در این آیه برای تکمیل این بحث از حرکت ماه و منازل آن که نظام بخش ایام ماه است، سخن می‌گویید، و می‌فرماید: «و ما برای ماه منزلهایی قرار دادیم، و به هنگامی که این منزلها را طی کرد سرانجام به صورت شاخه کهنه قوسی شکل و زرد رنگ خرما در می‌آید!» (وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ).

منظور از «منازل» همان منزلگاههای دویست و هشتگانه‌ای است که ماه قبل از «محاق» و تاریکی مطلق طی می‌کند.

این نظام عجیب به زندگی انسانها نظم می‌بخشد، و یک تقویم طبیعی آسمانی است که با سواد و بی‌سواد توانایی خواندن آن را دارد.

سوره یس (۳۶): آیه ۴۰ ص: ۹۵

(آیه ۴۰) - در این آیه سخن از ثبات و دوام این نظم سال و ماه، و شب و روز، است، پروردگار آن چنان برنامه‌ای برای آنها تنظیم کرده که کمترین دگرگونی در وضع آنها پیدا نمی‌شود و تاریخ بشر به خاطر همین ثبات کاملاً تنظیم می‌گردد.

می‌فرماید: «نه برای خورشید سزاوار است که به ماه رسد، و نه شب بر روز پیشی می‌گیرد، و هر کدام از آنها در مسیر خود شناورند!» (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ).

می‌دانیم خورشید دوران خود را در برجهای دوازده گانه در یک سال طی می‌کند، در حالی که کره ماه منزلگاههای خویش را در یک ماه طی می‌کند.

بنابر این حرکت دورانی ماه در مسیرش دوازده بار از حرکت خورشید در مدارش سریعتر است، لذا می‌فرماید: خورشید هرگز در حرکت خود به پای ماه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۹۶

نمی‌رسد تا حرکت یک ساله خود را در یک ماه انجام دهد و نظام سالیانه بر هم خورد.

از آنچه گفتیم روشن می‌شود که منظور از حرکت خورشید در این بحث حرکت آن بحسب حس ما است.

سوره یس (۳۶): آیه ۴۱ ص: ۹۶

(آیه ۴۱) - حرکت کشتیها در دریاها نیز آیتی است! در آیات پیشین سخن از نشانه‌های پروردگار در آفرینش آفتاب و ماه و شب و روز و همچنین زمین و برکات زمین بود، و در این آیه سخن از دریاها و بخشی از نعمتها و مواهب دریا یعنی حرکت کشتیهای تجاری و مسافربری بر صحنه آنها می‌باشد.

لذا نخست می‌فرماید: «این نیز برای آنها آیت و نشانه‌ای است از عظمت پروردگار که ما فرزندانمان را در کشتیهایی که مملو (از وسائل زندگی) است حمل کردیم» (وَ آيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ).

حرکت کشتیها که بزرگترین و مهمترین وسیله حمل و نقل بشر می‌باشد، و کاری که از آنها ساخته است هزاران برابر مرکبهای دیگر است، نتیجه خواص ویژه آب و وزن مخصوص اجسامی که کشتی از آن ساخته شده، و خاصیت بادها (در کشتیهای بادبانی) و انرژی اتمی (در کشتیهایی که با نیروی اتم کار می‌کند) می‌باشد.

و همه اینها قوا و نیروهایی است که خدا مسخر انسان ساخته و هر یک از آنها و نیز مجموعه آنها آیتی از آیات الهی است.

سوره یس (۳۶): آیه ۴۲ ص: ۹۶

(آیه ۴۲) - و برای این که توهم نشود که تنها مرکب خداداد کشتیهاست در این آیه می‌افزاید: «و ما برای آنها مرکبهای دیگری مانند آن آفریدیم» (وَ خَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ).

مرکبهایی که در خشکی یا در هوا و فضا راه می‌رود، و انسانها و وسائل آنها را بر دوش خود حمل می‌کند.

سوره یس (۳۶): آیه ۴۳ ص: ۹۶

(آیه ۴۳) - این آیه برای روشنتر ساختن این نعمت بزرگ حالتی را که از دگرگون شدن این نعمت به وجود می‌آید بیان می‌کند، می‌گوید: «و اگر بخواهیم آنها را غرق می‌کنیم، آن چنان که نه فریادرسی داشته باشند، و نه نجات داده شوند»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۹۷

(وَ إِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ).

به یک موج عظیم فرمان می‌دهیم کشتی آنها را واژگون کند! یا به یک گرداب مأموریت می‌دهیم آنها را در کام خود فرو بلعد! یا به یک طوفان دستور می‌دهیم آنها را مانند یک پر کاه بردارد و در وسط امواج پرتاب کند! این ماییم که این نظام را تداوم می‌بخشیم، تا آنها بهره گیرند، و اگر گهگاه حوادثی از این قبیل می‌فرستیم برای این است که اهمیت نعمتی را که در آن غرقند بدانند.

سوره یس (۳۶): آیه ۴۴ ص: ۹۷

(آیه ۴۴) - و سر انجام در این آیه برای تکمیل سخن فوق می‌افزاید: «مگر باز هم رحمت ما شامل حال آنها شود، و تا زمان معینی (که پایان زندگی آنهاست) از این زندگی بهره گیرند» (إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَ مَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ).

آری! با هیچ وسیله‌ای آنها نمی‌توانند نجات یابند جز این که نسیم رحمت ما بوزد و لطف ما به یاری آنها بشتابد.

سوره یس (۳۶): آیه ۴۵ ص: ۹۷

(آیه ۴۵) - از آنجا که در آیات گذشته سخن از بحثهای مهمی از آیات پروردگار در پهنه جهان هستی بود، در اینجا عکس العمل کفار لجوج را در برابر آیات الهی، و همچنین دعوت پیامبر صلی الله علیه و آله و انذار به عذاب پروردگار بیان می کند. نخست می فرماید: «و هنگامی که به آنها گفته می شود از آنچه پیش رو و پشت سر شماست از عذابهای الهی بپرهیزید، تا مشمول رحمت الهی شوید» اعراض می کنند و روی گردان می شوند (وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَ مَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ).

منظور از «ما بین ایدیکم» مجازاتهای دنیاست که نمونه ای از آن در آیات قبل ذکر شده، و منظور از «ما خلفکم» مجازاتهای آخرت است که در پشت سر دارند، و تعبیر به «پشت سر» به خاطر آن است که هنوز نیامده، گویی پشت سر انسان در حرکت است، و سرانجام روزی به او می رسد و دامانش را می گیرد، و منظور از پرهیز کردن از این مجازاتها این است که عوامل آن را ایجاد نکنند و به تعبیر دیگر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۹۸ کاری نکنند که مستوجب این عقوبات گردد.

سوره یس (۳۶): آیه ۴۶ ص: ۹۸

(آیه ۴۶) - در این آیه بار دیگر روی همین معنی تأکید می کند و لجاجت و پافشاری این کوردلان را در نادیده گرفتن آیات الهی و تعلیمات پیامبران مشخص ساخته، می فرماید: «هیچ آیه ای از آیات پروردگارشان برای آنها نمی آید مگر این که از آن روی گردان می شوند» (وَ مَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ).
نه بیان آیات انفسی در آنها مؤثر است، و نه شرح آیات آفاقی، نه تهدید و انذار، و نه بشارت و نوید به رحمت الهی، آنها به کورانی می مانند که نزدیکترین اشیاء اطراف خود را مشاهده نمی کنند و حتی نور آفتاب را از ظلمت و تاریکی شب فرق نمی نهند!

سوره یس (۳۶): آیه ۴۷ ص: ۹۸

(آیه ۴۷) - سپس قرآن انگشت روی یکی از موارد مهم لجاجت و اعراض آنها گذارده، می گوید: «و هنگامی که به آنها گفته شود از آنچه خدا به شما روزی کرده است (در راه او) انفاق کنید کافران به مؤمنان می گویند: آیا ما کسی را اطعام کنیم که اگر خدا می خواست او را سیر می کرد، شما تنها در گمراهی آشکارید!» (وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ نَطْعَمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ).

این همان منطق بسیار عوامانه ای است که در هر عصر و زمان از ناحیه افراد خودخواه و بخیل مطرح می شود که می گویند: اگر فلاخی فقیر است لابد کاری کرده که خدا می خواهد فقیر بماند، و اگر ما غنی هستیم لا بد عملی انجام داده ایم که مشمول لطف خدا شده ایم، بنابراین این نه فقر آنها و نه غنای ما هیچ کدام بی حکمت نیست! غافل از این که جهان میدان آزمایش و امتحان است، خداوند یکی را با تنگ دستی آزمایش می کند، و دیگری را با غنا و ثروت، و گاه یک انسان را در دو زمان با این دو، در بوته امتحان قرار می دهد که آیا به هنگام فقر، امانت و مناعت طبع و مراتب شکرگزاری را به جا می آورد؟ یا همه را زیر پا می گذارد، و به هنگام غنا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۹۹

از آنچه در اختیار دارد در راه او انفاق می کند یا نه!

سوره یس (۳۶): آیه ۴۸ ص: ۹۹

(آیه ۴۸) - صیحه‌های رستاخیز! به دنبال ذکر منطق سست و بهانه جویانه کفار در مورد انفاقها که در آیات قبل گذشت، در اینجا سخن را از استهزای آنها نسبت به قیام قیامت شروع می‌کند، و منطق پوسیده آنها را در مورد انکار معاد با جواب قاطع درهم می‌کوبد.

به علاوه بحثهایی را که در طی آیات پیشین در زمینه توحید بیان شد با بحثهای معاد تکمیل کرده، می‌فرماید: «آنها می‌گویند: اگر راست می‌گویید این وعده‌ای را که شما می‌دهید کی خواهد آمد؟! (وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ). این که شما نمی‌توانید تاریخی برای قیام قیامت تعیین کنید دلیل بر این است که در گفتار خود صادق نیستید!

سوره یس (۳۶): آیه ۴۹ ص: ۹۹

(آیه ۴۹) - این آیه به این سؤال توأم با سخریه یک پاسخ محکم و جدی داده، می‌گوید: قیام قیامت و پایان این جهان برای خدا مسأله پیچیده، و کار مشکلی نیست: «آنها جز این انتظار نمی‌کشند که یک صیحه عظیم آسمانی فرارسد و آنان را ناگهان فروگیرد در حالی که مشغول جنگ و جدال (در مورد دنیای خویش) هستند!» (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ يَخِصِّمُونَ).

همین یک فریاد عظیم آسمانی کافی است که همه را در یک لحظه کوتاه، هر کدام در همان مکان و همان حالتی که هستند قبض روح کند، و زندگی پر غوغای مادی آنها که معرکه دعواها و میدان جنگ دائمی آنان است جای خود را به دنیایی خاموش و خالی از هر سر و صدا بدهد.

در روایات اسلامی از پیغمبر گرامی اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله آمده است که: «این صیحه آسمانی آن چنان غافلگیرانه است که دو نفر در حالی که پارچه‌ای را گشوده‌اند و مشغول معامله‌اند پیش از آن که آن را برچینند و بیچند جهان پایان می‌یابد! و کسانی هستند که در آن لحظه لقمه غذا از ظرف برداشته اما پیش از آن که به دهان آنها برسد صیحه آسمانی فرا می‌رسد و جهان پایان می‌یابد! برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۰۰

کسانی هستند که مشغول تعمیر و گل مالی حوضند تا چهار پایان را سیراب کنند پیش از آنکه چهار پایان سیراب شوند قیامت بر پا می‌شود! به هر حال قرآن با این تعبیر کوتاه و قاطع به آنها هشدار می‌دهد که قیامت بطور ناگهانی و غافلگیرانه بر پا می‌شود، و ثانیاً موضوع پیچیده‌ای نیست که آنها در امکانش به بحث و مخاصمه برخیزند، با یک صیحه همه چیز پایان می‌گیرد و دنیا به آخر می‌رسد.

سوره یس (۳۶): آیه ۵۰ ص: ۱۰۰

(آیه ۵۰) - لذا در این آیه می‌گوید: این مسأله به قدری سریع و برق آسا و غافلگیرانه است که «حتی توانایی بر وصیت و سفارش نخواهند داشت، و حتی فرصت مراجعت به سوی خانواده و منزلهای خود را پیدا نمی‌کنند!» (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ).

معمولاً هنگامی که حادثه‌ای به انسان دست می‌دهد و انسان احساس می‌کند پایان عمرش نزدیک شده، سعی می‌کند هر جا

هست خود را به منزل و مأوای خویش برساند، و در میان همسر و فرزندانش قرار گیرد، سپس کارهای نیمه تمام و سرنوشت بازماندگان خود را از طریق وصیت بر عهده این و آن بگذارد و سفارش آنها را به دیگران بکند. اما مگر صیحه پایان دنیا به کسی مجال می‌دهد؟ و یا به فرض این که مجالی باشد مگر کسی زنده می‌ماند که توصیه‌های انسان را بشنود؟

سوره یس (۳۶): آیه ۵۱..... ص: ۱۰۰

(آیه ۵۱) - سپس به مرحله دیگر که مرحله حیات بعد از مرگ است اشاره کرده، می‌گوید: «و بار دیگر در صور دمیده می‌شود، پس ناگهان همه آنها از قبرها بیرون آمده، شتابان به سوی (دادگاه) پروردگارشان رهسپار می‌شوند» (و نُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ). خاکها و استخوانهای پوسیده به فرمان پروردگار لباس حیات در تن می‌پوشند، و از قبر سر بر می‌آورند، و برای محاکمه و حساب در آن دادگاه عجیب حاضر می‌گردند، همان گونه که با یک «صیحه» همگی مردند با یک «نفخه» (دمیدن در صور) جان می‌گیرند و زنده می‌شوند، نه مرگ آنها برای خدا مشکلی دارد، و نه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۰۱ احیای آنها.

سوره یس (۳۶): آیه ۵۲..... ص: ۱۰۱

(آیه ۵۲) - سپس می‌افزاید: در این هنگام منکران رستاخیز و معاد «می‌گویند: ای وای بر ما! چه کسی ما را از خوابگاهمان برانگیخت؟! (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا). «این همان چیزی است که خداوند رحمن وعده داده است، و فرستادگان او راست گفتند!» (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ). آری! صحنه آن چنان گویا و وحشت انگیز است که انسان همه مسائل باطل و خرافی را به دست فراموشی می‌سپرد، و جز اعتراف صریح به واقعیتها راهی نمی‌یابد، قبرها را به خوابگاهی تشبیه می‌کند، و رستاخیز را به بیدار شدن از خواب، چنانکه که در حدیث معروف نیز وارد شده است: «همان گونه که می‌خواهید، می‌میرید و همان گونه که از خواب بر می‌خیزید، زنده می‌شوید».

سوره یس (۳۶): آیه ۵۳..... ص: ۱۰۱

(آیه ۵۳) - سپس برای توضیح چگونگی سرعت وقوع این نفخ صور، می‌فرماید: «آن صیحه واحدی بیش نیست، فریادی عظیم بر می‌خیزد، ناگهان همگی نزد ما حاضر می‌شوند» (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ). بنابر این برای احیای مردگان و برخاستن آنها از قبرها و حضورشان در دادگاه عدل پروردگار زمان زیادی لازم نیست، همان گونه که برای مرگ انسانها زمان طولانی لازم نبود، صیحه اول فریاد مرگ است، و صیحه دوم فریاد زندگی و حیات و حضور در دادگاه عدل پروردگار!

سوره یس (۳۶): آیه ۵۴ ص: ۱۰۱

(آیه ۵۴) - در اینجا بحث پیرامون چگونگی حساب در محشر را سر بسته گذارده و از آن می گذرد، و به تشریح سر انجام کار مؤمنان صالح و کافران طالح پرداخته، چنین می گوید: «امروز به هیچ کس ذره ای ستم نمی شود» (فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَّمُ نَفْسٌ شَيْئًا). نه از پاداش کسی کاسته می شود، و نه کیفر کسی افزون می گردد، و حتی به قدر یک سر سوزن کم و زیاد و بیدادگری و ظلم و ستم وجود ندارد. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۰۲

سپس به بیانی می پردازد که در حقیقت دلیل روشن و زنده ای برای عدم وجود ظلم در آن دادگاه بزرگ است می فرماید: «شما جز آنچه را عمل می کردید جزا داده نمی شوید» (وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ).

سوره یس (۳۶): آیه ۵۵ ص: ۱۰۲

(آیه ۵۵) - بهشتیان غرق در مواهب مادی و معنوی! در اینجا به گوشه ای از پاداشهای مؤمنان پرداخته، و قبل از هر چیز روی مسأله آرامش خاطر انگشت گذارده، می گوید: «بهشتیان امروز به نعمتهای خدا مشغولند» که از هر اندیشه ناراحت کننده بر کنار می باشند (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ). «و در نهایت سرور و شادی به سر می برند» (فَاكِهِونَ).

سوره یس (۳۶): آیه ۵۶ ص: ۱۰۲

(آیه ۵۶) - بعد از نعمت آرامش خاطر که خمیر مایه همه نعمتها، و شرط استفاده از همه مواهب است، به شرح نعمتهای دیگر پرداخته، چنین می گوید: «آنها و همسرانشان در سایه های لذت بخش، بر تختها، در خلوتگاهها تکیه کرده اند» (هُمُ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكُونَ).

«ازواج» به معنی همسران بهشتی، و یا همسران با ایمانی است که در این دنیا داشتند. تعبیر به «ظلال» (سایه ها) نشان می دهد که در آنجا نیز آفتابی وجود دارد ولی نه آفتابی آزار دهنده آری! آنها در سایه مطبوع درختان بهشتی نشاط و سرور دیگری دارند.

سوره یس (۳۶): آیه ۵۷ ص: ۱۰۲

(آیه ۵۷) - علاوه بر این «برای آنها میوه بسیار لذت بخشی است، و هر چه بخواهند در اختیار آنها خواهد بود» (لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَ لَهُمْ مَا يَدْعُونَ).

و به این ترتیب آنچه امروز در فکر انسان بگنجد و آنچه از فکر او خطوط نکند از انواع مواهب و نعمتها در آنجا آماده و مهیاست، و پذیرایی خداوند از میهمانان خود در بالاترین سطح ممکن انجام می شود.

سوره یس (۳۶): آیه ۵۸ ص: ۱۰۲

(آیه ۵۸) - اما مهمتر از همه همان مواهب معنوی است که در این آیه به آن اشاره کرده، می فرماید: «برای آنها سلام و تهنیت

الهی است، این سخنی است از ناحیه پروردگار رحیم و مهربان آنها» (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۰۳

این ندای روح افزا و نشاط بخش و مملو از مهر و محبت او چنان روح انسان را در خود غرق می‌کند، و به او لذت و شادی و معنویت می‌بخشد، که با هیچ نعمتی برابر نیست، آری شنیدن ندای محبوب، ندایی آمیخته با محبت، و آکنده از لطف، سر تا پای بهشتیان را غرق سرور می‌کند، که یک لحظه آن بر تمام دنیا و آنچه در آن است برتری دارد. و چنان آنها را مجذوب می‌کند که از همه چیز جز او غافل می‌شوند، و همه نعمتهای بهشتی را در آن حال به دست فراموشی می‌سپارند.

سوره یس (۳۶): آیه ۵۹ ص: ۱۰۳

(آیه ۵۹) - چرا پرستش شیطان می‌کنید؟! بخشی از سرگذشت شوق انگیز و پرافتخار بهشتیان در آیات قبل گذشت، و در اینجا به قسمتی از سرنوشت دوزخیان و بندگان شیطان اشاره می‌کند.

نخست این که در آن روز با خطابی تحقیر آمیز مخاطب می‌شوند و به آنها گفته می‌شود: «جدا شوید امروز ای گنهکاران!» (وَ امْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ).

شما بودید که در دنیا خود را در صفوف مؤمنان جا زده بودید و گاه به رنگ آنها در می‌آمدید، و از حیثیت و اعتبارشان استفاده می‌کردید، امروز صفوف خود را از آنها جدا سازید، و در چهره اصلی خود ظاهر شوید!

سوره یس (۳۶): آیه ۶۰ ص: ۱۰۳

(آیه ۶۰) - این آیه به ملامتها و سرزنشهای پر معنی خداوند نسبت به مجرمان در روز قیامت اشاره کرده، چنین می‌گوید: «آیا با شما عهد نکردم ای فرزندان آدم که شیطان را پرستش و اطاعت نکنید که او دشمن آشکار شماست»؟ (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ).

این اخطار بطور مکرر بر زبان رسولان الهی جاری شد، از سوی دیگر این پیمان در عالم «تکوین» به زبان اعطای عقل به انسان نیز گرفته شده است، چرا که دلائل عقلی به روشنی گواهی می‌دهد انسان نباید فرمان کسی را اطاعت کند که از روز نخست کمر به دشمنی او بسته او را از بهشت بیرون کرده و سوگند به اغوای فرزندانش خورده است.

از سوی سوم با سرشت و فطرت الهی همه انسانها بر توحید، و انحصار اطاعت برای ذات پاک پروردگار نیز این پیمان از انسان گرفته شده است، و به این برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۰۴

ترتیب نه با یک زبان که با چندین زبان این توصیه الهی تحقق یافته و این عهد و پیمان سرنوشت ساز امضا شده است.

سوره یس (۳۶): آیه ۶۱ ص: ۱۰۴

(آیه ۶۱) - در این آیه برای تأکید بیشتر و بیان آنچه وظیفه فرزندان آدم است می‌فرماید: آیا من به شما عهد نکردم که: «مرا بپرستید و از من اطاعت کنید که راه مستقیم همین است» (وَ أَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ).

از یک سو پیمان گرفته که اطاعت شیطان نکنند، چرا که او دشمنی و عداوت خود را از روز نخست آشکار ساخته.

و در مقابل پیمان گرفته که از او اطاعت کنند، و دلیلش را این قرار می‌دهد که «صراط مستقیم همین است» و این در حقیقت

بهترین محرک انسانهاست.

ضمناً از این تعبیر استفاده می‌شود که این جهان سرای اقامت نیست، چرا که راه را به کسی ارائه می‌دهند که از گذرگاهی عبور می‌کند و مقصدی در پیش دارد.

سوره یس (۳۶): آیه ۶۲ ص: ۱۰۴

(آیه ۶۲) - باز برای شناسایی هر چه بیشتر این دشمن قدیمی خطرناک می‌افزاید: «او گروه زیادی از شما را گمراه کرد، آیا اندیشه نکردید؟! (وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ).

آیا نمی‌بینید چه بدبختی‌هایی شیطان بر سر پیروان خود آورده؟ آیا تاریخ پیشینیان را مطالعه نکردید تا ببینید بندگان او به چه سرنوشت شوم و دردناکی گرفتار شدند؟

پس چرا دشمنی را که امتحان عداوت خود را بارها و بارها داده است جدی نمی‌گیرید؟ باز با او طرح دوستی می‌ریزید، و حتی او را رهبر و ولی و راهنمای خویش انتخاب می‌کنید.

و به گفته شاعر:

کجا بر سر آیم از این عار و ننگ که با او به صلحیم و با حق به جنگ؟

سوره یس (۳۶): آیه ۶۳ ص: ۱۰۴

(آیه ۶۳) - آیات گذشته بخشی از سرزنشهای خداوند و گفتگوهای او را به مجرمان در قیامت بازگو کرد، در اینجا همین معنی را در بخش دیگری ادامه می‌دهد. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۰۵

آری! در آن روز در حالی که آتش سوزان و شعله‌ور جهنم در برابر دیدگان مجرمان قرار گرفته به آن اشاره کرده خطاب به مجرمان می‌گوید: «این همان دوزخی است که به شما وعده داده می‌شد!» (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ).

سوره یس (۳۶): آیه ۶۴ ص: ۱۰۵

(آیه ۶۴) - پیامبران الهی یکی بعد از دیگری آمدند و شما را از چنین روز و چنین آتشی بر حذر داشتند، ولی شما همه را به شوخی و مسخره گرفتید.

«امروز در آن وارد شوید، و با آتش سوزان آن بسوزید که این جزای کفری است که داشتید» (اَصْرَ لَوْهَا الیَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ).

سوره یس (۳۶): آیه ۶۵ ص: ۱۰۵

(آیه ۶۵) - سپس به گواهان روز قیامت اشاره می‌کند، گواهانی که جزء پیکر خود انسانند و جایی برای انکار سخنان آنها نیست، می‌فرماید: «امروز بر دهان آنها مهر می‌نهم، و دستهای آنها با ما سخن می‌گوید و پاهای آنها کارهایی را که انجام می‌دادند برای ما شهادت می‌دهند» (الیَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَ تَكَلَّمْنَا أُیْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

آری! در آن روز، دیگر اعضای انسان تسلیم تمایلات او نیستند، آنها حساب خود را از کل وجود انسان جدا کرده تسلیم پروردگار می‌شوند، و بر آستان مقدس او سر فرود می‌آورند، و حقایق را با شهادت خود آشکار می‌سازند، و چه دادگاه عجیبی است که گواه آن اعضای پیکر خود انسان است، همان ایزاری است که گناه را با آن انجام داده! البته گواهی اعضا مربوط به کفار و مجرمان است لذا در حدیثی از امام باقر علیه السّلام می‌خوانیم: «اعضای پیکر انسان بر ضدّ مؤمن گواهی نمی‌دهد، بلکه گواهی بر ضدّ کسی می‌دهد که فرمان عذاب بر او مسلّم شده، و اما مؤمن نامه اعمالش را به دست راست او می‌دهند (و خودش آن را می‌خواند) همان گونه که خداوند متعال فرموده: «آنها که نامه اعمالشان به دست راستشان داده شده (با سرفرازی و افتخار) نامه اعمال خود را می‌خوانند و کمترین ستمی به آنها نخواهد شد».

سوره یس (۳۶): آیه ۶۶ ص: ۱۰۵

(آیه ۶۶) - در این آیه اشاره به یکی از عذابهایی می‌کند که ممکن است خداوند در همین دنیا این گروه مجرم را به آن مبتلا سازد، عذابی دردناک و وحشتناک، برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۰۶ می‌فرماید: «و اگر بخواهیم چشمانشان را محو می‌کنیم!» (و لَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ). و در این حال وحشتی فوق العاده آنها را فرا می‌گیرد، «سپس برای عبور از راه، می‌خواهند بر یکدیگر پیشی بگیرند، اما چگونه می‌توانند ببینند؟ (فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ). آنها حتی از پیدا کردن راه خانه خود عاجز خواهند ماند، تا چه رسد به این که راه حق را پیدا کنند و در صراط مستقیم قدم بگذارند!

سوره یس (۳۶): آیه ۶۷ ص: ۱۰۶

(آیه ۶۷) - مجازات دردناک دیگر این که: «اگر بخواهیم آنها را در جای خود مسخ می‌کنیم (به مجسمه‌هایی بی‌روح و فاقد حرکت یا اشکال حیوانی افلیح تبدیل می‌نماییم) به گونه‌ای که نتوانند راه خود را ادامه دهند و یا به عقب بازگردند» (و لَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ). روشن است که دو آیه فوق مربوط به عذابهای دنیاست.

سوره یس (۳۶): آیه ۶۸ ص: ۱۰۶

(آیه ۶۸) - در این آیه به وضع انسان در پایان عمر از نظر ضعف و ناتوانی عقل و جسم اشاره می‌کند تا هم هشدار باشد به آنها که برای انتخاب راه هدایت امروز و فردا می‌کنند، و هم پاسخی باشد به کسانی که تقصیرات خود را به گردن کمی عمر می‌افکنند، و هم دلیلی باشد بر قدرت خداوند که او همان گونه که می‌تواند یک انسان نیرومند را به ضعف و ناتوانی یک نوزاد بازگرداند، قادر است بر مسأله معاد، و همچنین نابینا ساختن مجرمان و از حرکت بازداشتن آنها. می‌فرماید: «هر کس را که طول عمر دهیم در آفرینش واژگونه می‌کنیم، آیا اندیشه نمی‌کنند؟ (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَ فَلَآ يَعْقِلُونَ).

به راستی روزهایی فرا می‌رسد بسیار دردناک که عمق ناراحتی آن را به زحمت می‌توان تصور کرد.

(آیه ۶۹) - او شاعر نیست، او انذار کننده زندگان است! گفتیم در این سوره بحثهای زنده و جامعی پیرامون اصول اعتقادی توحید، معاد، نبوت مطرح شده، و در مقطعی متفاوتی سخن را از یکی به دیگری منتقل می‌سازد. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۰۷

در آیات گذشته بحثهای مختلفی پیرامون توحید و معاد مطرح بود، در این آیه و آیه بعد به بحث نبوت باز می‌گردد، و یکی از رائجترین اتهاماتی را که برای پیامبر اسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مطرح می‌کردند عنوان کرده پاسخ دندان شکنی و آموزنده‌ای به آن می‌دهد، و آن اتهام شعر و شاعری است، می‌گوید: «ما هرگز شعر به او [پیامبر] نیاموختیم و شایسته او نیست» که شایسته باشد (وَ مَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَ مَا يَتَّبِعِي لَهٗ).

جاذبه و نفوذ قرآن در دلها برای همه کس محسوس بود، و زیباییهای لفظ و معنی و فصاحت و بلاغت آن قابل انکار نبود، حتی خود مشرکان چنان مجذوب آهنگ و بیان قرآن می‌شدند که گاه شبانه بطور مخفیانه به نزدیکی منزلگاه پیامبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ می‌آمدند تا زمزمه تلاوت او را در دل شب بشنوند.

اینجا بود که برای توجیه این پدیده بزرگ، و اغفال مردم از این وحی آسمانی، زمزمه شعر و شاعری پیامبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ را در همه جا سر دادند، که این خود اعترافی بود ضمنی به نفوذ فوق العاده قرآن! اما چرا شایسته پیامبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نیست که شاعر باشد بخاطر این که خط «وحی» از خط «شعر» کاملاً جداست، زیرا:

۱- معمولاً- سر چشمه شعر تخیل و پندار است، در حالی که وحی از مبدأ هستی سر چشمه می‌گیرد و بر محور واقعیتها می‌گردد.

۲- شعر از عواطف متغیر انسانی می‌جوشد، و دائماً در حال دگرگونی است، در حالی که وحی بیانگر حقایق ثابت آسمانی می‌باشد.

۳- لطف شعر در بسیاری از موارد در اغراق گوئیها و مبالغه‌های آن است، تا آنجا که گفته‌اند: «احسن الشعر اکذبه بهترین شعر دروغ آمیزترین آن است!» در حالی که در وحی جز صداقت چیزی نیست.

۴- سر انجام به تعبیر زیبای یکی از مفسران: «شعر» مجموعه شوقهایی است که از زمین به آسمان پرواز می‌کند، اما «وحی» مجموعه حقایقی است که از آسمان به زمین نازل می‌گردد، و این دو خط کاملاً متفاوت است! برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۰۸

البته شاعرانی که در خط اهداف مقدسی گام بر می‌دارند و از عوارض نامطلوب شعر، خود را بر کنار می‌سازند حساب جداگانه‌ای دارند.

قرآن در برابر نفی شعر از پیامبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ می‌کند: «این آیات چیزی جز وسیله بیداری و قرآن آشکار نیست» (إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ).

(آیه ۷۰) - «هدف از آن این است که افرادی را که زنده‌اند انذار کند، و (بر کافران اتمام حجت شود) تا فرمان عذاب بر آنها مسلم گردد» (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ).

آری! این آیات «ذکر» است و مایه یادآوری و وسیله بیداری، این آیات «قرآن مبین» است که حق را بدون هیچ گونه پرده پوشی با قاطعیت و صراحت بیان می‌کند، و به همین دلیل عامل بیداری و حیات و زندگی است.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۷۱ ص: ۱۰۸

(آیه ۷۱) - منافع سرشار چهار پایان برای شما: بار دیگر قرآن مجید به مسأله توحید و شرک باز می‌گردد، و ضمن برشمردن قسمتی از نشانه‌های عظمت خدا در زندگی انسانها، و رفع نیازمندیهای آنها از سوی خدا، به ضعف و ناتوانی و بینوایی بتها اشاره کرده، در یک مقایسه روشن، حقانیت خط توحید، و بطلان خط شرک را آشکار می‌سازد. نخست می‌گوید: «آیا آنها ندیدند که از آنچه با قدرت خود به عمل آورده‌ایم چهار پایانی برای آنها آفریدیم که آنان مالک آن هستند» (أَو لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ).

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۷۲ ص: ۱۰۸

(آیه ۷۲) - و برای این که به خوبی بتوانند از این چهار پایان بهره گیرند «آنها را رام ایشان ساختیم» (وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ). این حیوانات زورمند پر قدرت که گاه بطور نادر، به فرمان خدا سر به عصیان و طغیان بر می‌دارند، چنان خطرناک می‌شوند که دهها نفر در مقابل آنان عاجز می‌شود، ولی در حالت عادی گاهی یک قطار شتر را به ریسمانی بسته و به دست کودکی چند ساله می‌سپارند.

«پس هم از آنها مرکب راهوار برای خود فراهم می‌سازند، و هم از آنها تغذیه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۰۹ می‌کنند» (فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ).

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۷۳ ص: ۱۰۹

(آیه ۷۳) - منافع آنها به همین جا ختم نمی‌شود، بلکه «برای آنان منافع دیگر در این حیوانات و نوشیدنیهای گوارایی است» (و لَهُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ وَمَشَارِبٌ).

تعبیر به «مشارب» اشاره به شیرهایی است که از چهار پایان مختلف گرفته می‌شود، و قسمت مهمی از مواد غذایی انسان از آن و فراورده‌های آن تأمین می‌گردد.

«آیا با این حال شکر این نعمتها را به جا نمی‌آورند؟! شکری که وسیله معرفت الله و شناخت ولی نعمت است (أَفَلَا يَشْكُرُونَ).

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۷۴ ص: ۱۰۹

(آیه ۷۴) - لذا در این آیه به تشریح حال مشرکان پرداخته چنین می‌گوید:

«آنها غیر از خدا معبودانی برای خویش برگزیدند به این امید که از سوی آنها یاری شوند» و مورد حمایت بتان قرار گیرند (و اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ).

چه خیال خام و فکر باطلی؟ که این موجودات ضعیف را که هیچ قدرتی بر دفاع از خویشان ندارند تا چه رسد به دیگران، در کنار خالق زمین و آسمان و بخشنده آن همه مواهب قرار دهند، و در حوادث مشکل زندگی از آنان یاری طلبند؟

سوره یس (۳۶): آیه ۷۵ ص: ۱۰۹

(آیه ۷۵) - لذا در این آیه می‌افزاید: «آنها قادر به نصرت و یاری عبادت کنندگان خویش نیستند، و این عابدان در قیامت لشکر آنها خواهند بود و همگی در آتش دوزخ حضور می‌یابند» (لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَ هُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ). چه دردناک است که این پیروان در آن روز به صورت لشکریانی پشت سر بتها قرار گیرند، و همگی در دادگاه عدل خدا حضور یابند - حاضر ساختن افراد بی‌آنکه خودشان تمایل داشته باشند نشانه حقارت آنها است - و بعد از آن همگی به دوزخ فرستاده شوند، بی‌آنکه بتوانند گرهی را از کار لشکر خود بگشایند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۱۰

سوره یس (۳۶): آیه ۷۶ ص: ۱۱۰

(آیه ۷۶) - سرانجام در این آیه به عنوان دل‌داری پیامبر صلی الله علیه و اله و تقویت روحیه او در برابر این همه کار شکنیها و فتنه انگیزیها و افکار و اعمال خرافی، می‌فرماید:

«اکنون که چنین است سخنان آنها تو را غمگین نکند (که گاهی تو را شاعر می‌خوانند و گاهی ساحر و گاه تهمت‌های دیگری می‌بندند) چرا که آنچه را آنها در دل مخفی می‌دارند و یا با زبان آشکار می‌سازند همه را ما می‌دانیم» (فَلَا يَخْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّآ نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ).

نه نیت آنها بر ما پوشیده است، و نه توطئه‌های مخفیانه آنها، و نه تکذیبها و شیطنتهای آشکارشان، همه را می‌دانیم و حساب آنها را برای روز حساب نگه می‌داریم و تو را از شر آنها در این جهان نیز در امان خواهیم داشت.

سوره یس (۳۶): آیه ۷۷ ص: ۱۱۰

اشاره

(آیه ۷۷)

شأن نزول: ص: ۱۱۰

مردی از مشرکان به نام «ابی بن خلف» یا «امیه بن خلف» و یا «عاص بن وائل» قطعه استخوان پوسیده‌ای را پیدا کرد و گفت: با این دلیل محکم به مخاصمه با محمد بر می‌خیزم، و سخن او را در باره معاد ابطال می‌کنم آن را برداشت و نزد پیامبر اسلام آمد (و شاید مقداری از آن را در حضور پیامبر نرم کرد و به روی زمین ریخت) و گفت چه کسی می‌تواند این استخوانهای

پوسیده را از نو زنده کند (و کدام عقل آن را باور می‌کند).

این آیه و شش آیه بعد از آن که مجموعاً هفت آیه را تشکیل می‌دهد نازل شد، و پاسخ منطقی و دندان شکنی به او و هم فکران او داد.

تفسیر: ص: ۱۱۰

آفرینش نخستین دلیل قاطعی است بر معاد این سوره از قرآن مجید با مسأله نبوت آغاز شد، و با هفت آیه منسجم که قویترین بیانات را در باره معاد در بردارد پایان می‌یابد.

نخست دست انسان را می‌گیرد و به آغاز حیات خودش در آن روز که نطفه بی‌ارزشی بیش نبود می‌برد، و او را به اندیشه و آفرینش می‌دارد، می‌گوید: «آیا انسان ندید که ما او را از نطفه آفریدیم و او (آن چنان قوی و نیرومند و صاحب قدرت و شعور و نطق شد که حتی به مجادله در برابر پروردگارش برخاست و) مخاصمه کننده آشکاری شد؟! (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۱۱

آری! این موجود ضعیف و ناتوان آن چنان قوی و نیرومند شد که به خود اجازه داد به پرخاشگری در برابر دعوت «الله» برخیزد، و گذشته و آینده خویش را به دست فراموشی بسپارد، و مصداق روشن «خصیم مبین» شود.

سورهٔ یس (۳۶): آیه ۷۸ ص: ۱۱۱

(آیه ۷۸) - برای بی‌خبری او همین بس که «او مثلی برای ما زد (و به پندار خودش دلیل دندان شکنی پیدا کرد) و در حالی که آفرینش نخستین خود را به دست فراموشی سپرده گفت: چه کسی می‌تواند این استخوانها را زنده کند در حالی که پوسیده است؟! (وَ ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ).

منظور از ضرب المثل در اینجا بیان استدلال و ذکر مصداق به منظور اثبات یک مطلب کلی است.

جالب این که قرآن مجید با جمله کوتاه «و نسی خلقه» تمام پاسخ او را داده است هر چند پشت سر آن توضیح بیشتر و دلائل افزونتر نیز ذکر کرده.

می‌گوید: اگر آفرینش خویش را فراموش نکرده بودی هرگز به چنین استدلال واهی و سستی دست نمی‌زدی، ای انسان فراموشکار! به عقب بازگرد، و آفرینش خود را بنگر، چگونه نطفه ناچیزی بودی، و هر روز لباس تازه‌ای از حیات بر تن تو پوشانید، تو دائماً در حال مرگ و معاد هستی، از جمادی مردی نامی شدی، و از جهان نباتات نیز مردی، از حیوان سرزدی، از عالم حیوان نیز مردی، انسان شدی. اما توی فراموشکار همه اینها را به طاق نسیان زدی حال می‌پرسی چه کسی این استخوان پوسیده را زنده می‌کند؟! این استخوان هر گاه کاملاً بپوسد تازه خاک می‌شود، مگر روز اول خاک نبود؟

سورهٔ یس (۳۶): آیه ۷۹ ص: ۱۱۱

(آیه ۷۹) - لذا بلافاصله به پیامبر اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله دستور می‌دهد که به این خیره‌سر مغرور و فراموشکار «بگو: کسی او را زنده می‌کند که در روز نخست او را ایجاد کرد» (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ).

و اگر فکر می‌کنید این استخوان پوسیده وقتی که خاک شد و در همه جا پراکنده گشت چه کسی می‌تواند آن اجزا را بشناسد و از نقاط مختلف گردآوری برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۱۲

کند؟ پاسخ آن نیز روشن است «او از هر مخلوقی آگاه است» و تمام ویژگیهای آنها را می‌داند (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ). کسی که دارای چنین «علم» و چنان «قدرتی» است مسأله معاد و احیای مردگان مشکلی برایش ایجاد نخواهد کرد.

سوره یس (۳۶): آیه ۸۰ ص: ۱۱۲

(آیه ۸۰) - رستاخیز انرژیها! در ادامه بحث پیرامون مسأله امکان معاد می‌فرماید: «همان کسی که برای شما از درخت سبز آتش آفرید و شما به وسیله آن آتش می‌افروزید» قادر است که بر این استخوانهای پوسیده بار دیگر لباس حیات بپوشاند (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ).

در این جا تفسیر دقیقی وجود دارد که به کمک دانشهای امروز بر آن دست یافته‌ایم که ما نام آن را رستاخیز انرژیها گذارده‌ایم. - البته تفسیرهای دیگر را نیز رد نمی‌کنیم.

توضیح این که: یکی از کارهای مهم گیاهان مسأله «کربن گیری» از هوا، و ساختن «سلولز نباتی» است. این سلولز یاخته‌های درختان و گیاهان - گاز کربن - را از هوا گرفته و آن را تجزیه می‌کنند، اکسیژن آن را آزاد ساخته، و کربن را در وجود خود نگاه می‌دارد، و سپس آن را با آب ترکیب کرده و چوب درختان را از آن می‌سازد.

ولی مسأله مهم این است که طبق گواهی علوم طبیعی هر ترکیب شیمیایی که انجام می‌یابد یا باید توأم با جذب انرژی اصلی باشد و یا آزاد کردن آن - دقت کنید.

بنابر این هنگامی که درختان به عمل کربن گیری مشغولند، طبق این قانون احتیاج به وجود یک انرژی دارند، و در اینجا از گرما و نور آفتاب به عنوان یک انرژی فعال استفاده می‌کنند.

به این ترتیب به هنگام تشکیل چوبهای درختان مقداری از انرژی آفتاب نیز در دل آنها ذخیره می‌شود و به هنگامی که چوبها را به اصطلاح می‌سوزانیم همان انرژی ذخیره شده آفتاب آزاد می‌گردد، زیرا بار دیگر «کربن» با «اکسیژن» هوا ترکیب شده و گاز کربن را تشکیل می‌دهد، و اکسیژن و نیدروژن (مقداری آب) برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۱۳ آزاد می‌گردد.

و این که می‌گویند همه انرژیها در کره زمین به انرژی آفتاب باز می‌گردد یکی از چهره‌هایش همین است.

اینجاست که به «رستاخیز انرژیها» می‌رسیم، و می‌بینیم نور و حرارتی که در این فضا پراکنده می‌شود و برگ درختان و چوبهای آنها را نوازش و پرورش می‌دهد هرگز نابود نشده است، بلکه تغییر چهره داده، و دور از چشم ما انسانها در درون ذرات چوب و شاخه و برگ درختان پنهان شده است، و هنگامی که یک شعله آتش به چوب خشکیده می‌رسد، رستاخیز آنها شروع می‌شود، و تمام آنچه از انرژی آفتاب در درخت پنهان بود در آن لحظه «حشر و نشورش» ظاهر می‌گردد، بی‌آنکه حتی به اندازه روشنایی یک شمع در یک زمان کوتاه از آن کم شده باشد! - باز هم دقت کنید.

سوره یس (۳۶): آیه ۸۱ ص: ۱۱۳

(آیه ۸۱) - او مالک و حاکم بر همه چیز است! بعد از ذکر دلائل معاد از طریق توجه دادن به آفرینش نخستین، و آفرینش

آتش از درخت سبز این آیه مسأله را از طریق سومی تعقیب می کند و آن از طریق قدرت بی پایان خداست. می فرماید: «آیا کسی که آسمانها و زمین را (با آن همه عظمت و عجایب و نظامات شگفت انگیز آفریده) توانایی ندارد که همانند این انسانهای خاک شده را بیافریند؟ (و آنها را به حیات و زندگی جدیدی بازگرداند) آری می تواند، و او آفریننده آگاه و داناست» (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ).

سوره یس (۳۶): آیه ۸۲ ص: ۱۱۳

(آیه ۸۲) - این آیه تأکیدی است بر آنچه در آیات قبل گذشت، تأکیدی است بر این حقیقت که هر گونه ایجاد در برابر اراده و قدرت او سهل و آسان است، ایجاد آسمانهای عظیم، و کره خاکی، با ایجاد یک حشره کوچک برای او یکسان است. می فرماید: «فرمان او این است که هر گاه چیزی را اراده کند به آن می گوید:

موجود باش! آن هم موجود می شود» همان گونه که خدا خواسته (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ بِشَيْءٍ أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) ج ۴، ص: ۱۱۴

همه چیز به یک اشاره و فرمان او بسته است و کسی که دارای چنین قدرتی است آیا جای این دارد که در احیاء مردگان به وسیله او تردید شود؟

آری! تعلق اراده او به چیزی همان، و موجود شدن آن همان است! و تعبیر به «امر» و «قول» و جمله «کن» همه توضیحی است برای مسأله خلق و ایجاد، و بیانگر تحقق سریع اشیا بعد از تعلق اراده الهی.

سوره یس (۳۶): آیه ۸۳ ص: ۱۱۴

اشاره

(آیه ۸۳) - این آیه که آخرین آیه سوره «یس» است به صورت یک نتیجه گیری کلی در مسأله مبدأ و معاد این بحث را به طرز زیبایی پایان می دهد.

می گوید: «پس منزّه است خداوندی که ملکوت همه چیز در دست قدرت اوست و همه شما به سوی او باز می گردید» (فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

نکته ها: ص: ۱۱۴

اشاره

در اینجا نظر خوانندگان عزیز را به مباحث ششگانه زیر که بحث فشرده ای پیرامون مسائل معاد است، جلب می کنیم:

۱ - اعتقاد به معاد یک امر فطری است ص: ۱۱۴

اگر انسان برای فنا آفریده شده بود باید عاشق «فنا» باشد، و از مرگ- هر چند مرگ به موقع- و در پایان عمر لذت برد، در حالی که می بینیم قیافه مرگ به معنی نیستی برای انسان در هیچ زمانی خوشایند نبوده، سهل است، با تمام وجودش از آن می گریزد! کوشش برای باقی نگهداشتن جسم مردگان از طریق مومیایی کردن و ساختن مقابر جاویدانی همچون اهرام مصر، و دیدن دنبال آب حیات، و اکسیر جوانی، و آنچه مایه طول عمر است، دلیل روشنی از عشق سوزان انسان به مسأله بقا است. اگر ما برای فنا آفریده شدیم این علاقه به بقا چه مفهومی می تواند داشته باشد؟ جز یک علاقه مزاحم و حد اقل بیهوده و بی مصرف! برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۱۵

فراموش نکنید ما بحث معاد را بعد از پذیرش وجود خداوند حکیم و دانا دنبال می کنیم، ما معتقدیم هر چه او در وجود ما آفریده روی حساب است، بنابر این عشق به بقا نیز باید حسابی داشته باشد، و آن هماهنگی با آفرینش و جهان بعد از این عالم است.

به تعبیر دیگر اگر دستگاه آفرینش در وجود ما عطش را آفرید، دلیل بر این است که آبی در خارج وجود دارد، همچنین اگر غریزه جنسی و علاقه به جنس مخالف در انسان وجود دارد نشانه این است که جنس مخالفی در خارج هست، و گر نه جاذبه و کشش بدون چیزی که به آن مجذوب گردد با حکمت آفرینش سازگار نیست.

از سوی دیگر هنگامی که تاریخ بشر را از زمانهای دوردست و قدیمترین ایام بررسی می کنیم نشانه های فراوانی بر اعتقاد راسخ انسان به زندگی پس از مرگ می یابیم.

آثاری که امروز از انسانهای پیشین- حتی انسانهای قبل از تاریخ- در دست ما است، مخصوصاً طرز دفن مردگان، کیفیت ساختن قبور، و حتی دفن اشیائی همراه مردگان، گواه بر این است که در درون وجدان ناآگاه آنها اعتقاد به زندگی بعد از مرگ نهفته بوده است.

یکی از روانشناسان معروف می گوید: «تحقیقات دقیق نشان می دهد که طوائف نخستین بشر دارای نوعی مذهب بوده اند، زیرا مردگان خود را به طرز مخصوص به خاک می سپردند و ابزار کارشان را در کنارشان می نهادند، و به این طریق عقیده خود را به وجود دنیای دیگر به ثبوت می رساندند.

اینها نشان می دهد که این اقوام زندگی پس از مرگ را پذیرفته بودند، هر چند در تفسیر آن راه خطا می پیمودند، و چنین می پنداشتند که آن زندگی درست شبیه همین زندگی است.

به هر حال این اعتقاد قدیمی ریشه دار را نمی توان ساده پنداشت و یا صرفاً نتیجه یک تلقین و عادت دانست. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۱۶

از سوی سوم وجود محکمه درونی به نام «وجدان» گواه دیگری بر فطری بودن معاد است.

هر انسانی در برابر انجام کار نیک در درون وجدانش احساس آرامش می کند، آرامشی که گاه با هیچ بیان و قلمی قابل توصیف نیست.

و به عکس در برابر گناهان، مخصوصاً جنایات بزرگ، احساس ناراحتی می کند، تا آنجا که بسیار دیده شده دست به خودکشی می زند و یا خود را تسلیم مجازات و چوبه دار می کند، و دلیل آن را رهائی از شکنجه وجدان می داند.

با این حال انسان از خود می پرسد: چگونه ممکن است عالم کوچکی همچون وجود من دارای چنین دادگاه و محکمه ای باشد، اما عالم بزرگ از چنین وجدان و دادگاهی تهی باشد؟

و به این ترتیب فطری بودن مسأله معاد و زندگی پس از مرگ از طرق مختلف بر ما روشن می شود.

از راه عشق عمومی انسانها به بقاء.
از طریق وجود این ایمان در طول تاریخ بشر.
و از راه وجود نمونه کوچک آن در درون جان انسان.

۲- بازتاب معاد در زندگی انسانها ص: ۱۱۶

اعتقاد به عالم پس از مرگ و بقای آثار اعمال آدمی، و جاودانگی کارهای او اعم از خیر و شر، اثر بسیار نیرومندی بر فکر و اعصاب و عضلات انسانها می‌گذارد و به عنوان یک عامل مؤثری در تشویق به نیکبها و مبارزه با زشتیها می‌تواند مؤثر شود. اثراتی که ایمان به زندگی پس از مرگ می‌تواند در اصلاح افراد فاسد و منحرف و تشویق افراد فداکار و مجاهد و ایثارگر بگذارد به مراتب بیش از اثرات دادگاهها و کیفرهای معمولی است چرا که مشخصات دادگاه رستاخیز با دادگاههای معمولی بسیار متفاوت است، در آن دادگاه نه تجدید نظر وجود دارد، و نه زر و زور برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۱۷ روی فکر ناظرانش اثر می‌گذارد، نه ارائه مدارک دروغین در آن فایده‌ای دارد، و نه تشریفات آن نیازمند به طول زمان است. قرآن مجید می‌گوید: «از روزی بپرهیزید که هیچ کس بجای دیگری جزا داده نمی‌شود و نه شفاعتی از او پذیرفته خواهد شد و نه غرامت و بدل، و نه کسی به یاری او می‌آید». (بقره/ ۴۸) و نیز می‌گوید: «هر کس از آنها که ظلم و ستم کرده، اگر تمامی روی زمین را در اختیار داشته باشد، در آن روز همه را برای نجات خویش می‌دهد، و هنگامی که عذاب الهی را می‌بینند پشیمانی خود را مکتوم می‌دارند (مبادا رسواتر شوند) و در میان آنها به عدالت داوری می‌شود و ستمی بر آنها نخواهد رفت». (یونس/ ۵۴) و نیز می‌خوانیم: «هدف این است که خداوند هر کس را به آنچه انجام داده جزا دهد چرا که خداوند سریع الحساب است». (ابراهیم/ ۵۱) به قدری حساب او سریع و قاطع است که طبق بعضی از روایات: «خداوند در یک چشم به هم زدن حساب همه را می‌رسد!» به همین دلیل در قرآن مجید سرچشمه بسیاری از گناهان فراموش کردن روز جزا ذکر شده، آنجا که می‌فرماید: «بچشید آتش دوزخ را به خاطر اینکه ملاقات امروز را فراموش کردید». (الم سجده/ ۱۴) حتی از پاره‌ای از تعبیرات استفاده می‌شود که انسان اگر گمانی در باره قیامت داشته باشد نیز از انجام بسیاری از اعمال خلاف خودداری می‌کند.

چنانکه در باره کم فروشان می‌فرماید: «آیا آنها گمان نمی‌کنند که برای روز بزرگی مبعوث می‌شوند». (مطففین/ ۴) حماسه‌های جاویدانی که مجاهدان اسلام در گذشته و امروز در میدانهای جهاد می‌آفرینند، و گذشت و ایثار و فداکاری عظیمی که بسیاری از مردم در زمینه دفاع از کشورهای اسلامی و حمایت از محرومان و مستضعفان نشان می‌دهند، همه بازتاب اعتقاد به زندگی جاویدان سرای دیگر است، مطالعات دانشمندان و تجربیات مختلف نشان داده که این گونه پدیده‌ها

در مقیاس وسیع و گسترده جز از برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۱۸

طریق عقیده‌ای که زندگی پس از مرگ در آن جای ویژه‌ای دارد امکان پذیر نیست.

سربازی که منطقی این است: «قُلْ هَلْ تَرَبُّوْنَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنِ» بگو:

شما دشمنان در باره ما چه می‌اندیشید؟ جز رسیدن به یکی از دو خیر و سعادت و افتخار» (یا پیروزی بر شما و یا رسیدن به افتخار شهادت) (توبه/ ۵۲) قطعاً سربازی است شکست ناپذیر.

چهره مرگ که برای بسیاری از مردم جهان وحشت انگیز است، و حتی از نام آن و هر چیز که آن را تداعی کند می‌گریزند، برای عقیده‌مندان به زندگی پس از مرگ نه تنها نازیبا نیست، بلکه دریچه‌ای به جهانی بزرگ، شکستن قفس و آزاد شدن

روح انسان، گشوده شدن درهای زندان تن، و رسیدن به آزادی مطلق است.

اصولاً مسأله معاد بعد از مبدأ، خط فاصل فرهنگ خداپرستان و مادیین است، چرا که دو دیدگاه مختلف در اینجا وجود دارد: دیدگاهی که مرگ را فنا و نابودی مطلق می‌بیند، و با تمام وجودش از آن می‌گریزد، چرا که همه چیز با آن پایان می‌گیرد. و دیدگاهی که مرگ را یک تولد جدید و گام نهادن به عالمی وسیع و پهناور و روشن، و پر گشودن در آسمان بیکران می‌شمرد.

طبیعی است که طرفداران این مکتب نه تنها از مرگ و شهادت در راه هدف ترس و وحشتی به خود راه نمی‌دهند، بلکه با الهام گرفتن از مکتب امیر مؤمنان علی علیه السلام که می‌فرماید: «به خدا سوگند فرزند ابی طالب علاقه‌اش به مرگ بیشتر است از کودک شیرخوار به پستان مادر» از مرگ در راه هدف استقبال می‌کنند.

و به همین دلیل هنگامی که ضربه شمشیر جنایتکار روزگار «عبدالرحمن بن ملجم» بر مغز مبارکش فرو نشست فرمود: «فزت و ربّ الکعبه» به خدای کعبه، پیروز و رستگار و راحت شدم! کوتاه سخن اینکه ایمان به معاد از انسان ترسو و بی‌هدف، آدم شجاع و با شهامت و هدفداری می‌آفریند که زندگیش مملو از حماسه‌ها و ایثارها و پاکی و تقواست.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۱۹

۳- دلائل عقلی معاد ص: ۱۱۹

اشاره

گذشته از دلائل نقلی فراوانی که برای معاد در قرآن مجید آمده است و شامل صدها آیه در این زمینه می‌شود دلائل عقلی روشنی نیز بر این امر وجود دارد که بطور فشرده در اینجا قسمتی از آن یادآوری می‌شود:

الف- برهان حکمت: ص: ۱۱۹

اگر زندگی این جهان را بدون جهان دیگر در نظر بگیریم پوچ و بی‌معنی خواهد بود، درست به این می‌ماند که زندگی دوران جنینی را بدون زندگی این دنیا فرض کنیم.

اگر قانون خلقت این بود که تمام جنینها در لحظه تولد خفه می‌شدند و می‌مردند چقدر دوران جنینی بی‌مفهوم جلوه می‌کرد؟ همچنین اگر زندگی این جهان بریده از جهان دیگر تصور شود این سر در گمی وجود خواهد داشت.

زیرا چه لزومی دارد که ما هفتاد سال یا کمتر و بیشتر در این دنیا در میان مشکلات دست و پا کنیم؟ مدتی خام و بی‌تجربه باشیم «و تا پخته شود خامی، عمر تمام است!» مدتی به دنبال تحصیل علم و دانش باشیم هنگامی که از نظر معلومات به جایی رسیدیم برف پیری بر سر ما نشسته! تازه برای چه زندگی می‌کنیم؟ خوردن مقداری غذا و پوشیدن چند دست لباس و خوابیدن و بیدار شدنهای مکرر و ادامه دادن این برنامه خسته کننده تکراری را دهها سال؟! آیا به راستی این آسمان گسترده، این زمین پهناور و این همه مقدمات و مؤخرات و این همه استادان و مربیان و این همه کتابخانه‌های بزرگ و این ریزه کاریهایی که در آفرینش ما و سایر موجودات به کار رفته، همه برای همان خوردن و نوشیدن و پوشیدن و زندگی مادی است؟

اینجاست که آنها که معاد را قبول ندارند، اعتراف به پوچی این زندگی می‌کنند و گروهی از آنها اقدام به خودکشی و نجات

از این زندگی پوچ و بی معنی را مجاز و یا مایه افتخار می‌شمرند! برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۲۰
چگونه ممکن است کسی به خداوند و حکمت بی‌پایان او ایمان داشته باشد و زندگی این جهان را بی‌آنکه مقدمه‌ای برای
زندگی جاویدان جهان دیگر باشد قابل توجه بشمرد؟

قرآن مجید می‌گوید: «آیا گمان کردید بیهوده آفریده شده‌اید و به سوی ما باز نمی‌گردید؟» (مؤمنون/ ۱۱۵) یعنی اگر
بازگشت به سوی خدا نبود زندگی این جهان عبث و بیهوده بود.

آری در صورتی زندگی این دنیا مفهوم و معنی پیدا می‌کند و با حکمت خداوندی سازگار می‌شود که این جهان را مزرعه‌ای
برای جهان دیگر و گذرگاهی برای آن عالم وسیع و کلاس تهیه و دانشگاهی برای جهان دیگر و تجارتخانه‌ای برای آن سرا
بدانیم، همانگونه که امیر مؤمنان علی علیه السلام در کلمات پرمحتوایش در نهج البلاغه فرمود: «این دنیا جایگاه صدق و
راستی است برای آن کس که با آن به راستی رفتار کند و خانه تندرستی است برای آن کس که از آن چیزی بفهمد، و سرای
بی‌نیازی است برای آن کس که از آن توشه بگیرد، و محل اندرز است، برای آنکه از آن اندرز گیرد، مسجد دوستان
خداست، نمازگاه فرشتگان پروردگار و محل نزول وحی الهی و تجارتخانه اولیاء حق است».

کوتاه سخن اینکه مطالعه و بررسی وضع این جهان به خوبی گواهی می‌دهد بر اینکه عالم دیگری پشت سر آن است: «شما
نشئه اولی و آفرینش خود را در این دنیا دیدید چرا متذکر نمی‌شوید که از پی آن جهان دیگری است؟» (واقعه/ ۶۲)

ب- برهان عدالت: ص: ۱۲۰

دقت در نظام هستی و قوانین آفرینش نشان می‌دهد که همه چیز آن حساب شده است.

در سازمان تن ما آنچه‌ان نظام عادلانه‌ای حکمفرماست که هرگاه کمترین تغییر و ناموزونی رخ می‌دهد سبب بیماری یا مرگ
می‌شود، حرکات قلب ما، گردش خون ما، پرده‌های چشم ما و جزء جزء سلولهای تن ما مشمول همان نظام دقیق است که در
کل عالم حکومت می‌کند. آیا انسان می‌تواند یک وصله ناجور در این عالم پهناور باشد؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص:

۱۲۱

درست است که خداوند به انسان آزادی اراده و اختیار داده تا او را بیازماید و در سایه آن مسیر تکامل را طی کند، ولی اگر
انسان از آزادی سوء استفاده کرد، چه می‌شود؟ اگر ظالمان و ستمگران، گمراهان و گمراه کنندگان با سوء استفاده از این

موهبت الهی به راه خود ادامه دادند عدل خداوند چه اقتضا می‌کند؟

درست است که گروهی از بدکاران در این دنیا مجازات می‌شوند و به کیفر اعمال خود- یا لااقل قسمتی از آن- می‌رسند، اما
مسلمانان نیست که همه مجرمان، همه کیفر خود را ببینند، و همه پاکان و نیکان به پاداش اعمال خود در این جهان برسند،

آیا ممکن است این دو گروه در کفه عدالت پروردگار یکسان باشند؟

به گفته قرآن مجید: «آیا کسانی را که در برابر قانون خدا به حق و عدالت تسلیمند همچون مجرمان قرار دهیم، چگونه حکم

می‌کنید؟» (قلم/ ۳۵ و ۳۶) و در جای دیگر می‌فرماید: «آیا ممکن است پرهیزگاران را همچون فاجران قرار دهیم؟» (ص/ ۲۸)

به هر حال تفاوت انسانها در اطاعت فرمان حق جای تردید نیست همان گونه که عدم کفایت دادگاه «مکافات این جهان» و

«محکمه وجدان» و «عکس‌العملهای گناهان» برای برقراری عدالت نیز به تنهایی کافی به نظر نمی‌رسد، بنابر این باید قبول

کرد که برای اجرای عدالت الهی لازم است محکمه و دادگاه عدل عامی باشد که سر سوزن کار نیک و بد در آنجا حساب

شود و گر نه اصل عدالت تأمین نخواهد شد.

بنابر این باید پذیرفت که قبول عدل خدا مساوی است با قبول وجود معاد و رستاخیز، قرآن مجید می‌گوید: «ما ترازوهای عدالت را در روز قیامت بر پا می‌کنیم». (انبیاء/ ۴۷) و نیز می‌فرماید: «در روز قیامت در میان آنها به عدالت حکم می‌شود و ظلم و ستمی بر آنها نخواهد شد». (یونس/ ۵۴)

ج- برهان هدف: ص: ۱۲۱

بر خلاف پندار مادیین، در جهان بینی الهی، برای آفرینش انسان هدفی بوده است که در تعبیرات فلسفی از آن به «تکامل» و در لسان قرآن و حدیث گاهی از آن به قرب به خدا و یا عبادت و بندگی تعبیر شده است: «من جنّ برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۲۲

و انس را نیافریدم مگر به این منظور که مرا پرستش کنند» و در سایه عبادت و بندگی کامل شوند و به حریم قرب من راه یابند. (ذاریات/ ۵۶) آیا اگر مرگ پایان همه چیز باشد این هدف بزرگ تأمین می‌گردد؟ بدون شک پاسخ این سؤال منفی است.

باید جهانی بعد از این جهان باشد و خط تکامل انسان در آن ادامه یابد، و محصول این مزرعه را در آنجا درو کند، و حتی در جهان دیگر نیز این سیر ادامه یابد تا هدف نهایی تأمین شده باشد. خلاصه اینکه تأمین هدف آفرینش بدون پذیرش معاد ممکن نیست و اگر ارتباط این زندگی را از جهان پس از مرگ قطع کنیم همه چیز شکل معما به خود می‌گیرد و پاسخی برای چراها نخواهیم داشت.

د- برهان نفی اختلاف: ص: ۱۲۲

بی‌شک همه ما از اختلافاتی که در میان مکتبها و مذهبها در این جهان وجود دارد رنج می‌بریم، و همه آرزو می‌کنیم روزی این اختلافات برچیده شود در حالی که همه قرائن نشان می‌دهد که این اختلافات در طبیعت زندگی این دنیا حلول کرده، و حتی از دلائلی استفاده می‌شود که بعد از قیام حضرت مهدی- عج- آن بر پا کننده حکومت واحد جهانی هر چند بسیاری از اختلافات حل خواهد شد ولی باز اختلاف مکتبها به کلی برچیده نمی‌شود، و به گفته قرآن مجید: «یهود و نصارا تا دامنه قیامت به اختلافاتشان باقی خواهند ماند». (مائده/ ۱۴) ولی خداوندی که همه چیز را به سوی وحدت می‌برد سرانجام به اختلافات پایان خواهد داد، و چون با وجود پرده‌های ضخیم عالم ماده این امر بطور کامل در این دنیا امکان پذیر نیست، می‌دانیم در جهان دیگری که عالم بروز و ظهور است سرانجام این مسأله عملی خواهد شد، و حقایق آنچنان آفتابی می‌گردد که اختلاف مکتب و عقیده به کلی برچیده می‌شود.

جالب اینکه در آیات متعددی از قرآن مجید روی این مسأله تکیه شده است، در یک جا می‌فرماید: «خداوند در روز قیامت در میان آنها داوری می‌کند در آنچه با برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۲۳

هم اختلاف داشتند». (بقره/ ۱۱۳) و در جای دیگر می‌فرماید: «آنها سوگند مؤکد یاد کردند که خداوند کسانی را که می‌میرند هرگز زنده نمی‌کند، ولی چنین نیست. این وعده قطعی خداست (که همه آنها را زنده کند) ولی اکثر مردم نمی‌دانند هدف این است که آنچه را در آن اختلاف داشتند برای آنها روشن سازد تا کسانی که منکر شدند بدانند دروغ می‌گفتند». (نحل/ ۳۸ و ۳۹)

بعد از مسأله توحید که اساسی‌ترین مسأله در تعلیمات انبیاء است مسأله معاد با ویژگیها و آثار تربیتی و فرهنگی در درجه اول قرار دارد، لذا در بحثهای قرآنی بیشترین آیات را بعد از توحید و خداشناسی به خود اختصاص داده است. مباحث قرآنی معاد گاه به صورت استدلالهای منطقی است و گاه به صورت بحثهای خطابی و تلقینات مؤثر و کوبنده که گاه از شنیدن آن مو بر بدن انسان راست می‌شود، و لحن صادقانه کلام چنان است که همچون استدلال در اعماق جان و روح انسان نفوذ می‌کند.

در بخش اول، یعنی استدلال منطقی، قرآن بیشتر روی موضوع امکان معاد تکیه می‌کند، چرا که منکران غالباً آن را محال می‌پنداشتند، و معتقد بودند معاد آن هم به صورت «معاد جسمانی» که مستلزم بازگشت اجسام پوسیده و خاک شده به حیات و زندگی نوین است، امکان پذیر نیست.

در این بخش، قرآن از طرق کاملاً گوناگون و متنوع وارد می‌شود، و طرقی که همه به یک جا ختم می‌گردد و آن مسأله «امکان عقلی معاد» است.

گاه زندگی نخستین را در نظر انسان مجسم می‌کند، و در یک عبارت کوتاه و گویا و روشن می‌گوید: «همان گونه که شما را از آغاز آفرید باز می‌گردید». (اعراف / ۲۹) گاه زندگی و مرگ گیاهان، و رستاخیز آنها را که همه سال با چشم می‌بینیم برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۲۴ مجسم کرده و در پایان آن می‌گوید: رستاخیز شما نیز همین گونه است.

«ما از آسمان آب پر برکتی فرستادیم و به وسیله آن باغهای سرسبز رویاندیم و دانه‌های درو شده ... و به وسیله آن سرزمین مرده‌ای را زنده کردیم، رستاخیز (شما) نیز همین گونه است؟» (ق / ۹ تا ۱۱) در جای دیگر می‌گوید: «خداوند همان کسی است که بادها را فرستاد تا ابرها را به حرکت درآورند و آن را به سوی سرزمین مرده راندیم و به وسیله آن زمین را بعد از مرگش حیات بخشیدیم، رستاخیز نیز چنین است!» (فاطر / ۹) گاه مسأله قدرت خداوند را در آفرینش آسمانها و زمین مطرح کرده، می‌گوید:

«آیا نمی‌دانند خداوندی که آسمانها و زمین را آفرید و از آفرینش آنها خسته نشد قادر است که مردگان را زنده کند؟ آری او بر هر چیز تواناست». (احقاف / ۳۳) و گاه رستاخیز انرژیها و بیرون پریدن آتش از درون درخت سبز را به عنوان نمونه‌ای از قدرت او، و قرار گرفتن آتش در دل آب، مطرح کرده، می‌گوید:

«آن خدایی مردگان را لباس حیات می‌پوشاند که از درخت سبز برای شما آتش آفرید!» (یس / ۸۰) گاه زندگی جنینی را در نظر انسان مجسم می‌سازد و می‌گوید: «ای مردم! اگر در رستاخیز شک دارید فراموش نکنید که ما شما را از خاک آفریدیم، سپس از نطفه، و بعد از علقه (خون بسته شده) سپس از مضغه (پاره گوشتی همچون گوشت جویده شده) که بعضی دارای شکل و خلقت است و بعضی بی‌شکل. هدف این است که ما برای شما روشن سازیم (که بر هر چیز قادریم) و جنینهایی را که خواهیم تا مدت معینی در رحم مادران نگاه می‌داریم، سپس شما را به صورت طفلی به عالم دنیا می‌فرستیم». (حج / ۵) و بالاخره گاه شبیح رستاخیز را در خوابهای طولانی - خوابهایی که برادر مرگ است بلکه از جهاتی خود مرگ باشد - مانند خواب سیصد و نه ساله اصحاب کهف نشان می‌دهد، و بعد از شرح جالب و زیبایی پیرامون خواب و بیداری آنها می‌فرماید:

«این چنین مردم را متوجه حال آنها کردیم تا بدانند وعده رستاخیز برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۲۵

خداوند حق است و در قیام قیامت تردیدی نیست». (کهف / ۲۱) این شش راه مختلف است که در لا به لای آیات قرآن برای بیان امکان معاد مطرح شده است.

علاوه بر این داستان مرغان چهار گانه ابراهیم (بقره / ۲۶۰) و سرگذشت عزیر (بقره / ۲۵۹) و داستان کشته‌ای از بنی اسرائیل (بقره / ۷۳) که هر کدام یک نمونه تاریخی برای این مسأله است شواهد و دلائل دیگری است که قرآن در این زمینه ذکر می‌کند.

کوتاه سخن اینکه ترسیمی که قرآن مجید از معاد و چهره‌های آن و مقدمات و نتایج آن دارد، و دلائل گویایی که در این زمینه مطرح کرده است به قدری زنده و قانع کننده است که هر کس کمترین بهره‌ای از وجدان بیدار داشته باشد تحت تأثیر عمیق آن قرار می‌گیرد.

۵- معاد جسمانی ص: ۱۲۵

منظور از معاد جسمانی این نیست که تنها جسم در جهان دیگر بازگشت می‌کند، بلکه هدف این است که روح و جسم تواما مبعوث می‌شود، و به تعبیر دیگر بازگشت روح مسلم است، گفتگو از بازگشت جسم است.

جمعی از فلاسفه پیشین تنها به معاد روحانی معتقد بودند، و جسم را مرکبی می‌دانستند که تنها در این جهان با انسان است، و بعد از مرگ از آن بی‌نیاز می‌شود، آن را رها می‌سازد و به عالم ارواح می‌شتابد.

ولی عقیده علمای بزرگ اسلام این است که معاد در هر دو جنبه روحانی و جسمانی صورت می‌گیرد. در اینجا بعضی مقید به خصوص جسم سابق نیستند، و می‌گویند: خداوند جسمی را در اختیار روح می‌گذارد، و چون شخصیت انسان به روح اوست این جسم جسم او محسوب می‌شود! در حالی که محققین معتقدند همان جسمی که خاک و متلاشی گشته، به فرمان خدا جمع آوری می‌شود، و لباس حیات نوینی بر آن می‌پوشاند، و این برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۲۶

عقیده‌ای است که از متون آیات قرآن مجید گرفته شده است.

شواهد معاد جسمانی در قرآن مجید آن قدر زیاد است که بطور یقین می‌توان گفت: آنها که معاد را منحصر در روحانی می‌دانند کمترین مطالعه‌ای در آیات فراوان معاد نکرده‌اند و گر نه جسمانی بودن معاد در آیات قرآن به قدری روشن است که جای هیچ گونه تردید نیست.

همین آیاتی که در آخر سوره یس خواندیم به وضوح بیانگر این حقیقت است چرا که مرد عرب بیابانی تعجبش از این بود که این استخوان پوسیده را که در دست دارد چه کسی می‌تواند زنده کند؟

و قرآن با صراحت در پاسخ او می‌گوید: «بگو: همین استخوان پوسیده را خدایی که روز نخست آن را ابداع و ایجاد کرد زنده می‌کند».

تمام تعجب مشرکان و مخالفت آنها در مسأله معاد بر سر همین مطلب بود که: «چگونه وقتی ما خاک شدیم و خاکهای ما در زمین گم شد، دوباره لباس حیات در تن می‌کنیم؟» (الم سجد / ۱۰) آنها می‌گفتند: «چگونه این مرد به شما وعده می‌دهد وقتی که مردید و خاک شدید بار دیگر به زندگی بازمی‌گردید». (مؤمنون / ۳۵) آنها به قدری از این مسأله تعجب می‌کردند که اظهار آن را نشانه جنون و یا دروغ بر خدا می‌پنداشتند.

کافران گفتند: «مردی را به شما نشان دهیم که به شما خبر می‌دهد هنگامی که کاملاً خاک و پراکنده شدید بار آفرینش جدیدی می‌یابد». (سبأ / ۷ و ۸) به همین دلیل عموماً استدلالات قرآن در باره امکان معاد بر محور همین معاد جسمانی دور

می‌زند، و بیانات ششگانه‌ای که در فصل قبل گذشت همه شاهد و گواه این مدعاست. بعلاوه قرآن کراراً خاطر نشان می‌کند که شما در قیامت از قبرها خارج می‌شوید (یس / ۵۱ - قمر / ۷) قبرها مربوط به معاد جسمانی است.

داستان مرغهای چهار گانه ابراهیم، و همچنین داستان عزیر و زنده شدن او برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۲۷ بعد از مرگ، و ماجرای مقتول بنی اسرائیل، همه با صراحت از معاد جسمانی سخن می‌گویند. توصیفهای زیادی که قرآن مجید از مواهب مادی و معنوی بهشت کرده، همه نشان می‌دهد که معاد هم در مرحله جسم و هم در مرحله روح تحقق می‌پذیرد، و گر نه حور و قصور و انواع غذاهای بهشتی و لذائذ مادی در کنار مواهب معنوی معنی ندارد.

به هر حال ممکن نیست کسی کمترین آگاهی از منطق و فرهنگ قرآن داشته باشد و معاد جسمانی را انکار کند، و به تعبیر دیگر انکار معاد جسمانی از نظر قرآن مساوی است با انکار اصل معاد! علاوه بر این دلایل نقلی، شواهد عقلی نیز در این زمینه وجود دارد که اگر بخواهیم وارد آن شویم سخن به درازا می‌کشد.

۶- بهشت و دوزخ ص: ۱۲۷

بسیاری چنین می‌پندارند که عالم پس از مرگ کاملاً شبیه این جهان است، منتهی در شکلی کاملتر و جالبتر. ولی قرائن زیادی در دست داریم که نشان می‌دهد فاصله زیادی از نظر کیفیت و کمیت میان این جهان و آن جهان است، حتی اینکه اگر این فاصله را به تفاوت میان عالم کوچک جنین با این دنیای وسیع تشبیه می‌کنیم باز مقایسه کاملی به نظر نمی‌رسد.

طبق صریح بعضی از روایات در آنجا چیزهایی است که چشمی ندیده و گوشی نشنیده، و حتی از فکر انسانی خطور نکرده است.

قرآن مجید می‌گوید: «هیچ انسانی نمی‌داند چه چیزهایی که مایه روشنی چشم است برای او پنهان نگه داشته شده». (سجده / ۱۷) نظامات حاکم بر آن جهان نیز با آنچه در این عالم حاکم است کاملاً تفاوت دارد. در اینجا افراد به عنوان شهود در دادگاه حاضر می‌شوند ولی در آنجا دست برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۲۸

و پا و حتی پوست تن شهادت می‌دهد. (یس / ۶۵ - فصلت / ۲۱) به هر حال آنچه در باره جهان دیگر گفته شود تنها شبیحی از دور در نظر ما مجسم می‌کند، و اصولاً الفبای ما و فرهنگ فکری ما در این جهان قادر به توصیف حقیقی آن نیست و از اینجا به بسیاری از سؤالات در زمینه بهشت و دوزخ و چگونگی نعمتها و عذابهایش پاسخ داده خواهد شد.

همین قدر می‌دانیم بهشت کانون انواع مواهب الهی اعم از مادی و معنوی است، و دوزخ کانونی است از شدیدترین عذابها در هر دو جهت.

اما در مورد جزئیات این دو، قرآن اشاراتی دارد که ما به آن مؤمن هستیم اما تفصیل آن را تا کسی نبیند نمی‌داند! «پایان سوره یس»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۲۹

سوره صافات [۳۷] ص: ۱۲۹

این سوره در «مکه» نازل شده، و ۱۸۲ آیه است

محتوای سوره: ص: ۱۲۹

بطور کلی محتوای این سوره در پنج بخش خلاصه می‌شود.

بخش اول: بحثی پیرامون گروههائی از ملائکه و فرشتگان خداوند، و در مقابل آنها گروهی از شیاطین سرکش و سرنوشت آنها را مطرح می‌سازد.

بخش دوم: از کفار، و انکارشان نسبت به نبوت و معاد، و عاقبت کار آنها در قیامت سخن می‌گوید، و گرفتاری تمام آنها در چنگال عذاب الهی، و نیز بخشی از نعمتهای مهم بهشتی و لذات و زیباییها و شادکامیهای بهشتیان را شرح می‌دهد.

بخش سوم: قسمتی از تاریخ انبیای بزرگی، مانند «نوح» و «ابراهیم» و «اسحاق» و «موسی» و «هارون» و «الیاس» و «لوط» و «یونس» را به صورت فشرده و در عین حال بسیار مؤثر و نافذ بازگو می‌کند، ولی بحث در باره «ابراهیم» قهرمان بت شکن، مشروحتر آمده است.

بخش چهارم: از یکی از انواع شرک که می‌توان آن را «بدترین نوع شرک» دانست. یعنی اعتقاد به رابطه خویشاوندی میان خداوند و جن و خداوند و فرشتگان بحث می‌کند.

و سرانجام بخش پنجم که آخرین بخش این سوره است، و در چند آیه کوتاه مطرح شده، پیروزی لشکر حق را بر لشکر کفر و شرک و نفاق، و گرفتار شدن آنها را در چنگال عذاب الهی، ضمن تنزیه و تقدیس پروردگار بیان می‌دارد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۳۰

فضیلت تلاوت سوره ص: ۱۳۰

: در حدیثی از پیامبر گرامی اسلام صلی الله علیه و اله آمده است:

«کسی که سوره صافات را بخواند به عدد هر جن و شیطانی ده حسنه به او داده می‌شود، و شیاطین متمرّد از او فاصله می‌گیرند، و از شرک پاک می‌شود و دو فرشته‌ای که مأمور حفظ او هستند در قیامت در باره او شهادت می‌دهند که به رسولان خداوند ایمان داشته است».

و در حدیث دیگری از امام صادق علیه السلام چنین می‌خوانیم: «کسی که سوره صافات را در هر روز جمعه بخواند از هر آفتی محفوظ می‌ماند، و هر بلائی در زندگی دنیا از او دفع می‌گردد، خداوند وسیعترین روزی را در اختیارش می‌گذارد، و او را در مال و فرزندان و بدن، گرفتار زیانهای شیطان رجیم و گردنکشان عنود نمی‌سازد، و اگر در آن روز و شب از دنیا برود خداوند او را شهید مبعوث می‌کند، و شهید می‌میراند، و او را در بهشت با شهدا هم درجه می‌سازد».

هدف از تلاوت، اندیشه و سپس اعتقاد و بعد از آن عمل است، و بدون شک کسی که تلاوت این سوره را با این کیفیت انجام دهد هم از شر شیاطین محفوظ خواهد ماند، هم از شرک پاک می‌گردد، و با داشتن اعتقاد صحیح و اعمال صالح در زمره شهیدان قرار خواهد گرفت.

ضمناً نامگذاری این سوره به نام «صافات» به مناسبت آیه اول آن است.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱ ص: ۱۳۰

(آیه ۱) - فرشتگانی که آماده انجام مأموریتند: این سوره نخستین سوره از قرآن مجید است که اولین آیات آن با سوگندها شروع می شود، سوگندهائی اندیشه انگیز، که فکر انسان را همراه خود به جوانب مختلف این جهان می کشاند. درست است که خداوند از همه راستگویان راستگوتر است، و نیازی به سوگند ندارد، ولی توجه به دو نکته مشکل سوگند را در تمام آیات قرآن که از این به بعد گهگاه با آن سر و کار داریم حل خواهد کرد. نخست این که: همیشه سوگند به امور پر ارزش و مهم یاد می کنند، بنابر این برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۳۱ سوگندهای قرآن دلیل بر عظمت و اهمیت اموری است که به آنها سوگند یاد شده. دیگر این که سوگند همیشه برای تأکید است، و دلیل بر این است که اموری که برای آن سوگند یاد شده از امور کاملاً جدی و مؤکد است.

به هر حال در آغاز این سوره به نام سه گروه برخورد می کنیم که به آنها سوگند یاد شده است. نخست می فرماید: «قسم به آنها که صف کشیده اند و صفوف خود را منظم ساخته اند!» (وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۲ ص: ۱۳۱

(آیه ۲) - «همانها که قویا نهی می کنند و باز می دارند» (فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۳ ص: ۱۳۱

(آیه ۳) - «و آنها که پی در پی تلاوت ذکر می کنند» (فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا). معروف و مشهور آن است که توصیفات فوق اوصافی است برای گروههائی از فرشتگان. گروههائی که برای انجام فرمان الهی در عالم هستی به صف ایستاده و آماده فرمانند. گروههائی از فرشتگان که انسانها را از معاصی و گناه باز می دارند، و وسوسه های شیاطین را در قلوب آنها خنثی می کنند، و یا مأمور ابرهای آسمانند و آنها را به هر سو می رانند و آماده آبیاری سرزمینهای خشک می کنند. و بالاخره گروههائی از فرشتگان که آیات کتب آسمانی را به هنگام نزول وحی بر پیامبران می خوانند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۴ ص: ۱۳۱

(آیه ۴) - اکنون ببینیم این سوگندهای پر محتوا سوگند به صفوف فرشتگان و انسانها برای چه منظوری بوده است؟ آیه شریفه این مطلب را روشن ساخته، می گوید: «معبود شما مسلماً یکتاست» (إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ). سوگند به آن مقدساتی که گفته شد بتها همه بر بادند، و هیچ گونه شریک و شبیه و نظیری برای پروردگار نیست.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۵ ص: ۱۳۱

(آیه ۵) - سپس می‌افزاید: «همان پروردگار آسمانها و زمین و آنچه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۳۲ در میان آن دو قرار دارد، و پروردگار مشرقها!» (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ). خورشید آسمان در هر روز از سال از نقطه‌ای غیر از نقطه روز قبل و بعد طلوع می‌کند، و فاصله این نقاط با یکدیگر آنقدر منظم و دقیق است که حتی یک هزارم ثانیه کم و زیاد نمی‌شود، و هزاران هزار سال است که نظم «مشارق شمس» برقرار می‌باشد. در طلوع و غروب ستارگان دیگر نیز همین نظام حکمفرماست.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۶ ص: ۱۳۲

(آیه ۶) - پاسداری آسمان از نفوذ شیاطین! در آیات گذشته سخن از صفوف مختلف فرشتگان الهی بود و در اینجا از نقطه مقابل آنها، یعنی گروههای شیاطین و سرنوشت آنها، سخن می‌گویند، و می‌تواند مقدمه‌ای باشد برای ابطال اعتقاد جمعی از مشرکان که شیاطین و جن را معبود خود قرار می‌دادند. نخست می‌گوید: «ما آسمان نزدیک [پائین را با ستارگان آراستیم]» (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ). به راستی منظره ستارگان آسمان آنقدر زیباست که هرگز چشم از دیدن آن خسته نمی‌شود، بلکه خستگی را از تمام وجود انسان بیرون می‌کند هر چند این مسائل در عصر و زمان ما برای شهرنشینانی که در دود کارخانه‌ها غوطه‌ورند، و طبعاً آسمانی تاریک و سیاه دارند چندان مفهوم نیست، ولی روستائینان هنوز می‌توانند ناظر این گفته قرآنی یعنی تزئین آسمان با ستارگان درخشان باشند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۷ ص: ۱۳۲

(آیه ۷) - در این آیه به محفوظ بودن صحنه آسمان از نفوذ شیاطین اشاره کرده، می‌گوید: «ما آن را از هر شیطان خبیث و عاری از خیر و نیکی حفظ کردیم» (وَ حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۸ ص: ۱۳۲

(آیه ۸) - سپس می‌افزاید: «آنها نمی‌توانند به (سخنان) فرشتگان عالم بالا گوش فرا دهند (و هرگاه چنین کنند) از هر سو هدف (تیرهای شهاب) قرار می‌گیرند!» (لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَ يُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۹ ص: ۱۳۲

(آیه ۹) - آری «آنها به شدت به عقب رانده می‌شوند (و از صحنه آسمان طرد می‌گردند) و برای آنان مجازاتی دائم است» (دُحُورًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۳۳ اشاره به این که نه تنها شیاطین از نزدیک شدن به عرصه آسمان منع و طرد می‌شوند بلکه سرانجام گرفتار عذاب دائم نیز می‌گردند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۰ ص: ۱۳۳

(آیه ۱۰) - در این آیه به گروهی از شیاطین سرکش و جسور اشاره می‌کند که قصد صعود به عرصه بلند آسمان می‌کنند، می‌فرماید: «مگر آنها که در لحظه‌ای کوتاه برای استراق سمع به آسمان نزدیک شوند که شهاب ثاقب آنها را تعقیب می‌کند» و می‌سوزاند (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ).

«شهاب» در اصل به معنی شعله‌ای است که از آتش افروخته زبانه می‌کشد، و به شعله‌های آتشی که در آسمان به صورت خط ممتد دیده می‌شود نیز می‌گویند.

می‌دانیم اینها ستاره نیستند، بلکه شبیه ستارگانند، قطعات سنگهای کوچکی هستند که در فضا پراکنده‌اند، و هنگامی که در حوزه جاذبه زمین قرار گیرند به سوی زمین جذب می‌شوند، و بر اثر سرعت و شدت برخورد آنها با هوای اطراف زمین مشتعل و برافروخته می‌شوند.

«ثاقب» به معنی نافذ و سوراخ کننده است، و در اینجا اشاره به این است که به هر موجودی اصابت کند آن را سوراخ کرده و آتش می‌زند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۱ ص: ۱۳۳

(آیه ۱۱) - آنها که هرگز حق را پذیرا نمی‌شوند! قرآن همچنان مسأله رستاخیز و مخالفت منکران لجوج را تعقیب می‌کند و به دنبال بحث گذشته از قدرت خداوند و خالق آسمان و زمین بر همه چیز می‌فرماید: «از آنها بپرس آیا آفرینش (و معاد) آنان سخت تر است یا آفرینش فرشتگان» و آسمانها و زمین (فَأَسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا).

آری «ما آنها را از گل چسبنده‌ای آفریدیم!» (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ).

گویا مشرکان که منکر معاد بودند بعد از شنیدن آیات گذشته در مورد آفرینش آسمان و زمین و فرشتگان اظهار داشتند، آفرینش ما از آن مهتر است.

قرآن در پاسخ آنها می‌گوید: آفرینش انسانها در مقابل آفرینش زمین و آسمان پهناور و فرشتگانی که در این عوالم هستند

چیز مهمی نیست، چرا که مبدأ آفرینش برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۳۴

انسان یک مشت خاک چسبنده بیش نبوده است.

زیرا مبدأ آفرینش انسان نخست «خاک» بود سپس با «آب» آمیخته شد، کم کم به «صورت لجن بدبوئی» درآمد و بعد به صورت «گل چسبنده‌ای» شد و با این بیان میان تعبیرات گوناگون در آیات قرآن مجید جمع می‌شود.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۲ ص: ۱۳۴

(آیه ۱۲) - سپس می‌افزاید: «تو از انکار آنها نسبت به معاد) تعجب می‌کنی ولی آنها (معاد را) مسخره می‌کنند» (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ).

تو آنقدر با قلب پاکت مسأله را واضح می‌بینی که از انکار آن در شگفتی فرو می‌روی، و اما این ناپاک دلان آنقدر آن را محال می‌شمرند که به استهزا بر می‌خیزند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۳ ص : ۱۳۴

(آیه ۱۳) - عامل این زشتکاریها تنها نادانی و جهل نیست، بلکه لجاجت و عناد است، لذا «هنگامی که به آنها یادآوری شود (یادآوری دلائل معاد و مجازات الهی) هرگز متذکر نمی گردند» و همچنان به راه خویش ادامه می دهند (وَ إِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۴ ص : ۱۳۴

(آیه ۱۴) - حتی از این بالاتر «هرگاه معجزه‌ای (از معجزات تو) را ببینند (نه تنها به سخریه و استهزا می پردازند بلکه) دیگران را نیز به مسخره کردن وا می دارند!» (وَ إِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۵ ص : ۱۳۴

(آیه ۱۵) - «و می گویند: این فقط سحر آشکاری است» و نه چیز دیگر! (وَ قَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۶ ص : ۱۳۴

(آیه ۱۶) - آیا ما و پدرانمان زنده می شویم؟ قرآن همچنان گفتگوهای منکران معاد و پاسخ به آنها را ادامه می دهد. نخست استبعاد منکران رستاخیز را به این صورت منعکس می کند: آنها می گفتند: «آیا هنگامی که ما مردیم و خاک و استخوان شدیم بار دیگر برانگیخته خواهیم شد؟! (أِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۷ ص : ۱۳۴

(آیه ۱۷) - و از این بالاتر این که «و آیا پدران نخستین ما نیز برانگیخته می شوند؟! (أَ وَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ).

همانها که جز مثنی استخوان پوسیده، یا خاکهای پراکنده وجودشان باقی برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۳۵

نمانده است، چه کسی می تواند این اجزای متفرق را جمع کند؟ و چه کسی می تواند لباس حیات بر آنان بپوشاند؟

اما این کوردلان فراموش کرده بودند که روز نخست همه خاک بودند، و از خاک آفریده شدند، اگر در قدرت خدا شک داشتند باید بدانند خداوند یک بار قدرت خود را به اینها نشان داده بود، و اگر در قابلیت خاک مردد بودند، آن هم یک بار به ثبوت رسیده بود.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۸ ص : ۱۳۵

(آیه ۱۸) - سپس قرآن به کوبنده‌ترین پاسخها در برابر آنها پرداخته، به پیغمبر اکرم صلی الله علیه و اله می فرماید: «به آنها بگو: آری (همه شما، و نیاکانتان مبعوث می شوید) در حالی که ذلیل و خوار و کوچک خواهید بود!» (قُلْ نَعَمْ وَ أَنْتُمْ دَاخِرُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۹ ص : ۱۳۵

(آیه ۱۹) - گمان می کنید زنده کردن شما و همه پیشینیان برای خداوند قادر و توانا کار مشکلی است، و عمل مهم سنگینی می باشد؟ نه «تنها یک صیحه عظیم (از ناحیه مأمور پروردگار زده می شود) ناگهان همه (از قبرها برمی خیزند، و جان می گیرند و با چشم خود صحنه محشر را که تا آن روز تکذیب می کردند) نگاه می کنند!» (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۲۰ ص: ۱۳۵

(آیه ۲۰) - اینجاست که ناله این مشرکان مغرور و خیره سر که نشانه ضعف و زبونی و بیچارگی آنهاست بر می خیزد، «و می گویند: ای وای بر ما این روز جزاست!» (وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ). آری! هنگامی که چشمشان به دادگاه عدل الهی، و شهود و قضات این دادگاه، و علائم و نشانه های مجازات می افتد بی اختیار ناله و فریاد سر می دهند و با تمام وجود اعتراف به حقانیت رستاخیز می کنند، اعترافی که نمی تواند هیچ مشکلی را برای آنها حل کند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۲۱ ص: ۱۳۵

(آیه ۲۱) - اینجاست که از ناحیه خداوند یا فرشتگان او به آنها خطاب می شود آری «امروز همان روز جدائی است که شما آن را تکذیب می کردید» (هَذَا يَوْمُ الْفَضْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكذِّبُونَ). جدائی حق از باطل، جدائی صفوف بدکاران از برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۳۶. نیکوکاران، و روز داوری پروردگار بزرگ. طبیعت این دنیا آمیزش و اختلاط حق و باطل است، در حالی که طبیعت رستاخیز جدائی این دو از یکدیگر می باشد.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۲۲ ص: ۱۳۶

(آیه ۲۲) - سپس خداوند به فرشتگانی که مأمور کوچ دادن مجرمان به دوزخند فرمان می دهد: «ظالمان و هم ردیفان آنها و آنچه را می پرستیدند جمع آوری کنید» (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۲۳ ص: ۱۳۶

(آیه ۲۳) - آری آنچه را «جز خدا (می پرستیدند) حرکت دهید و به سوی دوزخ هدایتشان کنید!» (مَنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ). آری! یک روز به سوی «صراط مستقیم» هدایت شدند ولی پذیرا نگشتند، اما امروز باید به «صراط جحیم» هدایت شوند و مجبورند بپذیرند! این سرزندی است گرانبار که اعماق روح آنها را می سوزاند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۲۴ ص: ۱۳۶

(آیه ۲۴) - دانستیم که فرشتگان مجازات، ظالمان و همفکران آنها را به ضمیمه بتها و معبودان دروغین یک جا کوچ می دهند

و به سوی جاده جهنم هدایت می‌کنند.

در ادامه این سخن قرآن می‌گوید: در این هنگام خطاب صادر می‌شود «آنها را متوقف سازید چون باید مورد بازپرسی قرار گیرند» (وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ).

آری! در این که پیرامون چه چیز سؤال می‌شود؟ در روایت معروفی که از طرق اهل سنت و شیعه نقل شده آمده است که از «ولایت علی علیه السلام سؤال می‌شود».

ولی این یک مصداق روشن است، چرا که در آن روز از همه چیز سؤال می‌شود، از عقائد، از توحید، و ولایت، از گفتار و کردار، و از نعمتها و مواهبی که خدا در اختیار انسان گذارده است.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۲۵..... ص: ۱۳۶

(آیه ۲۵) - به هر حال این دوزخیان بینوا که به مسیر جهنم هدایت می‌شوند دستشان از همه جا بریده و کوتاه می‌گردد، در این هنگام به آنها گفته می‌شود شما که در دنیا در مشکلات به هم پناه می‌بردید، و از یکدیگر کمک می‌گرفتید «چرا در اینجا از هم یاری نمی‌طلبید»؟! (ما لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۳۷

آری! تمام تکیه گاههایی که در دنیا برای خود می‌پنداشتید همه در اینجا ویران گشته است، نه از یکدیگر می‌توانید کمک بگیرید، و نه معبودهایتان به یاری شما می‌شتابند، که آنها خود نیز بیچاره و گرفتارند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۲۶..... ص: ۱۳۷

(آیه ۲۶) - در این آیه می‌افزاید: «بلکه آنها در آن روز در برابر فرمان خدا تسلیم و خاضعند» و قدرت هیچ گونه اظهار وجود تا چه رسد به مخالفت ندارند (بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۲۷..... ص: ۱۳۷

(آیه ۲۷) - اینجاست که آنها به سرزنش یکدیگر بر می‌خیزند و هر یک اصرار دارد گناه خویش را به گردن دیگری بیندازد، دنباله روان، رؤسا و پیشوایان خود را مقصر می‌شمرند، و پیشوایان پیروان خود را، و در این حال «رو به یکدیگر کرده و از هم می‌پرسند...» (وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۲۸..... ص: ۱۳۷

(آیه ۲۸) - پیروان گمراه به پیشوایان گمراه کننده خود «می‌گویند: (شما رهبران گمراهی بودید که به ظاهر) از طریق خیرخواهی و نیکی وارد شدید» اما جز فریب چیزی در کارتان نبود! (قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ).

ما که به حکم فطرت طالب نیکیها و پاکیها و سعادتها بودیم دعوت شما را لیبیک گفتیم، آری تمام گناهان ما به گردن شما است، ما جز حسن نیت و پاکدلی سرمایه‌ای نداشتیم و شما دیو سیرتان دروغگو نیز جز فریب و نیرنگ چیزی در بساط نداشتید!

سورة الصافات (۳۷): آية ۲۹ ص : ۱۳۷

(آیه ۲۹) - به هر حال پیشوایان آنها نیز سکوت نخواهند کرد و در پاسخ «می گویند: شما خودتان اهل ایمان نبودید» تقصیر ما چیست! (قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ).
اگر مزاج شما آماده انحراف نبود، اگر شما خود طالب شر و شیطنت نبودید، کجا به سراغ ما می آمدید؟ چرا به دعوت انبیا و نیکان و پاکان پاسخ نگفتید؟
و همین که ما یک اشارت کردیم با سر دویدید؟ پس معلوم می شود عیب در خود شماست، بروید و خودتان را ملامت کنید!

سورة الصافات (۳۷): آية ۳۰ ص : ۱۳۷

(آیه ۳۰) - دلیل ما روشن است «ما هیچ گونه سلطه‌ای بر شما نداشتیم» برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۳۸
و زور و اجباری در کار نبود! (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ).
«بلکه خود شما قومی طغیانگر و متجاوز بودید» و خلق و خوی ستمگری شما باعث بدبختیان شد (بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ).
و چه دردناک است که انسان بیند رهبر و پیشوای او که یک عمر دل به او بسته بود موجبات بدبختی او را فراهم کرده است، سپس از او بیزاری می جوید.
حقیقت این است که هر کدام از این دو گروه از جهتی راست می گویند.

سورة الصافات (۳۷): آية ۳۱ ص : ۱۳۸

(آیه ۳۱) - لذا این گفتگوها به جایی نمی رسد، و سرانجام این پیشوایان گمراه به این واقعیت اعتراف می کنند، می گویند:
«اکنون فرمان پروردگاران بر همه ما مسلّم شده (و حکم عذاب در باره همه صادر گردیده) و همگی از عذاب او می چشمیم»
(فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ).
شما طاغی بودید و سرنوشت طغیانگران همین است، و ما هم گمراه و گمراه کننده.

سورة الصافات (۳۷): آية ۳۲ ص : ۱۳۸

(آیه ۳۲) - «ما شما را گمراه کردیم همان گونه که خود گمراه بودیم» (فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ).
بنابر این چه جای تعجب که همگی در این مصائب و عذابها شریک باشیم؟

سورة الصافات (۳۷): آية ۳۳ ص : ۱۳۸

(آیه ۳۳) - سرنوشت این پیشوایان و آن پیروان: به دنبال بیان مخاصمه پیروان و پیشوایان گمراه در قیامت در کنار دوزخ که در آیات گذشته آمد، در این آیه سرنوشت هر دو گروه را یک جا بیان کرده، و عوامل بدبختی آنها را شرح می دهد که هم بیان درد است و هم ذکر درمان.
نخست می فرماید: «همه آنها [پیشوایان و پیروان گمراه در آن روز در عذاب الهی مشترکند» (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ

مُشْتَرِكُونَ).

البته اشتراک آنها در اصل عذاب مانع تفاوتها و اختلاف درکات آنها در دوزخ و عذاب الهی نیست، چرا که مسلماً کسی که مایه انحراف هزاران انسان شده است هرگز در مجازات، همسان یک فرد عادی گمراه نخواهد بود.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۳۴ ص: ۱۳۸

(آیه ۳۴) - سپس برای تأکید بیشتر می‌افزاید: «ما این گونه با مجرمان رفتار برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۳۹ می‌کنیم» (إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ). این سنت همیشگی ماست، سنتی که از قانون عدالت نشأت گرفته است.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۳۵ ص: ۱۳۹

(آیه ۳۵) - در این آیه به بیان ریشه اصلی بدبختی آنها پرداخته، می‌گوید: «آنها چنان بودند که وقتی کلمه توحید و لا اله الا الله به آنان گفته می‌شد استکبار می‌کردند» (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ). آری! ریشه تمام انحرافات آنها تکبر و خود برتر بینی، و زیر بار حق نرفتن و بر سر سنتهای غلط و تقالید باطل اصرار و لجاجت ورزیدن، و به همه چیز غیر از آن با دیده تحقیر نگریستن بود.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۳۶ ص: ۱۳۹

(آیه ۳۶) - ولی آنها برای این گناه بزرگ خود عذری بدتر از گناه می‌آوردند «و پیوسته می‌گفتند: آیا ما خدایان و بت‌های خود را به خاطر شاعر دیوانه‌ای رها کنیم؟! (و يَقُولُونَ أَيْنَا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ). شاعرش می‌نامیدند چون سخنانش آن چنان در دلها نفوذ داشت و عواطف انسانها را همراه خود می‌برد که گوئی موزونترین اشعار را می‌سراید، در حالی که گفتارش ابدا شعر نبود، و مجنونش می‌خواندند به خاطر این که رنگ محیط به خود نمی‌گرفت، و در برابر عقائد خرافی انبوه متعصبان لجوج ایستاده بود، کاری که از نظر توده‌های گمراه یک نوع انتحار و خودکشی جنون‌آمیز است، در حالی که بزرگترین افتخار پیغمبر صلی الله علیه و اله همین بود که تسلیم این شرایط نشد!

سوره الصافات (۳۷): آیه ۳۷ ص: ۱۳۹

(آیه ۳۷) - سپس قرآن برای نفی این سخنان بی‌اساس و دفاع از مقام وحی و رسالت پیامبر صلی الله علیه و اله می‌افزاید: «چنین نیست، او حق آورده و پیامبران پیشین را تصدیق کرده است» (بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلِينَ). محتوای سخنان او از یک سو، و هماهنگی آن با دعوت انبیا از سوی دیگر دلیل صدق گفتار اوست.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۳۸ ص: ۱۳۹

(آیه ۳۸) - «اما شما (ای مستکبران کوردل و گمراهان بدزبان) بطور مسلم عذاب دردناک الهی را خواهید چشید» (إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۳۹ ص: ۱۳۹

(آیه ۳۹) - ولی گمان نکنید که خداوند انتقامجو است و می خواهد انتقام برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۴۰ پیامبرش را از شما بگیرد چنین نیست شما «جز به آنچه انجام می دادید کیفر داده نمی شوید» (وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ). در حقیقت همان اعمال شماست که در برابر شما مجسم می شود و با شما می ماند و شما را شکنجه و آزار می دهد.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۴۰ ص: ۱۴۰

(آیه ۴۰) - این آیه که در حقیقت مقدمه ای است برای بحثهای آینده یک گروه را استثنا کرده، می گوید: «جز بندگان مخلص پروردگار (کسانی که خدا آنها را خالص کرده است) که از همه این کیفرها به دور و برکنارند» (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ). آری! تنها این گروهند که به اعمالشان جزا داده نمی شوند، بلکه خدا با فضل و کرم با آنها رفتار می کند و بی حساب پاداش می گیرند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۴۱ ص: ۱۴۰

(آیه ۴۱) - گوشه ای از نعمتهای بهشتی: در آیه قبل سخن از (عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) به میان آمد، در اینجا مواهب و نعمتهای بی شماری را که خداوند به آنها ارزانی می دارد، بیان می کند که می توان آن را در هفت بخش خلاصه کرد. نخست می گوید: «برای آنان [بندگان مخلص روزی معین و ویژه ای است» (أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ). این جمله اشاره به مواهب معنوی و لذات روحانی و درک جلوه های ذات پاک حق، و سرمست شدن از باده طهور عشق اوست، همان لذتی که تا کسی نبیند نمی داند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۴۲ ص: ۱۴۰

(آیه ۴۲) - سپس به بیان نعمتهای دیگر بهشتی پرداخته، آن هم نعمتهایی که با نهایت احترام به بهشتیان داده می شود، می گوید: «میوه ها (ی گوناگون پر ارزش) و آنها گرامی داشته می شوند...» (فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ). و به صورت میهمانهای عزیزی با نهایت احترام از آنها پذیرائی می شود.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۴۳ ص: ۱۴۰

(آیه ۴۳) - از نعمت میوه های رنگارنگ و احترام و گرامی داشت که بگذریم سخن از جایگاه آنها به میان می آید، می فرماید: جایگاه آنها «در باغهای (سرسبز) و پر نعمت بهشت است» (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ). هر نعمتی بخواهند در آنجا هست و هر چه اراده کنند در برابر آنها برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۴۱

حاضر است.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۴۴ ص : ۱۴۱

(آیه ۴۴) - و از آنجا که یکی از بزرگترین لذات انسان بهره گرفتن از مجلس انس با دوستان یکرنگ و با صفاست، در چهارمین مرحله به این نعمت اشاره کرده، می گوید: «بهشتیان در حالی که بر تختها رو به روی یکدیگر تکیه زده‌اند» (عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۴۵ ص : ۱۴۱

(آیه ۴۵) - در پنجمین مرحله از بیان مواهب بهشتیان، سخن از نوشابه و شراب طهور آنهاست، می فرماید: «و گرداگردشان قدهای لبریز از شراب طهور را می گردانند» (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ). این ظرفها در گوشه‌ای قرار نگرفته که آنها تقاضای جامی از آن کنند، بلکه به مقتضای تعبیر (يُطَافُ عَلَيْهِمْ) گرد آنها می گردانند!

سوره الصافات (۳۷): آیه ۴۶ ص : ۱۴۱

(آیه ۴۶) - سپس به توصیفی از آن شراب طهور پرداخته، می گوید: «شرابی سفید و درخشان و لذت بخش برای نوشندگان» (بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ). شرابی پاک، خالی از رنگهای شیطانی، سفید و شفاف.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۴۷ ص : ۱۴۱

(آیه ۴۷) - از آنجا که نام شراب و پیمان و مانند اینها ممکن است مفاهیم دیگری در اذهان تداعی کند بلافاصله در این آیه با ذکر جمله کوتاه و گویائی همه این مفاهیم را از ذهن شنوندگان می شوید و می گوید: «شرابی که نه در آن مایه تباهی عقل است، و نه از آن مست می شوند» (لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ). و جز هوشیاری و نشاط و لذت روحانی چیزی در آن نیست.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۴۸ ص : ۱۴۱

(آیه ۴۸) - و سر انجام در ششمین مرحله به همسران پاک بهشتی اشاره کرده، می گوید: «نزد آنها همسرانی است که جز به شوهران خود عشق نمی ورزند، به غیر آنان نگاه نمی کنند و چشمان درشت و زیبا دارند» (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۴۹ ص : ۱۴۱

(آیه ۴۹) - در این آیه توصیف دیگری برای همین همسران بهشتی بیان کرده و پاکی و قداست آنها را با این عبارت بیان می‌کند: «گویی (از لطافت و سفیدی) همچون تخم مرغهایی هستند که (در زیر بال و پر مرغ) پنهان مانده» و دست انسانی برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۴۲

هرگز آن را لمس نکرده است! (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ).

مواهب گوناگونی که در باره بهشتیان در آیات گذشته ذکر شد مجموعه‌ای از مواهب مادی و معنوی است، گرچه حقیقت نعمتهای بهشتی آن گونه که هست از اهل دنیا مکتوم خواهد بود، جز این که بروند و ببینند و دریابند!

سورة الصافات (۳۷): آیه ۵۰ ص: ۱۴۲

(آیه ۵۰) - جستجو از دوست جهنمی! بندگان مخلص پروردگار که طبق آیات گذشته غرق انواع نعمتهای معنوی و مادی بهشتند، ناگهان بعضی از آنها به فکر گذشته خود و دوستان دنیا می‌افتند، همان دوستانی که راه خود را جدا کردند و جای آنها در جمع بهشتیان خالی است، می‌خواهند بدانند سرنوشت آنها به کجا رسید.

آری! در حالی که آنها غرق گفتگو هستند و از هر دری سخنی می‌گویند «بعضی رو به بعضی دیگر کرده می‌پرسند...» (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ).

سورة الصافات (۳۷): آیه ۵۱ ص: ۱۴۲

(آیه ۵۱) - ناگهان «یکی از آنها (خاطراتی در نظرش مجسم می‌شود رو به سوی دیگران کرده و) می‌گوید: من همنشینی (در دنیا) داشتم...»! (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ).

سورة الصافات (۳۷): آیه ۵۲ ص: ۱۴۲

(آیه ۵۲) - متأسفانه او به انحراف کشیده شده و در خط منکران رستاخیز قرار گرفت، «او پیوسته می‌گفت: آیا (به راستی) تو این سخن را باور کرده‌ای...» (يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ).

سورة الصافات (۳۷): آیه ۵۳ ص: ۱۴۲

(آیه ۵۳) - «که وقتی ما مردیم و به خاک و استخوان مبدل شدیم (بار دیگر) زنده می‌شویم و جزا داده خواهیم شد» من که این سخنان را باور ندارم! (أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ).

ای دوستان! کاش می‌دانستم الآن او کجاست؟ و در چه شرایطی است؟

آه جای او در میان ما خالی است!

سورة الصافات (۳۷): آیه ۵۴ ص: ۱۴۲

(آیه ۵۴) - سپس «می‌افزاید: (ای دوستان!) آیا شما می‌توانید از او خبری بگیرید!» (قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۵۵ ص: ۱۴۲

(آیه ۵۵) - «اینجاست که نگاهی (به سوی دوزخ) می‌کند ناگهان او را در برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۴۳ میان دوزخ می‌بیند!» (فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۵۶ ص: ۱۴۳

(آیه ۵۶) - او را مخاطب ساخته «می‌گوید: به خدا سوگند نزدیک بود مرا (نیز) به هلاکت بکشانی!» (قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينِ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۵۷ ص: ۱۴۳

(آیه ۵۷) - چیزی نمانده بود که وسوسه‌های تو در قلب صاف من اثر بگذارد، و مرا به همان خط انحرافی که در آن بودی وارد کنی «و اگر (لطف الهی یار من نشده بود و) نعمت پروردگارم نبود من نیز از احضار شدگان (در دوزخ) بودم!» (وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ).

این توفیق الهی بود که رفیق راه من شد، و این دست لطف هدایتش بود که مرا نوازش داد و رهبری کرد.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۵۸ ص: ۱۴۳

(آیه ۵۸) - سپس به یاران خود می‌گوید: ای دوستان! «آیا ما هرگز نمی‌میریم» و در بهشت جاودانه خواهیم بود؟ (أَفَمَا نَحْنُ بِمَمِيئِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۵۹ ص: ۱۴۳

(آیه ۵۹) - «و جز همان مرگ اول مرگی به سراغ ما نخواهد آمد، و ما هرگز عذاب نخواهیم شد» (إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَ مَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۶۰ ص: ۱۴۳

(آیه ۶۰) - به هر حال این گفتگو را با یک جمله پر معنی و بسیار احساس‌انگیز و مؤکد به انواع تأکیدات پایان داده، می‌گوید: «راستی این همان پیروزی بزرگ است» (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

چه پیروزی و رستگاری از این برتر که انسان غرق نعمت جاودانی و حیات ابدی و مشمول انواع الطاف الهی باشد؟

سوره الصافات (۳۷): آیه ۶۱ ص: ۱۴۳

(آیه ۶۱) - و سر انجام خداوند بزرگ با یک جمله کوتاه و بیدار کننده و پر معنی به این بحث خاتمه داده، می‌فرماید: «برای مثل این باید، عمل کنندگان عمل کنند» و به خاطر این مواهب تلاشگران بکوشند (لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ). چه تعبیر زیبایی! می‌گویید: تلاشگران برای این چنین هدفی باید تلاش کنند، برای بهشتی مملو از لذات روحانی، و پر از نعمتهای جسمانی که شراب طهورش انسان را در نشئه‌ای ملکوتی فرو می‌برد، و همنشینی دوستان باصفایش غمی بر دل نمی‌گذارد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۴۴

سوره الصافات (۳۷): آیه ۶۲..... ص: ۱۴۴

(آیه ۶۲) - گوشه‌ای از عذابهای جانکاه دوزخیان: بعد از بیان نعمتهای روح بخش و پر ارزش بهشتی، به بیان عذابهای دردناک و غم انگیز دوزخی می‌پردازد، و آن چنان ترسیمی از آن می‌کند که در مقایسه با نعمتهای پیشین در نفوس مستعد عمیقاً اثر می‌گذارد و آنها را از هر گونه زشتی و ناپاکی باز می‌دارد. نخست می‌فرماید: «آیا این (نعمتهای جاویدان بهشتی بهتر است یا درخت (نفرت انگیز) زقوم؟! (أَذَلِكْ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةٌ الزُّقُومِ)).

واژه «شجره» همیشه به معنی «درخت» نیست گاه به معنی گیاه نیز می‌آید، و قرائن نشان می‌دهد که منظور از آن در اینجا «گیاه» است.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۶۳..... ص: ۱۴۴

(آیه ۶۳) - سپس قرآن به بعضی از ویژگیهای این گیاه پرداخته، می‌گوید: «ما آن را مایه درد و رنج ظالمان قرار دادیم» (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ). اشاره به این که آنها هنگامی که نام «زقوم» را شنیدند به سخریه و استهزا پرداختند و از این رو وسیله‌ای برای آزمایش این ستمگران شد.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۶۴..... ص: ۱۴۴

(آیه ۶۴) - سپس می‌افزاید: «آن درختی است که در قعر جهنم می‌روید» (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ). ولی این ظالمان مغرور به سخریه ادامه دادند و گفتند: مگر ممکن است گیاه یا درختی از قعر جهنم بروید؟ آتش کجا و درخت و گیاه کجا؟

گویا آنها از این نکته غافل بودند که اصولی که بر زندگی آن جهان (آخرت) حاکم است با این جهان بسیار تفاوت دارد.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۶۵..... ص: ۱۴۴

(آیه ۶۵) - سپس می‌افزاید: «شکوفه آن مانند سرهای شیاطین است!» (طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ).

این تشبیه برای بیان نهایت زشتی و چهره تنفر آمیز آن است.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۶۶..... ص: ۱۴۴

(آیه ۶۶) - سر انجام قرآن می گوید: آنها [مجرمان از آن می خوردند و شکمها را از آن پر می کنند]! (فَأَنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ).

این همان فتنه و عذابی است که در آیات قبل به آن اشاره شد، خوردن از این گیاه دوزخی با آن بوی بد و طعم تلخ با آن شیرهای که تماسش با بدن مایه سوزندگی برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۴۵ و تورم است، آن هم خوردن به مقدار زیاد، عذابی است دردناک.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۶۷..... ص: ۱۴۵

(آیه ۶۷) - بدیهی است خوردن از این غذای ناگوار و تلخ تشنگی آور است، «سپس روی آن آب داغ متعفنی می نوشند» (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۶۸..... ص: ۱۴۵

(آیه ۶۸) - آن غذای دوزخیان، و این هم نوشابه آنان، اما بعد از این پذیرائی به کجا می روند، قرآن می گوید: «سپس باز گشت آنها به سوی جهنم است!» (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۶۹..... ص: ۱۴۵

(آیه ۶۹) - در این آیه قرآن دلیل اصلی گرفتاری دوزخیان را در چنگال این مجازاتهای دردناک در دو جمله کوتاه و پر معنی بیان می کند، می گوید: «چرا که آنها پدران خود را گمراه یافتند» (إِنَّهُمْ أَلَفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۷۰..... ص: ۱۴۵

(آیه ۷۰) - اما «با این حال سرعت به دنبال آنان کشانده می شوند» (فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ). اشاره به این که چنان دل و دین بر تقلید نیاکان باخته اند که گوئی آنها را سرعت و بی اختیار به دنبالشان می دوانند و این اشاره به نهایت تعصب و شیفتگی آنها به خرافات نیاکان است.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۷۱..... ص: ۱۴۵

(آیه ۷۱) - اقوام گمراه پیشین: از آنجا که مسائل گذشته در رابطه با مجرمان و ظالمان اختصاص به مقطع خاصی از زمان و مکان ندارد قرآن به تعمیم و گسترش آن می پردازد، و ضمن چند آیه کوتاه و فشرده زمینه را برای شرح احوال بسیاری از

امتهای پیشین- که اطلاع بر احوالشان سند گویائی برای مباحث گذشته است- فراهم می‌سازد. نخست می‌فرماید: «قبل از آنها بیشتر پیشینیان گمراه شدند» (وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۷۲..... ص: ۱۴۵

(آیه ۷۲)- سپس اضافه می‌کند: گمراهی آنها به خاطر نداشتن رهبر و راهنما نبود، «ما در میان آنها انذار کنندگانی فرستادیم» (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ).

پیامبرانی که آنها را از شرک و کفر و ظلم و بیدادگری و تقلید کورکورانه از دیگران بیم می‌دادند، و آنها را به مسؤولیت‌هایشان آشنا می‌ساختند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۴۶

سوره الصافات (۳۷): آیه ۷۳..... ص: ۱۴۶

(آیه ۷۳)- سپس در یک جمله کوتاه و پر معنی می‌گوید: «اکنون بنگر عاقبت انذار شوندگان و این اقوام لجوج گمراه به کجا رسید؟» (فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۷۴..... ص: ۱۴۶

(آیه ۷۴)- و در این آیه به عنوان یک استثنا می‌فرماید: «مگر بندگان مخلص خدا» (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ). در واقع این جمله اشاره به آن است که عاقبت این اقوام را بنگر که چگونه آنها را به عذاب دردناکی گرفتار کردیم، و هلاک نمودیم، جز بندگان با ایمان و مخلص که از این مهلکه جان سالم به در بردند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۷۵..... ص: ۱۴۶

(آیه ۷۵)- گوشه‌ای از داستان نوح: از اینجا شرح داستان نه نفر از پیامبران بزرگ خدا آغاز می‌شود که در آیات پیشین بطور سر بسته به آن اشاره شده بود، نخست از «نوح» شیخ الانبیا و نخستین پیامبر اولوالعزم شروع می‌کند، و قبل از هر چیز به دعای پر سوز او هنگامی که از هدایت قومش مأیوس شد اشاره کرده، می‌فرماید: «و نوح ما را خواند (و ما دعای او را اجابت کردیم) و چه خوب اجابت کننده‌ای هستیم» (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ).

این دعا ممکن است اشاره به همان دعایی باشد که در سوره نوح آیه ۲۶ و ۲۷ آمده است «نوح گفت: پروردگارا! احدی از کافران را بر روی زمین مگذار، چرا که اگر آنها را به حال خود واگذاری بندگانت را گمراه می‌کنند...»

سوره الصافات (۳۷): آیه ۷۶..... ص: ۱۴۶

(آیه ۷۶)- و لذا در این آیه بلافاصله می‌فرماید: «و او و خاندانش را از اندوه بزرگ رهایی بخشیدیم» (و نَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ).

این اندوه بزرگ ممکن است اشاره به سخریه‌های قوم کافر و مغرور، و آزارهای زبانی آنها و هتاک‌ی و توهین نسبت به او و پیروانش باشد، و یا اشاره به تکذیب‌های پی در پی این قوم لجوج.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۷۷ ص: ۱۴۶

(آیه ۷۷) - سپس می‌افزاید: «و فرزندانش را همان بازماندگان (روی زمین) قرار دادیم» (وَ جَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۷۸ ص: ۱۴۶

(آیه ۷۸) - به علاوه ذکر خیر و ثناء جمیل «و نام نیک او را در میان امت‌های برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۴۷ بعد باقی نهادیم» (وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ).
از او به عنوان یک پیامبر مقاوم و شجاع و دلسوز و مهربان یاد می‌کنند، و او را «شیخ الانبیاء» می‌نامند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۷۹ ص: ۱۴۷

(آیه ۷۹) - «سلام و درود باد بر نوح در میان جهانیان» (سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۸۰ ص: ۱۴۷

(آیه ۸۰) - و برای آن که این برنامه برای دیگران الهام بخش گردد، می‌افزاید:
«ما این گونه نیکوکاران را پاداش می‌دهیم!» (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۸۱ ص: ۱۴۷

(آیه ۸۱) - «چرا که او از بندگان با ایمان ما بود» (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ).
در حقیقت مقام عبودیت و بندگی و همچنین ایمان توأم با احسان و نیکوکاری که در دو آیه اخیر آمده، دلیل اصلی لطف خداوند نسبت به نوح و نجاتش از اندوه بزرگ و سلام و درود الهی بر او بود که اگر این برنامه از ناحیه دیگران نیز تعقیب شود مشمول همان رحمت و لطفند چرا که الطاف پروردگار جنبه شخصی و خصوصی ندارد.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۸۲ ص: ۱۴۷

(آیه ۸۲) - در این آیه با جمله‌ای کوتاه و کوبنده سرنوشت آن قوم ظالم و شرور و کینه توز را بیان کرده، می‌گوید: «سپس دیگران [دشمنان او] را غرق کردیم» (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ).
از آسمان سیلاب آمد، و از زمین آب جوشید، و سر تا سر کره زمین به اقیانوس پر تلاطمی مبدل شد! کاخ‌های بیدادگران را درهم کوبید، و جسدهای بی‌جان‌شان بر صفحه آب باقی ماند!

سوره الصافات (۳۷): آیه ۸۳ ص: ۱۴۷

(آیه ۸۳) - طرح جالب بت شکنی ابراهیم! به دنبال گوشه‌هایی از تاریخ پر ماجرای نوح در اینجا بخش قابل ملاحظه‌ای از زندگی ابراهیم را ذکر می‌کند.

نخست ماجرای ابراهیم را به این صورت با ماجرای نوح پیوند داده، می‌فرماید: «و از پیروان نوح ابراهیم بود» (وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِبِإِبْرَاهِيمَ).

او در همان خط توحید و عدل، در همان مسیر تقوا و اخلاص که سنت نوح بود گام بر می‌داشت، که انبیا همه مبلغان یک مکتب و استادان یک دانشگاهند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۴۸

سوره الصافات (۳۷): آیه ۸۴ ص: ۱۴۸

(آیه ۸۴) - بعد از بیان این اجمال به تفصیل آن پرداخته، می‌فرماید:

به خاطر بیاور «هنگامی را که با قلب سلیم به پیشگاه پروردگارش آمد» (إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ).

جالبترین تفسیر را برای «قلب سلیم» امام صادق علیه السلام بیان فرموده در آنجا که می‌خوانیم: «قلب سلیم قلبی است که خدا را ملاقات کند در حالی که هیچ کس جز او در آن نباشد».

در باره اهمیت قلب سلیم همین بس که قرآن مجید آن را تنها سرمایه نجات روز قیامت شمرده، چنانکه در سوره شعراء آیه ۸۸ و ۸۹ از زبان همین پیامبر بزرگ ابراهیم (ع) می‌خوانیم: «روزی که اموال و فرزندان سودی به حال انسان نمی‌بخشند، جز کسی که با قلب سلیم در پیشگاه خداوند حضور یابد».

سوره الصافات (۳۷): آیه ۸۵ ص: ۱۴۸

(آیه ۸۵) - آری! ابراهیم با قلب سلیم و روح پاک و اراده‌ای نیرومند و عزمی راسخ مأمور مبارزه با بت پرستان شد، و از پدر (عمو) و قوم خودش آغاز کرد، چنانکه قرآن می‌گوید: به خاطر بیاور «هنگامی را که به پدر و قومش گفت: اینها چیست که می‌پرستید؟! (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ).

حیف نیست انسان با آن شرافت ذاتی و عقل و خرد در مقابل مشتی سنگ و چوب بی‌ارزش تعظیم کند؟ عقلتان کجاست!؟

سوره الصافات (۳۷): آیه ۸۶ ص: ۱۴۸

(آیه ۸۶) - سپس این تعبیر را که توأم با تحقیر آشکار بتها بود با جمله دیگری تکمیل کرد و گفت: «آیا غیر از خدا (که بر حق است) به سراغ این معبودان دروغین می‌روید؟ (أَفِإِن كَأَلِهَتُهُ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۸۷ ص: ۱۴۸

(آیه ۸۷) - سرانجام سخنش را با جمله کوبنده دیگری در این مقطع پایان داد و گفت: «شما در باره پروردگار عالمیان چه

گمان می‌برید؟! (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ).

روزی او را می‌خورید، مواهب او سراسر وجود شما را احاطه کرده، با این حال موجودات بی‌ارزشی را هم‌ردیف او قرار داده‌اید.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۸۸ ص: ۱۴۸

(آیه ۸۸) - در تواریخ و تفاسیر آمده است که بت پرستان بابل هر سال مراسم برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۴۹ عید مخصوصی داشتند غذاهائی در بتخانه آماده می‌کردند و در آنجا می‌چیدند به این پندار که غذاها متبرک شود، سپس دسته جمعی به بیرون شهر می‌رفتند و در پایان روز باز می‌گشتند و برای نیایش و صرف غذا به بتخانه می‌آمدند. لذا هنگامی که در شب از او دعوت به شرکت در این مراسم کردند «او نگاهی به ستارگان افکند...» (فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۸۹ ص: ۱۴۹

(آیه ۸۹) - «پس گفت: من بیمارم» و با شما به مراسم جشن نمی‌آیم! (فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ). و به این ترتیب عذر خود را خواست!

سوره الصافات (۳۷): آیه ۹۰ ص: ۱۴۹

(آیه ۹۰) - «آنها از او روی برتافته و به او پشت کردند» و بسرعت دور شدند (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۹۱ ص: ۱۴۹

(آیه ۹۱) - به این ترتیب ابراهیم (ع) تنها در شهر ماند و بت پرستان شهر را خالی کرده و بیرون رفتند، ابراهیم نگاهی به اطراف خود کرد، برق شوق در چشمانش نمایان گشت، لحظاتی را که از مدتها قبل انتظارش را می‌کشید فرا رسید، باید یک تنه برخیزد و به جنگ بتها برود، و ضربه سختی بر پیکر آنان وارد سازد، ضربه‌ای که مغزهای خفته بت پرستان را تکان دهد و بیدار کند.

قرآن می‌گوید: او وارد بتخانه شد «مخفیانه نگاهی به معبودانشان کرد و از روی تمسخر گفت: چرا (از این غذاها) نمی‌خورید!» (فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۹۲ ص: ۱۴۹

(آیه ۹۲) - سپس افزود: اصلاً «چرا سخن نمی‌گوئید؟! چرا لال و دهن بسته هستید! (ما لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۹۳ ص: ۱۴۹

(آیه ۹۳) - «سپس به سوی آنها رفت (آستین را بالا زد تبر را به دست گرفت) و ضربه‌ای محکم با دست راست بر پیکر آنها

فروید آورد» و جز بت بزرگ، همه را درهم شکست (فَرَأَغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ).
و چیزی نگذشت که از آن بتخانه آباد و زیبا ویرانه‌ای وحشتناک ساخت.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۹۴ ص : ۱۴۹

(آیه ۹۴) - بت پرستان به شهر باز گشتند و به سراغ بتخانه آمدند، چه منظره وحشتناک و بهت آوری! لحظاتی چند مات و مبهوت، خیره خیره به آن ویرانه نگاه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۵۰ کردند. سپس سکوت جای خود را به خروش و نعره و فریاد داد ... چه کسی این کار را کرده؟ کدام ستمگر؟! و چیزی نگذشت که به خاطرشان آمد جوان خداپرستی در این شهر وجود دارد، به نام ابراهیم «آنها با سرعت به او روی آوردند» (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۹۵ ص : ۱۵۰

(آیه ۹۵) - نقشه‌های مشرکان شکست می‌خورد: سرانجام ابراهیم را به همین اتهام به دادگاه کشاندند. او را مورد سؤال قرار داده و از او خواستند توضیح دهد.
قرآن شرح این ماجرا را در سوره انبیا بیان کرده و در اینجا تنها به یک فراز حساس آن قناعت می‌کند و آن آخرین سخن ابراهیم با آنان در زمینه باطل بودن بت پرستی است می‌گوید: ابراهیم «گفت: آیا چیزی را می‌پرستید که با دست خود می‌تراشید؟! (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ). آیا هیچ آدم عاقلی مصنوع خود را پرستش می‌کند؟

سوره الصافات (۳۷): آیه ۹۶ ص : ۱۵۰

(آیه ۹۶) - معبود باید خالق انسان باشد نه مخلوق او، اکنون درست بنگرید و معبود حقیقی را پیدا کنید: «خداوند هم شما را آفریده، و هم بت‌هایی را که می‌سازید» (وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْمَلُونَ).
آسمان و زمین همه مخلوق اویند و زمان و مکان همه از اوست، باید سر بر آستان چنین خالقی نهاد و او را پرستش و نیایش کرد.
این دلیلی است بسیار قوی و دندان شکن که هیچ پاسخی در مقابل آن نداشتند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۹۷ ص : ۱۵۰

(آیه ۹۷) - ولی می‌دانیم زور گویان و قلدران هرگز با منطق و استدلال آشنا نبوده‌اند، و چون پیشرفت این منطق توحیدی را مزاحم منافع خویش می‌دیدند با منطق زور و سرنیزه و آتش به میدان آمدند، تکیه بر قدرت خویش کردند «گفتند: بنای مرتفعی برای او بسازید (و در میان آن آتش بیفروزید) و او را در جهنمی از آتش بیفکنید!» (قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۹۸ ص : ۱۵۰

(آیه ۹۸) - در اینجا قرآن به ریزه کاریها و جزئیات این مسأله که در سوره انبیا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۵۱ آمده است اشاره نمی کند، تنها در یک جمع بندی فشرده و جالب پایان این ماجرا را چنین بیان می کند: «آنها طرحی برای نابودی ابراهیم ریخته بودند، ولی ما آنان را پست و مغلوب ساختیم» (فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ).

سورة الصافات (۳۷): آیه ۹۹ ص: ۱۵۱

(آیه ۹۹) - ابراهیم (ع) از این مهلکه به سلامت بیرون آمد، و چون رسالت خود را در بابل پایان یافته می دید تصمیم بر مهاجرت به اراضی مقدس شام گرفت «و گفت: من به سوی پروردگارم می روم، او مرا هدایت خواهد کرد» (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ).

بدیهی است خداوند مکانی ندارد اما مهاجرت از محیط آلوده به محیط پاک و سرزمین انبیا مهاجرت به سوی خداست.

سورة الصافات (۳۷): آیه ۱۰۰ ص: ۱۵۱

(آیه ۱۰۰) - و در اینجا نخستین تقاضایش از خدا که در آیات فوق منعکس است تقاضای فرزند صالح بود، فرزندی که بتواند خط رسالت او را تداوم بخشد، و برنامه های نیمه تمامش را به پایان برساند، اینجا بود که عرض کرد: «پروردگارا! به من از صالحان [فرزندان صالح ببخش» (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ).

خداوند نیز این دعا را مستجاب کرد، و فرزندان صالحی همچون «اسماعیل» و «اسحاق» به او مرحمت فرمود.

سورة الصافات (۳۷): آیه ۱۰۱ ص: ۱۵۱

(آیه ۱۰۱) - ابراهیم در قربانگاه! در اینجا سخن از اجابت این دعای ابراهیم به میان آورده، می گوید: «پس ما او [ابراهیم را به نوجوانی بردبار و صبور بشارت دادیم» (فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ).

در واقع سه بشارت در این جمله جمع شده است بشارت تولد فرزندی پسر، و بشارت رسیدن او به سنین نوجوانی، و بشارت به صفت والای حلم.

سورة الصافات (۳۷): آیه ۱۰۲ ص: ۱۵۱

(آیه ۱۰۲) - سر انجام فرزند موعود ابراهیم طبق بشارت الهی متولد شد، و قلب پدر را روشن ساخت، دوران طفولیت را پشت سر گذاشت و به سن نوجوانی رسید.

در اینجا قرآن می گوید: «پس هنگامی که با او به مقام سعی و کوشش رسید» (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۵۲

یعنی به مرحله ای رسید که می توانست در مسائل مختلف زندگی همراه پدر تلاش و کوشش کند و او را یاری دهد. به هر حال به گفته جمعی از مفسران، فرزندش در آن وقت سیزده ساله بود که ابراهیم خواب عجیب شگفت انگیزی می بیند که بیانگر شروع یک آزمایش بزرگ دیگر در مورد این پیامبر عظیم الشأن است، در خواب می بیند که از سوی خداوند به او

دستور داده شد تا فرزند یگانه‌اش را با دست خود قربانی کند و سر ببرد.

ابراهیم که بارها از کوره داغ امتحان الهی سرفراز بیرون آمده بود، این بار نیز باید دل به دریا بزند و سر بر فرمان حق بگذارد. ولی باید قبل از هر چیز فرزند را آماده این کار کند، رو به سوی او کرد و «گفت:

پسرم! من در خواب دیدم که تو را ذبح می‌کنم، نظر تو چیست؟! (قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى

فرزندش که نسخه‌ای از وجود پدر ایثارگر بود و درس صبر و استقامت و ایمان را در همین عمر کوتاهش در مکتب او خوانده بود، با آغوش باز و از روی طیب خاطر از این فرمان الهی استقبال کرد، و با صراحت و قاطعیت «گفت: پدرم هر دستور داری اجرا کن» (قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ).

و از ناحیه من فکر تو راحت باشد که «به خواست خدا مرا از صابران خواهی یافت» (سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ). این تعبیّرات پدر و پسر چقدر پر معنی است از یک سو پدر با صراحت مسأله ذبح را با فرزند سیزده ساله مطرح می‌کند و برای او شخصیت مستقل و آزادی اراده قائل می‌شود، از سوی دیگر فرزند هم می‌خواهد پدر در عزم و تصمیمش راسخ باشد. و به این ترتیب هم پدر و هم پسر نخستین مرحله این آزمایش بزرگ را با پیروزی کامل می‌گذرانند.

سورة الصافات (۳۷): آية ۱۰۳ ص: ۱۵۲

(آیه ۱۰۳) - در این میان چه‌ها گذشت؟ قرآن از شرح آن خودداری کرده، و تنها روی نقاط حساس این ماجرای عجیب انگشت می‌گذارد. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۵۳

بعضی نوشته‌اند: فرزند فداکار برای این که پدر را در انجام این مأموریت کمک کند، گفت: پدرم ریسمان را محکم ببند تا هنگام اجرای فرمان الهی دست و پا نزنم، می‌ترسم از پاداشم کاسته شود! پدر جان! کارد را تیز کن و با سرعت بر گلویم بگذران تا تحملش بر من (و بر تو) آسانتر باشد! پدرم! قبلا- پیراهنم را از تن بیرون کن که به خون آلوده نشود، چرا که بیم دارم چون مادرم آن را ببیند عنان صبر از کفش بیرون رود.

آنگاه افزود: سلامم را به مادرم برسان و اگر مانعی ندیدی پیراهنم را برایش ببر که باعث تسلی خاطر و تسکین دردهای اوست، چرا که بوی فرزندش را از آن خواهد یافت، و هرگاه دلتنگ شود آن را در آغوش می‌فشارد و سوز درونش را تخفیف خواهد داد.

لحظه‌های حساسی فرارسید ابراهیم که مقام تسلیم فرزند را دید او را در آغوش کشید، و هر دو در این لحظه به گریه افتادند. قرآن همین اندازه در عبارتی کوتاه و پر معنی می‌گوید: «هنگامی که هر دو تسلیم شدند و ابراهیم جبین او را بر خاک نهاد ...» (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ).

ابراهیم صورت فرزند را بر خاک نهاد و با سرعت و قدرت کارد را بر گلوی فرزند گذارد در حالی که روحش در هیجان فرو رفته بود، اما کارد برنده در گلوی لطیف فرزند کمترین اثری نگذاشت! ...

ابراهیم در حیرت فرو رفت بار دیگر کارد را به حرکت درآورد ولی باز کارگر نیفتاد.

آری! ابراهیم «خلیل» می‌گوید: ببر! اما خداوند «جلیل» فرمان می‌دهد نبر! و کارد تنها گوش بر فرمان او دارد.

سورة الصافات (۳۷): آية ۱۰۴ ص: ۱۵۳

(آیه ۱۰۴) - اینجاست که قرآن با یک جمله کوتاه و پر معنی به همه انتظارها پایان داده، می‌گوید: در این هنگام «او را ندا دادیم که: ای ابراهیم!» (وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ).
برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۵۴

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۰۵ ص: ۱۵۴

(آیه ۱۰۵) - «آن رؤیا را تحقق بخشیدی» و به مأموریت خود عمل کردی (فَلَمَّا صَدَقْتَ الرُّؤْيَا).
«ما این گونه نیکوکاران را جزا می‌دهیم» (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ).
هم به آنها توفیق پیروزی در امتحان می‌دهیم، و هم نمی‌گذاریم فرزند دل‌بندشان از دست برود.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۰۶ ص: ۱۵۴

(آیه ۱۰۶) - سپس می‌افزاید: «این مسلماً همان امتحان آشکار است» (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ).
ذبح کردن فرزند با دست خود، آن هم فرزندی برومند و لایق، برای پدری که یک عمر در انتظار چنین فرزندی بوده، کار ساده و آسانی نیست.
و از آن عجیب‌تر تسلیم مطلق این نوجوان در برابر این فرمان بود، که با آغوش باز و با اطمینان خاطر به لطف پروردگار به استقبال ذبح شتافت.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۰۷ ص: ۱۵۴

(آیه ۱۰۷) - اما برای این که برنامه ابراهیم ناتمام نماند، و در پیشگاه خدا قربانی کرده باشد و آرزوی ابراهیم برآورده شود، خداوند قوچی بزرگ فرستاد تا به جای فرزند قربانی کند و سنتی برای آیندگان در مراسم «حج» و سرزمین «منی» از خود بگذارد، چنانکه قرآن می‌گوید: «ما ذبح عظیمی را فدای او کردیم» (وَ فَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ).
یکی از نشانه‌های عظمت این ذبح آن است که با گذشت زمان سال به سال وسعت بیشتری یافته، و الآن در هر سال بیش از یک میلیون به یاد آن ذبح عظیم ذبح می‌کنند و خاطره‌اش را زنده نگه می‌دارند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۰۸ ص: ۱۵۴

(آیه ۱۰۸) - نه تنها خداوند پیروزی ابراهیم را در این امتحان بزرگ در آن روز ستود، بلکه خاطره آن را جاویدان ساخت، چنانکه در این آیه می‌گوید: «و نام نیک او را در امتهای بعد باقی نهادیم» (وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۰۹ ص: ۱۵۴

(آیه ۱۰۹) - «سلام بر ابراهیم» آن بنده مخلص و پاکباز (سَلَامٌ عَلٰى اِبْرَاهِيمَ).

اشاره

(آیه ۱۱۰) - آری «این گونه نیکوکاران را پاداش می‌دهیم» (كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ). پاداشی به عظمت دنیا، پاداشی جاودان در سراسر زمان، پاداشی برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۵۵
در خور سلام و درود خداوند بزرگ!

ذبیح الله کیست؟ ص: ۱۵۵

آنچه با ظواهر آیات مختلف قرآن هماهنگ است این است که ذبیح «اسماعیل» بوده است. روایات بسیاری نیز در منابع اسلامی آمده است که نشان می‌دهد ذبیح «اسماعیل» بوده است نه اسحاق.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۱۱ ص: ۱۵۵

(آیه ۱۱۱) - ابراهیم بنده مؤمن خدا: این آیه و دو آیه بعد آخرین آیاتی است که ماجرای ابراهیم و فرزندانش را در اینجا تعقیب و تکمیل می‌کند.
نخست می‌گوید: «او از بندگان با ایمان ماست» (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ).
در حقیقت این جمله دلیلی است بر آنچه گذشت و این واقعیت را بیان می‌کند که اگر ابراهیم همه هستی و وجود خویش و حتی فرزند عزیزش را یک جا در طبق اخلاص گذارد و فدای راه معبود خویش کرد به خاطر ایمان عمیق و قویش بود.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۱۲ ص: ۱۵۵

(آیه ۱۱۲) - سپس به یکی دیگر از مواهب خدا به ابراهیم سخن می‌گوید:
می‌فرماید: «ما او را به اسحاق - پیامبری از شایستگان - بشارت دادیم» (وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۱۳ ص: ۱۵۵

(آیه ۱۱۳) - و در این آیه، سخن از برکتی در میان است که خدا به ابراهیم و فرزندش اسحاق ارزانی داشت، می‌فرماید: «ما به او و اسحاق برکت دادیم» (وَوَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ).
برکت در همه چیز، در عمر و زندگی، در نسلهای آینده، در تاریخ و مکتب و در همه چیز.
اما برای این که توهم نشود که این برکت در خاندان ابراهیم جنبه نسب و قبیله‌ای دارد بلکه در ارتباط با مذهب و مکتب و ایمان است، در آخر آیه می‌افزاید: «و از دودمان آن دو، افرادی بودند نیکوکار و افرادی (که به خاطر عدم ایمان) آشکارا به خود ستم کردند» (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ).

و به این ترتیب آیه فوق به گروهی از یهود و نصاری که افتخار می‌کردند ما از برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۵۶
فرزندان انبیا هستیم پاسخ می‌گوید که پیوند خویشاوندی به تنهایی افتخار نیست، مگر این که در سایه پیوند فکری و مکتبی
قرار گیرد.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۱۴ ص: ۱۵۶

(آیه ۱۱۴) - مواهب الهی بر موسی و هارون: در اینجا به گوشه‌ای از الطاف الهی نسبت به «موسی» و برادرش «هارون» اشاره
شده، نخست می‌گوید: «ما به موسی و هارون منت بخشیدیم» و آنها را مرهون نعمتهای خود ساختیم (وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَ
هَارُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۱۵ ص: ۱۵۶

(آیه ۱۱۵) - در نخستین مرحله می‌فرماید: و آن دو و قومشان را از اندوه بزرگ نجات دادیم (وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ
الْعَظِيمِ).
چه اندوهی از این بزرگتر که بنی اسرائیل در چنگال فرعونیان جبار و خونخوار گرفتار بودند؟ پسرانشان را سر می‌بریدند، و
زنانشان را به خدمتکاری و مردان را به بردگی و بیگاری وا می‌داشتند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۱۶ ص: ۱۵۶

(آیه ۱۱۶) - در مرحله دوم می‌فرماید: «و آنها (موسی و هارون و بنی اسرائیل) را یاری کردیم تا (بر دشمنان خود) پیروز
شدند» (وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ).
در آن روز که لشکر خونخوار فرعون با قدرت و نیروی عظیم و در پیشاپیش آنها شخص فرعون به حرکت درآمد، بنی
اسرائیل قومی ضعیف و ناتوان و فاقد مردان جنگی و سلاح کافی بودند، اما دست لطف خدا به یاری آنها آمد، فرعونیان را در
میان امواج دفن کرد، و آنها را از غرقاب رهایی بخشید و کاخها و ثروت و باغها و گنجهای فرعونیان را به آنها سپرد.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۱۷ ص: ۱۵۶

(آیه ۱۱۷) - در سومین مرحله به مواهب معنوی که خدا به این قوم از بند رسته عنایت فرمود اشاره کرده، می‌گوید: «ما به آن
دو کتاب روشنگر دادیم» (وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ).
آری «تورات» کتاب مستبین یعنی کتاب روشنگر بود، و به تمام نیازمندهای دین و دنیای بنی اسرائیل در آن روز پاسخ
می‌گفت، همان گونه که در آیه ۴۴ سوره مائده نیز می‌خوانیم: «ما تورات را نازل کردیم که هم در آن هدایت بود و هم نور و
روشنائی».

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۵۷

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۱۸ ص: ۱۵۷

(آیه ۱۱۸) - در مرحله چهارم باز به یکی دیگر از مواهب معنوی - موهبت هدایت به صراط مستقیم - اشاره کرده، می گوید: «و آن دو را به راه راست هدایت نمودیم» (وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ).

همان راه راست و خالی از هر گونه کجی و اعوجاج که راه انبیا و اولیا است، و خطر انحراف و گمراهی و سقوط در آن وجود ندارد.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۱۹ ص: ۱۵۷

(آیه ۱۱۹) - در پنجمین مرحله به سراغ تداوم مکتب و بقای نام نیک آنها رفته، می گوید: «و نام نیکشان را در اقوام بعد باقی گذاریم» تا به عنوان دو اسوه شناخته شوند، و مردم جهان از روش و تاریخ آنان الهام گیرند (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۲۰ ص: ۱۵۷

(آیه ۱۲۰) - در ششمین مرحله سخن از سلام و درود خداوند بر موسی و هارون است می فرماید: «سلام بر موسی و هارون» (سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَ هَارُونَ).

سلامی که رمز سلامت در دین و ایمان، در اعتقاد و مکتب، و در خط و مذهب است. سلامی که بیانگر نجات و امنیت از مجازات و عذاب این جهان و آن جهان است.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۲۱ ص: ۱۵۷

(آیه ۱۲۱) - و در هفتمین و آخرین مرحله به جزا و پاداش بزرگ خود به آنها پرداخته، می گوید: آری! «ما این چنین نیکوکاران را پاداش می دهیم» (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ).

اگر آنها به این افتخارات نائل شدند بی دلیل نبود، آنها محسن بودند، مؤمن و مخلص و فداکار و نیکوکار، و چنین کسانی باید مشمول این همه پاداش شوند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۲۲ ص: ۱۵۷

(آیه ۱۲۲) - سر انجام در این آیه به همان دلیلی اشاره می کند که در داستان ابراهیم و نوح قبل از آن آمد، می گوید: «آن دو (موسی و هارون) از بندگان مؤمن ما بودند» (إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ).

ایمان است که روح انسان را چنان روشن و نیرومند می سازد که به سراغ احسان و نیکوکاری و پاکی و تقوا می رود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۵۸

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۲۳ ص: ۱۵۸

(آیه ۱۲۳) - پیامبر خدا الیاس در برابر مشرکان: چهارمین سرگذشتی که از انبیا پیشین در این سوره آمده است سرگذشت فشرده ای از «الیاس» است، می فرماید: «و الیاس از رسولان (ما) بود» (وَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمِّنَ الْمُرْسَلِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۲۴ ص: ۱۵۸

(آیه ۱۲۴) - سپس برای شرح این اجمال به تفصیل پرداخته، می گوید:
به خاطر بیاور «هنگامی را که به قومش گفت: آیا تقوا پیشه نمی کنید؟» (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۲۵ ص: ۱۵۸

(آیه ۱۲۵) - در این آیه با صراحت بیشتری از این مسأله سخن می گوید: «آیا بت بعل را می خوانید و بهترین آفریدگارها را رها می سازید؟! (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ).
گفته اند این بت طلائی به قدری بزرگ بود که طولش به بیست زراع می رسید! و چهار صورت داشت، و خدمه او بالغ بر چهار صد نفر بود!

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۲۶ ص: ۱۵۸

(آیه ۱۲۶) - به هر حال «الیاس» این قوم بت پرست را سخت نکوهش کرد، و ادامه داد: «خدائی (را رها می کنید) که پروردگار شما و پروردگار نیاکان شماست» (اللَّهُ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ).
مالک و مربی همه شما او بوده و هست، هر نعمتی دارید از اوست، و حل هر مشکلی با دست قدرت او میسر است، غیر از او نه سر چشمه خیر و برکتی وجود دارد و نه دفع کننده شر و آفتی.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۲۷ ص: ۱۵۸

(آیه ۱۲۷) - اما این قوم خیره سر و خودخواه گوش به اندرزهای مستدل، و هدایت های روشن این پیامبر بزرگ الهی فرادادند، «و به تکذیب او برخاستند» (فَكَذَّبُوهُ).
خداوند هم مجازات آنها را در یک جمله کوتاه بیان کرده، می فرماید: «ولی به یقین همگی (در دادگاه عدل الهی) احضار می شوند» (فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ).
و به کیفر اعمال زشت و شوم خود خواهند رسید.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۲۸ ص: ۱۵۸

(آیه ۱۲۸) - ولی ظاهرا گروه اندکی از پاکان و نیکان و خالصان به الیاس ایمان آوردند، برای آنکه حق آنها فراموش نگردد، بلا فاصله می فرماید: «مگر بندگان برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۵۹
مخلص خدا» (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۲۹ ص: ۱۵۹

(آیه ۱۲۹) - در قسمت اخیر این داستان همان مسائل چهار گانه‌ای را که در سرگذشتهای پیامبران دیگر - موسی و هارون و ابراهیم و نوح - آمده بود به خاطر اهمیتی که دارد تکرار شده است.

نخست می‌فرماید: «ما نام نیک او را در میان امتهای بعد باقی گذاردیم» (وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ).
امتهای دیگر زحمات این انبیاء بزرگ را که در پاسداری خط توحید، و آبیاری بذر ایمان منتهای تلاش و کوشش را به عمل آوردند، هرگز فراموش نخواهند کرد، و تا دنیا برقرار است یاد و مکتب آنها نیز جاویدان است.

سورة الصافات (۳۷): آیه ۱۳۰ ص: ۱۵۹

(آیه ۱۳۰) - در مرحله دوم می‌افزاید: «سلام بر الیاسین» (سَلَامٌ عَلَىٰ إِيَّاسِينَ).

سورة الصافات (۳۷): آیه ۱۳۱ ص: ۱۵۹

(آیه ۱۳۱) - در مرحله سوم می‌فرماید: «ما این گونه نیکوکاران را پاداش می‌دهیم» (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ).

سورة الصافات (۳۷): آیه ۱۳۲ ص: ۱۵۹

(آیه ۱۳۲) - و در مرحله چهارم ریشه اصلی همه اینها را که «ایمان» است طرح کرده، می‌گوید: «مسلم او (الیاس) از بندگان مؤمن ماست» (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ).
«ایمان» و «عبودیت» سرچشمه احسان و احسان عامل قرار گرفتن در صف مخلصین و مشمول سلام خدا شدن است.

سورة الصافات (۳۷): آیه ۱۳۳ ص: ۱۵۹

(آیه ۱۳۳) - سرزمین بلزده این قوم در برابر شماست! پنجمین پیامبری که در این سوره، نامش به میان آمده «لوط» است، که طبق صریح قرآن همزمان و معاصر با ابراهیم (ع) بوده است.
نخست می‌گوید: «و لوط از رسولان (ما) است» (وَ إِنْ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ).

سورة الصافات (۳۷): آیه ۱۳۴ ص: ۱۵۹

(آیه ۱۳۴) - و بعد از بیان این اجمال طبق روش اجمال و تفصیل که قرآن دارد به شرح قسمتی از ماجرای او پرداخته، می‌گوید: به خاطر بیاور «زمانی را که او و خاندانش را همگی نجات دادیم» (إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ).
برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۶۰

سورة الصافات (۳۷): آیه ۱۳۵ ص: ۱۶۰

(آیه ۱۳۵) - «مگر (همسرش) پیر زنی که از بازماندگان بود» و به سرنوشت آنان گرفتار شد» (إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۳۶ ص : ۱۶۰

(آیه ۱۳۶) - «سپس بقیه را نابود کردیم» (ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ)

جمله‌های کوتاه فوق اشاراتی به تاریخ پر ماجرای این قوم است که شرح آن در سوره‌های «هود» و «شعرا» و «عنکبوت» گذشت.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۳۷ ص : ۱۶۰

(آیه ۱۳۷) - و از آنجا که همه اینها مقدمه‌ای است برای بیدار کردن غافلان مغرور در پایان این سخن اضافه می‌کند: «و شما پیوسته صبحگاهان از کنار (ویرانه‌های شهرهای) آنها می‌گذرید...» (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ)

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۳۸ ص : ۱۶۰

(آیه ۱۳۸) - «و (همچنین) شبانگاه (نیز از آنجا عبور می‌کنید) آیا نمی‌اندیشید؟» (وَ بِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)

این تعبیر به خاطر آن است که شهرهای قوم لوط در مسیر کاروانهای مردم حجاز به سوی شام قرار داشت، و اینها در سفرهای روزانه و شبانه خود از کنار آن عبور می‌کردند اگر گوش شنوا داشتند فریاد دلخراش و جانکاه این قوم گنهکار بلا دیده را می‌شنیدند.

آری! درس عبرت بسیار است اما عبرت گیرندگان کمند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۳۹ ص : ۱۶۰

(آیه ۱۳۹) - یونس در بوته امتحان: این ششمین و آخرین سرگذشت انبیا و اقوام پیشین است که در این سوره آمده سرگذشت «یونس» و قوم توبه کارش.

نخست همچون داستانهایی گذشته سخن از مقام رسالت او به میان آورده، می‌گوید: «و یونس از رسولان (ما) است» (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)

یونس (ع) همانند سایر انبیا دعوت خود را از توحید و مبارزه با بت پرستی شروع کرد، و سپس با مفسدگی که در محیط رائج بود به مبارزه پرداخت، اما آن قوم در برابر دعوت او تسلیم نشدند.

تنها گروه اندکی که شاید از دو نفر تجاوز نکردند عابد و عالمی به او ایمان آوردند.

یونس آنقدر تبلیغ کرد که تقریباً از آنها مأیوس شد و به آنها نفرین کرد، به او برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۶۱

وحی آمد که در فلان زمان عذاب الهی نازل می‌شود، هنگامی که موعد عذاب نزدیک شد یونس همراه مرد عابد از میان آنها بیرون رفت در حالی که خشمگین بود، تا به ساحل دریا رسید در آنجا یک کشتی پر از جمعیت و بار را مشاهده کرد، و از آنها خواهش نمود که او را نیز همراه خود ببرند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۴۰ ص : ۱۶۱

(آیه ۱۴۰) - این همان است که قرآن در این آیه به آن اشاره کرده، می گوید:
به خاطر بیاور «هنگامی را که به سوی کشتی پر (از جمعیت و بار) فرار کرد» (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ)

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۴۱ ص: ۱۶۱

(آیه ۱۴۱) - به هر حال یونس سوار بر کشتی شد، طبق روایات ماهی عظیمی سر راه را بر کشتی گرفت، دهان باز کرد گوئی غذائی می طلبد، سرنشینان کشتی گفتند: به نظر می رسد گناهکاری در میان ماست! - که باید طعمه این ماهی شود، و چاره‌ای جز استفاده از قرعه نیست - در اینجا قرعه افکندند قرعه به نام یونس درآمد! قرآن در اینجا با یک جمله کوتاه به این ماجرا اشاره کرده، می گوید: «و با آنها قرعه افکند (و قرعه به نام او افتاد) پس مغلوب شد!» (فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ)

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۴۲ ص: ۱۶۱

(آیه ۱۴۲) - به هر حال قرآن می گوید: او را به دریا افکندند «و ماهی عظیمی او را بلعید، در حالی که مستحق سرزنش بود!» (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ).

مسلم است این ملامت و سرزنش به خاطر ارتکاب گناه کبیره یا صغیره‌ای نبود، بلکه علت آن تنها ترک اولائی بود که از او سر زد، و آن عجله در ترک قوم خویش و هجرت از آنان بود.

در روایتی آمده است که: «خداوند به آن ماهی وحی فرستاد که هیچ استخوانی را از او مشکن، و هیچ پیوندی را از او قطع مکن!»

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۴۳ ص: ۱۶۱

(آیه ۱۴۳) - یونس خیلی زود متوجه ماجرا شد، و با تمام وجودش رو به درگاه خدا آورد، و از ترک اولای خویش استغفار کرد.

در اینجا ذکر معروف و پر محتوایی از قول یونس نقل شده که در آیه ۸۷ سوره انبیا آمده، و در میان اهل عرفان به ذکر «یونسیه» معروف است: «فنادی بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۶۲

فِي الظُّلُمَاتِ ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين او در میان ظلمتهای متراکم فریاد زد که معبودی جز تو نیست، منزهی تو، من از ظالمان و ستمکاران بودم!» اکنون بینم آیه در این زمینه چه می گوید؟ در یک جمله کوتاه می گوید: «و اگر او از تسبیح کنندگان نبود ...» (فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۴۴ ص: ۱۶۲

(آیه ۱۴۴) - «تا روز قیامت در شکم ماهی باقی می ماند!» (لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ). و این زندان موقت تبدیل به یک زندان دائم می شد، و آن زندان دائم مبدل به گورستان او می گشت!

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۴۵ ص: ۱۶۲

(آیه ۱۴۵) - سپس خداوند می‌فرماید: «ما او را در یک سرزمین خشک و خالی از درخت و گیاه افکندیم، در حالی که بیمار بود» (فَتَبَدَّلْنَا بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ).

ماهی عظیم در کنار ساحل خشک و بی‌گیاهی آمد، و به فرمان خدا لقمه‌ای را که از او زیاد بود بیرون افکند، اما پیداست این زندان عجیب سلامت جسم یونس را بر هم زده بود، بیمار و ناتوان از این زندان آزاد شد.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۴۶ ص: ۱۶۲

(آیه ۱۴۶) - باز در اینجا لطف الهی به سراغ او آمد، چرا که بدنش بیمار و آزرده، و اندامش خسته و ناتوان بود، آفتاب ساحل او را آزار می‌داد، پوششی لطیف لازم بود تا بدنش در زیر آن بیارامد. قرآن در اینجا می‌گوید: «ما بوته کدوئی بر او رویاندیم» تا در سایه برگهای پهن و مرطوبش آرامش بیابد (وَ أَتَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۴۷ ص: ۱۶۲

(آیه ۱۴۷) - «یونس» را در اینجا رها می‌کنیم و به سراغ قومش می‌رویم. هنگامی که یونس با حالت خشم و غضب قوم را رها کرد، و مقدمات خشم الهی نیز بر آنها ظاهر شد، تکان سختی خوردند و به خود آمدند، اطراف عالم و دانشمندی را که در میان آنها بود گرفتند، و با رهبری او در مقام توبه برآمدند، گریه سر دادند و مخلصانه از گناهان خویش و تقصیراتی که در باره پیامبر خدا یونس داشتند توبه کردند.

در اینجا پرده‌های عذاب کنار رفت و حادثه بر کوهها ریخت، و جمعیت برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۶۳ مؤمن توبه کار به لطف الهی نجات یافتند.

هنگامی که یونس بعد از این ماجرا به سراغ قومش آمد. در تعجب فرو رفت که چگونه آنها در روز هجرتش همه بت پرست بودند ولی اکنون همه موحد خدا پرست شده‌اند؟

قرآن در اینجا می‌گوید: «و او را به سوی جمعیت یکصد هزار نفری - یا بیشتر - فرستادیم!» (وَ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۴۸ ص: ۱۶۳

اشاره

(آیه ۱۴۸) - «آنها ایمان آوردند، از این رو تا مدت معلومی آنان را از مواهب زندگی بهره‌مند ساختیم» (فَأَمَّنُوا فَمَرَّغْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ).

البته ایمان اجمالی و توبه آنها قبلا- بود، ولی ایمان آنها بطور تفصیل به خدا و پیامبرش یونس و تعلیمات و دستورات او هنگامی صورت گرفت که «یونس» به میان آنها بازگشت.

درسهای بزرگ: ص: ۱۶۳

می‌دانیم طرح این سرگذشتها در قرآن مجید همه برای هدفهای تربیتی است چرا که قرآن کتاب داستان نیست کتاب انسانسازی و تربیت است.

از این سرگذشت عجیب پنندهای بزرگی می‌توان گرفت:

(الف) این ماجرا نشان می‌دهد که چگونه یک قوم گنهکار و مستحق عذاب می‌توانند در آخرین لحظات مسیر تاریخ خود را عوض کنند، و به آغوش پر مهر و رحمت الهی بازگردند و نجات یابند.

(ب) این ماجرا نشان می‌دهد که ایمان به خدا و توبه از گناه علاوه بر آثار و برکات معنوی مواهب ظاهری دنیا را نیز متوجه انسان می‌سازد، عمران و آبادی می‌آفریند، و مایه طول عمر و بهره‌گیری از مواهب حیات می‌شود.

(ج) قدرت خداوند آنقدر وسیع و گسترده است که چیزی در برابر آن مشکل نیست، تا آن حد که می‌تواند انسانی را در دهان و شکم جانور عظیم و وحشتناکی سالم نگهدارد، و سالم بیرون فرستد.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۴۹ ص: ۱۶۳

(آیه ۱۴۹) - تهمت‌های زشت و رسوا: بعد از ذکر شش داستان از سرگذشت برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۶۴ انبیاء پیشین و درسهای آموزنده‌ای که در هر یک نهفته بود موضوع سخن را تغییر داده، به مطلب دیگری که به مشرکان عرب سخت ارتباط داشته می‌پردازد.

مسأله این است که جمعی از مشرکان عرب به خاطر انحطاط فکری و نداشتن هیچ گونه علم و دانش خدا را با خود قیاس می‌کردند و برای او فرزند و گاهی همسر قائل بودند.

نخست می‌فرماید: «از آنان پرس: آیا پروردگارت دخترانی دارد و پسران از آن آنهاست؟! (فَأَسِئْتَفْتِهِمْ أَلِرَّبِّكَ بُنَاتٌ وَ لَهُمُ الْبُنُونَ)».

چگونه آنچه را برای خود نمی‌پسندید برای خدا قائل هستید! این سخن طبق عقیده باطل آنهاست که از دختر سخت متنفر بودند و به پسر سخت علاقمند، و گر نه پسر و دختر از نظر انسانی و در پیشگاه خدا از نظر ارزش یکسانند و معیار شخصیت هر دو پاکی و تقواست.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۵۰ ص: ۱۶۴

(آیه ۱۵۰) - سپس به دلیل حسی مسأله پرداخته، باز به طریق استفهام انکاری می‌گوید: «آیا ما فرشتگان را مؤنث آفریدیم و آنها ناظر بودند؟! (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَ هُمْ شَاهِدُونَ)».

بدون شک جواب آنها در این زمینه منفی بود، چه این که هیچ کدام نمی‌توانستند حضور خود را به هنگام خلقت فرشتگان ادعا کنند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۵۱ ص: ۱۶۴

(آیه ۱۵۱) - بار دیگر به دلیل عقلی که از مسلمات ذهنی آنها گرفته شده باز می‌گردد و می‌گوید: «بدانید آنها با این تهمت بزرگشان می‌گویند:» (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۵۲ ص: ۱۶۴

(آیه ۱۵۲) - «خداوند فرزند آورده، ولی آنها به یقین دروغ می‌گویند!» (وَلَدَ اللَّهُ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۵۳ ص: ۱۶۴

(آیه ۱۵۳) - در اینجا بار دیگر خداوند آنها را مورد عتاب و سرزنش قرار داده، می‌فرماید: «آیا دختران را بر پسران ترجیح داده است؟! (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۵۴ ص: ۱۶۴

(آیه ۱۵۴) - «شما را چه شده است؟ چگونه حکم می‌کنید؟! هیچ می‌فهمید برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۶۵ چه می‌گویند؟ (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۵۵ ص: ۱۶۵

(آیه ۱۵۵) - آیا وقت آن نرسیده است که از این لا طائلات و خرافات زشت و رسوا دست بردارید؟ «آیات متذکر نمی‌شوید؟ (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ).

این سخنان به قدری باطل و بی‌پایه است که اگر آدمی یک ذره عقل و درایت داشته باشد و اندیشه کند باطل بودن آن را درک می‌نماید.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۵۶ ص: ۱۶۵

(آیه ۱۵۶) - بعد از ابطال ادعای خرافی آنها با یک دلیل حسی و یک دلیل عقلی، به سومین دلیل می‌پردازد که دلیل نقلی است، می‌گوید: اگر چنین چیزی که شما می‌گوئید صحت داشت باید اثری از آن در کتب پیشین باشد «یا شما دلیل روشنی در این باره دارید؟! (أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۵۷ ص: ۱۶۵

(آیه ۱۵۷) - اگر دارید «پس کتابتان را بیاورید اگر راست می‌گوئید!» (فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) در کدام کتاب؟ در کدام نوشته؟ و در کدام وحی آسمانی چنین چیزی آمده، و بر کدام پیامبر نازل شده است؟!

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۵۸ ص: ۱۶۵

(آیه ۱۵۸) - در این آیه به یکی دیگر از خرافات مشرکان عرب می‌پردازد، و آن نسبتی است که میان «خدا» و «جن» قائل بودند! سخن را از صورت «خطاب» در آورده و به صورت «غائب» مطرح می‌کند، گوئی آنها چنان بی‌ارزشند که بیش از این شایستگی و لیاقت رویارویی در سخن را ندارند، می‌فرماید: «آنها [مشرکان میان او [خداوند] و جن (خویشاوندی و) نسبتی قائل شدند!» (وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا).

منظور از «نسب» هر گونه نسبت و رابطه است، هر چند جنبه خویشاوندی نداشته باشد، و می‌دانیم که جمعی از مشرکان عرب جن را می‌پرستیدند و آنها را شریک خدا می‌پنداشتند، و به این ترتیب رابطه‌ای میان آنها و خداوند قائل بودند. به هر حال قرآن مجید این عقیده خرافی را سخت انکار کرده، می‌گوید: «در حالی که جنیان به خوبی می‌دانند که این بت پرستان در دادگاه الهی احضار می‌شوند» (وَ لَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۶۶

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۵۹ ص: ۱۶۶

(آیه ۱۵۹) - بعد می‌افزاید: «منزه است خداوند از آنچه توصیف می‌کنند» (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۶۰ ص: ۱۶۶

(آیه ۱۶۰) - هیچ توصیفی شایسته ذات مقدس پروردگار نیست «مگر (آنچه) بندگان مخلص خدا» از روی آگاهی در مورد او دارند (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ). بندگان آنی که از هر گونه شرک و هوای نفس و جهل و گمراهی مبرا هستند، و خدا را جز به آنچه خودش اجازه داده توصیف نمی‌کنند.

آری! باید به سراغ سخنان پیامبر صلی الله علیه و اله و خطبه‌های نهج البلاغه علی علیه السلام و دعا‌های پر مغز امام سجاد در صحیفه سجادیه رفت، و در پرتو توصیفهای این بندگان مخلص خدا، خدا را شناخت.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۶۱ ص: ۱۶۶

(آیه ۱۶۱) - ادعاهای دروغین! در آیات پیشین سخن از معبودهای مختلف مشرکین به میان آمد، قرآن همین مسأله را تعقیب کرده، نخست این بحث را به میان می‌آورد که وسوسه‌های شما بت پرستان در دل‌های پاکان و نیکان اثری ندارد، و تنها قلوب آلوده و ارواح دوزخی و متمایل به فساد شماست که خود را تسلیم این وسوسه‌ها می‌سازد، می‌فرماید: «شما و آنچه را پرستش می‌کنید ...» (فَأِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۶۲ ص: ۱۶۶

(آیه ۱۶۲) - «هرگز نمی‌توانید کسی را (با آن) فریب دهید» و با فتنه و فساد از خداوند منحرف سازید (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۶۳ ص: ۱۶۶

(آیه ۱۶۳) - «مگر آنها که در آتش دوزخ وارد می شوند!» (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۶۴ ص: ۱۶۶

(آیه ۱۶۴) - بعد از این سه آیه که مسأله اختیار انسانها را در برابر فتنه جوئی و اغواگری بت پرستان روشن می سازد، ضمن سه آیه دیگر از مقام والای فرشتگان خدا سخن می گوید، همان فرشتگانی که بت پرستان آنها را دختران خدا می پنداشتند، و جالب این که سخن را از زبان خود آنها بیان کرده، می گوید:
«و هیچ یک از ما نیست جز آنکه مقام معلومی دارد» (وَ مَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۶۵ ص: ۱۶۶

(آیه ۱۶۵) - «و ما همگی (برای اطاعت فرمان خداوند به صف ایستاده ایم» برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۶۷ و چشم بر امر او داریم (وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۶۶ ص: ۱۶۷

(آیه ۱۶۶) - «و ما همه تسبیح گوی او هستیم»، و او را از آنچه لایق ذات پاکش نیست منزّه می شمیریم (وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ). آری! ما بندگانی که جان و دل بر کف داریم، همواره چشم بر امر، و گوش بر فرمانش سپرده ایم، ما کجا و فرزندى خدا کجا؟
در حقیقت آیات سه گانه فوق به سه قسمت از صفات فرشتگان اشاره می کند: نخست این که هر کدام رتبه و منزلتی دارند که از آن تجاوز نمی کنند.

دیگر این که آنها دائماً آماده اطاعت فرمان خدا در عرصه آفرینش و اجرای اوامر او در پهنه عالم هستی هستند. سوم این که آنها پیوسته تسبیح خدا می گویند و او را از آنچه لایق مقامش نیست منزّه می شمیرند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۶۷ ص: ۱۶۷

(آیه ۱۶۷) - سپس در چهار آیه دیگر به یکی از عذرهای ناموجه این مشرکان در ارتباط با همین مسأله بت پرستی و مطالب دیگر اشاره کرده و پاسخ می دهد، می فرماید: «آنها پیوسته می گفتند:» (وَ إِن كَانُوا لَيَقُولُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۶۸ ص: ۱۶۷

(آیه ۱۶۸) - «اگر یکی از کتابهای پیشینیان نزد ما بود» (لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۶۹ ص: ۱۶۷

(آیه ۱۶۹) - «به یقین ما بندگان مخلص خدا بودیم» (لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ).

این همه از بندگان مخلص و آنان که خدایشان خالص کرده است سخن مگوی، و پیامبران بزرگی همچون نوح و ابراهیم و موسی و غیر آنها را به رخ ما مکش، ما هم اگر مشمول لطف خدا شده بودیم و یکی از کتب آسمانی بر ما نازل می شد، در زمره این بندگان مخلص بودیم!

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۷۰ ص: ۱۶۷

(آیه ۱۷۰) - این آیه می گوید این آرزوی آنها هم اکنون جامه عمل به خود پوشیده و بزرگترین کتاب آسمانی خدا «قرآن مجید» بر آنان نازل شده، اما این دروغ پردازان پر ادعا «به آن کافر شدند (و از در مخالفت و انکار و دشمنی درآمدند) برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۶۸

ولی به زودی (نتیجه کار خود را) خواهند دانست» (فَكْفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۷۱ ص: ۱۶۸

(آیه ۱۷۱) - حزب الله پیروز است! به دنبال بحثهای گوناگونی که پیرامون مبارزات انبیای بزرگ و کارشکنیهای مشرکان بی ایمان طی آیات این سوره آمده است، اکنون که به آخرین آیات سوره نزدیک می شویم مهمترین مسأله را در این رابطه بیان می کند، و آن خبر از پیروزی نهائی لشکر خدا بر لشکر شیطان و دشمنان حق است، تا مؤمنان در هر عصر و زمان به این وعده بزرگ الهی دلگرم شوند و برای ادامه مبارزه با لشکر باطل آماده و مقاوم گردند.

می فرماید: «وعده قطعی ما برای بندگان فرستاده ما از پیش مسلم شده ...»

(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۷۲ ص: ۱۶۸

(آیه ۱۷۲) - «که آنان یاری شدگانند» (إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۷۳ ص: ۱۶۸

(آیه ۱۷۳) - «و لشکر ما (در تمام صحنهها) پیروزند» إِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ

چون عبارت صریح و گویا، و چه وعده روح پرور و امید بخشی؟!

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۷۴ ص: ۱۶۸

(آیه ۱۷۴) - سپس در ادامه این آیات، هم برای دلداری پیامبر صلی الله علیه و اله و مؤمنان و تأکید بر پیروزی، و هم تهدید مشرکان بی خبر می گوید: «از آنها [کافران روی بگردان تا زمان معینی] که فرمان جهاد فرارسد (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۷۵ ص : ۱۶۸

(آیه ۱۷۵) - سپس این جمله را با تهدید دیگری تأکید کرده، می فرماید: «وضع آنها را بنگر (چه بی محتواست) اما به زودی (نتیجه اعمال خود را) می بینند» (وَ أَبْصِرْ لَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ). به زودی پیروزی تو و مؤمنان، و شکست ذلت بار خود را در این دنیا، و مجازات الهی را در جهان دیگر خواهند دید.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۷۶ ص : ۱۶۸

(آیه ۱۷۶) - و از آنجا که این خیره سران بی شرم پیوسته این سخن را تکرار می کردند که وعده عذاب الهی چه شد؟ و اگر راست می گوئی چرا معطلی؟ قرآن با لحنی تهدید آمیز در پاسخ آنها می گوید: «آیا اینها برای عذاب ما عجله می کنند؟» (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ).
گاه می گویند: این وعده الهی چه شد؟ و گاه می گویند این پیروزی کی برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۶۹ خواهد آمد؟

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۷۷ ص : ۱۶۹

(آیه ۱۷۷) - «اما هنگامی که عذاب ما در آستانه خانه هایشان فرود آید انذار شدگان صبحگاه بدی خواهند داشت» (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ).
این تعبیر نزول عذاب را در متن زندگی آنها و مبدل شدن کانون آرامش آنها را به کانونی از وحشت و اضطراب نشان می دهد.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۷۸ ص : ۱۶۹

(آیه ۱۷۸) - به آنها اعتنا مکن! گفتیم آیات آخر این سوره در حقیقت وسیله ای است برای دلداری پیامبر و مؤمنان راستین و تهدیدی است برای کفار لجوج.
این آیه بار دیگر با لحنی تهدید آمیز می فرماید: «از آنها روی بگردان (و آنان را به حال خود واگذار) تا زمان معینی» (وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ).

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۷۹ ص : ۱۶۹

(آیه ۱۷۹) - «و وضع کارشان را ببین، آنها نیز به زودی (نتیجه اعمال خود را) می بینند!» (وَ أَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ).
این تکرار به خاطر تأکید است که آنها بدانند این یک مسأله قطعی است که به زودی مجازات و شکست و ناکامی خود را خواهند دید، و به نتایج مرارت بار اعمالشان گرفتار می شوند و پیروزی مؤمنان نیز قطعی و مسلم است.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۸۰ ص : ۱۶۹

(آیه ۱۸۰) - سپس سوره با سه جمله پر معنی در باره «خداوند» و «پیامبران» و «جهانیان» پایان می‌یابد.

می‌فرماید: «منزه است پروردگار تو، پروردگار عزّت (و قدرت) از آنچه آنان [مشرکان و جاهلان توصیف می‌کنند] (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ).

گاه فرشتگان را دختران او می‌نامند، گاه در میان او و جن نسبتی قائل می‌شوند، و گاه موجودات بی‌ارزشی همچون قطعات سنگ و چوب را هم‌ردیف او قرار می‌دهند.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۸۱ ص: ۱۶۹

(آیه ۱۸۱) - و در جمله دوم همه پیامبران را مورد لطف بی‌پایان خویش قرار داده، می‌گوید: «و سلام بر رسولان» (وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ).

سلامی که نشانه سلامت و عافیت از هرگونه عذاب و کیفر روز قیامت، برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۷۰
سلامی که امان در برابر شکستها و دلیل بر پیروزی بر دشمنان است.

سوره الصافات (۳۷): آیه ۱۸۲ ص: ۱۷۰

(آیه ۱۸۲) - و سرانجام سخن را با حمد الهی پایان داده، می‌گوید: «و حمد و ستایش مخصوص خداوندی است که پروردگار جهانیان است» (وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

سه آیه اخیر می‌تواند اشاره و مروری اجمالی بر تمام مسائل این سوره باشد، چرا که بخش مهمی از این سوره پیرامون توحید و مبارزه با انواع شرک بود، و آیه اول با تسبیح و تنزیه خداوند از توصیفهای مشرکان، همه را بازگو می‌کند. بخش دیگری از این سوره بیان گوشه‌هایی از حالات هفت پیامبر بزرگ بود، آیه دوم اشاره‌ای به آنهاست. و بالاخره بخش دیگری از نعمتهای الهی، مخصوصاً انواع نعمتهای بهشتی، و پیروزی جنود الهی بر لشکر کفر سخن می‌گفت، و حمد و ستایش خدا در پایان کار اشاره‌ای به همه اینهاست.

در روایات متعددی می‌خوانیم: «کسی که می‌خواهد در روز قیامت اجر و پاداش او با پیمان بزرگ و کامل داده شود باید آخرین سخنش در هر مجلسی که می‌نشیند این بوده باشد: سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ و سلام علی المرسلین و الحمد لله رب العالمین».

«پایان سوره صافات»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۷۱

سوره ص [۳۸] ص: ۱۷۱

اشاره

این سوره در «مکه» نازل شده و دارای ۸۸ آیه است

این سوره در حقیقت مکملی برای سوره «صافات» است، و استخوان بندی مطالبش شباهت زیادی با استخوان بندی سوره «صافات» دارد.

محتوای این سوره را در پنج بخش می توان خلاصه کرد:

بخش اول: از مسأله توحید و مبارزه با شرک و مسأله نبوت پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله و سرسختی و لجاجت دشمنان شرک در برابر این دو امر سخن می گوید.

بخش دوم: گوشه‌هایی از تاریخ نه نفر از پیامبران خدا را منعکس ساخته، و بالخصوص از «داود» و «سلیمان» و «ایوب» بحث بیشتری دارد.

بخش سوم: از سرنوشت کفار طاغی و یاغی در قیامت و تخاصم و جنگ و جدال آنها در دوزخ سخن می گوید، و به مشرکان و افراد بی‌ایمان نشان می دهد که پایان کار آنها به کجا خواهد رسید.

چهارمین بخش: از آفرینش انسان و مقام والای او و سجده کردن فرشتگان برای آدم سخن می گوید.

پنجمین بخش تهدیدی است برای همه دشمنان لجوج، و تسلی خاطر است برای پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله و بیان این واقعیت که او در دعوت خود هیچ گونه اجر و مزدی از کسی نمی طلبد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۷۲

فضیلت تلاوت سوره: ص: ۱۷۲

در فضیلت این سوره- که به خاطر آغازش به نام سوره «ص» نامیده شده- در روایتی از پیامبر گرامی اسلام صلی الله علیه و اله می خوانیم: «کسی که سوره «ص» را بخواند به اندازه هر کوهی که خدا مسخر داود فرموده بود حسنه به او می دهد، و از آلوده شدن و اصرار بر گناه صغیر و کبیر حفظ می کند».

و در حدیث دیگری از امام باقر علیه السلام چنین آمده: «کسی که سوره «ص» را در شب جمعه بخواند از خیر دنیا و آخرت آنقدر (از سوی خداوند) به او بخشیده می شود که به هیچ کس داده نشده، جز پیامبران مرسل، و فرشتگان مقرب، و خدا او و تمام کسانی را که از خانواده اش مورد علاقه او هستند وارد بهشت می کند، حتی خدمتگذاری که به او خدمت می کرده».

البته منظور تلاوتی است اندیشه برانگیز، و تصمیم آفرین، اندیشه و تصمیمی که انگیزه عمل گردد، و محتوای سوره را در زندگی انسان پیاده کند.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره ص(۳۸): آیه ۱ ص: ۱۷۱

اشاره

شأن نزول: ص: ۱۷۱

از امام باقر علیه السلام نقل شده که: «ابو جهل» و جماعتی از قریش نزد ابو طالب عموی پیامبر صلی الله علیه و اله آمدند و گفتند: فرزند برادرت ما را آزار داده، و خدایان ما را نیز ناراحت ساخته است! او را بخوان و به او دستور ده دست از خدایان ما بردارد تا ما هم ناسزا به خدای او نگوئیم! ابو طالب کسی را خدمت پیامبر صلی الله علیه و اله فرستاد، هنگامی که پیامبر صلی الله علیه و اله وارد خانه شد ابو طالب سخنان آنها را برای پیامبر صلی الله علیه و اله شرح داد.

پیامبر صلی الله علیه و اله در جواب فرمود: «آیا آنها حاضرند جمله‌ای را با من موافقت کنند و در سایه آن بر تمام عرب پیشی گیرند و حکومت کنند؟! ابو جهل گفت: بله موافقیم، منظورت کدام جمله است؟ پیغمبر صلی الله علیه و اله فرمود: «تقولون لا اله الا الله بگوئید معبودی جز الله نیست!» و این بتها را که مایه بدبختی و ننگ و عقب افتادگی شماسست دور بریزید.

هنگامی که حضار این جمله را شنیدند آن چنان وحشت کردند که انگشتها در برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۷۳ گوش گذاردند و با سرعت خارج شدند، و می گفتند: چنین چیزی را تا کنون نشنیده‌ایم، این یک دروغ است. اینجا بود که آیات آغاز سوره «ص» نازل شد.

تفسیر: ص: ۱۷۳

باز در نخستین آیه این سوره به یکی از حروف مقطعه برخورد می کنیم «ص» (ص). و همان گفتگوهای پیشین در تفسیر این حروف مقطعه مطرح می شود.

اما جمعی از مفسران در اینجا مخصوصاً روی علامت اختصاری بودن «ص» نسبت به «اسماء الله» یا غیر آن تکیه کرده‌اند، چرا که بسیاری از اسماء الله با «ص» شروع می شود مانند «صادق» و «صمد» و «صانع» و یا اشاره به جمله «صدق الله» است که در یک حرف خلاصه شده است.

سپس می فرماید: «سوگند به قرآنی که دارای ذکر است» که تو بر حقی و این کتاب، معجزه الهی است (وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ). قرآن هم خودش ذکر است و هم دارای ذکر.

«ذکر» به معنی یادآوری و زدودن زنگار غفلت از صفحه دل، یاد خدا، یاد نعمتهای او، یاد دادگاه بزرگ رستاخیز، و یاد هدف خلقت انسان است.

سوره ص (۳۸): آیه ۲ ص: ۱۷۳

(آیه ۲) - در این آیه می گوید: اگر می بینی آنها در برابر این آیات روشنگر و قرآن بیدار کننده تسلیم نمی شوند نه به خاطر این است که پرده‌ای بر این کلام حق افتاده «بلکه کافران گرفتار غرور و اختلافند» (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَ شِقَاقٍ).

سوره ص (۳۸): آیه ۳ ص: ۱۷۳

(آیه ۳) - سپس برای بیدار ساختن این مغروران غافل دست آنها را گرفته، به گذشته تاریخ بشر می برد، و سرنوشت اقوام مغرور و متکبر و لجوج را به آنها نشان می دهد، شاید عبرت گیرند، می گوید: «چه بسیار اقوامی که قبل از آنها بودند و ما آنها را (به خاطر تکذیب پیامبران و انکار آیات الهی و ظلم و گناه) هلاک کردیم» (كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ).
«و به هنگام نزول عذاب فریاد می زدند (و کمک می خواستند) ولی وقت نجات گذشته بود!» (فَنَادُوا وَ لَاتَ حِینَ مَنَاصٍ).
برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۷۴

آن روز که پیامبران الهی و اولیای حق آنها را اندرز دادند و از عاقبت شوم اعمالشان بر حذر داشتند نه تنها گوش شنوا نداشتند بلکه به استهزا و سخریه و آزار مؤمنان و حتی قتل آنها پرداختند، و فرصتها از دست رفت و پلهای پشت سر ویران گشت، و در حالی عذاب استیصال برای نابودی آنها نازل شد که درهای توبه و بازگشت همه بسته شده بود و فریادهای استغاثه آنها به جایی نرسید!

سوره ص (۳۸): آیه ۴ ص: ۱۷۴

اشاره

(آیه ۴) -

شأن نزول: ص: ۱۷۴

در باره این آیه و سه آیه بعد نقل شده: هنگامی که رسول خدا دعوتش را آشکار کرد سران قریش نزد ابو طالب آمدند و گفتند: ای ابو طالب! فرزند برادرت ما را سبک مغز می خواند، و به خدایان ما ناسزا می گوید، جوانان ما را فاسد نموده، و در جمعیت ما تفرقه افکنده است، اگر این کارها به خاطر کمبود مالی است ما آنقدر مال برای او جمع آوری می کنیم که ثروتمندترین مرد قریش شود، و حتی حاضریم او را به ریاست برگزینیم.

ابو طالب این پیام را به رسول الله صلی الله علیه و اله عرض کرد.

پیامبر صلی الله علیه و اله فرمود: «اگر آنها خورشید را در دست راست من و ماه را در دست چپ من بگذارند من به آن تمایل ندارم، ولی (به جای این همه وعده‌ها) یک جمله، با من موافقت نمایند تا در سایه آن بر عرب حکومت کنند، و غیر عرب نیز به آئین آنها در آیند و آنها سلاطین بهشت خواهند بود!» ابو طالب این پیام را به آنها رسانید، آنها گفتند: حاضریم به جای یک جمله ده جمله را بپذیریم (کدام جمله منظور تو است؟).

پیامبر صلی الله علیه و اله به آنها فرمود: «گواهی دهید که معبودی جز الله نیست و من رسول خدا هستم».

آنها (از این سخن سخت وحشت کردند و) گفتند: ما ۳۶۰ خدا را رها کنیم تنها به سراغ یک خدا برویم؟ چه چیز عجیبی؟! (آن هم خدایی که هرگز دیده نمی شود!).

در اینجا آیات مزبور نازل شد!

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۷۵

آیا به جای این همه خدا، یک خدا را بپذیریم؟! افراد مغرور و خودخواه هم نفوذ ناپذیرند و هم «مطلق گرا» چیزی را جز آنچه با افکار محدود و ناقصشان درک کرده‌اند به رسمیت نمی‌شناسند.

لذا هنگامی که پیامبر اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ پرچم توحید را در مکه برافراشت و بر ضد بت‌های کوچک و بزرگ که عدد آنها بالغ بر ۳۶۰ بت می‌شد قیام کرد «تعجب می‌کردند که چرا پیامبر انذار کننده‌ای از میان آنها برخاسته است»؟ (وَ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ).

تعجب آنها از این بود که محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ یک نفر از خود آنهاست.

آنها این امتیاز بزرگ را به عنوان یک نقطه تاریک در دعوت پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و اله تلقی می‌کردند و از آن تعجب داشتند.

گاه از این مرحله نیز فراتر رفتند «و کافران گفتند: این ساحر دروغگویی است!» (وَ قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ).

نسبت دادن سحر به پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و اله به خاطر مشاهده معجزات غیر قابل انکار و نفوذ خارق العاده او در افکار بود و نسبت دادن کذب به او به خاطر این بود که بر خلاف سنت‌های خرافی و افکار منحطی که جزء مسلمات آن محیط محسوب می‌شد قیام کرد و دعوی رسالت از سوی خدا داشت.

سوره ص (۳۸): آیه ۵ ص: ۱۷۵

(آیه ۵) - هنگامی که پیامبر دعوت توحیدی خود را آشکار نمود نگاه به یکدیگر می‌کردند و می‌گفتند: بیائید چیزهای ناشنیده بشنوید «آیا او به جای این همه خدایان یک خدا قرار داده؟ این راستی چیز عجیبی است»؟! (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ).

آری گاه غرور و خودخواهی و مطلق نگری و فساد محیط آن چنان بینش و قضاوت انسان را تغییر می‌دهد که از واقعیت‌های روشن تعجب می‌کند در حالی که به خرافات و پندارهای واهی سخت پای‌بند است.

سوره ص (۳۸): آیه ۶ ص: ۱۷۵

(آیه ۶) - «سرکردگان آنها (هنگامی که از مراجعه به ابو طالب و میانجیگری او مأیوس و ناامید شدند از نزد او بیرون آمدند، و گفتند): بروید و خدایانتان را برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۷۶

محکم بچسبید، این چیزی است که خواسته‌اند» شما را با آن گمراه کنند (وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَ اضْبُرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ).

سران بت پرستان می‌خواستند با این سخن، روحیه متزلزل پیروان خود را تقویت کنند، و از سقوط هر چه بیشتر اعتقاداتشان جلوگیری به عمل آورند اما چه تلاش بیهوده‌ای؟!

سوره ص (۳۸): آیه ۷ ص: ۱۷۶

(آیه ۷) - سپس برای اغفال مردم و یا قانع ساختن خویش گفتند: «ما هرگز چنین چیزی در آخرین آیین نشنیده‌ایم، این تنها یک آیین ساختگی است!» (ما سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ).

اگر ادعای توحید و نفی بتها واقعی داشت باید پدران ما با آن عظمت و شخصیت! آن را درک کرده باشند، و ما از آنها شنیده باشیم، اما این یک گفتار دروغین و بی سابقه است!

سوره ص (۳۸): آیه ۸ ص: ۱۷۶

(آیه ۸) - در آیات گذشته سخن از موضع گیری منفی مخالفان در برابر خط توحید و رسالت پیامبر اسلام بود، در اینجا نیز این سخن ادامه دارد.

مشرکان مکه هنگامی که منافع نامشروع خود را در خطر دیدند، و آتش کینه و حسد در دل آنها شعله‌ور شد، برای اغفال مردم و قانع کردن خویش در مورد مخالفت با پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله، به منطق‌های سست گوناگونی دست می‌زدند، از جمله از روی تعجب و انکار می‌گفتند: «آیا از میان همه ما قرآن تنها بر او [محمد] نازل شده؟! (أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا). از میان این همه پیرمردان پرسن و سال، این همه پولداران ثروتمند و سرشناس آیا کسی پیدا نشد که خدا قرآنش را بر او نازل کند، جز محمد یتیم تهیدست؟! قرآن در دنباله آیه می‌فرماید درد آنها چیز دیگری است، «آنها در حقیقت در اصل وحی من تردید دارند» (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي).

ایراد به شخص محمد صلی الله علیه و اله بهانه‌ای بیش نیست، بلکه سر چشمه آن هوی و هوسها و حب دنیا و حسادتهاست. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۷۷

و سر انجام آنها را با این جمله تهدید می‌کند: «آنها هنوز عذاب مرا نچشیده‌اند» (بَلْ لَمَّا يَدُوُّوا عَذَابٍ). که این گونه جسورانه در برابر فرستاده خدا ایستاده‌اند، و با این سخنان واهی به جنگ در برابر وحی الهی برخاسته‌اند.

سوره ص (۳۸): آیه ۹ ص: ۱۷۷

(آیه ۹) - سپس در پاسخ آنها می‌افزاید: «مگر خزائن رحمت پروردگار توانا و بخشنده‌ات نزد آنهاست» تا به هر کس میل دارند بدهند؟ (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ).

سوره ص (۳۸): آیه ۱۰ ص: ۱۷۷

(آیه ۱۰) - باز در این آیه همین معنی را از طریق دیگری تعقیب کرده، می‌گوید: «یا این که مالکیت و حاکمیت آسمانها و زمین و آنچه میان این دو است از آن آنهاست؟ (اگر چنین است) با هر وسیله ممکن به آسمانها بروند» و جلو نزول وحی را بر قلب پاک محمد بگیرند! (أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ).

این سخن در حقیقت تکمیلی است بر بحث گذشته، در آنجا می‌گفت:

«خزائن رحمت پروردگار در دست شما نیست که به هر کس که با تمایلات هوس آلودتان هماهنگ است ببخشید» حال می‌گوید: اکنون که این خزائن به دست شما نیست و فقط در اختیار خداست، تنها راهی که در پیش دارید این است که به آسمانها بروید و مانع نزول او شوید، و خود می‌دانید که از این کار نیز سخت عاجز و ناتوانید!

سوره ص(۳۸): آیه ۱۱ ص : ۱۷۷

(آیه ۱۱) - در این آیه در مقام تحقیر این مغروران سبک مغز و فخر فروش می گوید: «اینها لشکر کوچک شکست خورده‌ای از احزابند!» (جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ).

آن روز پیروزیهای بدر و احزاب و حنین پیش نیامده بود، ولی قرآن با قاطعیت گفت: «این دشمنان سرسخت لشکر کوچکی هستند که دچار شکست خواهند شد».

امروز هم قرآن همین بشارت را به مسلمانان جهان که از هر سو در محاصره قدرتهای متجاوز و ستمگر قرار گرفته‌اند می دهد که اگر همچون مسلمانان نخستین برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۷۸ بر سر عهد و پیمان خدا بایستند او نیز وعده خودش را در زمینه شکست جنود احزاب تحقق خواهد بخشید.

سوره ص(۳۸): آیه ۱۲ ص : ۱۷۸

(آیه ۱۲) - تنها یک صیحه آسمانی کارشان را یکسره می کند! در تعقیب آیه قبل که از شکست مشرکان در آینده خبر می داد، و آنها را لشکر کوچکی از احزاب مغلوب معرفی می کرد، در اینجا گروهی از این احزاب را که تکذیب پیامبران کردند و به سرنوشت شومی گرفتار شدند معرفی می کند.

می گوید: «قبل از آنها قوم نوح و عاد [قوم هود] و فرعون صاحب قدرت (پیامبران ما را) تکذیب کردند» (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٌ وَ فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ).

سوره ص(۳۸): آیه ۱۳ ص : ۱۷۸

(آیه ۱۳) - «و (نیز) قوم ثمود و قوم لوط و اصحاب الایکه [قوم شعیب اینها احزابی بودند] که به تکذیب پیامبران برخاستند و ثمود و قوم لوط و اصحاب الایکه اولئک الاحزاب».

آری! اینها شش گروه از احزاب جاهلی و بت پرست بودند که بر ضد پیامبران بزرگی قیام کردند. اما سر انجام عذاب الهی دامانشان را گرفت.

سوره ص(۳۸): آیه ۱۴ ص : ۱۷۸

(آیه ۱۴) - «هر یک (از این گروهها) رسولان را تکذیب کردند و عذاب الهی در باره آنها تحقق یافت» (إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ).

و تاریخ نشان می دهد که چگونه هر گروهی از آنها به بلائی جان سپردند و در مدت کوتاهی شهر و دیارشان به ویرانه‌ای تبدیل شد، و نفراتشان به جسدهائی بی روح!

سوره ص(۳۸): آیه ۱۵ ص : ۱۷۸

(آیه ۱۵) - آیا این مشرکان مکه با این کارهای خود سرنوشتی بهتر از آنها می توانند داشته باشند؟ در حالی که اعمال آنها

همان اعمال است و سنت خداوند همان سنت؟! لذا در این آیه به عنوان یک تهدید قاطع و کوبنده می‌گوید: «اینها (با این اعمالشان) جز یک صیحه آسمانی را انتظار نمی‌کشند که هیچ مهلت و بازگشتی برای آن وجود ندارد» و همگی را نابود می‌سازد (وَ مَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۷۹

این صیحه ممکن است همانند صیحه‌هایی باشد که بر اقوام پیشین فرود آمد، صاعقه‌ای وحشتناک، یا زمین لرزه‌ای پر صدا، که زندگی آنها را درهم کوبید.

و نیز ممکن است اشاره به «صیحه عظیم پایان جهان» باشد که از آن تعبیر به «نفخه صور اول» می‌شود.

سوره ص(۳۸): آیه ۱۶ ص: ۱۷۹

(آیه ۱۶) - این آیه به یکی دیگر از سخنان کفار و منکران - که از روی سخریه و استهزا می‌گفتند - اشاره کرده، می‌گوید: «آنها (از روی خیره‌سری) گفتند:

پروردگارا! بهره ما را (از عذاب هر چه زودتر) قبل از روز حساب به ما بده!» (وَ قَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ). این کوردلان مغرور آن چنان مست باده غرور بودند که حتی عذاب الهی و دادگاه عدلش را به باد مسخره می‌گرفتند.

سوره ص(۳۸): آیه ۱۷ ص: ۱۷۹

(آیه ۱۷) - از زندگی داود درس بیاموز! به دنبال بحثهایی که در آیات گذشته پیرامون کارشکنیهای مشرکان و بت پرستان، و نسبتهای ناروای آنان به پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله آمده بود، قرآن در اینجا برای دل‌داری پیامبر صلی الله علیه و اله و مؤمنان اندک آن روز داستان داود را مطرح می‌کند.

نخست می‌گوید: «در برابر آنچه می‌گویند شکبیا باش، و به خاطر بیاور بنده ما داود صاحب قدرت را که او بسیار توبه کننده بود!» (اضْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ وَ اذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْاَيْدِ اِنَّهُ اَوْابٌ).

نیروی جسمانی در حدی بود که در میدان جنگ بنی اسرائیل با «جالوت» جبار ستمگر با یک ضربه نیرومند به وسیله سنگی که از فلاخن رها کرد جالوت را از بالای مرکب به روی خاک افکند، و در خون خود غلطاند.

و از نظر قدرت سیاسی، حکومتی نیرومند داشت که با قدرت تمام در برابر دشمنان می‌ایستاد، حتی گفته‌اند در اطراف محراب عبادت او هزاران نفر شب تا به صبح به حال آماده باش بودند! از نظر نعمتها خداوند انواع نعم ظاهری و باطنی را به او ارزانی داشته بود، خلاصه این که داود مردی بود نیرومند در جنگها، در عبادت، در علم و دانش و در برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص:

۱۸۰

حکومت، و هم صاحب نعمت فراوان.

سوره ص(۳۸): آیه ۱۸ ص: ۱۸۰

(آیه ۱۸) - سپس طبق روش اجمال و تفصیل که در قرآن مجید به هنگام ذکر مسائل مختلف معمول است، بعد از بیان اجمالی نعمتهای خداوند بر داود، به شرح قسمتی از آن پرداخته، چنین می‌گوید: «ما کوهها را مسخر او ساختیم که هر شامگاه و صبحگاه با او (خدا را) تسبیح می‌گفتند!» (اِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْاِشْرَاقِ).

سوره ص(۳۸): آیه ۱۹..... ص : ۱۸۰

(آیه ۱۹) - نه تنها کوهها که «پرندگان را نیز دسته جمعی مسخر او کردیم» تا همراه او تسبیح خدا گویند (وَ الطَّيْرِ مَحْشُورَةً). همه این پرندگان و کوهها مطیع فرمان داود و همصدا با او و «بازگشت کننده به سوی او بودند» (كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ). این تسبیح توأم با صدای ظاهری و همراه با نوعی درک و شعور بوده که در باطن ذرات عالم است و تمامی موجودات جهان از یک نوع عقل و شعور برخوردارند، و هنگامی که صدای دل انگیز این پیامبر بزرگ را به وقت مناجات می شنیدند با او همصدا می شدند، و غلغله تسبیح آنها در هم می آمیخت.

سوره ص(۳۸): آیه ۲۰..... ص : ۱۸۰

(آیه ۲۰) - این آیه همچنان به ذکر نعمتهای خداوند بر داود ادامه داده، می فرماید: «و حکومت او را استحکام بخشیدیم» (وَ شَدَدْنَا مُلْكَهُ).

آن چنان که همه سرکشان و طاغیان و دشمنان از او حساب می بردند. علاوه بر این «دانش به او دادیم» (وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ).

آخرین نعمت بزرگ خدا بر داود این بود که می فرماید: ما به او «علم قضاوت و داوری عادلانه» دادیم (وَ فَضَّلَ الْخِطَابِ). این احتمال در تفسیر این جمله وجود دارد که خداوند منطق نیرومندی که از فکر بلند، و عمق اندیشه، حکایت می کرد در اختیار داود گذارد، نه تنها در مقام داوری که در همه جا سخن آخر و آخرین سخن را بیان می کرد.

سوره ص(۳۸): آیه ۲۱..... ص : ۱۸۰

(آیه ۲۱) - آزمون بزرگ داود! به دنبال آیات گذشته که صفات ویژه «داود» و مواهب بزرگ خدا را بر او بیان می کرد قرآن ماجرائی را که در یک برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۸۱ دادرسی برای داود پیش آمد شرح می دهد.

نخست خطاب به پیامبر اسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ كَرَّمَهُ، می گوید: «آیا داستان شاکیان هنگامی که از محراب (داود) بالا رفتند به تو رسیده است؟! (وَ هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ).

سوره ص(۳۸): آیه ۲۲..... ص : ۱۸۱

(آیه ۲۲) - با این که «داود» محافظین و مراقبین فراوانی در اطراف خود داشت، طرفین نزاع از غیر راه معمولی از دیوار محراب و قصر او بالا رفتند، و ناگهان در برابر او ظاهر گشتند، چنانکه قرآن در ادامه این بحث می گوید: «در آن هنگام که (بی مقدمه) بر داود وارد شدند و او از دیدن آنها وحشت کرد» زیرا فکر می کرد قصد سوئی در باره او دارند (إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ).

اما آنها به زودی وحشت او را از بین بردند و «گفتند: نترس، دو نفر شاکی هستیم که یکی از ما بر دیگری ستم کرده» و برای دادرسی نزد تو آمدیم (قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ).

«اکنون در میان ما به حق داوری کن، و ستم روا مدار، و ما را به راه راست هدایت کن» (فَاَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَ لَا تُشْطِطْ وَ اِهْدِنَا اِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ).

سوره ص(۳۸): آیه ۲۳..... ص: ۱۸۱

(آیه ۲۳) - مسلماً نگرانی و وحشت داود در اینجا کم شد، ولی شاید این سؤال هنوز برای او باقی بود که بسیار خوب، شما قصد سوئی ندارید، و هدفتان شکایت نزد قاضی است، ولی آمدن از این راه غیر معمول برای چه منظوری بود؟ اما آنها مجال زیادی به داود ندادند و یکی برای طرح شکایت پیشقدم شد گفت: «این برادر من است، او نود و نه میش دارد، و من یکی بیش ندارم اما او اصرار می کند که این یکی را هم به من واگذار! و در سخن بر من غلبه کرده است» (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعَجَةً وَ لِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَ عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ).

سوره ص(۳۸): آیه ۲۴..... ص: ۱۸۱

(آیه ۲۴) - در اینجا داود پیش از آن که گفتار طرف مقابل را بشنود - چنانکه ظاهر آیات قرآن است - رو به شاکی کرد و گفت: مسلماً او با درخواست یک میش تو برای افزودن آن به میشهایش بر تو ستم نموده! (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ اِلَى نِعَاجِهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۸۲ اما این تازگی ندارد «و بسیاری از شریکان (و دوستان) به یکدیگر ستم می کنند» (وَ اِنَّ كَثِيْرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلٰى بَعْضٍ).

«مگر کسانی که ایمان آورده و اعمال صالح انجام داده اند» (اِلَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَ عَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ).
«اما عده آنها کم است» (وَ قَلِيْلٌ مَّا هُمْ).

آری! آنها که در معاشرت و دوستی حق دیگران را بطور کامل رعایت کنند و کمترین تعدی بر دوستان خود روا ندارند کمند، تنها کسانی می توانند حق دوستان و آشنایان را بطور کاملاً عادلانه ادا کنند که از سرمایه ایمان و عمل صالح بهره کافی داشته باشند.

به هر حال چنین به نظر می رسد که طرفین نزاع با شنیدن این سخن قانع شدند، و مجلس داود را ترک گفتند. ولی داود در اینجا در فکر فرو رفت و با این که می دانست قضاوت عادلانه ای کرده چه این که اگر طرف ادعای شاکی را قبول نداشت حتماً اعتراض می کرد، سکوت او بهترین دلیل بر این بوده که مسأله همان است که شاکی مطرح کرده، ولی با این حال آداب مجلس قضا ایجاب می کند که داود در گفتار خود عجله نمی کرد، بلکه از طرف مقابل شخصاً سؤال می نمود سپس داوری می کرد، لذا از این کار خود سخت پشیمان شد.

همان طور که قرآن می گوید: «و داود دانست که ما او را (با این ماجرا) آزموده ایم» (وَ ظَنَّ دَاوُدُ اَنْمَّا فَتَنَّاهُ).

در مقام استغفار برآمد «و از پروردگارش طلب آمرزش نمود و به سجده افتاد و توبه کرد» (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ حَرَّ رَاكِعًا وَ اَنَابَ).
تعبیر به «راکعا» در آیه مورد بحث یا به خاطر آن است که رکوع به معنی سجده نیز در لغت آمده، و یا رکوع مقدمه ای است برای سجده.

سوره ص(۳۸): آیه ۲۵..... ص: ۱۸۲

(آیه ۲۵) - به هر حال خداوند او را مشمول لطف خود قرار داد و لغزش او را در این ترک اولی بخشید چنانکه قرآن در این آیه می گوید: «ما این عمل را بر او برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۸۳ بخشیدیم» (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ).

«و او نزد ما دارای مقام والا و سرانجامی نیکوست» (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ).

سوره ص(۳۸): آیه ۲۶..... ص: ۱۸۳

(آیه ۲۶) - حکم به عدالت کن و از هوای نفس پیروی منما! به دنبال داستان داود، و به عنوان آخرین سخن، وی را مخاطب ساخته و ضمن بیان مقام والای او، وظائف و مسؤولیتهای سنگین وی را با لحنی قاطع و تعبیراتی پر معنا شرح داده، می فرماید: «ای داود! ما تو را خلیفه (و نماینده خود) در زمین قرار دادیم پس در میان مردم بحق داوری کن، و از هوای نفس پیروی مکن که تو را از راه خدا منحرف سازد، کسانی که از راه خداوند گمراه شوند عذاب شدیدی به خاطر فراموش کردن روز حساب دارند» (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ).

محتوای این آیه که از مقام والای داود و وظیفه مهم او سخن می گوید نشان می دهد که افسانه های دروغینی که در باره ازدواج او با همسر «اوریا» به هم بافته اند تا چه اندازه بی پایه است «۱». این آیه نشان می دهد که حکومت در زمین باید از حکومت الهی نشأت گیرد و هر حکومتی از غیر این طریق باشد حکومتی است ظالمانه و غاصبانه.

سوره ص(۳۸): آیه ۲۷..... ص: ۱۸۳

(آیه ۲۷) - سپس به دنبال بحث از سرگذشت داود و خلافت الهی او در زمین، سخن از هدفدار بودن جهان هستی به میان می آورد تا جهت حکومت بر زمین که جزئی از آن است مشخص گردد، می فرماید: «و ما آسمان و زمین و آنچه را در میان این دو است بیهوده نیافریدیم، این گمان کافران است، وای بر کافران از آتش» دوزخ! (وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ).

مسأله مهمی که تمام حقوق از آن سرچشمه می گیرد هدفدار بودن خلقت

(۱) شرح بیشتر این ماجرا را در «تفسیر نمونه» ذیل آیه ۲۱ سوره ص مطالعه فرمایید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۸۴

است، هنگامی که در جهان بینی خود این مطلب را پذیرفتیم که این عالم وسیع از ناحیه خداوند بزرگ بیهوده آفریده نشده، بلافاصله به دنبال هدف آن می رویم، هدفی که در کلمه های کوتاه و پر محتوای «تکامل» و «تعلیم» و «تربیت» خلاصه می شود، و از آنجا نتیجه می گیریم که حکومتها نیز باید در همین خط گام بردارند، پایه های تعلیم و تربیت را محکم کنند و مایه تکامل

سوره ص(۳۸): آیه ۲۸ ص: ۱۸۴

(آیه ۲۸) - در این آیه اضافه می‌کند: «آیا (ممکن است) کسانی را که ایمان آورده‌اند و کارهای شایسته انجام داده‌اند همچون مفسدان در زمین قرار دهیم؟! (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ).
«یا پرهیزکاران را همچون فاجران قرار دهیم؟! (أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ).
نه بی‌هدفی در خلقت ممکن است، و نه مساوات صالحان و طالحان، چرا که گروه اول در مسیر اهداف آفرینش گام بر می‌دارند و به سوی مقصد پیش می‌روند، اما گروه دوم در جهت مخالف قرار گرفته‌اند.

سوره ص(۳۸): آیه ۲۹ ص: ۱۸۴

(آیه ۲۹) - در این آیه به مطلبی اشاره می‌کند که در حقیقت تأمین کننده هدف آفرینش است، می‌فرماید: «این کتابی پر برکت است که بر تو نازل کرده‌ایم، تا در آیات آن تدبیر کنند، و خردمندان متذکر شوند» (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ).
تعلیماتش جاویدان، و دستوراتش عمیق و ریشه‌دار، و برنامه‌هایش حیاتبخش و راهبر انسان در طریق هدف آفرینش است.
هدف از نزول این کتاب بزرگ این نبوده که تنها به تلاوت و لقلقه زبان قناعت کنند بلکه هدف این بوده که آیاتش سر چشمه فکر و اندیشه، و مایه بیداری وجدانها گردد و آن نیز به نوبه خود حرکتی در مسیر عمل بیافریند.

سوره ص(۳۸): آیه ۳۰ ص: ۱۸۴

(آیه ۳۰) - سلیمان از نیروی رزمی خود سان می‌بیند قرآن همچنان بحث گذشته را پیرامون داود ادامه می‌دهد و در این آیه، خبر از بخشیدن فرزند برومندی همچون «سلیمان» به او می‌دهد که ادامه دهنده حکومت و رسالت او بود، می‌گوید: «ما سلیمان را به داود بخشیدیم، چه بنده برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۸۵
خوبی! زیرا همواره به سوی خدا بازگشت می‌کرد» و به یاد او بود (وَ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ).
این تعبیر که نشان دهنده عظمت مقام سلیمان است شاید برای ردّ اتهامات بی‌اساس و زشتی است که در مورد تولد سلیمان از همسر «اوریا» در تورات تحریف یافته آمده است و در عصر نزول قرآن در آن محیط شایع بوده.

سوره ص(۳۸): آیه ۳۱ ص: ۱۸۵

(آیه ۳۱) - از این آیه داستان اسبهای سلیمان شروع می‌شود که تفسیرهای گوناگونی برای آن شده که بعضا از سوی ناآگاهان بوده.
قرآن می‌گوید: «به خاطر بیاور هنگامی را که عصر گاهان اسبان چابک تندرو را بر او عرضه داشتند» (إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِيَاتُ الْجِيَادُ).

سوره ص(۳۸): آیه ۳۲ ص: ۱۸۵

(آیه ۳۲) - سلیمان در اینجا برای این که تصور نشود که علاقه او به این اسبهای پر قدرت جنبه دنیا پرستی دارد، «گفت: من این اسبان را به خاطر یاد پروردگارم دوست دارم» و می‌خواهم از آنها در جهاد استفاده کنم (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي).

سلیمان که از مشاهده این اسبهای چابک و آماده برای جهاد و پیکار با دشمن خرسند شده بود همچنان آنها را نگاه می‌کرد و چشم به آنها دوخته بود «تا از دید گانش پنهان شدند» (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ).

سوره ص(۳۸): آیه ۳۳ ص: ۱۸۵

(آیه ۳۳) - صحنه آنقدر جالب و زیبا و برای یک فرمانده بزرگ همچون سلیمان نشاط آور بود که او دستور داد: «بار دیگر آنها را نزد من باز گردانید» (رُدُّوْهَا عَلَيَّ).

به هنگامی که مأمورانش این فرمان را اطاعت کردند و اسبها را باز گرداندند سلیمان شخصا آنها را مورد نوازش قرار داد «و دست به ساقها و گردنهای آنها کشید» (فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَ الْأَعْنَاقِ).

و به این وسیله هم مریبان آنها را تشویق کرد، و هم از آنها قدردانی نمود، زیرا معمول است هنگامی که می‌خواهند از مرکبی قدردانی کنند دست بر سر و صورت و یال و گردن، یا بر پایش می‌کشند، و چنین ابراز علاقه‌ای در برابر وسیله مؤثری که برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۸۶

انسان را در هدفهای والایش کمک می‌کند از پیغمبر بزرگی همچون سلیمان تعجب آور نیست.

سوره ص(۳۸): آیه ۳۴ ص: ۱۸۶

(آیه ۳۴) - آزمایش سخت سلیمان و حکومت گسترده او قرآن همچنان قسمت دیگری از سرگذشت سلیمان را بازگو می‌کند، و نشان می‌دهد که انسان به هر پایه‌ای از قدرت برسد باز از خود چیزی ندارد، و هر چه هست از ناحیه خداست، مطلبی که توجه به آن پرده‌های غرور و غفلت را از مقابل چشم انسان کنار می‌زند.

نخست در باره یکی از آزمایشهایی سخن می‌گوید که خدا در باره سلیمان کرد، آزمایشی که با «ترک اولی» همراه بود، و به دنبال آن سلیمان به درگاه خدا روی آورد و از این «ترک اولی» توبه کرد.

قرآن می‌گوید: «ما سلیمان را آزمودیم و بر کرسی او جسدی افکندیم، سپس به درگاه خداوند توبه کرد، و به سوی او بازگشت» (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ).

توضیح این که: «سلیمان» آرزو داشت فرزندان برومند شجاعی نصیبش شود که در اداره کشور و مخصوصاً جهاد با دشمنان به او کمک کنند، او دارای همسران متعدد بود با خود گفت: من با آنها همبستر می‌شوم تا فرزندان متعددی نصیبم گردد، و به هدفهای من کمک کنند، ولی چون در اینجا غفلت کرد و «انشاء الله» - همان جمله‌ای که بیانگر اتکای انسان به خدا در همه حال است - نگفت در آن زمان هیچ فرزندی از همسرانش تولد نیافت، جز فرزندی ناقص الخلقه، همچون جسدی بی‌روح که آن را آوردند و بر کرسی او افکندند! سلیمان سخت در فکر فرو رفت، و ناراحت شد که چرا یک لحظه از خدا غفلت کرده،

و بر نیروی خودش تکیه کرده است، توبه کرد و به درگاه خدا بازگشت.

سوره ص(۳۸): آیه ۳۵ ص: ۱۸۶

(آیه ۳۵) - قرآن در این آیه مسأله توبه سلیمان را که در آخرین جمله آیه قبل آمده بود به صورت مشروحتری بازگو کرده، می‌فرماید: «گفت: پروردگارا! مرا ببخش» (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۸۷
«و ملک و حکومتی به من عطا کن که بعد از من سزاوار هیچ کس نباشد که تو بسیار بخشنده‌ای» (وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ).

او از خداوند یک نوع حکومت می‌خواست که توأم با معجزات ویژه‌ای بوده باشد. زیرا می‌دانیم هر پیامبری معجزه مخصوص به خود داشته و این برای پیامبران عیب و نقصی محسوب نمی‌شود که برای خود تقاضای معجزه ویژه‌ای کنند.

سوره ص(۳۸): آیه ۳۶ ص: ۱۸۷

(آیه ۳۶) - سپس قرآن همان گونه که گفتیم این مطلب را بیان می‌کند که خدا تقاضای سلیمان را پذیرفت و حکومتی با امتیازات ویژه و مواهبی بزرگ در اختیار او گذارد که آنها را می‌توان در پنج موضوع خلاصه کرد.

۱- تسخیر بادها به عنوان یک مرکب راهوار، چنانکه می‌فرماید: «پس ما باد را مسخر او ساختیم تا مطابق فرمانش به نرمی حرکت کند، و به هر جا او اراده نماید برود» (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ).
جزئیات این وسیله مرموز بر ما روشن نیست، ما همین قدر می‌دانیم که این از جمله خوارق عاداتی بود که در اختیار پیامبران قرار می‌گرفت.

سوره ص(۳۸): آیه ۳۷ ص: ۱۸۷

(آیه ۳۷) - دومین موهبت خداوند به سلیمان (ع) مسأله تسخیر موجودات سرکش و قرار دادن آن در اختیار او برای انجام کارهای مثبت بود.

چنانکه می‌گوید: «و شیاطین را (مسخر او ساختیم) و هر بنا و غواصی از آنها را» سر بر فرمان او نهادیم (وَ الشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَ غَوَّاصٍ). تا گروهی در خشکی هر بنایی می‌خواهد برای او بسازند و گروهی در دریا به غواصی مشغول باشند.
و به این ترتیب شیاطین که طبیعتشان تمرد و سرکشی است آن چنان مسخر او شدند که در مسیر سازندگی و استخراج منابع گرانبها قرار گرفتند.

سوره ص(۳۸): آیه ۳۸ ص: ۱۸۷

(آیه ۳۸) - سومین موهبت خداوند به سلیمان مهار کردن گروهی از نیروهای مخرب بود، زیرا به هر حال در میان شیاطین افرادی بودند که به عنوان یک نیروی مفید و سازنده قابل استفاده به حساب نمی‌آمدند، و چاره‌ای جز این نبود که آنها در بند باشند، تا جامعه از شر مزاحمت آنها در امان بماند، چنانکه قرآن می‌گوید: برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۸۸

«و گروه دیگری (از شیاطین) را در غل و زنجیر (تحت سلطه او) قرار دادیم» (وَ آخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ).

سوره ص(۳۸): آیه ۳۹ ص: ۱۸۸

(آیه ۳۹) - چهارمین موهبت خداوند به سلیمان اختیارات فراوانی بود که دست او را در اعطا و منع باز می گذارد. چنانکه آیه می گوید: به او گفتیم: «این عطای ماست به هر کس می خواهی (و صلاح می بینی) ببخش و از هر کس می خواهی امساک کن و حسابی بر تو نیست» تو امین هستی (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ).

سوره ص(۳۸): آیه ۴۰ ص: ۱۸۸

(آیه ۴۰) - پنجمین و آخرین موهبت خداوند بر سلیمان مقامات معنوی او بود که خدا در سایه شایستگیهایش به او مرحمت کرده بود.

چنانکه آیه می فرماید: «و برای او [سلیمان نزد ما مقامی ارجمند و سرانجامی نیکوست» (وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَازْفَىٰ وَ حُسْنَ مَآبٍ). تعبیر به «حسن مآب» که خبر از عاقبت نیک او می دهد ممکن است اشاره به نسبت ناروائی باشد که در تورات آمده که سلیمان به خاطر ازدواج با بت پرستان سرانجام به آئین بت پرستی تمایل پیدا کرد! و حتی دست به ساختن بتخانه ای زد! قرآن با این تعبیر خط بطلان بر تمام این اوهام و خرافات می کشد.

نکته: از جمله مسائلی که در لابلای داستان سلیمان عینیت یافته این است که: داشتن یک حکومت نیرومند با امکانات مادی فراوان و اقتصاد گسترده و تمدن درخشان هرگز منافاتی با مقامات معنوی و ارزشهای الهی و انسانی ندارد.

سوره ص(۳۸): آیه ۴۱ ص: ۱۸۸

(آیه ۴۱) - زندگی پر ماجرای ایوب و مقام صبرش: ایوب سومین پیامبر است که در این سوره گوشه ای از زندگی او مطرح شده، و پیامبر بزرگ ما موظف گردید سرگذشت او را به یاد آورد، و برای مسلمانان بازگو کند تا از مشکلات طاقت فرسا نهراسند و از لطف و رحمت خدا هرگز مأیوس نشوند.

نام یا سرگذشت ایوب در چندین سوره از قرآن در ردیف پیامبران دیگر آمده که مقام نبوت او را تثبیت و تبیین می کند، بر خلاف تورات کنونی که او را در زمره پیامبران نشمرده بلکه بنده ای متمکن و نیکو کار دارای اموال و فرزندان برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۸۹

بسیار می داند.

نخست می گوید: «و به خاطر بیاور بنده ما ایوب را هنگامی که پروردگارش را خواند (و گفت: پروردگارا!) شیطان مرا به رنج و عذاب افکنده است» (وَ اذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَ عَذَابٍ).

از این آیه مقام والای ایوب در پیشگاه خدا به عنوان «عبدنا» (بنده ما) به خوبی استفاده می شود، و دیگر این که اشاره سر بسته ای است به گرفتاریهای شدید و طاقت فرسا و درد و رنج فراوان ایوب.

شخصی از امام صادق علیه السلام سؤال کرد: بلائی که دامنگیر ایوب شد برای چه بود؟

امام علیه السلام در پاسخ او فرمود: خداوند برای این که اخلاص ایوب را بر همگان روشن سازد، و او را الگویی برای جهانیان

قرار دهد که به هنگام «نعمت» و «رنج» هر دو شاکر و صابر باشند به شیطان اجازه داد که بر دنیای او مسلط گردد. شیطان از خدا خواست اموال سرشار ایوب، زراعت و گوسفندانش و همچنین فرزندان او از میان بروند، آفات و بلاها در مدت کوتاهی آنها را از میان برد، ولی نه تنها از مقام شکر ایوب کاسته نشد بلکه افزوده گشت! او از خدا خواست که این بار بر بدن ایوب مسلط گردد، و آن چنان بیمار شود که از شدت درد و رنجوری به خود پیچد و اسیر و زندانی بستر گردد. این نیز از مقام شکر او چیزی نکاست.

ولی جریان پیش آمد که قلب ایوب را شکست و روح او را سخت جریحه دار ساخت، و آن این که جمعی از راهبان بنی اسرائیل به دیدنش آمدند و گفتند: تو چه گناهی کرده‌ای که به این عذاب الیم گرفتار شده‌ای؟! ایوب باز رشته صبر را از کف نداد، تنها رو به درگاه خدا آورد و جمله‌های بالا- (آیه شریفه) را بیان نمود و چون از عهده امتحانات الهی به خوبی برآمده بود خداوند درهای رحمتش را بار دیگر به روی این بنده صابر و شککیا گشود، و نعمتهای از دست رفته را یکی پس از دیگری و حتی بیش از آن را به او ارزانی برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۹۰ داشت، تا همگان سر انجام نیک صبر و شکیائی و شکر را دریابند.

سوره ص(۳۸): آیه ۴۲..... ص: ۱۹۰

(آیه ۴۲)- در میان تمام ناراحتیها و رنجها آنچه بیشتر روح ایوب را آزار می‌داد مسأله شماتت دشمنان بود. اما سر انجام ایوب از بوته داغ این آزمایش الهی سالم به درآمد، و فرمان رحمت خدا از اینجا آغاز شد که به او دستور داد: «پای خود را بر زمین بکوب! این چشمه آبی برای شستشو و نوشیدن است» (ازْكَضْ بَرَجْلِكَ هَذَا مَغْتَسِلًا بَارِدًا وَ شَرَابًا). چشمه‌ای خنک و گوارا و شفابخش از بیماریهای «برون» و «درون». توصیف آب به خنک بودن شاید اشاره‌ای باشد به تأثیر مخصوص شستشو با آب سرد برای بهبود و سلامت تن، همان گونه که در طب امروز نیز ثابت شده است.

سوره ص(۳۸): آیه ۴۳..... ص: ۱۹۰

(آیه ۴۳)- نخستین و مهمترین نعمت الهی که عافیت و بهبودی و سلامت بود به ایوب بازگشت، نوبت بازگشت مواهب و نعمتهای دیگر رسید، و در این زمینه قرآن می‌گوید: «و خانواده‌اش را به او بخشیدیم» (وَ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَةً). «و همانند آنها را بر آنان افزودیم» (وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ). «تا رحمتی از سوی ما باشد، و تذکری برای اندیشمندان» (رَحْمَةً مِنَّا وَ ذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ).

سوره ص(۳۸): آیه ۴۴..... ص: ۱۹۰

(آیه ۴۴)- تنها مشکلی که برای ایوب مانده بود سوگندی بود که در مورد همسرش خورده بود و آن این که تخلفی از او دید و در آن حال بیماری سوگند یاد کرد که هرگاه قدرت پیدا کند یک صد ضربه یا کمتر بر او بزند، اما بعد از بهبودی می‌خواست به پاس وفاداریها و خدماتش او را ببخشد، ولی مسأله سوگند و نام خدا در میان بود. خداوند این مشکل را نیز برای او حل کرد می‌فرماید: به او گفتیم «بسته‌ای از ساقه‌های گندم (یا مانند آن) را بگیر، و با آن

(همسرت را) بزن و سوگند خود را مشکن! (وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۹۱ و بالاخره در پایان این داستان می‌فرماید: «ما او را شکبیا یافتیم، چه بنده خوبی که بسیار بازگشت کننده (به سوی خدا) بود» (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ).

«فرج بعد از شدت» نکته مهمی است که در این ماجرا نهفته است هنگامی که امواج حوادث و بلا از هر سو انسان را در فشار قرار می‌دهد، نه تنها نباید مأیوس و نومید گشت، بلکه باید آن را نشانه و مقدمه‌ای برگشوده شدن درهای رحمت الهی دانست، چنانکه امیر مؤمنان علی علیه السلام می‌فرماید: «به هنگامی که سختیها به اوج خود می‌رسد فرج نزدیک است، و هنگامی که حلقه‌های بلا تنگتر می‌شود راحتی و آسودگی فرا می‌رسد».

سوره ص (۳۸): آیه ۴۵ ص: ۱۹۱

(آیه ۴۵) - شش پیامبر بزرگ دیگر: در تعقیب آیات گذشته در اینجا نام شش تن دیگر از بزرگترین پیامبران الهی را برده، و اوصاف برجسته آنها را که می‌تواند الگو و اسوه برای همه انسانها باشد بطور فشرده بیان می‌دارد.

نخست روی سخن را به پیامبر اسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله كرده، می‌گوید: «به خاطر بیاور بندگان ما ابراهیم و اسحاق و یعقوب را» (وَ اذْكُرْ عِبَادَنَا اِبْرَاهِيمَ وَ اسْحٰقَ وَ يَعْقُوبَ).

بندگی خدا یعنی وابستگی مطلق به او، یعنی در برابر اراده او از خود اراده‌ای نداشتن، و در همه حال سر بر فرمان او نهادن. بندگی خدا یعنی بی‌نیازی از غیر او و تنها چشم بر لطف او دوختن، این همان اوج تکامل انسان و برترین شرف و افتخار اوست.

سپس اضافه می‌کند: «صاحبان دستها (ی نیرومند) و چشمها» ی بینا (أُولَى الْأَيْدِي وَ الْأَبْصَارِ).

خداوند این پیامبران را به داشتن «درک و تشخیص و بینش قوی» و «قوت و قدرت کافی» برای انجام کار توصیف کرده است. این الگویی است برای همه رهروان راه حق که بعد از مقام عبودیت و بندگی خدا با این دو سلاح برنده مسلح گردند. بنابر این دست و چشم در اینجا به معنی دو عضو مخصوص نیست، بلکه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۹۲ کنایه از دو صفت «علم و قدرت» است.

سوره ص (۳۸): آیه ۴۶ ص: ۱۹۲

(آیه ۴۶) - در چهارمین توصیف از آنان می‌گوید: «ما آنها را با خلوص ویژه‌ای خالص کردیم» (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ). «و آن یادآوری سرای آخرت بود» (ذِكْرَى الدَّارِ).

افق دید آنها در زندگی چند روزه این دنیا و لذات آن محدود نمی‌شد، آنها در ماورای این زندگی زود گذر سرای جاویدان با نعمتهای بی‌پایانش را می‌دیدند، و همواره برای آن تلاش و کوشش داشتند.

سوره ص (۳۸): آیه ۴۷ ص: ۱۹۲

(آیه ۴۷) - در توصیف پنجم و ششم آنها می‌فرماید: «و آنها نزد ما از برگزیدگان و نیکانند» (وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ).

ایمان و عمل صالح آنها سبب شده که خدا آنان را از میان بندگان برگزیند و به منصب نبوت و رسالت مفتخر سازد.

سوره ص(۳۸): آیه ۴۸ ص: ۱۹۲

(آیه ۴۸) - بعد از اشاره به مقامات برجسته سه پیامبر فوق، نوبت به سه پیامبر بزرگ دیگر می‌رسد، می‌فرماید: «و به یاد آور اسماعیل و الیسع و ذا الکفل را که همه از نیکان بودند» (وَ اذْکُرْ اِسْمَاعِیْلَ وَ الِیْسَعَ وَ ذَا الْکِفْلِ وَ کُلٌّ مِنَ الْاٰخِیَارِ). هر یک از آنها الگو و اسوه‌ای در صبر و استقامت و اطاعت فرمان خدا بودند، مخصوصاً اسماعیل که آماده شد جان خود را فدای راه او کند و به همین دلیل «ذبیح الله» نامیده شد. توجه به زندگی آنان برای پیامبر اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ اٰلِهِ وَ هَمِّهِ مَسْلَمِیْنَ الهام بخش است، و روح تقوا و فداکاری و ایثار را در آنها زنده می‌کند، و در برابر مشکلات و حوادث سخت مقاوم می‌سازد. در میان این سه پیامبر «اسماعیل» از همه معروفتر و شناخته‌تر است اما در باره «الیسع» آیه ۸۶ سوره انعام نشان می‌دهد که او از دودمان ابراهیم، و از پیامبران بزرگ الهی بوده است. و اما «ذا الکفل» مشهور این است که از پیامبران بوده، و ذکر نام او در ردیف نام پیامبران در سوره انبیاء آیه ۸۵ گواه بر این معنی است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۹۳

سوره ص(۳۸): آیه ۴۹ ص: ۱۹۳

(آیه ۴۹) - این وعده برای پرهیزکاران است: از اینجا فصل دیگری از آیات این سوره آغاز می‌شود که پرهیزکاران و متقین را با گردنکشان طاغی مقایسه کرده، و سرنوشت هر دو گروه را در قیامت شرح می‌دهد. نخست به عنوان یک جمع بندی از سرگذشت انبیای پیشین و نکات آموزنده زندگی آنها می‌فرماید: «این یک یادآوری است» (هَذَا ذِکْرٌ). آری! هدف از بیان فرازهایی از تاریخ پرشکوه آنان داستانسرائی نبود، هدف ذکر و تذکر بود. هدف بیدار ساختن اندیشه‌ها، بالا بردن سطح معرفت و آگاهی، و افزودن نیروی مقاومت و پایداری در مسلمانانی است که این آیات برای آنها نازل شده است. سپس مسأله را از صورت خصوصی و بیان زندگی انبیا درآورده، شکل کلی به آن می‌دهد، سرنوشت متقین را بطور عموم مورد بحث قرار داده، می‌فرماید: «و برای پرهیزکاران فرجام نیکوئی است» (وَ اِنَّ لِلْمُتَّقِیْنَ لِحُسْنِ مَّآبٍ).

سوره ص(۳۸): آیه ۵۰ ص: ۱۹۳

(آیه ۵۰) - بعد از این جمله کوتاه و سر بسته که خوبی حال آنها را اجمالاً ترسیم می‌کند، با استفاده از روش اجمال و تفصیل - که روش قرآن است - به شرح آن پرداخته، می‌گوید: بازگشت آنها به «باغهای جاویدان بهشت که درهائش به روی آنان گشوده است» (جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةً لَهُمُ الْاَبْوَابُ).

تعبیر به «مَفْتَحُهُ لَهُمِ الْاِبْوَابُ» اشاره به آن است حتی زحمت گشودن درها برای بهشتیان وجود ندارد، گوئی بهشت در انتظار آنهاست، و هنگامی که چشمشان به آنان می افتد آغوش باز می کند و آنها را به درون دعوت می کند!

سوره ص(۳۸): آیه ۵۱..... ص: ۱۹۳

(آیه ۵۱) - سپس آرامش و احترام خاص بهشتیان را به این صورت بیان می کند: «در حالی که در آن بر تختها تکیه کرده اند، و میوه های بسیار و نوشیدنیها در اختیار آنان است» هر زمان آن را می طلبند، فوراً نزدشان حاضر می شود (مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَ شَرَابٍ).

سوره ص(۳۸): آیه ۵۲..... ص: ۱۹۳

(آیه ۵۲) - بعد از آن سخن از همسران پاک بهشتی به میان آورده، می گوید: برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۹۴ «و نزد آنان همسرانی است که تنها چشم به شوهرانشان دوخته اند، و هم سن و سالند» (وَ عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ اَثْرَابٍ).

سوره ص(۳۸): آیه ۵۳..... ص: ۱۹۴

(آیه ۵۳) - سپس به تمام هفت نعمت بزرگ بهشتیان که در آیات قبل آمده بود اشاره کرده، می گوید: «این چیزی است که برای روز حساب به شما وعده داده می شود» (هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ). وعده ای تخلف ناپذیر و نشاط انگیز، وعده ای از سوی خداوند بزرگ.

سوره ص(۳۸): آیه ۵۴..... ص: ۱۹۴

(آیه ۵۴) - و برای تأکید بر جاودانگی این مواهب می افزاید: «این رزق و روزی ماست، (عطائی است) که هرگز پایان نمی گیرد و فنائی برای آن متصور نیست» (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ). بنابراین غم زوال و نابودی که همچون سایه شومی بر نعمتهای این جهان افتاده در آنجا وجود ندارد، و حتی کاستی در آن ظاهر نمی شود.

سوره ص(۳۸): آیه ۵۵..... ص: ۱۹۴

(آیه ۵۵) - و این هم کیفر طاغیان! بعد از بیان نعمتهای هفتگانه و مواهب بی دریغ پروردگار برای پرهیزکاران در اینجا با استفاده از روش مقابله و مقایسه که قرآن زیاد آن را به کار می گیرد سرنوشت شوم و کیفرهای گوناگون طاغیان و سرکشان را در برابر خداوند بر می شمرد.

نخست می گوید: «این (پاداش پرهیزکاران است) و برای طغیانگران بدترین محل بازگشت است!» (هَذَا وَ إِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرًّا مَّآبٍ).

سوره ص(۳۸): آیه ۵۶..... ص: ۱۹۴

(آیه ۵۶) - سپس با استفاده از روش اجمال و تفصیل به شرح این جمله سر بسته پرداخته، می گوید: این بازگشت شوم و مرجع سوء «همان دوزخ که در آن وارد می شوند (و به آتش آن می سوزند) و چه بستر بدی است» (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسَأُونَ الْمِهَادَ). بستر جایگاه استراحت است، و باید از هر نظر مناسب حال و موافق طبع باشد، اما چگونه خواهد بود وضع کسانی که بسترشان آتش جهنم می باشد؟!

سوره ص(۳۸): آیه ۵۷..... ص: ۱۹۴

(آیه ۵۷) - سپس به انواع دیگری از عذابهای آنها پرداخته، می گوید: «این نوشابه حمیم و غساق [دو مایع سوزان و تیره است که باید از آن بچشند] (هذا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۹۵) فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَ غَسَاقٌ» «حمیم» به معنی آب داغ و سوزان که یکی از نوشابه های دوزخیان است می باشد، و «غساق» به قطراتی که از پوست تن دوزخیان (و جراحات بدن آنها) بیرون می آید تفسیر شده است.

سوره ص(۳۸): آیه ۵۸..... ص: ۱۹۵

(آیه ۵۸) - باز به انواع دیگری از عذابهای دردناک آنها اشاره کرده، می گوید: «و جز اینها، کیفیهای دیگری همانند آن دارند» (وَ آخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ).

سوره ص(۳۸): آیه ۵۹..... ص: ۱۹۵

(آیه ۵۹) - سپس آخرین مجازات آنها را که همنشینان بد با زبانی مملو از سرزنش است مطرح ساخته، می گوید: هنگامی که رؤسای ضلال وارد دوزخ می شوند و با چشم خود می بینند که پیروان را نیز به سمت دوزخ می آورند به یکدیگر می گویند: «این گروهی است که همراه شما وارد دوزخ می شوند» اینها همان سران گمراهیند (هذا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ). «خوشامد بر آنها مباد!» (لا مَرْحَبًا بِهِمْ). «همگی در آتش خواهند سوخت» (إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ).

سوره ص(۳۸): آیه ۶۰..... ص: ۱۹۵

(آیه ۶۰) - به هر حال این صدا به گوش پیروان می رسد و از ناخوشامد گفتن رؤسای ضلالت سخت خشمگین می گردند، رو به سوی آنها کرده، «می گویند: بلکه خوشامد بر شما مباد که این عذاب را شما برای ما فراهم ساختید، چه بد قرار گاهی است اینجا؟! (قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَنْسَأُونَ الْقُرْآنَ). هدف پیروان از این تعبیر این است که آنها می خواهند بگویند هر چه هست این حسن را دارد که شما رؤسای ضلالت نیز در این امر با ما مشترکید، و این مایه تشفی قلب ماست.

سوره ص(۳۸): آیه ۶۱..... ص: ۱۹۵

(آیه ۶۱) - ولی با این حال پیروان به این سخن راضی نمی‌شوند، چرا که رؤسای ضلالت را که عامل اصلی جرم بودند از خود مستحقر می‌دانند لذا رو به درگاه خدا کرده «می‌گویند: پروردگارا! هر کس این عذاب را برای ما فراهم ساخته عذابی مضاعف در آتش دوزخ بر او بیفزاید» (قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفًا فِي النَّارِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۹۶ عذابی به خاطر گمراهی خودشان و عذابی به خاطر گمراه کردن ما.

آری! این است سرانجام کسانی که با هم پیمان دوستی بستند و در راه انحراف و ضلالت بیعت کردند که وقتی نتایج شوم اعمال خود را می‌بینند به مخاصمت و دشمنی و نفرین بر یکدیگر بر می‌خیزند.

قابل توجه این که در این آیات ذکر نعمتهای پرهیزکاران تنوع بیشتری از ذکر مجازاتها و عذابهای طغیانگران دارد (در قسمت اول به هفت موهبت و در قسمت دوم به پنج عذاب اشاره شده) این شاید به خاطر پیشی گرفتن رحمت خدا بر غضب اوست «یا من سبقت رحمته غضبه!»

سوره ص(۳۸): آیه ۶۲..... ص: ۱۹۶

(آیه ۶۲) - مخاصمه اصحاب دوزخ! در اینجا گفتگوهای دوزخیان را چنین ادامه داده، می‌فرماید: سردمداران ضلالت هنگامی که به اطراف خود در دوزخ می‌نگرند «می‌گویند: چرا مردانی را که ما از اشرار می‌شمردیم (در اینجا) نمی‌بینیم؟! (وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ).

آری! افرادی همچون «بوجهلها» و «بولهبها» هنگامی که می‌بینند اثری از «عمار یاسرها» «خابها» و «صهیبها» و «بلالها» در دوزخ نیست، به خود می‌آیند و از یکدیگر این سؤال را می‌کنند: پس این افراد چه شدند؟

سوره ص(۳۸): آیه ۶۳..... ص: ۱۹۶

(آیه ۶۳) - «آیا ما آنان را به مسخره گرفتیم یا (به اندازه‌ای حقیرند که) چشمها آنها را نمی‌بیند» (أَتَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ).

آری! ما این مردان بزرگ و با شخصیت را به باد مسخره می‌گرفتیم، و گاه حتی از این مرحله نیز پائین تر می‌شمردیم و آنها را افراد حقیری می‌دانستیم که اصلاً به چشم نمی‌آمدند، اما آنها مقربان درگاه خدا بودند و الآن بهشت جایگاهشان است. قابل توجه این که یکی از عوامل عدم درک واقعیتها جدی نگرفتن مسائل و استهزا و شوخی با حقایق است، همیشه باید با تصمیم جدی به بررسی واقعیتها پرداخت تا حقیقت روشن گردد.

سوره ص(۳۸): آیه ۶۴..... ص: ۱۹۶

(آیه ۶۴) - سپس به عنوان یک خلاصه‌گیری از گفتگوهای میان دوزخیان برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۹۷ واقع می‌شود و تأکید بر آنچه گذشت می‌فرماید: «این یک واقعیت است گفتگوهای خصمانه دوزخیان» (إِنَّ ذَلِكْ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ).

دوزخیان در این جهان نیز گرفتار تخاصم و نزاعند و روح پرخاشگری و نزاع و جدال بر آنها حاکم است، و هر روز با کسی درگیر و گلاویز می‌شوند، و در قیامت آنچه در درون داشتند ظاهر می‌گردد، و در جهنم به جان هم می‌افتند. جالب این که بهشتیان بر سریرها و تختها تکیه زده، به گفتگوهای دوستانه مشغولند در حالی که دوزخیان در حال جنگ و جدالند که آن خود موهبتی است بزرگ، و این عذابی است دردناک!

سوره ص(۳۸): آیه ۶۵..... ص: ۱۹۷

(آیه ۶۵) - من یک بیم دهنده‌ام! از آنجا که تمام بحثهای گذشته همه جنبه انذار و تهدید برای مشرکان و سرکشان و ظالمان دارد، در اینجا همین مسأله را تعقیب کرده، می‌گوید: «بگو: من تنها یک بیم دهنده‌ام!» (قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ). درست است که پیامبر صلی الله علیه و اله بشارت دهنده نیز می‌باشد، ولی چون بشارت برای مؤمنان است، و انذار برای مشرکان و مفسدان، و در اینجا روی سخن با گروه اخیر است، تنها تکیه بر انذار شده است. سپس می‌افزاید: «و هیچ معبودی جز خداوند یگانه قهار نیست» (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ). تکیه بر قهر او نیز به همین منظور است، تا کسی به لطف او مغرور نگردد، و از قهر او خود را ایمن نشمرد، و در گرداب کفر و گناه غوطه‌ور نشود.

سوره ص(۳۸): آیه ۶۶..... ص: ۱۹۷

(آیه ۶۶) - و بلا- فاصله به عنوان ذکر دلیل برای توحید الوهیت و عبادت پروردگار می‌افزاید: «پروردگار آسمانها و زمین و آنچه میان آن دو است، پروردگار عزیز و غفار» (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ). در این آیه سه وصف از اوصاف خداوند بیان شده نخست مسأله «ربوبیت» او نسبت به تمام عالم هستی است، دوم و سوم توصیف او به «عزیز» و «غفار» می‌باشد که دلیل دیگری بر «الوهیت» اوست، چرا که تنها کسی شایسته پرستش است که علاوه بر «ربوبیت» قدرت بر مجازات نیز دارد، و علاوه بر قدرت بر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۹۸ مجازات، درهای رحمت و مغفرت او نیز گشوده است.

سوره ص(۳۸): آیه ۶۷..... ص: ۱۹۸

(آیه ۶۷) - سپس در جمله‌ای کوتاه و تکان دهنده خطاب به پیامبر صلی الله علیه و اله کرده، می‌فرماید: «بگو: این (قرآن) خبری بزرگ است» (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ).

سوره ص(۳۸): آیه ۶۸..... ص: ۱۹۸

(آیه ۶۸) - «که شما از آن روی گردانید» (أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ).

سوره ص(۳۸): آیه ۶۹..... ص: ۱۹۸

(آیه ۶۹) - سپس به عنوان مقدمه‌ای برای ذکر ماجرای آفرینش آدم، و ارزش والای وجود انسان تا آن حد که فرشتگان همگی در برابر او سجده کردند، می‌فرماید: «من از ملاءِ اعلیٰ (و فرشتگان عالم بالا) به هنگامی که (در باره آفرینش آدم) مخاصمه می‌کردند خیر ندارم» (ما كَانَ لِي مِنْ عِلْمِ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ).

سوره ص(۳۸): آیه ۷۰ ص : ۱۹۸

(آیه ۷۰) - آگاهی من تنها از طریق وحی است، و «تنها چیزی که به من وحی می‌شود این است که من انذار کننده آشکاری هستم» (إِنَّ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ).
گرچه فرشتگان، جدال و مخاصمه‌ای با پروردگار نداشتند، ولی همین اندازه که به خداوند عرض کردند: «آیا می‌خواهی کسی را بیافرینی که فساد و خونریزی کند؟» به این گفتگوها «مخاصمه» اطلاق شده است. که یک اطلاق مجازی است.

سوره ص(۳۸): آیه ۷۱ ص : ۱۹۸

(آیه ۷۱) - تکبر کرد و رانده درگاه خدا شد! از این آیه به بعد توضیحی است بر «مخاصمه ملاءِ اعلیٰ» و «ابلیس» و گفتگو در باره آفرینش «آدم».
نخست می‌فرماید: «به خاطر بیاور هنگامی را که پروردگارت به فرشتگان گفت: من بشری را از گل می‌آفرینم» (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ).

سوره ص(۳۸): آیه ۷۲ ص : ۱۹۸

(آیه ۷۲) - اما برای این که تصور نشود که بعد وجود انسانی همان بعد خاکی است در این آیه می‌افزاید: «هنگامی که آن را نظام بخشیدم، و از روح خود در آن دمیدم برای او به سجده افتید» (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ).

سوره ص(۳۸): آیه ۷۳ ص : ۱۹۸

(آیه ۷۳) - به این ترتیب آفرینش انسان پایان پذیرفت، «روح خدا» و «گل برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۱۹۹ تیره» به هم آمیختند، و موجودی عجیب و بی‌سابقه که قوس صعودی و نزولیش هر دو بی‌انتها بود آفرینش یافت، و موجودی با استعداد فوق العاده که می‌توانست شایسته مقام «خلیفه الهی» باشد، قدم به عرصه هستی گذاشت «در آن هنگام همه فرشتگان سجده کردند» (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ).

سوره ص(۳۸): آیه ۷۴ ص : ۱۹۹

(آیه ۷۴) - «جز ابلیس که تکبر کرد و از کافران بود» (إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ).
آری! بدترین بلائی جان انسان نیز همین کبر و غرور است که او را از درک حقایق محروم می‌سازد، و به تمرد و سرکشی وا می‌دارد، و از صف مؤمنان که صف بندگان مطیع خداست بیرون می‌افکند، و در صف کافران که صف یاغیان و طاغیان است

قرار می دهد.

سوره ص(۳۸): آیه ۷۵..... ص: ۱۹۹

(آیه ۷۵) - اینجا بود که ابلیس از سوی خداوند مورد مؤاخذه و بازپرسی قرار گرفت.

«فرمود: ای ابلیس! چه چیز مانع تو از سجده کردن بر مخلوقی که با قدرت خود آفریدم گردید؟» (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي).
تعبیر به «یدی» (دو دست) در اینجا کنایه از قدرت است.

سپس می افزاید: «آیا تکبر کردی یا از برترینها بودی؟» برتر از این که فرمان سجده به تو داده شود (أَسَيْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ).
بدون شک احدی نمی تواند ادعا کند که قدر و منزلتش ما فوق این است که برای خدا سجده کند.

سوره ص(۳۸): آیه ۷۶..... ص: ۱۹۹

(آیه ۷۶) - اما ابلیس با نهایت تعجب شق دوم را انتخاب کرد، و معتقد بود برتر از آن است که چنین دستوری به او داده شود، لذا با کمال جسارت به مقام استدلال در مخالفتش با فرمان خدا برآمد و «گفت: من از او (آدم) بهترم، مرا از آتش آفریده‌ای و او را از گل!» (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ).

در حقیقت او با این سخن می خواست هم حکمت خدا را نفی کند و هم امر او را - نعوذ باللّٰه - بی‌مأخذ بشمرد. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۰۰

تمام اشتباه ابلیس در این بود که پنداشت، آتش اشرف از خاک است و هرگز نباید به موجود اشرف دستور داد که در برابر غیر اشرف سجده کند! و تمام اشتباه ابلیس در این دو مقدمه اخیر بود.

زیرا آدم تنها از خاک نبود، بلکه عظمتش از آن روح الهی بود که در آن دمیده شد، و گر نه خاک کجا و این همه افتخار و استعداد و تکامل کجا؟! دوم این که: خاک نه تنها کمتر از آتش نیست، بلکه به مراتب برتر از آن است، تمام زندگی و حیات و منابع حیاتی از خاک بر می خیزد، گیاهان و گلها و تمام موجودات زنده از خاک مدد می گیرند.

در حالی که آتش با تمام اهمیتی که در زندگی دارد هرگز به پای آن نمی رسد، و تنها ابزاری است برای استفاده کردن از منابع خاکی، آن هم ابزاری خطرناک و ویرانگر.

سوره ص(۳۸): آیه ۷۷..... ص: ۲۰۰

(آیه ۷۷) - اینجا بود که می بایست این موجود پلید از صفوف ملائکه و فرشتگان عالم بالا اخراج گردد، لذا خداوند به او خطاب کرد و «فرمود:

از آسمانها (و صفوف ملائکه) خارج شو که تو رانده در گاه منی!» (قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ).

اینجا جای پاکان و مقربان است، نه جای آلودگان و سرکشان و تاریک دلان.

سوره ص(۳۸): آیه ۷۸ ص : ۲۰۰

(آیه ۷۸) - و سپس افزود: «و مسلما لعنت من بر تو تا روز قیامت خواهد بود» و همیشه مطرود از رحمت من خواهی بود (وَ إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ).

سوره ص(۳۸): آیه ۷۹ ص : ۲۰۰

(آیه ۷۹) - مهم این است که انسان هنگامی که از اعمال زشت خود نتیجه شومی می‌گیرد بیدار شود، و به فکر جبران بیفتد، اما چیزی خطرناکتر از آن نیست که همچنان بر مرکب غرور و لجاج سوار گردد، و به مسیر خود به سوی پرتگاه ادامه دهد و این همان سرنوشت شومی بود که دامن «ابلیس» را گرفت.

اینجا بود که «حسد» تبدیل به «کینه» شد، کینه‌ای سخت و ریشه‌دار.

چنانکه قرآن می‌گوید: «عرض کرد: پروردگارا! مرا تا روزی که انسانها برانگیخته می‌شوند مهلت ده» (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ). مهلتی که از برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۰۱ فرزندان آدم انتقام بگیرم، و همه را به گمراهی بکشانم.

در حقیقت او می‌خواست تا آخرین فرصت ممکن به اغوای فرزندان آدم بپردازد، چرا که روز رستاخیز پایان دوران تکلیف است، و دیگر وسوسه و اغوا مفهومی ندارد، علاوه بر این با این درخواست مرگ را از خود دور کند، و تا قیامت زنده بماند، هر چند همه جهانیان از دنیا بروند.

سوره ص(۳۸): آیه ۸۰ ص : ۲۰۱

(آیه ۸۰) - در اینجا مشیت الهی - به دلائلی که به زودی اشاره خواهیم کرد - اقتضا نمود که این خواسته ابلیس برآورده شود، اما نه بطور مطلق، که به صورت مشروط، چنانکه آیه شریفه می‌فرماید: «گفت: تو از مهلت داده شدگانی» (قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ).

سوره ص(۳۸): آیه ۸۱ ص : ۲۰۰

(آیه ۸۱) - ولی نه تا روز رستاخیز و مبعوث شدن خلاق بلکه «تا روز و زمان معینی» (إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ). این تعبیر اشاره به پایان این جهان است چرا که در آن روز همه موجودات زنده می‌میرند، و تنها ذات پاک خداوند می‌ماند. (قصص / ۸۸)

سوره ص(۳۸): آیه ۸۲ ص : ۲۰۰

(آیه ۸۲) - اینجا بود که ابلیس مکنون خاطر خود را آشکار ساخت، و هدف نهائیش را از تقاضای عمر جاویدان نشان داد، و «گفت: به عزّت سوگند که همه آنان را گمراه خواهم کرد!» (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ).

سوگند به «عزت» نشان می‌دهد که او نهایت پافشاری را در تصمیم خویش داشته و دارد، و تا آخرین نفس بر سر گفتار خود

ایستاده است.

سوره ص (۳۸): آیه ۸۳ ص : ۲۰۰

(آیه ۸۳) - ولی متوجه این واقعیت بود که گروهی از بندگان خاص خدا به هیچ قیمتی در منطقه نفوذ و حوزه وسوسه او قرار نمی گیرند، لذا ناچار آنها را از گفتار بالا- استثنا کرد و گفت: «مگر بندگان مخلص تو از میان آنها!» (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ).

همانها که در راه معرفت و بندگی تو از روی اخلاص و صدق و صفا گام بر می دارند، تو نیز آنها را پذیرا شده‌ای، خالصشان کرده‌ای، و در حوزه حفاظت خود قرار داده‌ای. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۰۲

سؤال: چرا خداوند درخواست شیطان را در باره ادامه حیاتش پذیرفت، و چرا فوراً نابودش نکرد؟! پاسخ این است که عالم دنیا میدان آزمایش و امتحان است- آزمایشی که وسیله پرورش و تکامل انسانهاست- و می دانیم آزمایش جز در برابر دشمنان سرسخت و طوفانها و بحرانها امکان پذیر نیست.

البته اگر شیطان هم نبود هوای نفس و وسوسه‌های نفسانی انسان را در بوته آزمایش قرار می داد، اما با وجود شیطان این تنور آزمایش داغتر شد، چرا که شیطان عاملی است از برون و هوای نفس عاملی است از درون!

سوره ص (۳۸): آیه ۸۴ ص : ۲۰۲

(آیه ۸۴) - آخرین سخن در باره ابلیس! چند آیه آخر سوره ص در حقیقت خلاصه‌ای است از تمام محتوای این سوره و نتیجه‌ای است برای بحثهای مختلفی که در این سوره آمده است.

نخست در پاسخ ابلیس - که تهدید کرد تمام انسانها را به جز «مخلصین» اغوا می کند- خداوند «فرمود: به حق سوگند، و حق می گویم» (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ).

سوره ص (۳۸): آیه ۸۵ ص : ۲۰۲

(آیه ۸۵) - «که جهنم را از تو و هر کدام از آنان که از تو پیروی کند، پر خواهم کرد» (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ).

این تأکیدات برای این است که کسی کمترین تردید و شکی در این باره به خود راه ندهد که برای شیطان و پیروانش راه نجاتی نیست و ادامه خط آنها «دار و البوار» منتهی می گردد.

سوره ص (۳۸): آیه ۸۶ ص : ۲۰۲

(آیه ۸۶) - سپس در پایان روی سخن را به پیامبر کرده و چهار مطلب مهم را در عباراتی کوتاه بیان می کند، در مرحله اول می فرماید: «بگو: من از شما هیچ اجر و پاداشی نمی طلبم» (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ).

و به این ترتیب به بهانه‌های جوین پایان می دهد، و روشن می سازد که من تنها طالب نجات و سعادت شما هستم، پاداش

من تنها بر خداست، همان گونه که در آیات دیگری از قرآن مجید از قبیل آیه ۴۷ سوره سبأ به آن تصریح شده است برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۰۳
«إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ».

این خود یکی از دلایل صدق پیامبر صلی الله علیه و اله است.

در مرحله دوم می گوید: «و من از متکلفین نیستم» (وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ).

سخننام مقرون به دلیل و منطق است، و هیچ گونه تکلفی در آن وجود ندارد، عباراتم روشن و سخننام خالی از هر گونه ابهام و پیچیدگی است.

سوره ص (۳۸): آیه ۸۷ ص: ۲۰۳

(آیه ۸۷) - در مرحله سوم هدف اصلی این دعوت بزرگ و نزول این کتاب آسمانی را بیان کرده، می فرماید: «این (قرآن) تذکری برای همه جهانیان است» (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ).
آری! مهم آن است که مردم از غفلت به در آیند و به تفکر و اندیشه پردازند.

سوره ص (۳۸): آیه ۸۸ ص: ۲۰۳

(آیه ۸۸) - و در چهارمین و آخرین مرحله مخالفان را با عباراتی کوتاه و پر معنی تهدید کرده، می گوید: «و خیر آن را بعد از مدتی می شنوید!» (وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ جِينِ).

ممکن است شما این سخنان را جدی نگیرید، اما به زودی صدق گفتار من آشکار خواهد شد، هم در این جهان در میدانهای نبرد اسلام و کفر، در منطقه نفوذ اجتماعی و فکری، در مجازاتهای الهی، و هم در عالم دیگر و مجازاتهای دردناک خدا خواهید دید، خلاصه تازیانه الهی آماده است و به زودی بر گرده مستکبران و ظالمان فرود خواهد آمد.
«پایان سوره ص»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۰۵

سوره زمر [۳۹] ص: ۲۰۵

اشاره

این سوره در «مکه» نازل شده و ۷۵ آیه است

محتوای سوره: ص: ۲۰۵

این سوره از چند بخش مهم تشکیل یافته است:

۱- چیزی که بیش از همه در سراسر این سوره منعکس است مسأله دعوت به توحید خالص می باشد، توصیه در تمام ابعاد و شاخه هایش و تعبیراتش در این زمینه آن چنان مؤثر است که قلب انسان را به سوی اخلاص می کشاند و جذب می کند.

۲- مسأله دیگر مسأله «معاد» و دادگاه بزرگ عدالت خداست، مسأله ثواب و جزا، غرفه‌های بهشتی، و سایبانهای آتشین دوزخی، مسأله ترس و وحشت روز قیامت، و آشکار شدن نتایج اعمال، و ظاهر شدن خود آنها در آن صحنه بزرگ. این مسائل که بر محور معاد دور می‌زند آن چنان با مسائل توحیدی آمیخته است که گوئی تار و پود یک پارچه را تشکیل می‌دهد.

۳- بخش دیگری از این سوره که تنها قسمت کوتاهی از آن را اشغال می‌کند اهمیت قرآن مجید است.

۴- بخش دیگری که آن هم نسبتاً کوتاه است بیان سرنوشت اقوام پیشین و مجازات دردناک الهی نسبت به تکذیب کنندگان آیات حق می‌باشد.

۵- بالاخره بخشی از این سوره نیز پیرامون مسأله توبه و باز بودن درهای بازگشت به سوی خداست. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۰۶

این سوره به نام سوره «زمر» معروف است که از آیه ۷۱ و ۷۳ این سوره گرفته شده.

فضیلت تلاوت سوره: ص: ۲۰۶

در حدیثی از پیامبر اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ می‌خوانیم: «کسی که سوره زمر را قرائت کند خداوند امیدش را (از رحمت خود) قطع نخواهد کرد، و پاداش کسانی را که از خدا می‌ترسند به او عطا می‌کند».

و در حدیث دیگری از امام صادق علیه السلام چنین نقل شده: «کسی که سوره زمر را تلاوت کند خداوند شرف دنیا و آخرت به او می‌دهد، و بدون داشتن مال و قبیله قدرت و عزت به او می‌بخشد، آن چنان که هر کس او را ببیند از او حساب می‌برد، و بدن او را بر آتش دوزخ حرام می‌کند».

مقایسه فضیلت‌های فوق با محتوای این سوره به خوبی نشان می‌دهد که این پاداشها از آن کسانی است که «تلاوت» را مقدمه‌ای برای «اندیشه» و «اندیشه» را وسیله‌ای برای «ایمان و عمل» قرار می‌دهند.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره الزمر (۳۹): آیه ۱ ص: ۲۰۶

(آیه ۱)- این سوره با دو آیه در باره نزول قرآن مجید آغاز شده که در یک آیه مبدأ نزول قرآن یعنی ذات پاک خدا مطرح است، و در آیه دیگر محتوا و هدف قرآن.

نخست می‌گوید: «این کتابی است که از سوی خداوند عزیز و حکیم نازل شده است» (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ).

سوره الزمر (۳۹): آیه ۲ ص: ۲۰۶

(آیه ۲)- سپس به محتوای این کتاب آسمانی و هدف آن پرداخته، می‌گوید: «ما این کتاب را به حق بر تو نازل کردیم» (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ).

چیزی جز «حق» در آن نیست، و مطلبی جز «حق» در آن مشاهده نمی‌کنی از همین رو حق طلبان به دنبال آن می‌روند و تشنه کامان وادی حقیقت در جستجوی محتوای آنند.

و از آنجا که هدف از نزول آن دادن دین خالص به انسانهاست در پایان آیه می‌افزاید: «پس خدا را پرستش کن و دین خود را برای او خالص گردان» برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۰۷.

«دین» مجموعه حیات معنوی و مادی انسان را در بر می‌گیرد، و بندگان خالص خدا باید تمام شئون زندگی خود را برای او خالص گردانند.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۳ ص: ۲۰۷

(آیه ۳) - در این آیه بار دیگر روی مسأله «اخلاص» تأکید کرده، می‌گوید: «آگاه باشید که دین خالص از آن خداست!» (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ). این عبارت تاب دو معنی دارد:

نخست این که: آنچه را خدا می‌پذیرد تنها دین خالص و تسلیم بی‌قید و شرط در برابر فرمان اوست. دیگر این که: دین و آئین خالص را تنها از خدا باید گرفت، چرا که هر چه ساخته و پرداخته افکار انسانهاست نارساست، و آمیخته با خطا و اشتباه است.

این آیه در حقیقت بیان دلیل برای آیه قبل است، در آنجا می‌گوید: خدا را روی اخلاص عبادت کن، و در اینجا می‌افزاید: بدانید خدا تنها عمل خالص را می‌پذیرد.

سپس به ابطال منطق سست و واهی مشرکان که راه اخلاص را رها کرده و در بیراهه شرک سرگردان شده‌اند پرداخته، چنین می‌گوید: «و آنها که غیر خدا را اولیای خود قرار دادند و دلیلشان این بود که: اینها را نمی‌پرستیم مگر به خاطر این که ما را به خداوند نزدیک کنند، خداوند روز قیامت میان آنان در آنچه اختلاف داشتند داوری می‌کند» و آنجاست که فساد و تباهی اعمال و افکارشان بر همگان آشکار می‌شود (وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).

این آیه در حقیقت تهدیدی است قاطع برای مشرکان که در روز قیامت که روز بر طرف شدن اختلافات و آشکار شدن حقائق است در میان آنها داوری می‌کند، و آنان را به کیفر اعمالشان می‌رساند، علاوه بر این که در صحنه محشر در برابر همگان رسوا می‌شوند.

قرآن مجید مخصوصاً روی این نکته تأکید می‌کند که انسان بدون هیچ برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۰۸ واسطه‌ای می‌تواند با خدای خود تماس گیرد.

نه او از ما دور است، و نه ما از او دوریم، تا نیازی به واسطه باشد، او از هر کس دیگر به ما نزدیکتر است، در همه جا حضور دارد، و در درون قلب ما جای اوست.

بنابر این پرستش واسطه‌ها - خواه فرشتگان و جن و مانند آنها باشند، و خواه پرستش بت‌های سنگی و چوبی - یک عمل بی‌اساس و دروغین است، به علاوه کفران نعمتهای پروردگار محسوب می‌شود، چرا که بخشنده نعمت سزاوار پرستش است نه این موجودات بی‌جان یا سراپا نیاز.

لذا در پایان آیه می‌گوید: «خداوند آن کس را که دروغگو و کفران کننده است هرگز هدایت نمی‌کند» (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ

هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ).

چرا که خود مقدمات بسته شدن درهای هدایت را فراهم ساخته است.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۴ ص: ۲۰۸

(آیه ۴) - او حاکم بر همه چیز است، چه نیازی به فرزند دارد؟

مشرکان علاوه بر این که بتها را واسطه و شفیعان نزد خدا می دانستند عقیده دیگری در باره بعضی از معبودان خود مانند فرشتگان داشتند که آنها را دختران خدا می پنداشتند.

آیه شریفه به پاسخ این پندار زشت پرداخته، می گوید: «اگر (به فرض محال) خدا می خواست فرزندی انتخاب کند از میان مخلوقاتش آنچه را می خواست بر می گزید» (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأُصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ).

«منزه است (از این که فرزندی داشته باشد) او خداوند یکتای پیروز است» (سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ).

آیه در صدد بیان این مطلب است که فرزند لابد برای «کمک» یا «انس روحی» است، به فرض محال که خداوند نیاز به چنین چیزی داشت فرزند لزومی نداشت، بلکه از میان مخلوقات شریف خود کسانی را بر می گزید که این هدف را تأمین کنند چرا فرزند انتخاب کند؟

ولی از آنجا که او واحد و یگانه و قاهر و غالب بر همه چیز و ازلی و ابدی بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۰۹

است نه نیازی به کمک کسی دارد، و نه وحشتی در او تصور می شود که از طریق انس گرفتن با چیزی بر طرف گردد و نه احتیاج به ادامه نسل دارد، بنابر این او منزه و پاک است از داشتن فرزند خواه فرزند حقیقی باشد و یا فرزند انتخابی.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۵ ص: ۲۰۹

(آیه ۵) - سپس برای تثبیت این واقعیت که خدا هیچ نیازی به مخلوقات ندارد، و نیز برای بیان نشانه‌هایی از توحید و عظمتش می فرماید: «آسمانها و زمین را به حق آفرید» (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ).

حق بودن آنها دلیل بر این است که هدفی بزرگ در کار بوده که آن چیزی جز تکامل موجودات، و در پیشاپیش آنها انسان، و سپس منتهی شدن به رستاخیز نیست.

بعد از بیان این آفرینش بزرگ به گوشه‌ای از تدبیر عجیب و تغییرات حساب شده و نظامات شگرف حاکم بر آنها اشاره کرده، می گوید: «شب را بر روز می پیچد و روز را بر شب» (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ).

نکته لطیفی که در این تعبیر قرآنی، نهفته این است که زمین کروی است و به دور خود گردش می کند و بر اثر این گردش، نوار سیاه شب و نوار سفید روز دائما گرد آن می گردند، گوئی از یکسو نوار سفید بر سیاه و از سوی دیگر نوار سیاه بر سفید پیچیده می شود.

به هر حال قرآن مجید در مورد نظام «نور» و «ظلمت» پیدایش شب و روز تعبیرات گوناگونی دارد که هر کدام به نکته‌ای اشاره می کند و از زاویه خاصی به آن می نگرند.

سپس به گوشه دیگری از تدبیر و نظم این جهان پرداخته، می گوید:

«و خورشید و ماه را مسخر فرمان خویش قرار داد که هر کدام تا سر آمد معینی به حرکت خود ادامه می دهند» (وَسَيَخْرَ

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى).

نه خورشید در حرکتی که به گرد خود دارد، یا حرکتی که با مجموع منظومه شمسی به سوی نقطه خاصی از کهکشان پیش می‌رود کمترین بی‌نظمی از خود نشان می‌دهد، و نه ماه در حرکت خود به دور زمین و به دور خودش، و در همه حال برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۱۰

سر بر فرمان او دارند، «مسخر قوانین آفرینش» اویند، تا سر آمد عمرشان به وضع خود ادامه می‌دهند. در پایان آیه به عنوان تهدید مشرکان در عین گشودن راه بازگشت و لطف و عنایت می‌فرماید: «آگاه باشید که او قادر و آمرزنده است!» (أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ).

به مقتضای عزت و قدرت بی‌انتهایش هیچ گنهکار و مشرکی نمی‌تواند از چنگال عذابش بگریزد، و به مقتضای غفاریتش پرده بر روی عیوب و گناهان توبه کاران می‌افکند و آنها را در سایه رحمتش قرار می‌دهد.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۶ ص: ۲۱۰

(آیه ۶) - همه شما را از نفس واحدی آفرید: باز در اینجا سخن از آیات عظمت آفرینش خداوند و بیان قسمت دیگری از نعمتهای گوناگون او در مورد انسانهاست.

نخست از آفرینش انسان سخن می‌گوید، می‌فرماید: «او شما را از یک نفس آفرید، و همسرش را از (باقیمانده گل) او خلق کرد» (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا).

آفرینش همه انسانها از «نفس واحد» اشاره به مسأله آفرینش آدم جد نخستین ماست، که این همه افراد بشر با تنوع خلقت، و خلق و خوی متفاوت، و استعدادها و ذوقهای مختلف، همه به یک ریشه باز می‌گردند که آن «آدم» است.

تعبیر به «ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا» در واقع اشاره به این است که خدا آدم را آفرید سپس همسرش را از باقیمانده گل او خلق کرد. لازم به یادآوری است که آفرینش همسر آدم از اجزای وجود خود آدم نبوده بلکه از باقیمانده گل او صورت گرفته است، چنانکه در روایات اسلامی به آن تصریح شده.

بعد از آن به مسأله آفرینش چهار پایان که از وسائل مهم زندگی انسانهاست - از یک سو برای تغذیه خود از شیر و گوشت آنها استفاده می‌کنند، و از سوی دیگر از پوست و پشم آنها لباس و انواع وسائل زندگی می‌سازند، و از سوی سوم به عنوان

مرکب و وسیله حمل و نقل از آنها بهره می‌گیرند - اشاره کرده، می‌فرماید: «و برای برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۱۱

شما هشت زوج از چهار پایان ایجاد کرد» (وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ).

منظور از «هشت زوج» گوسفند و بز نر و ماده، شتر و گاو نر و ماده است.

سپس به حلقه دیگری از حلقه‌های آفرینش پروردگار که تطورات خلقت جنین بوده باشد پرداخته، می‌گوید: «او شما را در شکم مادرانتان آفرینشی بعد از آفرینش دیگر در میان تاریکیهای سه گانه می‌بخشد» (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ).

ظلمتهای سه گانه اشاره به ظلمت شکم مادر، و ظلمت رحم، و مشیمه (کیسه مخصوصی که جنین در آن قرار گرفته است) می‌باشد که در حقیقت سه پرده ضخیم است که بر روی جنین کشیده شده.

سید الشهداء، امام حسین علیه السلام در دعای معروف «عرفه» به هنگام برشمردن نعمت و قدرت خداوند به پیشگاه او چنین

عرض می‌کند: «آغاز آفرینش مرا از قطرات ناچیز منی قرار دادی، سپس مرا در ظلمتهای سه گانه، در میان گوشت و پوست و خون ساکن نمودی، آفرینش مرا آشکار نساختی، و در آن مخفیگاه به تطورات خلقتم ادامه دادی، و هیچیک از امور حیاتی مرا به من واگذار نکردی، سپس مرا به دنیا کامل و سالم منتقل ساختی».

در پایان آیه و بعد از ذکر حلقه‌های سه گانه توحیدی پیرامون خلقت انسان، و چهارپایان، و تطورات جنین، می‌گوید: «این است خداوند، پروردگار شما که حکومت (عالم هستی) از آن اوست، هیچ معبودی جز او نیست پس چگونه از راه حق منحرف می‌شوید؟! (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ).

گوئی انسان را بعد از مشاهده این آثار بزرگ توحیدی به مقام شهود ذات پروردگار رسانده، سپس به ذات مقدسش اشاره کرده، می‌گوید: «این است خداوند و معبود و پروردگار شما»

با صد هزار جلوه برون آمدی که من با صد هزار دیده تماشا کنم تو را

سوره الزمر (۳۹): آیه ۷ ص: ۲۱۱

(آیه ۷) - بعد از ذکر این نعمتهای بزرگ پروردگار، در این آیه به مسأله «شکر و کفران» پرداخته و جوانب آن را مورد بررسی قرار می‌دهد. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۱۲

نخست می‌گوید: نتیجه کفران و شکر شما به خودتان باز می‌گردد «اگر کفران کنید، خداوند از شما بی‌نیاز است» و همچنین اگر شکر نعمت او را به جا آورید نیازی به آن ندارد (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ).

سپس می‌افزاید: این غنا و بی‌نیازی پروردگار مانع از آن نیست که شما را مکلف به شکر و ممنوع از کفران سازد، چرا که «تکلیف» خود لطف و نعمت دیگری است، آری «او هرگز کفران را برای بندگانش نمی‌پسندد، و اگر شکر او را به جا آورید آن را برای شما می‌پسندد» (وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ).

بعد از بیان این دو مطلب به مسأله سومی در این رابطه می‌پردازد، و آن «مسئولیت هر کس در برابر عمل خویش است» چرا که مسأله «تکلیف» بدون این معنی کامل نمی‌شود، می‌فرماید: «و هیچ گنهکاری گناه دیگری را بر دوش نمی‌کشد!» (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى).

و از آنجا که تکلیف بدون کیفر و پاداش معنی ندارد، در مرحله چهارم به مسأله معاد اشاره کرده، می‌گوید: «سپس بازگشت همه شما به سوی پروردگارتان است، و او شما را از آنچه انجام می‌دادید آگاه می‌سازد» (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

و چون مسأله محاسبه و جزا بدون علم و آگاهی از اسرار نهان امکان پذیر نیست، آیه را با این جمله پایان می‌دهد: «چرا که او به آنچه در سینه‌هاست آگاه است» (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ).

و به این ترتیب مجموعه‌ای از فلسفه تکلیف و خصوصیات آن، و همچنین مسئولیت انسانها و مسأله جزا و پاداش و کیفر را در جمله‌هایی کوتاه و منسجم بیان می‌دارد.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۸ ص: ۲۱۲

(آیه ۸) - در آیات گذشته سخن از توحید استدلالی و معرفت پروردگار از طریق مطالعه آیات عظمت او در آفاق و انفس بود.

در اینجا از توحید فطری سخن به میان می‌آورد و روشن می‌سازد آنچه را که انسان از طریق عقل و خرد و مطالعه نظام آفرینش درک می‌کند به صورت فطری در اعماق جاننش وجود دارد که در طوفانهای حوادث، خود را نشان می‌دهد. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۱۳

می‌فرماید: «و هنگامی که انسان را زبانی رسد (نور توحید در قلبش درخشیدن می‌گیرد) پروردگار خود را می‌خواند در حالی که به سوی او باز می‌گردد» و از گناه و غفلت خود پشیمان است (وَ إِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ).
«اما هنگامی که نعمتی از خود به او عطا کند، آنچه را به خاطر آن قبلاً خدا را می‌خواند از یاد می‌برد» (ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ).

«و برای خداوند همتایانی قرار می‌دهد تا (علاوه بر گمراهی خویش) مردم را از راه او منحرف سازد» (وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ).

منظور از «انسان» در اینجا انسانهای عادی و تربیت نیافته در پرتو تعلیمات انبیاء است، و گر نه دست پروردگان مردان حق همچون خود آنان در «سزاء» و «ضراء» در ناراحتیها و راحتیها، در ناکامیها و کامیابیها همواره به یاد او هستند، و دست به دامن لطف او دارند.

در پایان آیه این گونه افراد را با تهدیدی صریح و قاطع مخاطب ساخته، می‌گوید: «به او بگو: از کفرت بهره گیر (و چند روزی را به غفلت و غرور طی کن اما بدان) که از دوزخیانی» (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ). مگر چنین انسان کوتاه فکر گمراه و گمراه کننده سرنوشتی غیر از این می‌تواند داشته باشد.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۹ ص: ۲۱۳

(آیه ۹) - آیا عالمان و جاهلان یکسانند؟ در این آیه از روش مقایسه - که روش شناخته شده قرآن برای تفهیم مسائل مختلف است - استفاده کرده، می‌گوید:

آیا چنین کسی با ارزش است «یا کسی که در ساعات شب به عبادت مشغول است، و در حال سجده و قیام، از عذاب آخرت می‌ترسد و به رحمت پروردگارش امیدوار است» (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ).

آن انسان مشرک و فراموشکار و متلون و گمراه و گمراه کننده کجا و این انسان بیدار دل و نورانی که با خوف و رجاء خدا را می‌خواند، کجا؟! تکیه روی ساعات شب به خاطر آن است که در آن ساعات حضور قلب بیشتر و آلودگی به ریا از هر زمان کمتر است. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۱۴

در دنباله آیه پیامبر را مخاطب ساخته، می‌فرماید: «بگو: آیا کسانی که می‌دانند با کسانی که نمی‌دانند یکسانند؟! (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ).

نه، یکسان نیستند «تنها خردمندان متذکر می‌شوند» (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ).

گر چه سؤال فوق سؤالی است وسیع و گسترده ولی اشاره‌ای است به سؤال قبل یعنی آیا کسانی که می‌دانند آن مشرکان لجوج و کوردل با این مؤمنان پاک و روشن ضمیر و مخلص نابرابرند با کسانی که از این واقعیت روشن آگاه نیستند مساویند؟ این جمله جزء شعارهای اساسی اسلام است که عظمت مقام علم و عالمان را در برابر جاهلان روشن می‌سازد، و معلوم می‌شود این دو گروه نه در پیشگاه خدا یکسانند، و نه در نظر خلق آگاه، نه در دنیا در یک صف قرار دارند، و نه در آخرت، نه در

ظاهر یکسانند و نه در باطن.

علم در این آیه و آیات دیگر قرآن به معنی دانستن یک مشت اصطلاحات یا روابط مادی در میان اشیاء، و به اصطلاح «علوم رسمی» نیست، بلکه منظور از آن معرفت و آگاهی خاصی است که انسان را به «قنوت» یعنی اطاعت پروردگار، و ترس از دادگاه او و امید به رحمت خدا دعوت می‌کند، این است حقیقت علم، و علوم رسمی نیز اگر در خدمت چنین معرفتی باشد علم است، و اگر مایه غرور و غفلت و ظلم و فساد در ارض شود «قیل و قالی» بیش نیست.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۱۰ ص: ۲۱۴

(آیه ۱۰) - خطوط اصلی برنامه بندگان مخلص: در حقیقت آیات گذشته که مقایسه‌ای میان مشرکان مغرور و مؤمنان مطیع فرمان خدا و نیز میان عالمان و جاهلان شده بود، در اینجا خطوط اصلی برنامه‌های بندگان راستین و مخلص را ضمن «هفت دستور» که در طی چند آیه آمده و هر آیه با خطاب «قل» شروع می‌شود بیان شده است.

نخست از تقوا شروع می‌کند و به پیامبر صلی الله علیه و اله دستور می‌دهد: «بگو: ای بندگان برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص:

۲۱۵

من که ایمان آورده‌اید! از (مخالفت پروردگارتان پرهیزید) (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ).

آری! تقوا که همان خویشستن داری در برابر گناه، و احساس مسئولیت و تعهد در پیشگاه حق است نخستین برنامه بندگان مؤمن خدا و معیار شخصیت و کرامت انسان در پیشگاه پروردگار است.

در دومین دستور به مسأله «احسان و نیکوکاری» در این دنیا که دار عمل است پرداخته، و از طریق بیان نتیجه احسان، مردم را به آن تشویق و تحریص می‌کند، می‌فرماید: «برای کسانی که در این دنیا نیکی کرده‌اند پاداش نیکی است» (لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ).

آری! نیکوکاری بطور مطلق در این دنیا در گفتار، در عمل، در طرز اندیشه و تفکر نسبت به دوستان، و نسبت به بیگانگان، نتیجه‌اش برخورداری از پاداش عظیم در هر دو جهان است که نیکی جز نتیجه نیک نخواهد داشت.

در حقیقت تقوا یک عامل بازدارنده است، و احسان یک عامل حرکت آفرین که مجموعاً «ترک گناه» و «انجام فرائض و مستحبات» را شامل می‌شود.

سومین دستور تشویق به «هجرت» از مراکز شرک و کفر و آلوده به گناه است می‌گوید: «و زمین خداوند وسیع است» اگر تحت فشار سران کفر بودید مهاجرت کنید (وَ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ).

که در حقیقت پاسخی است به بهانه جویان سست اراده‌ای که می‌گفتند: ما در سرزمین مکه به خاطر سیطره حکومت مشرکان قادر به انجام وظایف الهی خود نیستیم، قرآن می‌گوید: سرزمین خدا محدود به مکه نیست، مکه نشد مدینه، دنیا پهناور است، به جای دیگر نقل مکان کنید.

این به خوبی نشان می‌دهد که فشار و خفقان محیط در آنجا که امکان هجرت وجود دارد به هیچ وجه در پیشگاه خدا عذر نیست.

و از آنجا که هجرت معمولاً همراه با مشکلات فراوانی در جنبه‌های مختلف زندگی است چهارمین دستور را در باره صبر و

استقامت به این صورت بیان می‌کند: برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۱۶

«صابران اجر و پاداش خود را بی حساب دریافت می دارند» (إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ).
تعبیر «بغیر حساب» نشان می دهد که صابران با استقامت برترین اجر و پاداش را در پیشگاه خدا دارند، و اهمیت هیچ عملی به پایه صبر و استقامت نمی رسد.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۱۱ ص: ۲۱۶

(آیه ۱۱) - در پنجمین دستور سخن از مسأله اخلاص، و توحید خالص از هر گونه شائبه شرک، به میان آمده، اما در اینجا لحن کلام عوض می شود و پیامبر صلی الله علیه و اله از وظائف و مسؤولیتهای خودش سخن می گوید، می فرماید: «بگو: من مأمورم که خدا را پرستش کنم در حالی که دینم را برای او خالص کرده باشم» (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ).

سوره الزمر (۳۹): آیه ۱۲ ص: ۲۱۶

(آیه ۱۲) - سپس به ششمین دستور اشاره کرده، می افزاید: «و مأمورم که نخستین مسلمان باشم!» (وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ).

سوره الزمر (۳۹): آیه ۱۳ ص: ۲۱۶

(آیه ۱۳) - هفتمین و آخرین دستور که مسأله خوف از مجازات پروردگار در روز قیامت است نیز با همین لحن عنوان شده، می فرماید: «بگو: من اگر نافرمانی پروردگارم کنم از عذاب روز بزرگ (قیامت) می ترسم» (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ).
تا این حقیقت روشن شود که پیامبر صلی الله علیه و اله نیز بنده‌ای از بندگان خدا است، او نیز مأمور به پرستش خالصانه است و از کیفر الهی خائف می باشد، و این خود نشانه روشنی بر عظمت و حقانیت اوست.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۱۴ ص: ۲۱۶

(آیه ۱۴) - بعد از ذکر برنامه هفت ماده‌ای آیات فوق (تقوا، احسان، هجرت، صبر، اخلاص، تسلیم، و خوف) از آنجا که مسأله اخلاص مخصوصا در برابر انگیزه‌های مختلف شرک و ویژگی خاصی دارد بار دیگر برای تأکید به سراغ آن رفته، و با همان لحن می فرماید: «بگو: تنها خدا را می پرستم در حالی که دینم را برای او خالص می کنم» (قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي).

سوره الزمر (۳۹): آیه ۱۵ ص: ۲۱۶

(آیه ۱۵) - «شما هر کس را جز او می خواهید پرستید» (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ) برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۱۷
مِنْ دُونِهِ)
سپس می افزاید: «بگو: این راه، راه زیانکاران است چرا که زیانکاران واقعی آنانند که سرمایه وجود خویش و بستگانشان را در روز قیامت از دست داده‌اند!» (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

نه از وجود خویش بهره‌ای گرفتند، و نه از سرمایه عمر نتیجه‌ای، نه خانواده و فرزندان‌شان وسیله نجات آنها هستند و نه مایه آبرو و شفاعت در پیشگاه حق، تازه در برابر از دست دادن این سرمایه‌های عظیم، سخت‌ترین و دردناکترین عذاب را برای خود فراهم ساخته‌اند.

«آگاه باشید زیان آشکار همین است!» (أَلَا ذَلِكُمْ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ).

سوره الزمر (۳۹): آیه ۱۶ ص: ۲۱۷

(آیه ۱۶) - در این آیه یکی از چهره‌های زیان آشکار آنها را این گونه توصیف می‌کند: «برای آنها از بالای سرشان سایبانهایی از آتش، و در زیر پایشان نیز سایبانهایی» از آتش است! (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ). و به این ترتیب آنها از هر طرف با شعله‌های آتش محاصره شده‌اند، چه خسرانی از این بالاتر؟ و چه عذابی از این دردناکتر؟! این در حقیقت تجسمی از حالات دنیای آنهاست که جهل و کفر و ظلم به تمام وجودشان احاطه کرده بود، و از هر سو آنها را می‌پوشاند.

سپس برای تأکید و عبرت می‌افزاید: «این چیزی است که خداوند با آن بندگان را می‌ترساند، ای بندگان من! از نافرمانی من بپرهیزید!» (ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ). تعبیر به «عباد» (بنندگان) اشاره به این است که اگر خداوند تهدیدی به عذاب می‌کند آن هم به خاطر لطف و رحمت اوست، تا بندگان حق گرفتار چنین سرنوشت شومی نشوند.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۱۷ ص: ۲۱۷

(آیه ۱۷) - بندگان حقیقی خدا: باز در اینجا، قرآن از روش مقایسه بهره‌گیری کرده، و در مقابل مشرکان متعصب و لجوجی که سرنوشتی جز آتش دوزخ ندارند سخن از بندگان خاص و حقیقت جوی پروردگار به میان آورده، می‌گوید: و کسانی برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۱۸

که از عبادت طاغوت پرهیز کردند و به سوی خدا بازگشتند بشارت از آن آنهاست» (وَ الَّذِينَ اجْتَنَّبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَ أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى .

«اجتناب از طاغوت» دوری از هر گونه شرک و بت پرستی و هوی پرستی و شیطان پرستی و تسلیم در برابر حاکمان جناب و سلطه‌گران ستمکار را فرا می‌گیرد و «أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ» جامع روح تقوا و پرهیزکاری و ایمان است، و البته چنین کسانی در خور بشارتند.

سپس برای معرفی این بندگان ویژه می‌گوید: «پس بندگان مرا بشارت ده» (فَبَشِّرْ عِبَادِ).

سوره الزمر (۳۹): آیه ۱۸ ص: ۲۱۸

(آیه ۱۸) - «همان کسانی که سخنان را می‌شنوند، و از نیکوترین آنها پیروی می‌کنند» (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ). «آنها کسانی هستند که خدا هدایتشان کرده و آنها خردمنداند» (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَ أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ). این دو آیه که به صورت یک شعار اسلامی درآمده، آزاد اندیشی مسلمانان، و انتخابگری آنها را در مسائل مختلف به خوبی

سوره الزمر (۳۹): آیه ۱۹ ص: ۲۱۸

(آیه ۱۹) - و از آنجا که پیامبر صلی الله علیه و اله به هدایت گمراهان و مشرکان سخت علاقه داشت، و از انحراف آنها که گوش شنوا در برابر حقایق نداشتند رنج می برد این آیه به او از طریق بیان این حقیقت که این عالم، عالم آزادی و امتحان است، و گروهی سرانجام مستوجب آتشند دلداری داده، می گوید: «آیا تو می توانی کسی را که فرمان عذاب الهی در باره او قطعی شده رهایی بخشی، آیا تو می توانی کسی را که در درون آتش است برگیری و نجات دهی؟ (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ).

بدیهی است قطعی شدن فرمان عذاب در باره این گروه جنبه اجباری نداشته، بلکه به خاطر اعمالی است که مرتکب شده اند.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۲۰ ص: ۲۱۸

(آیه ۲۰) - اما برای شادی قلب پیامبر صلی الله علیه و اله و امیدواری مؤمنان، در این آیه چنین می گوید: «ولی آنها که تقوای الهی پیشه کردند غرفه هایی در بهشت دارند که برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۱۹

بر فراز آنها غرفه های دیگری بنا شده» (لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ).

اگر دوزخیان در میان پرده های آتش قرار دارند، بهشتیان غرفه هایی دارند بر فراز غرفه ها، و قصرهایی بر فراز قصرها، چرا که دیدن منظره گلها و آبها و نهرها و باغها از فراز غرفه ها لذت بخش و دلپذیرتر است.

این غرفه های زیبای بهشتی با نهرهایی که از زیر آن جاری می شود تزیین شده لذا در دنباله آیه می فرماید: «و از زیر آنها نهرها جاری است» (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ).

آری «این وعده الهی است، و خداوند در وعده خود تخلف نمی کند» (وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ).

سوره الزمر (۳۹): آیه ۲۱ ص: ۲۱۹

(آیه ۲۱) - در این آیه بار دیگر قرآن به دلایل توحید و معاد باز می گردد، و بحثهایی را که در آیات گذشته پیرامون کفر و ایمان بود تکمیل می کند.

روی سخن را به پیامبر صلی الله علیه و اله کرده، به عنوان سرمشقی برای همه مؤمنان، می فرماید: «آیا ندیدی که خداوند از آسمان آبی فرستاد و آن را بصورت چشمه هایی در زمین وارد نمود؟! (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَيَلَكَهٗ يَنْبِيعٍ فِي الْأَرْضِ).

قطره های حیاتبخش باران از آسمان نازل می شود، قشر «نفوذ پذیر» زمین آنها را به درون می پذیرد و تا به قشر «نفوذ ناپذیر» می رسد آنها را متوقف می سازد و ذخیره می کند، سپس بصورت چشمه ها و قناتها و چاهها بیرون می فرستد.

بعد می افزاید: «سپس با آن زراعتی را خارج می سازد که رنگهای مختلف دارد» (ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ).

هم انواع آن مختلف است، همچون گندم و جو و برنج و ذرت، و هم کیفیتهای آن متفاوت است، و هم رنگ ظاهری آن، بعضی سبز تیره، بعضی سبز کمرنگ، بعضی دارای برگهای پهن و گسترده، و بعضی برگهای باریک و لطیف و همچنین ...!

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۲۰

بعد به مراحل دیگر حیات این گیاه پرداخته، می‌گوید: «بعد آن گیاه خشک می‌شود به گونه‌ای که آن را زرد و بی‌روح می‌بینی!» (ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُضْفَرًا).

تند باد از هر سو می‌وزد، و آن را که سست شده است از جا می‌کند «سپس آن را درهم شکسته و خرد می‌کند» (ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا).

«در این مثال تذکری است برای خردمندان» از ناپایداری دنیا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ).

تذکری است از نظام حسابشده و با عظمت عالم هستی و ربوبیت پروردگار در این صحنه عظیم، و نیز تذکری است از پایان زندگی و خاموش شدن شعله‌های حیات، و سپس مسأله رستاخیز، و تجدید حیات مردگان.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۲۲ ص: ۲۲۰

(آیه ۲۲) - به دنبال این درس بزرگ توحید و معاد به مقایسه‌ای در میان مؤمن و کافر پرداخته تا این حقیقت را روشن سازد که قرآن و وحی آسمانی نیز همچون دانه‌های باران است که بر سرزمین دلها نازل می‌شود، همان گونه که تنها زمینهای آماده از قطرات حیاتبخش باران منتفع می‌شود تنها دلهایی از آیات الهی بهره می‌گیرد که در سایه لطف او و خودسازی آمادگی و گسترش پیدا کرده است.

می‌فرماید: «آیا کسی که خدا سینه‌اش را برای اسلام گشاده است و بر فراز مرکبی از نور الهی قرار گرفته» همچون کوردلان گمراه است؟! (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ).

سپس می‌افزاید: «وای بر آنها که قلبهایی سخت در برابر ذکر خدا دارند» (فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ).

نه مواعظ سودمند در آن مؤثر است، نه انذار و بشارت، نه آیات تکانه‌دهنده قرآن آن را به حرکت در می‌آورد.

آری «آنها در گمراهی آشکاری هستند» (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ).

به دلهایی که در برابر نور حق و هدایت انعطافی از خود نشان نمی‌دهد، و نرم و تسلیم نمی‌گردد، و نور هدایت در آن نفوذ نمی‌کند «قلبهای قاسیه» یا قساوتمند گفته می‌شود، و در فارسی از قساوت به سنگدلی تعبیر می‌کنیم. برگزیده تفسیر نمونه،

ج ۴، ص: ۲۲۱

در روایتی می‌خوانیم که پیامبر اسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فرمود: «نشانه شرح صدر توجه به سرای جاوید، و جدا شدن از سرای غرور، و آماده گشتن برای استقبال از مرگ پیش از نزول آن است».

سوره الزمر (۳۹): آیه ۲۳ ص: ۲۲۱

اشاره

(آیه ۲۳)

شأن نزول: ص: ۲۲۱

نقل کرده‌اند که: روزی جمعی از صحابه پیامبر صلی الله علیه و اله که ملالت خاطری پیدا کرده بودند عرض کردند: ای رسول خدا! چه می‌شد حدیثی برای ما بیان می‌کردی تا زنگار ملالت از دل‌های ما بزدايد؟ در اینجا آیه نازل شد و قرآن را به عنوان «أَحْسَنَ الْحَدِيثِ» معرفی کرد.

تفسیر: ص: ۲۲۱

در آیات گذشته سخن از بندگانی در میان بود که مطالب را می‌شنوند و بهترین آنها را برمی‌گزینند، در اینجا به همین مناسبت سخن از قرآن به میان می‌آید تا ضمن تکمیل بحث‌های گذشته حلقه‌های توحید و معاد را با ذکر دلائل «نبوت» تکامل بخشد. نخست می‌گوید: «خداوند بهترین سخن را نازل کرده است» (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ). سپس به شرح مزایای قرآن پرداخته و ضمن بیان سه توصیف امتیازات بزرگ این کتاب آسمانی را شرح داده، می‌فرماید: «کتابی است که آیاتش (در لطف و زیبایی و عمق و محتوا) همانند یکدیگر است» (كِتَابًا مَّتَشَابِهًا). منظور از «متشابه» در اینجا کلامی است که قسمت‌های مختلف آن با یکدیگر هم‌رنگ و هماهنگ می‌باشد، هیچ‌گونه تضاد و اختلافی در میان آن نیست، خوب و بد ندارد.

این درست بر خلاف کلمات انسان‌هاست که هر قدر در آن دقت شود هنگامی که گسترده و وسیع گردد خواه ناخواه اختلافات و تناقضها و تضادهایی در آن پیدا می‌شود، بررسی آثار نویسندگان معروف و بزرگ اعم از نثر و نظم نیز گواه زنده این مطلب است.

سپس می‌افزاید: ویژگی دیگر این کتاب این است که: «آیاتی مکرر دارد» با تکراری شوق‌انگیز (مَثَانِي). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۲۲

این تعبیر ممکن است اشاره به تکرار مباحث مختلف داستانه‌ها، سرگذشتها، مواعظ و اندرزها بوده باشد، اما تکراری که هرگز ملالت‌آور نیست، بلکه شوق‌انگیز است و نشاط‌آفرین، و این یکی از اصول مهم فصاحت است.

بعد از این توصیف به آخرین ویژگی قرآن در این بحث یعنی مسأله نفوذ عمیق و فوق‌العاده آن پرداخته، می‌گوید: «از شنیدن آیاتش لرزه بر اندام کسانی که از پروردگارشان می‌ترسند می‌افتد برون و درونشان نرم و متوجه ذکر خدا می‌شود» (تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ).

چه ترسیم جالب و زیبایی از نفوذ عجیب آیات قرآن در دل‌های آماده، نخست در آن خوف و ترسی ایجاد می‌کند، خوفی که مایه بیداری و آغاز حرکت است، و ترسی که انسان را متوجه مسؤولیتهای مختلفش می‌سازد. در مرحله بعد حالت نرمش و پذیرش سخن حق به او می‌بخشد و به دنبال آن آرامش می‌یابد.

در حدیثی از پیامبر صلی الله علیه و اله نقل شده که فرمود: «هنگامی که بدن بنده‌ای از خوف خدا لرزان شود گناهش فرو می‌ریزد همان‌گونه که برگ خشک از درختان».

در پایان آیه، بعد از بیان این اوصاف می‌گوید: «این هدایت الهی است که هر کس را بخواهد با آن راهنمایی می‌کند» (ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ).

درست است که قرآن برای هدایت همگان نازل شده اما تنها حق طلبان و حقیقت‌جویان و پرهیزگاران از نور هدایتش بهره می‌گیرند، و آنها که تاریکی تعصب و لجابت بر روح آنها حکم فرماست نه تنها بهره‌ای از آن نمی‌گیرند، بلکه بر اثر عناد و

دشمنی بر ضاللتشان افزوده می‌شود.

لذا در دنبال این سخن می‌فرماید: «و هر کس را خداوند گمراه سازد راهنمایی برای او نخواهد بود» (وَ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ).

ضاللتی که پایه‌های آن به دست خود او گذارده شده، و زیر بنایش بوسیله اعمال نادرستشان استحکام یافته، و به همین دلیل کمترین منافاتی با اصل اختیار و آزادی اراده انسانها ندارد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۲۳

سوره الزمر (۳۹): آیه ۲۴ ص: ۲۲۳

(آیه ۲۴) - در این آیه گروه ظالمان و مجرمان را با گروه مؤمنانی که وضع حالشان قبلاً بیان شد مقایسه می‌کند، تا در این مقایسه واقعیتها بهتر روشن گردد، می‌فرماید: «آیا کسی که با صورت خود عذاب دردناک (الهی) را در روز قیامت دور می‌سازد» همانند کسی است که هرگز آتش دوزخ به او نمی‌رسد (أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). حال ظالمان دوزخی در آن روز به گونه‌ای است که باید با صورت از خود دفاع کنند، چرا که دست و پای آنها در غل و زنجیر است.

سپس در پایان آیه می‌افزاید: در آن روز «به ظالمان گفته می‌شود: بچشید آنچه را به دست می‌آوردید» و انجام می‌دادید! (وَ قِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ).

آری! فرشتگان عذاب این واقعیت دردناک را برای آنها بیان می‌کنند که اینها همان اعمال شماست که در کنار شما قرار گرفته، و آزارتان می‌دهد.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۲۵ ص: ۲۲۳

(آیه ۲۵) - آنچه تاکنون گفته شد اشاره کوتاهی بود به عذابهای دردناک آنان در قیامت و در این آیه سخن از عذاب دنیای آنها می‌گوید، مبادا تصور کنند که در این زندگی دنیا در امان خواهند بود، می‌فرماید: «کسانی که قبل از آنها بودند نیز. (آیات ما را) تکذیب نمودند، و عذاب (الهی) از جایی که فکر نمی‌کردند به سراغشان آمد» (كَذَّبَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ).

سوره الزمر (۳۹): آیه ۲۶ ص: ۲۲۳

(آیه ۲۶) - در این آیه نشان می‌دهد که عذاب دنیوی آنها تنها جنبه جسمانی نداشته، بلکه کیفر روانی نیز بوده است، می‌فرماید: «خداوند خواری را در زندگی این دنیا به آنها چشانید» (فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا).

آری! اگر انسان گرفتار مصیبتی شود اما آبرومند و سر بلند جان بسپارد مهم نیست، مهم آن است که با خواری و ذلت جان دهد، و با بی‌آبرویی و رسوائی گرفتار چنگال عذاب شود.

ولی با این همه «عذاب آخرت شدیدتر است اگر می‌دانستند» (وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ). برگزیده تفسیر نمونه،

ج ۴، ص: ۲۲۴

تعبیر به «اکبر» (بزرگتر) کنایه از شدت و سختی عذاب است.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۲۷ ص: ۲۲۴

(آیه ۲۷) - قرآنی که هیچ کژی در آن نیست: در اینجا همچنان بحث از قرآن مجید و ویژگیهای آن است و بحثهای گذشته را در این زمینه تکمیل می کند.

نخست از مسأله جامعیت قرآن چنین سخن می گوید: «ما برای مردم در این قرآن از هر نوع مثلی زدیم» (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ).

از سرگذشت دردناک ستمگران و سرکشان پیشین، از عواقب هولناک گناه، از انواع پندها و اندرزها، از اسرار خلقت و نظام آفرینش، از احکام و قوانین متفن، خلاصه هر چه برای هدایت انسانها لازم بود در لباس امثال برای آنها شرح دادیم. «شاید متذکر شوند» و از راه خطا به راه راست باز گردند (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).

سوره الزمر (۳۹): آیه ۲۸ ص: ۲۲۴

(آیه ۲۸) - سپس به توصیف دیگری از قرآن پرداخته، می گوید: «قرآنی است فصیح و خالی از هر گونه کجی و نادرستی» (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عَوْجٍ).

در پایان آیه می گوید: هدف از نزول قرآن با این همه اوصاف این بوده است که «شاید آنها (مردم) پرهیزکاری پیشه کنند» (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ).

سوره الزمر (۳۹): آیه ۲۹ ص: ۲۲۴

(آیه ۲۹) - سپس قرآن به ذکر مثالی از این امثال پرداخته و سرنوشت موحد و مشرک را در قالب مثلی گویا و زیبا چنین ترسیم می کند: «خداوند مثالی زده است:

مردی را که مملوک شریکانی است که در باره او پیوسته با هم به مشاجره مشغولند» (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءٌ مُتَشَاكِسُونَ). و هر کدام او را به کاری دستور می دهد.

و از آن بدتر این که برای تأمین نیازهای زندگی این یکی او را به دیگری حواله می دهد، و آن دیگر به این، و از این نظر نیز محروم و بیچاره و بی نوا و سرگردان است «و مردی که تنها تسلیم یک نفر است» (و رَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ).

خط و برنامه او مشخص، صاحب اختیار او معلوم است، نه گرفتار تردید است و نه سرگردانی، نه تضاد و نه تناقض، با روحی آرام گام برمی دارد.

«آیا این دو یکسانند؟! (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا).

و این گونه است حال «مشرک» و «موحد»: مشرکان در میان انواع تضادها برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۲۵

و تناقضها غوطه ورنند، هر روز دل به معبودی می بندند، اما موحدان دل در گرو عشق خدا دارند، از تمام عالم او را برگزیده اند. و در پایان آیه می افزاید: «حمد مخصوص خداست» (الْحَمْدُ لِلَّهِ).

«ولی بیشتر آنان نمی دانند» (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ). و با وجود این دلایل روشن به خاطر حب دنیا و شهوات سرکش به حقیقت

سوره الزمر (۳۹): آیه ۳۰ ص: ۲۲۵

(آیه ۳۰) - به دنبال بحثی که در آیات گذشته پیرامون توحید و شرک بود در این آیه سخن از نتایج توحید و شرک در صحنه قیامت می‌گوید.

نخست از مسأله «مرگ» که دروازه قیامت است شروع می‌کند، و عمومیت قانون مرگ را نسبت به همه انسانها روشن ساخته، می‌گوید: «تو می‌میری، و آنها نیز خواهند مرد!» (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ). آری «مرگ» از مسائلی است که همه انسانها در آن یکسانند.

بعضی از مفسران گفته‌اند: دشمنان پیامبر صلی الله علیه و اله انتظار مرگ او را می‌کشیدند و خوشحال بودند که سرانجام او خواهد مرد! قرآن در این آیه به آنها پاسخ می‌گوید که اگر پیامبر بمیرد آیا شما زنده می‌مانید؟

سوره الزمر (۳۹): آیه ۳۱ ص: ۲۲۵

(آیه ۳۱) - سپس بحث را به دادگاه قیامت برده، مخاصمه بندگان را در صحنه محشر مجسم می‌کند، و می‌فرماید: «سپس شما روز قیامت نزد پروردگارتان مخاصمه می‌کنید» (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ). آیات بعد نشان می‌دهد که این مخاصمه در میان پیامبران و مؤمنان از یک سو، و مشرکان و مکذبانان از سوی دیگر خواهد بود.

آغاز جزء ۲۴ قرآن مجید ص: ۲۲۵

ادامه سوره زمر ص: ۲۲۵

سوره الزمر (۳۹): آیه ۳۲ ص: ۲۲۵

(آیه ۳۲) - سخن از حضور مردم در صحنه قیامت و مخاصمه در آن دادگاه بزرگ بود، در اینجا نیز همان بحث را ادامه می‌دهد، و مردم را به دو گروه «مکذبان» و «مصدقان» تقسیم می‌کند.

گروه اول دارای دو وصفند، چنانکه می‌فرماید: «پس چه کسی ستمکارتر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۲۶ است از آن کسی که بر خدا دروغ ببندد و سخن راست را هنگامی که به سراغ او آمده تکذیب کند» (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصَّدَقِ إِذْ جَاءَهُ).

افراد بی‌ایمان و مشرک بسیار دروغ بر خدا می‌بستند، گاه فرشتگان را دختران او می‌خواندند، گاه عیسی را پسر او می‌گفتند، گاه بتها را شفیعان درگاه او می‌دانستند، و گاه احکام دروغینی در زمینه حلال و حرام جعل می‌کردند و به او نسبت می‌دادند، و مانند اینها.

و اما سخن صدقی که به سراغ آنها آمد و تکذیب کردند همان وحی آسمانی قرآن مجید بود.

و در پایان آیه در یک جمله کوتاه کیفر این گونه افراد را چنین بیان می‌کند: «آیا در جهنم جایگاهی برای کافران نیست؟! (أ)

لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ).

هنگامی که نام «جهنم» برده می‌شود بقیه عذابهای دردناک نیز در آن خلاصه شده است.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۳۳ ص: ۲۲۶

(آیه ۳۳) - در باره گروه دوم نیز دو توصیف ذکر کرده، می‌فرماید: «اما کسی که سخن راست بیاورد، و کسی که آن را تصدیق کند آنان پرهیزکارانند» (وَ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ).
به این ترتیب سخن از کسانی است که هم آورنده صدقند و هم عمل کننده به آن، سخن از آنهاست که مکتب وحی و سخن حق پروردگار را در عالم نشر داده، و خود به آن مؤمن هستند و عمل می‌کنند، اعم از پیامبران و امامان معصوم و تبیین کنندگان مکتب آنها.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۳۴ ص: ۲۲۶

(آیه ۳۴) - در این آیه سه پاداش بزرگ برای این گروه بیان می‌دارد: نخست می‌فرماید: «آنچه بخواهند نزد پروردگارشان برای آنان موجود است و این است جزای نیکوکاران» (لَهُمْ مَا يَشَاؤْنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ).
گسترده‌گی مفهوم این آیه به قدری است که تمام مواهب معنوی و نعمتهای مادی را شامل می‌شود، آنچه در تصور و وهم ما بگنجد یا نگنجد؟

سوره الزمر (۳۹): آیه ۳۵ ص: ۲۲۶

(آیه ۳۵) - دومین و سومین پاداش آنان را به این صورت بیان می‌کند: «تا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۲۷
خداوند بدترین اعمالی را که انجام داده‌اند (در سایه ایمان و صداقت آنها) بیامرزد و آنها را به بهترین اعمال که انجام می‌دادند پاداش دهد» (لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَ يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ).
چه تعبیر جالبی! از یکسو این تقاضا را دارند که بدترین اعمالشان در سایه لطف الهی پوشانده شود، و با آب توبه این لکه‌ها از دامانشان پاک گردد، و از سوی دیگر تقاضایشان این است که خداوند بهترین اعمالشان را معیار پاداش قرار دهد و همه اعمال آنها را به حساب آن بپذیرد! و خداوند نیز با تعبیری که در این آیات بیان فرموده درخواست آنان را پذیرفته است، بدترین را می‌بخشد، و بهترین را معیار پاداش قرار می‌دهد.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۳۶ ص: ۲۲۷

اشاره

(آیه ۳۶) -

نقل کرده‌اند که: بت پرستان مکه پیامبر صلی الله علیه و اله را از خشم و غضب بتها بر حذر می‌داشتند، و می‌گفتند: از آنها بدگوئی مکن، و بر خلاف آنها اقدام منما که تو را دیوانه می‌کنند و آزار می‌رسانند! (آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت).

تفسیر: ص: ۲۲۷

«خدا» کافی است! به دنبال تهدیدهایی که خداوند در آیات گذشته نسبت به مشرکان بیان فرمود، و وعده‌هایی که به پیامبرش داده است در این آیه سخن از تهدیدهای کفار به میان می‌آورد و می‌گوید: «آیا خداوند برای (نجات و دفاع از) بنده‌اش (در برابر دشمنان) کافی نیست؟ اما آنها تو را از غیر او می‌ترسانند» (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ). خداوندی که قدرتش برتر از همه قدرتهاست و از نیازها و مشکلات بندگانش به خوبی آگاه است و نسبت به آنها نهایت لطف و مرحمت را دارد چگونه ممکن است بندگان با ایمانش را در برابر طوفان حوادث و موج عداوت دشمنان تنها بگذارد؟ هنگامی که او پشتیبان بنده‌اش باشد،

اگر تیغ عالم بجنبند ز جای نبرد رگی چون نخواهد خدای!

و هنگامی که بخواهد کسی را یاری کند،

هزار دشمنم ار می‌کنند قصد هلاک گرم تو دوستی از دشمنان ندارم باک

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۲۸

چه رسد به بتها که موجوداتی بی‌ارزش و بی‌خاصیتند.

این آیه نویدی است برای همه پویندگان راه حق و مؤمنان راستین مخصوصاً در محیط‌هایی که در اقلیت قرار دارند و از هر سو مورد تهدیدند.

در دنباله این آیه و آیه بعد اشاره به مسأله «هدایت» و «ضلالت» و تقسیم مردم به دو گروه «گمراه» و «هدایت یافته» و این که همه اینها از ناحیه خدا است می‌کند، تا روشن شود تمامی بندگان نیازمند درگاه اویند، و بی‌خواست او چیزی در عالم رخ نمی‌دهد، می‌فرماید: «و هر کس را خداوند گمراه کند هیچ هدایت کننده‌ای ندارد» (وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ).

سوره الزمر (۳۹): آیه ۳۷ ص: ۲۲۸

اشاره

(آیه ۳۷) - «و هر کس را خدا هدایت کند هیچ گمراه کننده‌ای نخواهد داشت» (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ).

بدیهی است نه آن ضلالت بی‌دلیل است، و نه این هدایت بی‌حساب، بلکه هر یک تداومی است بر خواست خود انسان و تلاش او.

و چه بیخبرند کسانی که رابطه این گونه آیات را از آیات دیگر قرآن بریده و آن را گواه بر مکتب جبر گرفته‌اند، گوئی

نمی‌دانند که آیات قرآن یکدیگر را تفسیر می‌کنند.

بلکه در ذیل همین آیه شاهد گویائی بر این معنی است، چرا که می‌فرماید:

«آیا خداوند توانا و دارای مجازات نیست؟» (أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ).

می‌دانیم انتقام از ناحیه خداوند به معنی مجازات در برابر اعمال خلافی است که انجام شده، این نشان می‌دهد که اضلال او جنبه مجازات دارد، و عکس العمل اعمال خود انسانهاست، و طبعاً هدایت او نیز جنبه پاداش و عکس العمل اعمال خالص و پاک و مجاهده در طریق «الله» دارد.

هدایت و ضلالت از سوی خداست! ص : ۲۲۸

هدایت در لغت به معنی دلالت و راهنمائی توأم با لطف و دقت است و آن را به دو شعبه تقسیم کرده‌اند: «ارائه طریق» و «ایصال به مطلوب» و به تعبیر دیگر «هدایت تشریحی» و «هدایت تکوینی». برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۲۹ توضیح این که: گاه انسان راه را به کسی که طالب آن است با دقت تمام و لطف و عنایت نشان می‌دهد، اما پیمودن راه و رسیدن به مقصود بر عهده خود اوست.

ولی گاه دست طالب راه را می‌گیرد و علاوه بر ارائه طریق او را به مقصد می‌رساند.

البته نقطه مقابل آن «اضلال» است.

یک نگاه اجمالی به آیات قرآن به خوبی روشن می‌سازد که قرآن هدایت و ضلالت را فعل خدا می‌شمرد، و هر دو را به او نسبت می‌دهد.

مطالعه سطحی این آیات و عدم درک معنی عمیق آنها سبب شده است که گروهی در تفسیر آنها به «ضلالت» بیفتند و زیر آوارهای مکتب «جبر» مدفون گردند.

اما دقیقترین تفسیری که با همه آیات هدایت و ضلالت سازگار است و همه آنها را به خوبی تفسیر می‌کند این است که بگوئیم:

هدایت تشریحی به معنی ارائه طریق، جنبه عمومی و همگانی دارد و هیچ قید و شرطی در آن نیست، چنانکه در آیه ۳ سوره دهر آمده: «ما راه را به انسان نشان دادیم خواه شکرگزاری کند یا کفران» و در آیه ۵۱ سوره آل عمران می‌خوانیم: «تو همه انسانها را به صراط مستقیم دعوت می‌کنی» بدیهی است دعوت پیامبر مظهر دعوت خداست چرا که هر چه او دارد از خدا دارد.

و در باره جمعی از منحرفان و مشرکان در آیه ۲۳ سوره نجم آمده است:

«هدایت الهی از سوی پروردگار به سراغ آنها آمد».

اما هدایت تکوینی به معنی ایصال به مطلوب و گرفتن دست بندگان و گذراندن آنها از تمام پیچ و خمهای راه، و حفظ و حمایت از آنها تا رساندن به ساحل نجات که موضوع بحث بسیاری دیگر از آیات قرآن است هرگز بی‌قید و شرط نمی‌باشد، این هدایت مخصوص گروهی است که اوصاف آنها در قرآن بیان شده و اضلال که نقطه مقابل آن است نیز مخصوص

گروهی است که اوصاف آنان نیز بیان گشته. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۳۰

قرآن مجید در یک جا سر چشمه ضلالت را فسق و خروج از اطاعت و فرمان الهی شمرده شده. (بقره/ ۲۶) در جای دیگر تکیه

روی مسأله ظلم شده و آن را زمینه ساز ضلالت معرفی کرده. (بقره/ ۲۵۸) و در جای دیگر کفر به عنوان زمینه ساز گمراهی ذکر شده. (بقره/ ۲۶۴) باز در آیه دیگر اسراف و دروغگوئی را عامل گمراهی شمرده است. (غافر/ ۲۸) نتیجه این که قرآن ضلالت الهی را مخصوص کسانی می‌شمرد که دارای این اوصافند: «کفر»، «ظلم»، «فسق»، «دروغ»، «اسراف» و «کفران».

آیا کسانی که دارای این اوصافند شایسته ضلالت و گمراهی نیستند؟! این در زمینه مسأله ضلالت، و اما در مورد «هدایت» نیز شرایط و اوصافی در قرآن بیان شده که نشان می‌دهد آن هم بدون علت، و بر خلاف حکمت الهی نیست.

در یک جا پیروی فرمان خدا، و جلب خشنودی او، زمینه ساز هدایت الهی شمرده شده است. (مائده/ ۱۶) در جای دیگر توبه و انابه عامل استحقاق هدایت شمرده شده است. (رعد/ ۲۷) و در آیه دیگر جهاد آن هم جهاد مخلصانه و در راه خدا به عنوان شرط اصلی هدایت ذکر شده است. (عنکبوت/ ۶۹) و بالاخره در آیه دیگر پیمودن مقداری از راه هدایت به عنوان شرطی برای ادامه این راه به لطف خداوند ذکر شده است. (محمد/ ۱۷) نتیجه این که تا از سوی بندگان توبه و انابه‌ای نباشد، تا پیرو فرمان او نباشند تا جهاد و تلاش و کوششی صورت نگیرد، و تا گامهای نخستین را در مسیر حق برندارند، لطف الهی شامل حال آنان نمی‌شود، دست آنان را نمی‌گیرد و ایصال به مطلوب نمی‌کند.

آیا شمول هدایت نسبت به کسانی که دارای این اوصافند بی حساب است و یا دلیل بر جبری بودن هدایت محسوب می‌شود! ملاحظه می‌کنید آیات قرآن در این زمینه بسیار روشن و گویاست، منتهی برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۳۱

کسانی که نتوانسته یا نخواسته‌اند جمع بندی صحیحی از آیات هدایت و ضلالت کنند گرفتار چنان اشتباه خطرناکی شده‌اند، و «چون ندیدند حقیقت، ره افسانه زدند» باید گفت زمینه این «ضلالت» را نیز خودشان فراهم ساخته‌اند! به هر حال مشیت الهی که در آیات هدایت و ضلالت روی آن تکیه شده، هرگز به معنی مشیت بی دلیل و خالی از حکمت نیست، بلکه در هر مورد شرایط خاصی دارد که آن را هماهنگ با حکیم بودن او می‌کند.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۳۸ ص: ۲۳۱

(آیه ۳۸) - آیا معبودان شما توانائی بر حل مشکلی دارند؟ از آنجا که در آیات پیشین سخن از عقیده انحرافی مشرکان و عواقب شوم آن بود، در اینجا از دلائل توحید سخن می‌گویند تا بحث گذشته را با ذکر دلیل تکمیل کنند.

نخست می‌فرماید: «و اگر از آنها پرسى چه كسى آسمانها و زمین را آفریده؟
حتما می‌گویند: خدا!» (وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ).

چرا که هیچ وجدان و خردی نمی‌پذیرد که این عالم وسیع و پهناور با آن همه عظمت، مخلوق موجودی زمینی باشد تا چه رسد به بت‌های بی روح و فاقد عقل و شعور، و به این ترتیب قرآن آنها را به داوری عقل و حکم وجدان و فطرت می‌برد، تا نخستین پایه توحید را که مسأله خالقیت آسمان و زمین است در قلوب آنها محکم کند.

در مرحله بعد سخن از مسأله سود و زیان و تأثیر در منافع و مضار انسان به میان می‌آورد، تا ثابت کند بتها هیچ نقشی در این زمینه ندارند، می‌افزاید: «بگو: آیا هیچ در باره معبودانی که غیر از خدا می‌خوانید اندیشه می‌کنید که اگر خدا زیانی برای من بخواهد آیا آنها می‌توانند گزند او را بر طرف سازند؟ و یا اگر رحمتی برای من بخواهد آیا آنها می‌توانند جلو رحمت او را بگیرند؟! (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ).

اکنون که نه «خالقیت» از آن آنهاست و نه «قدرت بر سود و زیانی» دارند پرستش آنها چه معنی دارد؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۳۲

اینجاست که به عنوان یک نتیجه گیری کلی و نهائی می فرماید: «بگو: خدا مرا کافی است، و همه متوکلان تنها بر او توکل می کنند» (قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ).

این سخن که مشرکان خالقیت آسمان و زمین را مخصوص خداوند می دانستند کرارا در آیات قرآن آمده است. این امر نشان می دهد که مطلب نزد آنها کاملا مسلم بوده است، و این خود بهترین سندی است بر ابطال شرک چرا که «توحید خالقیت و مالکیت و ربوبیت» عالم هستی خود بهترین دلیل بر «توحید عبودیت» است، و نتیجه آن توکل بر ذات پاک خدا و چشم بر گرفتن از غیر اوست.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۳۹ ص: ۲۳۲

(آیه ۳۹) - در این آیه آنهایی را که در برابر منطق عقل و وجدان تسلیم نیستند با یک تهدید الهی و مؤثر مخاطب ساخته، می فرماید: به آنها «بگو:

ای قوم من! شما هر چه در توان دارید انجام دهید، من نیز به وظیفه خود عمل می کنم، اما به زودی خواهید دانست» (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ).

سوره الزمر (۳۹): آیه ۴۰ ص: ۲۳۲

(آیه ۴۰) - خواهید دانست «چه کسی عذاب خوار کننده ای (در دنیا) به سراغش می آید و (سپس) عذابی جاویدان (در آخرت) بر او وارد می گردد» (مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ).

و به این ترتیب آخرین سخن را به آنها می گوید که یا تسلیم منطق عقل و خرد شوید و به ندای وجدان گوش فرا دهید و یا در انتظار دو عذاب دردناک باشید:

عذابی در دنیا که باعث خواری و رسوائی است، و عذابی در آخرت که جاودانی و همیشگی است، و اینها همان عذابهای است که با دست خود فراهم کرده اید، و آتشی است که هیزم آن را خودتان جمع کرده و افروخته اید.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۴۱ ص: ۲۳۲

(آیه ۴۱) - بعد از ذکر دلایل توحید، و بیان سرگذشت مشرکان و موحدان، در این آیه این حقیقت را توضیح می دهد که پذیرش و عدم پذیرش شما سود و زیانش متوجه خودتان است، و اگر پیامبر صلی الله علیه و اله در این زمینه اصرار می ورزد نه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۳۳

به خاطر نفعی است که عائد او شود، بلکه صرفا انجام وظیفه الهی است، می فرماید:

«ما این کتاب (آسمانی) را برای مردم به حق نازل کردیم» (إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ).

«هر کس هدایت را پذیرد به نفع خود اوست، و هر کس گمراهی را برگزیند تنها به زیان خود گمراه می گردد» (فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ).

«و تو مأمور اجبار آنها به هدایت نیستی» وظیفه تو تنها ابلاغ و انداز است (وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ).

سوره الزمر (۳۹): آیه ۴۲ ص: ۲۳۳

(آیه ۴۲) - سپس برای این که روشن سازد همه چیز انسانها و از جمله حیات و مرگشان به دست خداست می گوید: «خداوند ارواح را به هنگام مرگ قبض می کند» (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا).
«و ارواحی را که نمرده اند نیز به هنگام خواب» می گیرد (وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا).
و به این ترتیب «خواب» برادر «مرگ» است و شکل ضعیفی از آن.
بعد می افزاید: «سپس ارواح کسانی را که فرمان مرگ آنها را صادر کرده نگه می دارد (به گونه ای که هرگز از خواب بیدار نمی شوند) و ارواح دیگری را (که باید زنده بمانند) باز می گرداند تا سر آمدی معین» (فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى).
آری «در این امر نشانه های روشنی است برای کسانی که اندیشه می کنند» (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

سوره الزمر (۳۹): آیه ۴۳ ص: ۲۳۳

(آیه ۴۳) - از آنجا که در آیه قبل حاکمیت «الله» بر وجود انسان و تدبیر او از طریق نظام مرگ و حیات و خواب و بیداری مسلم شد در این آیه سخن از انحراف مشرکان در مسأله شفاعت به میان می آورد تا به آنها ثابت کند مالک شفاعت همان مالک مرگ و حیات آدمی است، نه بتهای فاقد شعور، می فرماید:
«آیا آنها غیر از خدا شفیعانی گرفته اند» (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ).
می دانیم که یکی از بهانه های معروف بت پرستان در مورد پرستش بتها برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۳۴ این بود که می گفتند: «ما آنها را به خاطر این می پرستیم که شفیعان ما نزد الله بوده باشند».
ولی از آنجا که شفاعت اولاً فرع بر درک و شعور است و ثانیاً فرع بر قدرت و مالکیت و حاکمیت، در دنباله آیه در پاسخ آنها چنین می فرماید: به آنها «بگو: آیا (از آنها شفاعت می طلبید) هر چند مالک چیزی نباشند، و درک و شعوری برای آنها نباشد؟» (قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ).
اگر شفیعان خود را فرشتگان و ارواح مقدسه می دانید آنها از خود چیزی ندارند، هر چه دارند از ناحیه خداست، و اگر از بتهای سنگی و چوبی شفاعت می طلبید آنها علاوه بر عدم مالکیت کمترین عقل و شعوری ندارند.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۴۴ ص: ۲۳۴

(آیه ۴۴) - لذا در این آیه اضافه می کند: «بگو: تمام شفاعت از آن خداست» (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا).
زیرا «حاکمیت آسمانها و زمین از آن اوست، و سپس همه شما به سوی او باز گردانده می شوید» (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).
و به این ترتیب آنها را بکلی خلع سلاح می کند، چرا که توحیدی که بر کل عالم حاکم است می گوید: شفاعت نیز جز به اذن پروردگار ممکن نیست.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۴۵ ص: ۲۳۴

(آیه ۴۵) - آنها که از نام خدا وحشت دارند! باز هم در اینجا سخن از توحید و شرک است و یکی از چهره‌های بسیار زشت و زننده مشرکان و منکران معاد را در برخورد با توحید منعکس ساخته، می‌فرماید: «و هنگامی که خداوند به یگانگی یاد می‌شود دل‌های کسانی که به آخرت ایمان ندارند مشمئز (و متنفر) می‌گردد، اما هنگامی که از معبودهای دیگر یاد می‌شود، آنان خوشحال می‌شوند» (وَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ إِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ). گاه انسان چنان به زشتیها خو می‌گیرد و از پاکيها و نيکيها بيگانه می‌شود که از شنیدن نام حق ناراحت و از شنیدن باطل مسرور و شاد می‌گردد.

نقطه مقابل آنها مؤمنانی هستند که از شنیدن نام خداوند یگانه چنان مجذوب نام مقدسش می‌شوند که حاضرند هر چه دارند نثار راه او کنند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۳۵

سوره الزمر (۳۹): آیه ۴۶ ص: ۲۳۵

(آیه ۴۶) - هنگامی که سخن به اینجا می‌رسد که این گروه لجوج و این جاهلان مغرور حتی از شنیدن نام خداوند یگانه متنفر و بیزارند به پیامبرش دستور می‌دهد که از آنها روی بگرداند، و رو به سوی درگاه خدا آورد، با لحنی که حاکی از ایمان عمیق و سرشار از عشق اوست با او سخن گوید، و شکایت این گروه را به درگاه او برد، تا هم قلب خود را که آکنده از اندوه است آرامش بخشد، و هم از این راه تکانی به آن ارواح خفته غافل دهد.

می‌فرماید: «بگو: خداوند! ای آفریننده آسمانها و زمین، و آگاه از اسرار نهان و آشکار، تو در میان بندگانت در آنچه اختلاف داشتند داوری خواهی کرد» (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).

آری! روز قیامت این گمراهان لجوج به اشتباه خود پی می‌برند و آنجاست که به فکر جبران می‌افتند، اما چه سود؟!

سوره الزمر (۳۹): آیه ۴۷ ص: ۲۳۵

(آیه ۴۷) - در این آیه می‌گوید: «اگر ستمکاران تمام آنچه را روی زمین است مالک باشند و همانند آن نیز بر آن افزوده شود، حاضرند همه را فدا کنند تا از عذاب شدید روز قیامت رهائی یابند» اما چنین چیزی ممکن نیست (وَ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

سپس می‌افزاید: «و از سوی خدا برای آنها اموری ظاهر می‌شود که هرگز گمان نمی‌کردند» (وَ يَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ).

و عذابهایی را با چشم خود می‌بینند که هرگز به فکر آنها خطور نمی‌کرد!

سوره الزمر (۳۹): آیه ۴۸ ص: ۲۳۵

(آیه ۴۸) - این آیه توضیح یا تکمیل برای مطلبی است که در آیه قبل گذشت می‌فرماید: در آن روز «اعمال بدی را که انجام داده‌اند برای آنها آشکار می‌شود» (وَ بَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا).
«و آنچه را استهزا کردند بر آنها واقع می‌گردد» (وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ).

سوره الزمر (۳۹): آیه ۴۹ ص: ۲۳۵

(آیه ۴۹) - در سختیها به یاد خدا هستند، اما...! باز در اینجا موضوع سخن، برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۳۶
افراد بی‌ایمان و ظالمانند، و چهره دیگری از چهره‌های زشت آنها را منعکس می‌کند.
نخست می‌فرماید: «هنگامی که انسان را زبانی (و درد و رنج و فقری) رسد، ما را (برای حل مشکلتش) می‌خواند» (فَإِذَا مَسَّ
الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا).

اما آن هم موقتی است «سپس هنگامی که از جانب خود به او نعمتی دهیم (و درد و رنجش را بر طرف سازیم لطف و عطای
ما را به دست فراموشی می‌سپارد، و) می‌گوید: این نعمت را به خاطر کاردانی خودم به من داده‌اند» (ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَا نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ
إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ).

این غافلان بی‌خبر هیچ فکر نمی‌کنند که آن علم و دانش نیز موهبتی از سوی خداست.
سپس قرآن در پاسخ این افراد خودبین و کم‌ظرفیت که چون به نعمتی رسند به زودی خود را گم می‌کنند چنین می‌گوید:
«ولی این (نعمت) وسیله آزمایش (آنها) است ولی بیشترشان نمی‌دانند» (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ).
هدف این است که با بروز حوادث سخت، و به دنبال آن رسیدن به نعمتهای بزرگ، آنچه را در درون دارند آشکار کنند.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۵۰ ص: ۲۳۶

(آیه ۵۰) - در این آیه می‌افزاید: «این سخن را کسانی که قبل از آنها بودند گفتند (آنها نیز ادعا می‌کردند که نعمتهای ما
زائیده علم و لیاقت ماست) ولی آنچه را به دست می‌آوردند برای آنها سودی نداشت» (قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

آری! قارونهای مغرور اموالشان را مولود لیاقت خودشان می‌پنداشتند و مواهب الهی را بر خویش فراموش کرده، و تنها چشم
به اسباب ظاهری دوخته بودند.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۵۱ ص: ۲۳۶

(آیه ۵۱) - «سپس بدیهای اعمالشان به آنها رسید» (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا). و هر کدام به نوعی از عذابهای الهی، طوفان،
سیلاب، زمین لرزه، و صیحه‌های آسمانی، گرفتار شدند، و از میان رفتند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۳۷
بعد می‌افزاید: این سرنوشت منحصر به آنها نبود «و ظالمان این گروه [اهل مکه نیز به زودی گرفتار بدیهای اعمالی که انجام
داده‌اند خواهند شد، و هرگز نمی‌توانند از چنگال عذاب الهی بگریزند» (وَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيَّئَةٌ يَبْغِضُونَ مَا كَسَبُوا وَ
مَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ).

بلکه از آنها نیز فراتر می‌رود و همه ستمگران مغرور و بی‌خبر از خدا را در تمام اعصار و قرون شامل می‌شود.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۵۲ ص: ۲۳۷

(آیه ۵۲) - قرآن در پاسخ این سخن که می گفتند: نعمتهای ما مولود آگاهی و توانائی خود ماست به آنها گوشزد کرد که سری به تاریخ گذشتگان بزنید و ببینید همین سخن را دیگران گفتند و به چه مصائب و عذابهای گرفتار شدند - این یک جواب تاریخی است.

سپس در این آیه به یک جواب عقلی پرداخته، می گوید: «آیا آنها ندانستند که خداوند روزی را برای هر کس بخواهد گسترده یا تنگ می سازد؟! (أَو لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ).

چه بسیارند افراد شایسته‌ای که در زندگی محروم و منزوی هستند، و چه بسیار افراد ضعیف و ناتوانی که از هر نظر متعتمد، اگر پیروزیهای مادی همگی در سایه تلاش و کوشش خود افراد و لیاقتهای آنها به دست می آمد نباشید شاهد چنین صحنه‌هایی باشیم.

لذا در پایان آیه می افزاید: «در این، آیات و نشانه‌هایی است برای گروهی که ایمان می آورند» (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).

نشانه‌هایی برای ذات پاک خدا همان گونه که امیر مؤمنان علی علیه السلام فرمود:

«عرفت الله بفسخ العزائم و حلّ العقود و نقض الهمم من خدا را بوسیله بر هم خوردن تصمیمها، گشوده شدن گره‌ها و درهم شکستن اراده‌ها شناختم».

اینها نشانه‌هایی است از ضعف و ناتوانی انسان تا خود را گم نکند و گرفتار غرور و خودبینی نگردد.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۵۳ ص: ۲۳۷

(آیه ۵۳) - خداوند همه گناهان را می آمرزد: به دنبال تهدیدهای مکرری که برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۳۸ در آیات گذشته در مورد مشرکان و ظالمان آمده بود در اینجا راه بازگشت را توأم با امیدواری به روی همه گنهکاران می گشاید زیرا هدف اصلی از همه این امور تربیت و هدایت است نه انتقامجویی و خشونت، با لحنی آکنده از نهایت لطف و محبت آغوش رحمتش را به روی همگان باز کرده و فرمان عفو آنها را صادر نموده، می فرماید: «به آنها بگو: ای بندگان من که بر خود اسراف و ستم کرده‌اید از رحمت خداوند نومید نشوید که خدا همه گناهان را می آمرزد زیرا که او آمرزنده و مهربان است» (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا).

دقت در تعبیرات این آیه نشان می دهد که از امید بخش ترین آیات قرآن مجید نسبت به همه گنهکاران است، و گستردگی آن به حدی است که طبق روایتی امیر مؤمنان علی علیه السلام فرمود: «در تمام قرآن آیه‌ای وسیعتر از این آیه نیست».

این وعده غفران مشروط بر این است که: بعد از ارتکاب گناه به خود آیند، و تغییر مسیر دهند، رو به سوی درگاه خدا آورند، در برابر فرمانش تسلیم باشند و با عمل، صداقت خود را در این توبه و انابه نشان دهند.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۵۴ ص: ۲۳۸

(آیه ۵۴) - در این آیه راه ورود در این دریای بی کران رحمت الهی را به همه مجرمان و گنهکاران نشان می دهد، می فرماید:

«و به درگاه پروردگارتان باز گردید» و مسیر زندگی خود را اصلاح کنید (وَ أُنَبِّئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ).
«و در برابر او تسلیم شوید (و فرمانش را به گوش جان بشنوید و پذیرا گردید) پیش از آن که عذاب (الهی) به سراغ شما آید، سپس از سوی هیچ کس یاری نشوید!» (وَ أَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ).

سوره الزمر (۳۹): آیه ۵۵ ص: ۲۳۸

(آیه ۵۵) - بعد از پیمودن مرحله انابه و اسلام سخن از مرحله سوم که مرحله «عمل» است به میان آورده، می‌افزاید: «و از بهترین دستوراتی که از سوی پروردگارتان بر شما نازل شده پیروی کنید، پیش از آن که عذاب (الهی) ناگهان به سراغ شما آید در حالی که از آن خبر ندارید» (وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ).
برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۳۹

و به این ترتیب مسیر وصول به رحمت خدا سه گام بیشتر نیست:
گام اول توبه و پشیمانی از گناه و روی آوردن به سوی خداست.
گام دوم ایمان و تسلیم در برابر فرمان او، و گام سوم عمل صالح است.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۵۶ ص: ۲۳۹

(آیه ۵۶) - آن روز پشیمانی بیهوده است: در آیات گذشته دستور مؤکدی برای توبه و اصلاح و جبران اعمال گذشته آمده بود، در اینجا در تعقیب آن می‌گوید: این دستورها برای آن است «مبادا کسی (روز قیامت) بگوید: افسوس بر من از کوتاهیهای که در اطاعت فرمان خدا کردم! و از مسخره کنندگان (آیات او) بودم!» (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْبَ رَبِّي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ).

آری! هنگامی که انسان وارد عرصه محشر می‌شود و نتیجه تفریطها، و مسامحه کاریها و خلافاکاریها، و شوخی گرفتن جدیها را در برابر چشم خود می‌بیند، اندوهی سنگین توأم با ندامتی عمیق بر قلب او سایه می‌افکند، و این حالت درونی خود را بر زبان آورده و به صورت جمله‌های فوق بیان می‌دارد.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۵۷ ص: ۲۳۹

(آیه ۵۷) - سپس می‌افزاید: «یا بگوید: اگر خداوند مرا هدایت می‌کرد از پرهیزکاران بودم» (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ).

این سخن را گویا زمانی می‌گوید که او را به پای میزان حساب می‌آورند، گروهی را می‌بیند که با دست پر از حسنات به سوی بهشت روانه می‌شوند، او نیز آرزو می‌کند در صف آنان باشد و همراه آنان به سوی نعمتهای الهی برود.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۵۸ ص: ۲۳۹

(آیه ۵۸) - باز می‌افزاید: «یا هنگامی که عذاب الهی را می‌بیند بگوید: ای کاش بار دیگر (به دنیا) باز می‌گشتم و از نیکوکاران

بودم؟! (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ).

و این هنگامی است که او را به سوی دوزخ می‌برند و چشمش به آتش سوزان و منظره عذاب دردناک آن می‌افتد، آهی از دل بر می‌کشد و آرزو می‌کند ای کاش به او اجازه داده می‌شد تا به دنیا باز گردد.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۵۹..... ص: ۲۳۹

(آیه ۵۹) - قرآن در برابر این سه گفتار دوم چنین پاسخ می‌گوید: برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۴۰

«آری آیات من به سراغ تو آمد اما آن را تکذیب کردی، و تکبر نمودی، و از کافران بودی» (بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ).

یعنی این که می‌گوئی «اگر هدایت الهی به سراغ من آمده بود از پرهیزکاران بودم» هدایت الهی چیست؟ جز این همه کتب آسمانی و فرستادگان خدا و آیات و نشانه‌های حق در آفاق و انفس؟ همه این آیات را دیدی و شنیدی عکس العمل تو در مقابل آن چه بود؟ تکذیب و استکبار و کفر! از میان این سه عمل «استکبار» ریشه اصلی است و به دنبال آن «تکذیب آیات الهی» و نتیجه آن «کفر و بی‌ایمان» است.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۶۰..... ص: ۲۴۰

(آیه ۶۰) - از آنجا که در آیات گذشته سخن از مشرکان دروغ پرداز و مستکبری بود که در روز قیامت از کرده خود پشیمان می‌شوند و تقاضای بازگشت به این جهان می‌کنند - تقاضائی بی‌حاصل و غیر قابل قبول - در اینجا در ادامه همین سخن می‌گوید: «و روز قیامت کسانی را که بر خدا دروغ بستند می‌بینی که صورت‌هایشان سیاه است!» (و يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ).

سپس می‌افزاید: «آیا در جهنم جایگاهی برای مستکبران نیست؟! (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ).

سوره الزمر (۳۹): آیه ۶۱..... ص: ۲۴۰

(آیه ۶۱) - در این آیه سخن از نقطه مقابل این گروه یعنی گروه پرهیزکاران و سعادت آنها در قیامت در میان است، می‌فرماید: «و خداوند کسانی را که تقوا پیشه کردند با رستگاری رهایی می‌بخشد» (و يُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ).

سپس این فلاح و پیروزی را با این دو جمله کوتاه و پر معنی توضیح می‌دهد:

«هیچ بدی به آنها نمی‌رسد و هرگز غمگین نخواهند شد» (لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

در جهانی زندگی می‌کنند که جز نیکی و پاکی و وجد و سرور چیزی وجود ندارد، این تعبیر کوتاه در حقیقت تمام مواهب الهی را در خود جمع کرده است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۴۱

سوره الزمر (۳۹): آیه ۶۲..... ص: ۲۴۱

(آیه ۶۲) - این آیه بار دیگر به مسأله توحید و مبارزه با شرک باز می‌گردد و گفتگوهائی را که با مشرکان داشت ادامه داده، می‌فرماید: «خداوند آفریدگار همه چیز است و حافظ و ناظر بر همه اشیا است» (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ).

جمله اول اشاره به «توحید خالقیت» است و جمله دوم اشاره به «توحید ربوبیت».

مسأله توحید خالقیت چیزی است که حتی مشرکان غالباً به آن معترف بوده‌اند.

ولی آنها در توحید ربوبیت گرفتار انحراف شده بودند گاه حافظ و نگهبان و مدبر کارهای خود را بتها می‌دانستند و در مشکلات به آنها پناه می‌بردند.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۶۳ ص: ۲۴۱

(آیه ۶۳) - این آیه با ذکر توحید مالکیت خداوند بحث توحیدی آیه قبل را تکمیل کرده، می‌گوید: «کلیدهای آسمانها و زمین از آن اوست» (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

این تعبیر معمولاً کنایه از مالکیت و یا سلطه بر چیزی است، چنانکه می‌گوئیم: کلید این کار به دست فلانی است.

قرآن بعد از این جمله چنین نتیجه‌گیری می‌کند: «و کسانی که به آیات خداوند کافر شدند زیانکارانند» (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ).

چرا که منبع اصلی و سرچشمه واقعی همه خیرات و برکات را رها کرده و در بیراهه‌ها سرگردان شده‌اند، از کسی که تمام کلیدهای آسمانها و زمین به دست اوست روی بر تافته و به سراغ موجودات ناتوانی رفته‌اند که مطلقاً کاری از آنها ساخته نیست.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۶۴ ص: ۲۴۱

(آیه ۶۴) - از مجموع آنچه در باره شاخه‌های توحید در آیات گذشته ذکر شد به خوبی می‌توان نتیجه گرفت که توحید در

عبادت یک حقیقت غیر قابل انکار است، تا آنجا که هیچ انسان فهمیده و عاقلی نباید به خود اجازه دهد که در برابر بتها

سجده کند، لذا به دنبال آن با لحنی قاطع و تشدد آمیز می‌گوید: «بگو: آیا به من برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۴۲

دستور می‌دهید که غیر خدا را پرستم ای جاهلان؟! (قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ).

این سخن مخصوصاً با توجه به این که کفار و مشرکان گاهی پیامبر اسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ را دعوت می‌کردند که خدایان

آنها را احترام و پرستش کند، و یا حد اقل از عیبجوئی و انتقاد نسبت به بتها بپرهیزد مفهوم عمیقتری پیدا می‌کند، و با صراحت

اعلام می‌دارد که مسأله توحید و نفی شرک مطلبی نیست که بتوان بر سر آن معامله و سازش کرد، شرک باید در تمام

چهره‌هایش درهم کوبیده شود و از صفحه جهان محو گردد!

سوره الزمر (۳۹): آیه ۶۵ ص: ۲۴۲

(آیه ۶۵) - اگر مشرک شوی اعمالت بر باد می‌رود! قرآن همچنان مسائل مربوط به شرک و توحید را که در آیات قبل از آن

سخن بود تعقیب می‌کند.

نخست با لحن قاطع خطر شرک را بازگو کرده، می‌فرماید: «به تو و همه پیامبران پیشین وحی شده که اگر مشرک شوی تمام اعمال تباه می‌شود و از زیانکاران خواهی بود» (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

به این ترتیب شرک دو پیامد خطرناک دارد حتی در مورد پیامبران الهی اگر به فرض محال مشرک شوند.

نخست مسأله حبط اعمال است، و دوم گرفتار خسران و زیان زندگی شدن.

اما «حبط اعمال» به معنی محو آثار و پاداش عمل به خاطر شرک است چرا که شرط قبولی اعمال اعتقاد به اصل توحید است و بدون آن هیچ عملی پذیرفته نیست.

و اما زیانکار شدن آنها به خاطر این است که بزرگترین سرمایه‌های خود را که عقل و خرد و عمر گرانبه‌است در این بازار بزرگ تجارت دنیا از دست داده و «جز حسرت و اندوه متاعی نخریدند»!

سوره الزمر (۳۹): آیه ۶۶ ص: ۲۴۲

(آیه ۶۶) - در این آیه باز برای تأکید بیشتر می‌افزاید: «بلکه تنها خداوند را عبادت کن و از شکر گزاران باش» (بَلِ اللّٰهِ فَاعْبُدْ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۴۳
یعنی معبود تو باید منحصر ذات پاک «الله» باشد.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۶۷ ص: ۲۴۳

(آیه ۶۷) - در این آیه به بیان دیگری برای نفی شرک پرداخته، ریشه اصلی انحراف آنها را ذکر کرده، می‌گوید: «آنها خدا را آن گونه که شایسته است نشناختند» (وَ مَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ). و به همین دلیل نام مقدس او را تا آنجا تنزل دادند که هم ردیف بتها قرار دادند.

آری! سر چشمه شرک عدم معرفت صحیح در باره خداوند است، کسی که بداند او وجودی است بی‌پایان و نامحدود از هر نظر و از سوی دیگر آفرینش همه موجودات از ناحیه اوست و حتی در بقای خود هر لحظه به فیض وجود او نیازمندند و از سوی سوم تدبیر عالم هستی و گشودن گره تمام مشکلات و همه ارزاق به دست با قدرت اوست، و حتی اگر شفاعتی هم انجام گیرد به اذن و فرمان او خواهد بود، معنی ندارد رو به سوی دیگری آرد.

اصلاً چنین وجودی با این صفات، دوگانگی برای او محال است زیرا دو وجود نامحدود از جمیع جهات عقلاً غیر ممکن است - دقت کنید.

سپس برای بیان عظمت و قدرت او از دو تعبیر کنائی زیبا استفاده کرده، می‌گوید: «در حالی که تمام زمین در روز قیامت در قبضه اوست و آسمانها پیچیده در دست او» (وَ الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ).

کسی که طوماری را درهم پیچیده و در دست راست گرفته کاملترین تسلط را بر آن دارد، مخصوصاً انتخاب «یمن» (دست راست) به خاطر آن است که غالب اشخاص کارهای مهم را با دست راست انجام می‌دهند و قوت و قدرت بیشتری در آن احساس می‌کنند.

کوتاه سخن این که: همه این تشبیهات و تعبیرات کنایه از سلطه مطلقه پروردگار بر عالم هستی در جهان دیگر است، تا

همگان بدانند در عالم قیامت نیز کلید نجات و حل مشکلات در کف قدرت خداوند است، تا به بهانه شفاعت و مانند آن به سراغ بتها و معبودهای دیگر نروند.

البته در این دنیا نیز زمین و آسمان به همین صورت در قبضه قدرت او است. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۴۴ ولی در آن روز قدرت خداوند از هر زمان آشکارتر است و همگی به روشنی در می‌یابند که همه چیز از آن او و در اختیار اوست.

به هر حال بعد از بیانات فوق در آخر آیه در یک نتیجه گیری فشرده و گویا می‌فرماید: «خداوند منزّه و بلند مقام است از شریک‌هایی که برای او می‌پندارند» (سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ).

اگر انسانها با مقیاسهای کوچک اندیشه‌های خود در باره ذات پاک او قضاوت نمی‌کردند هرگز به بیراهه‌های شرک و بت پرستی نمی‌افتادند.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۶۸ ص: ۲۴۴

(آیه ۶۸) - «نفخه صور» و مرگ و حیات عمومی بندگان: در آیه قبل سخن از قیامت در میان آمد، در این آیه همین مسأله را با ذکر بسیاری از خصوصیات تعقیب می‌کند، نخست از پایان دنیا شروع کرده، می‌فرماید: «و در صور دمیده می‌شود پس همه کسانی که در آسمانها و زمین هستند می‌میرند، مگر کسانی که خدا بخواهد» (وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ).

البته از روایات به خوبی استفاده می‌شود که این گروه باقیمانده نیز سرانجام می‌میرند به گونه‌ای که در سرتاسر عالم هستی موجودی زنده نخواهد بود، جز خداوند «حی لا یموت».

سپس بار دیگر در صور دمیده می‌شود، ناگهان همگی به پا می‌خیزند و در انتظار (حساب و جزا) هستند! (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ).

از این آیه به خوبی استفاده می‌شود که در پایان جهان و آغاز رستاخیز دو حادثه ناگهانی رخ می‌دهد: در حادثه اول همه موجودات زنده فوراً می‌میرند، و در حادثه دوم که با فاصله‌ای صورت می‌گیرد همه انسانها ناگهان زنده می‌شوند، و به پا می‌خیزند و در انتظار حسابند.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۶۹ ص: ۲۴۴

(آیه ۶۹) - آن روز که زمین به نور خدا روشن می‌شود! در این آیه بحثهای مربوط به قیامت همچنان ادامه می‌یابد.

نخست می‌فرماید: «و زمین در (آن روز) به نور پروردگارش روشن می‌شود» برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۴۵ (وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا).

در این که منظور از این «اشراق» و روشنائی به نور الهی چیست؟ تفسیرهای مختلفی گفته شده است که مهمتر از همه دو تفسیر زیر است:

۱- جمعی گفته‌اند: منظور از نور رب، حق و عدالت است که خداوند صفحه زمین را در آن روز با آن نورانی می‌کند.

۲- مفسر عالیقدر نویسنده «المیزان» می‌گوید: مراد از روشن شدن زمین به نور پروردگار که از خصوصیات روز قیامت است

همان انکشاف غطاء و کنار رفتن پرده‌ها و حجابها و ظاهر شدن حقایق اشیاء و اعمال انسانها از خیر و شر و اطاعت و عصیان و حق و باطل می‌باشد، سپس به آیه ۲۲ سوره ق بر این معنی استدلال کرده است: (لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَ كَفَبَصِيرَةَ الْيَوْمِ حَدِيدًا) «تو در غفلت از این موضوع بودی، ما پرده را از برابر چشمت کنار زدیم و امروز چشمت به خوبی می‌بیند!» درست است که این اشراق الهی در آن روز همه چیز را شامل می‌شود ولی ذکر خصوص زمین در این میان به خاطر آن است که هدف اصلی بیان حال مردم روی زمین در آن روز است.

بدون شک این آیه مربوط به قیامت است و اگر می‌بینیم در بعضی از روایات اهل بیت علیهم السّلام به قیام حضرت مهدی - عج - تفسیر شده در حقیقت نوعی تطبیق و تشبیه است، و تأکیدی بر این معنی است که به هنگام قیام حضرت مهدی - عج - دنیا نمونه‌ای از صحنه قیامت خواهد شد، و عدل و داد به وسیله آن امام به حق، در روی زمین تا آن جا که طبیعت دنیا می‌پذیرد حکمفرما خواهد شد.

در جمله دوم این آیه سخن از نامه اعمال است می‌گوید: «و نامه‌های اعمال را پیش می‌نهند» و به آن رسیدگی می‌کنند (و وَضِعَ الْكِتَابُ).

نامه‌هایی که تمامی اعمال انسان کوچک و بزرگ در آن جمع است.

در جمله بعد که سخن از گواهان است می‌افزاید: «و پیامبران و گواهان را حاضر می‌سازند» (و جِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۴۶

پیامبران احضار می‌شوند تا از ادای رسالت خود به مجرمین سخن گویند، همان گونه که در آیه ۶ سوره اعراف می‌خوانیم: (و لَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ) ما از رسولان بطور قطع سؤال خواهیم کرد.

و «گواهان» برای این که در آن محکمه عدل گواهی دهند، درست است که خداوند از همه چیز آگاه است، ولی برای تأکید مراتب عدالت حضور شهود لازم است.

چهارمین جمله می‌گوید: «و میان آنها به حق داوری می‌شود» (و قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ).

و در پنجمین جمله می‌افزاید: «و به آنان ستم نخواهد شد» (و هُمْ لَا يُظْلَمُونَ).

بدیهی است هنگامی که حاکم، خدا باشد، در چنین دادگاهی ظلم و بیدادگری مفهومی ندارد.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۷۰ ص: ۲۴۶

(آیه ۷۰) - و ششمین جمله در این آیه این سخن را تکمیل کرده، می‌گوید:

«و به هر کس آنچه انجام داده است بی‌کم و کاست داده می‌شود» (و وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمَلَتْ).

نه جزا و پاداش و کیفر اعمالشان که خود اعمالشان به آنها داده می‌شود! و چه پاداش و کیفری از این برتر که عمل انسان بطور کامل به او تحویل داده شود.

چه کسی می‌تواند این برنامه‌های عدالت را دقیقاً اجرا کند کسی که علم او به همه چیز احاطه دارد لذا در هفتمین و آخرین جمله می‌فرماید: «و او نسبت به آنچه انجام می‌دادند از همه آگاهتر است» (و هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ).

حتی نیازی به شهود نیست که او از همه شهود اعلم است، اما لطف و عدالتش ایجاب می‌کند که گواهان را احضار کند.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۷۱ ص: ۲۴۶

(آیه ۷۱) - آنها که گروه گروه، وارد دوزخ می‌شوند: قرآن همچنان بحثهای معاد را ادامه می‌دهد، و آنچه را به صورت اجمال در آیات گذشته در مورد پاداش و کیفر مؤمنان و کافران آمده بطور تفصیل بیان می‌کند.

نخست از دوزخیان شروع می‌کند و می‌گوید: «و کسانی که کافر شدند گروه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۴۷ گروه به سوی جهنم رانده می‌شوند!» (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا).

سپس می‌افزاید: این امر ادامه پیدا می‌کند تا «وقتی به دوزخ می‌رسند درهای آن گشوده می‌شود و نگهبانان دوزخ (از روی ملامت) به آنها می‌گویند: آیا رسولانی از میان شما به سویتان نیامدند که آیات پروردگارتان را برای شما بخوانند و از ملاقات این روز شما را بر حذر دارند؟! (حَتَّىٰ إِذَا جَاؤَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا).

از این تعبیر به خوبی استفاده می‌شود که درهای جهنم قبل از ورود آنها بسته است درست همانند درهای زندانها هنگامی که نزدیک آن می‌رسند ناگهان به روی آنان گشوده می‌شود و این مشاهده ناگهانی وحشت بیشتری در آنها ایجاد می‌کند، اما قبل از هر چیز در زیر رگبار ملامت خازنان دوزخ قرار می‌گیرند که به آنها می‌گویند تمام اسباب هدایت برای شما فراهم بود. با این حال چگونه این تیره روزی دامان شما را گرفت.

به هر حال آنها با یک جمله کوتاه و درد آلود به آنها پاسخ داده «می‌گویند: آری (پیامبران آمدند و آیات الهی را بر ما خواندند، و ما مخالفت کردیم) ولی فرمان عذاب الهی بر کافران مسلم شده است» (قَالُوا بَلَىٰ وَ لَكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ).

به این ترتیب آنها اعتراف می‌کنند که راه تکذیب انبیا و انکار آیات الهی را پیش گرفتند و طبعاً سرنوشتی بهتر از این نخواهند داشت.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۷۲ ص: ۲۴۷

(آیه ۷۲) - پس از این گفتگوی کوتاه در آستانه جهنم «به آنان گفته می‌شود: از درهای جهنم وارد شوید، جاودانه در آن بمانید، چه بد جایگاهی است جایگاه متکبران؟! (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَىٰ الْمُتَكَبِّرِينَ).

درهای جهنم - چنانکه قبلا هم اشاره کرده‌ایم - ممکن است به معنی درهائی باشد که بر حسب اعمال انسانها تنظیم شده است و هر گروهی را به تناسب عمل خود به دوزخ می‌برند، همان گونه که درهای بهشت نیز چنین است. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۴۸

جالب این که فرشتگان عذاب از میان تمام اوصاف رذیله انسان که او را به دوزخ می‌برد روی مسأله «تکبر» تکیه می‌کنند، اشاره به این که سرچشمه اصلی کفر و انحراف و گناه بیش از همه کبر و غرور و عدم تسلیم در برابر حق است. و به همین دلیل در روایتی از امام صادق و امام باقر علیهما السّلام می‌خوانیم: «کسی که به مقدار ذره‌ای کبر، در قلبش وجود داشته باشد داخل بهشت نمی‌شود!»

سوره الزمر (۳۹): آیه ۷۳ ص: ۲۴۸

(آیه ۷۳) - و این جمعیت گروه گروه وارد بهشت می‌شوند! قرآن در آخرین آیات این سوره همچنان بحثهای مربوط به معاد را

ادامه می‌دهد، و چون در آیات پیشین سخن از چگونگی ورود کافران به جهنم بود در اینجا سخن از چگونگی ورود مؤمنان پرهیزکار در بهشت است، تا به قرینه مقابله مسائل روشنتر و آشکارتر گردد.

نخست می‌گوید: «و کسانی که تقوای الهی پیشه کردند گروه گروه به سوی بهشت برده می‌شوند» (وَ سَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا).

کلمه «زمر» که به معنی گروههای کوچک است نشان می‌دهد که بهشتیان در گروههای مختلف که نشانگر سلسله مراتب مقامات معنوی آنهاست به سوی بهشت می‌روند.

«تا این که آنها به بهشت می‌رسند در حالی که درهای آن از قبل برای آنها گشوده شده است، و (در این هنگام) نگهبانان آن [فرشتگان رحمت به آنها می‌گویند: سلام بر شما! گوارایتان باد این نعمتها داخل بهشت شوید و جاودانه بمانید!] (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ).

جالب این که در مورد دوزخیان می‌گوید هنگامی که به دوزخ می‌رسند درهایش گشوده می‌شود، ولی در مورد بهشتیان می‌گوید درهایش از قبل گشوده شده، و این اشاره به احترام و اکرام خاصی است که برای آنها قائلند.

در مورد دوزخیان خواندیم که نخستین سخن فرشتگان عذاب ملامت و سرزنش سخت به آنهاست. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۴۹

ولی در مورد بهشتیان نخستین سخن «سلام و درود و احترام و اکرام» است.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۷۴..... ص: ۲۴۹

(آیه ۷۴) - در این آیه چهار جمله کوتاه و پر معنی که حاکی از نهایت خشنودی و رضایت خاطر بهشتیان است از آنها نقل می‌کند: «آنها می‌گویند: حمد و ستایش مخصوص خداوندی است که به وعده خویش در باره ما وفا کرد» (وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ).

در جمله‌های بعد می‌افزاید: «و زمین (بهشت) را میراث ما قرار داد و به ما بخشید» (وَ أَوْرَثْنَا الْأَرْضَ).

منظور از زمین در اینجا زمین بهشت است، و تعبیر به «ارث» به خاطر آن است که این همه نعمت در برابر زحمت کمی به آنها داده شده، و می‌دانیم میراث چیزی است که انسان برای آن معمولاً زحمتی نکشیده است، و یا از این نظر است که هر انسانی مکانی در بهشت دارد و محلی در دوزخ هر گاه به خاطر اعمالش دوزخی شود مکان بهشتی او را به دیگران می‌سپارند و هر گاه بهشتی شود مکان دوزخیش برای دیگران باقی می‌ماند.

در جمله سوم آزادی کامل خود را در استفاده از بهشت وسیع پروردگار چنین بیان می‌کنند: «ما هر جا از بهشت را بخواهیم منزلگاه خود قرار می‌دهیم» (نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ).

بالاخره در آخرین جمله می‌گویند: «چه نیکوست پاداش عمل کنندگان» به دستورات پروردگار (فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ).

اشاره به این که این مواهب وسیع را به «بها» می‌دهند، به «بهانه» نمی‌دهند، ایمان و عمل صالح لازم است تا در پرتو آن چنین شایستگی حاصل شود.

سوره الزمر (۳۹): آیه ۷۵..... ص: ۲۴۹

(آیه ۷۵) - سر انجام در آخرین آیه سوره زمر، پیامبر اکرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ را مخاطب ساخته، می گوید: در آن روز فرشتگان را می بینی که بر گرد عرش خدا حلقه زده اند (و طواف می کنند) و با ستایش پروردگارشان تسبیح می گویند» (وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ).

اشاره به وضع فرشتگان در اطراف عرش خداوند به خاطر این است که برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۵۰
آمادگی آنها را برای اجرای اوامر الهی بیان کند.

لذا به دنبال آن می گوید: «و در میان بندگان به حق داوری می شود» (وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ).

و از آنجا که این امور نشانه های ربوبیت پروردگار، و دلائل شایستگی ذات پاکش برای هر گونه حمد و سپاس است در آخرین جمله می افزاید: در آن روز «گفته خواهد شد حمد مخصوص خدا پروردگار جهانیان است» (وَ قِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

گوینده این سخن فرشتگان و بهشتیان و پرهیزکارانند چرا که حمد و سپاس الهی برنامه همه صاحبان عقل و فکر و همه خاصان و مقربان است.

«پایان سوره زمر»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۵۱

سوره مؤمن «غافر» [۴۰] ص: ۲۵۱

اشاره

این سوره در «مکه» نازل شده و ۸۵ آیه است

محتوای سوره: ص: ۲۵۱

سوره مؤمن نخستین سوره از «حوامیم» (۱) است. و محتوای آن را می توان در شش بخش خلاصه کرد:

بخش اول: توجهی است به خداوند و قسمتی از اسماء حسناى او، مخصوصاً آنچه خوف و رجاء را در دلها بر می انگیزد.

بخش دوم: تهدیدهایی است نسبت به کافران جبار پیرامون عذابهای این جهان، و عذابهای قیامت با ذکر خصوصیات و جزئیات آن.

بخش سوم: پس از مطرح کردن داستان موسی (ع) و فرعون سخن را به مؤمن آل فرعون سوق می دهد و بخش وسیعی از سوره را به شرح گفتگوهای این مرد هوشمند شجاع با فرعونیان اختصاص می دهد.

بخش چهارم: مسأله توحید و شرک را که مهمترین مسأله زندگی انسان است به میان آورده، و قسمتی از نشانه های توحید و دلائل بطلان شرک را مطرح می کند.

بخش پنجم: ضمن دعوت پیامبر به صبر و شکیبایی خلاصه ای از آنچه در بخشهای دیگر این سوره گذشت و ذکر گوشه ای از نعمتهای الهی، سوره را پایان می دهد.

(۱) حوامیم هفت سوره از قرآن است که با «حم» شروع می‌شود و پشت سر هم قرار گرفته و همه از سوره‌های مکی است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۵۲

نامگذاری سوره به «مؤمن» به خاطر بخشی است که در باره مؤمن آل فرعون بیان می‌کند، همان طور که نامگذاری آن به «غافر» به خاطر آغاز سومین آیه آن است.

فضیلت تلاوت سوره: ص: ۲۵۲

از پیامبر صلی الله علیه و اله نقل شده که فرمود: «الحوامیم تاج القرآن سوره‌های (هفتگانه) حم تاج قرآن است!» و در حدیثی از امام صادق علیه السلام می‌خوانیم: «سوره‌های حوامیم گلهای قرآن است، خدا را سپاس گوئید و با حفظ و تلاوت این سوره‌ها او را شکر گذارید، هر بنده‌ای که از خواب برخیزد و سوره‌های حوامیم بخواند از دهانش (در قیامت) بوی عطر دل انگیزی بهتر از مشک و عنبر خارج می‌شود، و خداوند خواننده این سوره‌ها را رحمت می‌کند و نیز همسایگان و دوستان و آشنایان و تمام یاران نزدیک و دور او را مشمول رحمت خویش قرار می‌دهد، و در قیامت عرش و کرسی و فرشتگان مقرب خدا برای او استغفار می‌کنند».

روشن است این فضائل بزرگ پیوندی با آن محتوای برجسته دارد، محتوایی که هر گاه در زندگی انسان در بعد «اعتقادی» و «عملی» او پیاده شود بدون شک مستحق این فضائل عظیم است، و اگر در این روایات سخن از تلاوت به میان آمده، منظور تلاوتی است که مقدمه‌ای برای ایمان و عمل باشد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره غافر (۴۰): آیه ۱ ص: ۲۵۲

(آیه ۱) - در آغاز این سوره نیز به «حروف مقطعه» برخورد می‌کنیم که در اینجا از نوع تازه‌ای از آن است: «ح-ا-میم» (حم). در بعضی از روایات دو حرف آغاز این سوره به نامهای خدا که با این دو حرف آغاز می‌شود تفسیر شده است، چنانکه در حدیثی از امام صادق علیه السلام به «حمید» و «مجید» تفسیر گردیده است. بعضی نیز «ح» را به نامهایی مانند «حمید» و «حلم» و «حنان» و «م» را به نامهایی مانند «ملک» و «مالک» و «مجید» تفسیر کرده‌اند.

این احتمال نیز وجود دارد که «ح» اشاره به «حاکمیت» و «م» اشاره به برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۵۳ «مالکیت خداوند» بوده باشد.

روشن است که این تفسیرها با هم منافاتی ندارد و ممکن است همه در معنی آیه جمع باشد.

سوره غافر (۴۰): آیه ۲ ص: ۲۵۳

(آیه ۲) - اوصافی امید بخش! در این آیه - همان گونه که روش قرآن است - بعد از ذکر «حروف مقطعه» سخن از عظمت مقام «قرآن» به میان می‌آورد، اشاره به این که این کتاب با این همه عظمت از حروف ساده الفبا ترکیب یافته، بنائی چنان عظیم از مصالحی چنین کوچک، و این خود دلیل بر اعجاز آن است.

می‌فرماید: «این کتابی است که از سوی خداوند قادر و دانا نازل شده است» (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ). عزت و قدرتش موجب شده که احدی نتواند با آن برابری کند، و علمش سبب گردیده که محتوای آن در اعلی درجه کمال، و فراگیر همه نیازهای انسانها در طریق تکامل باشد.

سوره غافر (۴۰): آیه ۳ ص: ۲۵۳

(آیه ۳) - این آیه خدا را به پنج وصف دیگر از صفات بزرگش که بعضی امید آفرین و بعضی خوف آفرین است توصیف کرده، می‌گوید: «خداوندی که آمرزنده گناه» است (غَافِرِ الذَّنْبِ).
«و پذیرنده توبه» (وَ قَابِلِ التَّوْبِ).
«دارای مجازات سخت» (شَدِيدِ الْعِقَابِ).
«و صاحب نعمت فراوان» است (ذِي الطَّوْلِ).
«هیچ معبودی جز او نیست» (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ).
«و بازگشت (همه شما) به سوی اوست» (إِلَيْهِ الْمَصِيرُ).
آری! کسی که واجد این اوصاف است فقط او شایسته عبودیت و مالک پاداش و کیفر است.

سوره غافر (۴۰): آیه ۴ ص: ۲۵۳

(آیه ۴) - بعد از ذکر نزول قرآن از سوی خداوند و توصیف او به صفاتی که انگیزه خوف و رجا است سخن از گروهی به میان می‌آورد که در برابر این آیات الهی به مجادله و پرخاشگری بر می‌خیزند، و سرنوشت این گروه را ضمن جمله‌هایی برگزیده تفسیر نموده، ج ۴، ص: ۲۵۴
کوتاه و کوبنده روشن ساخته، می‌فرماید: «تنها کسانی در آیات الهی مجادله می‌کنند که (از روی عناد) کافر شده‌اند» (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا).
درست است که این گروه احیانا نیرو و جمعیت و قدرتی دارند، ولی «مبادا رفت و آمدهای آنان در شهرها (و قدرت نمایی‌شان) تو را بفریبد!» (فَلَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ).
هدف آیه فوق این است که به پیامبر صلی الله علیه و اله و مؤمنان آغاز اسلام که غالبا از قشر محروم بودند گوشزد کند مبادا امکانات مالی، و قدرت سیاسی و اجتماعی کافران جبار را دلیلی بر حقانیت، و یا قدرت واقعی آنها بدانند، دنیا این گونه اشخاص را زیاد به خاطر دارد، و تاریخ نشان می‌دهد که تا چه اندازه در برابر مجازاتهای الهی ضعیف و ناتوان بودند، همانند برگهای پژمرده پائیزی در برابر تندباد خزان.

سوره غافر (۴۰): آیه ۵ ص: ۲۵۴

(آیه ۵) - لذا در این آیه سرنوشت بعضی از اقوام گمراه و سرکش پیشین را در عباراتی کوتاه و کوبنده به این گونه بیان می‌کند: «پیش از آنها قوم نوح و اقوامی که بعد از ایشان بودند (پیامبرانشان را) تکذیب کردند» (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ).

آری! آنها احزابی بودند که دست به دست هم دادند و به تکذیب پیامبران الهی که دعوتشان با منافع نامشروع و هوی و هوسهای آنها هماهنگ نبود برخاستند.

سپس می‌افزاید: به این مقدار نیز قناعت نکردند «و هر امتی در پی آن بود که توطئه کند و پیامبرش را بگیرد» و آزار دهد (وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ).

باز به این هم اکتفا نکردند «و برای محو حق به مجادله باطل دست زدند» و برای گمراه ساختن مردم اصرار ورزیدند (وَ جَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ).

اما این امور برای همیشه ادامه نیافت و به موقع «من آنها را گرفتم (و سخت مجازات کردم) بین که مجازات من چگونه بود؟! (فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ).

ویرانه‌های شهرهای آنها در مسیر مسافرت‌های شما به چشم می‌خورد، و سرنوشت شوم و عاقبت سیاه و تاریکشان بر صفحات تاریخ و سینه‌های برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۵۵ صاحب دلان ثبت است، بنگرید و عبرت بگیرید.

سوره غافر (۴۰): آیه ۶ ص: ۲۵۵

(آیه ۶) - این آیه علاوه بر مجازات دنیوی، به مجازات آنها در سرای دیگر اشاره کرده، می‌گوید: «و این گونه فرمان پروردگارت در باره کسانی که کافر شدند مسلم شده که آنها همه اهل آتشند» (وَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ).

ظاهر معنی آیه وسیع و گسترده است و کافران لجوج را از همه اقوام شامل می‌شود، و بدیهی است مسلم شدن فرمان پروردگار در باره این قوم به دنبال گناهان مستمر و اعمال خلافی است که با اراده خود انجام دادند.

سوره غافر (۴۰): آیه ۷ ص: ۲۵۵

(آیه ۷) - حاملان عرش الهی پیوسته به اهل ایمان دعا می‌کنند لحن آیات پیشین نشان می‌داد که این آیات هنگامی نازل شده که مسلمانان در اقلیت و محرومیت بودند، و دشمنان در اوج قدرت.

و به دنبال آن آیات بعد در حقیقت برای این نازل شده که به مؤمنان راستین بشارت دهد که شما هرگز تنها نیستید. می‌فرماید: «فرشتگانی که حاملان عرشند و آنها که در گرداگرد آن (طواف می‌کنند) تسبیح و حمد پروردگارشان را می‌گویند و به او ایمان دارند و برای مؤمنان استغفار می‌کنند» (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا).

گفتار آنها این است که می‌گویند: «پروردگارا! رحمت و علم تو همه چیز را فراگرفته (تو از گناهان بندگانت با خبری و نسبت به آنها رحیمی خداوند!) آنها را که توبه کرده‌اند و راه تو را پیروی می‌کنند بیامرز و آنها را از عذاب دوزخ نگاه دار» (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ).

این آیه از یک سو به مؤمنان می‌گوید تنها شما نیستید که عبادت خداوند می‌کنید، و تسبیح و حمد او را می‌گویند، قبل از شما مقربترین فرشتگان خداوند و حاملان و طواف کنندگان عرش خدا حمد و تسبیحش می‌گویند. برگزیده تفسیر نمونه،

از سوی دیگر به کفار هشدار می‌دهد که ایمان آوردن یا نیاوردن شما مهم نیست، خدا نیازی به ایمان کسی ندارد. و از سوی سوم به مؤمنان آگاهی می‌دهد که شما در این جهان تنها نیستید- هر چند در محیط زندگی خود در اقلیت باشید- نیرومندترین قدرتهای غیبی عالم پشتیبان شما و دعاگوی شما هستند.

سوره غافر (۴۰): آیه ۸ ص: ۲۵۶

(آیه ۸)- در این آیه در ادامه دعاهای حاملان عرش در باره مؤمنان می‌افزاید: «پروردگارا! آنها را در باغهای جاویدان بهشت که به آنها وعده فرموده‌ای وارد کن» (رَبَّنَا وَادْخُلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ).
«و همچنین از پدران و همسران و فرزندانشان هر کدام که صالح بودند» (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ أَزْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ).
چرا «که تو توانا و حکیمی» (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).
وعده الهی که در این آیات به آن اشاره شده همان وعده‌ای است که بارها خداوند به وسیله پیامبران به مردم داده است. تقسیم مؤمنان به دو گروه بیانگر این واقعیت است که گروهی در ردیف اول قرار دارند، و در پیروی اوامر خداوند کاملاً کوشا هستند، اما گروه دیگری در این حد نیستند امام به خاطر پیروی نسبی از گروه اول و انتسابشان به آنها نیز مشمول دعای فرشتگانند.

سوره غافر (۴۰): آیه ۹ ص: ۲۵۶

(آیه ۹)- سپس آنها در چهارمین دعایشان در حق مؤمنان چنین می‌گویند:
«و آنها را از بدیها نگاهدار که هر کس را در آن روز از بدیها نگاهداری مشمول رحمت ساخته‌ای» (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ).
و بالأخره دعای خود را با این جمله پر معنی پایان می‌دهند: «و این است همان رستگاری عظیم» (و ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).
چه فوز و نجاتی از این برتر که گناهان انسان بخشوده شود، عذاب و بدیها از او دور گردد، مشمول رحمت الهی شود، و در بهشت جاویدانش قدم بگذارد و بستگان مورد علاقه‌اش نیز به او ملحق گردند.
برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۵۷

سوره غافر (۴۰): آیه ۱۰ ص: ۲۵۷

(آیه ۱۰)- ما به گناه خود معترفیم آیا راه جبرانی هست؟
در آیات گذشته سخن از شمول «رحمت» الهی نسبت به مؤمنان بود، و در اینجا سخن از چگونگی «غضب» پروردگار بر افراد بی‌ایمان است، تا با قرینه مقابله هر دو بحث روشنتر گردد.
نخست می‌فرماید: «کسانی را که کافر شدند روز قیامت صدا می‌زنند که عداوت و خشم پروردگار نسبت به شما از عداوت و خشم شما به خودتان بیشتر است چرا که دعوت به سوی ایمان می‌شدید ولی راه کفر را پیش می‌گرفتید» (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِلَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ).

چه کسی آنها را چنین ندا می‌کند؟ ظاهر این است که فرشتگان عذاب برای ملامت و سرزنش و رسوا کردن آنها چنین ندائی سر می‌دهند، در حالی که فرشتگان رحمت همواره آماده اکرام و احترام مردم با ایمان و صالح می‌باشند. منظور از خشم و عداوت کفار نسبت به خودشان این است که آنها بزرگترین دشمنی را در حق خود در دنیا انجام داده‌اند، آیا دشمنی با خویشان از این شدیدتر می‌شود که انسان به خاطر پیروی هوای نفس و بهره‌گیری از متاع چند روزه دنیا راه سعادت جاویدان را به روی خویش ببندد و درهای عذاب ابدی را بگشاید.

سوره غافر (۴۰): آیه ۱۱ ص: ۲۵۷

(آیه ۱۱) - به هر حال مجرمان با مشاهده اوضاع و احوال قیامت و آگاهی بر خشم خداوند نسبت به آنها از خواب غفلت طولانی خویش بیدار می‌شوند و در فکر چاره افتاده «می‌گویند: پروردگارا! ما را دو بار میراندی و دو بار زنده کردی (و ما در این مرگ و حیاتها همه چیز را فهمیدیم) اکنون به گناهان خود اعتراف می‌کنیم، پس آیا راهی برای خارج شدن (از دوزخ و بازگشت به دنیا و جبران ما فات) وجود دارد؟! (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ). آری! در آنجا پرده‌های غرور و غفلت کنار می‌رود، و چشم حقیقت بین انسان باز می‌شود، لذا چاره‌ای جز اعتراف به گناه ندارد. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۵۸

منظور از دو بار میراندن، مرگ در پایان عمر و مرگ در پایان برزخ است، و منظور از دو مرتبه احیا، احیای برزخی و احیای در قیامت است.

به این ترتیب ما یک حیات جسمانی داریم و یک حیات برزخی، در پایان عمر از حیات جسمانی می‌میریم، و در پایان این جهان از حیات برزخی و نیز دارای دو حیات به دنبال این دو مرگ هستیم: حیات برزخی، و حیات روز قیامت.

سوره غافر (۴۰): آیه ۱۲ ص: ۲۵۸

(آیه ۱۲) - اما ناگفته پیداست که پاسخ این تقاضای کافران که از دوزخ بیرون آیند و به دنیا برگردند تا به گمان خود گذشته تاریک را جبران نمایند منفی است و منفی بودن آن به قدری روشن است که حتی در آیات مورد بحث سخنی از آن به میان نیامده، تنها در این آیه مطلبی ذکر می‌کند که به منزله دلیل آن است، می‌فرماید:

«این به خاطر آن است که وقتی خداوند به یگانگی خوانده می‌شد انکار می‌کردید و اگر برای او همتایی می‌پنداشتند ایمان می‌آوردید» (ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَ إِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا).

آری! هر جا سخن از توحید و پاکی و تقوا و فرمان حق بود چهره درهم می‌کشیدید، و هر جا از کفر و نفاق و شرک و آلودگی سخن به میان می‌آمد خوشحال و شادان می‌شدید، و به همین دلیل سرنوشتی غیر از این ندارید.

در پایان آیه برای آن که این تاریک‌دلان مشرک را برای همیشه مأیوس کند، می‌فرماید: «اکنون داوری مخصوص خداوند بلند مرتبه و بزرگ است» و شما را مطابق عدل خود کیفر می‌دهد (فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ).

جز او قاضی و دادخواه و دادرسی در این محکمه نیست، و چون او «علی» و «کبیر» است نه مغلوب کسی می‌گردد، نه توصیه‌ای در او مؤثر می‌شود، و هیچ راه فراری در برابر حکمش وجود ندارد.

سوره غافر (۴۰): آیه ۱۳ ص: ۲۵۸

(آیه ۱۳) - تنها خدا را بخوانید هر چند کافران نپسندند این آیه و دو آیه بعد استدلالی است بر توحید و وحدانیت خداوند و ربوبیت او، و نفی شرک و بت پرستی.

نخست می گوید: «او کسی است که آیاتش را به شما نشان می دهد» (هُوَ بِرِغَزِيده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۵۹) **الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ**

همان آیات و نشانه های آفاقی و انفسی که تمام عالم هستی را پر کرده است.

سپس به بیان یکی از این آیات پرداخته، می افزاید: «او از آسمان برای شما روزی (پر ارزشی) می فرستد» (وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا).

دانه های حیات بخش باران، نور آفتاب که زنده کننده تمام موجودات است، و هوایی که مایه حیات همه حیوانات و گیاهان می باشد همه از آسمان نازل می شود.

و در پایان آیه می افزاید: با وجود این همه آیات در پهنه جهان هستی چشمهای نابینا و قلبی که حجاب بر آنها افکنده شده چیزی نمی بینند «تنها کسانی متذکر می شوند که به سوی خدا باز گردند» و قلب و جان خود را از آلودگیها بشویند. (وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۱۴ ص: ۲۵۹

(آیه ۱۴) - در این آیه چنین نتیجه گیری می کند: «اکنون (که چنین است) خدا را بخوانید و دین خود را برای او خالص کنید» (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ).

برخیزید و با تیشه ایمان به جان بتهای مشرکان بیفتید، و همه را از صفحه فکر و فرهنگ و اجتماع خود محو کنید.

البته این کار شما کافران لجوج و متعصب را سخت ناراحت می کند ولی ترس و هراسی به خود راه ندهید، آئین خود را خالص کنید «هر چند کافران ناخشنود باشند» (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۱۵ ص: ۲۵۹

(آیه ۱۵) - این آیه خدا را با چند وصف مهم از اوصافش توصیف کرده، می گوید: «او درجات (بندگان صالح) را بالا می برد» (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ).

او در علمش بلند مرتبه است، و در قدرتش نیز بلند مرتبه، تمام اوصاف کمال و جمالش آن قدر مرتفع و بالاست که همای بلند پرواز و دانش بشری هرگز به اوج آن نمی رسد.

سپس می افزاید: «او صاحب عرش است» (ذُو الْعَرْشِ).

سر تا سر عالم هستی تحت قدرت و حکومت اوست. بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۶۰

در سومین توصیف می گوید: «روح (مقدس) را به فرمانش بر هر کسی از بندگان که بخواهد القاء می کند» (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ).

این روح همان قرآن و مقام نبوت و وحی است که مایه حیات دلها و همانند روح در پیکر انسانی است. جالب این که در آیات پیشین سخن از نزول باران و ارزاق جسمانی در میان بود و در اینجا سخن از نزول وحی و رزق روحانی است.

اکنون بینیم هدف از القای «روح القدس» بر پیامبران چیست؟ و آنها این راه پر نشیب و فراز و طولانی و پر مشقت را برای چه هدفی تعقیب می کنند؟

در آخرین جمله آیه به این سؤال پاسخ داده شده، می گوید: «هدف این است «تا (مردم را) از روز ملاقات [روز رستاخیز] بیم دهد!» (لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ).

روزی که بندگان با پروردگارش از طریق شهود باطنی ملاقات می کنند.

روزی که گذشتگان و آیندگان همه با هم تلاقی دارند.

روز ملاقات پیشوایان حق و باطل با پیروانشان.

روز لقای مستضعفین و مستکبرین و ملاقات ظالم و مظلوم.

روز دیدار انسانها و فرشتگان.

و بالأخره روز تلاقی انسان با اعمال و گفتار و کردارش و با دادگاه عدل خداوند.

سوره غافر (۴۰): آیه ۱۶ ص: ۲۶۰

(آیه ۱۶) - روز تلاقی! این آیه و چند آیه بعد از آن توضیح و تفسیری است برای «یوم التلاق» که از نامهای قیامت است، و در آیه قبل به آن اشاره شد.

نخست می فرماید: روز تلاقی «روزی که همه آنان آشکار می شوند» (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ). و تمام پرده ها و حجابها کنار می رود و اسرار درون همگان آشکار می گردد.

در دومین توصیف از آن روز می افزاید: «چیزی از مردم بر خدا پنهان نخواهد ماند» (لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ).

در این جهان و امروز نیز چیزی بر خداوند عالم و قادر مخفی نیست، ولی برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۶۱ ظهور اشیاء در آن روز از تأکید بیشتری برخوردار است، جایی که دیگران نیز از اسرار هم آگاه شوند در مورد خداوند مسأله نیاز به بحث و گفتگو ندارد.

سومین ویژگی آن روز حاکمیت مطلقه پروردگار است، چنانکه در دنباله آیه می فرماید: در آن روز گفته می شود: «حکومت امروز برای کیست»؟ (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ).

و در پاسخ می گویند: «برای خداوند یکتای قهار است» (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ).

این سؤال و جواب از سوی فرد خاصی عنوان نمی شود سؤالی است که از سوی خالق و مخلوق، فرشته و انسان، مؤمن و کافر و از تمام ذرات وجود و در دیوار عالم هستی بدون استثنا مطرح است، و همگی نیز با زبان حال به آن پاسخ می گویند، یعنی به هر جا بنگری آثار حاکمیت او نمایان است و بر هر چه نگاه کنی نشانه های قاهریت او در آن ظاهر است.

به زمزمه هر ذره ای گوش فرادهی «لمن الملك» می گوید، و در پاسخ «لله الواحد القهار» از آن می شنوی.

سوره غافر (۴۰): آیه ۱۷ ص: ۲۶۱

(آیه ۱۷) - ویژگی چهارم آن روز این است که روز پاداش و کیفر است، چنانکه در آیه شریفه می‌فرماید: «امروز هر کسی در برابر کاری که انجام داده جزا داده می‌شود» (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ).

آری! آن ظهور و بروز و آن احاطه علمی خداوند و حاکمیت و مالکیت و قهاریت او همه دلیلی است روشن بر این حقیقت بزرگ و امید بخش و بیم آفرین.

ویژگی پنجم همان است که در جمله بعد می‌افزاید: «امروز هیچ ظلم و ستمی (بر هیچ کس) نخواهد بود» (لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ). چگونه ممکن است ظلم و ستمی تحقق یابد در حالی که ظلم یا به خاطر جهل است که او بر همه چیز احاطه علمی دارد. یا به خاطر عجز است که او قاهر و مالک و حاکم بر همه چیز است.

ششمین و آخرین ویژگی سرعت محاسبه اعمال بندگان است، چنانکه در پایان آیه می‌فرماید: «خداوند سریع الحساب است» (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۶۲

سرعت حسابش در آنجا به قدری است که در حدیث آمده است: «خداوند حساب همه بندگان را در یک چشم بر هم زدن می‌رسد»

سوره غافر (۴۰): آیه ۱۸ ص: ۲۶۲

(آیه ۱۸) - روزی که جانها به لب می‌رسد! این آیه همچنان ادامه توصیف قیامت است.

نخست می‌گوید: «آنها را از روز نزدیک بترسان» (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ).

اگر درست بنگریم مجموعه عمر دنیا در برابر عمر قیامت لحظه زود گذری بیش نیست، و چون هیچ تاریخی از سوی خداوند برای آن به کسی حتی به پیامبران اعلام نشده است باید همیشه آماده استقبال از آن بود.

دومین توصیف این که: «در آن روز (از شدت هول و ترس) دلها به گلوگاه می‌رسد!» (إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ).

در توصیف سوم می‌گوید: «تمامی وجود آنها مملو از اندوه می‌گردد» اما توانایی اظهار آن را ندارند (كَاطْمِينَ).

اگر انسان گرفتار اندوه و غم جانکاهی شود اما بتواند فریاد کند ممکن است کمی آرام گیرد، اما افسوس که در آنجا حتی جای فریاد و نعره زدن نیست، آنجا پیشگاه داوری حق و محضر عدل پروردگار، و حضور جمیع خلائق است، فریاد چه سودی دارد؟! چهارمین توصیف این که: «برای ستمکاران دوستی وجود ندارد» (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ).

آن گروه از دغل دوستان که همچون مگسان گرد شیرینی به هنگام قدرت اطراف آنها را گرفته بودند، همه گرفتار کار خویشند، و به دیگری نمی‌پردازند، آری در آن روز نه دوستی برای انسان وجود دارد و نه غمخواری برای درد دل کردن.

در پنجمین توصیف می‌فرماید: «و نه شفاعت کننده‌ای که شفاعتش پذیرفته شود» (وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ).

چرا که شفاعت شافعان راستین مانند انبیا و اولیاء نیز به اذن پروردگار است، و به این ترتیب قلم بطلان بر پندار بت پرستان می‌کشد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۶۳

سوره غافر (۴۰): آیه ۱۹ ص: ۲۶۳

(آیه ۱۹) - در ششمین مرحله یکی از اوصاف خدا را بیان می‌کند که در ضمن توصیفی برای چگونگی قیامت است، می‌گوید:

«خدا چشمهایی را که به خیانت گردش می‌کند می‌داند، و آنچه را در سینه‌ها پنهان می‌دارند» می‌داند (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ).

آری! خدائی که از حرکات مخفیانه چشمها و اسرار درون سینه‌ها آگاه است در آن روز در باره خلائق دادرسی و قضاوت می‌کند.

سوره غافر (۴۰): آیه ۲۰ ص: ۲۶۳

(آیه ۲۰) - در هفتمین توصیف از قیامت که آن نیز به صورت توصیف خداوند مطرح شده، می‌فرماید: «خداوند به حق داوری می‌کند» (وَ اللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ).

«و معبودهایی را که غیر از او می‌خوانند هیچ گونه داوری ندارند» (وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ).

آری! آن روز مقام داوری مخصوص به خداست، و او هم جز به حق داوری نمی‌کند.

سر انجام به عنوان تأکید بر آنچه در این آیات گذشت سخن را با این جمله پایان می‌دهد: «خداوند شنوا و بیناست» (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

بلکه بینائی و شنوائی به معنی واقعی کلمه، یعنی حضور همه مسموعات و مبصرات و تمام شنیدنیها و دیدنیها نزد او منحصر به ذات پاک خداست، و این تأکیدی است بر علم و آگاهی او بر همه چیز، و داوری او به حق چرا که تا کسی سمیع و بصیر مطلق نباشد داور حق نخواهد بود.

سوره غافر (۴۰): آیه ۲۱ ص: ۲۶۳

(آیه ۲۱) - عاقبت دردناک پیشینیان ستمگر را بنگرید! از آنجا که روش قرآن در بسیاری از آیات این است که بعد از ذکر کلیات در مورد مسائل حساس و اصولی آن را با مسائل جزئی و محسوس می‌آمیزد، در اینجا نیز بعد از گفتگوهای گذشته پیرامون مبدأ و معاد مردم را به مطالعه حالات پیشینیان و از جمله وضع فرعون و فرعونیان دعوت می‌کند.

نخست می‌فرماید: «آیا آنها روی زمین سیر نکردند تا ببینند عاقبت کسانی که برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۶۴

پیش از آنان بودند چگونه بود؟» (أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ).

این تاریخ مدون نیست که در اصالت و صحت آن تردید شود، این تاریخ زنده‌ای است که با زبان بی‌زبانی فریاد می‌کشد، و تاریخ واقعی را بی‌کم و کاست شرح می‌دهد.

سپس می‌افزاید: «آنها کسانی بودند که در قوت و قدرت و به وجود آوردن آثار مهمی در زمین از اینها نیرومندتر بودند» (كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثَارًا فِي الْأَرْضِ).

آن چنان حکومت قوی و لشکریان عظیم و تمدن مادی درخشان داشتند که زندگی مشرکان مکه در برابر آنها بازیچه‌ای بیش نیست! و در پایان آیه سرنوشت این اقوام سرکش را در یک جمله کوتاه چنین بازگو می‌کند: «ولی خداوند آنها را به

گناهانشان گرفت و در برابر عذاب او مدافعی نداشتند!» (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ).

نه کثرت نفرات آنها مانع از عذاب الهی شد، و نه قدرت و شوکت و مال و ثروت بی‌حسابشان.

سوره غافر (۴۰): آیه ۲۲ ص: ۲۶۴

(آیه ۲۲) - در این آیه آنچه را بطور اجمال قبلا گفته است شرح داده، می‌فرماید: «این (مجازات دردناک الهی) بخاطر این بود که فرستادگان آنها پیوسته با دلائل روشن به سراغشان می‌آمدند و آنها همه را انکار می‌کردند» (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا).

چنان نبود که آنها غافل و بی‌خبر باشند، و یا کفر و گناهشان ناشی از عدم اتمام حجت گردد، نه رسولان آنها پی در پی می‌آمدند اما آنها هرگز در برابر اوامر الهی تسلیم نشدند.

«اینجا بود که خداوند آنها را گرفت و کیفر داد» (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ).

«زیرا او قوی و مجازاتش شدید است» (إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ).

در جای رحمت «ارحم الراحمین» است، و در جای خشم و غضب برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۶۵
«أشد المعاقبين»

سوره غافر (۴۰): آیه ۲۳ ص: ۲۶۵

(آیه ۲۳) - به دنبال اشاره‌ای که در آیات قبل پیرامون سرنوشت دردناک اقوام پیشین آمده بود در اینجا به شرح یکی از این ماجراها پرداخته، و انگشت روی داستان موسی و فرعون و هامان و قارون می‌گذارد.

نخست می‌فرماید: «ما موسی را با آیات خود و دلیل روشن فرستادیم ...»

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ).

تعبیر به «آیات» اشاره به «معجزات موسی» و «سلطان مبین» به معنی منطقی نیرومند و دلائل دندان شکنی است که موسی در برابر فرعونیان داشت.

به این ترتیب موسی (ع) مأمور بود به ظلم حاکمان بیدادگر، و شیطنت سیاستمداران خائن، و تعدی ثروتمندان مستکبر پایان دهد و جامعه‌ای بر اساس عدالت و داد از نظر سیاسی و فرهنگی و اقتصادی بسازد.

سوره غافر (۴۰): آیه ۲۴ ص: ۲۶۵

(آیه ۲۴) - آری! ما موسی را فرستادیم «به سوی فرعون و هامان و قارون، اما آنها گفتند: او ساحری بسیار دروغگوست!» (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ قَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۲۵ ص: ۲۶۵

(آیه ۲۵) - این آیه بخشی از طرحهای شیطانی آنها را بازگو کرده، می‌گوید:

«پس هنگامی که حق از نزد ما به سراغ آنها آمد (به جای این که آن را مغتتم بشمرند به مقابله برخاستند، و) گفتند: پسران کسانی را که با موسی ایمان آورده‌اند به قتل برسانید، و زنانشان را (برای اسارت و خدمت) زنده بگذارید!» (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ اسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ).

این تعبیر نشان می‌دهد که مسأله قتل فرزندان پسر و زنده نگهداشتن دختران تنها در دوران قبل از تولد موسی (ع) نبوده، بلکه بعد از قیام و نبوت او نیز این کار تکرار شد.

و این یک نقشه شوم و مستمر حکومت‌های شیطانی است که نیروهای فعال را به نابودی می‌کشانند و نیروهای غیر فعال را برای بهره‌کشی زنده نگه می‌دارند.

قرآن در پایان آیه می‌افزاید: «اما نقشه کافران جز در گمراهی نیست» (وَ مَا كَيْدُ بَرِّكَانَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) ص: ۲۶۶

تیرهایی است که در تاریکی جهل و ضلال پرتاب می‌کنند و به سنگ می‌خورند. و از آنجایی که هرگز باور ندارند، فاجعه‌ها دامنگیرشان می‌شود، این مشیت الهی است که نیروهای حق سرانجام بر نیروی باطل غلبه کنند.

سوره غافر (۴۰): آیه ۲۶..... ص: ۲۶۶

(آیه ۲۶) - درگیری و نزاع میان موسی (ع) و پیروانش از یک سو، و فرعون و طرفدارانش از سوی دیگر بالا گرفت. قرآن می‌گوید: «فرعون گفت: بگذارید موسی را بکشم و او پروردگارش را بخواند» تا نجاتش دهد! (وَ قَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ).

از این تعبیر استفاده می‌شود که اکثریت مشاوران که مانع قتل موسی بودند یا لا-اقل بعضی از آنان به این امر استدلال می‌کردند که با توجه به کارهای خارق العاده موسی ممکن است نفرینی کند و خدایش عذاب بر ما نازل کند، اما فرعون مغرور می‌گوید: من او را می‌کشم هر آنچه بادا باد! سپس فرعون برای توجیه تصمیم قتل موسی دو دلیل برای اطرافیانش؟ می‌کند: یکی جنبه به اصطلاح دینی و معنوی دارد، و دیگر جنبه دنیوی و مادی می‌گوید: «من از این می‌ترسم که آیین شما را عوض کند!» و دین نیاکانتان را بر هم زند! (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ). «یا این که فساد بر روی زمین آشکار سازد» (أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ).

و اگر امروز سکوت کنم و بعد از مدتی اقدام به مبارزه با موسی نمایم هواخواهان بسیاری پیدا می‌کند و درگیری شدیدی به وجود می‌آید که مایه خونریزی و فساد و ناآرامی در سطح کشور خواهد بود، بنابر این مصلحت این است که هر چه زودتر او را به قتل برسانم.

سوره غافر (۴۰): آیه ۲۷..... ص: ۲۶۶

(آیه ۲۷) - اکنون ببینیم موسی (ع) که ظاهراً در آن مجلس حضور داشت چه عکس‌العملی نشان داد؟ آیه شریفه می‌گوید: «موسی گفت: من به پروردگارم و پروردگارش شما پناه می‌برم از هر متکبری که به روز حساب ایمان نمی‌آورد!» (وَ قَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ) ص: ۲۶۷

این گفتار موسی (ع) به خوبی نشان می‌دهد افرادی که دارای دو ویژگی «تکبر» و «عدم ایمان به روز قیامت» باشند آدم‌های خطرناکی محسوب می‌شوند.

و باید از چنین افرادی به خدا پناه برد!

(آیه ۲۸) - آیا کسی را به خاطر دعوت به سوی خدا می کشند؟

از اینجا فراز دیگری از تاریخ موسی (ع) و فرعون شروع می شود که در قرآن مجید تنها در این سوره مطرح شده است و آن داستان «مؤمن آل فرعون» است، که از نزدیکان فرعون بود دعوت موسی (ع) را به توحید پذیرفت ولی ایمان خود را آشکار نمی کرد، هنگامی که مشاهده کرد با خشم شدید فرعون جان موسی (ع) به خطر افتاده مردانه قدم پیش نهاد و با بیانات مؤثر خود توطئه قتل او را بر هم زد.

چنانکه آیه می فرماید: «و مرد مؤمنی از آل فرعون که ایمان خود را کتمان می کرد گفت: آیا می خواهید مردی را بکشید به خاطر این که می گوید: پروردگار من الله است؟! (وَ قَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ).»

«در حالی که معجزات و دلایل روشنی از سوی پروردگارتان با خود آورده است» (وَ قَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ).

آیا شما می توانید معجزات او را مانند معجزه «عصا» و «ید بیضا» انکار کنید؟

خوب فکر کنید، دست به کار عجولانه و شتاب زده ای نزنید، و در عاقبت کار خود درست بیندیشید و گرنه پشیمان خواهید شد.

از همه اینها گذشته از دو حال خارج نیست: «اگر او دروغگو باشد دروغش دامن خودش را خواهد گرفت، و اگر راستگو باشد لا اقل بعضی از عذابهایی را که وعده می دهد دامن شما را خواهد گرفت» (وَ إِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ).

سپس افزود: «خداوند کسی را که اسرافکار و بسیار دروغگوست هدایت برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۶۸

نمی کند» (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ).

اگر موسی راه تجاوز و اسراف و دروغ را پیش گرفته باشد مسلماً مشمول هدایت الهی نخواهد شد، و اگر شما چنین باشید شما نیز از هدایتش محروم خواهید گشت.

(آیه ۲۹) - مؤمن آل فرعون به این مقدار هم قناعت نکرد و باز ادامه داد، با لحنی دوستانه و خیرخواهانه آنها را مخاطب ساخته، چنین گفت: «ای قوم من! امروز حکومت (در این سرزمین پهناور مصر) از آن شماست، و از هر نظر غالب و پیروزید (این نعمتهای فراوان را کفران نکنید) اگر عذاب الهی به سراغ ما آید چه کسی ما را یاری خواهد کرد؟! (يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا).

این سخنان ظاهراً در «اطرافیان فرعون» بی اثر نبود، آنها را ملایم ساخت، و از خشمشان فرو کاست.

ولی «فرعون گفت: من جز آنچه را معتقدم به شما ارائه نمی دهم» (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى .

«و (بدانید) شما را جز به راه صحیح راهنمایی نمی کنم» دستور همان قتل موسی است (وَ مَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ).

و چنین است حال همه جباران و طاغوتها در طول تاریخ، و در گذشته و امروز که همیشه رأی صواب را رأی خود می پندارند.

سوره غافر (۴۰): آیه ۳۰ ص: ۲۶۸

(آیه ۳۰) - من به شما اخطار می‌کنم! مردم مصر به حکم این که در آن زمان نیز نسبتاً متمدن و با سواد بودند گفتگوهایی مورخان را در باره اقوام پیشین، اقوامی همچون قوم نوح و عاد و ثمود که سرزمین آنها غالباً فاصله زیادی از آنها نداشت شنیده بودند، و از سرنوشت دردناک آنها کم و بیش خبر داشتند.

لذا مؤمن آل فرعون بعد از آن که با نقشه قتل موسی به مخالفت پرداخت و با مقاومت سر سخنان فرعون رو برو شد که دستور قبل را مجدداً تأیید کرد به این فکر افتاد که این بار دست این قوم سرکش را گرفته و به اعماق تاریخ پیشینیان ببرد، شاید برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۶۹

بیدار شوند و در تصمیم خود تجدید نظر کنند. آیه می‌گوید: «آن مرد با ایمان گفت:

ای قوم من! من بر شما از روزی همانند روز (عذاب) اقوام پیشین بیمناکم» (وَ قَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَخْرَابِ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۳۱ ص: ۲۶۹

(آیه ۳۱) - سپس به شرح این سخن پرداخت و گفت: «و از عادت‌های همچون عادت قوم نوح و عاد و ثمود و کسانی که بعد از آنها بودند» از شرک و کفر و طغیان بیمناکم (مِثْلَ ذَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ). آیا دلیلی دارید که این گونه عذابهای الهی دامانتان را نخواهد گرفت؟ مگر آنها چه کرده بودند که آن چنان گرفتار شدند؟ جز این که در برابر دعوت پیامبران الهی ایستادند و گاهی پیامبران را کشتند، و یا تکذیب کردند؟ ولی بدانید هر چه بر سر شما آید از ناحیه خود شماست «چرا که خداوند ظلم و ستمی بر بندگانش نمی‌خواهد» (وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۳۲ ص: ۲۶۹

(آیه ۳۲) - سپس افزود: «ای قوم! من بر شما از روزی می‌ترسم که مردم یکدیگر را صدا می‌زنند» از هم یاری می‌طلبند و صدایشان به جایی نمی‌رسد! (وَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ). «یوم التناد» مفهومی «روز ندا دادن یکدیگر» است، و این تعبیر نشانه نهایت عجز و بیچارگی است در زمانی که کارد به استخوان می‌رسد، و افرادی که دستشان از همه جا بریده یکدیگر را صدا می‌کنند و فریادشان به جایی نمی‌رسد. در این جهان نیز «یوم التناد» فراوان است، روزهایی که عذاب الهی نازل می‌شود، بحرانها و حوادث سخت همه را تحت فشار قرار می‌دهد، و پناهگاهی می‌جویند اما پناهگاهی وجود ندارد، و همه فریاد می‌کشند!

سوره غافر (۴۰): آیه ۳۳ ص: ۲۶۹

(آیه ۳۳) - این آیه در تفسیر یوم التناد می‌گوید: «روزی که روی می‌گردانید و فرار می‌کنید، اما هیچ پناهگاه و نگهدارنده‌ای در برابر عذاب الهی برای شما نیست» (يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ).

«آری! کسی را که خدا (بر اثر اعمالش) گمراه ساخته هدایت کننده‌ای برای او نیست» (وَ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ).
برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۷۰

آنها در این دنیا از طریق هدایت گمراه می‌شوند و در حجابی از جهل و ضلالت فرو می‌روند، و در آخرت از طریق بهشت و نعمتهای الهی گمراه خواهند شد.

سوره غافر (۴۰): آیه ۳۴ ص: ۲۷۰

(آیه ۳۴) - متکبران جبار از درک صحیح محرومند: در یک بررسی اجمالی در آیات گذشته و آینده چنین به نظر می‌رسد که «مؤمن آل فرعون» برای نفوذ در قلب تیره فرعون و فرعونیان و زدودن زنگار کبر و کفر از آنها سخنان خود را در پنج شکل و مقطع مطرح کرد:

«مقطع اول» سخنان دو جانبه و احتیاط آمیز و دعوت آن قوم کافر طغیانگر به پرهیز از ضرر محتمل بود.

در «مقطع دوم» آنها را به سیر و مطالعه در احوال اقوام پیشین دعوت می‌کند.

در «مقطع سوم» قسمتی از تاریخ خودشان را متذکر می‌شود، که چندان فاصله از آنها ندارد و آن مسأله نبوت «یوسف» است که از اجداد موسی بود، و طرز برخورد آنها با دعوت او را مطرح می‌کند.

می‌گوید: «و پیش از این، یوسف با دلائل روشن برای هدایت شما آمد» (وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ).

«اما شما همچنان در دعوت او شک و تردید داشتید» (فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ).

نه از این جهت که دعوت او پیچیدگی داشت، و نشانه‌ها و دلائل او کافی نبود، بلکه به خاطر ادامه خود کامگیها، سرسختی نشان دادید.

سپس برای این که خود را از هرگونه تعهد و مسؤولیت خلاص کنید و به خود کامگی و هوسرانی خویش ادامه دهید «تا زمانی که (یوسف) از دنیا رفت گفتید: هرگز خداوند بعد از او رسولی مبعوث نخواهد کرد» (حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قَلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا).

و به خاطر این روش نادرستتان مشمول هدایت الهی نشدید، آری «این گونه خداوند هر اسرافکار تردید کننده و سوسه گر را

گمراه می‌کند» (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ بَرَّكَزِيده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۷۱

هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ)

شما از یک سو راه اسراف و تجاوز از حدود الهی را پیش گرفتید، و از سوی دیگر در همه چیز شک و تردید و سوسه نمودید، و این دو کار سبب شد که خداوند دامنه لطفش را از شما برگیرد، و شما را در وادی ضلالت رها سازد.

سوره غافر (۴۰): آیه ۳۵ ص: ۲۷۱

(آیه ۳۵) - این آیه به معرفی «مصرفان مرتاب» پرداخته، می‌گوید: «همانها که در آیات خدا بی‌آنکه دلیلی برایشان آمده باشد به مجادله بر می‌خیزند» (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ). بی‌آنکه هیچ دلیل روشنی از عقل و نقل برای سخنان خود داشته باشند.

سپس برای نشان دادن زشتی این عمل می‌افزاید: این گونه جدال بی‌اساس در مقابل حق «خشم عظیمی نزد خداوند و نزد آنان

که ایمان آورده‌اند به بار می‌آورد» (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا).

چرا که «جدال به باطل» و موضعگیری بی‌دلیل و بی‌منطق در برابر آیات الهی هم مایه گمراهی مجادله‌کنندگان، و هم اسباب ضلالت دیگران است.

و در پایان آیه به دلیل عدم تسلیم آنها در مقابل حق اشاره کرده، می‌فرماید:

«این گونه خداوند بر دل هر متکبر جبّاری مهر می‌نهد!» (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ).
لجاجتها و عناد در برابر حق پرده‌ای ظلمانی بر فکر انسان می‌اندازد و حس تشخیص را از او می‌گیرد.

سوره غافر (۴۰): آیه ۳۶ ص: ۲۷۱

(آیه ۳۶) - می‌خواهم به آسمان روم تا از خدای موسی خبر گیرم! گر چه سخنان «مؤمن آل فرعون» این اثر را گذاشت که فرعون را از تصمیم قتل موسی بازداشت، ولی نتوانست فرعون را از مرکب غرور پایین آورد.
«فرعون گفت: ای هامان! برای من بنای مرتفعی بساز شاید به وسائلی دست یابم» (وَ قَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۳۷ ص: ۲۷۱

(آیه ۳۷) - «وسائل (صعود به) آسمانها تا از خدای موسی آگاه شوم، هر چند گمان می‌کنم او دروغگو باشد» (أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي بِرَازِيهِ تَفْسِيرِ نُمُونِه، ج ۴، ص: ۲۷۲
لَأُظَنَّهُ كَاذِبًا)

آری «این چنین اعمال بد فرعون در نظرش آراسته جلوه کرد و از راه حق بازداشته شد» (وَ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَ صُدَّ عَنِ السَّبِيلِ).

«اما توطئه و مکر فرعون جز به زیان و نابودی نمی‌انجامد» (وَ مَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ).

ظاهر این است فرعون به عنوان چند هدف دست به چنین کاری زد:

- ۱- او می‌خواست وسیله‌ای برای اشتغال فکری مردم و انصراف ذهن آنها از مسأله نبوت موسی و قیام بنی اسرائیل فراهم آورد.
- ۲- او می‌خواست از این طریق کمک مادی و اقتصادی به توده‌های زحمت‌کش کند، و کاری هرچند موقت برای بی‌کاران فراهم سازد تا کمی مظالم او را فراموش کنند و وابستگی مردم از نظر اقتصادی به خزینه او بیشتر گردد.
- ۳- برنامه این بود که بعد از پایان بنا بر فراز آن رود و نگاهی به آسمان کند و احتمالاً تیری در کمان گذارد و پرتاب کند و باز گردد، و برای تحمیق مردم بگوید:

خدای موسی هر چه بود تمام شد! به سراغ کار خود بروید، و فکرتان راحت باشد!

سوره غافر (۴۰): آیه ۳۸ ص: ۲۷۲

(آیه ۳۸) - از من پیروی کنید تا راه راست را به شما نشان دهم گفتیم «مؤمن آل فرعون» سخنان خود را در چند مقطع بیان کرد، در اینجا چهارمین مقطع از سخنان او آمده که مقصود خود را از طریق دیگری دنبال می‌کند، و آن توجه دادن به

«ناپایداری زندگی دنیا» و «مسأله معاد و حشر و نشر» است و توجه به آنها بدون شک تأثیر عمیقی در تربیت انسانها دارد. نخست می‌گوید: «و کسی که ایمان آورده بود صدا زد: ای قوم من! از من پیروی کنید تا من شما را به راه حق ارشاد کنم» (وَ قَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۳۹ ص: ۲۷۲

(آیه ۳۹) - سپس افزود: «ای قوم من! (به این دنیا دل نبندید که) این زندگی دنیا متاع زود گذری است، و آخرت سرای همیشگی و ابدی شماست» (يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۷۳
گیرم که با هزار مکر و فسون، ما پیروز شویم و حق را پشت سر اندازیم، دست به انواع ظلم و ستم دراز کنیم، و دامن ما به خونهای بی گناهان آغشته شود، مگر عمر ما در این جهان چه اندازه خواهد بود؟

سوره غافر (۴۰): آیه ۴۰ ص: ۲۷۳

(آیه ۴۰) - مسأله تنها فانی بودن این دنیا و باقی بودن سرای آخرت نیست، مهم مسأله حساب و جزاست: «هر کس عمل بدی انجام دهد فقط به اندازه آن به او کیفر داده می‌شود، اما کسی که عمل صالحی انجام دهد - خواه مرد یا زن - در حالی که مؤمن باشد آنان وارد بهشت می‌شوند و روزی بی حسابی به ایشان داده خواهد شد» (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ).
او در این سخنان حساب شده‌اش از یکسو اشاره به عدالت خداوند در مورد مجرمان می‌کند.
و از دیگر سوم اشاره به فضل بی انتهای او که در مقابل یک عمل صالح پاداش بی حساب به مؤمنان داده می‌شود.
و از سوی سوم لزوم توأم بودن ایمان و عمل صالح را یادآور می‌شود.
و از سوی چهارم مساوات مرد و زن در پیشگاه خداوند و در ارزشهای انسانی را مطرح می‌کند.
به هر حال او با این سخن کوتاه خود این واقعیت را بیان می‌کند که متاع این جهان گرچه ناچیز است و ناپایدار، ولی می‌تواند وسیله رسیدن به پاداش بی حساب گردد، چه معامله‌ای از این پرسودتر؟!

سوره غافر (۴۰): آیه ۴۱ ص: ۲۷۳

(آیه ۴۱) - آخرین سخن! در پنجمین و آخرین مرحله، «مؤمن آل فرعون» پرده‌ها را کنار زد، و بیش از آن نتوانست ایمان خود را مکتوم دارد، آنچه گفتنی بود گفت.

از قرائن بر می‌آید که آن قوم لجوج و مغرور متقابلاً از مزایای شرک سخن گفتند، و او را به بت پرستی دعوت نمودند.

لذا او فریاد زد و گفت: «ای قوم! چرا من شما را به سوی نجات دعوت برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۷۴

می‌کنم اما شما مرا به سوی آتش می‌خوانید؟! (وَ يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَ تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ).

من سعادت شما را می‌طلبم، و شما بدبختی مرا، من شما را به شاهراه هدایت می‌خوانم و شما مرا به بیراهه می‌خوانید.

سوره غافر (۴۰): آیه ۴۲ ص: ۲۷۴

(آیه ۴۲) - آری «شما مرا دعوت می کنید که به خدای یگانه کافر شوم و شریک‌هایی که به آن علم ندارم برای او قرار دهم، در حالی که من شما را به سوی خداوند عزیز غفار دعوت می کنم» (تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ أَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ).

تعبیر به «عزیز» و «غفار» از یک سو اشاره به این مبدأ بزرگ بیم و امید است و از سوی دیگر اشاره‌ای به نفی الوهیت بتها و فراعنه که نه عزتی در آنان است و نه عفو و گذشتی!

سوره غافر (۴۰): آیه ۴۳ ص: ۲۷۴

(آیه ۴۳) - سپس افزود: «قطعاً آنچه مرا به سوی آن می خوانید نه دعوتی در دنیا دارد و نه در آخرت» (لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَ لَا فِي الْآخِرَةِ).

این بتها هرگز رسولانی به سوی مردم نفرستاده‌اند تا آنها را به سوی خود دعوت کنند و نه در آخرت می توانند حاکمیت بر چیزی داشته باشند و به همین دلیل، باید بدانید «تنها بازگشت ما در قیامت به سوی خداست» (وَ أَنَّنَا مَرَدُّنَا إِلَى اللَّهِ). اوست که رسولان خود را برای هدایت انسانها فرستاده، و اوست که آنها را در برابر اعمالشان پاداش و کیفر می دهد. و نیز باید بدانید که «اسرافکاران و متجاوزان اهل دوزخند» (وَ أَنَّنَا الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۴۴ ص: ۲۷۴

(آیه ۴۴) - و در آخرین سخنش با تهدیدی پر معنی گفت: «به زودی آنچه را من امروز به شما می گویم به خاطر خواهید آورد» (فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ).

و هنگامی که آتش خشم و غضب الهی دامانتان را در این جهان و آن جهان بگیرد به برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۷۵ صدق گفتار من پی می برید.

اما افسوس که آن زمان دیر است، اگر در آخرت باشد راه بازگشت وجود ندارد، و اگر در دنیا باشد به هنگام نزول عذاب تمام درهای توبه بسته می شود.

سپس افزود: «و من تمام کارهای خود را به خداوند یگانه یکتا واگذار می کنم که او نسبت به بندگانش بیناست» (وَ أَقْوَصُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ).

و به همین دلیل نه از تهدیدهای شما می ترسم، و نه کثرت و قدرت شما و تنهایی من مرا به وحشت می افکند.

سوره غافر (۴۰): آیه ۴۵ ص: ۲۷۵

(آیه ۴۵) - خداوند هم این بنده مؤمن مجاهد را تنها نگذاشت، چنانکه در این آیه می خوانیم: «خداوند او را از نقشه‌های شوم و سوء آنها نگه داشت» (فَوَقَّاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا).

ولی در مقابل «عذابهای شدیدی بر آل فرعون نازل گردید» (وَ حَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۴۶ ص: ۲۷۵

(آیه ۴۶) - عذاب و مجازات الهی هم‌هاش دردناک است، اما تعبیر به «سوء العذاب» در آیه قبل نشان می‌دهد که خداوند عذاب دردناکتری برای این گروه انتخاب فرمود این همان چیزی است که در این آیه به آن اشاره کرده، می‌فرماید: مجازات دردناک آنها «همان آتش است که هر صبح و شام بر آن عرضه می‌شوند» (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا). «و روزی که قیامت بر پا می‌گردد (دستور می‌دهد) آل فرعون را در شدیدترین عذاب وارد کنید» (و يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۴۷ ص: ۲۷۵

(آیه ۴۷) - محاجه ضعفا و مستکبران در دوزخ! از آنجا که مؤمن آل فرعون در پایان سخنانش جمعیت فرعونیان را به مسأله قیامت و عذاب دوزخ توجه داد، قرآن رشته سخن را در همین زمینه به دست گرفته و دنبال می‌کند، و صحنه‌هایی از گفتگوی پرخاشگرانه دوزخیان را در دل آتش منعکس می‌سازد.

نخست می‌فرماید: «به خاطر بیاور هنگامی را که آنها در آتش دوزخ محاجه و گفتگو می‌کنند، پس ضعفا به مستکبران می‌گویند: ما پیروان شما بودیم، آیا اکنون برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۷۶

سهمی از عذاب و نصیبی از آتش دوزخ را به جای ما پذیرا می‌شوید؟» (وَ إِذِ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَلَيْنَا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ).

منظور از «ضعفا» کسانی هستند که علم کافی و استقلال فکری نداشتند، چشم و گوش بسته به دنبال سردمداران کفر حرکت می‌کردند که قرآن از آنها به عنوان مستکبران یاد کرده است.

سوره غافر (۴۰): آیه ۴۸ ص: ۲۷۶

(آیه ۴۸) - به هر حال مستکبران در پاسخ این سخن سکوت نمی‌کنند اما جوابی می‌گویند که از نهایت ضعف و زبونی آنها حکایت دارد، چنانکه در آیه شریفه به آن اشاره کرده، می‌فرماید: «مستکبران می‌گویند: ما همگی در آن (آتش) هستیم زیرا خداوند در میان بندگان به عدالت حکم کرده است!» (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۴۹ ص: ۲۷۶

(آیه ۴۹) - اینجا که دست آنها از هر وسیله‌ای کوتاه می‌شود رو به سوی خازنان دوزخ و مأموران عذاب می‌کنند «و این دوزخیان به خازنان جهنم می‌گویند:

شما از پروردگارتان بخواهید یک روز عذاب را از ما بردارد» (وَ قَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِهِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ).

آنها می‌دانند که مجازات الهی بر طرف شدنی نیست، تنها تقاضایشان این است که یک روز عذاب الهی از آنان برداشته شود یک روز تخفیف بگیرند نفسی تازه کنند، و اندکی بیاسایند، و به همین قانع هستند!

سوره غافر (۴۰): آیه ۵۰ ص: ۲۷۶

(آیه ۵۰) - ولی مراقبان دوزخ «می گویند: آیا پیامبران شما دلائل روشن برایتان نیاوردند؟ و آیا بقدر کافی برای شما اتمام حجت نشد؟ (قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ).
در پاسخ «می گویند: آری» (قَالُوا بَلَى .

خازنان دوزخ به «آنان می گویند: پس هر چه می خواهید (خدا را) بخوانید ولی دعای کافران (به جایی نمی رسد و) جز در ضلالت نیست» (قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۷۷
شما خود معترفید که پیامبران الهی با دلائل روشن آمدند، اما به آنها اعتنا نکردید و کافر شدید، بنابر این هر چه دعا کنید سودی ندارد.

سوره غافر (۴۰): آیه ۵۱ ص: ۲۷۷

(آیه ۵۱) - ما مؤمنان را یاری می دهیم! از آنجا که در آیات پیشین سخن از «مؤمن آل فرعون» آن مرد مجاهد و مبارز کم نظیر و حمایت خداوند از او مطرح بود، در اینجا به عنوان یک قانون کلی حمایت خویش را از پیامبران و مؤمنان در دنیا و آخرت بیان می دارد.

می فرماید: «ما بطور مسلم رسولان خود و کسانی را که ایمان آورده اند در زندگی دنیا و روز قیامت که گواهان بر پا می خیزند یاری می دهیم» (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ).
حمایتی که بی قید و شرط است و به همین جهت انواع پیروزیها را به دنبال دارد، اعم از پیروزی در منطق و بیان، یا پیروزی در جنگها، یا فرستادن عذاب الهی بر مخالفان و نابود کردن آنان و یا امدادهای غیبی که قلب را تقویت و روح را به لطف الهی نیرومند و قوی می سازد.
مقصود از «اشهاد» فرشتگان و پیامبران و مؤمنانند که گواهان اعمال انسانها می باشند.

سوره غافر (۴۰): آیه ۵۲ ص: ۲۷۷

(آیه ۵۲) - اما آن روز روز رسوایی و بدبختی کافران و ظالمان است، چنانکه در این آیه می افزاید: «همان روزی که عذر خواهی ظالمان سودی به حالشان نمی بخشد، و لعنت خدا مخصوص آنهاست، و خانه و جایگاه بد نیز به آنها تعلق دارد» (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۵۳ ص: ۲۷۷

(آیه ۵۳) - سپس قرآن یکی از موارد یاری رسولان و پیروزی آنها را در پرتو حمایت الهی بر دشمنان عنوان کرده، می گوید: «و ما به موسی هدایت بخشیدیم و بنی اسرائیل را وارثان کتاب آسمانی (تورات) قرار دادیم» (وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَ أَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ).

هدایتی که خداوند به موسی ارزانی داشت معنی گسترده ای دارد که هم مقام نبوت و وحی را شامل می شود، و هم کتاب آسمانی یعنی تورات، و هم برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۷۸
هدایتی که در مسیر انجام رسالتش به او داده شد، و معجزاتی که در اختیار او قرار گرفت.

سوره غافر (۴۰): آیه ۵۴..... ص: ۲۷۸

(آیه ۵۴) - در این آیه می‌افزاید: این کتاب آسمانی «مایه هدایت و تذکر برای صاحبان عقل بود» (هُدًى وَ ذِكْرٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ).

تفاوت «هدایت» و «ذکر» در این است که هدایت در آغاز کار است، اما «تذکر» به عنوان یادآوری در برابر مسائلی است که انسان قبلاً شنیده و به آن ایمان آورده اما از صفحه خاطرش محو شده است، و به تعبیر دیگر کتب آسمانی هم آغازگر هدایت است هم تداوم بخش آن.

ولی هم در آغاز، و هم در ادامه کار، بهره واقعی را «اولوا الالباب» و صاحبان مغز و اندیشه می‌برند، نه نابخردان لجوج و نه متعصبان چشم و گوش بسته.

سوره غافر (۴۰): آیه ۵۵..... ص: ۲۷۸

(آیه ۵۵) - در این آیه سه دستور مهم به پیامبر اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ می‌دهد که در حقیقت دستوراتی است عمومی و همگانی هر چند مخاطب شخص پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ است. نخست می‌گوید: «پس صبر و شکیبایی پیشه کن که وعده خدا حق است» (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ).

در برابر عناد و لجاجت دشمنان و کارشکنی آنان صبر کن.

در مقابل نادانی جمعی از دوستان و سستی و سهل انگاری و احیانا آزار آنان صبر کن.

و در برابر تمایلات نفس و هوسهای سرکش و خشم و غضب نیز شکیبایی نما.

تمام پیروزیهایی که نصیب پیامبر و مسلمانان نخستین شد در سایه همین صبر و استقامت بود، و امروز نیز بدون آن غلبه بر دشمنان فراوان و مشکلات زیاد ممکن نیست.

در دستور دوم می‌فرماید: «و برای گناهت استغفار کن» (وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ).

مسلم است پیامبر به خاطر مقام عصمت مرتکب گناهی نمی‌شد، ولی چنانکه گفته‌ایم این گونه تعبیرات در قرآن مجید در مورد پیغمبر اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و سایر انبیاء علیهم السلام اشاره به گناهان نسبی است. چرا که یک لحظه غفلت و حتی

یک ترک برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۷۹

اولی در مورد آنها سزاوار نیست، و باید از همه این امور برکنار باشند و هرگاه از آنها سرزند، از آن استغفار می‌کنند.

در آخرین دستور می‌فرماید: «و هر صبح و شام تسبیح و حمد پروردگارت را به جا آور» (وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۵۶..... ص: ۲۷۹

(آیه ۵۶) - در آیات گذشته خداوند پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ را به صبر و شکیبایی در مقابل مخالفان و نغمه‌های ناموزون و توطئه‌های شوم آنها دعوت می‌کرد، در اینجا انگیزه مجادله و ستیزه جوئیهای آنان را در مقابل حق شرح می‌دهد.

می‌گوید: «کسانی که بدون منطق و دلیلی که از سوی خدا برای آنها آمده باشد در آیات الهی مجادله می‌کنند، در سینه‌هاشان

جز تکبر نیست» (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ).

و به این ترتیب آیه گواه زنده‌ای بر این حقیقت است که سر چشمه اصلی این گونه مجادله‌ها، کبر و غرور و خود محوری است.

سپس می‌افزاید: «آنها هرگز به منظور خود نخواهند رسید» (مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ).

هدف آنان این است که خود را بزرگ ببینند، فخر بفروشند و بر جامعه حکومت کنند، اما جز ذلت و زیر دست بودن بهره‌ای نخواهند گرفت.

در پایان آیه به پیامبر صلی الله علیه و اله دستور می‌دهد که از شرّ این گونه افراد مغرور و خودخواه و بی‌منطق به خدا پناه ببرد، می‌فرماید: «اکنون که چنین است به خدا پناه ببر که او شنوا و بیناست» (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

هم سخنان بی‌اساس آنها را می‌شنود و هم توطئه‌ها و اعمال زشتشان را می‌بیند.

سوره غافر (۴۰): آیه ۵۷..... ص: ۲۷۹

(آیه ۵۷) - و از آنجا که یکی از موارد مهم مجادله کفار در برابر پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله مسأله معاد و زنده شدن انسانها بعد از مرگ بود، در این آیه با یک بیان روشن مسأله معاد را متذکر شده، می‌فرماید: «آفرینش آسمانها و زمین از آفرینش انسانها مهمتر و بالاتر است، ولی بیشتر مردم نمی‌دانند» (لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۸۰

کسی که توانایی دارد این کرات عظیم و کهکشانه‌های وسیع و گسترده را با آن همه عظمت بیافریند، و اداره و تدبیر کند چگونه از احیای مردگان عاجز و ناتوان خواهد بود؟

در این آیه یکی دیگر از عوامل «مجادله» باطل را ذکر کرده که آن «جهل» است، در حالی که در آیات قبل مسأله «کبر» مطرح شده بود، و این هر دو رابطه نزدیک با هم دارند، چرا که سر چشمه «کبر» «جهل و نادانی» و عدم شناخت قدر خود یا مقدار علم و دانایی خویش است.

سوره غافر (۴۰): آیه ۵۸..... ص: ۲۸۰

(آیه ۵۸) - در این آیه در یک مقایسه روشن وضع حال این متکبران جاهل را در مقابل مؤمنان آگاه، روشن ساخته، می‌گوید: «نابینا و بینا هرگز مساوی نیستند».

(وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ).

«همچنین کسانی که ایمان آورده‌اند و عمل صالح انجام داده‌اند، با بدکاران» یکسان نخواهند بود (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ).

اما شما بر اثر خودخواهی و جهل «کمتر متذکر می‌شوید» (قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ).

نابینا همان آدم نادان و بی‌خبری است که پرده‌های کبر و غرور بر چشمانش افتاده، و اجازه درک حقایق را به او نمی‌دهد، و بینا کسی است که در پرتو نور علم و استدلال‌ات منطقی، حق را مشاهده می‌کند، آیا این دو با هم برابرند؟!

سوره غافر (۴۰): آیه ۵۹ ص: ۲۸۰

(آیه ۵۹) - در این آیه با قاطعیت و صراحت خبر از وقوع قیامت داده، می گوید: «ساعت (روز قیامت) بطور مسلم خواهد آمد، و شک و تردیدی در آن نیست، ولی بیشتر مردم ایمان نمی آورند» (إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۶۰ ص: ۲۸۰

(آیه ۶۰) - مرا بخوانید تا اجابت کنم! از آنجا که در آیات گذشته تهدیداتی نسبت به افراد بی ایمان و متکبر و مغرور آمده بود، در اینجا آن را با لطف و مهربانی می آمیزد، و آغوش رحمتش را به روی توبه کنندگان می گشاید.

نخست می گوید: «پروردگار شما گفته است: مرا بخوانید تا (دعای) شما را برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۸۱ پذیرم» (وَ قَالَ رَبُّكُمْ اذْعُونِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ).

«دعا» خود یک نوع عبادت است، چرا که در ذیل آیه واژه عبادت بر آن اطلاق شده و در ضمن تهدید شدیدی نسبت به کسانی که از دعا کردن ابا دارند، می گوید: «کسانی که از عبادت من تکبر می ورزند به زودی با ذلت وارد دوزخ می شوند» (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ).

در روایتی از امام صادق علیه السلام آمده است که: «نزد خدا مقامی است که جز با دعا و تقاضا نمی توان به آن رسید، و اگر بنده ای دهان خود را از دعا فرو بندد و چیزی تقاضا نکند چیزی به او داده نخواهد شد، پس از خدا بخواه تا به تو عطا شود، چرا که هر دری را بکوبید و اصرار کنید سرانجام گشوده خواهد شد».

سوره غافر (۴۰): آیه ۶۱ ص: ۲۸۱

(آیه ۶۱) - و از آنجا که دعا و تقاضای از خدا فرع بر معرفت خداوند است در این آیه از حقایقی سخن می گوید که سطح معرفت آدمی را بالا می برد، و یکی از شرائط دعا را که امید به اجابت است افزایش می دهد.

می فرماید: «خداوند کسی است که شب را برای شما آفرید تا در آن بیاساید» (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ).

چرا که تاریکی شب از یک سو موجب تعطیل قهری برنامه های روزانه است، و از سوی دیگر خود تاریکی آرام بخش و مایه استراحت تن و اعصاب و روح است، و نور مایه جنبش و حرکت.

لذا به دنبال آن می افزاید: «و روز را بینا و روشنی بخش» قرار داد (وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا).

تا محیط زندگی انسانها را روشن سازد و برای هر گونه فعالیت آماده کند.

سپس اضافه می کند: «خداوند نسبت به مردم صاحب فضل و کرم است، ولی بیشتر مردم شکر گزاری نمی کنند» (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ).

اما اگر انسان چشمی بینا و قلبی دانا داشته باشد که خوان نعمت بی دریغ الهی را که همه جا گسترده است ببیند، و باران رحمت بی حسابش را که همه جا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۸۲

رسیده است مشاهده کند، بی اختیار زبان به شکر و ثنای او می گشاید و خود را در مقابل این همه عظمت و رحمت کوچک و مدیون می بیند.

سوره غافر (۴۰): آیه ۶۲ ص: ۲۸۲

(آیه ۶۲) - این آیه از توحید ربوبیت پروردگار شروع کرده و به توحید خالقیت و ربوبیت ختم می‌کند، می‌فرماید: آن کس که این همه نعمتها را بر شما ارزانی داشته «این است خداوند، پروردگار شما» (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ). همان خداوندی که «آفریننده همه چیز است» (خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ).

«هیچ معبودی جز او نیست» (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ).

در حقیقت وجود نعمتهای فراوان الهی دلیل بر ربوبیت و مدبریت اوست.

و خالق همه چیز بودن دلیل دیگری بر یگانگی او در ربوبیت است، چرا که خالق موجودات مالک و مربی آنهاست، زیرا لحظه به لحظه فیض وجود از ناحیه او بر همه موجودات عالم هستی افاضه می‌شود.

و در پایان آیه می‌افزاید: «با این حال چگونه از راه حق منحرف می‌شوید؟» (فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ). و چرا از پرستش خداوند یگانه یکتا به سوی بتها روی می‌آورید!؟

سوره غافر (۴۰): آیه ۶۳ ص: ۲۸۲

(آیه ۶۳) - در این آیه به عنوان توضیح و تأکید مطالب گذشته می‌فرماید:

«کسانی که آیات خدا را انکار می‌کردند این گونه از طریق حق باز گردانده می‌شوند» (كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۶۴ ص: ۲۸۲

(آیه ۶۴) - این است پروردگار شما: قرآن همچنان بحث از مواهب بزرگ الهی و شمول آن نسبت به بندگان را ادامه می‌دهد، تا هم شناخت بیشتری به آنها عطا کند، و هم امید افزونتری تا در پرتو آن به مقام دعا برآیند و از اجابت برخوردار شوند. می‌فرماید: «خداوند همان کسی است که زمین را برای شما جایگاه مطمئن و آرامی قرار داد» (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا).

همانگ با ساختمان روح و جسم انسان، دارای منابع گوناگون، مشتمل بر همه وسائل مورد نیاز انسان، بسیار گسترده و مباح و رایگان. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۸۳

سپس می‌افزاید: «و آسمان را همچون سقفی» بالای سرتان قرار داد (وَ السَّمَاءَ بِنَاءً).

منظور از «آسمان» در اینجا بیشتر همان جو و هوای فشرده‌ای است که گرداگرد زمین را فرا گرفته، و همچون خیمه‌ای بر تمام کره زمین کشیده شده است.

این خیمه بزرگ الهی هم از شدت تابش نور آفتاب می‌کاهد که اگر نبود اشعه آفتاب، و همچنین اشعه مرگبار کیهانی، موجود زنده‌ای را بر زمین نمی‌گذاشت، و به همین دلیل مسافران فضایی مجبورند دائما در برابر این پرتوها از لباسهای مخصوص سنگین و گران قیمتی استفاده کنند.

به علاوه این خیمه جلو سقوط سنگهای آسمانی را که پیوسته به کره زمین جذب می‌شوند می‌گیرد، و آنها را در نخستین

برخورد به خاطر سرعت و فشاری که دارند آتش می‌زند تا خاکستر آنها آرام بر زمین بنشیند.

سپس از آیات آفاقی به آیات انفسی پرداخته، می‌گوید: «و او (کسی است که) شما را صورتگری کرد، و صورتتان را نیکو آفرید» (وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ).

قامتی موزون و راست، با صورتی زیبا و دلپذیر، در نهایت نظم استحکام و همین ساختمان ویژه به انسان امکان می‌دهد که به انواع کارها و صنایع ظریف یا سنگین دست زند، و با داشتن اعضای مختلف به راحتی زندگی کند و از مواهب حیات بهره گیرد.

و سر انجام در بیان چهارمین و آخرین نعمت از این سلسله، موضوع روزیهای پاکیزه را مطرح کرده، می‌فرماید: «و او شما را از طیبات روزی داد» (وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ).

«طیبات» معنی بسیار گسترده‌ای دارد که هر چیز پاکیزه اعم از غذا، لباس، همسران، خانه‌ها، مرکبها، حتی سخنان پاکیزه را شامل می‌شود.

در پایان آیه بعد از بیان این چهار نعمت بزرگ - که نیمی از آن به آسمان و زمین بر می‌گردد، و نیمی از آن به انسانها - می‌فرماید: «این است خداوند پروردگار شما» (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۸۴ و چون چنین است «جاوید و پر برکت است خداوندی که پروردگار عالمیان است» (فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۶۵..... ص: ۲۸۴

(آیه ۶۵) - این آیه مسأله توحید عبودیت را از طریق دیگر تعقیب می‌کند، و آن طریق انحصار حیات به معنی واقعی به خداوند است، می‌فرماید: «اوست زنده واقعی» (هُوَ الْحَيُّ).

چرا که حیاتش از ذات اوست و متکی به غیر نیست، حیاتی است که در آن مرگ راه ندارد و جاودانه است، تنها خداوند چنین است، و همه موجودات زنده غیر از او حیاتی آمیخته به مرگ دارند، و این حیات محدود و موقت را از ذات پاک خداوند می‌گیرند.

روشن است کسی را باید پرستش کرده که زنده است و دارای حیات مطلق، لذا به دنبال آن می‌افزاید: «هیچ معبودی جز او وجود ندارد» (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ).

«و اکنون که چنین است تنها او را بخوانید، و دین خود را برای او خالص کنید» (فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ).

و هر چه غیر اوست کنار بگذارید که همه فانی می‌شوند.

و آیه را با این جمله پایان می‌دهد: «حمد و ستایش مخصوص خداوندی است که پروردگار جهانیان است» (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

این جمله در حقیقت تعلیمی است برای بندگان که خدا را به خاطر نعمتهایی که در آیات قبل اشاره شد، نعمتهایی که تمام وجود انسان را فرا گرفته، مخصوصا نعمت حیات و زندگی، حمد و ستایش کنند، و شکر و سپاس گویند.

سوره غافر (۴۰): آیه ۶۶..... ص: ۲۸۴

(آیه ۶۶) - در این آیه به عنوان یک نتیجه‌گیری از بحثهای توحیدی گذشته و برای مایوس ساختن مشرکان و بت پرستان

روی سخن را به پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ کرده، می‌فرماید: «بگو: من نهی شده‌ام از این که معبودهایی که شما غیر از خدا می‌خوانید پرستش کنم، چرا که بینات و دلائل روشن از سوی پروردگارم برای من آمده است» (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي).

نه تنها نهی شده‌ام که غیر او را نپرستم بلکه: «مأمورم تنها در برابر پروردگار برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۸۵
عالمیان تسلیم باشم» (وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِزَبِّ الْعَالَمِينَ).

این که می‌گوید: «من چنین مأموریت یافته‌ام و من چنین نهی شده‌ام» یعنی شما خودتان حساب خویش را برسید، بی آنکه حس لجاجتشان را تحریک کند.

سوره غافر (۴۰): آیه ۶۷..... ص: ۲۸۵

(آیه ۶۷) - مراحل هفت گانه خلقت انسان: بار دیگر در ادامه آیات توحیدی به بخشی از «آیات انفسی» پرداخته مراحل تطور خلقت انسان را از خاک، و دوران جنینی، و دوران حیات در دنیا تا هنگام مرگ، در هفت مرحله بیان می‌کند، تا هم عظمت قدرت و ربوبیت او روشن شود و هم مواهب و نعمتهایش بر بندگان.

می‌فرماید: «او کسی است که شما را از خاک آفرید، سپس از نطفه، سپس از علقه (خون بسته شده) سپس شما را بصورت طفلی (از شکم مادر) بیرون می‌فرستد، بعد به مرحله کمال قوت خود می‌رسید و بعد از آن پیر می‌شوید- و (در این میان گروهی از شما پیش از رسیدن به این مرحله می‌میرند- و در نهایت به سر آمد عمر خود می‌رسید و شاید تعقل کنید) (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا سُيُُوحًا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَ لَتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ).

به این ترتیب نخستین مرحله، مرحله تراب و خاک است که اشاره به آفرینش آدم جد نخستین ما از خاک می‌باشد، و یا خلقت همه انسانها از خاک، چرا که مواد غذایی که وجود انسان و حتی نطفه او را تشکیل می‌دهد اعم از مواد حیوانی و گیاهی همه از خاک مایه می‌گیرد.

مرحله دوم مرحله نطفه است که مربوط به همه انسانها جز آدم و همسرش حواست.

مرحله سوم مرحله ای است که نطفه تکامل یافته، و نمو قابل ملاحظه‌ای نموده، و به صورت یک قطعه خون بسته در آمده است.

بعد از این، مرحله «مضعه» (چیزی شبیه به گوشت جویده شده) و مرحله ظهور اعضاء، مرحله حس و حرکت است که قرآن در اینجا سخنی از این سه مرحله به میان نیاورده هر چند در آیات دیگر به آن اشاره کرده است. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص:

۲۸۶

در اینجا چهارمین مرحله را مرحله تولد جنین ذکر می‌کند، و مرحله پنجم را مرحله تکامل قدرت و قوت جسمی که بعضی آن را سن سی سالگی می‌دانند که در آن حد اکثر نمو قوای جسمانی حاصل می‌شود و بعضی آن را کمتر یا بیشتر گفته‌اند، البته ممکن است در افراد متفاوت باشد و قرآن از آن تعبیر به «بلوغ اشد» کرده است.

از آن به بعد مرحله عقب گرد و از دست دادن نیروها آغاز می‌شود و تدریجا دوران پیری که مرحله ششم است فرا می‌رسد.

سرانجام پایان عمر که آخرین مرحله است فرا رسیده و انتقال از این سرا، به سرای جاویدان تحقق می‌یابد.

آیا با این همه تغییرات و تطورات منظم، و حساب شده، باز هم جای تردید در قدرت و عظمت مبدأ عالم هستی و الطاف و مواهب او وجود دارد؟

سوره غافر (۴۰): آیه ۶۸ ص: ۲۸۶

(آیه ۶۸) - در این آیه سخن از مهمترین مظاهر قدرت پروردگار یعنی مسأله حیات و مرگ به میان می‌آورد، همان دو پدیده‌ای که با تمام پیشرفت علوم بشری هنوز جزء معماهای ناگشوده است، می‌فرماید: «او کسی است که زنده می‌کند و می‌میراند» (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ).

جالب این که از موجودات زنده تک سلولی گرفته، تا حیوانات غول پیکر و از اعماق اقیانوسهای تاریک و ظلمانی گرفته، تا پرندگان که بر اوج آسمانها پرواز می‌کنند، از گیاه ذره‌بینی بسیار کوچکی که در لابلاهای امواج اقیانوس شناور است، تا درختانی که دهها متر طول قامت دارند، هر یک دارای نوعی حیات و شرائطی مخصوص به خود می‌باشند و به همین نسبت مرگهای آنها نیز متفاوت است، و بدون شک چهره‌های حیات متنوع‌ترین چهره‌های جهان خلقت و اعجاب انگیزترین آنهاست.

اما قابل توجه این که هیچ یک از این مسائل مهم و پیچیده در برابر قدرت او سختی و مشکلی ندارد، و به محض اراده و فرمانش صورت می‌گیرد.

لذا در پایان آیه می‌فرماید: «و هنگامی که کاری مقّر کند تنها به آن می‌گویند: برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۸۷ موجود باش! بی‌درنگ موجود می‌شود!» (فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۶۹ ص: ۲۸۷

(آیه ۶۹) - سرنوشت ستیزه جویان مغرور: باز هم در اینجا سخن از کسانی است که در آیات الهی به مجادله بر می‌خیزند. نخست می‌گوید: «آیا ندیدی کسانی را که در آیات خدا مجادله می‌کنند چگونه از راه حق منحرف می‌شوند» (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُضِرُّونَ).

این مجادله و گفتگوهای توأم با لجابت و عناد، این تقلیدهای کورکورانه و تعصبهای بی‌پایه سبب می‌شود که آنها از صراط مستقیم به بیراهه کشیده شوند، چرا که حقایق تنها در پرتو روح حق جویی آشکار می‌گردد.

سوره غافر (۴۰): آیه ۷۰ ص: ۲۸۷

(آیه ۷۰) - سپس به توضیح بیشتر در باره آنها پرداخته، می‌افزاید: «همان کسانی که کتاب (آسمانی) و آنچه رسولان خود را بدان فرستاده‌ایم تکذیب کردند» (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَ بِمَا أُرْسِلْنَا بِهِ رُسُلَنَا).

و در پایان آیه آنها را با این سخن تهدید می‌کند: «آنان به زودی (نتیجه شوم کار خود را) می‌فهمند» (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۷۱ ص: ۲۸۷

(آیه ۷۱) - «آن هنگام که غلها و زنجیرها بر گردن آنها قرار گرفته و با این غل و زنجیر آنها را می‌کشند» (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۷۲ ص: ۲۸۷

(آیه ۷۲) - «به درون آب جوشان، و سپس در آتش دوزخ سوزانده می‌شوند!» (فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۷۳ ص: ۲۸۷

(آیه ۷۳) - علاوه بر این عذابهای جسمانی آنها را با یک سلسله عذابهای دردناک روحی مجازات می‌کنند، از جمله همان است که در این آیه به آن اشاره کرده، می‌فرماید: «سپس به آنها گفته می‌شود: کجا ایند آنچه را همتای خدا قرار می‌دادید؟! (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۷۴ ص: ۲۸۷

(آیه ۷۴) - همان معبودهایی را که «جز خدا پرستش می‌کردید» (مِنْ دُونِ اللَّهِ). تا از شما شفاعت کنند و از میان این عذابهای دردناک و امواج متلاطم آتش برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۸۸

دوزخ رهایی بخشند، مگر بارها نگفتید که ما اینها را به خاطر آن پرستش می‌کنیم که شفیعان ما باشند؟ پس کجا رفت شفاعتشان؟! ولی آنها با سر افکندگی و سرشکستگی در پاسخ «می‌گویند: همه از نظر ما پنهان و گم شدند» (قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا). سپس آنها می‌بینند که اصل اعتراف به عبودیت بتها داغ ننگی بر پیشانی‌شان است، لذا در مقام انکار بر می‌آیند و می‌گویند: «ما اصلاً قبل از این چیزی پرستش نمی‌کردیم!» (بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا).

اینها اوهام و خیالاتی بیش نبودند که ما آنها را واقعیهایی می‌پنداشتیم، اما امروز برای ما روشن شده که آنها اسمهایی بی‌مسمی و الفاظی بی‌معنی و مفهومند که پرستش آنها جز ضلالت و گمراهی و بیهودگی هیچ نبود، بنابراین آنها یک واقعیت غیر قابل انکار را بازگو می‌کنند.

در پایان آیه می‌فرماید: «این گونه خداوند کافران را گمراه می‌سازد» (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ).

کفر و لجاجت آنها پرده و حجابی بر قلب و فکر آنها می‌شود، لذا راه مستقیم حق را گذارده، در بیراهه گام می‌نهند و در قیامت نیز از راه بهشت محروم شده به بیراهه دوزخ کشیده می‌شوند، آری این چنین خداوند کافران را گمراه می‌سازد.

سوره غافر (۴۰): آیه ۷۵ ص: ۲۸۸

(آیه ۷۵) - این آیه به علت گرفتاریهای این گروه در این همه بلا و مصیبت و عذاب اشاره کرده، می‌گوید: «این عذابها به خاطر آن است که به ناحق در زمین شادی می‌کردید و از روی غرور و مستی (شبهوات) به خوشحالی می‌پرداختید!» (ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ).

از مخالفت با پیامبران و کشتن مؤمنان و در فشار گذاردن محرومان و مستضعفان لذت می‌بردید، اکنون باید کفاره آن همه

شادی بی جا و غرور و غفلت و مستی شهوت را در میان این غل و زنجیرها، و در لابلای شعله‌های آتش بدهید.

سوره غافر (۴۰): آیه ۷۶ ص: ۲۸۸

(آیه ۷۶) - این جاست که به آنها خطاب می‌شود که: «وارد شوید از درهای جهنم، و جاودانه در آن بمانید» (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۸۹
«و چه بد است جایگاه متکبران» (فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ).
این جمله تأکید مجددی است بر این که سرچشمه اصلی بدبختیهای آنها همان کبر و غرور بوده است.

سوره غافر (۴۰): آیه ۷۷ ص: ۲۸۹

(آیه ۷۷) - باز هم صبر کن: به دنبال بحثهای گذشته در زمینه کارشکنیهای کفار و کبر و غرور و تکذیب آنها نسبت به آیات الهی در این آیه و آیه بعد، پیامبر صلی الله علیه و اله را دلداری داده، امر به صبر و استقامت در مقابل این مشکلات می‌کند. نخست می‌فرماید: «اکنون که چنین است صبر کن که وعده خدا حق است» (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ).
هم وعده پیروزی که به تو داده شده، و هم وعده مجازات دردناک مستکبران مغرور و تکذیب کننده، هر دو حق است و بدون شک تحقق می‌یابد.

سپس برای اینکه دشمنان حق چنین تصور نکنند که اگر در مجازاتشان تأخیری رخ دهد می‌توانند از چنگال کیفر و عذاب الهی بگریزند اضافه می‌کند:

«و هر گاه قسمتی از مجازاتهایی را که به آنها وعده داده‌ایم در حال حیاتت به تو ارائه دهیم، و یا تو را (پیش از آن که آنان گرفتار عذاب شوند) از دنیا ببریم (مهم نیست) چرا که همه آنان را تنها بسوی ما باز می‌گردانند» و ما به وعده‌های خود در باره آنان عمل خواهیم کرد (فَأَمَّا نُزِيرُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ).
وظیفه تو تنها ابلاغ آشکار و اتمام حجت بر همگان است، تا دل‌های بیدار در پرتو تبلیغ تو روشن گردد، و برای مخالفان نیز جای عذر و بهانه‌ای باقی نماند، تو به هیچ چیزی جز به انجام این وظیفه، دلبستگی نداشته باش!

سوره غافر (۴۰): آیه ۷۸ ص: ۲۸۹

(آیه ۷۸) - باز برای مزید تسلی خاطر و دلداری پیامبر اشاره به وضع مشابه پیامبران پیشین می‌کند، که آنها نیز گرفتار چنین مشکلاتی بودند ولی همچنان به راه خود ادامه دادند، و پیروزی را در آغوش گرفتند، می‌فرماید: «ما پیش از تو رسولانی فرستادیم، سرگذشت گروهی از آنان را (در قرآن) برای تو بازگو کرده‌ایم، هر چند سرگذشت گروهی دیگر را برای تو بیان نمودیم» (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص:

۲۹۰

هر کدام با صحنه‌هایی از این قبیل و مشکلاتی طاققت فرسا دست به گریبان بودند، و در مقابل آنها اقوام لجوج و متکبر و مغرور فراوان قرار داشتند، ولی سرانجام آیین حق پیروز گشت و ظالمان و مجرمان مغلوب شدند.

اخبار متعددی در منابع مختلف اسلامی وارد شده که پیامبران الهی ۱۲۴ هزار نفر بودند.

و از آنجا که مشرکان و کافران بهانه‌جو و لجوج هر روز در برابر انبیای الهی تقاضای معجزه دلخواه خود را داشتند، و مشرکان زمان پیامبر صلی الله علیه و اله نیز همین شیوه را تکرار می‌کردند، قرآن در دنباله این سخن اضافه می‌کند: «هیچ پیامبری حق نداشت و نمی‌توانست معجزه‌ای جز به فرمان خدا بیاورد!» (وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ).

اصولاً همه معجزات در اختیار خداست، و بازیچه دست کفار نمی‌تواند باشد.

سپس با لحنی جدی و تهدیدآمیز به کسانی که می‌گفتند اگر راست می‌گویی چرا عذاب الهی به سراغ ما نمی‌آید هشدار می‌دهد که: «هنگامی که فرمان الهی (برای مجازات این منکران لجوج) صادر شود در میان آنها به حق داوری خواهد شد، و پیروان باطل در آن هنگام زیان خواهند کرد» (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ).

در آن روز درهای توبه بسته می‌شود و رهروان راه باطل به روشنی می‌بینند که تمام سرمایه‌های هستی خود را از کف داده و متاعی نخریدند.

سوره غافر (۴۰): آیه ۷۹ ص: ۲۹۰

(آیه ۷۹) - منافع گوناگون چهار پایان: بار دیگر به نشانه‌های قدرت خداوند و مواهب گسترده‌اش نسبت به انسانها باز می‌گردد، و گوشه دیگری از آن را شرح می‌دهد، تا هم به عظمت او آشنا تر شوند، و هم حس شکر گزاری را که وسیله‌ای برای معرفت الله است در آنها برانگیزد.

می‌فرماید: «خداوند همان کسی است که چهار پایان را برای شما آفرید، تا بر آنها سوار شوید، و از آنها تغذیه کنید» (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۹۱

بعضی از آنها تنها برای تغذیه مورد استفاده قرار می‌گیرند همچون گوسفند، و بعضی هم برای سواری و هم برای تغذیه مانند شتر که هم کشتی بیابانهای خشک و سوزان است و هم وسیله‌ای برای تغذیه آدمیان!

سوره غافر (۴۰): آیه ۸۰ ص: ۲۹۱

(آیه ۸۰) - از این گذشته استفاده‌های فراوان دیگری نیز از آنها می‌شود، همان‌گونه که آیه شریفه به آن اشاره کرده، می‌فرماید: «و برای شما در آنها منافع بسیاری (جز اینها) است» (وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ).

از شیر و پشم و پوست و سایر اجزای آنها استفاده می‌کنید و حتی فضولات بدن آنها نیز در کشاورزی و غیره قابل استفاده است.

سپس می‌افزاید منظور دیگر از آفرینش آنها این بوده: «تا بوسیله آنها به مقصدی که در دل دارید برسید» (وَ لِيَتَّبِعُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ).

تعبیر فوق می‌تواند اشاره به استفاده‌های تفریحی، هجرت و سیاحت، مسابقه‌ها و گاه کسب ابهت و مانند آن باشد.

و از آنجا که اینها همه وسیله مسافرت در خشکی هستند، در پایان آیه می‌افزاید: «و بر آنها (چهار پایان) و بر کشتیها سوار می‌شوید» (وَ عَلَيْهَا وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ).

در کشتیها خاصیتی آفرید که با تمام ثقل و سنگینی بر روی آب باقی بماند، و جریان بادها را آن چنان منظم قرار داده که می‌توان از آنها در مسیرهای معینی پیوسته استفاده کرد و «با آن به دیدار آشنا رسید».

(آیه ۸۱) - در این آیه برای تأکید و گرفتن اقرار از همگان می‌فرماید: «و خدا آیاتش را همواره به شما نشان می‌دهد، پس (بگویند) کدامیک از آیات خدا را می‌توانید انکار کنید؟! يُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ»
آیا آیات و نشانه‌های او را در «آفاق» می‌توانید انکار کنید یا آیات او را در انفس؟
به راستی با این که آیات و نشانه‌های او برای همگان روشن است چرا گروهی راه انکار را پیش می‌گیرند؟
برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۹۲

(آیه ۸۲) - آخرین آیات سوره مؤمن در حقیقت یک نوع نتیجه‌گیری از بحث‌های گذشته است.
نخست می‌گوید: آیا آنها در زمین سیر نکردند تا ببینند عاقبت کسانی که قبل از آنها می‌زیستند چگونه شد؟! (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ).
همان کسانی «که از نظر تعداد نفرات از آنها بیشتر، و از نظر قوت و آثارشان در زمین از آنها فروتر بود» (كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَ أَشَدَّ قُوَّةً وَ آثَارًا فِي الْأَرْضِ).
کثرت نفرات آنها را از قبورشان می‌توان شناخت، و قدرت و آثارشان را در زمین از آنچه از آنها به یادگار مانده! تعبیر به «آثارا فی الارض» ممکن است اشاره به پیشرفت گسترده کشاورزی آنها باشد- چنانکه در آیه ۹ سوره روم آمده- و یا اشاره به ساختمانهای عظیم و بناهای محکم اقوام پیشین در دل کوهها و بر صحنه دشتها- چنانکه در آیه ۱۲۸ و ۱۲۹ سوره شعرا بیان شده است.
ولی به هر حال «نیروهایی را که به دست می‌آورند هرگز (به هنگام وزش طوفان بلا و عذاب الهی) نتوانست آنها را بی‌نیاز سازد و نجات دهد» (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ). بلکه تمام این قدرتها در لحظاتی کوتاه درهم کوبیده شدند.

(آیه ۸۳) - در این آیه به چگونگی برخورد آنها با پیامبران و معجزات و دلائل روشن انبیا اشاره کرده، می‌گوید: «هنگامی که رسولان آنها با معجزات و دلائل روشن به سراغ آنها آمدند (از آنان روی گرداندند، و) تنها به معلوماتی که خود داشتند دل بستند و خوشحال بودند» و غیر آن را هیچ شمردند (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ).
و همین امر سبب شد تا «آنچه را از عذاب و تهدیدهای الهی به باد استهزا می‌گرفتند بر سر آنان فرود آید» (وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ).
یعنی با اتکای به علوم محدود بشری، خواه در معارف عقلی و اعتقادات یا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۹۳
در دنیا و یا شبهات واهی که آن را علم می‌پنداشتند، علمی را که از سر چشمه وحی صادر شده بود نفی می‌کردند و به باد استهزا می‌گرفتند، و به علوم اندک خوشحال بودند و خویشتن را بکلی از انبیا بی‌نیاز می‌دیدند.

(آیه ۸۴) - قرآن نتیجه این خودخواهی و غرور را در این آیه و آیه بعد چنین بیان کرده: «پس هنگامی که شدت عذاب ما را دیدند (عذابی که برای ریشه کن کردن آنها نازل شده بود و فرمان قطعی پروردگار را در زمینه نابودیشان به همراه داشت، از کرده خود پشیمان شدند، خود را موجودی ضعیف و ناتوان دیدند و رو به درگاه حق آوردند و فریادشان بلند شد و) گفتند: اکنون به خداوند یگانه ایمان آوردیم، و نسبت به معبودهایی که شریک او می‌شمردیم کافر شدیم!» (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ).

سوره غافر (۴۰): آیه ۸۵ ص: ۲۹۴

(آیه ۸۵) - «اما هنگامی که عذاب ما را مشاهده کردند ایمان آنها به حالشان سودی نداشت» (فَلَمَّ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا). چرا که به هنگام نزول «عذاب استیصال» درهای توبه بسته می‌شود. این حکم مخصوص افراد یا اقوام معینی نیست، بلکه چنانکه قرآن در دنبال همین سخن می‌گوید: «این سنت الهی است که در مورد بندگان گذشته نیز اجرا شده است» (سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ). سپس آیه را با این جمله پایان می‌دهد: «و در آن هنگام (که عذاب الهی دامانشان را فرو گرفت) خسران و زیان کافران آشکار شد» (وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ).

آن روز فهمیدند که سرمایه‌ای جز مشتی غرور و پندار نداشتند، و آنچه را آب حیات خیال می‌کردند سرابی بیش نبود. و به این ترتیب سوره مؤمن که با توصیف حال کافران مغرور آغاز شده بود، با پایان زندگی دردناک آنها خاتمه می‌یابد!

«پایان سوره مؤمن»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۹۵

سوره فصلت [۴۱] ص: ۲۹۵

اشاره

این سوره در «مکه» نازل شده و دارای ۵۴ آیه است

محتوای سوره: ص: ۲۹۵

محتوای این سوره را می‌توان در چند بخش خلاصه کرد:

- ۱- توجه به قرآن و بحثهای فراوانی پیرامون آن.
- ۲- توجه به آفرینش آسمان و زمین، مخصوصا آغاز آفرینش جهان از ماده گازی شکل (دخان) و مراحل پیدایش کره زمین و کوهها و گیاهان و حیوانات.
- ۳- اشاراتی به سرگذشت اقوام مغرور و سرکش پیشین، از جمله قوم عاد و ثمود، و سرنوشت دردناک آنها و اشاره کوتاهی به داستان موسی (ع).
- ۴- انذار و تهدید مشرکان و کافران مخصوصا با ذکر آیات تکان دهنده‌ای در باره قیامت و گواهی اعضای بدن حتی پوست

تن انسان، و تویخ شدید پروردگار نسبت به آنها به هنگامی که در برابر عذاب الهی قرار می گیرند.

۵- پاره‌ای از دلایل رستاخیز و قیامت و خصوصیات و ویژگیهای آن.

۶- سرانجام سوره را با بحث جالب و کوتاهی پیرامون «آیات آفاقی و انفسی پروردگار» و بازگشتی بر مسأله معاد پایان می بخشد.

فضیلت تلاوت سوره: ص : ۲۹۵

در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام می خوانیم: «هر کس که «حم سجده» را بخواند خداوند به تعداد هر حرفی از آن ده حسنه به او عطا می کند».

در حدیث دیگری نقل شده که: پیامبر صلی الله علیه و اله هیچ شب به خواب نمی رفت مگر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۹۶

این که سوره «تبارک» و «حم سجده» را می خواند.

نامگذاری این سوره به «فصیلت» از آیه سوم آن گرفته شده، و به «حم سجده» از این جهت است که با «حم» آغاز می شود و آیه ۳۷ آن آیه سجده است.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره فصلت (۴۱): آیه ۱ ص : ۲۹۶

(آیه ۱) - باز هم عظمت قرآن: در روایات اسلامی آمده است که رسول خدا صلی الله علیه و اله پیوسته بتهای مشرکان را مذمت می کرد، و قرآن را بر آنها می خواند تا به راه توحید باز گردند، اما آنها می گفتند: این شعر محمد است، و بعضی می گفتند:

این «کهان» است (کهان غیب گویهایی بود که گروهی به ادعای خود ارتباط با جنیان داشتند) و بعضی می گفتند: اینها خطبه‌های زیبایی است که او می خواند (و نامش را «قرآن» گذاشته است).

روزی «ابو جهل» به «ولید بن مغیره» گفت: ای «ابا عبد شمس» اینهایی را که محمد می گوید: چیست؟

گفت: بگذارید سخنانش را بشنوم، گفت: ای محمد! چیزی از اشعارت را برای من بخوان! فرمود: شعر نیست، بلکه کلام خداست که پیامبران و رسولانش را با آن می فرستاده.

گفت: هر چه هست بخوان! رسول خدا صلی الله علیه و اله قرائت سوره حم سجده را آغاز کرد، هنگامی که به آیه «فَاِنَّ اَعْرَضُوا فَقُلْ اَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ» (آیه ۱۳ همین سوره) رسید، «ولید» از شنیدن آن لرزید و مو بر تنش راست شد، از جا برخاست و به سوی خانه خود رفت و به سراغ قریش نیامد! این روایت به خوبی نشان می دهد که تا چه حد آیات این سوره پر جاذبه و تکان دهنده است، تا آنجا که در اندیشمند متعصب عرب چنین عکس العملی را برگزیده تفسیر

نمونه، ج ۴، ص: ۲۹۷

بجا می گذارد.

به تفسیر آیات باز گردیم.

باز در آغاز این سوره به «حروف مقطعه» برخورد می‌کنیم: «ح-ا-میم» (حم).
که برای دومین بار در آغاز سوره‌های قرآن خودنمایی می‌کند، که بعضی «حم» را نام سوره و یا «ح» را اشاره به «حمید» و «م» را اشاره به «مجید» که دو نام از نامهای بزرگ خداوند است دانسته‌اند.

سوره فصلت(۴۱): آیه ۲ ص : ۲۹۷

(آیه ۲) - سپس اشاره به عظمت قرآن کرده، می‌گوید: «این کتابی است که از سوی خداوند رحمن و رحیم نازل شده است» (تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).
«رحمت عامه» خداوند و «رحمت خاصه» او دست به دست هم داده‌اند و نزول این آیات را سبب شده است.

سوره فصلت(۴۱): آیه ۳ ص : ۲۹۷

(آیه ۳) - بعد از بیان اجمالی فوق در باره قرآن به بیان تفصیلی پرداخته، و اوصاف پنج گانه‌ای برای این کتاب آسمانی بیان می‌کند، اوصافی که ترسیم روشن و گویایی از چهره اصلی قرآن در بر دارد.
نخست می‌گوید: «کتابی که آیاتش هر مطلبی را در جای خود بازگو کرده» (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ). و شرح و تفصیل تمام نیازمندیهای انسان را در تمام زمینه‌ها ذکر نموده است.
«در حالی که فصیح و گویاست» (قُرْآنًا عَرَبِيًّا).
«برای جمعیتی که آگاهند» (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ).

سوره فصلت(۴۱): آیه ۴ ص : ۲۹۷

(آیه ۴) - «قرآنی که بشارت دهنده و بیم دهنده است» (بَشِيرًا وَ نَذِيرًا).
نیکان را بشارت می‌دهد و مجرمان را تهدید می‌کند.
«ولی بیشتر آنها روی گردان شدند از این رو چیزی نمی‌شنوند» (فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ).
به این ترتیب نخستین امتیاز این کتاب بزرگ آسمانی این است که مسائل مختلف مورد نیاز بشر در آن تبیین و تشریح شده است، ولی افسوس که متعصبان لجوج گوش شنوا ندارند، گویی کردند و هیچ نمی‌شنوند.
برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۹۸

سوره فصلت(۴۱): آیه ۵ ص : ۲۹۸

(آیه ۵) - اما عکس العمل منفی این کوردلان به همین جا ختم نمی‌شد، بلکه تلاش و کوشش داشتند که پیامبر صلی الله علیه و اله را از دعوت خود مأیوس سازند، و به او ثابت کنند که در مقابل دعوت تو گوش شنوایی در این دیار نیست، و بیهوده تلاش مکن! آیه شریفه می‌گوید: «آنها گفتند: قلبهای ما در برابر دعوت تو در پوششهایی قرار گرفته، و گوشهای ما سنگین است، و میان ما و تو حجابی وجود دارد!» (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَ فِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنَا وَ بَيْنَكَ حِجَابٌ).

حال که چنین است کار به کار ما نداشته باش «تو به دنبال عمل خود باش، ما هم برای خود عمل می‌کنیم» (فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ).

این نهایت وقاحت و بی‌شرمی و نادانی است که انسان با تمام وجودش این چنین از حق‌گریزان باشد.

سوره فصلت (۴۱): آیه ۶ ص: ۲۹۸

(آیه ۶) - مشرکان چه کسانی هستند؟ این آیه همچنان سخن از مشرکان و کافران می‌گوید، و در حقیقت پاسخی است به گفتاری که از آنها در آیات قبل نقل شده، و دفع هر گونه توهم و اشتباه در زمینه دعوت پیامبر صلی الله علیه و اله.

می‌فرماید: «بگو: من تنها انسانی مثل شما هستم و این حقیقت پیوسته بر من وحی می‌شود که معبود شما فقط یکی است» (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ).

نه مدعی فرشته بودنم، و نه انسانی از یک نژاد برتر و نه خداوند و نه فرزند خدا هستم بلکه انسانی همچون شما هستم با این تفاوت که پیوسته فرمان توحید به من وحی می‌شود.

سپس ادامه می‌دهد: «اکنون که چنین است تمام توجه خویش را به این معبود یکتا کنید و (از شرک و گناه) توبه و استغفار نمایید» (فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ).

سپس به عنوان هشدار و اعلام خطر می‌افزاید: «وای بر مشرکان» (وَ وَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۲۹۹

سوره فصلت (۴۱): آیه ۷ ص: ۲۹۹

(آیه ۷) - این آیه به معرفی مشرکان پرداخته، و جمله‌ای را در این زمینه بازگو می‌کند که منحصر به این آیه است می‌فرماید:

«همان کسانی که زکات را ادا نمی‌کنند و نسبت به آخرت کافرند» (الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ).

منظور از ترک زکات، ترک انفاقی است که نشانه عدم ایمان آنها به خداست و به همین دلیل در ردیف عدم ایمان به معاد ذکر شده، و یا ترک زکات توأم با انکار وجوب آن است.

در حدیثی از امام صادق علیه السلام آمده است: «خداوند بزرگ برای فقیران در اموال اغنیا فریضه‌ای قرار داده که جز با اداء آن شایسته ستایش نیستند، و آن زکات است که به وسیله آن خون خود را حفظ می‌کنند و نام مسلمان بر آنها گذارده می‌شود».

سوره فصلت (۴۱): آیه ۸ ص: ۲۹۹

(آیه ۸) - در این آیه به معرفی گروهی که در نقطه مقابل این مشرکان بخیل و بی‌ایمان قرار دارند، و جزای آنها، پرداخته

می‌گوید: «کسانی که ایمان آوردند و اعمال صالح انجام دادند اجر و پاداشی جاودانی و قطع ناشدنی دارند» (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ).

سوره فصلت (۴۱): آیه ۹ ص: ۲۹۹

(آیه ۹) - دورانهای آفرینش آسمانها و زمین: در اینجا نمونه‌ای از آیات آفاقی و نشانه‌های عظمت و علم و قدرت خدا در آفرینش زمین و آسمان و آغاز خلقت موجودات را ذکر می‌کند و به پیامبر اکرم صلی الله علیه و اله دستور می‌دهد کافران و مشرکان را مخاطب ساخته و از آنها سؤال کند آیا خداوندی را که مبدأ این عوالم پهناور و گسترده است هرگز می‌توانند انکار کنند؟ تا از این طریق وجدان و عقل و هوش آنها را بیدار کند.

می‌فرماید: «بگو: آیا شما به آن کسی که زمین را در دو روز آفرید کافر هستید؟! (قُلْ أَإِنكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ).

» (و برای او شبیه و نظیرهایی قائل می‌شوید) (وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا).

» (او پروردگار جهانیان است) (ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۰۰

آیا کسی که این جهان را هم اکنون تدبیر می‌کند، او خالق این آسمان و زمین نیست؟

سوره فصلت (۴۱): آیه ۱۰ ص: ۳۰۰

(آیه ۱۰) - در این آیه به آفرینش کوهها، و معادن و برکات زمین، و مواد غذایی پرداخته، می‌فرماید: «او در زمین کوههایی قرار داد و برکات و منافی در آن آفرید، و مواد غذایی مختلف آن را مقدر فرمود، اینها همه در چهار روز بود» (وَ جَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ).

» (این مواد غذایی درست به اندازه نیاز نیازمندان و تقاضا کنندگان است) (سَوَاءٌ لِّلسَّائِلِينَ).

به این ترتیب خداوند نیازمندیهای همه نیازمندان را پیش بینی کرده، و برای همه آنها آنچه لازم بوده است آفریده.

تعبیر «بارک فیها» اشاره به معادن و منابع زیر زمینی و روی زمینی و درختان و نهرها و منابع آب است که مایه برکت و استفاده همه موجودات زنده زمین می‌باشد.

سوره فصلت (۴۱): آیه ۱۱ ص: ۳۰۰

(آیه ۱۱) - بعد از پایان سخنان مربوط به آفرینش زمین و مراحل تکاملی آن به بحث از آفرینش آسمانها پرداخته، می‌فرماید: «سپس اراده آفرینش آسمان نمود- در حالی که به صورت دود بود- در این هنگام به آسمان و زمین فرمود: به وجود آید و شکل بگیرید، چه از روی طاعت و چه اکراه» (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا).

» آنها گفتند: ما از روی طاعت و امتثال فرمان می‌آییم» (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ).

سوره فصلت (۴۱): آیه ۱۲ ص: ۳۰۰

(آیه ۱۲) - «در این هنگام خداوند آنها را به صورت هفت آسمان در دو روز آفرید و کامل کرد» (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ).

» (و در هر آسمان آنچه را می‌خواست امر و فرمان داد) (وَ أَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا). و موجودات و مخلوقات مختلف را در آنها آفرید و به آنها نظام بخشید.

» (و آسمان پایین را با چراغهایی [ستارگان زینت بخشیدیم، و (با شهابها از رخنه شیاطین) حفظ کردیم] (وَ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا

بِمَصَابِيحٍ وَ حِفْظًا). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۰۱

آری «این است تقدیر خداوند توانا و دانا» (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ).

۱- جمله «و هِيَ دُخَانٌ» (آسمانها در آغاز به صورت دود بود) نشان می‌دهد که آغاز آفرینش آسمانها از توده گازهای گسترده و عظیمی بوده است، و این با آخرین تحقیقات علمی در مورد آغاز آفرینش کاملاً هماهنگ است.

۲- جمله «خداوند به آسمان و زمین فرمود به شکل خود در آید» به این معنی نیست که واقعا سخنی با لفظ گفته شده باشد، بلکه گفته خداوند همان فرمان تکوینی، و اراده او بر امر آفرینش است، و تعبیر به «طوعا او کرها» (از روی اطاعت یا اکراه) اشاره به این است که اراده قطعی خداوند به شکل گرفتن آسمانها و زمین تعلق یافته بود و در هر صورت می‌بایست آن مواد به چنین صورت مطلوبی در آیند بخواهند یا نخواهند.

۳- جمله «فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَبْعَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ» (آنها را به صورت هفت آسمان در دو روز آفرید) اشاره به وجود دو دوران در آفرینش آسمانهاست که هر دورانی از آن میلیونها یا میلیاردها سال به طول انجامیده، و هر دوران به نوبه خود به ادوار دیگری تقسیم می‌شود، این دو دوران ممکن است دوران تبدیل گازهای فشرده به مایع و مواد مذاب، و دوران تبدیل مواد مذاب به جامد بوده باشد.

۴- عدد «سبع» (هفت) ممکن است در اینجا «عدد تکثیر» باشد یعنی آسمانهای فراوان و کرات بی‌شماری آفریدیم، و نیز ممکن است «عدد تعداد» باشد، یعنی عدد آسمانها درست هفت است، با این قید که تمام آنچه از کواکب و ستارگان ثابت و سیارات را می‌بینیم طبق گواهی جمله بعد در این آیه جزء آسمان اول است، به این ترتیب عالم آفرینش از هفت مجموعه بزرگ تشکیل یافته که تنها یک مجموعه آن در برابر دیدگان انسانها قرار گرفته است.

۵- جمله «و زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ» (آسمان پایین را به چراغهای روشن ستارگان زینت بخشیدیم) دلیل بر این است که همه ستارگان زینت بخش آسمان اول می‌باشند و نه تنها زینت، بلکه در شبهای تاریک برای گمشدگان بیابانها برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۰۲

چراغهایی هستند که هم با روشنایی خود راهنمایی می‌کنند، و هم سمت و جهت حرکت را معین می‌سازند.

سوره فصلت (۴۱): آیه ۱۳ ص: ۳۰۲

(آیه ۱۳) - از صاعقه‌ای همچون صاعقه عاد و ثمود بترسید! به دنبال گفتار مؤثری که در زمینه توحید و شناسایی خداوند در آیات قبل آمد، در اینجا مخالفان لجوج را که این همه نشانه‌های روشن و آیات بینات را نادیده می‌گیرند شدیداً انذار کرده و به آنان هشدار داده، می‌گوید: «اگر با این همه دلایل روی گردان شوند به آنها بگو: من شما را به صاعقه‌ای همچون صاعقه قوم عاد و ثمود تهدید می‌کنم» (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ). از آن بترسید که همان صاعقه‌های مرگبار و آتش‌زا و درهم کوبنده به سراغ شما بیاید و به زندگی ننگین شما خاتمه دهد.

سوره فصلت (۴۱): آیه ۱۴ ص: ۳۰۲

(آیه ۱۴) - سپس در این آیه می‌افزاید: «در آن هنگام که رسولان از پیش رو و پشت سر (و از هر سو) به سراغشان آمدند (و آنان را دعوت کردند) که جز خداوند را نپرستید» (إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ).

یعنی پیامبران الهی از تمام وسائل هدایت و تبلیغ استفاده کردند، و از هر دری وارد شدند تا در دل این سیاه دلان نفوذ کنند. اما بینیم آنها در برابر تلاش عظیم و گسترده این رسولان الهی چه پاسخی گفتند؟! می‌فرماید: «آنها گفتند: اگر پروردگار ما می‌خواست فرشتگانی نازل می‌کرد» تا دعوت او را به ما ابلاغ کنند نه انسانهایی همانند خود ما (قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً).

اکنون که چنین است «پس ما بطور مسلم به آنچه شما به آن فرستاده شده‌اید کافریم» و اصلاً اینها را از سوی خداوند نمی‌دانیم (فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ).

سوره فصلت (۴۱): آیه ۱۵ ص: ۳۰۲

(آیه ۱۵) - در اینجا - چنانکه روش قرآن است - بعد از ذکر اجمال به تفصیل برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۰۳ در باره عاد و ثمود پرداخته، می‌گوید: «اما قوم عاد به ناحق در زمین تکبر ورزیدند (تا آنجا که) گفتند: چه کسی از ما نیرومندتر است؟! (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً). اما قرآن در پاسخ این ادعا می‌گوید: «آیا آنها نمی‌دانستند خداوندی که آنان را آفریده از آنها قویتر است؟! (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً). نه تنها خالق آنها که خالق تمام آسمانها و زمین است.

در پایان آیه می‌افزاید: «و آنها (بر اثر این پندار بی‌اساس) پیوسته آیات ما را انکار می‌کردند» (وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ).

سوره فصلت (۴۱): آیه ۱۶ ص: ۳۰۳

(آیه ۱۶) - آری! انسان بی‌مایه و کم ظرفیت هنگامی که مختصر قدرتی در خود احساس کند سر به طغیان بر می‌دارد، و حتی گاه از بی‌خردی به مبارزه با قدرت خدا بر می‌خیزد، و خداوند بزرگ چقدر ساده و آسان با یک اشاره عوامل حیاتشان را به عامل مرگشان تبدیل می‌کند، چنانکه در همین ماجرای عاد در این آیه اضافه می‌کند: «سر انجام تند بادی شدید و پر صدا و هول‌انگیز و سرد و سخت، در روزهایی شوم و پر غبار، بر آنها فرستادیم، تا عذاب خوار کننده را در زندگی دنیا به آنها بچشانیم» (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا). این تند باد عجیب چنانکه در آیات دیگر قرآن آمده چنان آنها را از زمین بلند می‌کرد و زمین می‌کوبید، همچون تنه‌های درخت خرما که از ریشه کنده شده باشد.

هفت شب و هشت روز می‌وزید، و تمام زندگی این قوم جبار خودخواه مغرور را درهم می‌کوبید، و جز ویرانه‌ای از آن قصرهای پر شکوه و زندگی مرفه و اموال سرشار باقی نماند.

در پایان آیه می‌گوید: تازه این عذاب دنیا است، «و عذاب آخرت از آن هم خوار کننده‌تر است» (وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى . و از همه سخت‌تر این که: هیچ کس به یاری آنها نمی‌شتابد «و از هیچ سو یاری نمی‌شوند» (وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۰۴

سوره فصلت (۴۱): آیه ۱۷ ص: ۳۰۴

(آیه ۱۷) - سرنوشت قوم سرکش ثمود: بعد از توضیحی که در آیات گذشته پیرامون قوم عاد آمد در این آیه و آیه بعد از قوم ثمود سخن به میان آورده، می‌گوید:

«اما ثمود را هدایت کردیم (پیامبرمان صالح را با دلایل روشن به سوی آنها فرستادیم) ولی آنها ناینیایی و گمراهی را بر هدایت ترجیح دادند!» (وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ .
«لذا صاعقه عذاب خوار کننده به خاطر اعمالی که انجام می‌دادند دامان آنها را فرو گرفت» (فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

سوره فصلت(۴۱): آیه ۱۸ ص : ۳۰۴

(آیه ۱۸) - ولی از آنجا که گروهی هر چند اندک به صالح ایمان آورده بودند و ممکن است کسانی سؤال کنند: پس سرنوشت آنها در میان موج وحشتناک صاعقه چه شد؟ آیا آنها نیز به آتش دیگران سوختند؟ قرآن در این آیه می‌افزاید:
«و کسانی را که ایمان آوردند و پرهیزکار بودند نجات بخشیدیم» (وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ).
بعضی از مفسران گفته‌اند: تنها ۱۱۰ نفر به صالح ایمان آوردند.
این گروه را ایمان و تقوایشان نجات داد، و آن گروه طاغی را کفر و اعمال سویشان گرفتار عذاب الهی ساخت.

سوره فصلت(۴۱): آیه ۱۹ ص : ۳۰۴

(آیه ۱۹) - در آیات پیشین سخن از مجازات دنیوی کفار مغرور و ظالمان مجرم بود، اما در اینجا از عذاب آخرت آنها سخن می‌گوید.
نخست می‌فرماید: «به خاطر بیاورید روزی را که دشمنان خدا را جمع کرده به سوی دوزخ می‌برند» (وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ).
و برای این که صفوف آنها به هم پیوسته باشد «صفوف پیشین را نگه می‌دارند» تا صفهای بعد به آنها ملحق شوند (فَهُمْ يُوزَعُونَ).

سوره فصلت(۴۱): آیه ۲۰ ص : ۳۰۴

(آیه ۲۰) - «وقتی به آن می‌رسند گوشها و چشمها و پوستهای تنشان به آنچه می‌کردند گواهی می‌دهد!» (حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).
از پاره‌ای روایات بر می‌آید که همه اعضای تن به نوبه خود اعمالی را که برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۰۵ انجام داده‌اند گواهی می‌دهند.

چه شاهدان عجیبی! که عضو پیکر خود انسانند، و شهادتشان به هیچ وجه قابل انکار نیست، چرا که در همه صحنه‌ها حاضر و ناظر بوده، و به فرمان الهی به سخن آمده‌اند! جمله «حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُهَا» نشان می‌دهد که دادگاه آنها در کنار جهنم بر پا می‌شود.

سوره فصلت(۴۱): آیه ۲۱ ص: ۳۰۵

(آیه ۲۱) - به هر حال آن روز، روز رسوایی بزرگ است، روزی است که تمام وجود انسان به سخن درآمده تمامی اسرار او را فاش می کنند، و تمام گنهکاران را در وحشت عمیقی فرو می برد، اینجاست که «آنها به پوستهای تنشان می گویند: چرا شما بر ضد ما گواهی دادید؟» (وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا).

ما که سالیان دراز شما را نوازش دادیم، از سرما و گرما حفظ کردیم، شستشو و نظافت و پذیرایی نمودیم، شما چرا این چنین؟! آنها در پاسخ «می گویند: همان خدایی که هر موجودی را به نطق در آورده، ما را به سخن در آورده است» (قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ).

خداوند مأموریت افشاگری را در این روز و این دادگاه بزرگ بر عهده ما گذارده، و ما چاره‌ای جز اطاعت فرمان او نداریم. سپس ادامه می دهند: «و او شما را نخستین بار آفرید، و بازگشتان به سوی اوست» (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

سوره فصلت(۴۱): آیه ۲۲ ص: ۳۰۵

(آیه ۲۲) - و باز می افزایند: «شما اگر گناهانتان را مخفی می کردید نه به خاطر این بود که از شهادت گوش و چشمها و پوستهای تنتان بیم داشتید» بلکه شما باور نمی کردید روزی اینها بر ضد شما گواهی دهند (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ).

«بلکه (مخفی کاری شما به خاطر این بود که) گمان می کردید خداوند بسیاری از اعمالی را که انجام می دهید نمی داند» (وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۰۶

غافل از این که هم خداوند در همه جا شاهد و ناظر بر اعمال شماست، و از اسرار درون و برون شما آگاه است، و هم مأموران مراقبت او همه جا با شما هستند، آیا هرگز می توانید پنهان از چشم و گوش و حتی پوست تنتان عملی انجام دهید؟

سوره فصلت(۴۱): آیه ۲۳ ص: ۳۰۶

(آیه ۲۳) - در این آیه که ادامه سخنان اعضای تن انسان است، می افزاید:

«این گمان بدی بود که در باره پروردگارتان داشتید، و همان موجب هلاکت شما گردید، و سر انجام از زیانکاران شدید» (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

آیات فوق به خوبی گواهی می دهد که گمان بد در باره خداوند به قدری خطرناک است که گاه موجب هلاکت و عذاب ابدی انسان می گردد به عکس، حسن ظن در باره خداوند موجب نجات در دنیا و آخرت است.

سوره فصلت(۴۱): آیه ۲۴ ص: ۳۰۶

(آیه ۲۴) - همنشینان بد: در تعقیب بحثی که در آیات گذشته پیرامون سرنوشت دشمنان خدا (أَعْدَاءُ اللَّهِ) آمد در این آیه و آیه بعد به دو قسمت از مجازات دردناک آنها در آخرت و دنیا اشاره می کند.

نخست خداوند می فرماید: «اگر آنها صبر و شکیبایی کنند (یا نکنند) آتش دوزخ قرارگاهشان است» و رهایی از آن امکان

پذیر نیست (فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ).

سپس برای تأکید این مطلب می‌افزاید: «و اگر آنها تقاضای رضایت و عفو پروردگار کنند (به جایی نمی‌رسد و) مورد عفو قرار نمی‌گیرند» (وَإِنْ يَسْتَعْجِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ).

سوره فصلت (۴۱): آیه ۲۵ ص: ۳۰۶

(آیه ۲۵) - سپس به مجازات دردناک دنیوی آنها اشاره کرده، می‌فرماید: «ما برای آنها همنشینانی (زشت سیرت) قرار دادیم، که زشتیها را از پیش رو و پشت سر آنها در نظرشان جلوه دادند» (وَ قَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ). همین معنی به صورت گویاتری در آیات ۳۶ و ۳۷ سوره زخرف آمده آنجا که می‌فرماید: «بر آنها که از یاد خداوند رحمان روی گردان شوند شیاطین را مسلط برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۰۷ می‌سازیم که همواره با آنان قرین هستند، این شیاطین آنها را از راه حق باز می‌دارند در حالی که گمان می‌کنند هدایت یافته‌اند».

سپس می‌افزاید: به سبب این وضع اسفبار «فرمان عذاب الهی در باره آنها تحقق یافت، و به سرنوشت اقوام گمراهی از جن و انس که قبل از آنها بودند گرفتار شدند» (وَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ). سرانجام آیه را با این جمله پایان می‌دهد «آنها مسلماً زیانکار بودند» (إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ).

سوره فصلت (۴۱): آیه ۲۶ ص: ۳۰۷

(آیه ۲۶) - جنجال کنید تا صدای دل نواز قرآن را نشنوند! به تناسب بحثهایی که در باره بعضی اقوام پیشین، در آیات گذشته آمد، و نیز به تناسب همنشینان بد سیرتی که حقایق را در نظر انسان وارونه جلوه می‌دهند در اینجا گوشه‌ای از انحراف و بد اندیشی مشرکان عصر پیامبر صلی الله علیه و اله را مجسم ساخته، می‌گوید: «و کافران گفتند: گوش به این قرآن فرا ندهید و به هنگام تلاوت آن جنجال کنید شاید غالب شوید!» (وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ). این یک روش قدیمی برای مبارزه در برابر نفوذ حق است که امروز نیز به صورت گسترده‌تر و خطرناکتری ادامه دارد که برای منحرف ساختن افکار مردم و خفه کردن صدای منادیان حق و عدالت، محیط را آن چنان پر از جنجال می‌کنند، که هیچ کس صدای آنها را نشنود.

گاه با جار و جنجال و سوت و صفیر.

گاه با داستانهای خرافی و دروغین.

گاه با افسانه‌های عشقی و هوس انگیز.

گاه از مرحله سخن نیز فراتر رفته، مراکز سرگرمی و فساد، و انواع فیلمهای مبتذل، و مطبوعات بی محتوای سرگرم کننده، و بازیهای دروغین سیاسی و هیجانهای کاذب، و خلاصه هر چیزی که افکار مردم را از محور حق منحرف سازد به وجود می‌آورند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۰۸

سوره فصلت (۴۱): آیه ۲۷..... ص: ۳۰۸

(آیه ۲۷) - این آیه به مجازات شدید این گونه افراد اشاره کرده، می فرماید: «بطور مسلم به کافران (و در صف مقدم آنها، افرادی که مردم را از شنیدن آیات الهی باز می داشتند) عذاب شدیدی می چشانیم» (فَلَنَذِقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا). این عذاب ممکن است در دنیا به صورت اسارت و کشته شدن به دست لشکریان ظفرمند اسلام باشد، و یا در آخرت، و یا هر دو.

«و آنها را به بدترین اعمالی که انجام می دادند کیفر می دهیم» (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ). چه عملی بدتر از کفر و شرک، و انکار آیات الهی، و مانع شدن مردم از شنیدن سخنان حق است؟

سوره فصلت (۴۱): آیه ۲۸..... ص: ۳۰۸

(آیه ۲۸) - سپس برای تأکید بیشتر می افزاید: «این آتش کیفر دشمنان خداست» آتش سوزان جهنم! (ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارِ).

اما نه آتشی موقتی و زود گذر بلکه «سرای جاویدشان در آن خواهد بود» (لَهُمْ فِيهَا دَارٌ مُّخَلَّدِينَ). آری! این عذاب شدید و دردناک «کیفری است به خاطر این که آیات ما را انکار می کردند» (جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ).

سوره فصلت (۴۱): آیه ۲۹..... ص: ۳۰۸

(آیه ۲۹) - از آنجا که انسان وقتی به بلائی مبتلا می شود مخصوصاً اگر بلای سخت و سنگینی باشد به فکر مسبب اصلی می افتد، تا او را پیدا کند و انتقام خود را از او بگیرد، گاه می خواهد اگر دستش برسد عامل اصلی را قطعه قطعه کند، لذا آیه شریفه به چنین حالتی که برای کفار در دوزخ پیدا می شود اشاره کرده، می فرماید:

«و کافران می گویند: پروردگارا! آنهايي را که از جن و انس ما را گمراه کردند به ما نشان ده تا آنها را زیر پای خود نهمیم (و لگدمالشان کنیم!) تا از پست ترین مردم باشند!» (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ). همان کسانی که به ما می گفتند: گوش به سخنان محمد ندهید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۰۹

سوره فصلت (۴۱): آیه ۳۰..... ص: ۳۰۹

(آیه ۳۰) - نزول فرشتگان بر مؤمنان با استقامت: می دانیم روش قرآن برای تبیین مطالب این است که امور متضاد را در برابر هم قرار می دهد تا با مقایسه با یکدیگر وضع آنها به خوبی روشن گردد، و از آنجا که در آیات گذشته سخن از منکران لجوجی در میان بود که بر کفر پافشاری داشتند، در اینجا سخن از مؤمنانی است که در ایمانشان راسخ و پا برجا هستند، و خداوند به هفت پاداش و موهبت که برای آنها قرار داده اشاره می کند.

نخست می گوید: «به یقین کسانی که گفتند: پروردگار ما خداوند یگانه است، سپس استقامت کردند فرشتگان الهی بر آنها نازل می شوند که نترسید و غمگین مباشید» (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا). نه از حوادث بیمناک آینده نگران باشید و نه از گناهان گذشته خود غمی به دل راه دهید.

بسیارند کسانی که دم از عشق «الله» می زنند، ولی در عمل استقامت ندارند، افرادی سست و ناتوانند که وقتی در برابر طوفان شهبوات قرار می گیرند با ایمان وداع کرده، و در عمل مشرک می شوند، و هنگامی که منافعشان به خطر می افتد همان ایمان ضعیف و مختصر را نیز از دست می دهند.

البته نباید فراموش کرد که «استقامت» همچون «عمل صالح» میوه درخت «ایمان» است زیرا ایمان هنگامی که عمق و نفوذ کافی پیدا کند انسان را دعوت به استقامت خواهد کرد، همان گونه که استقامت در مسیر حق نیز بر عمق ایمان می افزاید، و این دو تأثیر متقابل دارند.

در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ آمده که شخصی خدمتش عرض کرد:

«دستوری به من ده که به آن چنگ زرم و در دنیا و آخرت اهل نجات شوم».

پیغمبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فرمود: «قل رَبِّي اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ بگو: پروردگار من الله است و بر این گفته خود بایست.»

پس از نخستین و دومین بشارت در مورد عدم «خوف» و «حزن» که به آن اشاره شد. در سومین مرحله می گویند: «و بشارت باد بر شما به آن بهشتی که به شما برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۱۰ وعده داده شده است» (وَ أَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ).

سوره فصلت(۴۱): آیه ۳۱ ص: ۳۱۰

(آیه ۳۱) - و در چهارمین بشارت می افزایند: «ما یاران و مددکاران شما در زندگی دنیا و آخرت هستیم» (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ)

هرگز شما را تنها نمی گذاریم در نیکیها به شما کمک می کنیم و از لغزشها شما را حفظ می نمایم تا وارد بهشت شوید.

در پنجمین بشارت می گویند: «و در بهشت برای شما هر چه دلتان بخواهد از مواهب و نعمتها فراهم است» و هیچ قید و شرطی در کار نیست (وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ)

ششمین بشارت این که نه تنها نعمتهای مادی و آنچه دلخواه شماست به شما می رسد، بلکه «آنچه (از مواهب معنوی) طلب کنید به شما داده می شود» (وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ)

سوره فصلت(۴۱): آیه ۳۲ ص: ۳۱۰

(آیه ۳۲) - و بالأخره هفتمین و آخرین مژده ای که به آنها می دهند این است که شما میهمان خدا در بهشت جاویدان او هستید و همه این نعمتها «به عنوان پذیرایی یک میزبان از یک میهمان گرامی از سوی پروردگار غفور و رحیم به شما ارزانی داشته می شود» (نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ).

نکته: این که فرشتگان در چهارمین بشارت به مؤمنان با استقامت می گویند:

«ما دوستان شما در دنیا و آخرت هستیم» دلیل بر آن است که این مژده ها را به هنگامی که آنها در دنیا زنده اند از فرشتگان

می شنوند، اما نه بشارتی با زبان و الفاظ، بلکه بشارتهایی که مؤمنان با گوش جان می شنوند، و در مشکلات و گرفتاریها در اعماق دل احساس می کنند و آرامش می یابند. و در پرتگاهها و لغزشگاهها به آنها ثبات قدم می دهد.

سوره فصلت(۴۱): آیه ۳۳ ص : ۳۱۰

(آیه ۳۳) - بدی را با نیکی دفع کن! در آیات گذشته سخن از کسانی در میان بود که مردم را از شنیدن آیات قرآن نهی می کردند، ولی در اینجا از نقطه مقابل آنها که گفتارشان بهترین گفتار است سخن می گوید، می فرماید: «چه کسی خوش گفتارتر است از آن کس که دعوت به سوی خدا می کند و عمل صالح انجام می دهد برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۱۱ و می گوید: من از مسلمانانم؟! و با تمام وجودم اسلام را پذیرفته ام (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ). این آیه با صراحت، بهترین گویندگان را کسانی معرفی کرده که دارای این سه وصفند: دعوت به الله، عمل صالح، و تسلیم در برابر حق.

سوره فصلت(۴۱): آیه ۳۴ ص : ۳۱۱

(آیه ۳۴) - بعد از بیان دعوت به سوی خداوند و اوصاف داعیان الی الله، روش دعوت را شرح داده، می گوید: «هرگز نیکی و بدی یکسان نیست» (لَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ). در حالی که مخالفان حق سلاحی جز بدگویی و افترا و سخریه و استهزاء و انواع فشارها و ستمها ندارند، باید سلاح شما پاکی و تقوا و سخن حق و نرمش و محبت باشد. گر چه «حسنه» و «سئیه» مفهوم وسیعی دارد، تمام نیکی ها و خوبیها و خیرات و برکات در مفهوم حسنه جمع است، همان گونه که هر گونه انحراف و زشتی و عذاب در مفهوم سئیه خلاصه شده است، ولی در آیه مورد بحث آن شاخه ای از «حسنه» و «سئیه» که مربوط به روشهای تبلیغی است منظور می باشد.

سپس برای تکمیل این سخن می افزاید: «بدی را با نیکی دفع کن» (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ). به وسیله حق باطل را دفع کن، و با حلم و مدارا، جهل و خشونت را، و با عفو و گذشت به مقابله با خشونتها برخیز، هرگز بدی را با بدی، و زشتی را با زشتی پاسخ مگویی، که این روش انتقامجویان است و موجب لجاجت و سرسختی منحرفان می گردد. در پایان آیه به فلسفه عمیق این برنامه در یک جمله کوتاه اشاره کرده، می فرماید: «ناگاه (خواهی دید) همان کس که میان تو و او دشمنی است گویی دوست گرم و صمیمی است!» (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ).

سوره فصلت(۴۱): آیه ۳۵ ص : ۳۱۱

(آیه ۳۵) - از آنجا که چنین برخوردی با مخالفان کار ساده و آسانی نیست، و رسیدن به چنین مقامی نیاز به خودسازی عمیق اخلاقی دارد، در این آیه مبانی برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۱۲ اخلاقی این گونه برخورد با دشمنان را در عبارتی کوتاه و پر معنی بیان کرده، می فرماید: «اما جز کسانی که دارای صبر و استقامتند به این مقام نمی رسند» (وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا).

«و جز کسانی که بهره عظیمی (از ایمان و تقوا) دارند به آن نائل نمی گردند» (وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ).
آری! انسان مدتها باید خودسازی کند تا بتواند بر خشم و غضب خویش چیره گردد باید در پرتو ایمان و تقوا آنقدر روح او
وسیع و قوی شود که به آسانی از آزار دشمنان متأثر نگردد.

سوره فصلت (۴۱): آیه ۳۶ ص: ۳۱۲

(آیه ۳۶) - و از آنجا که بر سر راه وصول به این هدف بزرگ موانعی وجود دارد و وسوسه های شیطانی در اشکال مختلف
انسانها را مانع می شود، در این آیه شخص پیامبر صلی الله علیه و اله را به عنوان الگو مخاطب ساخته، می گوید: «و هر گاه
وسوسه هایی از شیطان در این مسیر متوجه تو گردد، از خدا پناه بخواه که او شنونده و داناست» (وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

در این گونه مواقع معمولاً خطوراتی از ذهن می گذرد، و یا افراد به اصطلاح مصلحت اندیش توصیه هایی از این قبیل می کنند:
«مردم را جز با زور نمی توان اصلاح کرد» «خون را با خون باید شست» و مانند اینها، و با این وسوسه ها می خواهند مقابله به
مثل را در همه جا توصیه کنند، و بدی را به بدی پاسخ گویند.

قرآن می گوید: مبدا رفتار این وسوسه ها شوید، و جز در موارد خاص و استثنایی تکیه بر خشونت کنید.

البته آیه فوق مفهوم وسیعی دارد و می گوید: «در برابر همه وسوسه های شیطانی باید به خدا پناه برد.»

سوره فصلت (۴۱): آیه ۳۷ ص: ۳۱۲

(آیه ۳۷) - فقط برای خدا سجده کنید! از این آیه به بعد فصل تازه ای در این سوره، در زمینه توحید و معاد، و بیان نبوت و
عظمت قرآن است، و در حقیقت مصداقی است روشن از «دعوت الی الله» در برابر مشرکان که دعوت برگزیده تفسیر نمونه،
ج ۴، ص: ۳۱۳

به سوی بت می کردند.

نخست از مسأله توحید شروع کرده، از طریق آیات آفاقی مردم را به سوی خدا دعوت می نماید، می فرماید: «و از نشانه های او،
شب و روز و خورشید و ماه است» (وَ مِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ).

شب مایه آرامش، و روشنایی روز وسیله جنبش و حرکت است، و این دو توأماً چرخهای زندگی انسانها را به گردش منظم و
متناوبی در می آورند.

خورشید منبع همه برکات مادی در منظومه ماست، نور و گرما و حرکت و جنبش و نزول بارانها، و رویدن گیاهان، همه از
پرتو وجود اوست.

ماه نیز روشنی بخش شبهای تار، و چراغ پر فروغ و زیبای رهروان بیابانها و گمشدگان صحراهاست، و با جزر و مد خود نیز
برکات فراوانی می آفریند.

ولی به خاطر همین برکات، گروهی در مقابل این دو کوكب پر فروغ آسمان سجده می کردند و آنها را پرستش می نمودند،
آنها در عالم اسباب، متوقف مانده، بی آنکه مسبب الاسباب را ببینند.

لذا قرآن بعد از این بیان بلا فاصله می گوید: «برای خورشید و ماه سجده نکنید، برای خدایی که آفریننده آنهاست سجده کنید

اگر می‌خواهید او را عبادت نمایید» (لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لَا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (۱)». شما چرا به سراغ سر چشمه این برکات نمی‌روید؟ چرا سر بر آستان او نمی‌سایید؟ چرا موجوداتی را می‌پرستید که خود اسیر قوانین آفرینش‌اند.

سوره فصلت (۴۱): آیه ۳۸ ص: ۳۱۳

(آیه ۳۸) - سپس می‌افزاید: اگر این دلیل منطقی در فکر آنها اثر نگذاشت و باز هم به سراغ بتها و معبودهای مجازی رفتند و معبود حقیقی را به دست فراموشی سپردند، هرگز نگران نباش «و اگر (از عبادت پروردگار) تکبر کنند، کسانی که نزد پروردگار تو هستند شب و روز برای او تسبیح می‌گویند و (هیچ گاه) خسته نمی‌شوند» (فَإِن اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ هُمْ لَا يَسْأَمُونَ).

(۱) این آیه سجده واجب دارد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۱۴

اگر گروهی نادان و جاهل و بی‌خبر در برابر ذات پاکش سجده نکنند مسأله‌ای نیست این عالم وسیع پر است از فرشتگان مقرب که دائما در حال رکوع و سجود و حمد و تسبیحند، تازه نیازی به عبادت آنها نیز ندارد، آنها نیازمند عبادت اویند، چرا که هر افتخار و کمالی برای ممکنات است در سایه عبودیت اوست.

سوره فصلت (۴۱): آیه ۳۹ ص: ۳۱۴

(آیه ۳۹) - بار دیگر به آیات توحید که زمینه ساز مسأله معاد است باز می‌گردد.

می‌فرماید: «و از آیات او این است که زمین را خشک (و بی‌جان) می‌بینی، اما هنگامی که آب (باران) را بر آن می‌فرستیم به جنبش در می‌آید، و نمو می‌کند» (وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَّتْ).

زمینی خشک و مرده و بی‌حرکت کجا، و این همه آثار حیات و جلوه‌های گوناگون آن کجا! سپس از این مسأله روشن توحیدی یعنی مسأله «حیات» - که هنوز اسرارش برای بزرگترین دانشمندان کشف نشده - با یک انتقال سریع و جالب به مسأله معاد پرداخته، می‌گوید: «همان کس که آن (زمین مرده) را زنده کرد مردگان را نیز (در قیامت) زنده می‌کند!» (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لُمُحْيِ الْمَوْتَى).

آری «او بر همه چیز تواناست» (إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

دلایل قدرتش در همه جا نمایان است و همه سال نشانه‌های آن را با چشم خود می‌بینید، با این حال چگونه در مسأله معاد تردید می‌کنید؟

سوره فصلت (۴۱): آیه ۴۰ ص: ۳۱۴

(آیه ۴۰) - تحریف گران آیات حق! بعد از بیان آیات الهی و نشانه‌های پروردگار در آیات پیشین، اکنون سخن از تهدید کسانی است که نشانه‌های توحید را تحریف می‌کنند، و به اغفال و گمراه ساختن مردم می‌پردازند، می‌گوید: «کسانی که

آیات ما را تحریف می کنند بر ما پوشیده نخواهند بود» (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا).

ممکن است با مغالطه و سفسطه مردم را بفریبند، و ممکن است بر این عمل زشت و ننگین خود پرده بپفکنند و خود را از انظار مردم مستور دارند، اما هرگز برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۱۵ نمی توانند کمترین عمل خود را از ما پنهان نمایند.

قرآن مجازات همه آنها را در ادامه این بحث با یک مقایسه روشن بیان کرده، می گوید: «آیا کسی که در آتش افکنده می شود بهتر است یا کسی که در سایه ایمان در نهایت امن و امان در قیامت قدم به عرصه محشر می گذارد؟! (أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

آنها که با ایجاد شک و فساد عقائد و ایمان مردم را به آتش کشیدند، باید در آن روز طعمه آتش شوند و آنها که در سایه ایمان محیط امن و امانی برای جامعه بشری آفریدند باید در قیامت در نهایت امنیت به سر برند، مگر در آن روز همه اعمال ما تجسم نمی یابد؟

و از آنجا که وقتی از هدایت کسی مأیوس شوند او را به حال خود رها می کنند، می گویند: هر کاری می خواهی بکن، در ادامه این آیه آنها را مخاطب ساخته، می گوید: «هر چه می خواهید انجام دهید!» (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ).

اما بدانید «که خدا به آنچه انجام می دهید بیناست» (إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).

بدیهی است این امر به معنی آزادی عمل آنها، و یا الزام به انجام هر کار نیست، بلکه تهدیدی است نسبت به آنها که هیچ حرف حقی در گوششان فرو نمی رود.

سوره فصلت(۴۱): آیه ۴۱ ص: ۳۱۵

(آیه ۴۱) - این آیه سخن را از توحید و معاد به قرآن و نبوت می کشاند، و باز به صورت هشدار به کافران لجوج و بی منطق می فرماید: «آنها که به این ذکر [قرآن هنگامی که به سراغشان آمد کافر شدند] نیز بر ما مخفی نخواهند ماند (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ).

و بعد برای بیان عظمت قرآن می افزاید: «و این کتابی است قطعاً شکست ناپذیر...» (وَ إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ).

کتابی است که هیچ کس نمی تواند همانند آن را بیاورد و بر آن غلبه کند، کتابی است بی نظیر، منطقش محکم و گویا، استدلالش قوی و نیرومند، تعبیراتش منسجم و عمیق، تعلیماتش ریشه دار و پر مایه، و احکام و دستوراتش هماهنگ با برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۱۶

نیازهای واقعی انسانها در تمام ابعاد زندگی.

سوره فصلت(۴۱): آیه ۴۲ ص: ۳۱۶

(آیه ۴۲) - سپس به توصیف مهم و گویایی در باره عظمت این کتاب آسمانی پرداخته، می گوید: «هیچ گونه باطلی، نه از پیش رو، نه از پشت سر، به سراغ قرآن نمی آید!» (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ).

یعنی نه تناقضی در مفاهیم آن است.

نه چیزی از کتب و علوم پیشین بر ضد آن می باشد، و نه اکتشافات علمی آینده با آن مخالفت خواهد داشت.

نه کسی می تواند حقایق آن را ابطال کند، و نه در آینده منسوخ می گردد.

نه در معارف و قوانین و اندرزها و خبرهایش خلافی وجود دارد و نه خلافی بعدا کشف می شود.

نه آیه و حتی کلمه‌ای از آن کم شده، و نه چیزی بر آن افزون می شود، و به تعبیر دیگر دست تحریف کنندگان از دامان بلندش کوتاه بوده و هست.

چرا که «از سوی خداوند حکیم و حمید نازل شده است» (تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ).

خداوندی که افعالش روی حکمت و در نهایت کمال و درستی است و لذا شایسته هر گونه حمد و ستایش می باشد.

سوره فصلت (۴۱): آیه ۴۳ ص: ۳۱۶

(آیه ۴۳) - از آنجا که کفار مکه شدیدترین مبارزه را با آیین اسلام و شخص پیامبر صلی الله علیه و اله آغاز کرده بودند و آیات گذشته از الحاد آنها در دلائل توحید و کفر و تکذیبشان نسبت به آیات الهی خبر می داد، در این آیه به عنوان تسلی خاطر پیامبر صلی الله علیه و اله و آموختن درس استقامت و پایداری به همه مسلمین که در فشار دشمنان قرار می گیرند، می فرماید: «آنچه به ناروا در باره تو می گویند همان است که در باره پیامبران قبل از تو نیز گفته شده» (مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ).

اگر مجنون و ساحرت می خوانند، به پیامبران بزرگ پیشین همین نسبتها را دادند، و اگر دروغگویت می نامند آنها نیز از این نسبت در امان نبودند، خلاصه نه دعوت تو به سوی آیین توحید و حق مطلب تازه‌ای است، و نه تهمت و تکذیب برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۱۷

آنها، محکم بایست و به این سخنان اعتنا مکن.

سپس در پایان آیه می افزاید: «پروردگار تو هم دارای مغفرت و آمرزش و هم دارای مجازات دردناک است» (إِنَّ رَبَّكَ لَمَدُو مَغْفِرَةٌ وَ ذُو عِقَابٍ أَلِيمٌ).

رحمت و آمرزش برای آنها که پذیرا شوند، و عذاب الیم برای آنها که تکذیب کنند و تهمت زنند و به مخالفت برخیزند.

سوره فصلت (۴۱): آیه ۴۴ ص: ۳۱۷

(آیه ۴۴) - قرآن هدایت است و درمان: در این آیه سخن از بهانه جویی این افراد لجوج به میان آورده و پاسخ یکی از بهانه‌های عجیب را مطرح می کند و آن این که آنها می گفتند: چرا قرآن به زبان عجم نازل نشده است تا ما برای آن اهمیت بیشتری قائل باشیم و غیر عرب نیز از آن بهره گیرند.

اینجاست که قرآن در پاسخ آنها می گوید: «هر گاه آن را قرآنی عجمی قرار می دادیم حتما می گفتند: چرا آیتش روشن نیست؟ چرا پیچیده است؟ و ما از آن سر در نمی آوریم! (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ).

سپس اضافه می کردند: راستی عجیب است «قرآنی عجمی از پیغمبری عربی؟» (أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ).

یا می گفتند: «کتابی است عجمی برای امتی عربی؟»

خلاصه آنها بیمار دلانی هستند که هر طرحی ریخته شود و هر برنامه‌ای پیاده گردد به آن ایرادی می کنند، و بهانه‌ای می تراشند.

سپس قرآن خطاب به پیامبر صلی الله علیه و اله می‌افزاید: «بگو: این (کتاب آسمانی) برای کسانی که ایمان آورده‌اند (مایه) هدایت و درمان است» (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَ شِفَاءً).

«اما کسانی که ایمان نمی‌آورند در گوشه‌هایشان سنگینی است» و آن را درک نمی‌کنند (وَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ).
«و گویی نابینا هستند و آن را نمی‌بینند» (وَ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى).

«آنها (همچون کسانی هستند که گویی) از راه دور صدا زده می‌شوند!» (أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۱۸

و معلوم است چنین کسانی نه می‌شنوند و نه می‌بینند!

سوره فصلت (۴۱): آیه ۴۵ ص: ۳۱۸

(آیه ۴۵) - در این آیه برای تسلی خاطر پیامبر صلی الله علیه و اله و مؤمنان نخستین می‌فرماید: از انکار و لجاجت و بهانه جویی این قوم خیره‌سر نگران مباش، این سابقه طولانی دارد «ما به موسی کتاب آسمانی دادیم سپس در آن اختلاف شد» بعضی پذیرا گشتند و بعضی از در انکار در آمدند (وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ).

و اگر مشاهده می‌کنی ما در مجازات این دشمنان لجوج تعجیل نمی‌کنیم به خاطر این است که مصالح تربیتی ایجاب می‌کند آنها آزاد باشند، و تا آنجا که ممکن است اتمام حجت شود، «و اگر فرمانی از ناحیه پروردگارت در این زمینه صادر نشده بود (که باید به آنان مهلت داد تا اتمام حجت شود) در میان آنها داوری می‌شد» و به کیفر می‌رسیدند! (وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ).

این فرمان الهی بر اساس مصالح هدایت انسانها و اتمام حجت بوده، و این سنت در میان تمام اقوام گذشته جاری شده و در باره قوم تو نیز جاری است.

«ولی آنها هنوز در باره آن شکی تهمت انگیز دارند!» (وَ إِنِّي لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ).

سوره فصلت (۴۱): آیه ۴۶ ص: ۳۱۸

(آیه ۴۶) - در این آیه یک قانون کلی که قرآن بارها روی آن تأکید کرده در ارتباط با اعمال انسانها بیان می‌کند، و تکمیلی است بر بحث گذشته در زمینه بهره‌گیری مؤمنان از قرآن، و محروم ماندن افراد بی‌ایمان از این سرچشمه فیض الهی.

می‌فرماید: «هر کس عمل صالحی انجام دهد سودش برای خود اوست، و هر کسی بدی کند به خویشتن بدی کرده، و پروردگارت هرگز به بندگان ستم نمی‌کند» (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ).

بنابر این اگر آنها به این کتاب و این آیین بزرگ ایمان نیاورند نه به خداوند زیانی می‌رسانند، و نه به تو، چرا که خوبیها و بدیها همه به صاحبانش باز می‌گردد.

تعبیر به «ظلام» (بسیار ظلم کننده) در اینجا و در بعضی دیگر از آیات قرآن برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۱۹

ممکن است اشاره به این باشد که مجازات بی‌دلیل از سوی خداوند بزرگ همیشه مصداق ظلم بسیار خواهد بود، چرا که از او هرگز چنین انتظاری نیست بخصوص این که او بندگان فراوانی دارد اگر بر هر کس مختصر ستمی کند مصداق «ظلام» خواهد

سوره فصلت (۴۱): آیه ۴۷ ص: ۳۱۹

(آیه ۴۷) - اسرار همه چیز نزد اوست: در آیه قبل سخن از بازگشت اعمال نیک و بد به صاحبان آنها بود که اشاره ضمنی به مسأله ثواب و جزای روز قیامت داشت.

در اینجا این سؤال برای مشرکان مطرح می‌شد که این قیامت که می‌گویی کی خواهد آمد؟! قرآن نخست در پاسخ این سؤال می‌گوید: «علم به قیامت (و لحظه وقوع آن) تنها به خدا باز می‌گردد» (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ). هیچ پیامبر مرسل و فرشته مقربی نیز از آن آگاه نیست.

سپس می‌افزاید: نه تنها آگاهی بر زمان قیام قیامت مخصوص خداست، علم به اسرار این عالم و موجودات پنهان و آشکارش نیز از آن اوست «هیچ میوه‌ای از غلاف خود خارج نمی‌شود، و هیچ زنی باردار نمی‌گردد، و وضع حمل نمی‌کند مگر به علم او» (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ).

نه در عالم گیاهان و نه در عالم حیوان و انسان نطفه‌ای منعقد نمی‌شود و بارور نمی‌گردد و تولد نمی‌یابد مگر به فرمان خداوند بزرگ و به مقتضای علم و حکمت او.

سپس می‌افزاید: این گروه که قیامت را انکار می‌کنند، یا به باد استهزاء می‌گیرند، «در آن روز که (قیامت بر پا می‌شود) آنها را ندا می‌دهد: کجا هستید شریکانی که برای من می‌پنداشتید! می‌گویند: (پروردگارا!) ما عرضه داشتیم که هیچ برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۲۰

گواهی بر گفته‌های خود نداریم» (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَئِنَّ شُرَكَائِيَ قَالُوا آذْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ).

آنچه می‌گفتیم سخنان بی‌اساس و بی‌پایه بود، امروز بهتر از هر زمان می‌فهمیم که چه اندازه این ادعاها باطل و بی‌اساس بوده است.

سوره فصلت (۴۱): آیه ۴۸ ص: ۳۲۰

(آیه ۴۸) - و در این حال می‌بینند «همه معبودانی را که قبلاً می‌خواندند محو و گم می‌شوند» (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ).

اصلاً صحنه قیامت آن چنان برای آنها وحشتناک است که خاطره بتها نیز از نظرشان محو و نابود می‌شود.

آری «در آن روز می‌دانند که هیچ گریزگاهی ندارند» (وَضُنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ).

سوره فصلت (۴۱): آیه ۴۹ ص: ۳۲۰

(آیه ۴۹) - این انسانهای کم ظرفیت! به تناسب بحثی که در آیات گذشته در باره مشرکان و سرنوشت آنها بیان شده بود، در اینجا ترسیمی از حال این انسانهای ضعیف و بی‌ایمان شده.

نخست می‌فرماید: «انسان هرگز از تقاضای نیکی (و نعمت) خسته نمی‌شود» (لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ).

هرگز تنور حرص او از گرمی نمی‌افتد، هر چه بیشتر پیدا می‌کند باز بیشتر می‌خواهد، و هر چه به او بدهند باز سیر نمی‌شود. «اما (اگر دنیا به او پشت کند، نعمتهای او زائل گردد،) شر و بدی به او رسد بسیار مأیوس و نومید می‌شود» (وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُؤْسُقَنْوُطًا).

منظور از «انسان» در اینجا «انسان تربیت نیافته» ای است که قلبش به نور معرفت الهی و ایمان پروردگار، و احساس مسئولیت در روز جزا روشن نشده.

سوره فصلت (۴۱): آیه ۵۰ ص: ۳۲۰

(آیه ۵۰) - در این آیه به یکی دیگر از حالات نامطلوب انسانهای دور مانده از علم و ایمان یعنی حالت غرور و از خود راضی بودن اشاره کرده، می‌فرماید:

«و هر گاه او را (انسان) رحمتی از سوی خود، بعد از ناراحتی که به او رسیده بچشانیم، می‌گوید: این به خاطر شایستگی و استحقاق من بوده است» (وَ لَئِنْ أَدْقَنَاهُ بِرْكَزِيدَةٍ تَفْسِيرِ نَمُونَةٍ، ج ۴، ص: ۳۲۱
رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي)

این بینوای مغرور فراموش می‌کند که اگر لطف خدا نبود به جای این نعمت باید گرفتار بلا شود.

در دنباله آیه می‌افزاید: این غرور سر انجام او را به انکار آخرت می‌کشاند و می‌گوید: «من باور ندارم قیامتی در کار باشد» (وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً).

و به فرض که قیامت در کار باشد «هر گاه من به سوی پروردگارم باز گردم پادشاهای نیک و مواهب بسیار از برای من نزد او آماده است» (وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسَيْنِي . خدایی که در دنیا مرا این چنین گرامی داشته حتما در آخرت بهتر از این پذیرایی خواهد کرد! ولی خداوند این افراد مغرور و خیره‌سر را در پایان این آیه چنین تهدید می‌کند که: «ما به زودی کافران را از اعمالی که انجام داده‌اند آگاه خواهیم کرد، و از عذاب شدید به آنها می‌چشانیم» (فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَ لَنَدِيْقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيْظٍ).

سوره فصلت (۴۱): آیه ۵۱ ص: ۳۲۱

(آیه ۵۱) - در این آیه سومین حالتی را که برای این گونه انسانها به هنگام اقبال و ادبار دنیای مادی رخ می‌دهد باز گو می‌کند که حالت فراموشکاری به وقت نعمت، و جزع و فزع به هنگام مصیبت است.

می‌فرماید: «و هر گاه به انسان (غافل و بی‌خبر) نعمت دهیم روی می‌گردانند، و با حال تکبر از حق دور می‌شود» (وَ إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَأَى بِجَانِبِهِ).

«ولی هر گاه مختصر ناراحتی به او رسد تقاضای فراوان و مستمر (برای برطرف شدن آن) دارد» (وَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَوَدُو دُعَاءِ عَرِيْضٍ).

آری! چنین است انسان فاقد ایمان و تقوا که دائما به این حالات گرفتار است، به هنگام روی آوردن نعمتها «حریص» و «مغرور» و «فراموشکار» و به هنگام پشت کردن نعمتها «مأیوس» و نومید و «پرجزع».

ولی در مقابل، مردان حق و پیروان راستین مکتب انبیا آن چنان پرظرفیت و پرمایه‌اند که نه روی آوردن نعمتها آنها را دگرگون می‌سازد، و نه ادبار دنیا ضعیف برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۲۲ و ناتوان و مأیوس.

سوره فصلت(۴۱): آیه ۵۲..... ص: ۳۲۲

(آیه ۵۲) - در این آیه آخرین سخن را با این افراد لجوج در میان می‌گذارد، و اصل عقلی معروف دفع ضرر محتمل را با بیانی روشن برای آنها تشریح می‌کند، خطاب به پیامبر کرده، می‌فرماید: «بگو: به من خبر دهید اگر این قرآن از سوی خداوند باشد و شما به آن کافر شوید، چه کسی گمراهرتر خواهد بود از آن کس که در مخالفت دور و گمراهی شدید قرار دارد؟! (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ). این همان سخنی است که ائمه دین علیهم السّلام در برابر افراد لجوج در آخرین مرحله مطرح می‌کردند چنانکه در حدیثی می‌خوانیم: امام صادق علیه السّلام به «ابن ابی العوجاء» مادی و ملحد عصر خود فرمود: «اگر مطلب این باشد که تو می‌گویی (و خدا و قیامتی در کار نباشد) که مسلما چنین نیست، هم ما اهل نجاتیم و هم تو، ولی اگر مطلب این باشد که ما می‌گوییم، و حق نیز همین است، ما اهل نجات خواهیم بود و تو هلاک می‌شوی».

سوره فصلت(۴۱): آیه ۵۳..... ص: ۳۲۲

(آیه ۵۳) - نشانه‌های حق در جهان بزرگ و کوچک: در این آیه و آیه بعد که سوره فصلت با آن پایان می‌گیرد، به دو مطلب مهم که در حقیقت یک نوع جمع بندی از بحثهای این سوره است اشاره شده آیه اول در باره توحید (با قرآن) سخن می‌گوید و آیه دوم در باره معاد.

می‌فرماید: «ما به زودی آیات و نشانه‌های خود را در آفاق و اطراف جهان، و همچنین در درون جان خود آنها، به آنان، نشان می‌دهیم، تا برای آنها روشن شود که خداوند حق است» (سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ).

«آیات آفاقی» همچون آفرینش خورشید و ماه و ستارگان با نظام دقیقی که بر آنها حاکم است، و آفرینش انواع جانداران و گیاهان و کوهها و دریاها با عجائب و شگفتیهای بی‌شمارش، و موجودات گوناگون اسرار آمیزش، که هر زمان اسرار تازه‌ای از خلقت آنها کشف می‌شود. هر یک آیه و نشانه‌ای است بر حقانیت برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۲۳

ذات پاک او! و «آیات انفسی» همچون آفرینش دستگاههای مختلف جسم انسان و نظامی که بر ساختمان حیرت انگیز مغز و حرکات منظم قلب و عروق و بافتها و استخوانها، و انعقاد نطفه و پرورش جنین در رحم مادران، و از آن بالاتر اسرار و شگفتیهای روح انسان می‌باشد. که هر گوشه‌ای از آن کتابی است از معرفت پروردگار و خالق جهان! و در پایان این آیه این بیان لطیف و جالب را با جمله زیبا و پرمعنای دیگری تکمیل کرده، می‌افزاید: «آیا کافی نیست که پروردگارت بر هر چیز شاهد و گواه است» (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ).

چه شهادتی از این برتر و بالاتر که با خط تکوین قدرت خویش را بر پیشانی همه موجودات نوشته است، بر صفحه برگهای درختان، در لابلای گلبرگها، در میان طبقات اسرارآمیز مغز، و بر روی پرده‌های ظریف چشم، بر صفحه آسمان و بر قلب زمین، و خلاصه بر همه چیز نشانه‌های توحید خود را نوشته و گواهی تکوینی داده است.

(آیه ۵۴) - آخرین آیه این سوره، سرچشمه اصلی بدبختیهای این گروه مشرک و فاسد و ظالم را بیان کرده، می گوید: «آگاه باشید که آنها از لقای پروردگارشان (و رستاخیز) در شک و تردیدند» (أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيئَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ). و چون ایمان به حساب و جزا ندارند دست به هر جنایتی می زنند «و آگاه باشید که خداوند به همه چیز احاطه دارد» (أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ).

همه اعمال و گفتار و نیت آنها در پیشگاه علمش روشن است، و تمام آن برای دادگاه بزرگ قیامت ثبت و ضبط خواهد شد. در حقیقت جمله اخیر پاسخی است به بعضی از شبهات کفار در مورد معاد، از جمله این که: چگونه ممکن است این خاکهای پراکنده و به هم آمیخته شده از هم جدا گردد؟ و از این گذشته چه کسی آگاه از نیت و اعمال و گفتار همه انسانها در طول تاریخ بشر است.

قرآن در پاسخ همه این سؤالات می گوید: خدایی که به همه چیز احاطه دارد برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۲۴ تمام این مسائل برای او روشن است، و دلیل بر احاطه علمی او بر همه چیز تدبیر او نسبت به همه اشیاء است، چگونه ممکن است مدبر عالم از وضع جهان بی خبر باشد؟! منظور از «احاطه پروردگار» به همه چیز وابستگی همه موجودات در ذاتشان به وجود مقدس اوست.

به تعبیر دیگر در عالم هستی یک وجود اصیل و قائم به ذات بیش نیست، و بقیه موجودات امکانیه همه متکی و وابسته به او هستند که اگر یکدم این ارتباط از میان برداشته شود همه فانی و معدوم می شوند.

«پایان سوره فصلت»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۲۵

سوره شوری [۴۲]..... ص: ۳۲۵

اشاره

این سوره ۵۳ آیه دارد و همه آن - جز چند آیه که محل گفتگوست - در «مکه» نازل شده است

محتوای سوره:..... ص: ۳۲۵

این سوره بحثهای مختلفی دارد که بطور خلاصه چنین است:

بخش اول: که مهمترین بخش این سوره را تشکیل می دهد بحث پیرامون وحی و ارتباط خداوند با پیامبران از این طریق مرموز است.

بخش دوم: اشاراتی است بر معنی به دلائل توحید، و آیات خداوند در آفاق و انفس که بحث وحی را تکمیل می کند.

بخش سوم: اشاراتی به مسأله معاد و سرنوشت کفار در قیامت دارد.

بخش چهارم: یک سلسله مباحث اخلاقی است.

نامگذاری این سوره به این نام به خاطر آیه ۳۸ است که مسلمانان را دعوت به مشورت در امور می کند.

در حدیثی از امام صادق علیه السلام می‌خوانیم: «کسی که سوره شوری را بخواند روز قیامت با صورتی سفید و درخشانده همچون آفتاب محشور می‌شود، تا به پیشگاه خدا می‌آید، می‌فرماید: بنده من! قرائت سوره حم، عسق را تداوم دادی، در حالی که پاداش آن را نمی‌دانستی، اما اگر می‌دانستی چه پاداشی دارد هیچ گاه از قرائت آن خسته نمی‌شدی، ولی من امروز پاداش تو را به تو خواهم داد، سپس دستور می‌دهد او را وارد بهشت کنند و غرق در نعمتهای ویژه بهشتی».

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۲۶

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره الشوری (۴۲): آیات ۱ الی ۲ ص : ۳۲۶

(آیه ۱ و ۲) - باز در دو آیه اول این سوره با «حروف مقطعه» رو برو می‌شویم، حروف مقطعه‌ای که در یکی از مفصلترین اشکال منعکس شده، یعنی پنج حرف «حا، میم - عین، سین، قاف» (حم - عسق).
«حم» در آغاز هفت سوره قرآن مجید است منتها در خصوص سوره شوری «عسق» نیز بر آن افزوده شده است.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۳ ص : ۳۲۶

(آیه ۳) - بعد از حروف مقطعه، طبق معمول سخن از وحی و قرآن شروع می‌شود، می‌فرماید: «این گونه خداوند عزیز و حکیم به تو و پیامبرانی که قبل از تو بودند وحی می‌کند» (كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).
سر چشمه وحی همه جا یکی است، و آن علم و قدرت پروردگار است، و محتوای وحی نیز در اصول و کلیات نسبت به تمام پیامبران یکی است.

عزت و قدرت شکست ناپذیر او ایجاب می‌کند که توانایی بر وحی و محتوای عظیم آن را داشته باشد، و حکمت او ایجاب می‌کند که وحی الهی از هر نظر حکیمانه و هماهنگ با نیازهای تکامل انسانها باشد.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۴ ص : ۳۲۶

(آیه ۴) - سپس می‌افزاید: «آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است از آن اوست، و او بلند مرتبه و بزرگ است» (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ).
مالکیت او نسبت به آنچه در آسمان و زمین است ایجاب می‌کند که از مخلوقات خود و سرنوشت آنها بیگانه نباشند و نیازهای آنها را از طریق وحی بر آنها نازل کند.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۵ ص : ۳۲۶

(آیه ۵) - در این آیه می‌افزاید: «نزدیک است آسمانها (به خاطر نسبتهای ناروای مشرکان) از بالا - متلاشی شوند» (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ).

سپس در دنباله آیه می‌افزاید: «و فرشتگان پیوسته تسبیح و حمد برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۲۷
پروردگارشان را به جا می‌آورند و برای کسانی که در زمین هستند استغفار می‌کنند» (وَ الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ
يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ).

رابطه این جمله با جمله قبل چنین است که فرشتگان حامل این وحی بزرگ آسمانی پیوسته حمد و تسبیح خدا به جا
می‌آورند. و او را به هر کمالی می‌ستایند، و از هر نقصی منزّه می‌شمرند، و چون در محتوای این وحی بزرگ یک سلسله
تکالیف و وظائف الهی است، و احیانا ممکن است برای مؤمنان لغزشهایی پیش آید، می‌گوید آنها به یاری مؤمنان می‌شتابند.
و برای لغزشهای آنها از خدا طلب آمرزش می‌کنند.

در پایان این آیه به دو وصف دیگر از اوصاف پروردگار که آن هم در زمینه غفران و رحمت است و تناسب نزدیکی با مسأله
وحی و محتوای آن در مورد وظائف مؤمنان دارد اشاره کرده، می‌فرماید: «آگاه باشید خداوند آمرزنده و مهربان است» (أَلَا إِنَّ
اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ).

و به این ترتیب مجموعه کاملی از اسمای حسنی خداوند را در رابطه با مسأله وحی بیان می‌کند، و در ضمن اشاره لطیفی
است بر اجابت دعای فرشتگان در مورد استغفار برای مؤمنان.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۶ ص: ۳۲۷

(آیه ۶) - به تناسب اشاره‌ای که در آیات گذشته به مسأله شرک شده، در این آیه به نتیجه کار مشرکان و انتهای مسیرشان
پرداخته، می‌گوید: «کسانی که غیر خدا را ولی خود برگزیدند خداوند حساب همه اعمال آنها را نگه می‌دارد، و از نیاتشان
آگاه است» (وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظٌ عَلَيْهِمْ). تا به موقع حساب آنها را برسد و کیفر لازم را به آنها بدهد.
سپس روی سخن را به پیامبر صلی الله علیه و اله کرده، می‌گوید: «تو مأمور نیستی که آنها را مجبور به قبول حق کنی» (وَ مَا
أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ).
وظیفه تو تنها ابلاغ رسالت، و رسانیدن پیام خدا به همه بندگان است.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۷ ص: ۳۲۷

(آیه ۷) - قیامی از «امّ القری»! بار دیگر به مسأله وحی باز می‌گردد، و اگر در آیات قبل از اصل وحی سخن در میان بود در
اینجا سخن از هدف نهایی وحی برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۲۸
است، می‌فرماید: «و این گونه قرآنی عربی [فصیح و گویا] را بر تو وحی کردیم تا امّ القری [مکه و مردم پیرامون آن را انداز
کنی» (وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا).
«و آنها را از روزی که همه خلائق در آن روز جمع می‌شوند و شک و تردیدی در آن نیست بترسانی» (وَ تُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا
رَيْبَ فِيهِ).

از آن روز که مردم به دو گروه تقسیم می‌شوند «گروهی در بهشتند، و گروهی در آتش سوزان دوزخ» (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ
فِي السَّعِيرِ). روزی که به خاطر اجتماع عموم انسانها رسوائیش بسیار دردناک و شدید است.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۸ ص: ۳۲۸

(آیه ۸) - از آنجا که آیه قبل بیانگر تقسیم مردم به دو گروه بود، در این آیه می‌افزاید: «و اگر خدا می‌خواست همه آنها را امت واحدی قرار می‌داد» (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً).

و به حکم اجبار هدایت می‌کرد اما ایمان اجباری چه ارزشی دارد؟ و چگونه می‌تواند معیار کمال انسانی گردد؟ تکامل واقعی آن است که انسان با اراده خویش، و در نهایت اختیار و آزادی طی کند. این بزرگترین امتیازی است که خداوند به او داده، و راه تکامل را به صورت نامحدود به روی او گشوده است، این سنت غیر قابل تغییر الهی است.

سپس به مسأله مهم دیگری در این رابطه می‌پردازد و توصیف گروهی را که اهل بهشت و سعادتند در برابر گروهی که به دوزخ فرستاده می‌شوند با این عبارت بیان می‌کند: «ولی خداوند هر که را بخواهد در رحمت خود وارد می‌کند، و برای ظالمان ولی و یآوری نیست» (وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ).

سوره الشوری (۴۲): آیه ۹ ص: ۳۲۸

(آیه ۹) - ولی مطلق خداست: از آنجا که در آیه قبل این واقعیت بیان شده که هیچ ولی و یآوری جز خداوند نیست، در اینجا برای تأیید این واقعیت و نفی ولایت غیر خدا دلائل زنده‌ای مطرح می‌کند.

نخست در لباس تعجب و انکار می‌فرماید: «آیا آنها غیر خدا را ولی خود قرار برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۲۹ دادند؟» (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ).

با این که «ولی تنها خداست» (فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ).

پس اگر می‌خواهند برای خود ولی و سرپرستی برگزینند باید خدا را برگزینند.

سپس به دلیل دیگری پرداخته، می‌گوید: «اوست که مردگان را حیات می‌بخشد» (وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى).

و چون معاد و رستاخیز به دست اوست، و بزرگترین نگرانی انسان چگونگی زندگی او بعد از مرگ است، بنابر این باید دست به دامن والای او زد و نه غیر او.

سپس به ذکر دلیل سوم پرداخته، می‌گوید: «اوست که بر هر چیزی تواناست» (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

اشاره به این که شرط اصلی «ولی» دارا بودن قدرت است و قادر حقیقی اوست.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۱۰ ص: ۳۲۹

(آیه ۱۰) - و در این آیه چهارمین دلیل ولایت او را به این صورت شرح می‌دهد: «و در هر چیز اختلاف کنید داوری و حکمش با خداست، و تنها اوست که می‌تواند به اختلافات شما پایان دهد» (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ).

آری! یکی از شؤون ولایت آن است که بتواند به اختلافات کسانی که تحت ولایت او هستند با داوری صحیحش پایان دهد.

بعد از ذکر این دلائل مختلف بر انحصار مقام ولایت در ذات پاک خداوند از قول پیامبرش صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ می‌گوید: «این است خداوند پروردگار من» با این اوصاف کمالیه (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي).

و به همین دلیل من او را ولی و یاور خود برگزیده‌ام «بر او توکل کردم و به سوی او (در مشکلات و گرفتاریها و لغزشها) باز می‌گردم» (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ).

سوره الشوری (۴۲): آیه ۱۱ ص: ۳۲۹

(آیه ۱۱) - این آیه می‌تواند دلیل پنجمی بر ولایت مطلقه پروردگار باشد، یا دلیلی بر مقام ربوبیت و شایستگی او برای توکل و اتانابه، می‌فرماید: «او آفریننده برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۳۰
آسمانها و زمین است» (فَاِطْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

البته منظور از آسمانها و زمین در اینجا تمام آسمانها و زمین و موجوداتی است که در آنها و میان آنها وجود دارد. سپس به توصیف دیگری از افعال او پرداخته، می‌گوید: «و از جنس شما همسرانی برای شما قرار داد و جفتهایی از چهارپایان آفرید و شما را به این وسیله [بوسیله همسران زیاد می‌کند] (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ). وجود همسران از یک سو مایه آرامش روح و جان انسان هستند، و از سوی دیگر مایه بقاء نسل و تکثیر مثل و تداوم وجود او. در توصیف سوم می‌گوید که در این آیه ذکر شده، می‌فرماید: «هیچ چیز همانند او نیست» (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ).

این جمله در حقیقت پایه اصلی شناخت تمام صفات خداست که بدون توجه به آن به هیچ یک از اوصاف پروردگار نمی‌توان پی برد، زیرا خطرناکترین پرتگاهی که بر سر راه پویندگان طریق «معرفه الله» قرار دارد همان پرتگاه «تشبیه» است که خدا را در وصفی از اوصاف شبیه مخلوقاتش بدانند این امر سبب می‌شود که به درّه شرک سقوط کنند.

به تعبیر دیگر او وجودی است بی‌پایان و نامحدود از هر نظر و هرچه غیر اوست، محدود و متناهی است از هر نظر، از نظر عمر، قدرت، علم، حیات، اراده، فعل، و خلاصه همه چیز، و این همان خط «تنزیه» و پاک شمردن خداوند از نقائص ممکنات است. و در پایان آیه و بیان اوصاف دیگر ذات مقدسش می‌گوید: «و او شنوا و بیناست» (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). آری! او هم خالق است، و هم مدبر، هم شنواست و هم بینا، و در عین حال شبیه و نظیر و مانند ندارد.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۱۲ ص: ۳۳۰

(آیه ۱۲) - در این آیه سخن از سه قسمت دیگر از صفات فعل و ذات برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۳۱
پروردگار است که هر کدام مسأله ولایت و ربوبیت او را در بعد خاصی نشان می‌دهد. نخست می‌فرماید: «کلیدهای آسمانها و زمین از آن اوست» (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ). بنا بر این هر کس هر چه دارد از اوست، و هر چه می‌خواهد باید از او بخواهد، نه تنها «کلیدها» بلکه «خزائن» آسمانها و زمین نیز از آن اوست.

در توصیف بعد که در حقیقت نتیجه‌ای است برای توصیف قبل، می‌افزاید:

«روزی را برای هر کس بخواهد گسترش می‌دهد و (برای هر کس بخواهد) تنگ و محدود می‌سازد» (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ).

از آنجا که خزائن عالم در دست اوست تمام رزق و روزیها نیز در قبضه قدرت او قرار دارد، و بر طبق مشیتش که از حکمت او سر چشمه می‌گیرد و مصالح بندگان در آن ملحوظ است آن را تقسیم می‌کند.

و از آنجا که بهره‌مند ساختن همه موجودات زنده از روزیها نیاز به علم و آگاهی از مقدار احتیاجات و محل و سایر خصوصیات آنها دارد، در آخرین توصیف اضافه می‌کند: «او به همه چیز داناست» (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). و به این ترتیب در چهار آیه فوق یازده وصف دیگر از اوصاف کمالیه پروردگار (اعم از اوصاف ذات و اوصاف فعل) بیان شده است.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۱۳ ص: ۳۳۱

(آیه ۱۳) - آیین تو عصاره آیین همه انبیاست! از آنجا که بسیاری از بحثهای این سوره در برابر مشرکان است، در اینجا این حقیقت را روشن می‌سازد که دعوت اسلام به توحید دعوت تازه‌ای نیست.

می‌فرماید: «خداوند آیینی را برای شما تشریح کرد که به نوح (نخستین پیامبر اولوالعزم) توصیه کرده بود» (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا).

«همچنین آنچه را بر تو وحی فرستادیم، و ابراهیم و موسی و عیسی را به آن سفارش کردیم» (وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى).

و به این ترتیب آنچه در شرایع همه انبیا بوده در شریعت توست و «آنچه خوبان همه دارند تو تنها داری!» برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۳۲

لذا در دنباله آیه به عنوان یک دستور کلی به همه این پیامبران بزرگ می‌افزاید: به همه آنها توصیه کردیم که: «دین را برپا دارید و در آن تفرقه ایجاد نکنید» (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ).

و به دنبال آن می‌افزاید: هر چند «بر مشرکان گران است آنچه شما آنان را به سویش دعوت می‌کنید!» (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ).

آنها بر اثر جهل و تعصب سالیان دراز آن چنان به شرک و بت پرستی خو گرفته‌اند و در اعماق وجودشان حلول کرده که دعوت به توحید مایه وحشت آنهاست.

ولی با این حال همان‌گونه که گزینش پیامبران به دست خداست، هدایت مردم نیز به دست اوست «خداوند هر کس را بخواهد بر می‌گزیند، و کسی را که به سوی او بازگردد هدایت می‌کند» (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ).

در این آیه تنها به پنج تن از پیامبران خدا اشاره شده (نوح و ابراهیم و موسی، عیسی و محمد صلی الله علیه و اله) چرا که پیامبران اولوالعزم یعنی صاحبان دین و آیین جدید تنها این پنج تن هستند، و در حقیقت آیه اشاره‌ای است به انحصار پیامبران صاحب شریعت در این پنج نفر.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۱۴ ص: ۳۳۲

(آیه ۱۴) - و از آنجا که یکی از دو رکن دعوت انبیای اولوالعزم عدم تفرقه در دین است و مطمئناً همه آنها روی این مسأله تبلیغ کردند، این سؤال پیش می‌آید پس سر چشمه این همه اختلافات مذهبی از کجاست؟

این آیه به پاسخ این سؤال پرداخته، سر چشمه اصلی اختلافات دینی را چنین بیان می‌کند: «آنها راه تفرقه را پیش نگرفتند مگر بعد از آنکه (اتمام حجت بر آنها شد، و) علم و آگاهی کافی به آنها رسید، و این تفرقه جویی به خاطر حب دنیا و ریاست و

ظلم و حسد و عداوت بود» (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ).

به این ترتیب سر چشمه اختلافهای مذهبی جهل و بی خبری نبود، بلکه بغی برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۳۳ و ظلم و انحراف از حق و اعمال نظرهای شخصی بود.

«دانشمندان دنیا طلب» و «عوامهای متعصب و کینه توز» دست به دست دادند و این اختلافات را بنیان نهادند.

این آیه پاسخ روشنی است به آنها که می گویند مذهب در میان بشر ایجاد اختلاف کرده، و خونریزیهای فراوانی در طول تاریخ به بار آورده است.

سپس قرآن می افزاید: «اگر فرمانی از سوی پروردگار تو صادر نشده بود که آنها تا سر آمد معینی زنده و آزاد باشند خداوند در میان آنها داوری می کرد» طرفداران باطل را نابود می ساخت و پیروان حق را پیروز (وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ).

آری! دنیا سرای آزمون و پرورش و تکامل است، و این بدون آزادی عمل امکان پذیر نیست، این فرمان تکوینی خداوند است که از آغاز خلقت انسان بوده و دگرگونی در آن راه ندارد، این طبیعت زندگی دنیاست، ولی از امتیازات سرای آخرت حل تمام این اختلافات و رسیدن انسانیت به یکپارچگی کامل است.

و در آخرین جمله به توضیح حال کسانی می پردازد که بعد از این گروه بر سر کار آمدند، گروهی که عهد پیامبران را درک نکردند، می فرماید: «کسانی که بعد از آنها وارثان کتب آسمانی شدند از آن در شک و تردیدند، شکی توأم با بدبینی و سوء ظن!» (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَبٍ).

سوره الشوری (۴۲): آیه ۱۵ ص: ۳۳۳

(آیه ۱۵) - آن گونه که مأمور شده‌ای استقامت کن! از آنجا که در آیات قبل مسأله تفرقه امتها بر اثر بغی و ظلم و انحراف مطرح شده، در این آیه به پیامبر صلی الله علیه و اله دستور می دهد که برای حل اختلافات و احیای آیین انبیا بکوشد، و در این راه نهایت استقامت را به خرج دهد.

می فرماید: «پس به همین خاطر تو نیز (انسانها را به سوی این آیین واحد الهی) دعوت کن» (فَلِدْلِكَ فَاذْعُ).

سپس دستور به استقامت در این راه داده، می گوید: «و آن چنان که مأمور شده‌ای استقامت نما» (وَ اسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۳۴

و از آنجا که هوی و هوسهای مردم در این مسیر از موانع بزرگ راه است، در سومین دستور می افزاید: «و از هوی و هوسهای آنها پیروی مکن» (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ).

چرا که هر گروهی تو را به تمایلات و منافع شخصی خود دعوت می کنند، همان دعوتی که سرانجامش تفرقه و پراکندگی و نفاق است.

و چون هر دعوتی نقطه شروعی دارد، نقطه شروع آن را خود پیامبر صلی الله علیه و اله قرار می دهد، و در چهارمین دستور می فرماید: «بگو: من ایمان آورده‌ام به هر کتابی که از سوی خدا نازل شده است» (وَ قُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ).

من در میان کتب آسمانی فرق نمی نهم، همه را به رسمیت می شناسم، و از آنجا که برای ایجاد وحدت رعایت «اصل عدالت» ضرورت دارد، در پنجمین دستور آن را مطرح کرده، می فرماید بگو: «من مأمورم که در میان همه شما عدالت کنم» (وَ أُمِرْتُ

لَأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ).

چه در قضاوت و داوریه‌ها، چه در حقوق اجتماعی و مسائل دیگر.

به دنبال این پنج دستور، به جهات مشترک همه اقوام که آن هم در پنج قسمت خلاصه شده، اشاره کرده، می‌فرماید: «خدا پروردگار ما و شماست» (اللَّهُ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ).

«نتیجه اعمال ما از آن ماست و اعمال شما از آن شما» (لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ).

«خصومت شخصی در میان ما نیست» (لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ).

از این گذشته سرانجام، همه ما در یک جا جمع می‌شویم و «خداوند ما و شما را در یکجا (قیامت) جمع می‌کند» (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا).

و قاضی همه ما در آن روز یکی است آری «بازگشت (همه) به سوی اوست» (وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ).

به این ترتیب هم خدای ما یکی است، و هم سرانجام ما یکجاست و هم قاضی دادگاه و مرجع امورمان و از این گذشته همه در برابر اعمالمان مسؤولیم، برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۳۵
و هیچ یک امتیازی بر دیگری جز به ایمان و عمل پاک نداریم.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۱۶ ص: ۳۳۵

(آیه ۱۶) - از آنجا که در آیات گذشته این سخن به میان آمد که پیامبر صلی الله علیه و اله مأمور بود ضمن احترام به محتوای کتب آسمانی عدالت را در میان همه مردم اجرا کند و هرگونه خصومت و محاجه با آنها را ترک کند، در اینجا برای تکمیل این سخن و این که حقانیت پیامبر اسلام نیاز به دلیل ندارد، می‌فرماید: «آنها که در باره خداوند یکتا به محاجه بر می‌خیزند بعد از آن که دعوت او از سوی مردم پذیرفته شد دلیل آنها نزد پروردگارش باطل و بی‌اساس است» (وَ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ).

«و خشم و غضب پروردگار بر آنهاست» (وَ عَلَيْهِمْ غَضَبٌ). چون از روی علم و عمد به مخالفت خود ادامه می‌دهند.

«و عذاب شدید الهی نیز (در قیامت) از آن آنهاست» (وَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ).

چرا که لجاجت و عناد ثمره‌ای جز این ندارد.

منظور از جمله «من بعد ما استجیب له» (بعد از آن که دعوت او اجابت شد) پذیرش توده‌های مردم پاک‌دل و بی‌غرض می‌باشد که با الهام از فطرت الهی و مشاهده محتوای وحی و معجزات گوناگون پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله سر تسلیم در برابر او فرود آوردند.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۱۷ ص: ۳۳۵

(آیه ۱۷) - شتاب نکنید، قیامت می‌آید! در این آیه به یکی از دلایل توحید و قدرت پروردگار - که در عین حال متضمن اثبات نبوت است - در مقابل احتجاج کنندگان بی‌منطق پرداخته، می‌گوید: «خداوند همان کسی است که کتاب آسمانی را به حق نازل کرد و همچنین میزان را» (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَ الْمِيزَانَ).

«حق» کلمه جامعی است که معارف و عقائد حقه، و همچنین اخبار صحیح و برنامه‌های هماهنگ با نیازهای فطری و اجتماعی

را و آنچه از این قبیل است شامل می‌شود.

همچنین «میزان» در معنی کنائی به هرگونه معیار سنجش، و قانون صحیح برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۳۶ الهی، و حتی شخص پیامبر اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارْحَمَتُهُمْ السَّلَامُ که وجودشان معیار تشخیص حق از باطل است اطلاق می‌گردد و میزان روز قیامت نیز نمونه‌ای است از این معنی.

به این ترتیب خداوند کتابی بر پیامبر اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارْحَمَتُهُمْ السَّلَامُ که هم حق است، و هم میزان ارزیابی ارزشها. و از آنجا که نتیجه همه این مسائل، مخصوصاً بروز و ظهور کامل حق و عدالت و میزان در قیامت است در پایان آیه می‌گوید: «تو چه می‌دانی شاید ساعت (قیام رستاخیز) نزدیک باشد؟! (وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ).

همان قیامتی که وقتی بر پا شود همگان در دادگاه عدلش حضور می‌یابند، و در برابر میزان سنجشی که حتی به اندازه سنگینی یک دانه خردل و کوچکتر از آن را دقیقاً می‌سنجد قرار می‌گیرد.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۱۸ ص: ۳۳۶

(آیه ۱۸) - سپس به موضع گیری کفار و مؤمنان در برابر آن پرداخته، می‌گوید: «آنها که به قیامت ایمان ندارند در باره آن شتاب می‌کنند» و می‌گویند: این قیامت کی خواهد آمد؟! (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا). آنها هرگز به خاطر عشق به قیامت و رسیدن به لقای محبوب، این سخن را نمی‌گویند، بلکه از روی استهزاء و مسخره و انکار چنین تقاضایی دارند.

«ولی آنها که ایمان آورده‌اند پیوسته با خوف و هراس مراقب آن هستند، و می‌دانند آن حق است و خواهد آمد» (وَ الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ).

و از اینجا روشن می‌شود که ایمان به قیامت و دادگاه بزرگ عدل الهی مخصوصاً با توجه به این معنی که هر لحظه احتمال وقوع آن می‌رود چه تأثیر تربیتی عمیقی در مؤمنان دارد.

و در پایان آیه به عنوان یک اعلام عمومی، می‌فرماید: «آگاه باشید کسانی که در قیامت تردید می‌کنند (و با لجاج و عناد در مورد آن به محاجه می‌پردازند) در گمراهی عمیقی هستند» (أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۳۷

چرا که نظام این جهان خود دلیلی است بر این که مقدمه‌ای است برای جهان دیگر، که بدون آن، آفرینش این جهان، لغو و بی‌معنی است، نه با حکمت خداوند سازگار است و نه با عدالت او.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۱۹ ص: ۳۳۷

(آیه ۱۹) - از آنجا که در آیات قبل بحثی از عذاب شدید خداوند به میان آمد، و نیز تقاضایی از ناحیه منکران معاد مطرح شده بود که چرا قیامت زودتر بر پا نمی‌شود؟ این آیه برای آمیختن آن «قهر» با «لطف» و برای پاسخگویی به شتاب کردن بی‌معنی منکران معاد می‌فرماید: «خداوند نسبت به بندگانش لطف (و آگاهی) دارد» (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ).

اگر در مجازات جاهلان مغرور تعجیل نمی‌کند آن هم از لطف اوست.

سپس یکی از مظاهر بزرگ لطف عمیمش را - که روزی گسترده اوست - مطرح کرده، می‌گوید: «هرکس را بخواهد روزی

می دهد» (يَزُوقُ مَنْ يَشَاءُ).

منظور این نیست که گروهی از روزی او محرومند، بلکه منظور توسعه روزی است در باره هر کس بخواهد. در آیه ۲۷ از همین سوره نیز می خوانیم: گستردگی و محدودیت روزی او روی حساب معینی است، چرا که «اگر خداوند روزی را برای همه گسترده سازد در زمین طغیان خواهند کرد».

روشن است که «روزی» در اینجا هم ارزاق معنوی را شامل می شود و هم مادی را، هم جسمانی و هم روحانی. و در پایان آیه می افزاید: «او قوی و شکست ناپذیر است» (وَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ). اگر وعده روزی و لطف به بندگان می دهد قادر بر انجام این امر می باشد و به همین دلیل هرگز در وعده های او تخلف نیست.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۲۰ ص: ۳۳۷

(آیه ۲۰) - مزرعه دنیا و آخرت! در این آیه با یک تشبیه زیبا، مردم جهان را در برابر روزیهای پروردگار و چگونگی استفاده از آن، به کشاورزانی تشبیه می کند که گروهی برای آخرت کشت می کنند، و گروهی برای دنیا، و نتیجه هر یک از این دو زراعت را مشخص می کند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۳۸

می فرماید: «کسی که زراعت آخرت را طالب باشد به او برکت می دهیم و بر محصولش می افزاییم» (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ).

«و آنها که فقط برای دنیا کشت کنند (و تلاش و کوششان برای بهره گیری از این متاع زود گذر و فانی باشد) تنها کمی از آنچه را می طلبند به آنها می دهیم اما در آخرت هیچ نصیب و بهره ای نخواهند داشت» (وَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ).

به این ترتیب نه دنیا پرستان به آنچه می خواهند می رسند و نه طالبان آخرت از دنیا محروم می شوند، اما با این تفاوت که گروه اول با دست خالی به سرای آخرت می روند و گروه دوم با دستهای پر! تشبیه جالب و کنایه زیبایی است: انسانها همگی زارعند و این جهان مزرعه ماست اعمال ما بذرهای آن و امکانات الهی بارانی است که بر آن می بارد اما این بذرها بسیار متفاوت است. بعضی محصولش نامحدود، جاودانی و درختانش همیشه خرم و سرسبز و پر میوه، اما بعضی دیگر محصولاتش بسیار کم، عمرش کوتاه و زود گذر و میوه هایی تلخ و ناگوار دارد.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۲۱ ص: ۳۳۸

(آیه ۲۱) - از آنجا که در آیه ۱۳ همین سوره سخن از تشریح دین از ناحیه پروردگار به وسیله پیامبران اولوا العزم بود در ادامه آن در این آیه برای نفی تشریح دیگران، و این که هیچ قانونی در برابر قانون الهی رسمیت ندارد، و اصولاً حق قانونگذاری مخصوص خداست می فرماید: «آیا آنها معبودانی دارند که دین و آیینی بی اذن خداوند برای آنان تشریح کرده اند» (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ).

به دنبال آن با لحنی تهدید آمیز به تشریح کنندگان باطل هشدار داده می گوید:

«هر گاه فرمان حتمی خداوند دائر به مهلت دادن به این گونه اشخاص نبود در میان آنها داوری می شد» دستور عذابشان صادر می گشت و مجالی به آنها نمی داد (وَ لَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ).

در عین حال آنها نباید این حقیقت را فراموش کنند که «برای ظالمان عذاب برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۳۹ دردناکی است» (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

سوره الشوری (۴۲): آیه ۲۲ ص: ۳۳۹

(آیه ۲۲) - سپس به توضیح کوتاهی در باره «عذاب ظالمین» و توضیح بیشتری در باره «پاداش مؤمنان» در مقابل آنها، پرداخته، می‌گوید: در آن روز «ستمگران را می‌بینی که از اعمالی که انجام داده‌اند سخت بیمناکند، اما (چه فایده که) مجازات اعمالشان آنها را فرو می‌گیرد» (تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ واقعٌ بِهِمْ).
«و اما کسانی که ایمان آورده‌اند و عمل صالح انجام داده‌اند در بهترین و سرسبزترین باغهای بهشت جای دارند» (وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ).

اما فضل الهی در باره مؤمنان صالح العمل به همین جا ختم نمی‌شود، آنها چنان مشغول الطاف او هستند که «هر چه بخواهند نزد پروردگارشان برای آنها فراهم است» (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ).
و به این ترتیب هیچ موازنه‌ای بین «عمل» و «پاداش آنها» وجود ندارد، بلکه پاداششان از هر نظر نامحدود است.
و از آن جالبتر تعبیر «عند ربهم» (نزد پروردگارشان) می‌باشد که بیانگر لطف بی‌حساب خداوند در باره آنهاست، چه موهبتی از این بالاتر که به مقام قرب خدا راه یابند؟
بی‌جهت نیست که در پایان آیه می‌گوید: «این است فضل بزرگ» (ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ).

سوره الشوری (۴۲): آیه ۲۳ ص: ۳۳۹

اشاره

(آیه ۲۳)

شأن نزول: ص: ۳۳۹

در تفسیر مجمع البیان شأن نزولی برای آیات ۲۳ تا ۲۶ این سوره از پیامبر گرامی اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله نقل شده است که حاصلش چنین است:

«هنگامی که پیامبر وارد مدینه شد و پایه‌های اسلام محکم گردید، انصار گفتند ما خدمت رسول خدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله می‌رسیم و عرض می‌کنیم: اگر مشکلات مالی پیدا شد این اموال ما بدون هیچ گونه قید و شرط در اختیار تو قرار دارد.

هنگامی که این سخن را خدمتش عرض کردند آیه (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا بَرَّكَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ تَفْسِيرِ نَمُونَه، ج ۴، ص: ۳۴۰

إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى

نازل شد، و پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بر آنها تلاوت کرد، آنها با خوشحالی و رضا و تسلیم از محضرش بیرون آمدند، اما منافقان گفتند: این سخنی است که او بر خدا افترا بسته، و هدفش این است که ما را بعد از خود در برابر خویشاوندانش ذلیل

کند، آیه بعد نازل شد (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا)، و به آنها پاسخ گفت، پیامبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله به سراغ آنان فرستاد و آیه را بر آنها تلاوت کرد، گروهی پشیمان شدند و گریه کردند و سخت ناراحت گشتند آیه سوم نازل گردید: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ).

پیامبر به سراغ آنها فرستاد و آنها را بشارت داد که توبه خالصانه آنان مقبول در گاه خداست.

تفسیر: ص: ۳۴۰

مودت اهل بیت عليهم السّلام پاداش رسالت است: به دنبال آیه قبل که پاداش مؤمنان را بیان می کرد در این آیه، برای بیان عظمت این پاداش بزرگ می افزاید: «این همان چیزی است که خداوند بندگانش را که ایمان آورده اند و عمل صالح انجام داده اند به آن نوید می دهد» (ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ).

بشارت می دهد تا رنجهای طاعت و بندگی و مبارزه با هوای نفس و جهاد در برابر دشمنان بر آنها سخت نیاید. و از آنجا که ابلاغ این رسالت از سوی پیامبر بزرگوار اسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله گاه این توهم را ایجاد می کرد که او چه اجر و پاداشی در برابر رسالت خود از مردم می طلبد به دنبال این سخن به پیامبر دستور می دهد: «بگو: من هیچ پاداشی از شما بر رسالتم درخواست نمی کنم جز دوست داشتن نزدیکانم [اهل بیت]» (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى).

دوستی ذوی القربی بازگشت به مسأله ولایت و قبول رهبری ائمه معصومین عليهم السّلام از دودمان پیامبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله می کند که در حقیقت تداوم خط رهبری پیامبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله و ادامه مسأله ولایت الهیه است و پر واضح است که قبول این ولایت و رهبری همانند نبوت پیامبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله سبب سعادت خود انسانهاست و نتیجه اش به برگزیده تفسیر نمونه،

ج ۴، ص: ۳۴۱

خود آنها بازگشت می کند.

«احمد بن حنبل» در «فضائل الصحابه» با سند خود از سعید بن جبیر از عامر چنین نقل می کند: «هنگامی که آیه «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» نازل شد اصحاب عرض کردند: ای رسول خدا! خویشاوندان تو که مودت آنها بر ما واجب است کیانند؟

فرمود: «علی و فاطمه و دو فرزند آن دو، و این سخن را سه بار تکرار فرمود!»

سوره الشوری (۴۲): آیه ۲۴ ص: ۳۴۱

(آیه ۲۴) - این آیه ادامه آیه قبل در زمینه رسالت و اجر رسالت، و مودت ذی القربی و اهل بیت است.

می فرماید: آنها این وحی الهی را پذیرا نمی شوند «آیا می گویند: او بر خدا دروغ بسته» و اینها زائیده فکر خود اوست که به خدا نسبت می دهد؟ (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا).

«در حالی که اگر خدا بخواهد بر قلب تو مهر می نهد و» اگر خلاف بگویی قدرت اظهار این آیات را از تو می گیرد (فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ).

این در حقیقت اشاره به استدلال منطقی معروفی است که اگر کسی دعوی نبوت کند و معجزات و آیات بینات بر دست و

زبان او ظاهر شود، و مورد حمایت و نصرت الهی قرار گیرد، اما او بر خدا دروغ بندد حکمت خداوند ایجاب می کند که آن معجزات و حمایتش را از او بگیرد، و رسوایش سازد.

سپس برای تأکید این مطلب می افزاید: «و خداوند باطل را محو می کند، و حق را به فرمانش محقق و پا برجا می سازد» (وَ يَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَ يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ).

این وظیفه خداوند است که براساس حکمتش حق را آشکار و باطل را رسوا سازد، با این حال چگونه اجازه می دهد کسی بر او دروغ بندد؟

و اگر تصور شود که ممکن است پیامبر پنهان از علم خدا دست به چنین کاری زند اشتباه بزرگی است «چرا که او به آنچه در درون دلهاست آگاه است» (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۴۲

سوره الشوری (۴۲): آیه ۲۵..... ص: ۳۴۲

(آیه ۲۵) - و از آنجا که خداوند راه بازگشت را همواره به روی بندگان باز می گذارد کرارا در آیات قرآن بعد از مذمت از اعمال زشت مشرکان و گنهکاران به مسأله گشوده بودن درهای توبه اشاره کرده در اینجا نیز پس از گفتار سابق می افزاید: «و او کسی است که توبه را از بندگان پذیرا می شود، و گناهان را می بخشد» (وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ يَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ).

اما اگر تظاهر به توبه کنید، ولی در خفا کاری دیگر انجام دهید، تصور نکنید که از دیده تیزبین علم پروردگار مخفی خواهد ماند، نه «او آنچه را انجام می دهید می داند» (وَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ).

سوره الشوری (۴۲): آیه ۲۶..... ص: ۳۴۲

(آیه ۲۶) - در این آیه پاداش بزرگ مؤمنان و عذاب دردناک کافران را در جمله هایی کوتاه بیان کرده، می فرماید: خداوند «درخواست کسانی را که ایمان آورده اند و عمل صالح انجام داده اند اجابت می کند» (وَ يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ).

«بلکه از فضل خود بر ایشان می افزاید» و حتی مطالبی را که درخواست نکرده اند به آنها می بخشد (وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ). و این نهایت لطف و مرحمت خداوند در باره مؤمنان است.

«اما برای کافران عذاب شدیدی است» (وَ الْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ).

جمعی از مفسران معتقدند که این چهار آیه (آیه ۲۳ تا ۲۶) - در مدینه نازل شده است، و شأن نزولی که در آغاز تفسیر این آیات نقل کردیم گواه بر این معنی است، روایاتی که اهل بیت علیهم السلام را به علی علیه السلام و فاطمه علیها السلام و دو فرزند آنها امام حسن و امام حسین علیهما السلام تفسیر می کند نیز مناسب همین معنی است، زیرا می دانیم ازدواج علی علیه السلام و بانوی اسلام در مدینه انجام گرفت، و تولد امام حسن و امام حسین علیهما السلام در سالهای سوم و چهارم هجری - طبق نقل معروف - بوده است.

اشاره

(آیه ۲۷)

شأن نزول: ص: ۲۴۲

از «خباب بن ارت» صحابی معروف نقل شده که این آیه در باره ما نازل شد، و این به خاطر آن بود که ما به اموال فراوان طوایف «بنی قریظه» و «بنی نضیر» و «بنی قینقاع» از یهود نظر افکنندیم، و آرزو داشتیم که ای برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۴۳

کاش ما هم چنین اموالی داشتیم، آیه نازل شد و به ما هشدار داد که اگر خداوند روزی را برای بندگانش گسترده کند طغیان خواهند کرد.

تفسیر: ص: ۲۴۳

مرفّهین طغیانگر! پیوند این آیه با آیات گذشته ممکن است از این نظر باشد که در آیه قبل آمده بود که خداوند درخواست مؤمنان را اجابت می‌کند، و به دنبال آن این سؤال پیش می‌آید که پس چرا در میان آنها گروهی فقیرند، و هر چه درخواست می‌کنند به جایی نمی‌رسد؟

می‌فرماید: «هر گاه خداوند روزی را برای بندگانش وسعت بخشد در زمین طغیان و سرکشی و ستم می‌کنند» (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ).

«و لذا به مقداری که می‌خواهد (و مصلحت می‌بیند) روزی را نازل می‌کند» (وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ).

و به این ترتیب مسأله تقسیم روزی بر اساس حساب دقیقی است که پروردگار در باره بندگان دارد «چرا که او نسبت به بندگانش آگاه و بیناست» (إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ). او پیمانه و ظرفیت وجودی هر کس را می‌داند و طبق مصلحت او به او روزی می‌دهد نه چندان می‌دهد که طغیان کنند و نه چندان که از فقر فریادشان بلند شود.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۲۸ ص: ۳۴۳

(آیه ۲۸) - درست است که خداوند روزی را با حساب نازل می‌کند تا بندگان طغیان نکنند اما چنان نیست که آنها را محروم و ممنوع سازد، لذا در این آیه می‌افزاید: «و او کسی است که باران نافع را بعد از آن که مردم مأیوس شدند نازل می‌کند و دامنه رحمت خویش را می‌گستراند» (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ). و باید هم چنین باشد «چرا که او ولی و سرپرستی است شایسته ستایش» (وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ).

این آیه در عین این که بیان نعمت و لطف پروردگار است از آیات و نشانه‌های توحید نیز سخن می‌گوید، چرا که نزول باران نظام بسیار دقیق و حساب شده‌ای دارد.
برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۴۴

سوره الشوری (۴۲): آیه ۲۹ ص: ۳۴۴

(آیه ۲۹) - و باز به همین مناسبت در این آیه از یکی از مهمترین آیات علم و قدرت پروردگار سخن به میان آورده، می‌گوید: «و از آیات و نشانه‌های اوست آفرینش آسمانها و زمین و آنچه از جنبندگان در آنها خلق و پراکنده ساخته است» (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ).

و در پایان آیه می‌فرماید: «او هر گاه بخواهد قادر بر جمع کردن آنهاست» (وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ).

منظور از «جمع کردن تمام جنبندگان» در این آیه را بسیاری از مفسران به معنی جمع برای حساب و جزای اعمال در قیامت دانسته‌اند این احتمال نیز وجود دارد که منظور از «جمع» نقطه مقابل «بث» (پراکندن) باشد، به این معنی که «بث» اشاره به آفرینش و گسترش انواع موجودات زنده و جنبندگان است، سپس می‌فرماید هر گاه خدا بخواهد آنها را «جمع» کرده و نابود یا منقرض می‌سازد.

همان گونه که در طول تاریخ تا کنون بسیاری از انواع جنبندگان در روی زمین گسترش عجیبی پیدا کرده، و در زمانی بعد از آن منقرض و جمع شده‌اند، هم گسترش آنها به دست خداست و هم جمع آنها.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۳۰ ص: ۳۴۴

(آیه ۳۰) - از آنجا که در آیات گذشته سخن از رحمت خدا در میان بود و این سخن طبعا این سؤال را بر می‌انگیزد که این مصائبی که ما با آن دست به گریبانیم از کجاست؟

آیه شریفه به این سؤال پاسخ می‌گوید: «هر مصیبتی به شما رسد به خاطر اعمالی است که انجام داده‌اید» (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ).

تازه این تمام مجازات اعمال ناروای شما نیست چرا که «بسیاری را نیز عفو می‌کند» (وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ).

به این ترتیب یکی از فلسفه‌های حوادث دردناک و مشکلات زندگی مجازات الهی و کفاره گناهان است.

در حدیثی از امیر مؤمنان علی علیه السلام نقل شده که فرمود: «بلاها برای ظالم برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۴۵»

تأدیب است، و برای مؤمنان امتحان، و برای پیامبران درجه، و برای اولیاء کرامت و مقام است.»

سوره الشوری (۴۲): آیه ۳۱ ص: ۳۴۵

(آیه ۳۱) - به هر حال ممکن است افرادی تصور کنند که می‌توانند از این قانون حتمی و سنت اجتناب ناپذیر الهی بگریزند،

لذا آیه شریفه می‌فرماید: «شما هرگز نمی‌توانید از چنگال قدرت خداوند در زمین فرار کنید» در آسمانها نیز جایی برای شما نیست (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ).

چگونه شما می‌توانید از حیطة قدرت و حاکمیت او بگریزید در حالی که تمام عالم هستی عرصه حکومت بلا منازع پروردگار

است.

و اگر تصور کنید کسی می‌تواند به کمک شما بشتابد بدانید «غیر از خداوند هیچ ولی و یآوری برای شما نیست» (وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ).

در حقیقت این آیه ضعف و ناتوانی انسان را مجسم می‌کند و آیه قبل عدالت و رحمت پروردگار را.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۳۲ ص: ۳۴۵

(آیه ۳۲) - وزش بادهای منظم و حرکت کشتیها از آیات اوست بار دیگر به بیان نشانه‌های پروردگار و دلائل توحید پرداخته، و بحثی را که در این زمینه در آیات قبل آمده ادامه می‌دهد.

در اینجا به سراغ مطلبی می‌رود که انسانها در زندگی مادی خود با آن بسیار سر و کار دارند، مخصوصا ساحل نشینان و مسافران دریاها، می‌گویند: «از آیات و نشانه‌های خداوند کشتیهایی است همچون کوهها که بر صفحه دریاها به حرکت در می‌آید» (وَ مِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ).

سوره الشوری (۴۲): آیه ۳۳ ص: ۳۴۵

(آیه ۳۳) - سپس برای تأکید بیشتر می‌افزاید: «اگر خداوند اراده کند باد را ساکن می‌سازد تا کشتیها بر پشت دریا ساکن و متوقف شوند!» (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ).

و در پایان آیه برای نتیجه‌گیری اضافه می‌کند: «در این نشانه‌هایی است برای هرکس که دارای مقام صبر و شکر است» (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ).

آری! در این حرکت بادهای، و جریان کشتیها، و آفرینش دریاها، و نظام برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۴۶

و هماهنگی مخصوصی که بر این امور حکمفرماست نشانه‌های گوناگونی برای ذات پاک اوست.

تکیه بر دو وصف «صَبَّار» و «شکور» مجموعاً ترسیم‌گویی از حقیقت ایمان است، چرا که مؤمن در مشکلات و گرفتاریها صبور و در نعمتها شکور است.

لذا در حدیثی از پیامبر صلی الله علیه و اله می‌خوانیم: «ایمان دو نیمه است، نیمی از آن صبر، و نیمی از آن شکر است».

سوره الشوری (۴۲): آیه ۳۴ ص: ۳۴۶

(آیه ۳۴) - باز در این آیه برای مجسم ساختن عظمت این نعمت الهی می‌افزاید: «یا (اگر بخواهد) این کشتیها را به خاطر اعمالی که مسافران و سرنشینانش مرتکب شده‌اند نابود و هلاک می‌سازد» (أَوْ يُوبِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا).

ولی با این حال لطف خداوند شامل حال انسان است «و بسیاری را می‌بخشد» (وَ يَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ).

که اگر نبخشد هیچ کس جز معصومین و خاصان و پاکان از مجازات الهی مصون و برکنار نخواهند بود.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۳۵ ص: ۳۴۶

(آیه ۳۵) - «تا کسانی که در آیات ما مجادله می کنند (و به مخالفت و انکار بر می خیزند) بدانند هیچ پناهگاهی (جز ذات پاک خداوند) ندارند» (وَ يَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ).

چرا که آگاهانه به مخالفت برخاسته، و از روی عداوت و لجاج به ستیزه جویی ادامه می دهند، آنها از عفو و رحمتش ممنوعند.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۳۶ ص: ۳۴۶

(آیه ۳۶) - در این آیه روی سخن را به همگان کرده، می گوید: «پس آنچه به شما عطا شده متاع زود گذر زندگی دنیای فانی است» (فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا).

مبادا شما را فریب دهد و غافل سازد، و تصور کنید همیشه در اختیار شما است، برقی است می جهد و به زودی خاموش می شود، شعله ای است در برابر باد و حبابی است بر سطح آب، و غباری است در مسیر طوفان.

«ولی پادشها و مواهبی که نزد خداست بهتر و پایدارتر است برای کسانی که برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۴۷

ایمان آورده اند و بر پروردگارشان توکل می کنند» (وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ).

اگر بتوانید این متاع زود گذر را با آن سرمایه جاودان مبادله کنید تجارتی پرسود نصیب شما شده، و موفقیتی است بی نظیر! لذا در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ می خوانیم: «به خدا سوگند دنیا در برابر آخرت مثل این است که یکی از شما انگشت خود را به دریا زند و سپس بیرون آورد، باید دید چه مقدار آب دریا را با آن برداشته است؟!»

سوره الشوری (۴۲): آیه ۳۷ ص: ۳۴۷

(آیه ۳۷) - بعد از وصف ایمان و توکل در باره مؤمنان به هفت قسمت از برنامه های عملی آنها اشاره می کند، برنامه ای که بیانگر ارکان یک جامعه سالم با حکومت صالح و قدرتمند است.

نخستین وصف را از پاک سازی شروع می کند، می فرماید: پاداش الهی و آنچه نزد خداست «برای کسانی (بهتر و پایدارتر است) که از گناهان بزرگ و اعمال زشت اجتناب می ورزند» (وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ).

در روایات اهل بیت علیهم السّلام «کبائر» به این صورت تفسیر شده: «گناهان کبیره گناهانی است که خداوند مجازات آتش برای آن مقرر داشته است».

به این ترتیب نخستین نشانه های ایمان و توکل پرهیز و اجتناب از گناهان کبیره است.

در توصیف دوم که آن نیز جنبه پاکسازی دارد در باره تسلط بر نفس به هنگام خشم و غضب که بحرانی ترین حال انسان است سخن می گوید، می فرماید:

«و هنگامی که خشمگین شوند عفو می کنند» (وَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ).

نه تنها در موقع غضب زمام اختیار از کفشان ربوده نمی شود، و دست به اعمال زشت و جنایات نمی زنند، بلکه با آب عفو و غفران قلب خود و دیگران را از کینه ها شستشو می دهند و این صفتی است که جز در پرتو ایمان راستین و توکل بر حق پیدا نمی شود.

در حدیثی از امام باقر علیه السّلام می خوانیم: «کسی که به هنگام شوق و علاقه، و به برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۴۸

هنگام ترس و وحشت، و هنگام خشم و غضب مالک نفس خویشتن باشد خداوند بدن او را بر آتش دوزخ حرام می‌کند»

سوره الشوری (۴۲): آیه ۳۸ ص : ۳۴۸

(آیه ۳۸) - در این آیه به سومین تا ششمین اوصاف آنها اشاره کرده، می‌فرماید: «و آنها که دعوت پروردگارش را اجابت کرده، و فرمانهای او را از جان و دل پذیرفته‌اند» (وَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ).
«و نماز را بر پا داشته‌اند» (وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ).

«و کار آنها به طریق شوری و مشورت در میان آنها صورت می‌گیرد» (وَ أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ).

«و از آنچه به آنها روزی داده‌ایم، در راه خداوند انفاق می‌کنند» (وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ).

در آیه قبل سخن از پاک سازی وجودشان از گناهان و غلبه بر خشم و غضب بود، اما در این آیه سخن از بازسازی وجودشان در جنبه‌های مختلف است که از همه مهمتر اجابت دعوت پروردگار و تسلیم در برابر فرمان اوست.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۳۹ ص : ۳۴۸

(آیه ۳۹) - در توصیف دیگر که هفتمین توصیف مؤمنان راستین است می‌فرماید: «و کسانی که هر گاه ستمی به آنان رسد تسلیم ظالم نمی‌شوند و از دیگران یاری می‌طلبند» (وَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ).

هم مظلوم موظف به مقاومت در برابر ظالم و فریاد برآوردن است، و هم مؤمنان دیگر موظف به پاسخگویی او هستند.

این برنامه مثبت و سازنده به ظالمان هشدار می‌دهد که اگر دست به ستم بیالایند مؤمنان ساکت نمی‌نشینند، و در برابر آنها به پا می‌خیزند، و هم به مظلومان اعتماد می‌بخشد که اگر استغاثه کنند دیگران به یاری آنها می‌شتابند.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۴۰ ص : ۳۴۸

(آیه ۴۰) - ولی از آنجا که یاری کردن یکدیگر نباید از مسیر عدالت خارج شود، و به انتقامجویی، و کینه‌توزی، و تجاوز از حد منتهی گردد، در این آیه فوراً آن را مشروط ساخته، می‌افزاید: توجه داشته باشید «کیفر بدی، مجازاتی همانند آن است» (وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا). زیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۴۹

البته کار ظالم باید «سئیه» و بدی نامیده شود، اما کیفر او مسلماً «سئیه» نیست، و اگر در آیه از آن تعبیر به «سئیه» شده، به خاطر این است که مجازات، آزار و ایذاء است و آزار و ایذاء ذاتا بد است، هر چند به هنگام قصاص و کیفر ظالم کار خوبی محسوب می‌شود.

ولی به هر حال این تعبیر می‌تواند مقدمه‌ای باشد برای دستور عفو که در جمله بعد آمده، گویی می‌فرماید: مجازات هر چه باشد یک نوع آزار است، و اگر طرف پشیمان شده باشد شایسته عفو است.

در این گونه موارد عفو کنید چرا که «هر کس عفو و اصلاح کند اجر و پاداش او برخداست» (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ).

و در پایان آیه می‌فرماید: «خداوند قطعاً ظالمان را دوست ندارد» (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ).

عفو و مجازات هر کدام جای ویژه‌ای دارد، عفو در جایی است که انسان قدرت بر انتقام دارد، و اگر می‌بخشد از موضع

ضعف نیست، این عفو سازنده است.

و کیفر و انتقام و مقابله به مثل در جایی است که هنوز ظالم از مرکب شیطان پیاده نشده، مظلوم پایه‌های قدرت خود را محکم نکرده، و عفو از موضع ضعف است، اینجاست که باید اقدام به مجازات کند.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۴۱ ص: ۳۴۹

(آیه ۴۱) - یاری طلبیدن عیب نیست، ظلم کردن عیب است باز برای تأکید آیات گذشته، در زمینه انتصار، و مجازات ظالم، و عفو و گذشت در موارد مناسب می‌فرماید: «و کسی که بعد از مظلوم شدن یاری بطلبد ایرادی بر او نیست» (وَلَمَنْ اَنْتَصِرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ). چرا که انتصار و استمداد، حق مسلم هر مظلومی است، و یاری مظلومان وظیفه هر انسان آزاده و بیداری است.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۴۲ ص: ۳۴۹

(آیه ۴۲) - «تنها ایراد و مجازات بر کسانی است که به مردم ستم می‌کنند، و در زمین بنا حق ظلم روا می‌دارند» (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۵۰
آنها علاوه بر کیفر و مجازات در دنیا، «در آخرت نیز عذاب دردناکی در انتظارشان است» (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

سوره الشوری (۴۲): آیه ۴۳ ص: ۳۵۰

(آیه ۴۳) - در این آیه باز به سراغ مسأله صبر و شکیبایی و عفو می‌رود تا بار دیگر بر این حقیقت تأکید کند که حق انتقام گیری و قصاص و کیفر برای مظلوم در برابر ظالم هرگز مانع از مسأله گذشت و عفو و بخشش نیست، می‌فرماید: «اما کسانی که شکیبایی کنند، و طرف را مورد عفو قرار دهند این از کارهای پر ارزش است» (وَلَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ).

تعبیر به «عزم الامور» ممکن است اشاره به این باشد که این از کارهایی است که خداوند به آن فرمان داده و هرگز نسخ نمی‌شود و یا از کارهایی است که انسان باید نسبت به آن عزم راسخ داشته باشد.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۴۴ ص: ۳۵۰

(آیه ۴۴) - آیا راه بازگشتی وجود دارد؟ در آیات گذشته سخن از ظالمان و بیدادگران و متجاوزان بود در اینجا به سر انجام کار این گروه و گوشه‌هایی از مجازاتهای آنان اشاره می‌کند.

نخست آنها را از گمراهانی می‌شمرد که هیچ ولی و سرپرستی ندارند، می‌فرماید: «کسی را که خدا گمراه کند ولی و یآوری بعد از او نخواهد داشت» (وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَٰلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ).

نه هدایت جنبه اجباری دارد، نه ضلالت، بلکه نتیجه مستقیم اعمال انسانهاست، گاه انسان کاری انجام می‌دهد که خدا توفیقش را از او سلب کرده و نور هدایت را از قلب او می‌گیرد، و او را در ظلمات گمراهی رها می‌سازد.

به هر حال این یکی از دردناکترین مجازاتهای این ظالمان است.

سپس می‌افزاید: «ظالمان را در روز قیامت می‌بینی که وقتی عذاب الهی را مشاهده می‌کنند (سخت پشیمان می‌شوند، و) می‌گویند: آیا راهی به سوی بازگشت (و جبران این بدبختیها) وجود دارد؟! (وَ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ). ولی این تقاضا با پاسخ منفی رو برو خواهد شد.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۴۵ ص: ۳۵۰

(آیه ۴۵) - این آیه سومین مجازات این گروه را چنین بیان می‌کند: «در آن روز برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۵۱ آنها را می‌بینی که بر آتش عرضه می‌شوند، در حالی که از شدت خواری خاشعند، و زیر چشمی و مخفیانه به آن نگاه می‌کنند» (وَ تَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ).

این ترسیمی است از حالت کسی که شدیداً از چیزی می‌ترسد و نمی‌خواهد آن را با تمام چشمش ببیند و در عین حال نمی‌تواند از آن غافل بماند، ناچار پیوسته مراقب آن است اما با گوشه چشم! آخرین مجازاتی که در اینجا بیان شده شنیدن ملامت و سرزنش دردناک مؤمنان است، چنانکه در پایان آیه آمده است: «و کسانی که ایمان آورده‌اند می‌گویند: زیانکاران واقعی آنها هستند که سرمایه‌های جان و خانواده خود را در روز قیامت از دست داده، و زیان کرده‌اند» (وَ قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

چه زبانی از این بالاتر که انسان هستی خویشتن را از دست دهد، و سپس همسر و فرزند و بستگان خود را، و در درون عذاب الهی گرفتار آتش حسرت و فراق نیز بشود.

سپس می‌افزاید: ای اهل محشر! همه «بدانید که ظالمان (آن روز) در عذاب دائمند» (أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ). توجه به این نکته لازم است که «عذاب جاویدان» برای این ظالمان قرینه بر این است که منظور از آن کافران است.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۴۶ ص: ۳۵۱

(آیه ۴۶) - این آیه نیز گواه بر این حقیقت است که می‌گوید: «آنها جز خدا اولیا و یاورانی ندارند که آنان را یاری کنند» و عذاب الهی را از آنها دفع نمایند (وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ).

آنها رشته‌های ارتباط خود را با بندگان خالص با انبیا و اولیا بریده‌اند، لذا در آنجا یار و یآوری ندارند، قدرتهای مادی نیز در آنجا همه از کار می‌افتد، و به همین دلیل تک و تنها در برابر عذاب الهی قرار می‌گیرند.

و برای تأکید این معنی در پایان آیه می‌افزاید: «هر کس را خداوند گمراه سازد برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۵۲ راه نجاتی برای او نیست» (وَ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ).

سوره الشوری (۴۲): آیه ۴۷ ص: ۳۵۲

(آیه ۴۷) - از آنجا که در آیات گذشته گوشه‌ای از مجازات دردناک و هول و وحشت کافران و ظالمان منعکس شده، در اینجا روی سخن را به همه مردم کرده، به آنها هشدار می‌دهد پیش از آنکه گرفتار چنان سرنوشت شومی شوند دعوت پروردگارش را اجابت کرده به راه حق باز آیند.

می‌فرماید: «دعوت پروردگار خویش را اجابت کنید پیش از آن که روزی فرا رسد که دیگر بازگشتی برای آن در برابر اراده پروردگار نیست» (استَجِیْبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمًا لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ).

و اگر تصور کنید در آن روز پناهگاهی جز سایه لطف او، و مدافعی جز رحمت او وجود دارد اشتباه است، چرا که «در آن روز برای شما نه ملجأ و پناهی است (که در برابر عذاب الهی پناهتان دهد) و نه یار و یاور» که از شما دفاع کند (ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَ ما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ).

سوره الشوری(۴۲): آیه ۴۸ ص: ۳۵۲

(آیه ۴۸) - در این آیه روی سخن را به پیامبر صلی الله علیه و اله کرده، به عنوان دلداری از آن حضرت می‌فرماید: با این همه «اگر روی گردان شوند (غمگین مباش) ما تو را حافظ آنان (و مأمور اجبارشان) قرار نداده‌ایم» (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا).

«وظیفه تو تنها ابلاغ رسالت است» خواه پذیرا شوند یا نشوند (إِنْ عَلَيكَ إِلَّا الْبَلَاغُ).

تو باید رسالت الهی خود را به نحو کامل ابلاغ، و بر آنها اتمام حجت کنی، دل‌های آماده آن را می‌پذیرد هر چند گروه زیادی بی‌خبر اعراض کنند، تو مسؤولیتی در این زمینه نداری.

سپس ترسیمی از حال این جمعیت بی‌ایمان و اعراض کننده کرده، می‌گوید:

«و هنگامی که ما رحمتی از سوی خود به انسان بپوشانیم به آن دلخوش می‌شود» (وَ إِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا).

«و هنگامی که بلایی به خاطر اعمالی که انجام داده‌اند به آنها رسد (به کفران برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۵۳)

می‌پردازند) چرا که انسان بسیار کفران کننده است» (وَ إِن تَصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ).

نه نعمتهای الهی از طریق انگیزه شکر منعم او را بیدار و به شکرگزاری و معرفت و اطاعت او وا می‌دارد، نه مجازاتهایی که به خاطر گناهان دامنگیرش می‌شود او را از خواب غفلت بیدار می‌کند، و نه دعوت پیامبر صلی الله علیه و اله در او اثر می‌گذارد.

سوره الشوری(۴۲): آیه ۴۹ ص: ۳۵۳

(آیه ۴۹) - فرزندان همه هدایای او هستند: در این آیه برای نشان دادن این واقعیت که هرگونه نعمت و رحمت در این عالم از سوی خداست، و کسی از خود چیزی ندارد، به یک مسأله کلی و یک مصداق روشن آن اشاره کرده، می‌فرماید: «مالکیت و حاکمیت آسمانها و زمین از آن خداست هر چه را بخواهد می‌آفریند» (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ).

نمونه روشنی از این واقعیت که هیچ کس از خود چیزی ندارد، و هر چه هست از ناحیه اوست این که: «به هر کس اراده کند دختر می‌بخشد و به هر کس بخواهد پسر» (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَوْرَ).

سوره الشوری(۴۲): آیه ۵۰ ص: ۳۵۳

(آیه ۵۰) - «یا (اگر بخواهد) پسر و دختر - هر دو - به آنها می‌دهد، و هر کس را بخواهد عقیم و بی‌فرزند می‌گذارد» (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَ إِنَاثًا وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا).

و به این ترتیب مردم به چهار گروه تقسیم می‌شوند: آنهایی که تنها پسر دارند و در آرزوی دختری هستند، و آنها که دختر دارند و در آرزوی پسری، و آنها که هر دو را دارند، و گروهی که فاقد هرگونه فرزندند و قلبشان در آرزوی آن پر می‌کشد. تعبیر به «یهب» (می‌بخشد) دلیل روشنی است که هم دختران هدیه الهی هستند و هم پسران، و فرق گذاشتن میان این دو از دیدگاه یک مسلمان راستین صحیح نیست، هر دو «هبه» او می‌باشند.

به هر حال نه تنها در موضوع تولد فرزندان که در همه چیز مشیت خداوند حاکم مطلق است، و او قادری است آگاه و حکیم که علم و قدرتش با هم قرین برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۵۴ است، لذا در پایان آیه می‌افزاید: «او دانا و قادر است» (إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ).

سوره الشوری (۴۲): آیه ۵۱ ص: ۳۵۴

اشاره

(آیه ۵۱)

شان نزول: ص: ۳۵۴

جمعی از یهود خدمت پیامبر صلی الله علیه و اله آمدند و عرض کردند: چرا تو با خداوند سخن نمی‌گویی؟ و به او نگاه نمی‌کنی؟ اگر پیامبری همان گونه که موسی (ع) با او سخن گفت و به او نگاه کرد تو نیز چنین کن، ما هرگز به تو ایمان نمی‌آوریم مگر این که همین کار را انجام دهی، پیامبر صلی الله علیه و اله فرمود: موسی هرگز خدا را ندید، اینجا بود که آیه نازل شد و چگونگی ارتباط پیامبران را با خداوند متعال تشریح کرد.

تفسیر: ص: ۳۵۴

طرق ارتباط پیامبران با خداوند- همان گونه که در آغاز این سوره گفتیم در این سوره تکیه خاصی روی مسأله وحی و نبوت شده است، سوره با مسأله وحی آغاز شد، و با مسأله وحی پایان می‌یابد.

و از آنجا که در آیات گذشته از نعمتهای الهی سخن در میان بود اینجا از مهمترین نعمتهای پروردگار و پربارترین مواهب او برای جهان انسانیت که همان مسأله وحی و ارتباط انبیاء با خداست سخن می‌گوید.

نخست می‌فرماید: «شایسته هیچ انسانی نیست که خدا با او سخن بگوید (و با او رو برو گردد، چرا که او منزّه از جسم و جسمانیت است) مگر از طریق وحی و الهام مرموز به قلب او» (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا).

«یا شنیدن سخنان پروردگار از پشت حجاب» (أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ).

«و یا از طریق فرستادن رسولی» که پیام الهی را به او ابلاغ کند (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا).

«در این هنگام (فرستاده الهی) به فرمان پروردگار آنچه را خدا می‌خواهد (به پیامبرش) وحی می‌کند» (فَيُوحِي بِأَذْنِهِ مَا يَشَاءُ).

آری! راهی برای سخن گفتن خداوند با بندگان جز این سه راه نیست «چرا که او بلند مقام و حکیم است» (إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٍ). و بالاتر از آن است که دیده شود یا با زبان سخن گوید، و تمام افعالش حکیمانه است.

این آیه در حقیقت پاسخی است روشن به افرادی که به خاطر بی خبری برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۵۵ ممکن است توهم کنند مسأله وحی دلیل بر این است که پیامبران خدا را می بینند، و با او سخن می گویند.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۵۲..... ص: ۳۵۵

(آیه ۵۲) - قرآن روحی است از جانب خدا: به دنبال بحث کلی و عمومی که در باره وحی در آیه قبل آمد در اینجا از نزول وحی بر شخص پیغمبر گرامی اسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سخن گفته، می فرماید: «همان گونه (که بر پیامبران پیشین، از طرق مختلف وحی فرستادیم) بر تو نیز روحی را به فرمان خود وحی کردیم» (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا). منظور از «روح» در اینجا قرآن مجید است که مایه حیات دلها و زندگی جانهاست.

در دنباله آیه می افزاید: «تو پیش از این از کتاب و ایمان آگاه نبودی، ولی ما آن را نوری قرار دادیم که به وسیله آن هر کس از بندگان خویش را بخواهیم هدایت می کنیم» (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا).

این لطف خدا بود که شامل حال تو شد، و این وحی آسمانی بر تو نازل گشت و ایمان به تمام محتوای آن پیدا کردی. در پایان آیه می افزاید: «بطور مسلم تو به سوی راه مستقیم مردم را هدایت می کنی» (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). نه تنها قرآن نوری برای توست که نوری برای همگان است، و وسیله هدایتی برای جهانیان به سوی صراط مستقیم، این یک موهبت عظیم الهی است برای رهروان راه حق و آب حیاتی است برای همه تشنه کامان.

سوره الشوری (۴۲): آیه ۵۳..... ص: ۳۵۵

اشاره

(آیه ۵۳) - سپس به عنوان تفسیری بر «صراط مستقیم» می افزاید: «راه خداوندی که تمام آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است از آن اوست» (صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ). چه راهی صافتر از راهی است که به خالق عالم هستی می رسد؟

آخرین جمله این آیه که در عین حال آخرین جمله سوره شوری است در برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۵۶ حقیقت دلیلی است برای این معنی که راه مستقیم تنها راهی است که به سوی خدا می رود، می فرماید: «آگاه باشید که همه کارها تنها به سوی خدا باز می گردد» (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ).

این جمله در عین حال بشارتی است برای پرهیزگاران، و تهدیدی است برای ظالمان و گنهکاران که بازگشت همه آنها به سوی خداست.

و نیز دلیلی است بر این که وحی باید تنها از سوی خدا باشد، چرا که بازگشت همه اشیاء و تدبیر آنها به سوی اوست.

پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله قبل از نبوت چه آئینی داشت؟ ص : ۳۵۶

باید بگوییم پیامبر صلی الله علیه و اله شخصا برنامه خاصی از سوی خداوند داشته که بر طبق آن عمل می کرده، و در حقیقت آیین مخصوص خودش بود، تا زمانی که اسلام بر او نازل گشت. شاهد این سخن حدیثی است که در نهج البلاغه آمده، که می گوید: «خداوند از آن زمان که رسول خدا از شیر باز گرفته شد بزرگترین فرشته‌ای را قرین وی ساخت، تا شب و روز او را به راههای مکارم، و طرق اخلاق نیک سوق دهد». مأموریت چنین فرشته‌ای دلیل بر وجود یک برنامه اختصاصی است.

«پایان سوره شوری»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۵۷

سوره زخرف [۴۳] ص : ۳۵۷

اشاره

این سوره در «مکه» نازل شده و ۸۹ آیه است

محتوای سوره: ص : ۳۵۷

مباحث این سوره را می توان در هفت بخش خلاصه کرد:

بخش اول: از اهمیت قرآن مجید و نبوت پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله سخن می گوید.

بخش دوم: قسمتی از دلایل توحید را در «آفاق» و نعمتهای گوناگون خداوند را بر انسانها بر می شمرد.

بخش سوم: همین حقیقت را از طریق مبارزه با شرک و نفی نسبتهای ناروا به خداوند و مبارزه با تقلیدهای کورکورانه، تکمیل می کند.

در بخش چهارم: برای مجسم ساختن این حقایق قسمتی از سرگذشت انبیای پیشین و اقوام آنها را نقل می کند.

در بخش پنجم: مسأله معاد و پاداش مؤمنان و سرنوشت شوم کفار مطرح شده و با تهدیدها و انذارهای قوی مجرمان را هشدار می دهد.

بخش ششم: ناظر به ارزشهای باطنی است که حاکم بر افکار افراد بی ایمان بوده و هست که به خاطر این ارزشهای بی اساس در ارزیابی خود در باره مسائل مهم زندگی گرفتار انواع اشتباه می شوند.

بخش هفتم: از مواعظ و اندرزهای مؤثر و پربار برای تکمیل کردن بخشهای دیگر سخن می گوید. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۵۸

نام سوره از آیه ۳۵ گرفته شده که از ارزشهای مادی و «زخرف» (طلا و مانند آن) سخن می گوید.

فضیلت تلاوت سوره: ص : ۳۵۸

در حدیثی از پیامبر اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ می‌خوانیم: «کسی که سوره زخرف را تلاوت کند از کسانی است که روز قیامت به این خطاب مخاطب می‌شود: ای بندگان من! امروز نه ترسی بر شماست، و نه غمی، بدون حساب وارد بهشت شوید». این بشارت بزرگ و فضیلت بی‌حساب تنها با تلاوت خالی از اندیشه و ایمان و عمل حاصل نمی‌شود، چرا که تلاوت مقدمه‌ای است برای اندیشه، و «ایمان» و «عمل» ثمره‌ای از آن است.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سورة الزخرف (۴۳): آیه ۱ ص: ۳۵۸

(آیه ۱) - در آغاز این سوره باز با «حروف مقطعه» «حاء، میم» (حم). رو برو می‌شویم، این چهارمین سوره‌ای است که با «حم» آغاز شده، که در باره آن قبلاً بحث کرده‌ایم.

سورة الزخرف (۴۳): آیه ۲ ص: ۳۵۸

(آیه ۲) - در دومین آیه به قرآن مجید سوگند یاد کرده، می‌فرماید: «سوگند به کتاب مبین» و روشنگر (وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ). سوگند به این کتابی که حقایقش آشکار، و مفاهیمش روشن، و دلائل صدقش نمایان، و راههای هدایتش واضح و مبین است.

سورة الزخرف (۴۳): آیه ۳ ص: ۳۵۸

(آیه ۳) - که «ما آن را قرآنی عربی قرار دادیم تا شما آن را درک کنید» (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ). عربی بودن قرآن یا به معنی نزول آن به زبان عرب است که از گسترده‌ترین زبانهای جهان برای بیان حقایق می‌باشد. و یا به معنی «فصاحت» آن است - چرا که یکی از معانی عربی همان «فصیح» است - اشاره به این که آن را در نهایت فصاحت قرار دادیم تا حقایق به خوبی از لابلای کلمات و جمله‌هایش ظاهر گردد، و همگان آن را به خوبی درک کنند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۵۹

سورة الزخرف (۴۳): آیه ۴ ص: ۳۵۹

(آیه ۴) - سپس به بیان اوصاف سه گانه دیگری در باره این کتاب آسمانی پرداخته، می‌گوید: «و آن در ام الكتاب [لوح محفوظ] نزد ما بلند پایه و استوار است!» (وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ). «ام الكتاب» (کتاب مادر) به معنی کتابی است که اصل و اساس همه کتب آسمانی می‌باشد. این همان کتاب «علم پروردگار» است که نزد اوست و همه حقایق عالم و همه حوادث آینده و گذشته و همه کتب آسمانی در آن درج است و هیچ کس به آن راه ندارد جز آنچه را که خدا بخواهد افشا کند.

این توصیف بزرگی است برای قرآن که از علم بی‌پایان حق سرچشمه گرفته و اصل و اساسش نزد اوست. و به همین دلیل در توصیف دوم و سوم می‌گوید: این کتاب در نزد ما و الامقام، حکمت آموز، مستحکم، متین و حساب شده است «لعلی حکیم».

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۵ ص: ۳۵۹

(آیه ۵) - در این آیه منکران، و اعراض کنندگان از قرآن، را مخاطب ساخته، می گوید: «آیا این ذکر [قرآن را] (که مایه بیداری و یادآوری شماست) از شما بازگیریم به خاطر این که قومی اسرافکارید؟! (أَفَنضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنتُمْ قَوْمًا مُّشْرِفِينَ).

درست است که شما در دشمنی و مخالفت با حق، چیزی فروگذار نکرده‌اید، ولی لطف و رحمت خداوند به قدری وسیع و گسترده است که اینها را مانع بر سر راه خود نمی‌بیند، باز هم این کتاب را پی‌درپی بر شما نازل می‌کند، تا دل‌هایی که اندک آما‌دگی دارند، تکان بخورند و به راه آیند، و این است مقام رحمت عامه و رحمانیت پروردگار که دوست و دشمن را در بر می‌گیرد.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۶ ص: ۳۵۹

(آیه ۶) - سپس به عنوان شاهد و گواه بر آنچه گفته شد، و هم تسلی و دل‌داری پیامبر صلی الله علیه و اله و در ضمن تهدیدی برای منکران لجوج، در عبارتی کوتاه و محکم می‌فرماید: «چه بسیار از پیامبران را که برای هدایت در میان اقوام پیشین فرستادیم» (وَ كَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۷ ص: ۳۵۹

(آیه ۷) - «ولی هیچ پیامبری به سراغشان نمی‌آمد مگر این که او را استهزا بر گزیده تفسیر نموده، ج ۴، ص: ۳۶۰ می‌کردند» (وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ).

این مخالفتها و سخریه‌ها هرگز مانع لطف الهی نبود، این فیضی است که از ازل تا به ابد ادامه یافته، وجودی است که بر همه بندگان می‌کند.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۸ ص: ۳۶۰

(آیه ۸) - اما برای این که تصور نکنند که لطف بی‌حساب خداوند مانع مجازات آنها در پایان کار خواهد شد - که مجازات نیز خود، مقتضای حکمت اوست - این آیه می‌افزاید: «ولی ما کسانی را که نیرومندتر از آنها بودند هلاک کردیم» (فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا).

«و داستان پیشینیان گذشت» (وَ مَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ).

در آیاتی که قبلاً بر تو نازل کرده‌ایم، نمونه‌های زیادی از این اقوام سرکش و طغیانگر مطرح شده‌اند، و شرح حال آنها بر تو نازل گردیده اقوامی با امکانات و ثروت و نفرات و لشگر و استعداد فراوان همچون فرعون و فرعونیان و قوم عاد و ثمود.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۹ ص: ۳۶۰

(آیه ۹) - بخشی از دلایل توحید: از اینجا بحث پیرامون توحید و شرک شروع می‌شود، نخست از فطرت و سرشت انسانها برای

اثبات توحید کمک می‌گیرد، می‌فرماید: «هر گاه از آنها بپرسی چه کسی آسمانها و زمین را آفریده مسلما می‌گویند: خداوند قادر و دانا آنها را آفریده است» (وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۱۰ ص: ۳۶۰

(آیه ۱۰) - سپس به پنج قسمت از نعمتهای بزرگ خدا که هر یک نمونه‌ای از نظام آفرینش و آیتی از آیات خداست اشاره می‌کند.

نخست از زمین شروع کرده، می‌فرماید: «همان کسی که زمین را محل آرامش شما قرار داد» (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا). و می‌دانیم نعمت آرامش و امنیت پایه اصلی بهره‌گیری از نعمتهای دیگر است.

و برای بیان نعمت دوم می‌افزاید: «او برای شما در زمین راههایی قرار داد تا هدایت شوید» و به مقصد برسید (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

می‌دانیم: تقریباً سراسر خشکیها را چین خورد گیهای بسیار فرا گرفته و کوههای برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۶۱ بزرگ و کوچک و تپه‌های مختلف آن را پوشانده است، و جالب این که در میان بزرگترین سلسله جبال دنیا غالباً برید گیهای وجود دارد که انسان می‌تواند راه خود را از میان آنها پیدا کند، و کمتر اتفاق می‌افتد که این کوهها بکلی مایه جدایی بخشهای مختلف زمین گردند، و این یکی از اسرار نظام آفرینش و از مواهب الهی بر بر بندگان است. از این گذشته بسیاری از قسمتهای زمین به وسیله راههای دریایی به یکدیگر مربوط می‌شوند که این خود نیز در عمومیت مفهوم آیه وارد است.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۱۱ ص: ۳۶۱

(آیه ۱۱) - سومین موهبت را که مسأله نزول آب باران و احیای زمینهای مرده است در این آیه به این صورت مطرح می‌کند «همان کسی که از آسمان آبی فرستاد بمقدار معین» (وَ الَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ).

«و به وسیله آن سرزمین مرده‌ای را حیات بخشیدیم» (فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا).

«و همین گونه (که زمینهای مرده با نزول باران زنده می‌شوند شما نیز بعد از مرگ زنده، و از قبرها) خارج خواهید شد» (كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۱۲ ص: ۳۶۱

(آیه ۱۲) - در چهارمین مرحله بعد از ذکر نزول باران و حیات گیاهان به آفرینش انواع حیوانات اشاره کرده، می‌گوید: «همان کسی که همه زوجها را آفرید» (وَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا).

تعبیر به «ازواج» (زوجها) کنایه از انواع حیوانات است، به قرینه گیاهان که در آیات قبل آمد.

و می‌دانیم قانون زوجیت، قانون حیات در همه جانداران می‌باشد و افراد نادر و استثنایی مانع از کلیت قانون نیست.

در پنجمین مرحله که آخرین نعمت را در این سلسله بیان می‌کند سخن از مرکبهایی است که خداوند برای پیمودن راههای دریایی و خشکی در اختیار بشر گذارده، می‌فرماید: «و برای شما از کشتیها و چهار پایان مرکبهایی قرار داد که بر آن سوار

می شوید» (وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ).

این یکی از مواهب و اکرامهای خداوند نسبت به نوع بشر است که در انواع برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۶۲ دیگر از موجودات زنده دیده نمی شود.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۱۳ ص: ۳۶۲

(آیه ۱۳) - این آیه هدف نهایی آفرینش این مراکب را چنین بازگو می کند: «تا بر پشت آنها به خوبی قرار گیرید سپس هنگامی که بر آنها سوار شدید، نعمت پروردگارتان را متذکر شوید و بگویید: پاک و منزّه است کسی که این را مسخر ما ساخت، و گر نه ما توانایی تسخیر آن را نداشتیم» (لَسِيْتُمْ عَلٰى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۱۴ ص: ۳۶۲

(آیه ۱۴) - در این آیه گفتار مؤمنان راستین را به هنگام سوار شدن بر مرکب این گونه تکمیل می کند: «و ما به سوی پروردگاران باز می گردیم» (وَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ).

این جمله اشاره ای به مسأله معاد است چرا که همیشه توجه به آفریدگار و مبدأ، انسان را متوجه معاد نیز می سازد. و نیز اشاره ای است به این معنی که مبدا هنگام سوار شدن و تسلط بر این مرکبهای راهوار مغرور شوید، و در زرق و برق دنیا فرو روید، بلکه به یاد انتقال بزرگتان از این جهان به جهان دیگر باشید.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۱۵ ص: ۳۶۲

(آیه ۱۵) - چگونه ملائکه را دختران خدا می خوانید؟

بعد از تحکیم پایه های توحید از طریق بر شمردن نشانه های خداوند در نظام هستی و نعمتها و مواهب او، در اینجا به نقطه مقابل آن یعنی مبارزه با شرک و پرستش غیر خدا پرداخته نخست به سراغ یکی از شاخه های آن یعنی پرستش فرشتگان می رود و می فرماید: «آنها برای خداوند از میان بندگان جزئی قرار دادند» (وَ جَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا).

تعبیر به «جزء» هم بیانگر این است که آنها فرشتگان را فرزندان خدا می شمردند زیرا همیشه فرزند جزئی از وجود پدر و مادر است که به صورت نطفه از آنها جدا می شود.

و نیز بیان کننده پذیرش عبودیت آنهاست چرا که فرشتگان را جزئی از معبودان در مقابل خداوند تصور می کردند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۶۳

سپس می افزاید: «انسان کفران کننده آشکاری است» (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ).

به جای این که سر بر آستان خالق و ولی نعمت خود بساید راه کفران پیش گرفته به سراغ مخلوقاتش می رود.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۱۶ ص: ۳۶۳

(آیه ۱۶) - در این آیه برای محکوم کردن این تفکر خرافی از ذهنیات و مسلمات خود آنها استفاده می‌کند، چرا که آنها جنس مرد را بر زن ترجیح می‌دادند، و اصولاً دختر را ننگ خود می‌شمردند، می‌فرماید: «آیا از میان مخلوقاتش دختران را برای خود انتخاب کرده و پسران را برای شما برگزیده است» (أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ). به پندار شما مقام دختر پایین‌تر است، چگونه خود را بر خدا ترجیح می‌دهید؟ سهم او را دختر، و سهم خود را پسر می‌پندارید؟!

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۱۷ ص: ۳۶۳

(آیه ۱۷) - باز همین مطلب را به بیان دیگری تعقیب کرده، می‌گوید: «در حالی که هر گاه یکی از آنها را به همان چیزی که برای خداوند رحمان شبیه قرار داده [به تولد دختر] بشارت دهند صورتش (از فرط ناراحتی) سیاه می‌شود، و خشمگین می‌گردد!» (وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٍ). این تعبیر به خوبی حاکی از تفکر خرافی مشرکان ابله در عصر جاهلیت در مورد تولد فرزند دختر است که چگونه از شنیدن خبر ولادت دختر ناراحت می‌شدند در عین حال فرشتگان را دختران خدا می‌دانستند!

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۱۸ ص: ۳۶۳

(آیه ۱۸) - باز در ادامه این سخن می‌افزاید: «آیا کسی را که در لابلای زینتها پرورش می‌یابد، و به هنگام جدال قادر به تبیین مقصود خود نیست» فرزند خدا می‌خوانید (أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْجَلْبِئِ وَ هُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرٌ مُّبِينٍ). در اینجا قرآن دو صفت از صفات زنان را که در غالب آنها دیده می‌شود و از جنبه عاطفی آنان سر چشمه می‌گیرد مورد بحث قرار داده، نخست علاقه شدید آنها به زینت آلات، و دیگر عدم قدرت کافی بر اثبات مقصود خود به هنگام مخاصمه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۶۴ و جر و بحث به خاطر حیا و شرم.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۱۹ ص: ۳۶۴

(آیه ۱۹) - در این آیه مطلب را با صراحت بیشتری مطرح کرده، می‌فرماید: «آنها فرشتگان را که بندگان خداوند رحمانند مؤنث پنداشتند» و دختران خدا معرفی کردند (وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا). سپس به صورت استفهام انکاری در پاسخ آنها می‌فرماید: «آیا آنها شاهد آفرینش (فرشتگان) بودند» (أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ). و در پایان آیه می‌افزاید: «گواهی آنها (بر این عقیده بی‌اساس در نامه‌های اعمالشان) نوشته می‌شود و (از آن) باز خواست خواهند شد!» (سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۲۰ ص: ۳۶۴

(آیه ۲۰) - آنها دلیلی جز تقلید از نیاکان جاهل ندارند؟

در آیات گذشته نخستین پاسخ منطقی به عقیده خرافی بت پرستان که فرشتگان را دختران خدا می پنداشتند داده شد در اینجا همین معنی را پی گیری کرده، به ابطال این خرافه زشت از طرق دیگری می پردازد، نخست یکی از دلائل واهی آنها را بطور فشرده همراه با جواب آن نقل کرده، می گوید: «آنان گفتند: اگر خداوند رحمان می خواست ما آنها را هرگز پرستش نمی کردیم» این خواست او بوده است که ما به پرستش آنان پرداخته ایم! (وَ قَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ). این تعبیر ممکن است به این معنی باشد که آنها معتقد به جبر بودند، و می گفتند هر چه از ما صادر می شود به اراده خداوند است، و هر کاری انجام می دهیم مورد رضایت اوست.

و در پایان آیه با این جمله کوتاه به این استدلال واهی بت پرستان پاسخ می گوید: «آنها به چنین چیزی که ادعا می کنند علم ندارند، و جز دروغ چیزی نمی گویند» (مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ). آنها حتی به مسأله جبر و یا رضایت خداوند به اعمالشان علم و ایمان ندارند بلکه مانند بسیاری از هوی پرستان و مجرمان دیگر هستند که برای تبرئه خویشتن از گناه و فساد موضوع جبر را پیش می کشند و می گویند: دست تقدیر ما را برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۶۵
به این راه کشانیده!

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۲۱ ص: ۳۶۵

(آیه ۲۱) - در این آیه به دلیل دیگری که ممکن است آنها به آن استدلال کنند اشاره کرده، می گوید: «یا این که ما کتابی را پیش از این کتاب به آنها داده ایم و آنها به آن تمسک می جویند»؟! (أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ). یعنی آنها برای اثبات این ادعا باید یا به دلیل عقل متمسک شوند، یا به نقل، در حالی که نه دلیلی از عقل دارند، و نه دلیلی از نقل، تمام دلائل عقلی دعوت به توحید می کند، و همه انبیا و کتب آسمانی نیز دعوت به توحید کردند.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۲۲ ص: ۳۶۵

(آیه ۲۲) - در این آیه به بهانه اصلی آنان اشاره کرده که آن هم در واقع خرافه ای بیش نیست که پایه خرافه دیگری شده است، می فرماید: «بلکه آنها می گویند: ما نیاکان خود را بر مذهبی یافتیم و ما نیز به آثار آنها هدایت شده ایم» (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ). در حقیقت آنها دلیلی جز «تقلید کورکورانه» از پدران و نیاکان خود نداشتند و عجب این که خود را با این تقلید هدایت یافته می پنداشتند، در حالی که در مسائل اعتقادی و زیر بنایی فکری هیچ انسان فهمیده و آزاده ای نمی تواند متکی بر تقلید باشد آن هم به صورت تقلید «جاهل از جاهل».

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۲۳ ص: ۳۶۵

(آیه ۲۳) - در اینجا بحث آیات گذشته را در زمینه بهانه اصلی مشرکان برای بت پرستی که مسأله تقلید نیاکان بود ادامه داده، می گوید: این تنها ادعای مشرکان عرب نیست، «همین گونه ما در هیچ شهر و دیاری پیش از تو پیغمبری انذار کننده

نفرستادیم مگر این که ثروتمندان مست و مغرور گفتند: ما پدران خود را بر مذهبی یافتیم، و ما به آثار آنان اقتدا می‌کنیم» (و کَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۲۴ ص: ۳۶۵

(آیه ۲۴) - این آیه پاسخی را که انبیای پیشین به آنها می‌دادند به وضوح بیان می‌کند، می‌گوید: «پیامبران به آنان گفت: آیا اگر من آئینی روشنتر و هدایت‌کننده‌تر از آنچه پدرانتان را بر آن یافتید آورده باشم» باز هم آن را انکار می‌کنید؟! (قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۶۶

این مؤدبانه‌ترین تعبیری است که می‌توان در مقابل قومی لجوج و مغرور بیان کرد که عواطف آنها به هیچ وجه جریحه‌دار نشود و این گونه تعبیرات قرآنی، ادب در بحث و محاجه را مخصوصا در مقابل جاهلان مغرور به ما می‌آموزد.

ولی با این همه به قدری آنها غرق در جهل و تعصب و لجاج بودند که این گفتار حساب شده و مؤدبانه نیز در آنها مؤثر واقع نشد، آنها فقط در پاسخ انبیائشان «گفتند: ما به آنچه شما به آن مبعوث هستید کافریم!» (قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۲۵ ص: ۳۶۶

(آیه ۲۵) - بدیهی است چنین قوم طغیانگر و لجوج و بی‌منطقی شایسته بقا و حیات نیست، و دیر یا زود باید عذاب الهی نازل گردد و این خار و خاشاکها را از سر راه بردارد، آیه شریفه می‌فرماید: «لذا ما از آنها انتقام گرفتیم» و سخت مجازاتشان کردیم (فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ).

گروهی را با طوفان، و گروهی را با زلزله ویرانگر، و جمعی را با تندباد و صاعقه، و خلاصه هر یک از آنها را با فرمانی هلاک کردیم.

و در پایان آیه برای این که مشرکان مکه نیز عبرت گیرند روی سخن را به پیامبر صلی الله علیه و اله کرده، می‌گوید: «پس بنگر پایان کار تکذیب کنندگان چگونه بود»؟! (فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ).

جمعیت مشرکان لجوج مکه نیز باید در انتظار چنین سرنوشت شومی باشند!

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۲۶ ص: ۳۶۶

(آیه ۲۶) - توحید سخن جاویدان انبیاء: در اینجا اشاره کوتاهی به سرگذشت ابراهیم و ماجرای او با قوم بت‌پرست بابل شده است، تا بحث نکوهش تقلید را که در آیات قبل آمده بود تکمیل کند، زیرا اولاً ابراهیم (ع) بزرگترین نیای عرب بود که همه او را محترم می‌شمردند، هنگامی که او پرده‌های تقلید را می‌درد اینها نیز اگر راست می‌گویند باید به او اقتدا کنند.

ثانیاً: بت‌پرستانی که ابراهیم در مقابل آنها قیام کرد به همین استدلال واهی (پیروی از پدران) تکیه می‌کردند، و ابراهیم هرگز آن را از آنها نپذیرفت.

نخست می‌فرماید: «به خطر بیاور هنگامی که ابراهیم به پدرش [عمویش برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۶۷

آزر] و قوم بت‌پرستش گفت من از آنچه شما می‌پرستید بیزارم!» (وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۲۷ ص: ۳۶۷

(آیه ۲۷) - و از آنجا که بسیاری از بت پرستان خدا را نیز پرستش می کردند ابراهیم بلافاصله او را استثناء کرده، می گوید: «مگر آن خدایی که مرا آفریده که او هدایت می خواهد کرد» (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ). او در این عبارت کوتاه هم استدلالی برای انحصار عبودیت به پروردگار ذکر می کند زیرا معبود کسی است که خالق و مدبر است، و همه قبول داشتند که خالق خداست و هم اشاره به مسأله هدایت تکوینی و تشریحی خداست که قانون لطف آن را ایجاب می کند.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۲۸ ص: ۳۶۷

(آیه ۲۸) - ابراهیم نه تنها در حیات خود طرفدار اصل توحید و مبارزه با هرگونه بت پرستی بود، بلکه تمام تلاش و کوشش خود را به کار گرفت که (کلمه توحید همیشه در جهان باقی و برقرار بماند). چنانکه آیه شریفه می گوید: «او آن (کلمه توحید را کلمه باقیه در فرزندان و اعقاب خود قرار داد تا به سوی خدا بازگردند» (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ). جالب این که امروز تمام ادیانی که در کره زمین دم از توحید می زنند از تعلیمات توحیدی ابراهیم (ع) الهام می گیرند، و سه پیامبر بزرگ الهی «موسی» (ع) و «عیسی» (ع) و محمد صلی الله علیه و اله از دودمان او هستند، و این دلیل صدق پیشگویی قرآن در این زمینه است.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۲۹ ص: ۳۶۷

(آیه ۲۹) - این آیه در حقیقت پاسخ به این سؤال است: با این حال چگونه خداوند مشرکان مکه را عذاب نمی کند؟ مگر در آیات قبل نخواندیم «ما از اقوام گذشته که انبیا را تکذیب کردند انتقام گرفتیم؟! در پاسخ می گوید: «بلکه این گروه [مشرکان مکه و پدران آنها را از مواهب دنیا بهره مند ساختم تا حق و فرستاده آشکار الهی به سراغ آنان آمد» (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَ آبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَ رَسُولٌ مُّبِينٌ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۶۸. ما تنها به حکم عقل به بطلان شرک و بت پرستی و حکم وجدانشان به توحید قناعت نکردیم، و برای اتمام حجت آنها را مهلت دادیم تا این کتاب آسمانی که سراسر حق است، و این پیامبر بزرگ صلی الله علیه و اله برای هدایت آنان قیام کند.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۳۰ ص: ۳۶۸

(آیه ۳۰) - ولی عجب این که: «هنگامی که حق (قرآن) به سراغ آنها آمد (به جای این که به اصلاح و جبران خطاهای گذشته خویش پردازند گروه کثیری به مخالفت برخاستند و) گفتند: این سحر است و ما نسبت به آن کافریم» (وَ لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۳۱ ص: ۳۶۸

(آیه ۳۱) - چرا قرآن بر یکی از ثروتمندان نازل نشده؟

در آیات قبل سخن از بهانه جوئیهای مشرکان در برابر دعوت پیامبران بود، در اینجا به یکی دیگر از بهانه‌های واهی و بی‌اساس آنان اشاره کرده، می‌فرماید:

«و گفتند: چرا این قرآن بر مرد بزرگ و (ثروتمندی) از این دو شهر (مکه و طائف) نازل نشده است؟! (وَ قَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۳۲ ص: ۳۶۸

(آیه ۳۲) - قرآن مجید برای کوبیدن این طرز تفکر زشت و خرافی پاسخهای دندان شکنی می‌دهد و دیدگاه الهی و اسلامی را کاملاً مجسم می‌سازد، نخست می‌گوید: «آیا آنها رحمت پروردگارت را تقسیم می‌کنند؟! (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ). تا به هر کس بخواهند نبوت بخشند، و کتاب آسمانی بر او نازل کنند.

از این گذشته اگر تفاوت و اختلافی از نظر سطح زندگی در میان انسانها وجود دارد هرگز دلیل تفاوت آنها در مقامات معنوی نیست، بلکه: «ما معیشت آنها را در حیات دنیا در میانشان تقسیم کردیم و بعضی را برای بعضی برتری دادیم تا یکدیگر را مسخر کرده» و با هم تعاون نمایند (نَحْنُ قَسَدْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا).

آنها فراموش کرده‌اند که زندگی بشر یک زندگی دسته جمعی است، و اداره این زندگی جز از طریق تعاون و خدمت متقابل امکان پذیر نیست.

«و رحمت پروردگارت از تمام آنچه جمع آوری می‌کنند (از مال و جاه و مقام) برتر و بهتر است» (وَ رَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۶۹

بلکه تمام این مقامها و ثروتها در برابر رحمت الهی و قرب پروردگار به اندازه بال مگسی وزن و قیمت ندارد.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۳۳ ص: ۳۶۹

(آیه ۳۳) - قصرهای با شکوه با سقفهای نقره‌ای! (ارزشهای دروغین) قرآن همچنان بحث پیرامون نظام ارزشی اسلام و عدم معیار بودن مال و ثروت و مقامات مادی را ادامه می‌دهد.

نخست می‌فرماید: «اگر (تمکن کفار از مواهب مادی) سبب نمی‌شد که همه مردم امت واحد (گمراهی) شوند ما برای کسانی که به (خداوند) رحمن کافر می‌شدند خانه‌هایی قرار می‌دادیم با سقفهایی از نقره و نردبانهایی که از آن بالا روند» (وَ لَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَ مَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۳۴ ص: ۳۶۹

(آیه ۳۴) - سپس می‌افزاید: علاوه بر این «برای خانه‌های آنان درها و تختهایی قرار می‌دادیم که بر آن تکیه کنند» (وَ لِيُوتِيَهُمْ أَبْوَابًا وَ سُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكُونَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۳۵ ص: ۳۶۹

(آیه ۳۵) - باز به این هم اکتفا نکرده می‌افزاید: علاوه بر همه اینها «انواع وسائل تجملی و زینت آلات» برای آنها قرار می‌دادیم (و زُخْرُفًا).

تا زندگی مادی و پر زرق و برقشان از هر نظر تکمیل گردد، قصرهایی مجلل و چند اشکوبه با سقفهایی از نقره، و درها و تختهای متعدد، و انواع وسائل زینتی، و هرگونه نقش و نگار آن چنانکه مطلوب و مقصود و معبود دنیا پرستان است. سپس می‌افزاید: «اما همه اینها متاع زندگی دنیای مادی است و آخرت نزد پروردگارت از آن پرهیزگاران است» (وَ إِن كُلُّ ذَلِكُمْ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ).

کوتاه سخن این که سرمایه‌های مادی و این وسائل تجملاتی دنیا به قدری در پیشگاه پروردگار بی‌ارزش است که می‌بایست تنها نصیب افراد بی‌ارزش همچون کفار و منکران حق باشد، و اگر مردم کم ظرفیت و دنیا طلب به سوی بی‌ایمانی و کفر متمایل نمی‌شدند خداوند این سرمایه‌ها را تنها نصیب این گروه منفور و مطرود برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۷۰ می‌کرد، تا همگان بدانند مقیاس ارزش و شخصیت انسان این امور نیست.

و از اینجا روشن می‌شود که نه بهره‌مند بودن گروهی از کفار و ظالمان از این مواهب مادی دلیل بر شخصیت آنهاست، و نه محروم بودن مؤمنان از آن، و نه استفاده از این امور در حد معقول، به صورت یک ابزار، ضرری به ایمان و تقوای انسان می‌زند، و این است تفکر صحیح اسلامی و قرآنی.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۳۶ ص: ۳۷۰

(آیه ۳۶) - همنشین شیاطین! از آنجا که در آیات پیشین سخن از دنیا پرستانی بود که همه چیز را بر معیارهای مادی ارزیابی می‌کنند، در اینجا از یکی از آثار مرگبار دلبستگی به دنیا که بیگانگی از خداست سخن می‌گوید، می‌فرماید: «و هر کس از یاد خدا روی گردان شود شیطانی را به سراغ او می‌فرستیم، پس همواره قرین اوست!» (وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ).

آری! غفلت از ذکر خدا و غرق شدن در لذات دنیا، و دل‌باختگی به زرق و برق آن، موجب می‌شود که شیطانی بر انسان مسلط گردد و همواره قرین او باشد، و رشته‌ای در گردنش افکنده، «می‌برد هر جا که خاطر خواه اوست!»

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۳۷ ص: ۳۷۰

(آیه ۳۷) - سپس به دو امر مهم که شیاطین در باره این غافلان انجام می‌دهند.

اشاره کرده، می‌فرماید: «و آنها [شیاطین این گروه را از راه خدا باز می‌دارند] (وَ إِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ).

هر وقت اراده بازگشت کنند سنگی بر سر راه آنها می‌افکنند و مانعی ایجاد می‌کنند تا هرگز به صراط مستقیم باز نگردند.

و آن چنان طریق گمراهی را در نظر آنها زینت می‌دهند که: «گمان می‌کنند هدایت یافتگان حقیقی آنها هستند!» (وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۳۸ ص: ۳۷۰

(آیه ۳۸) - خلاصه این وضع همچنان ادامه پیدا می‌کند انسان غافل و بی‌خبر در گمراهی خویش، و شیاطین در اضلال او تا هنگامی که پرده‌ها کنار می‌رود، و چشم حقیقت بین او باز می‌شود، «تا زمانی که نزد ما حاضر می‌شود (می‌بیند ولی و قرینش همچنان با اوست، همان کسی که عامل همه بدبختیهای او بوده! فریاد می‌زند و) می‌گوید: ای کاش میان من و تو فاصله مشرق و مغرب بود! برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۷۱

چه بد قرین و همنشینی هستی تو!» (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ).
آری! صحنه قیامت نجسمی است گسترده از صحنه‌های این جهان و قرین و دوست و رهبر اینجا با آنجا یکی است.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۳۹ ص: ۳۷۱

(آیه ۳۹) - ولی این آرزو هرگز به جایی نمی‌رسد، و میان آنها و شیاطین هرگز جدائی نمی‌افتد، لذا در این آیه می‌افزاید: «هرگز این گفتگو و ندامت امروز به حال شما سودی ندارد، چرا که شما ظلم کردید، و در نتیجه همه در عذاب مشترکید» (وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ).
باید عذاب این همنشین سوء را با عذابهای دیگر برای همیشه ببینید.

و به این ترتیب امید آنها را در مورد جدایی از شیاطین برای همیشه مبدل به یأس می‌کند و چه طاقت فرساست تحمل این همنشینی؟!

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۴۰ ص: ۳۷۱

(آیه ۴۰) - در اینجا قرآن این گروه را به حال خود می‌گذارد و روی سخن را به سوی پیامبر صلی الله علیه و اله کرده از غافلان کوردلی که پیوسته او را تکذیب می‌کردند، و از قماش همان گروهی بودند که در آیات قبل از آنها سخن گفته شد، بحث کرده، می‌فرماید: «آیا تو می‌توانی سخن خود را به گوش کران برسانی؟ یا کوران و کسانی را که در گمراهی آشکاری هستند هدایت کنی» (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۴۱ ص: ۳۷۱

(آیه ۴۱) - در تعقیب آیات گذشته که از کفار لجوج و هدایت ناپذیر و ستمگر سخن می‌گفت در اینجا روی سخن را، به پیامبر گرمی اسلام صلی الله علیه و اله کرده، این گروه را شدیداً تهدید و پیامبر صلی الله علیه و اله را تسلی و آرامش خاطر می‌بخشد می‌فرماید: «هر گاه تو را از میان آنها ببرم، حتماً از آنها انتقام خواهم گرفت و مجازاتشان می‌کنیم!» (فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ).

منظور از بردن پیامبر صلی الله علیه و اله از میان آن قوم، وفات پیامبر صلی الله علیه و اله است.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۴۲ ص: ۳۷۱

(آیه ۴۲) - سپس می‌افزاید: اگر هم زنده بمانی «و آنچه را از عذاب به آنان وعده داده‌ایم به تو نشان دهیم باز ما بر آنها مسلط

هستیم» برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۷۲
(أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ).

به هر حال آنها در چنگال قدرت ما هستند چه در میان آنها باشی و چه نباشی، و مجازات و انتقام الهی در صورت ادامه کارهایشان حتمی است.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۴۳ ص: ۳۷۲

(آیه ۴۳) - بعد از این هشدارها به پیامبر اکرم صلی الله علیه و اله دستور می دهد: «پس آنچه را بر تو وحی شده محکم بگیر که تو بر صراط مستقیم قرار داری!» (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ).
کمترین اعوجاج و کجی در کتاب و برنامه تو نیست، و عدم پذیرش گروهی از آنان دلیل بر نفی حقانیت تو نخواهد بود تو با نهایت جدیت به راه خویش ادامه بده، بقیه با ماست.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۴۴ ص: ۳۷۲

(آیه ۴۴) - سپس می افزاید «این (قرآنی که بر تو وحی شده) مایه یادآوری تو و قوم توست» (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَ لِقَوْمِكَ).
هدف از نزول آن بیدار ساختن انسانها و آشنا نمودن آنها به وظائفشان است.
«و بزودی مورد سؤال قرار خواهید گرفت» که با این برنامه الهی و این وحی آسمانی چه کردید؟! (وَ سَوْفَ تُسْأَلُونَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۴۵ ص: ۳۷۲

(آیه ۴۵) - سپس برای نفی بت پرستی و ابطال عقائد مشرکین به دلیل دیگری پرداخته، می گوید: «از رسولانی که قبل از تو فرستادیم پرس، آیا غیر از خداوند رحمن، معبودهایی برای پرستش آنها قرار دادیم؟! (وَ سَأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مَنْ رُسُلِنَا أَ جَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ).
اشاره به این که تمام انبیای الهی دعوت به توحید کرده اند، و همگی بطور قاطع بت پرستی را محکوم نموده اند، بنابر این پیامبر اسلام در مخالفتش با بتها کار بی سابقه ای انجام نداده، بلکه سنت همیشگی انبیا را احیا نموده است.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۴۶ ص: ۳۷۲

(آیه ۴۶) - فرعونیان مغرور و پیمان شکن: در اینجا به گوشه ای از ماجرای پیغمبر خدا «موسی بن عمران» و برخورد او با «فرعون» اشاره شده، تا پاسخی باشد به گفتار بی اساس مشرکان که «اگر خدا می خواست پیامبری بفرستد چرا مردی را از ثروتمندان مکه و طائف برای این مأموریت بزرگ انتخاب نکرد؟! برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۷۳
می فرماید: «ما موسی را با آیات و نشانه های خود به سوی فرعون و اطرافیان و درباریان او فرستادیم» (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ).
«پس موسی به آنها گفت: من فرستاده پروردگار جهانیانم» (فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۴۷ ص: ۳۷۳

(آیه ۴۷) - اکنون بینم اولین برخورد فرعون و فرعونیان با دلایل منطقی و معجزات روشن موسی چه بود؟ قرآن می گوید: «هنگامی که موسی با آیات ما به سراغ آنها آمد همگی از آن می خندیدند» (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ).

این نخستین برخورد همه طاغوتها و جاهلان مستکبر در برابر رهبران راستین است، جدی نگرفتن دعوت و دلایل آنها.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۴۸ ص: ۳۷۳

(آیه ۴۸) - اما ما برای اتمام حجت، آیات خود را یکی بعد از دیگری فرستادیم «و هیچ آیه ای و معجزه ای به آنها نشان نمی دادیم مگر این که از دیگری بزرگتر و مهمتر بود» (وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا). و به این ترتیب بعد از معجزه «عصا» و «ید بیضا» معجزات «طوفان» و «جراد» و «قمل» و «ضفادع» و غیر اینها را به آنها نشان دادیم.

سپس می افزاید: «آنها را به عذابها (و مجازاتهای هشدار دهنده) گرفتار نمودیم شاید (بیدار شوند و) به راه حق باز گردند» (وَ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۴۹ ص: ۳۷۳

(آیه ۴۹) - چنانکه در این آیه می خوانیم: «آنها گفتند: ای ساحر! پروردگارت را به عهده ای که با تو کرده است بخوان (تا ما را از این درد و رنج و بلا- و مصیبت رهایی بخشد، و) مطمئن باش که ما راه هدایت را پیش خواهیم گرفت!» (وَ قَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ).

چه تعبیر عجیبی! از یک سو ساحرش می خوانند، و از سوی دیگر برای رفع بلا دست به دامنش می زنند! و از سوی سوم به او وعده قبول هدایت می دهند! برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۷۴

آری! سبک مغزان مغرور هنگامی که بر اریکه قدرت می نشینند چنین است منطقتشان و راه و رسمشان.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۵۰ ص: ۳۷۴

(آیه ۵۰) - ولی به هر حال موسی به خاطر این تعبیرات نیش دار و موهن هرگز دست از هدایت آنها برنداشت، و از خیره سری آنها مأیوس و خسته نشد، همچنان به کار خود ادامه داد بارها دعا کرد تا طوفان بلاها فرو نشیند و فرو نشست.

اما چنانکه آیه شریفه می گوید: «هنگامی که عذاب را از آنها بر طرف می ساختیم آنها پیمانهای خود را می شکستند و به لجاجت و انکار خود ادامه می دادند» (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ).

اینها همه درسهایی است زنده و گویا برای مسلمانان و تسلیت خاطری است برای شخص پیامبر صلی الله علیه و اله که از لجاجت و سرسختی مخالفان هرگز خسته نشوند.

و نیز هشدار است به دشمنان لجوج و سرسخت که آنها هرگز از فرعون و فرعونیان قویتر و قدرتمندتر نیستند، سر انجام کار

آنها را ببینند و در عاقبت کار خویشS.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۵۱ ص: ۳۷۴

(آیه ۵۱) - اگر پیامبر است چرا دستبند طلا ندارد؟

منطق موسی از یک سو، و معجزات گوناگونش از سوئی دیگر افکار توده‌های مردم را نسبت به فرعون متزلزل ساخت. اینجا بود که فرعون با سفسطه بازی و مغلطه کاری می‌خواست جلو نفوذ موسی را در افکار مردم مصر بگیرد، چنانکه قرآن می‌گوید: «فرعون در میان قوم خود ندا داد و گفت: ای قوم من! آیا حکومت مصر از آن من نیست؟ و این نهرها تحت فرمان من جریان ندارد؟ (و از قصر و مزارع و باغهای من نمی‌گذرد؟) آیا نمی‌بینید؟» (وَ نَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَ فَلَآ تُبْصِرُونَ).

ولی موسی چه دارد؟ هیچ، یک عصا و یک لباس پشمینه!

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۵۲ ص: ۳۷۴

(آیه ۵۲) - سپس می‌افزاید: «بدون شك من از این فرد که مقام و نژادی پست دارد، و هرگز نمی‌تواند فصیح سخن بگوید برترم» (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ بَرَكزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۷۵ مَهِينٌ وَ لَا يَكَادُ يُبِينُ).

و به این ترتیب دو افتخار بزرگ برای خود (حکومت مصر، و مالکیت نیل) و دو نقطه ضعف برای موسی (فقر، و لکنت زبان) بیان کرد.

در حالی که موسی هرگز در آن زمان لکنت زبان نداشت، چرا که به هنگام بعثت عرضه داشت: «وَ اخْلُلْ عُقْمَةً مِّنْ لِّسَانِي» خداوند! گره را از زبان من بگشا» (طه / ۲۷) و مسلماً دعایش مستجاب شد و قرآن نیز گواه بر آن است.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۵۳ ص: ۳۷۵

(آیه ۵۳) - سپس فرعون به دو بهانه دیگر متشبه شده گفت: «پس چرا دستبندهایی از طلا- به او داده نشده؟ یا این که چرا فرشتگان همراه او نیامده‌اند» تا گفتار او را تصدیق کنند؟! (فَلَوْ لَا أَلْقَى عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ).

می‌گویند فرعونیان عقیده داشتند که رؤسا باید با دستبند و گردن بند طلا خود را زینت کنند.

اما پیامبران الهی با کناره گیری از این مسائل مخصوصا می‌خواستند این ارزشهای کاذب و دروغین را ابطال کنند، و ارزشهای اصیل انسانی یعنی علم و تقوا و پاکی را جانشین آن سازند.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۵۴ ص: ۳۷۵

(آیه ۵۴) - در این آیه قرآن به نکته لطیفی اشاره می‌کند، و آن این که: فرعون از واقعیت امر چندان غافل نبود، و به بی‌اعتباری این ارزشها کم و بیش توجه داشت، ولی «او قوم خود را (تحمیق کرد، و عقول آنها را) سبک شمرد در نتیجه از وی اطاعت

کردند!» (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاَطَاعُوهُ).

اصولاً- راه و رسم همه حکومت‌های جبار و فاسد این است که برای ادامه خود کامگی باید مردم را در سطح پائینی از فکر و اندیشه نگهدارند، و با انواع وسائل آنها را تحمق کنند.

چرا که بیدار شدن ملتها و آگاهی و رشد فکری ملتها بزرگترین دشمن حکومت‌های خودکامه و شیطانی است که با تمام قوا با آن مبارزه می‌کنند! جالب این که آیه فوق را با این جمله تکمیل و پایان می‌دهد «آنها قومی فاسق برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۷۶

بودند» (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ).

اشاره به این که این قوم گمراه اگر فاسق و خارج از اطاعت فرمان خدا و حکم عقل نبودند تسلیم چنین تبلیغات و ترهاتی نمی‌شدند.

آری! آنها فاسقانی بودند که از فاسقی تبعیت می‌کردند.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۵۵ ص : ۳۷۶

(آیه ۵۵)- این بود جنایات فرعون و فرعونیان و مغلظه کاریهایشان در مقابل فرستاده الهی موسی اما اکنون ببینیم بعد از آن همه وعظ و ارشاد و اتمام حجت‌ها از طرق گوناگون، و عدم تسلیم آنها در مقابل حق، سرانجام کار آنها به کجا رسید؟! می‌فرماید: «اما هنگامی که ما را (با اعمالشان) به خشم آوردند از آنها انتقام گرفتیم، و همه را غرق کردیم!» (فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ).

خداوند مخصوصاً از میان تمام مجازات‌ها مجازات غرق را برای آنها انتخاب نمود، چرا که تمام عزت و شوکت افتخار و قدرتش با همان رود عظیم نیل و شاخه‌های بزرگ و فراوانش بود که فرعون از میان تمام منابع قدرتش روی آن تکیه می‌کرد.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۵۶ ص : ۳۷۶

(آیه ۵۶)- در این آیه به عنوان یک نتیجه‌گیری از مجموع این سخن می‌فرماید: «ما آنها را پیشگامان (در عذاب) و عبرتی برای آیندگان قرار دادیم» (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۵۷ ص : ۳۷۶

اشاره

(آیه ۵۷)

شأن نزول: ص : ۳۷۶

رسول خدا روزی برای گروهی از سران قریش سخن گفت، «نضر بن حارث» به مقابله برخاست، پیامبر صلی الله علیه و اله با دلائل منطقی (پیرامون بطلان بت پرستی) او را محکوم ساخت، سپس این آیه را بر آنها خواند «شما و آنچه غیر از خدا می پرستید هیزم جهنم خواهید بود و همگی در آن وارد می شوید».

بعد از این ماجرا «عبد الله بن زبیری» آمد و به آن جمع پیوست، «ولید بن مغیره» به «عبد الله» گفت: «نضر بن حارث» در مقابل محمد در مانده شد.

«عبد الله» گفت: به خدا سوگند اگر من او را می دیدم پاسخش را می دادم، از او (محمد صلی الله علیه و اله) بپرسید آیا درست است که همه معبودان با عبادانشان در دوزخند؟

اگر چنین است ما فرشتگان را می پرستیم، و یهود «عزیز» را و نصاری «عیسی بن برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۷۷ مریم» را (چه عیبی دارد که ما با فرشتگان و پیامبرانی چون عزیز و مسیح باشیم!) این سخن را خدمت پیامبر صلی الله علیه و اله گفتند، رسول الله فرمود: «آری! هر کس دوست داشته باشد که معبود واقع شود او هم با عبادانش در دوزخ خواهد بود، این بت پرستان در حقیقت شیاطین را می پرستیدند، و هر چیز را که شیطان به آنها دستور می داد».

اینجا بود که آیه ۱۰۱ سوره انبیا نازل شد و نیز آیه مورد بحث (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا...) نازل گردید.

تفسیر: ص: ۳۷۷

کدام معبودان در دوزخند؟ قرآن در اینجا پیرامون مقام عبودیت حضرت مسیح و نفی گفتار مشرکان در باره الوهیت او و بتها سخن می گوید که تکمیلی است برای بحثهایی که در آیات گذشته پیرامون دعوت موسی و مبارزه او با بت پرستان فرعونی آمد.

نخست می فرماید: «هنگامی که در باره فرزند مریم مثلی زده شد قوم تو از آن می خندیدند» و روی گردان می شدند (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ).

منظور از مثال همان است که مشرکان به عنوان استهزاء به هنگام شنیدن آیه شریفه «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصِيبُ جَهَنَّمَ» شما و آنچه را غیر از خدا می پرستید هیزم دوزخید» (انبیا/ ۹۸) گفتند و آن این بود که عیسی بن مریم نیز معبود واقع شده و به حکم این آیه باید در دوزخ باشد چه بهتر که ما و بتهایمان نیز همسایه عیسی باشیم! گفتند و خندیدند و مسخره کردند!

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۵۸ ص: ۳۷۷

(آیه ۵۸) - سپس «گفتند: آیا خدایان ما بهتر است یا او [مسیح]؟ (وَقَالُوا أَلَهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ). ولی بدان آنها حقیقت را می دانند «و این مثل را جز از روی جدال برای تو نزنند» (ما ضَرْبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا). بلکه آنها گروهی کینه توز و پرخاشگرند»، و برای جلوگیری از حق به باطل متوسل می شوند (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۷۸

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۵۹ ص: ۳۷۸

(آیه ۵۹) - بلکه «او [مسیح فقط بنده‌ای بود که ما نعمت به او بخشیدیم» و او را به نبوت و رهبری خلق مبعوث کردیم (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ).

«و او را نمونه و الگویی برای بنی اسرائیل قرار دادیم» (وَ جَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ).

او در تمام عمرش به مقام عبودیت پروردگار اعتراف داشت، و همه را به عبودیت او دعوت کرد، و همان گونه که خودش می‌گوید: «مادام که در میان امت بود اجازه انحراف از مسیر توحید به کسی نداد»، بلکه خرافه الوهیت مسیح یا تثلیث را بعد از او به وجود آوردند.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۶۰ ص: ۳۷۸

(آیه ۶۰) - در این آیه برای این که توهم نکنند خدا نیازی به عبودیت و بندگی آنها دارد که اصرار بر ایمانشان می‌کند می‌فرماید: «اگر ما بخواهیم به جای شما فرشتگانی در زمین قرار می‌دهیم که جانشین شما باشند» (وَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ).

فرشتگانی که سر بر فرمان حق دارند، و جز اطاعت و بندگی او کاری را نمی‌شناسند.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۶۱ ص: ۳۷۸

(آیه ۶۱) - این آیه اشاره به یکی از ویژگیهای حضرت مسیح است می‌فرماید: «او (عیسی) سبب آگاهی بر روز قیامت است» (وَ إِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ).

یا از این جهت که تولد او بدون پدر دلیلی است بر قدرت بی‌پایان خداوند که مسأله زندگی بعد از مرگ در پرتو آن حل می‌شود.

و یا از این نظر که نزول حضرت مسیح از آسمان طبق روایات متعدد اسلامی در آخر زمان صورت می‌گیرد و دلیل بر نزدیک شدن قیام قیامت است.

به هر حال به دنبال آن می‌فرماید: قیام قیامت قطعی و وقوع آن نزدیک است «و هرگز شک و تردید از ناحیه آن به خود راه ندهید» (فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا).

نه از نظر عقیده، و نه از نظر عمل همچون غافلان از قیامت رفتار نکنید.

«و از من پیروی کنید که این راه مستقیم است» (وَ اتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۷۹

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۶۲ ص: ۳۷۹

(آیه ۶۲) - ولی شیطان می‌خواهد پیوسته شما را در غفلت و بی‌خبری نگهدارد، به هوش باشید «شیطان شما را (از راه خدا و از توجه به سرنوشتتان در رستاخیز) باز ندارد، چرا که او دشمن آشکاری برای شماست» (وَ لَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ).

او عداوت و دشمنی خود را از روز نخست یک بار به هنگام وسوسه پدر و مادران آدم و حوا و اخراج آنها از بهشت نشان

داد، و بار دیگر به هنگامی که سوگند یاد نمود که همه فرزندان آدم جز «مخلصین» را گمراه خواهد ساخت.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۶۳ ص: ۳۷۹

(آیه ۶۳) - در آیات گذشته به گوشه‌ای از ویژگیهای زندگی حضرت مسیح اشاره شد در اینجا می‌فرماید: «هنگامی که عیسی با در دست داشتن بینات (معجزات و آیات الهی) آمد، گفت: من برای شما حکمت آورده‌ام و (آمده‌ام) تا بعضی اموری را که در آن پیوسته اختلاف دارید برای شما تبیین کنم» (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ).

«حکمت» به تمام عقائد حق، و برنامه‌های صحیح زندگی - که انسان را از هر گونه انحراف در ایمان و عمل باز می‌دارد، و به تهذیب نفس و اخلاق او می‌پردازد - اطلاق شده است.

این حکمت علاوه بر اینها هدف دیگری نیز به دنبال دارد و آن برطرف ساختن اختلافاتی است که وجود آنها نظام جامعه را به هم می‌ریزد، و مردم را سرگردان و بیچاره می‌کند، و لذا حضرت مسیح در متن سخنانش روی این مسأله تکیه می‌نماید. و در پایان آیه می‌افزاید: «اکنون (که چنین است و محتوای دعوت من این است) تقوای الهی پیشه کنید و مرا اطاعت نمائید» (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۶۴ ص: ۳۷۹

(آیه ۶۴) - سپس برای این که هرگونه ابهامی را در زمینه عبودیت خود بر طرف سازد می‌گوید: «بطور قطع خداوند پروردگار من و پروردگار شماست» (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ).

من نیز در تمام وجود و هستیم همانند شما نیازمند به خالق و مدبری هستیم، برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۸۰
او مالک من و راهنمای من است.

و برای تأکید بیشتر اضافه می‌کند: «اکنون (که چنین است) او را پرستش کنید» (فَاعْبُدُوهُ). چرا که غیر او لایق پرستش نیست، همه مربوطند و او ربّ است.

باز هم سخن خود را با جمله دیگری تأکید می‌کند تا جای هیچ بهانه‌ای باقی نماند می‌گوید: «این است صراط مستقیم» (هذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ).

آری! راه راست همان راه عبودیت و بندگی پروردگار است، راهی است که انحراف و اعوجاج در آن نیست.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۶۵ ص: ۳۸۰

(آیه ۶۵) - اما عجب این که با این همه تأکیدات باز هم «گروههایی از میان آنها (در باره مسیح) اختلاف کردند» (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ).

بعضی او را خدا می‌پنداشتند که به زمین نازل شده! بعضی دیگر فرزند خدایش می‌خواندند.

بعضی او را یکی از اقنومهای سه گانه (سه ذات مقدس اب و ابن و روح القدس) می‌دانستند.

تنها گروهی که در اقلیت بودند او را بنده خدا و فرستاده او می‌شمردند، ولی سر انجام عقیده اکثریت غالب شد مسأله تثلیث و

خدایان سه گانه، جهان مسیحیت را فرا گرفت.

در پایان آیه آنها را به عذاب دردناک روز قیامت تهدید کرده، می‌فرماید: «وای بر کسانی که ستم کردند (و از صراط مستقیم منحرف شدند، وای بر آنها) از عذاب روز دردناک» (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ).
آری! روز قیامت روز دردناکی است، طول حسابش دردناک، عذاب و مجازاتش دردناک، حسرت و اندوهش دردناک، رسوائی و فضیحتش نیز دردناک است.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۶۶ ص: ۳۸۰

(آیه ۶۶) - در انتظار چه هستید جز عذاب آخرت؟ در آیات پیشین سخن از بت پرستان لجوج، و همچنین منحرفان و مشرکان امت عیسی بود، و در اینجا پایان کار آنها را مجسم کرده، می‌فرماید: «اینها چه چیزی را انتظار می‌کشند، جز برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۸۱

این که ناگهان قیامت به سراغ آنها آید در حالی که متوجه نیستند؟! (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ).
این سؤال در حقیقت بیان حال واقعی این گونه افراد است، مثل این که در مقام مذمت فردی که گوش به نصیحت هیچ ناصح مشفق نمی‌دهد و عوامل نابودی خود را به دست خویش فراهم می‌سازد می‌گوییم: او تنها در انتظار مرگ خویش است!

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۶۷ ص: ۳۸۱

(آیه ۶۷) - سپس از حالت دوستانی که در مسیر گناه و فساد، و یا زرق و برق دنیا، دست مودت به هم می‌دهند پرده برداشته، می‌گوید: «دوستان در آن روز دشمن یکدیگرند مگر پرهیزکاران!» (الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ).
تبدیل شدن این گونه دوستیها به عداوت در آن روز طبیعی است، چرا که هر کدام از آنها دیگری را عامل بدبختی و بیچارگی خود می‌شمرد، تنها پرهیزکارانند که پیوند دوستی آنها جاودانی است، چرا که بر محور ارزشهای جاودانی دور می‌زند، و نتایج پر بارش در قیامت آشکارتر می‌شود.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۶۸ ص: ۳۸۱

(آیه ۶۸) - این آیه در حقیقت تفسیری است برای اوصاف و حالات «متقین» و بیانی است از سرنوشت پرافتخار آنها.
در آن روز خداوند به آنها می‌گوید: «ای بندگان من! امروز نه ترسی بر شماست، و نه اندوهگین می‌شوید» (يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ).

چه پیام جالبی! پیامی بدون واسطه از سوی خداوند، پیامی که با بهترین توصیفها آغاز می‌شود، ای بندگان خدا! پیامی که مهمترین نگرانی انسان را در آن روز پرنگرانی زائل می‌کند، پیامی که هرگونه غم و اندوه از گذشته را از دل می‌زداید، آری این پیام دارای چهار مزیت بالاست.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۶۹ ص: ۳۸۱

(آیه ۶۹) - در این آیه این پرهیزکاران و بندگان گرامی را با دو جمله دیگر مشخصتر ساخته، می‌فرماید: «همان کسانی که به آیات ما ایمان آوردند و (در برابر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۸۲ فرمان و دستور ما) تسلیم بودند» (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَ كَانُوا مُسْلِمِينَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۷۰ ص: ۳۸۲

(آیه ۷۰) - آنچه دل بخواهد و چشم از دیدنش لذت برد ...! در اینجا پاداش بندگان خالص خدا و مؤمنان صالحی را که در آیات قبل توصیف آنها به میان آمده بود بیان می‌کند، و بهشت جاویدان را با هفت نعمت ارزنده به آنها نوید می‌دهد. نخست می‌فرماید: از سوی خداوند بزرگ و منان به آنها خطاب می‌شود «وارد بهشت شوید» (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ). به این ترتیب پذیرایی کننده واقعی از آنها خداست. سپس به نخستین نعمت اشاره کرده، می‌افزاید: «شما و همسرانتان» (أَنْتُمْ وَ أَزْوَاجُكُمْ). روشن است بودن در کنار همسران با ایمان و مهربان هم برای مردان لذت بخش است و هم برای زنانشان که اگر در اندوه دنیا شریک بودند در شادی آخرت نیز شریک باشند. سپس اضافه می‌کند: «همگی غرق سرور و شادی باشید و «در نهایت شادمانی وارد بهشت شوید!» (تُحْبَبُونَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۷۱ ص: ۳۸۲

(آیه ۷۱) - و در بیان سومین نعمت می‌فرماید: «ظرفها (ی غذا) و جامهای طلائی (شراب طهور) را گرداگرد آنها می‌گردانند» (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَ أَكْوَابٍ). آنها در بهترین ظروف، و از بهترین غذا، در نهایت آرامش و آسایش و صفا، و بدون هیچ دردسر پذیرایی می‌شوند. در مرحله چهارم و پنجم به دو نعمت دیگر اشاره می‌کند که تمام نعمتهای مادی و معنوی جهان در آن جمع است می‌فرماید: «و در بهشت آنچه دلها می‌خواهند و چشمها از آن لذت می‌برد موجود است» (وَ فِيهَا مَا تَشْتَهُهُ النَّفْسُ وَ تَلذُّ الْأَعْيُنُ). به هر حال از آنجا که ارزش نعمت هنگامی است که جاودانی باشد، در ششمین توصیف، بهشتیان را از این نظر آسوده خاطر ساخته، می‌فرماید: «شما برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۸۳ جاودانه در آن خواهید ماند» (وَ أَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۷۲ ص: ۳۸۳

(آیه ۷۲) - در اینجا برای این که روشن شود این همه نعمتهای بهشتی را به «بها» می‌دهند و به «بهانه» نمی‌دهند می‌افزاید: «این بهشتی است که شما وارث آن می‌شوید به خاطر اعمالی که انجام می‌دادید» (وَ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). اشاره به این که اعمال شما پایه اصلی نجات شماست، ولی آنچه دریافت می‌دارید در مقایسه با اعمالتان آنقدر برتری دارد که گویی همه را رایگان از فضل الهی به دست آورده‌اید!

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۷۳ ص: ۳۸۳

(آیه ۷۳) - در آخرین و هفتمین نعمت سخن از میوه‌های بهشتی است که از بهترین نعمتهای الهی می‌باشد، می‌فرماید: «برای شما در بهشت میوه‌های فراوانی است که از آنها تناول می‌کنید» (لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۷۴ ص: ۳۸۳

(آیه ۷۴) - آرزو داریم بمیریم و از عذاب راحت شویم! در اینجا سرنوشت مجرمان و کافران در قیامت تشریح شده تا در مقایسه با سرنوشت شوق انگیزی که مؤمنان فرمانبردار پروردگار داشتند هر دو بعد مطلب روشنتر گردد. نخست می‌فرماید: «مجرمان در عذاب دوزخ جاودانه خواهند ماند» (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ خَالِدُونَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۷۵ ص: ۳۸۳

(آیه ۷۵) - ولی از آنجا که ممکن است «عذاب دائم» با گذشت زمان تخفیف یابد، و تدریجا از شدت آن کاسته گردد آیه شریفه می‌افزاید: «هرگز عذاب آنها تخفیف نمی‌یابد (و هیچ گونه راه نجاتی برای آنان نیست) و در آنجا از همه چیز مأیوسند» (لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ). و به این ترتیب عذاب آنها هم از نظر زمان دائمی است، و هم از نظر شدت.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۷۶ ص: ۳۸۳

(آیه ۷۶) - در این آیه این نکته را خاطر نشان می‌سازد که این عذاب دردناک الهی چیزی است که آنها خود برای خویش فراهم ساخته‌اند، می‌فرماید: «ما به آنها ستمی نکرده‌ایم ولی آنها خود ستمکار بوده‌اند» (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۸۴
آری! قرآن سرچشمه اصلی همه سعادت‌ها و شقاوت‌ها را خود انسان و اعمال او می‌شمرد نه مسائل پنداری که گروهی برای خود درست کرده‌اند.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۷۷ ص: ۳۸۴

(آیه ۷۷) - سپس به بیان گوشه دیگری از بیچارگی آنها پرداخته، می‌گوید: «آنها فریاد می‌کشند: ای مالک دوزخ (ای کاش) پروردگارت ما را بمیراند» تا از این عذاب دردناک آسوده شویم! (وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ).
با این که هر کس از مرگ می‌گریزد و خواهان ادامه حیات است، اما گاهی چنان مصائب بر انسان فشار می‌آورد که از خدا تمنای مرگ می‌کند، و این چیزی است که اگر در دنیا برای بعضی واقع شود در آنجا برای مجرمان جنبه عمومی دارد و همگی تمنای مرگ می‌کنند.
اما چه سود که مالک دوزخ به آنها پاسخ «می‌گوید: شما در اینجا ماندنی هستید» و نجاتی حتی از طریق مرگ وجود ندارد

قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُونُونَ).

سورة الزخرف (۴۳): آیه ۷۸ ص: ۳۸۴

(آیه ۷۸) - در این آیه که در حقیقت علتی است برای خلود آنها در آتش دوزخ می گوید: «ما حق را برای شما آوردیم، ولی اکثر شما از حق کراهت دارید» و در برابر آن تسلیم نیستید (لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ).
تعبیر به «حق» معنی گسترده‌ای دارد که همه حقایق سرنوشت ساز را شامل می‌شود هر چند در درجه اول مسأله توحید و معاد و قرآن قرار دارد.

این تعبیر در حقیقت اشاره به این است که شما تنها با پیامبران الهی مخالف نبودید اصلاً شما مخالف حق بودید، و این مخالفت، عذاب جاویدان را برای شما به ارمغان آورد.

سورة الزخرف (۴۳): آیه ۷۹ ص: ۳۸۴

(آیه ۷۹) - در این آیه گوشه‌ای از کراهت و بیزاری آنها را از حق و طرفداری آنها را از باطل منعکس ساخته، می‌فرماید: «بلکه آنها تصمیم محکمی (بر توطئه) گرفتند ما نیز اراده محکم و تغییر ناپذیری (در باره آنها) داریم» (أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ).
آنها توطئه‌ها چیدند تا نور اسلام را خاموش کنند، و پیامبر صلی الله علیه و اله را به قتل رسانند، و از هر طریقی بتوانند ضربه بر مسلمین وارد کنند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۸۵
ما نیز اراده کرده‌ایم آنها را در این جهان و جهان دیگر سخت کیفر دهیم.

سورة الزخرف (۴۳): آیه ۸۰ ص: ۳۸۵

(آیه ۸۰) - این آیه در حقیقت بیان یکی از علل توطئه گریهای آنهاست، می‌فرماید: «آیا آنها می‌پندارند که ما اسرار پنهانی و سخنان در گوشی آنها را نمی‌شنویم؟» (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ).
ولی چنین نیست، هم ما می‌شنویم، و هم «رسولان و فرشتگان» ما نزد آنان حاضرند و (نجوای آنها را) می‌نویسند» (بلی وَ رُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ).

سورة الزخرف (۴۳): آیه ۸۱ ص: ۳۸۵

(آیه ۸۱) - از آنجا که در آیات گذشته، مخصوصاً در آغاز سوره گفتگو از مشرکان عرب و اعتقادشان به وجود فرزند برای خدا در میان بود. در اینجا از طریق دیگری برای نفی این عقاید باطل وارد شده می‌فرماید: به آنها که دم از وجود فرزندی برای خدا می‌زنند «بگو: اگر برای خداوند رحمن فرزندی باشد من نخستین کسی بودم که به او احترام می‌گذاردم و از وی اطاعت می‌کردم» (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ).

زیرا از همه شما ایمان و اعتقاد به خدا بیشتر و معرفت و آگاهیم فزونتر است، و من قبل از شما به فرزند او احترام می‌گذاردم از وی اطاعت می‌کردم.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۸۲ ص: ۳۸۵

(آیه ۸۲) - بعد از این سخن به دلیل روشنی بر نفی این ادعاهای واهی پرداخته، می‌فرماید: «منزه است پروردگار آسمانها و زمین، پروردگار عرش از توصیفی که آنها می‌کنند» (سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ). کسی که مالک و مدبر آسمانها و زمین است و پروردگار عرش عظیم می‌باشد، چه نیازی به فرزند دارد؟

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۸۳ ص: ۳۸۵

(آیه ۸۳) - سپس به عنوان بی‌اعتنائی و تهدید این لجوجان که خود نوعی دیگر از روش بحث با این قماش افراد است می‌افزاید: «اکنون (که چنین است) آنها را به حال خود واگذار تا در باطل غوطه‌ور باشند، و سرگرم بازی! تا روزی را که به آنها وعده داده شده است ملاقات کنند» و میوه‌های تلخ اعمال و افکار زشت و ننگین خود را بچینند (فَدَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۸۶
این همان یوم موعودی است که در سوره بروج آیه ۲ به آن سوگند یاد شده است: (وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) سوگند به روز موعود [روز رستاخیز]

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۸۴ ص: ۳۸۶

(آیه ۸۴) - این آیه و آیه بعد ادامه سخن پیرامون مسأله توحید است که از یک نظر نتیجه‌ای است برای آیات قبل و از یک نظر دلیلی برای تحکیم و تکمیل آن و در آن هفت توصیف برای خداوند آمده است که همه در تحکیم مبانی توحید مؤثر است. نخست در مقابل مشرکان که برای آسمان و زمین اله و معبود جداگانه قائل بودند و حتی خدای دریا، خدای صحرا، خدای جنگ و خدای صلح، و خدایان مختلفی مطابق انواع موجودات در پندار خود ساخته بودند، می‌فرماید: «او کسی است که در آسمان معبود است و در زمین معبود» (وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهٌ). سپس در توصیف دوم و سوم می‌افزاید: «او حکیم و علیم است» (وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ). تمام کارهایش روی حساب و حکمت است، و از همه چیز آگاه و با خبر، و به این ترتیب اعمال بندگان را به خوبی می‌داند و بر طبق حکمتش آنها را پاداش و کیفر می‌دهد.

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۸۵ ص: ۳۸۶

(آیه ۸۵) - در چهارمین و پنجمین توصیف، از برکات فراوان و دائم وجود او و مالکیتش نسبت به آسمانها و زمین سخن می‌گوید، می‌فرماید: «پر برکت و زوال ناپذیر است کسی که مالک آسمانها و زمین و آنچه میان آن دو است می‌باشد» (وَ تَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا). و بالاخره در ششمین و هفتمین توصیف می‌افزاید: «آگاهی از قیام قیامت مخصوص ذات اوست، و همگی به سوی او باز گردانده می‌شوید» (وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).
بنابر این اگر خیر و برکتی می‌خواهید از او بخواهید نه از بتها چرا که سرنوشت شما در قیامت به دست اوست، و مرجع شما در

آن روز تنها خداست.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۸۷

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۸۶ ص: ۳۸۷

(آیه ۸۶) - چه کسی قادر بر شفاعت است؟ در اینجا همچنان سخن در باره ابطال عقیده شرک و سرانجام تلخ مشرکان است، و با دلایل دیگری بطلان اعتقاد آنها را آشکار می‌سازد، نخست می‌فرماید: اگر آنها به گمان شفاعت به سراغ این معبودان می‌روند باید بدانند که «معبودانی که آنها غیر از خدا می‌خوانند مالک و قادر بر هیچ گونه شفاعتی نیستند» (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ).

ولی از آنجا که در میان معبودان آنها فرشتگان و مانند آنان وجود داشتند در ذیل آیه آنها را استثنا کرده، می‌فرماید: «مگر کسانی که شهادت به حق داده‌اند» (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ).

ولی چنان نیست که آنها برای هر کس، هر چند بت پرست و مشرک و منحرف از آیین توحید باشد شفاعت کنند، بلکه «آنها به خوبی می‌دانند» برای چه کسی اجازه شفاعت دارند (وَهُمْ يَعْلَمُونَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۸۷ ص: ۳۸۷

(آیه ۸۷) - سپس از معتقدات خود مشرکان گرفته، به آنها پاسخ دندان شکن داده، می‌گوید: «و اگر از آنها سؤال کنی چه کسی آنها را آفریده است؟ بطور مسلم می‌گویند: الله!» (وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ).

لذا در پایان آیه به عنوان ملامت و سرزنش می‌گوید: «اکنون (که چنین است) چگونه از عبادت خدا به سوی غیر او باز گردانده و منحرف می‌شوند؟! (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ).

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۸۸ ص: ۳۸۷

(آیه ۸۸) - این آیه از شکایت پیامبر در پیشگاه خدا از این قوم لجوج و بی‌منطق سخن گفته، می‌فرماید: «آنها چگونه از شکایت پیامبر (در پیشگاه خداوند) که می‌گوید: پروردگارا! اینها قومی هستند که ایمان نمی‌آورند» غافل می‌شوند؟ (وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ).

او می‌گوید: من شب و روز با آنها سخن گفتم، از طریق بشارت و انذار وارد شدم، سرگذشت دردناک اقوام پیشین را برای آنها بر شمردم، و آنچه گفتمی بود، گفتم اما با این همه سخنان گرم من در قلب سرد آنها اثر نگذاشت و ایمان نیاوردند، تو می‌دانی و آنها.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۸۸

سوره الزخرف (۴۳): آیه ۸۹ ص: ۳۸۸

(آیه ۸۹) - و در آخرین آیه به او دستور می‌دهد: «اکنون (که چنین است) از آنها روی برگردان» (فَاصْفَعْ عَنْهُمْ).

در عین حال روی گردانی تو به معنی قهر و جدائی توأم با خشونت و پرخاشگری نباشد بلکه «به آنها بگو: سلام بر شما» (وَقُلْ سَلَامٌ).

نه سلامی به عنوان دوستی و تحیت، بلکه به عنوان جدائی و بیگانگی.

این سلام در حقیقت شبیه سلامی است که در آیه ۶۳ سوره فرقان آمده است: «وَ إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا» هنگامی که جاهلان آنها را (با سخنان زشت خود) مورد خطاب قرار دهند در پاسخ آنها می‌گویند: سلام» سلامی که نشانه بی‌اعتنایی توأم با بزرگواری است.

با این حال آنها را با جمله‌ای پرمعنی تهدید می‌کند، تا گمان نکنند این جدائی و وداع دلیل بر آن است که خدا کاری با آنها ندارد، می‌فرماید: «اما به زودی خواهند دانست» (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ).

آری! خواهند دانست چه آتش سوزان و عذاب دردناکی با لجاجتهای خود برای خویشتن فراهم ساخته‌اند؟! «پایان سوره زخرف»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۸۹

سوره دخان [۴۴] ص: ۳۸۹

اشاره

این سوره در «مکه» نازل شده، و ۵۹ آیه است

محتوای سوره: ص: ۳۸۹

بخشهای این سوره را می‌توان در هفت بخش خلاصه کرد:

۱- آغاز سوره از حروف مقطعه و سپس بیان عظمت قرآن مجید است، با این اضافه که نزول آن را در شب قدر برای اولین بار بیان می‌کند.

۲- در بخش دیگر از توحید و یگانگی خدا و بیان بعضی از نشانه‌های عظمت او در جهان هستی سخن می‌گوید.

۳- بخش مهمی از این سوره سرنوشت کفار، و انواع کیفرهای دردناک آنهاست.

۴- در بخش دیگری برای بیدار ساختن این غافلان قسمتی از سرگذشت موسی و بنی اسرائیل در مقابل فرعونیان و شکست سخت آنها، و نابودی و هلاکتشان، گفتگو می‌کند.

۵- مسأله قیامت و عذابهای دردناک دوزخیان و پادشاهای جالب و روح‌پرور پرهیزکاران قسمت دیگری از آیات این سوره را تشکیل می‌دهد.

۶- همچنین هدف از آفرینش و خلقت آسمان و زمین موضوع دیگری است که در این سوره مطرح شده است.

۷- سرانجام، سوره را با بیان عظمت قرآن همان گونه که آغاز شده بود پایان می‌دهد. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۹۰

و از آنجا که در آیه دهم این سوره سخن از «دخان مبین» به میان آمده این سوره به عنوان سوره «دخان» نام گرفته است.

فضیلت تلاوت سوره: ص: ۳۹۰

در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ آمده است:

«کسی که سوره دخان را شب و روز جمعه بخواند خداوند خانه‌ای در بهشت برای او بنا می‌کند».

در حدیث دیگری از امام باقر علیه السّلام چنین نقل شده: «کسی که سوره دخان را در نمازهای فریضه و نافله بخواند خداوند او را در زمره کسانی که روز قیامت در امنیت به سر می‌برند مبعوث می‌کند و او را در سایه عرشش قرار می‌دهد، و حساب را بر او آسان می‌گیرد و نامه اعمالش را به دست راستش می‌دهد».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره دخان (۴۴): آیه ۱ ص: ۳۹۰

(آیه ۱) - نزول قرآن در شبی پربرکت: در ابتدای این سوره نیز همانند چهار سوره گذشته و دو سوره آینده که مجموعاً هفت سوره را تشکیل می‌دهد با حروف مقطعه «ح-ا-میم» (حم). رو به رو می‌شویم.

سوره دخان (۴۴): آیه ۲ ص: ۳۹۰

(آیه ۲) - در دومین آیه به قرآن مجید سوگند یاد کرده، می‌فرماید: «قسم به این کتاب آشکار» (وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ). کتابی که محتوایش روشن، معارفش آشکار، تعلیماتش زنده، احکامش سازنده، و برنامه‌هایش حساب شده است.

سوره دخان (۴۴): آیه ۳ ص: ۳۹۰

(آیه ۳) - اما ببینیم این سوگند برای چه منظوری ذکر شده است؟ آیه شریفه این حقیقت را روشن ساخته، می‌گوید: «بطور مسلم ما قرآن را (که سند حقانیت پیامبر اسلام است) در شبی پر برکت نازل کردیم» (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ). شب پر برکتی که مقدرات جهان بشریت با نزول قرآن رنگ تازه‌ای به خود رفت، شبی که سرنوشت خلائق و مقدرات یکسان در آن رقم زده می‌شود، برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۹۱

آری! قرآن در شبی سرنوشت ساز، در شب قدر بر قلب پاک پیامبر نازل شد.

اما هدف اصلی از نزول آن چه بود؟ همان است که در ذیل آیه به آن اشاره شده، می‌فرماید: «ما همواره انذار کننده بودیم» (إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ).

این یک سنت همیشگی ماست که فرستادگان خود را برای بیم دادن ظالمان و مشرکان مأموریت می‌دهیم، و فرستادن پیامبر اسلام با این کتاب مبین نیز آخرین حلقه از این سلسله است.

سوره دخان (۴۴): آیه ۴ ص: ۳۹۱

(آیه ۴) - این آیه توصیف و توضیحی است برای شب قدر، می‌گوید: شب قدر شبی است که «در آن هر امری از امور بر طبق حکمت الهیه تفصیل و تبیین می‌شود» (فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ). این بیان هماهنگ با روایات بسیاری است که می‌گوید: در شب قدر مقدرات یک سال همه انسانها تعیین می‌گردد، و ارزاق، و سر آمد عمرها، و امور دیگر، در آن شب تفریق و تبیین

می شود.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۵ ص : ۳۹۱

(آیه ۵) - در این آیه برای تأکید بر این معنی که قرآن از ناحیه خداست می فرماید: آری نزول قرآن در شب قدر «فرمانی بود از سوی ما ما (محمد را) فرستادیم» (أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ).

سوره الدخان (۴۴): آیه ۶ ص : ۳۹۱

(آیه ۶) - سپس برای بیان علت اصلی نزول قرآن و ارسال پیامبر و مقدرات شب قدر می افزاید: همه اینها «به خاطر رحمتی است از سوی پروردگارت» (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ).
آری! رحمت بی کران او ایجاب می کند که بندگان را به حال خود رها نکند، و برنامه و راهنما برای آنها بفرستد.
و در ذیل همین آیه و آیات بعد اوصاف هفتگانه ای برای خداوند می شمرد که همگی بیانگر مقام توحید اوست می فرماید: «او سمیع و علیم است» (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).
تقاضای بندگان را می شنود و به اسرار درون دلهای آنها آگاه است.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۷ ص : ۳۹۱

(آیه ۷) - سپس در بیان سومین توصیف می فرماید: «خداوندی که پروردگار آسمانها و زمین و آنچه در میان آن دو قرار گرفته است می باشد، اگر شما برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۹۲
یقین دارید» (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ).
از آنجا که بسیاری از مشرکان به خدایان و ارباب متعددی قائل بودند، و برای هر نوع از انواع موجودات ربی می پنداشتند. در این آیه با جمله «رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا» خط بطلان بر همه می کشد و اثبات می کند که پروردگار همه موجودات عالم یکی است.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۸ ص : ۳۹۲

(آیه ۸) - در چهارمین و پنجمین و ششمین توصیف می فرماید: «هیچ معبودی جز او نیست زنده می کند و می میراند» (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ).
و در هفتمین و آخرین توصیف می افزاید: «او پروردگار شما و پروردگار پدران نخستین شماست» (رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ).
حیات و مرگ شما به دست اوست، و پروردگار شما و پدرانتان و همه جهانیان اوست. بنابر این معبودی جز او نمی تواند وجود داشته باشد، آیا کسی که نه مقام ربوبیت دارد، و نه مالک حیات و مرگ است، می تواند معبود واقع شود؟

(آیه ۹) - آن روز که دودی کشنده همه آسمان را فرا می گیرد: ص : ۳۹۲

از آنجا که در آیات گذشته سخن از این در میان بود که اگر آنها طالب یقین باشند اسباب تحصیل یقین فراوان و فراهم است، در این آیه می‌افزاید: آنها جوایب یقین و طالب حق نیستند، «بلکه آنها در شکند و با حقایق بازی می‌کنند!» (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ).

اگر آنها در حقانیت این کتاب آسمانی و نبوت تو تردید دارند به خاطر این نیست که مسأله پیچیده‌ای است، بلکه از این جهت است که آن را جدی نمی‌گیرند، و به شوخی با آن برخورد می‌کنند.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۱۰ ص: ۳۹۲

(آیه ۱۰) - در این آیه به تهدید این منکران لجوج و سرسخت پرداخته، و در حالی که روی سخن را به پیامبر کرده، می‌گوید: «پس منتظر روزی باش که آسمان دود آشکاری پدید آورد!» (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ).

سوره الدخان (۴۴): آیه ۱۱ ص: ۳۹۲

(آیه ۱۱) - دودی که «تمام مردم را فرا می‌گیرد!» (يَغْشَى النَّاسَ).

و سپس به آنها گفته می‌شود: «این عذاب دردناک الهی است!» (هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۹۳ منظور از «دخان مبین» همان دود غلیظی است که در پایان جهان و در آستانه قیامت صفحه آسمان را می‌پوشاند، و نشانه فرا رسیدن لحظات آخر دنیا و سر آغاز عذاب الیم الهی برای ظالمان و مفسدان است.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۱۲ ص: ۳۹۳

(آیه ۱۲) - وحشت و اضطراب تمام وجود آنها را فرا می‌گیرد، و پرده‌های غفلت از مقابل چشمشان کنار می‌رود، و به اشتباه بزرگ خود واقف می‌شوند رو به درگاه خدا می‌آورند و می‌گویند: «پروردگارا! عذاب را از ما بر طرف کن که ایمان می‌آوریم!» (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ).

سوره الدخان (۴۴): آیه ۱۳ ص: ۳۹۳

(آیه ۱۳) - ولی او دست رد بر سینه این نامحرمان زده، می‌فرماید: «اینها چگونه و از کجا متذکر می‌شوند (و از راه خود باز می‌گردند) با این که رسول آشکار (با معجزات و دلائل روشن) به سراغ آنها آمد؟» (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ).

رسولی که هم خودش آشکار بود و هم تعلیمات و برنامه‌ها و دلائل و معجزاتش همه مبین و واضح بود.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۱۴ ص: ۳۹۳

(آیه ۱۴) - اما آنها به جای این که سر بر فرمان او نهند و به خداوند یگانه ایمان آورند و دستوراتش را به جان پذیرا شوند «از او روی گردان شدند و گفتند: او دیوانه‌ای است که دیگران این مطالب را به او القا کرده‌اند!» (ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ

سوره الدخان(۴۴): آیه ۱۵ ص: ۳۹۳

(آیه ۱۵) - سپس می‌افزاید: «ما کمی عذاب را از شما بر طرف می‌سازیم (ولی عبرت نمی‌گیرید و) بار دیگر به کارهای خود باز می‌گردید» (إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ).

سوره الدخان(۴۴): آیه ۱۶ ص: ۳۹۳

(آیه ۱۶) - و در این آیه می‌فرماید: ما از آنها انتقام می‌گیریم «در آن روز که آنها را با قدرت خواهیم گرفت آری ما انتقام گیرنده‌ایم» (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ).

سوره الدخان(۴۴): آیه ۱۷ ص: ۳۹۳

(آیه ۱۷) - در تعقیب آیات گذشته که از سرکشی مشرکان عرب و عدم تسلیم آنها در مقابل حق سخن می‌گفت، در اینجا به نمونه‌ای از امم پیشین که آنها نیز همین برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۹۴ مسیر را طی کردند و سرانجام به عذابی دردناک و شکستی فاحش مبتلا شدند، اشاره می‌کند، تا هم تسلی خاطر باشد برای مؤمنان و هم تهدیدی برای منکران لجوج. و آن داستان موسی و فرعون است، می‌فرماید: «ما پیش از اینها قوم فرعون را آزمودیم» (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ). «و در این هنگام) رسول بزرگواری به سراغشان آمد» (وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ).

سوره الدخان(۴۴): آیه ۱۸ ص: ۳۹۴

(آیه ۱۸) - موسی با لحنی بسیار مؤدبانه و دلپذیر و آکنده از محبت آنها را مخاطب قرار داد و گفت: امور «بندگان خدا را به من واگذارید که من فرستاده‌امینی برای شما هستم» (أَنْ أَدُودًا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ).

سوره الدخان(۴۴): آیه ۱۹ ص: ۳۹۴

(آیه ۱۹) - سپس موسی بعد از دعوت آنها به اطاعت خداوند یا آزاد ساختن بنی اسرائیل می‌گوید: «مأموریت دیگر من این است که به شما بگویم: «در برابر خداوند تکبر نورزید (و حدّ خویش نگهدارید) که من برای شما دلیل روشنی (بر گفته‌های خود) آورده‌ام» (وَ أَنْ لَا تَغْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ). هم معجزات آشکار، و هم دلائل منطقی روشن.

سوره الدخان(۴۴): آیه ۲۰ ص: ۳۹۴

(آیه ۲۰) - و از آنجا که مستکبران دنیا پرست هر کس را در جهت مخالف منافع نامشروع خود ببینند از هیچ گونه تهمت و ناسزا، و حتی قتل و اعدام، فرو گذار نمی کنند، موسی به عنوان پیشگری می افزاید: «و من به پروردگار خود و پروردگار شما پناه می برم از این که مرا - متهم یا - سنگسار کنید» (وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَزْجُمُونِ). این تعبیر ممکن است اشاره به این باشد که من از تهدیدهای شما باک ندارم، و تا آخرین نفس ایستاده ام و خدا حافظ و نگاهبان من است.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۲۱ ص: ۳۹۴

(آیه ۲۱) - در این آیه آخرین سخنش را به آنها می گوید که: «اگر به من ایمان نمی آورید لا اقل مرا رها کنید، و کناره گیری کنید» و مزاحم ایمان آوردن مردم نشوید (وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتَرِلُونِ). ولی مگر ممکن است جباران مغرور که قدرت شیطانی و منافع نامشروعشان را در خطر می بینند خاموش بنشینند و چنین پیشنهادی را بپذیرند؟

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۹۵

سوره الدخان (۴۴): آیه ۲۲ ص: ۳۹۵

(آیه ۲۲) - موسی از تمام وسائل هدایت برای نفوذ در دل‌های تاریک این مجرمان استفاده کرد، ولی هیچ اثری در فرعونیان نبخشید، لذا مایوس شد و چاره‌ای جز نفرین به آنها ندید، چرا که قوم فاسدی که هیچ امیدی به هدایتشان نباشد از نظر نظام آفرینش حق حیات ندارند.

لذا آیه شریفه می گوید: «پس موسی به پیشگاه پروردگارش عرضه داشت که اینها قومی مجرم و گنهکارند» (فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَاءِ قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ).
چه نفرین مؤدبانه‌ای؟ نمی گوید خداوند! آنها را چنین و چنان کن، بلکه همین اندازه می گوید: خداوند! اینها گروهی مجرمند که امیدی به هدایتشان باقی نمانده.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۲۳ ص: ۳۹۵

(آیه ۲۳) - خداوند نیز دعای موسی را اجابت کرد، و به عنوان مقدمه نزول عذاب بر فرعونیان و نجات بنی اسرائیل به او دستور داده شد: «بندگان مرا شبانه حرکت ده که شما (از طرف فرعون و لشکریانش) تعقیب می شوید!» (فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبَعُونَ).

اما نگران نباش، لازم است آنها شما را تعقیب کنند تا به سرنوشتی که در انتظار آنهاست گرفتار آیند.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۲۴ ص: ۳۹۵

(آیه ۲۴) - سپس می افزاید: هنگامی که از دریا همگی به سلامت گذشتید «دریا را آرام و گشاده بگذار» و بگذر (وَإِنَّزِيلِكِ

الْبَحْرَ رَهَوًّا).

منظور از دریا در این آیات همان رود عظیم نیل است.

طبیعی است که موسی و بنی اسرائیل مایل بودند هنگامی که خود از دریا گذشتند بار دیگر آبها سر بر هم بگذارند و این فاصله عظیم را پر کنند، ولی به آنها دستور داده شد که به هنگام گذشتن از دریای نیل عجله نکنید، بگذارید فرعون و لشکریانش تا آخرین نفر وارد شوند، چرا که فرمان مرگ و نابودی آنها به امواج خروشان نیل داده شده است! لذا در پایان آیه می‌افزاید: «آنها لشکری غرق شده خواهند بود» (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۹۶

سوره الدخان (۴۴): آیه ۲۵..... ص: ۳۹۶

(آیه ۲۵) - باغها و گنج‌ها را گذاردند و رفتند! اکنون ببینیم بعد از غرق فرعون و فرعونیان چه ماجراهای عبرت‌انگیزی تحقق یافت. قرآن در آیات بعد میراث عظیم آنها را که به بنی اسرائیل رسید طی پنج موضوع که فهرست تمام زندگی آنهاست بیان کرده، نخست می‌فرماید: «چه بسیار باغها و چشمه‌ها که از خود به جا گذاشتند و رفتند!» (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ). باغها، و چشمه‌ها، دو سرمایه از جالبترین و ارزنده‌ترین اموال آنها بود.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۲۶..... ص: ۳۹۶

(آیه ۲۶) - سپس می‌افزاید: «و زراعتها، و قصرهای جالب و زیبا و پرارزش» (و زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ). و این دو سرمایه مهم دیگر آنها بود، زراعتهای عظیمی که در بستر نیل در سرتاسر مصر از آن استفاده می‌کردند و همچنین قصرها و مساکن آباد که یکی از مهمترین وسائل زندگی انسان مسکن مناسب است.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۲۷..... ص: ۳۹۶

(آیه ۲۷) - و از آنجا که غیر از امور مهم چهارگانه فوق و وسائل تنعم فراوان دیگری داشتند، به همه آنها نیز در یک جمله کوتاه اشاره کرده، می‌گوید: «و نعمتهای فراوان دیگری که در آن متنعّم بودند و در ناز و نعمت زندگی می‌کردند» (و نَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ).

سوره الدخان (۴۴): آیه ۲۸..... ص: ۳۹۶

(آیه ۲۸) - سپس می‌افزاید: آری «این چنین بود (ماجرای آنها) و ما همه اینها (و سرمایه‌ها و ما ترک فرعونیان) را میراث برای اقوام دیگری قرار دادیم!» (كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ). آیه فوق و آیه همانند آن در سوره «شعراء» نشان می‌دهد که بنی اسرائیل بعد از غرق فرعونیان به سرزمین مصر بازگشتند، و وارث میراث فراغه شدند و در آنجا حکومت کردند.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۲۹..... ص: ۳۹۶

(آیه ۲۹) - در این آیه می‌فرماید: «پس نه آسمان بر آنها گریست و نه زمین، و نه به هنگام نزول بلا به آنها مهلتی داده شد!»
(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ).

گریه نکردن آسمان و زمین بر آنها ممکن است کنایه از حقارت آنها برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۹۷
و عدم وجود یار و یاور و دلسوز برای آنها باشد.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۳۰ ص: ۳۹۷

(آیه ۳۰) - بنی اسرائیل در بوته آزمایش: در آیات گذشته سخن از غرق و هلاکت فرعونیان و نابودی قدرت و شوکت آنها و انتقال آن به دیگران بود، در اینجا از نقطه مقابل آن یعنی از نجات و رهائی بنی اسرائیل چنین سخن می‌گوید: «ما بنی اسرائیل را از عذاب خوار کننده رهائی بخشیدیم» (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ).
از شکنجه‌های سخت و طاقت فرسای جسمی و روحی که تا اعماق جان آنها نفوذ می‌کرد.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۳۱ ص: ۳۹۷

(آیه ۳۱) - آری! خداوند این قوم مظلوم را در پرتو قیام الهی موسی بن عمران از چنگال این ظالمان سفاک تاریخ رهائی بخشید، لذا به دنبال آن می‌افزاید:
«از (چنگال) فرعون» (مِنْ فِرْعَوْنَ).
«چرا که او مردی متکبر و از اسرافکاران و متجاوزان بود!» (إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ).

سوره الدخان (۴۴): آیه ۳۲ ص: ۳۹۷

(آیه ۳۲) - در این آیه به یکی دیگر از مواهب خداوند به بنی اسرائیل اشاره کرده، می‌گوید: «ما آنها را از روی علم خویش بر جهانیان (در آن عصر و زمان) برتری دادیم و برگزیدیم» (وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ).
ولی آنها قدر این نعمتها را ندانستند و کفران کردند و مجازات شدند.
و به این ترتیب آنها «امت برگزیده عصر خویش» بودند، زیرا منظور از «عالمین» مردم جهان در آن عصر و زمان است نه در تمام قرون و اعصار.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۳۳ ص: ۳۹۷

(آیه ۳۳) - در این آیه به بعضی از مواهب دیگر که خدا به آنها داده بود اشاره کرده، می‌فرماید: «ما آیات و نشانه‌هایی از عظمت و قدرت خویش به آنان دادیم که در آن آزمایش آشکاری بود» (وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ).
و این اختطاری است به همه امتهای و ملت‌ها در مورد پیروزیها و مواهبی که از لطف الهی به دست می‌آورند، که دام امتحان در این هنگام سخت است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۹۸

سوره الدخان (۴۴): آیه ۳۴ ص : ۳۹۸

(آیه ۳۴) - جز همین مرگ چیزی در کار نیست! بعد از ترسیم صحنه‌ای از زندگی فرعون و فرعونیان و عاقبت کفر و انکارشان در آیات گذشته، بار دیگر سخن از مشرکان به میان می‌آورد، و تردید آنها را در مسأله معاد- که در آغاز سوره آمده بود- به شکل دیگری بازگو می‌کند: «اینها چنین می‌گویند» (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ).

سوره الدخان (۴۴): آیه ۳۵ ص : ۳۹۸

(آیه ۳۵) - «مرگ ما جز همان مرگ اول نیست، و ما هرگز بار دیگر زنده نخواهیم شد» (إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ).

و آنچه محمد صلی الله علیه و اله پیرامون معاد و حیات بعد از مرگ و پاداش و کیفر و بهشت و دوزخ می‌گوید: هیچ کدام واقعیت ندارد، اصلاً حشر و نشری در کار نیست!

سوره الدخان (۴۴): آیه ۳۶ ص : ۳۹۸

(آیه ۳۶) - سپس سخن آنها را نقل می‌کند که برای اثبات مدعای خود به دلیل واهی و بی‌اساسی دست زده و می‌گفتند: «اگر راست می‌گویید (که بعد از مرگ، حیاتی در کار است) پس پدران ما را زنده کنید و نزد ما بیاورید» تا بر صدق گفتار شما گواهی دهند! (فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).

سوره الدخان (۴۴): آیه ۳۷ ص : ۳۹۸

(آیه ۳۷) - آنها بهترند یا قوم «تبع»! سرزمین یمن که در جنوب جزیره عربستان قرار دارد از سرزمینهای آباد و پربرکتی است که در گذشته مهد تمدن درخشانی بوده است، پادشاهانی بر آن حکومت می‌کردند که «تبع» نام داشتند، به خاطر این که مردم از آنها «تبعیت» می‌کردند، و یا از این نظر که یکی بعد از دیگری روی کار می‌آمدند.

در اینجا به دنبال بحثی که پیرامون مشرکان مکه و لجاجت و انکار آنها نسبت به معاد آمده با اشاره به سرگذشت «قوم تبع» آنها را تهدید می‌کند که نه تنها عذاب الهی در قیامت در انتظارشان است که در این دنیا نیز سرنوشتی همچون قوم گنجهکار و کافر تبع پیدا خواهند کرد.

می‌فرماید: «آیا آنها بهترند، یا قوم تبع، و کسانی که پیش از آنان بودند؟! ما آنها را هلاک کردیم، چرا که آنها مجرم بودند» (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ).

سوره الدخان (۴۴): آیه ۳۸ ص : ۳۹۸

(آیه ۳۸) - سپس بار دیگر به مسأله معاد باز می‌گردد و با استدلال لطیفی این برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۹۹ واقعیت را اثبات کرده، می‌گوید: «ما آسمانها و زمین و آنچه را در میان این دو است بیهوده و بی‌هدف نیافریدیم» (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ).

اگر به گفته شما مرگ نقطه پایان زندگی است این آفرینش لعب و لغو و بیهوده خواهد بود.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۳۹ ص: ۳۹۹

(آیه ۳۹) - سپس برای تأکید این سخن می‌افزاید: «ما آن دو را جز به حق نیافریدیم» (ما خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ). حقّ بودن این دستگاه ایجاب می‌کند که هدف معقولی داشته باشد، و آن بدون وجود جهان دیگر ممکن نیست. «ولی غالب آنها (این حقایق را) نمی‌دانند» (وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ). چرا که اندیشه و فکر خود را به کار نمی‌گیرند، و گر نه دلائل مبدأ و معاد واضح و آشکار است.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۴۰ ص: ۳۹۹

(آیه ۴۰) - روز جدائیا! در آیات گذشته در مورد مسأله معاد از طریق «حکمت آفرینش این جهان» برای وجود رستاخیز استدلال شده بود، آیه شریفه از این استدلال چنین نتیجه‌گیری می‌کند که: «یوم الفصل و روز جدائیا وعده گاه همه آنهاست» (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ).

سوره الدخان (۴۴): آیه ۴۱ ص: ۳۹۹

(آیه ۴۱) - سپس به شرح کوتاهی در باره این روز جدائی پرداخته، می‌گوید: «در همان روزی که (هیچ کس به فریاد دیگری نمی‌رسد و) هیچ دوستی کمترین کمکی به دوستش نمی‌کند، و از هیچ سو یاری نمی‌شوند!» (يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ). آری! آن روز، روز فصل و جدائی است، روزی است که انسان از همه چیز جز عملش جدا می‌شود، و مولی به هر معنی که باشد - دوست، سرپرست، ولی نعمت، خویشاوند، همسایه، یاور، و مانند آن - توانائی حل کوچکترین مشکلی را از مشکلات قیامت برای کسی ندارد.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۴۲ ص: ۳۹۹

(آیه ۴۲) - تنها یک گروه مستثنا هستند همان گونه که این آیه می‌گوید: «مگر کسی که خدا او را مورد رحمت قرار داده است، چرا که او توانا و رحیم است» (إِلَّا بَرَّكَزِيدَةً تَفْسِيرِ نَمُونَه، ج ۴، ص: ۴۰۰) مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ بدون شک این رحمت الهی بی حساب نیست و تنها شامل مؤمنانی می‌شود که دارای عمل صالحند.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۴۳ ص: ۴۰۰

(آیه ۴۳) - درخت زقوم! در اینجا توصیف وحشتناک و تکان دهنده‌ای از عذابهای دوزخی منعکس شده که بحث آیات قبل را در مورد «یوم الفصل» و روز رستاخیز تکمیل می‌کند.

می فرماید: «مسلماً درخت زقوم ...» (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ).

سوره الدخان (۴۴): آیه ۴۴ ص : ۴۰۰

(آیه ۴۴) - «غذای گنهکاران است!» (طَعَامُ الْأَثِيمِ).
اینها هستند که از این گیاه تلخ و بدبو و بد طعم و کشنده می خورند.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۴۵ ص : ۴۰۰

(آیه ۴۵) - سپس می افزاید: «همانند فلز گداخته در شکمها می جوشد!» (كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ).

سوره الدخان (۴۴): آیه ۴۶ ص : ۴۰۰

(آیه ۴۶) - «جوششی همچون آب سوزان» (كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ).
هنگامی که گیاه زقوم وارد شکم آنها می شود، حرارت فوق العاده ای ایجاد کرده، و همچون آبی جوشان غلیان پیدا می کند، و به جای این که این غذا مایه قوت و قدرت گردد بدبختی و عذاب و درد و رنج می آفریند.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۴۷ ص : ۴۰۰

(آیه ۴۷) - سپس می فرماید: به مأموران دوزخ خطاب می شود: «این (کافر پر گناه) را بگیرید، و به میان دوزخ پرتابش کنید!» (خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ).

سوره الدخان (۴۴): آیه ۴۸ ص : ۴۰۰

(آیه ۴۸) - باز به یکی دیگر از مجازاتهای دردناک آنها اشاره کرده، می گوید:
«سپس (به مأموران دوزخ دستور داده می شود، که) بر سر او، از عذاب سوزان بریزید» (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ).
به این ترتیب هم از درون می سوزند و هم از بیرون تمام وجودشان را آتش فرا می گیرد، و در وسط آتش نیز آب سوزان بر آنها می ریزند.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۴۹ ص : ۴۰۰

(آیه ۴۹) - و بعد از این همه عذابهای دردناک جسمانی مجازات جانکاه روانی آنها شروع می شود به این مجرم گناهکار سرکش و بی ایمان گفته می شود: برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۰۱
«بچش که (به پندار خود) بسیار قدرتمند و محترم بودی» (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ).
آری! این تو بودی که با آن همه غرور هر جنایتی را مرتکب شدی، اکنون بچش نتیجه اعمال را که در برابر چشمان تو

مجسم شده است، و همان گونه که جسم و جان مردم را سوزاندی اکنون درون و برون در آتش قهر الهی و با آب سوزان می سوزد.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۵۰ ص: ۴۰۱

(آیه ۵۰) - در این آیه می افزاید: به آنها خطاب می شود: «این همان چیزی است که پیوسته در باره آن شک و تردید می کردید» (إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ).
چقدر در آیات مختلف قرآن با انواع دلائل، واقعیت و حقانیت این روز به شما گوشزد شد.
افسوس که گوش شنوا نداشتید!

سوره الدخان (۴۴): آیه ۵۱ ص: ۴۰۱

(آیه ۵۱) - پرهیزکاران و انواع نعمتهای بهشتی: از آنجا که در آیات گذشته کيفرهای دردناک دوزخیان مطرح بود در اینجا مواهب و پاداشهای بهشتیان را می شمرد تا از قرینه مقابله اهمیت هریک از این دو آشکارتر گردد.
این پاداشها در هفت قسمت خلاصه شده:
نخست این که: «پرهیزکاران در جایگاه امن و امانی هستند» (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ).
بنابر این هیچ گونه ناراحتی و ناامنی به آنها نمی رسد، و در امنیت کامل از آفات و بلاها، از غم و اندوهها، از شیاطین و طاغوتها به سر می برند.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۵۲ ص: ۴۰۱

(آیه ۵۲) - سپس به ذکر نعمت دوم پرداخته، می گوید: آنها «در میان باغها و چشمه ها به سر می برند» و جایگاه آنها از هر سو با درختان و چشمه ها احاطه شده *جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ*

سوره الدخان (۴۴): آیه ۵۳ ص: ۴۰۱

(آیه ۵۳) - در مرحله سوم به لباسهای زیبای آنها اشاره کرده، می افزاید: «آنها لباسهایی از حریر نازک و ضخیم می پوشند، و در برابر یکدیگر (بر تختها) جای دارند» (يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۰۲
البته در بهشت گرما و سرمای شدیدی وجود ندارد تا به وسیله پوشیدن لباس دفع شود، بلکه اینها اشاره به لباسهای متنوع و گوناگون بهشتی است.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۵۴ ص: ۴۰۲

(آیه ۵۴) - در مرحله چهارم نوبت به همسران آنها می رسد، می گوید: «آری این چنینند بهشتیان، و آنها را با حور العین تزویج می کنیم!» (كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ).

سوره الدخان (۴۴): آیه ۵۵ ص: ۴۰۲

(آیه ۵۵) - سپس به ذکر پنجمین نعمت بهشتیان پرداخته، می‌افزاید: «آنها در آنجا هر نوع میوه‌ای را بخواهند در اختیارشان قرار می‌گیرد و در نهایت امنیت به سر می‌برند» (يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ).

سوره الدخان (۴۴): آیه ۵۶ ص: ۴۰۲

(آیه ۵۶) - جاودانگی بهشت و نعمتهای بهشتی ششمین موهبت الهی بر متقین است، چرا که آنچه فکر انسان را به هنگام وصال ناراحت می‌کند بیم فراق است، لذا می‌فرماید: «آنها هیچ مرگی جز همان مرگ اول (که در دنیا چشیدند) نخواهند چشید!» (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى).

سرانجام هفتمین و آخرین نعمت را در این سلسله چنین بیان می‌کند:

«و خداوند آنها را از عذاب دوزخ حفظ کرده است» (و وَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ).

کمال این نعمتها در این است که احتمال عذاب و فکر مجازات، بهشتیان را به خود مشغول نمی‌دارد و نگران نمی‌کند. اشاره به این که اگر پرهیزکاران لغزشهایی هم داشته‌اند خدا به لطف و کرمش آنها را بخشیده، و به آنها اطمینان داده است که از این نظر نگرانی به خود راه ندهند.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۵۷ ص: ۴۰۲

(آیه ۵۷) - در این آیه اشاره به تمام این نعمتهای هفتگانه کرده، به صورت یک جمع بندی می‌گوید: همه اینها «به عنوان فضل و بخششی از سوی پروردگار تو است و این فوز عظیم و پیروزی بزرگی است» که شامل حال پرهیزکاران می‌شود (فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

درست است که پرهیزکاران حسنات بسیاری در دنیا انجام داده‌اند، ولی مسلماً پاداش عادلانه آن اعمال ناچیز این همه نعمت بی‌پایان و جاودانی نیست این فضل خداست که این همه پاداش را در اختیار آنها گذارده.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۰۳

سوره الدخان (۴۴): آیه ۵۸ ص: ۴۰۳

(آیه ۵۸) - گفتیم: «سوره دخان» با بیان عظمت و عمق آیات قرآن شروع شده است، و با این آیه که آن هم بیانگر تأثیر عمیق آیات قرآن است پایان می‌گیرد، تا آغاز سوره با انجامش هماهنگ باشد.

می‌فرماید: «ما آن [قرآن را بر زبان تو آسان ساختیم شاید آنان متذکر شوند» (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَا بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).

با این که محتوایش فوق العاده عمیق و ابعادش بسیار گسترده است، ساده، روان، همه کس فهم و قابل استفاده برای همه قشرهاست.

سوره الدخان (۴۴): آیه ۵۹ ص: ۴۰۳

(آیه ۵۹) - ولی از آن جا که با همه این اوصاف باز گروهی در برابر کلام حق تسلیم نمی‌شوند در آخرین آیه آنها را مورد تهدید قرار داده، می‌گوید: اگر با این همه آنها پذیرا نشوند «پس تو منتظر باش، آنها نیز منتظرند!» (فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ). تو منتظر وعده‌های الهی در زمینه پیروزی بر کفار باش، و آنها منتظر شکست باشند.

«پایان سوره دخان»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۰۵

سوره جاثیه [۴۵] ص: ۴۰۵

اشاره

این سوره در «مکه» نازل شده، و دارای ۳۷ آیه است

محتوای سوره: ص: ۴۰۵

محتوای این سوره را می‌توان در هفت بخش خلاصه کرد:

- ۱- عظمت قرآن مجید و اهمیت آن.
 - ۲- بیان گوشه‌ای از دلائل توحید در برابر مشرکان.
 - ۳- ذکر پاره‌ای از ادعاهای «طبیعی مسلکان» و پاسخ قاطع به آن.
 - ۴- اشاره کوتاهی به سرنوشت بعضی از اقوام پیشین همچون بنی اسرائیل.
 - ۵- تهدید شدید نسبت به گمراهانی که اصرار و پافشاری بر عقائد انحرافی خود دارند.
 - ۶- دعوت به عفو و گذشت در عین قاطعیت و عدم انحراف از مسیر حق.
 - ۷- اشارات گویایی به حوادث تکان دهنده قیامت.
- نام این سوره «جاثیه» است به تناسب آیه ۲۸ این سوره- جاثیه یعنی کسی که به زانو در آمده- و اشاره به وضع بسیاری از مردم در صحنه قیامت در دادگاه عدل الهی است.

فضیلت تلاوت سوره: ص: ۴۰۵

در حدیثی از پیامبر صلی الله علیه و اله می‌خوانیم: «کسی که سوره جاثیه را بخواند (و البته در آن اندیشه کند و در زندگی خود به کار بندد) خداوند عیوب او را روز قیامت می‌پوشاند و ترس و وحشت او را به آرامش مبدل می‌سازد».

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۰۶

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۱ ص: ۴۰۶

(آیه ۱) - همه جا نشانه‌های اوست: این سوره ششمین سوره‌ای است که با حروف مقطعه «ح-میم» (حم). آغاز شده است.

مفسّر معروف «طبرسی» در آغاز این سوره می‌گوید: بهترین سخن این است که گفته شود «حم» نام این سوره است و نامگذاری این سوره به «حم» اشاره به این است که این قرآن که سراپا اعجاز است از حروف الفبا تشکیل شده.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۲ ص: ۴۰۶

(آیه ۲) - و شاید به همین دلیل بلافاصله از عظمت قرآن یاد کرده، می‌گوید: «این کتاب از سوی خداوند عزیز و حکیم نازل شده است» (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ). «عزیز» به معنی قدرتمند و شکست ناپذیر، و «حکیم» به معنی کسی است که از اسرار همه چیز آگاه است و تمام افعالش روی حساب و حکمت می‌باشد.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۳ ص: ۴۰۶

(آیه ۳) - سپس به بیان آیات و نشانه‌های عظمت خدا در آفاق و انفس پرداخته، می‌گوید: «در آسمانها و زمین نشانه‌های فراوانی است برای آنها که اهل ایمانند و طالب حقتند» (إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ). عظمت آسمانها از یک سو، و نظام شگفت انگیز آنها - که میلیونها سال می‌گذرد و برنامه‌های آنها بدون کمترین انحراف و دگرگونی ادامه می‌یابد - از سوی دیگر، و ساختمان زمین و عجائب آن از سوی سوم هر یک آیتی از آیات خداست.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۴ ص: ۴۰۶

(آیه ۴) - پس از این آیات آفاقی به آیات انفسی پرداخته، می‌گوید: «و در آفرینش شما و جنبندگان که در سراسر زمین پراکنده ساخته نیز نشانه‌هایی است برای جمعیتی که اهل یقینند» (وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّهِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ). آری! هر یک به نوبه خود آیت و نشانه‌ای از علم و حکمت و قدرت بی‌پایان مبدأ آفرینش است.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۵ ص: ۴۰۶

(آیه ۵) - در این آیه از سه موهبت بزرگ که هر یک نقش مهمی در حیات برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۰۷ انسان و موجودات زنده دیگر دارد، و هر یک آیتی از آیات خداست، نام می‌برد: مسأله «نور» و «آب» و «هوا».

می‌فرماید: «در آمد و شد شب و روز، و رزقی را که خداوند از آسمان نازل کرده و به وسیله آن زمین را بعد از مرگش حیات بخشیده، و همچنین در وزش بادهای، نشانه‌هایی است برای جمعیتی که تعقل و اندیشه می‌کنند» (وَ اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ تَضْرِيحِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ).

مسأله نظام «نور و ظلمت» و آمد و شد شب و روز که هر یک با نظام خاصی جانسین و خلیفه دیگری می‌شود بسیار حساب شده و شگفت انگیز است.

در مرحله دوم از رزق حیاتبخش آسمانی، یعنی باران، سخن به میان آمده که نه در لطافت طبعش کلامی است، و نه در

قدرت احیا گریش سخنی، و همه جا نشانه زندگی و طراوت و زیبایی است.

و در مورد سوم سخن از وزش بادهای است بادهایی که هوای پر اکسیژن زنده را جابه‌جا می‌کنند، و در اختیار جانداران می‌گذارند، هوای آلوده به کربن را برای تصفیه به دشتها و جنگلها و صحراها می‌فرستند، و پس از تصفیه به شهرها و آبادیها می‌برند، و عجب این که این دو دسته از موجودات زنده یعنی «حیوانات» و «گیاهان» درست بر ضد هم عمل می‌کنند، اولی اکسیژن را می‌گیرد و گاز کربن می‌دهد، و دومی کربن را می‌گیرد و اکسیژن می‌دهد تا تعادل در نظام حیات برقرار گردد، و با گذشت زمان ذخیره هوای مفید زمین نابود نشود.

وزش بادهایی که علاوه بر این، تلقیح گر گیاهان، و بارور کننده آنها، و افشاننده انواع بذرها در سرزمینهای مختلف، و پرورش دهنده مراتع طبیعی و جنگلها، و موج آفرین در دل اقیانوسهاست، موجی که به دریا حیات و حرکت می‌بخشد، و آب را از عفونت و فساد حفظ می‌کند، و نیز همین بادهای کشتیها را بر صفحه اقیانوسها به حرکت در می‌آورند.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۶..... ص: ۴۰۷

(آیه ۶) - سپس در این آیه به عنوان یک جمع بندی نسبت به بحثهای برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۰۸ گذشته، و بیان عظمت و اهمیت آیات قرآن، می‌فرماید: «اینها آیات الهی است که ما آن را به حق بر تو تلاوت می‌کنیم» (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ).

به راستی اگر آنها به این آیات ایمان نیاورند به چه چیز ایمان خواهند آورد؟ و لذا در پایان آیه می‌افزاید: «پس این گروه کافر به کدام سخن بعد از سخن خدا و آیاتش ایمان می‌آورند؟! (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَ آيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ).

آری! به راستی قرآن مجید آن چنان محتوایی از نظر استدلال و براهین توحیدی و همچنین از نظر پند و اندرز دارد که هر دلی کمترین آمادگی در آن باشد، او را به سوی خدا و پاکی و تقوا دعوت می‌کند، هرگاه این آیات بینات در کسی اثر نبخشد هرگز امیدی به هدایت او نیست.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۷..... ص: ۴۰۸

(آیه ۷) - وای بر دروغگوی گنهکار! آیات گذشته نشان می‌داد که گروهی هستند که سخنان الهی با انواع دلائل توحیدی و مواعظ و اندرزها را می‌شنوند ولی در آنها اثر نمی‌کند، در اینجا از این گروه و عواقب اعمال آنها بطور مشروح سخن می‌گوید.

نخست می‌فرماید: «وای بر هر دروغگوی گنهکار!» (وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ). «افاک» به معنی کسی است که بسیار دروغ می‌گوید، و گاه به کسی که دروغ بزرگ می‌گوید هر چند زیاد هم نباشد گفته شده.

از این آیه به خوبی روشن می‌شود که موضع گیری خصمانه در برابر آیات الهی کار کسانی است که سر تا پا آلوده گناه و کذب و دروغند، نه پاک نهادان راستگو.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۸ ص: ۴۰۸

(آیه ۸) - سپس به چگونگی موضع گیریهای آنها اشاره کرده، می‌افزاید:

«پیوسته آیات الهی را که بر او تلاوت می‌شود می‌شنود اما بر اثر تکبر همواره اصرار بر مخالفت دارد گوئی اصلاً آن را نشنیده» (يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا).

و در پایان آیه آنها را شدیداً به کیفر سختی تهدید کرده، می‌گوید: «چنین کسی را به عذاب دردناک بشارت ده!» (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).

همان گونه که او دل پیامبر و مؤمنان را به درد آورده ما نیز او را به عذاب برگزیده تفسیر نموده، ج ۴، ص: ۴۰۹

دردناکی مبتلا می‌سازیم.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۹ ص: ۴۰۹

(آیه ۹) - سپس می‌افزاید: «و هر گاه (این مستکبر لجوج) چیزی از آیات ما را بداند و از آن آگاه شود آن را به باد استهزا می‌گیرد» (وَ إِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا).

او همه آیات ما را - چه آنها را که دانسته و چه آنها را که ندانسته - به استهزا و سخریه می‌گیرد! و این نهایت جهل و بی‌خبری است که انسان چیزی را انکار یا مسخره کند که اصلاً نفهمیده است، و این بهترین دلیل لجاج و عناد آنهاست.

و در پایان آیه مجازات این گروه را چنین بیان می‌کند: «برای آنها عذاب خوار کننده‌ای است» (أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ).

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۱۰ ص: ۴۰۹

(آیه ۱۰) - این آیه «عذاب مهین» را چنین شرح می‌دهد: «پشت سرشان دوزخ است» (مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ).

تعبیر به پشت سر، با این که دوزخ جلو آنها قرار دارد، و در آینده به آن می‌رسند، ممکن است از این نظر باشد که آنها اقبال به دنیا کرده، و آخرت و عذاب الهی را نادیده گرفته و پشت سر انداخته‌اند.

و به هر حال در دنباله آیه می‌افزاید: اگر آنها گمان می‌کنند اموال سرشار، و بتها و خدایان ساختگیشان، گرهی از کار آنها می‌گشاید سخت در اشتباهند، چرا که «هرگز آنچه را به دست آوردند آنها را (از عذاب الهی) نجات نمی‌بخشد و نه اولیائی که غیر از خدا برای خود برگزیدند» مایه نجاتشان خواهند بود (وَلَا يَغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ).

و چون هیچ راه فرار و نجاتی نیست باید در آتش قهر و غضب الهی بمانند «و عذاب بزرگی برای آنهاست» (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

آنها آیات الهی را کوچک شمردند، خداوند عذاب آنها را بزرگ می‌کند، آنها بزرگی فروختند خدا نیز عذاب عظیم به آنها می‌دهد.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۱۱ ص: ۴۰۹

(آیه ۱۱) - به دنبال بحثهایی که در باره عظمت آیات الهی در آیه‌های گذشته برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۱۰

آمده در اینجا همین معنی را تعقیب کرده، می‌گوید: «این (قرآن) مایه هدایت است» (هَذَا هُدًى).

حق را از باطل جدا می‌سازد، صحنه زندگی انسان را روشن می‌کند، و دست رهروان راه حق را گرفته به سر منزل مقصود می‌رساند.

«و کسانی که به آیات پروردگارشان کافر شدند عذابی سخت و دردناک دارند» (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ).

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۱۲ ص: ۴۱۰

(آیه ۱۲) - همه از بهر تو سرگشته و فرمانبردار! سپس رشته سخن را به بحث توحید که در آیات نخستین این سوره مطرح شده می‌کشاند و درسهای مؤثری از توحید و خداشناسی به مشرکان می‌دهد.

گاه در عواطف آنها چنگ زده، می‌گوید: «خداوند همان کسی است که دریا را برای شما مسخر کرد تا کشتیها به فرمانش در آن حرکت کنند، و بتوانید از فضل او بهره گیرید و شاید شکر نعمتهایش را به جا آورید» (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِي الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۱۳ ص: ۴۱۰

(آیه ۱۳) - بعد از بیان نعمت کشتیها که تماس نزدیکی با زندگی روز مره انسانها دارد به مسأله تسخیر سایر موجودات بطور کلی پرداخته، می‌گوید: «و آنچه را در آسمانها و آنچه را در زمین است همه را از ناحیه خودش مسخر شما ساخت» (وَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ).

با توجه به این که همه مواهب از ناحیه اوست و خالق و مدبر و پروردگار همه، ذات پاک او می‌باشد پس چرا انسان به سراغ غیر او رود؟ و سر بر آستان مخلوقات ضعیف بگذارد؟ و از معرفت منعم حقیقی غافل بماند؟

لذا در پایان آیه می‌افزاید: «در این، نشانه‌های مهمی است برای کسانی که تفکر و اندیشه می‌کنند» (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

در آیه قبل از عواطف انسانها استفاده می‌شد، و در اینجا از عقول و اندیشه‌های آنها، چه خدای مهربانی که با هر زبان ممکن با بندگانش سخن می‌گوید، گاه با زبان دل، و گاه با زبان فکر، و هدف در همه اینها یک چیز بیش برگزیده تفسیر نمونه،

ج ۴، ص: ۴۱۱

نیست، و آن بیداری انسانهای غافل و به حرکت در آوردن آنها در سیر الی الله است.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۱۴ ص: ۴۱۱

(آیه ۱۴) - سپس به ذکر یک دستور اخلاقی در برخورد با کفار می‌پردازد تا بحثهای منطقی سابق را به این وسیله تکمیل کند روی سخن را به پیامبر صلی الله علیه و اله کرده، می‌فرماید: «به مؤمنان بگو: کسانی را که امید به ایام الله (روز رستاخیز) ندارند مورد عفو قرار دهند، و نسبت به آنها سخت نگیرند» (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ).

ممکن است آنها بر اثر دور بودن از مبادی ایمان و تربیت الهی بر خورده‌های خشن و نامطلوب، و تعبیرات زشت و زنده‌ای داشته باشند، شما باید با بزرگواری و سعه صدر با این گونه اشخاص برخورد کنید، مبادا بر لجاجت خود بیفزایند، و فاصله آنها از حق بیشتر شود.

ولی برای این که این گونه افراد از این بزرگواری و عفو و گذشت سوء استفاده نکنند در پایان آیه می‌افزاید: «این به خاطر آن است که (خداوند در آن روز) هر قومی را به اعمالی که انجام می‌دادند جزا دهد» (لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

سورة الجاثية (۴۵): آیه ۱۵ ص : ۴۱۱

(آیه ۱۵) - می‌فرماید: «کسی که عمل صالحی به جا آورد به سود خود به جا آورده است، و کسی که کار بدی انجام دهد به زیان خود اوست، سپس همه شما به سوی پروردگارتان باز گردانده می‌شوید» و نتیجه اعمال خود را می‌یابید (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ).

این تعبیر که در آیات قرآن کراراً و با عبارات مختلف آمده است پاسخی است به آنها که می‌گویند اطاعت و عصیان ما برای خدا چه سود و زیانی دارد؟

و این چه اصراری است که در زمینه اطاعت و نهی از معصیت او می‌شود؟! این آیات می‌گوید: همه اینها سود و زیانش متوجه خود شماست، این شما هستید که در پرتو اعمال صالح تکامل می‌یابید، و این شما هستید که بر اثر جرم و گناه سقوط کرده در پرتگاه غضب و بعد از رحمت او گرفتار لعنت ابدی می‌شوید.

سورة الجاثية (۴۵): آیه ۱۶ ص : ۴۱۱

(آیه ۱۶) - این همه موهبت به بنی اسرائیل دادیم ولی ...! در تعقیب بحثهایی که در آیات گذشته پیرامون انواع نعمتهای خداوند و شکرگزاری و عمل صالح آمده، برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۱۲

در اینجا نمونه‌ای از زندگی اقوام بعضی اقوام پیشین را که مشمول نعمتهای خداوند شدند اما کفران کردند شرح می‌دهد. می‌فرماید: «ما به بنی اسرائیل کتاب آسمانی و حکومت و نبوت دادیم، و از روزیهای پاکیزه به آنها عطا کردیم، و آنان را بر جهانیان (هم عصر خود) برتری بخشیدیم» (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ).

در این آیه مجموعاً پنج موهبت را که خداوند به بنی اسرائیل عطا کرده، بیان می‌کند.

نخست مسأله کتاب آسمانی یعنی «تورات» است، که مبین معارف دینی و حلال و حرام و طرق هدایت و سعادت بود. دوم مقام حکومت و قضاوت.

سومین نعمت الهی بر آنها مقام «نبوت» بود که خداوند انبیای بسیاری را از آنها برگزید.

در روایتی آمده است: «عدد انبیای بنی اسرائیل بالغ بر هزار نفر می‌شد» و در روایت دیگری انبیای بنی اسرائیل چهار هزار نفر ذکر شده است.

چهارمین موهبت مواهب مادی و روزیهای پاکیزه است.

و پنجمین موهبت، برتری و قدرت بلا منازع آنها بود.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۱۷ ص: ۴۱۲

(آیه ۱۷) - در این آیه به ششمین موهبت بزرگی که خدا به این قوم حق شناس داد اشاره کرده، می گوید: «و ما دلائل روشنی (از امر نبوت و شریعت) در اختیار آنها گذاردیم» (وَ آتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ). با وجود این مواهب بزرگ و دلائل بین و روشن جایی برای اختلاف وجود نداشت، ولی این کفران کنندگان به زودی دست به اختلاف زدند.

چنانکه قرآن در دنباله همین آیه می گوید: «پس آنها اختلاف نکردند مگر بعد از آنکه علم و آگاهی به سراغشان آمد و سر چشمه این اختلاف همان حب ریاست و برتری جوئی بود» (فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۱۳

قرآن در پایان آیه آنها را با این عبارت هشدار می دهد: «پروردگار تو روز قیامت در میان آنها در باره آنچه اختلاف نمودند داوری می کند» (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ). و به این ترتیب با کفران نعمت و ایجاد اختلاف هم عظمت و قدرت خود را در دنیا از دست دادند و هم مجازات آخرت را برای خود خریدند.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۱۸ ص: ۴۱۳

(آیه ۱۸) - بعد از بیان مواهبی که خداوند به بنی اسرائیل داده بود و کفران کردند، سخن از موهبت عظیمی به میان می آورد که به پیامبر اسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ می فرماید: «سپس ما تو را بر شریعت و مسیری به سوی آیین حق قرار دادیم» (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيْعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ). و از آنجا که این مسیر، مسیر نجات و پیروزی است به دنبال آن به پیامبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ دستور می دهد «پس از آن پیروی کن» (فَاتَّبِعْهَا).

و نیز از آنجا که نقطه مقابل آن چیزی جز پیروی از هوی و هوس جاهلان نیست، در آخر آیه می افزاید: «و از هوی و هوسهای کسانی که آگاهی ندارند پیروی مکن» (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ).

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۱۹ ص: ۴۱۳

(آیه ۱۹) - این آیه در حقیقت علتی است برای نهی از تسلیم شدن در برابر پیشنهاد مشرکان می گوید: «آنها هرگز نمی توانند تو را در برابر خداوند بی نیاز کنند» و از عذابش برهانند (إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا). هر گاه از آئین باطل آنها پیروی کنی و عذاب الهی دامان تو را بگیرد هرگز نمی توانند به کمک تو بشتابند، گرچه روی سخن در این آیات به پیامبر است ولی منظور همه مؤمنان می باشند.

سپس می افزاید: «و ظالمان یار و یاور (و دوست و ولی) یکدیگرند» (وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ). همه از یک قماشند و در یک مسیر و سر و ته یک کرباس و همگی ضعیف و ناتوانند! اما گمان نکن که تو و افراد با ایمان که اکنون در اقلیت هستید یار و یآوری برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۱۴

ندارید «خداوند یار و یاور پرهیزکاران است» (وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ).

درست است آنها ظاهراً جمعیتی عظیم و قدرت و ثروت قابل ملاحظه‌ای دارند ولی در برابر قدرت بی‌انتهای حق ذرّه ناچیزی بیش نیستند.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۲۰ ص: ۴۱۴

(آیه ۲۰) - در این آیه به عنوان تأکید بر آنچه گذشت و دعوت به پیروی از این آیین الهی می‌گوید: «این قرآن و شریعت وسیله بینائیها برای مردم و مایه هدایت و رحمت برای گروهی است که اهل یقین هستند» (هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ).

این تعبیر زیبایی است که از عظمت و تأثیر و عمق این کتاب آسمانی حکایت می‌کند برای آنها که رهرو راهند و جستجوگر حق.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۲۱ ص: ۴۱۴

(آیه ۲۱) - حیات و مرگ این دو گروه یکسان نیست! در تعقیب آیات گذشته که سخن از دو گروه «مؤمنان» و «کافران»، یا «پرهیزکاران» و «مجرمان» در میان بود در این آیه این دو را در یک مقایسه اصولی در برابر هم قرار داده، می‌گوید: «آیا کسانی که مرتکب سیئات شدند گمان کردند آنها را همچون کسانی قرار می‌دهیم که ایمان آورده و عمل صالح انجام داده‌اند که حیات و مرگشان یکسان باشد؟! (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَ مَمَاتُهُمْ) . «چه بد داوری می‌کنند!» (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ).

آیه می‌گوید: این یک پندار غلط است که تصور کنند ایمان و عمل صالح، یا کفر و گناه، تأثیری در زندگی انسان نمی‌گذارد، چنین نیست زندگی و مرگ این دو گروه کاملاً با هم متفاوت است.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۲۲ ص: ۴۱۴

(آیه ۲۲) - این آیه در حقیقت تفسیر و تعلیلی است برای آیه قبل، می‌فرماید: «و خداوند آسمانها و زمین را به حق آفریده است» (وَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ).

«و هدف آن است که هر کس در برابر اعمالی که انجام داده است جزا داده شود، و به آنها ظلم و ستمی نخواهد شد» (وَ لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۱۵

سراسر عالم نشان می‌دهد که آفریننده این جهان آن را بر محور حق قرار داده، و در همه جا حق و عدالت حاکم است. با این حال چگونه ممکن است مؤمنان صالح‌العمل و مجرمان بی‌ایمان را یکسان قرار دهد.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۲۳ ص: ۴۱۵

(آیه ۲۳) - این آیه نیز توضیح و تعلیل دیگری است برای عدم مساوات کافران و مؤمنان، می‌فرماید: «آیا دیدی کسی را که معبود خود را هوای نفس خویش قرار داده؟! (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ).

و فرمان خدا را رها کرده، و به دنبال خواست دل و هوای نفس افتاد و اطاعت آن را بر اطاعت حق مقدم شمرد.

«و خداوند او را با آگاهی (بر این که شایسته هدایت نیست) گمراه ساخته» (وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ).

«و بر گوش و قلبش مهر زده، و بر چشمش پرده‌ای افکنده است» تا در وادی ضلالت همواره سرگردان بماند (وَ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً).

«با این حال چه کسی می‌تواند غیر از خدا او را هدایت کند» (فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ).

«آیا متذکر نمی‌شوید؟! (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ). و تفاوت چنین کسی را با آنها که در پرتو نور حق راه خود را یافته‌اند نمی‌فهمید؟

راستی چه بت خطرناکی است هوی پرستی که تمام درهای رحمت و طرق نجات را به روی انسان می‌بندد، و چه گویا و پرمعنی است حدیثی که از پیغمبر گرامی اسلام صلی الله علیه و اله نقل شده: «هرگز در زیر آسمان معبودی مبعوضتر نزد خدا از هوای نفس، پرستش نشده است!» چرا که بت‌های معمولی موجوداتی بی‌خاصیتند، ولی بت هوی و هوس اغوا کننده، و سوق دهنده به سوی انواع گناه و انحراف است.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۲۴ ص: ۴۱۵

(آیه ۲۴) - عقاید دهریین: در اینجا بحث دیگری پیرامون منکران توحید بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۱۶

است، منتها تنها از گروه خاصی از آنها یعنی «دهریین» نام می‌برد که مطلقاً وجود صانع حکیم را در عالم هستی انکار می‌کردند، در حالی که اکثر مشرکان ظاهراً به خدا ایمان داشتند و بت‌ها را شفیعان در گاه او می‌دانستند.

می‌فرماید: «و آنها گفتند چیزی جز همین زندگی ما در دنیا در کار نیست، گروهی از ما می‌میرند و گروهی زنده می‌شوند» و جای آنها را می‌گیرند، و نسل بشر همچنان تداوم می‌یابد (وَ قَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا).

«و چیزی جز دهر و گذشت روزگار ما را هلاک نمی‌کند» (وَ مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ).

جمله نخست ناظر به انکار معاد است و جمله بعد ناظر به انکار مبدأ.

قرآن مجید در پاسخ این بیهوده گویان جمله کوتاه و پرمحتوایی بیان کرده که در موارد دیگری از قرآن نیز به چشم می‌خورد، می‌فرماید: «آنها به این سخن (که می‌گویند معادی نیست و مبدأ جهان نیز دهر است) یقین ندارند، بلکه تنها گمان بی‌پایه‌ای دارند» (وَ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ).

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۲۵ ص: ۴۱۶

(آیه ۲۵) - در این آیه به یکی از بهانه جوئی‌های بی‌اساس این گروه در مورد معاد اشاره کرده، می‌گوید: «و هنگامی که آیات

بینات و آشکار ما بر آنها خوانده می‌شود تنها دلیلی که در برابر آن دارند این است که می‌گویند: اگر راست می‌گوئید، پدران ما را زنده کنید و بیاورید» تا بر صدق گفتار شما گواهی دهند (وَ إِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).

آری! این تنها دلیل آنها بود، دلیلی سست و واهی، چرا که خداوند قدرت خویش را بر احیای مردگان از طرق مختلف به

انسانها نشان داده است.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۲۶..... ص: ۴۱۶

(آیه ۲۶) - در آن دادگاه عدل همه به زانو در می آیند! در اینجا پاسخ دیگری به سخن دهریین که منکر مبدأ و معاد بودند داده، می فرماید: «بگو: خداوند شما را زنده می کند، سپس می میراند سپس (بار دیگر حیات می بخشد و) برای حساب در روز قیامت، روزی که در آن شک و تردیدی نیست جمع آوری می کند» (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۱۷
لا رَيْبَ فِيهِ)

آنها نه خدا را قبول داشتند و نه روز جزا را، و محتوای این آیه در حقیقت استدلال برای هر دو قسمت است، چرا که روی مسأله حیات نخستین تکیه شده، از سوی دیگر، کسی که قادر بر حیات نخستین است چگونه قادر بر اعاده آن نیست. و از آنجا که بسیاری از مردم در این دلائل تأمل و دقت نمی کنند در پایان آیه می افزاید: «ولی اکثر مردم نمی دانند» (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۲۷..... ص: ۴۱۷

(آیه ۲۷) - این آیه دلیل دیگری بر مسأله معاد است که شبیه آن را در آیات دیگر قرآن خوانده ایم، می فرماید: «مالکیت و حاکمیت آسمانها و زمین از آن خداست» (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ). او که مالک و حاکم بر تمام پهنه عالم هستی است، مسلماً قدرت بر احیای مردگان را دارد، و چنین کاری در برابر قدرت او هرگز مشکل نیست. او این جهان را مزرعه ای برای قیامت، و تجارتخانه پرسودی برای عالم پس از مرگ، قرار داده است، لذا در پایان آیه می افزاید: «و آن روز که قیامت بر پا شود اهل باطل زیان می بینند» (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ). حیات و عقل و هوش و مواهب زندگی سرمایه های انسان است باطل گرایان آنها را با متاع زود گذری که نسبت به آن هیچ ارزشمند نیست مبادله می کنند، و روز رستاخیز که تنها قلب سلیم و ایمان و عمل صالح به کار می آید زیانکار بودن خود را با چشم مشاهده می کنند.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۲۸..... ص: ۴۱۷

(آیه ۲۸) - این آیه صحنه قیامت را به طرز بسیار گویائی ترسیم کرده، می گوید: «در آن روز هرامتی را می بینی (که از شدت ترس و وحشت) بر زانو نشسته» (و تَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً).

سپس دومین صحنه از صحنه های قیامت را به این صورت بیان می کند که:

«هرامتی به سوی کتابش خوانده می شود (و به آنها می گویند): امروز جزای آنچه را انجام می دادید به شما می دهند» (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۱۸

این کتاب همان نامه اعمالی است که تمام نیکیها و بدیها، زشتیها و زیباییهای گفتار و کردار انسانها در آن ثبت است.

تعبیر «كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا» نشان می‌دهد که علاوه بر نامه اعمالی که برای هر انسانی جداگانه موجود است هر امتی نیز نامه اعمالی متعلق به جمع و گروه خود دارد.

سورة الجاثية (۴۵): آية ۲۹ ص : ۴۱۸

(آیه ۲۹) - بار دیگر از سوی خداوند به آنها خطاب می‌شود و به عنوان تأکید می‌گوید: «این کتاب ما است که به حق با شما سخن می‌گوید» و اعمال شما را بازگو می‌کند! (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ).
آن روز که شما هر چه می‌خواستید انجام می‌دادید هرگز باور نمی‌کردید که اعمالتان در جایی ثبت شود، ولی «ما آنچه را انجام می‌دادید می‌نوشتیم» (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ).

سورة الجاثية (۴۵): آية ۳۰ ص : ۴۱۸

(آیه ۳۰) - در این آیه مرحله نهائی دادرسی قیامت را بیان می‌کند، آنجا که هر گروهی به نتیجه اعمال خود می‌رسند. می‌فرماید: «اما کسانی که ایمان آوردند و عمل صالح انجام دادند پروردگارش آنها را در رحمت خود وارد می‌کند» (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ).
و در پایان آیه می‌فرماید: «این پیروزی آشکار است» (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ).

سورة الجاثية (۴۵): آية ۳۱ ص : ۴۱۸

(آیه ۳۱) - در این آیه سرنوشت گروه دیگری را که نقطه مقابل این گروهند یادآور شده، می‌فرماید: «و اما کسانی که کافر شدند (به آنها گفته می‌شود) مگر آیات من بر شما خوانده نمی‌شد و شما استکبار می‌کردید (و تسلیم حق نمی‌شدید) و قومی مجرم و گناهکار بودید» (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ).
قابل توجه این که در این آیه تنها سخن از کفر است، و اما اعمال سوء به عنوان یک عامل دخول به عذاب الهی ذکر نشده، این به خاطر آن است که مسأله کفر به تنهایی موجب عذاب است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۱۹

سورة الجاثية (۴۵): آية ۳۲ ص : ۴۱۹

(آیه ۳۲) - آن روز که اعمال سوء انسان آشکار می‌شود! این آیه توضیحی است بر مسأله استکبار کافران در برابر آیات الهی و دعوت انبیا که در آیه قبل به صورت اجمالی بیان شده بود، می‌فرماید: «هنگامی که گفته می‌شد وعده الهی حق است و در قیامت هیچ شکی نیست شما می‌گفتید: ما نمی‌دانیم قیامت چیست؟ ما تنها گمانی در این باره داریم و به هیچ وجه یقین نداریم» (وَ إِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ السَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا وَ مَا نَحْنُ بِمُشْتَقِقِينَ).

آغاز جزء ۲۶ قرآن مجید ص : ۴۱۹

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۳۳ ص : ۴۱۹

(آیه ۳۳) - این آیه از مجازات و کیفر آنها سخن می گوید، کیفری که شباهت با مجازاتهای قراردادی دنیای ما ندارد، می فرماید: «در آنجا سیئات اعمالشان برای آنها آشکار می شود» (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا). زشتیها و بدیها تجسم می یابند، جان می گیرند، و در برابر آنها آشکار می شوند، و همدم و همنشین آنها هستند و دائما آزارشان می دهند! «و سر انجام آنچه را استهزا می کردند آنها را فرا می گیرد» (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ).

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۳۴ ص : ۴۱۹

(آیه ۳۴) - و از همه دردناکتر این که از سوی خداوند رحمن و رحیم به آنها خطاب می گردد: «و گفته می شود: امروز شما را فراموش می کنیم همان گونه که شما دیدار امروزتان را فراموش کردید!» (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا). در دنباله آیه می افزاید: به آنها گفته می شود: «و جایگاه شما دوزخ است!» (وَمَا أَوَّاكُمُ النَّارُ). و اگر گمان می کنید کسی به یاری شما می شتابد قاطعانه به شما می گوئیم «هیچ یار و یآوری برای شما نیست» (وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ).

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۳۵ ص : ۴۱۹

(آیه ۳۵) - اما چرا و به چه دلیل شما گرفتار چنین سرنوشتی شدید؟ «این به خاطر آن است که آیات خدا را به سخریه گرفتید و زندگی دنیا شما را مغرور کرد» برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۲۰ (ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَ عَزَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا). و در پایان آیه بار دیگر آنچه را که در آیه قبل آمده بود به تعبیر دیگری تکرار و تأکید کرده، می گوید: «پس امروز آنها از آتش دوزخ خارج نمی شوند، و هیچ گونه عذری از آنها پذیرفته نیست» (فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ). در آنجا سخن از مأوی و جایگاه ثابت آنها بود و در اینجا سخن از عدم خروج آنها از دوزخ است، در آنجا می فرمود یآوری ندارند، و در اینجا می گوید عذری از آنها از دوزخ است، در آنجا می فرمود یآوری ندارند، و در اینجا می گوید عذری از آنها پذیرفته نمی شود، و در نتیجه راه نجاتی برای آنها نیست.

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۳۶ ص : ۴۲۰

(آیه ۳۶) - در پایان این سوره برای تکمیل بحث توحید و معاد که بیشترین مباحث این سوره را در بر می گرفت، ضمن دو آیه وحدت ربوبیت و عظمت خداوند و قدرت و حکمت او را بیان کرده و پنج وصف از صفات خدا را منعکس می سازد، نخست می گوید: «پس تمام حمد و ستایش مخصوص خداست» (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ). چرا که او «پروردگار همه آسمانها، و پروردگار زمین، و پروردگار همه جهانیان است» (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ رَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ

سوره الجاثیه (۴۵): آیه ۳۷ ص: ۴۲۰

(آیه ۳۷) - بعد از توصیف ذات پاک او به مقام «حمد» و «ربوبیت» در سومین توصیف می‌افزاید: «و برای اوست کبریا و عظمت و علو و رفعت در آسمانها و زمین» (وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ). چرا که آثار عظمتش در پهنه آسمان و سراسر زمین و تمام جهان آشکار است.

و بالاخره در چهارمین و پنجمین توصیف می‌گوید: «او قادر شکست ناپذیر و حکیم علی‌الاطلاق است» (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). به این ترتیب سوره جاثیه که با توصیف خداوند به «عزیز و حکیم» آغاز شده با همین اوصاف پایان می‌یابد، و سراسر محتوای آن نیز گواه بر عزت و حکمت بی‌پایان اوست.

«پایان سوره جاثیه»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۲۱

سوره احقاف [۴۶] ص: ۴۲۱

اشاره

این سوره در «مکه» نازل شده و دارای ۳۵ آیه است

محتوای سوره: ص: ۴۲۱

این سوره اهداف زیر را تعقیب می‌کند:

- ۱- بیان عظمت قرآن.
- ۲- مبارزه قاطع بر ضد هرگونه شرک و بت پرستی.
- ۳- توجیه مردم در مسأله معاد و دادگاه عدل پروردگار.
- ۴- ضمنا به عنوان هشدار به مشرکان و مجرمان گوشه‌ای از داستان قوم عاد را که ساکن سرزمین «احقاف» بودند بیان می‌دارد- نام سوره نیز از همین جا گرفته شده است.
- ۵- اشاره به گسترش و عمومیت دعوت پیامبر اسلام، تا آنجا که غیر از انسانها یعنی طایفه جن را نیز شامل می‌شود.
- ۶- تشویق مؤمنان و انذار کافران و ایجاد مبادی خوف و رجاء.
- ۷- دعوت پیامبر اسلام به صبر و استقامت.

فضیلت تلاوت سوره: ص: ۴۲۱

در حدیثی از امام صادق علیه السّلام می‌خوانیم: «هر کس سوره احقاف را هر شب، یا هر جمعه، بخواند خداوند وحشت دنیا را از او بر می‌دارد، و از وحشت روز قیامت نیز در امان می‌دارد».

بدیهی است این گونه حسنات و درجات تنها به خاطر تلاوت الفاظ نیست بلکه تلاوتی است سازنده و بیدارگر در مسیر ایمان و تقوا، و محتوای سوره احقاف به راستی چنین اثری را دارد، اگر انسان طالب حقیقت و آماده عمل باشد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۲۲

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره الاحقاف (۴۶): آیه ۱ ص: ۴۲۲

(آیه ۱) - آفرینش این جهان بر اساس حق است: این سوره آخرین سوره از سوره‌های هفتگانه «حم» است که مجموعاً «حوامیم» نام دارد. و در آیه اول این سوره نیز به حروف مقطعه «حا- میم» (حم). برخورد می‌کنیم. در تفسیر این حروف همین قدر می‌گوئیم که این آیات تکان دهنده و حرکت آفرین و پرمحتوای قرآن از حروف ساده الفبا، از «حا و میم» و مانند آن، ترکیب یافته، و در عظمت خداوند همین بس که چنان ترکیب عظیمی را از چنین مفردات ساده‌ای به وجود آورده.

سوره الاحقاف (۴۶): آیه ۲ ص: ۴۲۲

(آیه ۲) - و شاید به همین جهت بلا فاصله می‌افزاید: «این کتاب از سوی خداوند عزیز و حکیم (قادر و توانا) نازل شده است» (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ). این همان تعبیری است که در آغاز سه سوره از سوره‌های «حم» مؤمن - جاوید و احقاف، آمده است. مسلم است قدرتی شکست ناپذیر و حکمتی بی‌کران لازم است تا چنین کتابی را نازل کند.

سوره الاحقاف (۴۶): آیه ۳ ص: ۴۲۲

(آیه ۳) - سپس از کتاب «تدوین» به کتاب «تکوین» پرداخته، و از عظمت و حقانیت آسمانها و زمین سخن می‌گوید، می‌فرماید: «ما آسمانها و زمین و آنچه را میان این دو است جز به حق برای سر آمد معینی نیافریدیم» که با فرار رسیدن آن دنیا فانی می‌شود (مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى). نه در کتاب آسمانیش کلمه‌ای بر خلاف حق است، و نه در مجموعه عالم خلقتش چیزی ناموزون و مخالف حق یافت می‌شود.

اما با این که قرآن حق است، و آفرینش جهان نیز حق «کافران لجوج از آنچه انذار شده‌اند روی گردانند» (وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۲۳

از یک سو آیات قرآن پی‌درپی آنها را انذار و بیم می‌دهد که دادگاه بزرگی در پیش دارید، و از سوی دیگر جهان آفرینش با نظامات خاص خود نیز هشدار می‌دهد که حسابی در کار است، اما این غافلان بی‌خبر نه به این توجهی می‌کنند، و نه به آن.

سوره الاحقاف (۴۶): آیه ۴ ص: ۴۲۳

(آیه ۴) - گمراهترین مردم! در آیات گذشته سخن از آفرینش آسمانها و زمین در میان بود که همه اینها از خداوند عزیز و حکیم است، و برای تکمیل این بحث روی سخن را به پیامبر صلی الله علیه و اله کرده، می فرماید: «به آنان (مشرکان) بگو: این معبودهایی را که غیر از خدا پرستش می کنید به من نشان دهید چه چیزی از زمین را آفریده اند؟! (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ).

«یا شرکتی در آفرینش آسمانها (و مالکیت و تدبیر آنها) دارند؟! (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ).

هنگامی که شما قبول دارید بتها هیچ گونه دخالتی در آفرینش ندارند با این حال چگونه برای حل مشکلات یا جلب برکات دست به دامن این موجودات بی خاصیت و فاقد عقل و شعور می زنید؟! و اگر فرضاً می گوئید آنها شرکتی در امر خلقت و آفرینش داشته اند «کتابی آسمانی پیش از این، یا اثر علمی از گذشتگان برای من بیاورید (که دلیل صدق گفتار شما باشد) اگر راست می گوئید» (اتَّوْنِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۵ ص: ۴۲۳

(آیه ۵) - سپس برای بیان عمق گمراهی این مشرکان می افزاید: «چه کسی گمراهتر است از آنها که موجوداتی غیر از خدا را پرستش می کنند که اگر تا قیامت هم آنان را بخوانند پاسخشان نمی گویند؟! (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

نه تنها پاسخ آنها را نمی دهند، اصلاً سخنانشان را نمی شنوند «و از دعا و ندای آنها غافلند!» (وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۲۴

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۶ ص: ۴۲۴

(آیه ۶) - و از آن اسفبارتر این که: «هنگامی که مردم مشرک در قیامت محشور می شوند معبودهای آنها دشمنان آنها خواهند بود حتی عبادت آنها را انکار می کنند!» (وَ إِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَ كَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ).

معبودهایی که عقل دارند رسماً به دشمنی بر می خیزند، حضرت مسیح از عابدان خود بیزاری می جوید، و فرشتگان نیز تبری می جویند، حتی شیاطین و جن نیز اظهار تنفر می کنند، و آنها که بی عقل بودند خداوند حیات و عقل به آنها می بخشد تا به سخن در آیند و مراتب دشمنی و نفرت خود را از این عابدان اظهار کنند.

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۷ ص: ۴۲۴

(آیه ۷) - بگو: من پیامبر نو ظهوری نیستم! قرآن همچنان از وضع مشرکان گفتگو می کند، و به چگونگی برخورد آنها با آیات الهی اشاره کرده، می گوید:

«و هنگامی که آیات روشن ما بر آنها خوانده می شود کافران در مورد حقی که به سوی آنها آمده است می گویند: این سحر آشکار است» (وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ).

آنها نفوذ سریع و عمیق و جاذبه عجیب قرآن را در اعماق دلها با یک تفسیر انحرافی به عنوان «سحر آشکار» مطرح می کنند که خود اعتراف ضمنی روشنی است به تأثیر فوق العاده قرآن در قلوب انسانها! «حق» در آیه فوق اشاره به همان «آیات قرآن»

است.

سورة الأحقاف (۴۶): آیه ۸ ص: ۴۲۴

(آیه ۸) - ولی آنها تنها به این تهمت قناعت نمی کنند «بلکه (پا را از آن فراتر نهاده، با صراحت) می گویند: این آیات را بر خدا افترا بسته» (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ).

در اینجا خداوند به پیامبرش دستور می دهد که با دلیل روشنی به آنها پاسخ گوید، می فرماید: به آنها «بگو: اگر من آن را به دروغ به خدا نسبت داده باشم (لازم است که مرا رسوا کند) و شما نمی توانید در برابر خداوند از من دفاع کنید» (قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا).

چگونه ممکن است خداوند این «آیات بینات» و این معجزه جاودانی را بر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۲۵ دست دروغگویی ظاهر سازد؟! این از حکمت و لطف خداوند دور است.

سپس به عنوان تهدید می افزاید: «اما خداوند بهتر از هر کس کارهایی را که شما در آن وارد می شوید می داند» و به موقع شما را سخت کیفر می دهد (هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ).

و در جمله بعد به عنوان تأکید بیشتر توأم با برخوردی مؤدبانه می افزاید:

«همین بس که خداوند گواه میان من و شما باشد» (كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ).

او صدق دعوت من، و تلاش و کوششهایم را در ابلاغ رسالت می داند، و دروغ و افترا و کارشکنی شما را نیز می بیند، و همین برای من و شما کافی است.

و برای این که راه بازگشت را نیز به آنها نشان دهد در پایان آیه می افزاید: «او آمرزنده و مهربان است» (وَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ). توبه کاران را می بخشد، و آنها را مشمول رحمت واسعه خود می سازد.

سورة الأحقاف (۴۶): آیه ۹ ص: ۴۲۵

(آیه ۹) - در این آیه می افزاید: «بگو: من پیامبر نو ظهوری نیستم» که با سایر پیامبران متفاوت باشم (قُلْ مَا كُنْتُ بِمَدْعَاً مِنَ الرُّسُلِ).

«و نمی دانم با من و شما چه خواهد شد»؟ (وَ مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَ لَا بِكُمْ).

«من تنها از آنچه بر من وحی می شود پیروی می کنم» (إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ).

«و من جز بیم دهنده آشکاری نیستم» (وَ مَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ).

سورة الأحقاف (۴۶): آیه ۱۰ ص: ۴۲۵

(آیه ۱۰) - در این آیه برای تکمیل آنچه در آیات قبل آمده می افزاید: «بگو:

به من خبر دهید اگر این قرآن از سوی خدا باشد و شما به آن کافر شوید، در حالی که شاهی از بنی اسرائیل بر آن شهادت دهد، و او ایمان بیاورد و شما تکبر کنید و تسلیم نشوید (چه کسی از شما گمراهتر خواهد بود؟!)) مسلماً خداوند قوم ظالم را هدایت نمی کند» (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ كَفَرْتُمْ بِهِ وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَ اسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).

این شاهد بنی اسرائیلی دانشمند معروف یهود «عبد الله بن سلام» بود که در مدینه ایمان آورد و به مسلمین پیوست.
برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۲۶

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۱۱ ص: ۴۲۶

اشاره

(آیه ۱۱)

شأن نزول: ص: ۴۲۶

هنگامی که اسلام از طرف قشرهای فقیر و بادیه نشین و تهیدست بسرعت مورد استقبال قرار گرفت چرا که هم منافع نامشروعی نداشتند که به خطر بیفتد، و هم مغز آنها از باد غرور انباشته نبود، و هم قلبهائی پاکتر از قشر مرفه و عیاش و هوسباز داشتند.

مغروران مستکبر گفتند: این چه آئینی است که پیروانش انبوهی بادیه نشین فقیر و تهیدست و کنیزان و بردگانند؟ اگر مکتب معقولی بود هرگز نباید افراد سطح پائین و منحط اجتماع از آن استقبال کنند اما ما که در سطح بالا قرار داریم و چشم و چراغ جامعه هستیم عقب بمانیم! این آیه و سه آیه بعد از آن نازل شد و به آنها پاسخ داد.

تفسیر: ص: ۴۲۶

شرط پیروزی، ایمان و استقامت است- قرآن همچنان اعمال و گفتار کافران و انحرافات آنها را مورد بحث و بررسی و نکوهش قرار می دهد، نخست به این گفتار غرور آمیز و دور از منطق آنها اشاره کرده، می گوید: «کافران در باره مؤمنان چنین گفتند: اگر ایمان و اسلام چیز خوبی بود هرگز آنها بر ما پیشی نمی گرفتند!» (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ).

اینها یک مشت افراد فقیر و بی سر و پا، روستائی و برده و کم معرفتند! چگونه ممکن است آنها حق را بفهمند و به آن اقبال کنند، ولی ما چشم و چراغهای این جامعه از آن غافل و بی خبر بمانیم؟! لذا در پایان آیه با این تعبیر لطیف به آنها پاسخ داده، می گوید: «چون خود آنها به وسیله قرآن هدایت نشدند به زودی می گویند: این یک دروغ قدیمی است!» (وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكُافٍ قَدِيمٌ).

یعنی آنها نخواسته اند به وسیله قرآن هدایت شوند، نه این که هدایت قرآن کمبودی داشت.

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۱۲ ص: ۴۲۶

(آیه ۱۲) - سپس به دلیل دیگری برای اثبات حقانیت قرآن و نفی تهمت مشرکان که می گفتند: این یک دروغ قدیمی است پرداخته، می گوید: از نشانه های صدق این کتاب بزرگ این است که: «پیش از آن، کتاب موسی که پیشوا و رحمت برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۲۷

بود (نشانه های آن را بیان کرده) و این کتاب هماهنگ با نشانه های تورات است» (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَ هَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ).

با این حال چگونه می گوئید این یک دروغ قدیمی است؟! و به دنبال آن می افزاید: این در حالی است که این کتاب آسمانی «به زبان عربی و فصیح و گویاست» که همگان از آن بهره مند شوند (لِسَانًا عَرَبِيًّا).

و در پایان آیه هدف نهائی از نزول قرآن را در دو جمله کوتاه به این صورت شرح می دهد: «هدف این بوده که ظالمان را انذار و نیکو کاران را بشارت دهد» (لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ بُشِّرِيَ لِلْمُحْسِنِينَ).

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۱۳ ص: ۴۲۷

(آیه ۱۳) - این آیه در حقیقت تفسیری است برای «محسنین» (نیکو کاران) که در آیه قبل آمده بود، می فرماید: «کسانی که گفتند: پروردگار ما الله است، سپس استقامت کردند، نه ترسی برای آنهاست و نه اندوهگین می شوند» (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

بنابر این «محسنین» کسانی هستند که از نظر اعتقادی در خط توحید، و از نظر عمل در خط استقامت و صبرند.

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۱۴ ص: ۴۲۷

(آیه ۱۴) - و در این آیه مهمترین بشارت را به موحدان نیکو کار می دهد و می فرماید: «آنها اهل بهشتند و جاودانه در آن می مانند» (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا).

«این به پاداش اعمالی است که انجام می دادند» (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۱۵ ص: ۴۲۷

(آیه ۱۵) - ای انسان! به مادر و پدر نیکی کن این آیه و آیات آینده در حقیقت توضیحی است در باره دو گروه «ظالم» و «محسن» که در آیات قبل به سرنوشت آنها اجمالاً اشاره شده است.

نخست به وضع «نیکو کاران» پرداخته، و از مسأله نیکی به پدر و مادر و شکر زحمات آنها که مقدمه ای است برای شکر پروردگار شروع کرده، می فرماید: «ما انسان را توصیه کردیم که در باره پدر و مادرش نیکی کند» (وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۲۸

سپس به دلیل لزوم حق شناسی در برابر مادر پرداخته، می گوید: «مادر، او را با اکراه و ناراحتی حمل می کند، و با ناراحتی بر زمین می گذارد، و دوران حمل و از شیر باز گرفتنش سی ماه است» (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَ وَضَعَتْهُ كُرْهًا وَ حَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا).

«مادر» در طول این سی ماه بزرگترین ایثار و فداکاری را در مورد فرزندش انجام می دهد و اینکه قرآن در اینجا تنها از

ناراحتیهای مادر سخن به میان آورده و سخنی از پدر در میان نیست نه به خاطر عدم اهمیت آن است، چرا که پدر نیز در بسیاری از این مشکلات شریک مادر است، ولی چون مادر سهم بیشتری دارد بیشتر روی او تکیه شده است.

ضمناً از این تعبیر قرآنی می توان استفاده کرد که هر قدر از مقدار حمل کاسته شود باید بر مقدار دوران شیر خواری افزود، به گونه ای که مجموعاً سی ماه تمام را شامل گردد.

سپس می افزاید: حیات انسان همچنان ادامه می یابد «تا زمانی که به کمال قدرت نیروی جسمانی رسد، و به مرز چهل سالگی وارد شود» (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً).

در حدیثی آمده است: «شیطان دستش را به صورت کسانی که به چهل سالگی برسند و از گناه توبه نکنند می کشد و می گوید پدرم فدای چهره ای باد که هرگز رستگار نمی شود!» و در جبین این انسان نور رستگاری نیست!

قرآن در دنباله این سخن می افزاید: این انسان لایق و با ایمان هنگامی که به چهل سالگی رسید سه چیز را از خدا تقاضا می کند: نخست «می گوید: پروردگارا! به من الهام ده و توفیق بخش تا شکر نعمتی را که به من و پدر و مادرم ارزانی داشتی به جا آورم» (قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ).

در دومین تقاضا عرضه می دارد: خداوندا! به من توفیق ده «تا عمل صالح به جا آورم، عملی که تو از آن خشنود باشی» (وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ).

و بالاخره در سومین تقاضایش عرض می کند: خداوندا! «صلاح برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۲۹

و درستکاری را در فرزندان و دودمان من تداوم بخش» (وَ أَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي).

و در پایان آیه دو مطلب را اعلام می دارد که هر کدام بیانگر یک برنامه عملی مؤثر است، می گوید: پروردگارا! «من (در این سن و سال) به سوی تو باز می گردم و توبه می کنم» (إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ).

به مرحله ای رسیده ام که باید خطوط زندگی من تعیین گردد، و تا به آخر عمر همچنان ادامه یابد.

دیگر این که می گوید: «و من از مسلمین هستم» (وَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۱۶ ص: ۴۲۹

(آیه ۱۶) - این آیه بیان گویائی است از اجر و پاداش این گروه از مؤمنان شکر گزار صالح العمل و توبه کار که به سه پاداش مهم در آن اشاره شده است.

نخست می فرماید: «آنها کسانی هستند که ما بهترین اعمالشان را قبول می کنیم» (أُولَئِكَ الَّذِينَ تَنْتَقِبُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا). یعنی خداوند بهترین اعمال آنها را معیار پذیرش قرار می دهد و حتی اعمال درجه دو، و کم اهمیت آنها را به فضل و رحمتش، به حساب اعمال درجه یک می گذارد.

موهبت دوم پاکسازی آنهاست، می گوید: «و ما از گناهانشان می گذاریم» (وَ تَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ). «در حالی که در میان بهشتیان جای دارند» (فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ).

و این سومین موهبت الهی نسبت به آنهاست که آنان را با این که لغزشهایی داشته اند شستشو داده، در کنار نیکان و پاکانی جای می دهد که از مقربان در گاه اویند.

و در پایان آیه برای تأکید بر این نعمتها که گفته شد، می افزاید: «این وعده صدقی است که پیوسته به آنها داده شده است»

(وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ).

سورة الأحقاف (۴۶): آیه ۱۷ ص: ۴۲۹

(آیه ۱۷) - پایمال کنندگان حقوق پدر و مادر: در آیات قبل سخن از مؤمنانی در میان بود که در پرتو ایمان و عمل صالح و شکر نعمتهای حق، و توجه به برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۳۰ حقوق پدر و مادر و فرزندان، به مقام قرب الهی راه می‌یابند، و مشمول الطاف خاص او می‌شوند. در اینجا سخن از کسانی است که در نقطه مقابل آنها قرار دارند، افرادی بی‌ایمان و حق شناس و عاق پدر و مادر. می‌فرماید: «و آن کسی که به پدر و مادرش می‌گوید: اف بر شما! آیا به من وعده می‌دهید که من (روز قیامت) مبعوث می‌شوم؟ در حالی که قبل از من اقوام زیادی بودند» و مردند و هرگز مبعوث نشدند! (وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي).

اما پدر و مادر مؤمن در مقابل این فرزند خیره‌سر تسلیم نمی‌شدند «آنها فریاد می‌کشند و خدا را به یاری می‌طلبند که وای بر تو (ای فرزند!) ایمان بیاور که وعده خدا حق است» (وَهُمَا يَسْتَعِينَانِ اللَّهُ وَيَلْتَكِبُ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ). اما او همچنان به لجاجت و خیره سری خود ادامه می‌دهد، و با تکبر و بی‌اعتنائی «می‌گوید: اینها چیزی جز افسانه‌های پیشینیان نیست!» (فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ). این که می‌گویید معاد و حساب و کتابی در کار است از خرافات و داستانهای دروغین اقوام گذشته است، و من هرگز در برابر آن تسلیم نخواهم شد. آری! پدر و مادر دلسوز او هر چه تلاش و کوشش می‌کنند تا این فرزند دل‌بند گرفتار عذاب دردناک الهی نشود او همچنان در کفر خود پافشاری می‌کند و سرانجام ناچار او را رها می‌کنند.

سورة الأحقاف (۴۶): آیه ۱۸ ص: ۴۳۰

(آیه ۱۸) - همان گونه که در آیات گذشته پاداش مؤمنان صالح العمل بیان شده، در اینجا سرانجام کار کافران جسور و خیره‌سر را نیز بیان کرده، می‌فرماید: «آنها کسانی هستند که فرمان عذاب الهی در باره آنان مسجل شده، و همراه اقوام کافر از جن و انس که قبل از آنها بودند گرفتار مجازات دردناک می‌شوند و اهل دوزخند» (أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ).

«چرا که آنها همه از زیانکاران بودند» (إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۳۱ چه زبانی از این بدتر که تمام سرمایه‌های وجود خود را از دست دادند و خشم و غضب خدا را برای خود خریدند.

سورة الأحقاف (۴۶): آیه ۱۹ ص: ۴۳۱

(آیه ۱۹) - در این آیه نخست به تفاوت درجات و مراتب هر یک از این دو گروه اشاره کرده، می‌گوید: «و برای هر کدام از آنها درجاتی است بر طبق اعمالی که انجام داده‌اند» (وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا).

چنان نیست که بهشتیان یا دوزخیان همه در یک درجه باشند، بلکه آنها نیز به تفاوت اعمالشان، و به تناسب خلوص نیت و میزان معرفتشان، مقامات متفاوتی دارند، و اصل عدالت، دقیقاً در اینجا حاکم است.

سپس می‌افزاید: «هدف این است که خداوند اعمال آنها را بی‌کم و کاست به آنان تحویل دهد» (وَ لِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ).

این تعبیر اشاره دیگری است به مسأله «تجسم اعمال» که در آنجا اعمال آدمی با او خواهد بود، اعمال نیکش مایه رحمت، و آرامش اوست، و اعمال زشتش مایه بلا و ناراحتی و رنج و عذاب.

و در پایان به عنوان تأکید می‌گوید: «و به آنها هیچ ستمی نخواهد شد» (وَ هُمْ لَا يُظَلَّمُونَ). چرا که اعمال خودشان را دریافت می‌دارند.

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۲۰ ص: ۴۳۱

(آیه ۲۰) - زهد و ذخیره برای آخرت: این آیه همچنان بحث آیات گذشته را پیرامون مجازات کافران و مجرمان ادامه می‌دهد و گوشه‌هایی از عذابهای جسمانی و روحی آنها را بازگو کرده، می‌فرماید: «آن روز که کافران را بر آتش عرضه می‌کنند (به آنها گفته می‌شود): از طیبات و لذائذ در زندگی دنیای خود استفاده کردید و از آن بهره گرفتید اما امروز عذاب ذلت بار به خاطر استکباری که در زمین بنا حق کردید و به خاطر گناهایی که انجام می‌دادید جزای شما خواهد بود!» (وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ).

آری! شما غرق در لذات بودید، و به خاطر آزادی بی‌قید و شرط در این برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۳۲

قسمت «معاد» را انکار کردید تا دستتان کاملاً باز باشد.

این عرضه داشتن بر آتش خود یک نوع عذاب دردناک و هولناک است که دوزخیان قبل از ورود در آتش تمام قسمت‌های جهنم را از بیرون با چشم خود می‌بینند و سرنوشت شوم خویش را مشاهده می‌کنند و زجر می‌کشند.

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۲۱ ص: ۴۳۲

(آیه ۲۱) - قوم عاد و تند باد مرگبار! از آنجا که قرآن مجید بعد از ذکر قضایای کلی به بیان مصداق‌های قابل ملاحظه آن می‌پردازد تا آن کلیات را پیاده کند، در اینجا نیز بعد از شرح حال مستکبران سرکش و هوسران به ذکر داستان قوم عاد که نمونه واضحی از آن است می‌پردازد.

می‌گوید: «و (برای این مشرکان مکه) سرگذشت (هود) برادر قوم عاد را یاد آوری کن» (وَ اذْكُرْ أَخَا عَادٍ).

سپس می‌افزاید: «در آن هنگام که قومش را در سرزمین احقاف انذار کرد، در حالی که پیامبران بسیاری قبل از او در گذشته‌های دور و نزدیک آمدند و به انذار این اقوام پرداختند» (إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ).

اکنون بینیم محتوای دعوت این پیامبر بزرگ چه بود قرآن می‌افزاید: به آنها گفت: «جز خداوند یگانه را نپرستید» (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ).

سپس آنها را تهدید کرده، گفت: «من بر شما از عذاب روز بزرگی می‌ترسم» (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ).

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۲۲ ص: ۴۳۲

(آیه ۲۲) - اما این قوم لجوج سرکش در برابر این دعوت الهی ایستادگی کردند، و به هود «گفتند: آیا تو به سوی ما آمده‌ای که ما را با دروغ‌های از خدایانمان برگردانی» (قَالُوا أَجِئْنَا لِنُؤْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا).
«پس اگر راست می‌گوئی عذابی را که به ما وعده می‌دهی بیاور!» (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ).

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۲۳ ص: ۴۳۲

(آیه ۲۳) - ولی «هود» در پاسخ این تقاضای نابخردانه چنین «گفت: علم و آگاهی تنها نزد خداوند است» (قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ).

اوست که می‌داند در چه زمان، و با چه شرائطی عذاب استیصال نازل کند نه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۳۳
به تقاضای شما مربوط است، و نه به میل و اراده من.
سپس افزود: وظیفه اصلی من این است که «آنچه را به آن فرستاده شدم به شما ابلاغ کنم» (وَ أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ).
«ولی من شما را گروهی می‌بینم که پیوسته در جهل و نادانی اصرار دارید» (وَ لَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ).
ریشه بدبختی شما نیز همین جهل است جهلی توام با لجاجت و کبر و غرور که به شما اجازه مطالعه دعوت فرستادگان خدا را نمی‌دهد.

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۲۴ ص: ۴۳۳

(آیه ۲۴) - سرانجام نصایح مؤثر و رهبریهای برادرانه «هود» در آن سنگدلان تأثیر نگذاشت، و به جای پذیرش حق سخت در عقیده باطل خود لجاجت کردند، و پا فشاری نمودند، و حتی «هود» را با این سخن تکذیب می‌کردند که اگر راست می‌گویی پس عذاب موعودت چه شد؟

اکنون که اتمام حجت به قدر کافی شده، حکمت الهی ایجاب می‌کند که «عذاب استیصال» همان عذاب ریشه‌کن کننده را بر آنها بفرستد.

ناگهان مشاهده کردند ابری در افق ظاهر گشت، و در آسمان سرعت گسترده شد.
«هنگامی که این ابر را مشاهده کردند که به سوی درّه‌ها و آبگیرهای آنها رو می‌آورد (خوشحال شدند، و) گفتند: این ابری است باران زا!» (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا).

ولی به زودی به آنها گفته شد: این ابر باران زا نیست «بلکه این همان عذاب وحشتناکی است که برای آمدنش شتاب می‌کردید» (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ).

«این تندباد شدیدی است که در آن عذاب دردناکی است» (رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ).

ظاهراً گوینده این سخن خداوند بزرگ است، یا حضرت هود به هنگامی که فریادهای شوق و شادی آنها را شنید این سخن را به آنها گفت.

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۲۵ ص: ۴۳۳

(آیه ۲۵) - آری! تند بادی است ویرانگر که «همه چیز را به فرمان برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۳۴

پروردگارش درهم می کوبد و نابود می کند» (تُدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا).

منظور از «همه چیز» انسانها و چهار پایان و اموال آنهاست.

زیرا در جمله بعد می افزاید: «پس آنها صبح کردند در حالی که چیزی جز مساکن و خانه های آنها به چشم نمی خورد» (فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ).

و این نشان می دهد که مساکن آنها سالم بود، اما خودشان هلاک شدند، و اجساد و اموالشان نیز به وسیله تند باد به بیابانهای دور دست، و یا در دریا افکنده شد.

و در پایان به این حقیقت اشاره می کند که این سرنوشت مخصوص این قوم گمراه نبود، بلکه «ما این گونه قوم مجرم را کیفر می دهیم» (كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ).

این هشدار است به همه مجرمان و گنهکاران و کافران لجوج و خودخواه که شما نیز اگر همین مسیر را طی کنید سرنوشتی بهتر از آن نخواهید داشت.

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۲۶ ص: ۴۳۴

(آیه ۲۶) - شما هرگز از قوم عاد قویتر نیستید! این آیه و دو آیه بعد نتیجه گیری از آیات گذشته است که در مورد مجازات دردناک قوم عاد سخن می گفت.

مشرکان مکه را مخاطب ساخته، می فرماید: «ما به آنها [قوم عاد] قدرتی دادیم که به شما ندادیم» (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ).

هم از نظر قدرت جسمانی از شما نیرومندتر بودند، و هم از نظر مال و ثروت و امکانات مادی از شما تواناتر.

با این حال در برابر طوفان مجازات الهی تاب مقاومت نیاوردند تا چه رسد به شما.

سپس می افزاید: «ما برای آنها گوش و چشم و قلب قرار دادیم» (وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَ أَبْصَارًا وَ أَفْئِدَةً).

آنها از نظر درک و دید و تشخیص واقعیتها نیز قوی و نیرومند بودند، و از این وسائل خداداد در تأمین مقاصد مادی خود

کاملاً بهره می گرفتند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۳۵

«ولی نه گوش و نه چشم و نه عقولشان آنها را به هنگام نزول عذاب الهی به هیچ وجه سودی نبخشید، چرا که پیوسته آیات

خدا را انکار می کردند» (فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ).

و سرانجام آنچه «استهزا می کردند بر آنها وارد شد» (وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ).

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۲۷ ص: ۴۳۵

(آیه ۲۷) - سپس برای تأکید بر این مطلب، و پند و اندرز بیشتر، مشرکان مکه را مخاطب ساخته، می گوید: نه تنها قوم عاد

بلکه «ما اقوام سرکشی را که در اطراف شما زندگی می کردند هلاک کردیم» (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ).

اقوامی که سرزمین آنها از شما چندان دور نیست و تقریباً در گرداگرد جزیره عرب جایگاهشان بود.

بعد اضافه می کند: «ما آیات خود را به صورتهای گوناگون (برای آنها) بیان کردیم، شاید باز کردند» (وَ صَيَّرْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ

سورة الأحقاف (٤٦): آية ٢٨ ص: ٤٣٥

(آیه ٢٨) - در این آیه، آنها را مورد سرزنش قرار داده و با این بیان شدیداً محکوم می‌کند: «پس چرا معبودانی را که غیر خدا برگزیدند به گمان این که آنها را به خدا نزدیک می‌کنند در آن لحظات سخت و حساس به یاری آنها نشتافتند؟! (فَلَوْ لَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً).

راستی اگر این معبودان بر حق بودند پس چرا پیروان خود را در آن مواقع حساس یاری نکردند، و از چنگال عذابهای هولناک نجاتشان ندادند؟

سپس می‌افزاید: نه تنها به آنان کمکی نکردند «بلکه از میان آنها گم شدند» (بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ).

موجوداتی این چنین بی‌عرضه و بی‌ارزش که مبدأ هیچ اثری نیستند، و به هنگام حادثه گم و گور می‌شوند، چگونه شایسته پرستش و عبودیتند؟! و در پایان آیه می‌گوید: «این بود (نتیجه) دروغ آنها، و آنچه را افترا می‌بستند!» (وَ ذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ).

این هلاکت و بدبختی، این عذابهای دردناک، و این گم شدن معبودان در برگزیده تفسیر نمونه، ج ٤، ص: ٤٣٦
زمان حادثه، نتیجه دروغها و پندارها و افتراهای آنها بود.

سورة الأحقاف (٤٦): آية ٢٩ ص: ٤٣٦

اشاره

(آیه ٢٩)

شأن نزول: ص: ٤٣٦

در مورد نزول این آیه و سه آیه بعد از آن، در روایتی آمده است که: رسول خدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله از مکه به سوی بازار عکاظ در طائف آمد، و «زید بن حارثه» با او بود، به این منظور که مردم را به سوی اسلام دعوت کند، اما احدی به دعوت او پاسخ نگفت، ناچار به سوی مکه بازگشت تا به محلی رسید که آنجا را وادی جن می‌نامیدند، در دل شب به تلاوت قرآن پرداخت، جمعی از طایفه جن از آنجا می‌گذشتند، قرائت قرآن پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله را شنیدند، هنگامی که تلاوت حضرت پایان یافت آنها ایمان آوردند و به عنوان مبلغانی به سوی قوم خود رفتند، و آنان را به سوی اسلام دعوت کردند، گروهی از آنها ایمان آوردند و با هم به محضر آن حضرت رسیدند، و آن حضرت صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله تعلیمات اسلام را به آنها یاد داد، اینجا بود که این چهار آیه و آیات سوره جن نازل گردید.

طایفه جن ایمان می آورند! در اینجا بحث فشرده‌ای پیرامون ایمان آوردن گروهی از طائفه جن به پیامبر اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ كِتَابِ آسْمَانِي او آمده است.

در حقیقت داستان «قوم عاد هشدار برای مشرکان مکه بود و داستان ایمان طایفه «جن» هشدار دیگری است. نخست می فرماید: «به خاطر بیاور موقعی که گروهی از جن را به سوی تو متوجه ساختیم که به قرآن گوش فرا دهند» (وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ).

سپس می افزاید: «هنگامی که در برابر قرآن حضور یافتند (و آیات روح پرور آن را شنیدند) به یکدیگر گفتند خاموش باشید و بشنوید» (فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا).

و این موقعی بود که پیامبر در دل شب یا به هنگام قرائت نماز صبح آیات قرآن را تلاوت می فرمود. سرانجام نور ایمان در دل آنها تاییدن گرفت، و حقانیت آیات قرآن را در درون جان خود لمس کردند، لذا «هنگامی که تلاوت قرآن پایان یافت همچون مبلغانی به برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۳۷ سوی قوم خود رفتند و آنها را انذار کردند» و از حقیقتی که نصیبتان شده بود آگاه ساختند (فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ).

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۳۰ ص: ۴۳۷

(آیه ۳۰) - این آیه بیانگر چگونگی دعوت این گروه از قوم خود به هنگام بازگشت به سوی آنهاست، دعوتی منسجم، حساب شده، کوتاه و پر معنا، «گفتند:

ای قوم! ما کتابی را استماع کردیم که بعد از موسی از آسمان نازل شده است» (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى).

این کتاب اوصافی دارد، نخست این که: «کتابهای آسمانی قبل از خود را تصدیق می کند» و محتوای آن هماهنگ با محتوای آنهاست، و نشانه‌هایی که در کتب پیشین آمده است در آن به خوبی دیده می شود (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ).

وصف دیگر این که همگان را «به سوی حق هدایت می نماید» (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ). به گونه‌ای که هر کس عقل و فطرت خویش را به کار گیرد نشانه‌های حقانیت را به روشنی در آن می یابد.

و آخرین وصف این که: «به سوی راه مستقیم» دعوت می کند (وَ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ).

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۳۱ ص: ۴۳۷

(آیه ۳۱) - سپس افزودند: «ای قوم ما! دعوت کننده الهی را اجابت کنید، و به او ایمان آورید» (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَ آمِنُوا بِهِ).

که دو پاداش بزرگ به شما ارزانی می دارد: «گناهانتان را می بخشد، و شما را از عذاب الیم پناه می دهد» (يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُجْزِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ).

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۳۲ ص: ۴۳۷

(آیه ۳۲) - در این آیه آخرین سخن مبلغان جن را چنین بازگو می‌کند: آنها به قوم خود گفتند: «و هر کس دعوت داعی الهی را پاسخ نگوید نمی‌تواند از چنگال عذاب الهی در زمین فرار کند» (وَ مَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ).
«و یاور و سرپرستی غیر از خدا برای او نخواهد بود» (وَ لَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ).
و لذا «این گروه در گمراهی آشکارند» (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ).

چه گمراهی از این بدتر و آشکارتر که انسان به ستیزه جوئی با حق و پیامبر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۳۸
خدا، و حتی با خدا برخیزد که نه در تمام عالم هستی جز او پناهگاهی وجود دارد و نه انسان می‌تواند از محیط کشورش بگریزد و به جای دیگری فرار کند.

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۳۳ ص: ۴۳۸

(آیه ۳۳) - در آخرین آیات گذشته که از زبان مبلغان جن نقل شد اشاره به مسأله «معاد» آمده بود.
از سوی دیگر سوره «احقاف» در بخشهای نخست از مسأله توحید و عظمت قرآن مجید و اثبات نبوت پیامبر اسلام سخن می‌گوید.

و در آخرین بخش از این سوره مسأله «معاد» را پیش می‌کشد، و به این ترتیب اصول سه گانه اعتقادی را تکمیل می‌کند.
نخست می‌فرماید: «آیا آنها نمی‌دانند خداوندی که آسمانها و زمین را آفریده، و از آفرینش آنها هرگز خسته و ناتوان نشده، قادر است که مردگان را زنده کند آری او بر هر چیز تواناست؟! (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْى بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).
این دلیلی است دندان شکن بر مسأله «امکان معاد».

سوره الأحقاف (۴۶): آیه ۳۴ ص: ۴۳۸

(آیه ۳۴) - در این آیه صحنه‌ای از مجازات دردناک مجرمان و منکران معاد را مجسم کرده، می‌فرماید: «روزی را به خاطر بیاورید که کافران را بر آتش عرضه می‌کنند» (وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ).
آری! گاه دوزخ را بر کافران عرضه می‌کنند، و گاه کافران را بر دوزخ! هنگامی که کافران را بر آتش عرضه می‌کنند و شعله‌های سوزان و کوه پیکر و وحشتناک آن را می‌بینند به آنها گفتند می‌شود: «آیا این حق نیست» (أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ).
آیا امروز هم می‌توانید رستاخیز و دادگاه عدل خدا و پاداش و کیفر او را انکار کنید، و بگوئید این از افسانه‌های خرافی پیشینیان است؟! آنها که چاره‌ای جز اعتراف ندارند «می‌گویند: آری سوگند به پروردگارمان» (قَالُوا بَلَى وَ رَبَّنَا). که این حق است و جای شک و تردید در آن نیست، ما گمراه بودیم که آن را نا حق می‌پنداشتیم. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۳۹
در این هنگام خداوند یا مأمور عذاب الهی «می‌گوید: پس بچشید عذاب را به خاطر آنچه انکار می‌کردید» (قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ).

و به این ترتیب در آن روز همه حقایق را با چشم خود می‌بینند و اعتراف می‌کنند، اعتراف و اقراری که سودی به حال آنها ندارد.

اشاره

(آیه ۳۵) - همچون پیامبران اولوا العزم شکبیا باش! در آخرین آیه سوره «احقاف» با توجه به آنچه در مورد معاد و کیفر کافران در آیات قبل گذشت به پیامبر خود دستور می‌دهد: «پس صبر کن همان گونه که پیامبران اولوا العزم صبر و شکبائی کردند» (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ).

تنها تو نیستی که با مخالفت و عداوت این قوم مواجه شده‌ای، همه پیامبران اولوا العزم با این مشکلات رو برو بودند و استقامت کردند.

تعبیر «من الرُّسُل» اشاره به گروه خاصی از پیامبران بزرگ است که صاحب شریعت بوده‌اند، همانها که در آیه ۷ سوره احزاب نیز به آنان اشاره شده: «به خاطر بیاور هنگامی را که از پیامبران پیمان گرفتیم، و از تو و از نوح و ابراهیم و موسی و عیسی بن مریم، از همه آنها پیمان محکمی گرفتیم».

روایات فراوانی در منابع شیعه و اهل سنت نیز در این زمینه نقل شده است که پیامبران اولوا العزم همین پنج تن بودند.

سپس قرآن در دنبال این سخن می‌افزاید: «در باره آنها (کافران) عجله و شتاب مکن» (وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ).

چرا که قیامت به زودی فرا می‌رسد و آنچه را در باره آن شتاب داشتند با چشم خود می‌بینند، سخت مجازات می‌شوند و به اشتباهات خود پی می‌برند.

به قدری عمر دنیا در برابر آخرت کوتاه است که: «هنگامی که آنها وعده‌هایی که به آنها داده می‌شد می‌بینند احساس می‌کنند که گویا در دنیا جز ساعتی از یک روز توقف نداشتند!» (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ).

بعد به عنوان هشدار به همه انسانها می‌افزاید: «این ابلاغی است» برای همه (بلاغ). برای تمام کسانی که از خط عبودیت پروردگار خارج شدند، برای کسانی که برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۴۰

غرق در زندگی زود گذر دنیا و شهوات آن گشتند، و بالاخره ابلاغی است برای همه ساکنان این جهان ناپایدار.

و در آخرین جمله ضمن یک استفهام پر معنی و تهدید آمیز می‌فرماید: «آیا جز قوم فاسق هلاک می‌شوند؟» (فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ).

پیامبر اسلام اسطوره صبر و استقامت بود! ص: ۴۴۰

زندگی پیامبران بزرگ خدا مخصوصا پیامبر اسلام صلی الله علیه و آله بیانگر مقاومت بی‌حد و حصر آنها در برابر حوادث سخت و مشکلات طاقت فرسا است، و با توجه به این که مسیر حق همیشه دارای این گونه مشکلات است رهروان راه حق باید از آنها در این مسیر الهام بگیرند.

ما معمولا از نقطه روشن تاریخ اسلام به روزهای تاریک پیشین می‌نگریم، و این نگرش که از آینده به گذشته است واقعیتها را طور دیگری مجسم می‌کند، ما باید خود را در آن روز تصور کنیم که پیامبر صلی الله علیه و آله تک و تنها بود، هیچ نشانه‌ای از پیروزی در افق زندگی او به چشم نمی‌خورد.

دشمنان لجوج برای نابودی او کمر بسته بودند، و حتی خویشاوندان نزدیکش در صف اول این مبارزه قرار داشتند! آن چنان او را در محاصره اجتماعی و اقتصادی و سیاسی قرار دادند که تمام راهها به روی او و پیروان اندکش بسته شد، بعضی از گرسنگی تلف شدند، و بعضی را بیماری از پای درآورد.

روزهایی بر پیامبر گذشت که توصیف آن با بیان و قلم مشکل است، هنگامی که برای دعوت مردم به سوی اسلام به «طائف» آمد نه تنها دعوتش را اجابت نگفتند بلکه آنقدر سنگ بر او زدند که خون از پاهایش جاری شد.

افراد نادان را تحریک کردند که فریاد زنند و او را دشنام دهند، ناچار به باغی پناه برد در سایه درختی نشست، و با خدای خودش این چنین راز و نیاز کرد:

«خداوندا! ناتوانی و نارسائی خودم و بی‌حرمتی مردم را به پیشگاه تو شکایت می‌کنم، ای کسی که از همه رحیمان رحیمتری، تو پروردگار مستضعفین و پروردگار منی، مرا به که وا می‌گذاری؟ به افراد دور دست که با چهره درهم کشیده برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۴۱

با من رو برو شوند؟ یا به دشمنانی که زمام امر مرا به دست گیرند؟ پروردگارا! همین اندازه که تو از من خشنود باشی مرا کافی است».

گاه ساحرش خواندند، و گاه دیوانه‌اش خطاب کردند.

گاه خاکستر بر سرش ریختند، و گاه سنگبارانش می‌کردند، آن چنان که از بدن مبارکش خون می‌ریخت.

اما با تمام این احوال همچنان به صبر و شکیبایی و استقامت ادامه داد.

و سرانجام میوه شیرین این درخت را چشید، آیین او نه تنها جزیره عربستان، که شرق و غرب عالم را در بر گرفت، و امروز

بانگ اذان که فریاد پیروزی او است هر صبح و شام از چهار گوشه دنیا، و در تمام پنج قاره جهان، به گوش می‌رسد.

و این است معنی «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ».

«پایان سوره احقاف»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۴۳

سوره محمد [۴۷] ص: ۴۴۳

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و ۳۸ آیه دارد

محتوای سوره: ص: ۴۴۳

بطور کلی محتوای این سوره را می‌توان در چند بخش خلاصه کرد:

۱- مسأله ایمان و کفر و مقایسه حال مؤمنان و کافران در این جهان و جهان دیگر.

۲- بحثهای گویا و صریحی پیرامون مسأله جهاد و پیکار با دشمنان و دستور در باره اسیران جنگی.

۳- قسمت دیگری شرح حال منافقان است که به هنگام نزول این آیات در مدینه فعالیت‌های تخریبی زیادی داشتند.

۴- بخش دیگر از مسأله «سیر در زمین» و بررسی سرنوشت اقوام پیشین به عنوان یک درس عبرت سخن می گوید.

۵- در قسمتی از آیات سوره مسأله آزمایش الهی مطرح است.

۶- در قسمتی دیگر از مسأله «انفاق» که آن نیز نوعی جهاد است سخن به میان آمده.

۷- در بعضی از آیات سوره به همین مناسبت مسأله صلح با کفار (صلحی که مایه شکست و ذلت باشد) مطرح و از آن نهی شده است.

این سوره به خاطر آیه دوم آن- که نام پیامبر اسلام در آن ذکر شده- برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۴۴ سوره محمد نام دارد و نام دیگرش سوره «قتال» (سوره جنگ) است، و در واقع مسأله جهاد و جنگ با دشمنان اسلام مهمترین موضوعی است که بر این سوره سایه افکنده.

فضیلت تلاوت سوره: ص : ۴۴۴

از امام صادق علیه السلام نقل شده که فرمود: «هر کس سوره محمد صلی الله علیه و اله را بخواند هرگز شک و تردید در دین به خود راه نمی دهد، و هرگز خداوند او را به فقر در دین مبتلا نمی سازد، و هرگز ترسی از سلطانی نخواهد داشت، و همواره تا آخر عمرش از شرک و کفر محفوظ و در امان خواهد بود، و هنگامی که می میرد خداوند هزار فرشته را مأمور می کند که در قبرش نماز بخوانند و ثواب نمازهایشان از آن اوست، و این هزار فرشته همچنان با او هستند تا در عرصه محشر در محل امن و امانی او را متوقف کنند، و پیوسته در امان خدا و محمد صلی الله علیه و اله است».

روشن است آنها که محتوای این آیات را در جان خود پیاده کنند و در پیکار با دشمنان سر سخت و بی رحم و بی منطق، تردید و تزلزل به خود راه ندهند، هم پایه های دین و ایمانشان قوی می شود، و هم ترس و ذلت و فقر از آنها برچیده خواهد شد، و هم در قیامت در جوار رحمت الهی متنعمند.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره محمد (۴۷): آیه ۱ ص : ۴۴۴

(آیه ۱)- مؤمنان پیرو حقند و کافران پیرو باطل: این آیه و دو آیه بعد از آن در حقیقت مقدمه ای است برای یک دستور مهم جنگی که در آیه چهارم داده شده است.

در آیه نخست وضع حال کافران، و در آیه دوم وضع حال مؤمنان را بیان کرده، و در آیه سوم آن دو را با هم مقایسه می کند، تا با روشن شدن این خطوط آمادگی برای پیکار مکتبی با دشمنان بی رحم و ستمگر حاصل شود.

نخست می فرماید: «کسانی که کافر شدند و (مردم را) از راه خدا باز داشتند خداوند اعمالشان را به نابودی می کشاند و گم می کند» (الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ بُرْجَانِ تَفْسِيرِ نَمُونِه، ج ۴، ص: ۴۴۵

سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ)

این اشاره به سردمداران کفر و مشرکان مکه است.

سوره محمد (۴۷): آیه ۲ ص : ۴۴۵

(آیه ۲)- این آیه توصیفی است از وضع مؤمنان که در نقطه مقابل آن کفار قرار دارند، می‌فرماید: «و کسانی که ایمان آوردند و عمل صالح انجام دادند، و به آنچه بر محمد نازل شده- که حق است و از سوی پروردگار است- نیز ایمان آوردند خداوند گناهانشان را می‌بخشد و کارشان را (در دنیا و آخرت) اصلاح می‌کند» (وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ أَصْلَحَ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّهِمْ).

سوره محمد (۴۷): آیه ۳ ص: ۴۴۵

(آیه ۳)- در این آیه نکته اصلی این پیروزی و آن شکست را در یک مقایسه فشرده و گویا بیان کرده، می‌فرماید: «این به خاطر آن است که کافران از باطل پیروی کردند، و مؤمنان از حقی که از سوی پروردگارشان بود پیروی کردند» (ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ).

«حق» یعنی واقعیت‌های عینی که از همه بالاتر ذات پاک پروردگار است، و به دنبال آن حقائق مربوط به زندگی انسان، و قوانینی که حاکم بر رابطه او با خدا، و رابطه آنها با یکدیگر است.

«باطل» یعنی پندارها، خیالها، نیرنگها، افسانه‌های خرافی، کارهای بیهوده و بی‌هدف، و هر گونه انحراف از قوانین حاکم بر عالم هستی.

آری! مؤمنان پیروی از حق می‌کنند، به همان معنی که گفته شد و کفار از باطل، و همین دلیل بر پیروزی آنها و شکست اینهاست.

و در پایان آیه می‌افزاید: «این گونه خداوند برای مردم مثل‌های زندگیشان را بیان می‌کند» (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ). یعنی همین گونه که خطوط زندگی مؤمنان و کفار، و اعتقادات و برنامه‌های عملی و نتایج کار آنها را در این آیات بیان فرموده، سرنوشت حیات و عاقبت کار آنها را مشخص می‌سازد.

سوره محمد (۴۷): آیه ۴ ص: ۴۴۵

(آیه ۴)- در میدان نبرد قاطعیت لازم است: همان گونه که قبلاً گفتیم آیات برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۴۶ گذشته مقدمه‌ای بود برای آماده ساختن مسلمانان برای بیان یک دستور مهم جنگی که در این آیه مطرح شده است، می‌فرماید: «و هنگامی که با کافران (جنایت پیشه) در میدان جنگ رو برو شدید (با تمام قدرت به آنها حمله کنید و) گردنهایشان را بزنید!» (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ).

بدیهی است گردن زدن کنایه از قتل است، بنابر این ضرورتی ندارد که جنگجویان کوشش خود را برای انجام خصوص این امر به کار برند.

بدیهی است هنگامی که انسان با دشمنی خونخوار در میدان نبرد رو برو می‌شود اگر با قاطعیت هر چه بیشتر حملات سخت و ضربات کوبنده بر دشمن وارد نکند خودش نابود خواهد شد، و این دستور یک دستور کاملاً منطقی است.

سپس می‌افزاید: این حملات کوبنده باید همچنان ادامه یابد «تا به اندازه کافی دشمن را درهم بکوبید (و به زانو در آورید) در این هنگام اسیران را محکم ببندید» (حَتَّى إِذَا أَثْخَتْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ).

آیه فوق بیانگر یک دستور حساب شده جنگی است که پیش از درهم شکستن قطعی مقاومت دشمن نباید اقدام به گرفتن

اسیران کرد، چرا که پرداختن به این امر گاهی سبب تزلزل موقعیت مسلمانان در جنگ خواهد شد، و پرداختن به امر اسیران و تخلیه آنها در پشت جبهه آنها را از وظیفه اصلی باز می‌دارد.

در جمله بعد حکم اسیران جنگی را بیان می‌کند که بعد از خاتمه جنگ باید در مورد آنها اجرا شود، می‌فرماید: «سپس یا منت بر آنها گذارید (و بدون عوض آزادشان کنید) و یا در برابر آزادی از آنها فدیة [گرامت بگیریید] (فَأَمَّا مَنْ بَعْدَ وَإِذَا فِدَاءٌ)» (۱).

(۱) و به این ترتیب اسیر جنگی را نمی‌توان بعد از پایان جنگ به قتل رساند، بلکه رهبر مسلمین طبق مصالحی که در نظر می‌گیرد آنها را گاه بدون عوض، گاه با عوض، آزاد می‌سازد، و این عوض در حقیقت یک نوع گرامت جنگی است که دشمن باید بپردازد.

البته حکم سومی در این رابطه نیز در اسلام هست که اسیران را به صورت بردگان در آورند، ولی آن یک دستور الزامی نمی‌باشد، بلکه در صورتی است که رهبر مسلمین در شرائط و ظروف خاصی آن را لازم ببیند، و شاید به همین دلیل در متن قرآن صریحاً نیامده، و تنها در روایات اسلامی منعکس است. [.....]

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۴۷

سپس در دنباله آیه می‌افزاید: این وضع باید همچنان ادامه یابد، و دشمنان را باید همچنان بکوبید، و گروهی را به اسارت در آورید «تا جنگ بارهای سنگین خود را بر زمین نهد» (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا). تنها وقتی دست بکشید که توان مقابله دشمن را درهم شکسته باشید، و آتش جنگ خاموش گردد. سپس اضافه می‌کند: آری «برنامه این است» (ذَلِكَ).

«و اگر خدا می‌خواست خودش آنها را مجازات می‌کرد» (وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأنتَصَرَ مِنْهُمْ).

از طریق صاعقه‌های آسمانی، زلزله‌ها، تند باده‌ها، و بلاهای دیگر، ولی در این صورت میدان آزمایش تعطیل می‌شد، «اما (خدا) می‌خواهد بعضی از شما را با بعضی دیگر بیازماید» (وَ لَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ).

این در حقیقت فلسفه جنگ و نکته اصلی درگیری حق و باطل است، در این پیکارها صفوف مؤمنان واقعی و آنها که اهل عملند از اهل سخن جدا می‌شوند، و هدف اصلی زندگی دنیا که آزمودگی و پرورش قدرت ایمان و ارزشهای دیگر انسانی است تأمین می‌گردد.

در آخر آیه از شهیدانی که در این پیکارها جان شیرین خود را از دست می‌دهند، و حق بزرگی بر جامعه اسلامی دارند، سخن به میان آورده، می‌گوید:

«کسانی که در راه خدا کشته شدند خداوند اعمالشان را هرگز نابود نمی‌کند» (وَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ).

سوره محمد (۴۷): آیه ۵ ص: ۴۴۷

(آیه ۵) - در آیه قبل به یکی از مواهب الهی بر شهیدان اشاره شد، در این آیه به دو موهبت دیگر اشاره کرده، می‌گوید: «خداوند آنها را هدایت می‌کند» (سَيَهْدِيهِمْ).

هدایت به مقامات عالیه، و فوز بزرگ، و رضوان الله.

دیگر این که: «وضع حال آنها را اصلاح می نماید» (و يُصْلِحْ بِاللَّهِمْ).

آرامش روح و اطمینان خاطر و نشاط معنویت و روحانیت به آنها می بخشد، برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۴۸ و هماهنگ با صفا و معنویت فرشتگان الهی که با آنها همدمند می سازد.

سوره محمد (۴۷): آیه ۶ ص: ۴۴۸

(آیه ۶) - و آخرین موهبت این که: «آنها را در بهشت جاویدانش که اوصافش را برای آنان بازگو کرده است وارد می کند» (و يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ).

نه تنها اوصاف کلی بهشت برین و روضه رضوان را برای آنها بیان کرده، بلکه اوصاف و نشانه‌های قصرهای بهشتی آنها را نیز مشخص می سازد به گونه‌ای که وقتی وارد بهشت می شوند یکسر به سوی قصرهای خویش می روند!

سوره محمد (۴۷): آیه ۷ ص: ۴۴۸

(آیه ۷) - اگر خدا را یاری کنید شما را یاری می کند: این آیه همچنان ادامه تشویق مؤمنان به مسأله پیکار با دشمنان حق است، می فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده‌اید اگر خدا را یاری کنید شما را یاری می کند، و گم‌هایتان را استوار می دارد» (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يَثِّبْ أَقْدَامَكُمْ).

تکیه بر مسأله «ایمان» اشاره به این است که یکی از نشانه‌های ایمان راستین پیکار با دشمنان حق است. یاری کردن خدا به معنی یاری کردن آیین او، یاری کردن پیامبر او، و شریعت و تعلیمات اوست.

اما ببینیم وعده‌ای را که خداوند در برابر دفاع از آیینش به مجاهدان داده، چیست؟

می گوید: «شما را یاری می کند» در قلب شما نور ایمان و در روح شما تقوا، در اراده شما قدرت، در فکر شما آرامش می افکند.

از سوی دیگر فرشتگان را به یاری شما می فرستد، حوادث را به نفع شما تغییر مسیر می دهد، قلوب مردم را به شما متمایل می کند. آری! یاری خدا جسم و جان و درون و برون را احاطه می کند.

سوره محمد (۴۷): آیه ۸ ص: ۴۴۸

(آیه ۸) - و از آنجا که گاهی نیروی متراکم دشمن و انبوه جمعیت و انواع تجهیزات او، فکر مجاهدان راه حق را به خود مشغول می دارد، آیه شریفه می افزاید:

«و کسانی که کافر شدند مرگ بر آنان! و اعمالشان نابود باد» (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۴۹

سوره محمد (۴۷): آیه ۹ ص: ۴۴۹

(آیه ۹) - این آیه علت سقوط آنها و نابودی اعمالشان را چنین بیان می کند:

«این به خاطر آن است که آنها از آنچه خدا نازل کرده است کراهت داشتند، لذا خداوند اعمالشان را حبط و نابود کرده است»
(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ).

خداوند آیین توحید را نازل فرمود، دستور به حق و عدالت و پاکی و تقوا داد اما آنها همه را پشت سر افکندند، و به ظلم و فساد روی آوردند.

آری! هنگامی که آنها از این امور نفرت داشتند طبعاً گامی در این مسیر بر نمی‌داشتند و تمام تلاشها و کوششهایشان در مسیر باطل بود، و طبیعی است که چنین اعمالی حبط و نابود گردد.

سوره محمد (۴۷): آیه ۱۰ ص: ۴۴۹

(آیه ۱۰) - و از آنجا که قرآن مجید در بسیاری از موارد نمونه‌های حسی را به ظالمان سرکش ارائه می‌دهد در اینجا نیز آنها را به مطالعه احوال اقوام گذشته دعوت کرده، می‌فرماید: «آیا در زمین سیر نکردند تا ببینند عاقبت کسانی که قبل از آنها بودند چگونه بود؟ (همانها که راه کفر و طغیان را پیش گرفتند و) خداوند آنها را درهم کوبید و هلاک کرد» (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ).

سپس برای این که آنها گمان نکنند سرنوشت دردناکی که برای امتهای طغیانگر پیشین بود جنبه خصوصی داشت می‌افزاید: «و برای مشرکان و کافران نیز امثال این مجازاتها خواهد بود» (وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا).

آنها انتظار نداشته باشند که با انجام اعمال مشابه آنها از کیفرهای مشابه مصون و بر کنار بمانند، بروند آثار گذشتگان را بنگرند و آینده خود را در آئینه زندگی آنان ببینند.

سوره محمد (۴۷): آیه ۱۱ ص: ۴۴۹

(آیه ۱۱) - این آیه به ذکر دلیل حمایت همه جانبه پروردگار از مؤمنان و نابودی کافران طغیانگر پرداخته، می‌گوید: «این به خاطر آن است که خداوند مولی و سرپرست مؤمنان است اما کافران مولائی ندارند» (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۵۰

روشن است کسانی که تحت ولایت و عنایت مخصوص ذات پاک خداوند باشند هم در مشکلات یاری می‌شوند، و هم ثبات قدم دارند، و سرانجام به مقصود خود نائل می‌شوند، اما آنها که از زیر این پوشش خارجند اعمالشان حبط و نابود و عاقبت کارشان هلاکت است.

سوره محمد (۴۷): آیه ۱۲ ص: ۴۵۰

(آیه ۱۲) - سرنوشت مؤمنان و کفار: از آنجا که آیات گذشته پیرامون پیکار مستمر حق و باطل و ایمان و کفر سخن می‌گفت در اینجا در یک مقایسه روشن سرنوشت مؤمنان و کفار را تشریح می‌کند، تا روشن شود که این دو گروه تنها در زندگی دنیا متفاوت نیستند بلکه در آخرت نیز فوق العاده با هم متفاوتند می‌فرماید:

«خداوند کسانی را که ایمان آوردند و عمل صالح انجام دادند وارد باغهایی از بهشت می‌کند که نهرها از زیر (درختان و قصرهایش) جاری است» (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ).

«در حالی که کافران از متاع زود گذر این دنیا بهره می گیرند، و همچون چهار پایان می خورند و سرانجام آتش دوزخ جایگاه آنهاست!» (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ).

درست است که هر دو گروه در دنیا زندگی می کنند و از مواهب آن بهره مند می شوند، ولی تفاوت اینجاست که مؤمنان هدفشان انجام اعمال صالح است.

و کافران تمام هدفشان همین خوردن و خوابیدن و بهره بردن از لذات حیات است.

سوره محمد (۴۷): آیه ۱۳ ص: ۴۵۰

(آیه ۱۳) - در این آیه برای تکمیل این هدف، مقایسه‌ای در میان مشرکان مکه و بت پرستان پیشین می کند و با عبارتی گویا آنها را شدیداً مورد تهدید قرار می دهد و در ضمن روی بعضی از جرائم بزرگ آنها که دلیلی بر جواز جنگ با آنها است تکیه کرده، می فرماید: «و چه بسیار شهرهایی که از شهری که تو را بیرون کرد نیرومندتر بودند، ما همه آنها را نابود کردیم و هیچ یآوری نداشتند» (وَ كَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكِنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ).

کسانی که آنقدر جسور شده‌اند که بزرگترین فرستاده الهی را از مقدسترین برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۵۱ شهرها بیرون می کنند گمان نبرند همیشه این وضع ادامه خواهد یافت، خداوندی که قوم عاد و ثمود و فراعنه و لشکر ابرهه را به آسانی درهم کوبید درهم شکستن آنها نیز برای او بسیار ساده است.

سوره محمد (۴۷): آیه ۱۴ ص: ۴۵۱

(آیه ۱۴) - این آیه از مقایسه دیگری بین «مؤمنان» و «کفار» سخن می گوید، از دو گروه متفاوت در همه چیز که یکی دارای ایمان و عمل صالح است و دیگری دارای یک زندگی به تمام معنی حیوانی، از دو گروهی که یکی در زیر چتر ولایت پروردگار قرار گرفته، و دیگری بی مولی و سر پرست.

می فرماید: «آیا کسی که دلیل روشنی از سوی پروردگارش دارد، همانند کسی است که زشتی اعمالش در نظرش آراسته شده، و از هوای نفسشان پیروی می کنند؟! (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ).

گروه اول از شناخت صحیح و یقین و دلیل و برهان قطعی برخوردارند، اما گروه دوم بر اثر پیروی از هوی و هوسهای سرکش گرفتار سوء تشخیص و عدم درک واقعیت و تاریکی مسیر و هدف شده، در ظلمات اوهام سرگردانند، هرگز این دو گروه یکسان نیستند.

«بینه» به معنی دلیل آشکار است و در اینجا اشاره به قرآن و معجزات پیامبر اسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ دلائل عقلی دیگر است.

سوره محمد (۴۷): آیه ۱۵ ص: ۴۵۱

(آیه ۱۵) - توصیف دیگری از بهشت: این آیه همچنان توصیفی است برای سرنوشت دو گروه کافر و مؤمن که یکی دارای اعمال صالح و دیگری اعمال زشت و ننگینی است که در نظرش آراسته شده.

در این آیه از شش نوع مواهب بهشتیان، و دو نوع کیفرهای سخت و دردناک دوزخیان، پرده برداشته و عاقبت کار این دو

گروه را مشخص می کند.

نخست می فرماید: «توصیف بهشتی که به پرهیزکاران وعده داده شده چنین است: در آن نهرهایی است از آب صاف که بدبو نشده» (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ).

سپس می افزاید: «و نهرهایی از شیر که طعم آن دگرگون نگشته است» برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۵۲ (وَ أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ).

اصولاً آنجا جای فساد و تباهی نیست و مواد غذایی بهشتی با گذشت زمان دگرگون نمی شود.

بعد به سراغ سومین قسمت از نهرهای بهشتی رفته، می گوید: «و نهرهایی از شراب (طهور) که مایه لذت نوشندگان است!» (وَ أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ).

خمر و شراب بهشتی هیچ گونه ارتباطی با خمر و شراب آلوده دنیا ندارد، همان گونه که در سوره صافات آیه ۴۷ آمده است، می فرماید: «آن خمر و شراب نه مایه فساد عقل است و نه موجب مستی می شود».

و جز هوشیاری و نشاط و لذت روحانی چیزی در آن نیست.

و بالاخره چهارمین و آخرین قسمت از نهرهای بهشتی را به این صورت بیان می کند: «و نهرهایی از عسل مصفاست» (وَ أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى).

علاوه بر این نهرهای گوناگون - که هر کدام به منظوری آفریده شده - در پنجمین موهبت از انواع میوه های بهشتی سخن به میان آورده، می افزاید: «و برای آنها در بهشت از تمام انواع میوه ها موجود است» (وَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ).

و بالاخره در ششمین موهبت که بر خلاف مواهب مادی قبلی، جنبه معنوی و روحانی دارد، می گوید: «و برای آنها «آمرزشی است از سوی پروردگارشان» (وَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ).

اکنون بینیم گروه مقابل آنها چه سرنوشتی خواهند داشت؟

در دنباله آیه می فرماید: آیا این گروه همانند کسانی هستند که در آتش دوزخ جاویدانند، و از آب جوشان و سوزانی نوشانیده می شوند که امعاء آنها را از هم متلاشی می کند؟! (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَ سُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ).

تعبیر به «سقوا» (نوشانیده می شوند) بیانگر این واقعیت است که آب سوزان حمیم را به زور، و نه به دلخواه، به آنها می نوشاند که به جای سیراب شدن در آن آتش سوزان، امعاء آنها را متلاشی می کند و همانطور که طبیعت دوزخ است باز به حال اول

بر می گردد چرا که در آنجا مرگی نیست!

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۵۳

سوره محمد (۴۷): آیه ۱۶ ص: ۴۵۳

(آیه ۱۶) - در اینجا ترسیمی از وضع منافقان در برخوردشان با وحی الهی و آیات و سخنان پیامبر صلی الله علیه و اله و مسأله جنگ و مبارزه با دشمنان اسلام کرده، می گوید:

«گروهی از آنان (نزد تو می آیند) به سخنانت گوش فرا می دهند، اما هنگامی که از نزد تو خارج می شوند به کسانی که (خداوند به آنها) علم و دانش بخشیده (از روی استهزاء) می گویند: (این مرد) الآن چه گفت؟! (وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى

إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا).

تعبیر آنها در مورد شخص پیامبر صلی الله علیه و اله و سخنان پر محتوای آن حضرت به قدری زشت و زننده و تحقیر آمیز بود که نشان می داد آنها اصلاً به وحی آسمانی ایمان نیاورده اند.

ولی قرآن در پایان آیه پاسخ دندان شکنی به آنها گفته، می فرماید: سخنان پیامبر صلی الله علیه و اله نامفهوم نبوده و پیچیدگی خاصی ندارد، بلکه «آنها کسانی هستند که خداوند بر قلبهایشان مهر نهاده و از هوی و هوسهایشان پیروی کرده اند» لذا چیزی از آن نمی فهمند! (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ).

سوره محمد (۴۷): آیه ۱۷ ص: ۴۵۳

(آیه ۱۷) - نقطه مقابل آنها مؤمنان راستین هستند که آیه شریفه در باره آنها می گوید: «و کسانی که هدایت یافته اند خداوند بر هدایتشان می افزاید، و روح تقوا و پرهیز کاری به آنها می بخشد» (و الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَ آتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ). آری! آنها نخستین گامهای هدایت را شخصاً برداشته، و عقل و خرد و فطرت خویش را در این راه به کار گرفته اند، سپس خداوند طبق وعده ای که داده است مجاهدان راهش را هدایت و راهنمایی بیشتر می کند.

سوره محمد (۴۷): آیه ۱۸ ص: ۴۵۳

(آیه ۱۸) - نشانه های رستخیز ظاهر شده! در این آیه به عنوان هشدار به آن گروه بی ایمان استهزاء کننده، می فرماید: «آیا آنها [کافران جز این انتظاری دارند که قیامت ناگهان فرارسد (آنگاه ایمان آورند) در حالی که هم اکنون نشانه های آن آمده است، اما هنگامی که بیاید تذکر (و ایمان) آنها سودی نخواهد داشت!» (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۵۴
آری! آنها آن موقعی که باید ایمان بیاورند و مفید است سر سختی و لجاجت به خرج می دهند، و در برابر حق تسلیم نمی شوند، ولی آن زمان که حوادث هولناک آغاز قیامت جهان را به لرزه در می آورد این گونه افراد به وحشت می افتند، و اظهار خضوع و ایمان می کنند، که هیچ سودی به حالشان ندارد.

سوره محمد (۴۷): آیه ۱۹ ص: ۴۵۴

(آیه ۱۹) - این آیه به عنوان نتیجه گیری از گفتگوهایی که در آیات قبل پیرامون ایمان و کفر و سرنوشت مؤمنان و کافران آمده بود، می فرماید: «پس بدان که معبودی جز الله نیست» (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ). یعنی روی خط توحید محکم بایست که داروی شفا بخش و بهترین وسیله نجات همین توحید است که آثار آن در آیات قبل بیان شد.

به دنبال این مسأله عقیدتی باز به سراغ مسأله تقوا و پاکی از گناه رفته، می افزاید: «و برای گناه خود و مردان و زنان با ایمان استغفار کن» (وَ اسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ).

پیدا است پیامبر صلی الله علیه و اله به حکم مقام عصمت هرگز مرتکب گناهی نشده، این گونه تعبیرها یا اشاره به مسأله «ترک اولی» و «حسنات الابرار سیئات المقرّبین» است، و یا سرمشقی است برای مسلمانان.

و در ذیل آیه به عنوان بیان علت می فرماید: «خداوند محل حرکت و قرار گاه شما را می داند» (وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مُتَوَكُّم).

از ظاهر و آشکار و درون و برون سرّ و نجوای شما با خبر است، به همین دلیل باید به سوی او بروید و از درگاه او طلب عفو کنید.

سوره محمد (۴۷): آیه ۲۰..... ص: ۴۵۴

(آیه ۲۰) - از نام جهاد نیز وحشت دارند! در اینجا موضع گیریهای مختلف «مؤمنان» و «منافقان» را در برابر فرمان جهاد روشن می‌سازد، می‌فرماید: «کسانی که ایمان آورده‌اند می‌گویند: چرا سوره‌ای نازل نمی‌شود؟! (وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ لَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ).»

سوره‌ای که در آن فرمان جهاد باشد، و تکلیف ما را در برابر دشمنان سنگدل و خونخوار و بی‌منطق روشن سازد، سوره‌ای که آیاتش نور هدایت بر قلب ما بپاشد، برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۵۵ و روح و جان ما را با فروغش روشن نماید. این وضع حال مؤمنان راستین.

«اما (منافقان) هنگامی که سوره واضح و روشنی نازل می‌گردد که در آن سخنی از جنگ است، منافقان بیمار دل را می‌بینی که همچون کسی که در آستانه مرگ قرار گرفته (با نگاهی مات و مبهوت، و چشمانی که حدقه آنها از کار ایستاده) به تو نگاه می‌کنند!» (فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً مُحْكَمَةً وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ).

میدان جهاد برای مؤمنان میدان اظهار عشق به محبوب و میدان پایداری و مقاومت و پیروزی است، و در چنین میدانی ترس معنی ندارد.

اما برای «منافقان» میدان مرگ و نابودی و بدبختی است، میدان شکست و جدائی از لذات دنیاست، میدانی است تاریک و ظلمانی، با آینده‌ای وحشتناک و مبهم! در پایان آیه در یک جمله کوتاه می‌گوید: وای بر آنها که «مرگ و نابودی برای آنان سزاوارترست» (فَأَوْلَى لَهُمْ).

سوره محمد (۴۷): آیه ۲۱..... ص: ۴۵۵

(آیه ۲۱) - در این آیه می‌افزاید: ولی اگر آنها اطاعت کنند، و از فرمان جهاد سر پیچی ننمایند این «اطاعت و سخن سنجیده برای آنان بهتر است» (طَاعَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ).

سپس می‌افزاید: «اگر آنها هنگامی که برنامه‌ها محکم می‌شود و فرمان جهاد قطعیت می‌یابد به خدا راست گویند و از در صدق و صفا در آیند برای آنها بهتر است» (فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ). هم در این دنیا باعث سر بلندی آنهاست، و هم در آخرت به پاداش بزرگ و فوز عظیم نائل می‌شوند.

سوره محمد (۴۷): آیه ۲۲..... ص: ۴۵۵

(آیه ۲۲) - در این آیه می‌افزاید: «اگر (از این دستورها) روی گردان شوید، جز این انتظار می‌رود که در زمین فساد و قطع پیوند خویشاوندی کنید» (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص:

زیرا اگر از قرآن و توحید روی گردان شوید قطعاً به سوی جاهلیت باز می‌گردید، و برنامه‌های جاهلی چیزی جز «فساد در زمین»، «قتل و غارت و خونریزی»، «کشتن خویشاوندان و دختران» نبود.

سوره محمد (۴۷): آیه ۲۳ ص: ۴۵۶

(آیه ۲۳) - در این آیه سرنوشت نهائی این گروه منافق و بهانه جوی مفسد را چنین بیان می‌کند: «آنها کسانی هستند که خداوند از رحمت خویش دورشان ساخته، پس گوشه‌هایشان را کر و چشمهایشان را کور نموده است»، نه حقیقتی را می‌شنوند و نه واقعیتی را می‌بینند (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ). آنها جهاد اسلامی را که بر معیار حق و عدالت است قطع رحم و فساد فی الارض می‌پندارند، اما آن همه جنایاتی را که در جاهلیت مرتکب شدند و خونهای بی‌گناهی را که در دوران حکومتشان ریختند مطابق با حق و عدالت! لعنت خدا بر آنها باد که نه گوش شنوا دارند و نه چشم بینا!

سوره محمد (۴۷): آیه ۲۴ ص: ۴۵۶

(آیه ۲۴) - در این آیه به ذکر علت واقعی انحراف این قوم نگون بخت پرداخته، می‌گوید: «آیا آنها در آیات قرآن تدبّر نمی‌کنند (تا حقیقت را دریابند و وظائف خود را انجام دهند) یا بر دل‌های آنها قفل نهاده شده است؟! (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا). و به این ترتیب باید قرآن مجید در متن زندگی مسلمانان قرار گیرد و آن را قدوه و اسوه خویش قرار دهند دستوراتش را مو به مو اجرا کنند، و تمام خطوط زندگی خویش را با آن هماهنگ سازند. اما بهره‌گیری از قرآن نیاز به یک نوع خود سازی دارد، هر چند خود قرآن نیز به خود سازی کمک می‌کند، چرا که اگر بر دل‌ها قفل‌ها باشد، قفل‌هایی از هوی و هوس، کبر و غرور، لجاجت و تعصب، اجازه ورود نور حق به آن نمی‌دهد.

سوره محمد (۴۷): آیه ۲۵ ص: ۴۵۶

(آیه ۲۵) - چرا در قرآن تدبّر نمی‌کنند؟! قرآن همچنان به بحث پیرامون منافقان و موضع گیریهای مختلف آنها ادامه می‌دهد، می‌فرماید: «کسانی که بعد از روشن شدن حق باز گشتند و پشت کردند، شیطان اعمال زشتشان را در نظرشان برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۵۷

زینت داده، و آنها را به آرزوهای دور و دراز فریفته است» (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ).

سوره محمد (۴۷): آیه ۲۶ ص: ۴۵۷

(آیه ۲۶) - آیه شریفه علت این تسویلات و تزینات شیطانی را چنین شرح می‌دهد: «این به خاطر آن است که آنها به کسانی

که از نزول وحی الهی (به پیامبر اسلام) ناراحت بودند گفتند: ما در بعضی از امور از شما پیروی می‌کنیم» (ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ).

کار منافق همین است که به دنبال افراد سرخورده و مخالف می‌گردد، و اگر در تمام جهات با او قدر مشترک نداشته باشد به همان مقدار که وجوه مشترک موجود است همکاری، بلکه اطاعت می‌کند.

منافقان مدینه نیز به سراغ یهود آمدند، یهود «بنی نضیر» و «بنی قریظه» که پیش از بعثت پیامبر از مبلغان اسلام بودند، اما بعد از ظهورش به خاطر حسد و کبر و به خطر افتادن منافعی که ظهور اسلام را ناخوشایند دانستند، و از آنجا که مخالفت با پیامبر اسلام و توطئه ضد او قدر مشترکی در میان منافقان و یهود بود قول همکاری به آنها دادند.

در پایان آیه آنها را با عبارتی کوتاه تهدید کرده، می‌گوید: «خداوند مخفی کاریها و اسرار آنها را می‌داند» (وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ).

هم از کفر باطنی آنها و نفاقشان آگاه است، و هم از توطئه چینها با کمک یهود، و به موقع آنها را مجازات خواهد کرد.

سوره محمد (۴۷): آیه ۲۷ ص: ۴۵۷

(آیه ۲۷) - این آیه در حقیقت توضیحی است برای این تهدید سر بسته می‌فرماید: «پس حال آنها چگونه خواهد بود هنگامی که فرشتگان مرگ روحشان را قبض می‌کنند در حالی که بر صورت و پشت آنها می‌زنند» (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ).

به صورت آنها می‌کوبند، برای این که رو به سوی دشمنان خدا رفته‌اند، و بر پشت آنها می‌زنند به خاطر این که به آیات الهی و پیامبرش پشت کردند.

سوره محمد (۴۷): آیه ۲۸ ص: ۴۵۷

(آیه ۲۸) - در این آیه باز به بیان علت این عذاب الهی در آستانه مرگ آنها برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۵۸ پرداخته، می‌گوید: «این عذاب و کیفر به خاطر آن است که آنها از آنچه خداوند را به خشم می‌آورد پیروی کردند، و آنچه را موجب خشنودی اوست کراهت داشتند، لذا خداوند اعمالشان را حبط و نابود کرد» (ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَشَخَطَ اللَّهُ وَ كَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ).

چرا که شرط قبولی اعمال و هر گونه تلاش و کوشش رضای خداست.

سوره محمد (۴۷): آیه ۲۹ ص: ۴۵۸

(آیه ۲۹) - منافقان را از لحن گفتارشان می‌توان شناخت: در اینجا باز هم به بخشی دیگر از صفات و نشانه‌های منافقین اشاره می‌کند و مخصوصاً بر این معنی تأکید دارد که اینها تصور نکنند برای همیشه می‌توانند چهره درونی خود را از پیامبر صلی الله علیه و اله و مؤمنان مکتوم دارند.

نخست می‌گوید: «آیا کسانی که در دل‌هایشان بیماری است گمان کردند خدا کینه‌هایشان را (نسبت به پیامبر و مؤمنان) آشکار نمی‌کند» (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ).

سوره محمد (۴۷): آیه ۳۰ ص: ۴۵۸

(آیه ۳۰) - لذا در آیه شریفه می‌افزاید: «و اگر ما بخواهیم آنها را به تو نشان می‌دهیم، تا آنها را با قیافه‌هایشان بشناسی!» (و لَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ).

در چهره‌های آنها علامتی می‌گذاریم که با مشاهده آن علامت از نفاقشان آگاه شوی، و به رأی‌العين آنها را ببینی.

سپس می‌افزاید: «هر چند می‌توانی آنها را از طرز سخنانشان بشناسی» (و لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ).

یعنی این منافقان بیمار دل را از کنایه‌ها و نیشها و تعبیرات موزیانه و منافقانه‌شان می‌توان شناخت.

در حدیث معروفی از «ابو سعید خدری» نقل شده است که می‌گوید: «منظور از لحن القول بغض علی بن ابی طالب علیه السلام است، و ما منافقان را در عصر پیامبر صلی الله علیه و اله از طریق عداوت با علی علیه السلام می‌شناختیم.»

امروز هم شناختن منافقان از لحن قول و موضع‌گیریهای خلافشان در مسائل برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۵۹

مهم اجتماعی، و مخصوصا در بحرانها یا جنگها کار مشکلی نیست و با کمی دقت از گفتار و رفتارشان شناسائی می‌شوند.

در پایان آیه می‌افزاید: «خداوند اعمال همه شما را می‌داند» (وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ).

هم اعمال مخفی و آشکار مؤمنان، و هم اعمال منافقان را، به فرض که بتوانند چهره اصلی خود را از مردم پنهان دارند آیا از خدا که در ظاهر و باطن و خلوت و جلوت با آنهاست می‌توانند مکتوم دارند؟!

سوره محمد (۴۷): آیه ۳۱ ص: ۴۵۹

(آیه ۳۱) - در این آیه برای تأکید بیشتر و نشان دادن طرق شناخت مؤمنان از منافقان می‌افزاید: «ما همه شما را قطعاً می‌آزمایم، تا معلوم شود مجاهدان واقعی و صابران از میان شما کیانند» و مجاهد نماها و سست عنصران منافق کیان؟! (و لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ).

و در ذیل آیه می‌فرماید: علاوه بر این «اخبار شما را می‌آزمایم» (و نَبْلُوْا اٰخْبَارَكُمْ).

به این ترتیب خداوند هم اعمال انسانها را می‌آزماید و هم گفتار و اخبار آنها را.

و این نخستین بار نیست که خداوند به مردم اعلام می‌کند که شما را می‌آزمایم تا صفوفتان از هم مشخص شود، و مؤمنان راستین از ضعیف‌الایمانها و منافقان شناخته شوند، در آیات فراوانی از قرآن مسأله ابتلاء و امتحان مطرح شده است - مسائل مربوط به آزمایش الهی در ذیل آیه ۱۵۵ سوره بقره و همچنین در آغاز سوره عنکبوت مشروحا آمده است.

سوره محمد (۴۷): آیه ۳۲ ص: ۴۵۹

(آیه ۳۲) - بعد از بحثهای گوناگونی که پیرامون وضع منافقان در آیات گذشته بیان شد، در اینجا پیرامون جمع دیگری از کفار بحث می‌کند، و می‌فرماید:

«کسانی که کافر شدند و (مردم را) از راه خدا باز داشتند و بعد از روشن شدن هدایت برای آنان (باز) به مخالفت با رسول (خدا) برخاستند، هرگز زبانی به خدا نمی‌رسانند، و (خداوند) اعمالشان را نابود می‌کند» حتی اگر کار خیری هم انجام

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۶۰

داده‌اند چون با ایمان قرین نبوده حبیط می‌شود (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقَّوْا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَ سَيَحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ).

این گروه ممکن است همان مشرکان مکه باشند، و یا کفار یهود مدینه، و یا هر دو.

سوره محمد (۴۷): آیه ۳۳ ص: ۴۶۰

(آیه ۳۳) - در این آیه روی سخن را به مؤمنان کرده، و بعد از بیان خطوط منافقین و کفار، خط آنها را نیز چنین تبیین می‌کند: «ای کسانی که ایمان آورده‌اید! اطاعت کنید خدا را و اطاعت کنید رسول خدا را، و اعمال خود را باطل مسازید» (یا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ لَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ).

لحن آیه نشان می‌دهد که در میان مؤمنان آن روز نیز افرادی بوده‌اند که در مسأله اطاعت خداوند و رسول و حفظ اعمالشان از باطل شدن کوتاهی داشته‌اند که خداوند با این آیه به آنها اخطار می‌کند.

سوره محمد (۴۷): آیه ۳۴ ص: ۴۶۰

(آیه ۳۴) - آنها که در حال کفر بمیرند هرگز بخشوده نخواهند شد! این آیه توضیح و تأکیدی است برای آنچه در آیات قبل پیرامون کفار آمده بود، و در ضمن راه بازگشت را به آنها که مایل باشند نشان می‌دهد، می‌فرماید: «کسانی که کافر شدند و (مردم را نیز) از پیمودن راه خدا باز داشتند سپس در همان حال کفر از دنیا رفتند خدا هرگز آنها را نخواهد بخشید!» (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ). چرا که با مرگ درهای توبه بسته می‌شود، اینها بار سنگین کفر خودشان و اضلال و گمراهی دیگران را هر دو بر دوش می‌کشند، چگونه امکان دارد خداوند آنها را ببخشد؟

سوره محمد (۴۷): آیه ۳۵ ص: ۴۶۰

(آیه ۳۵) - صلح بی‌جا و ذلت بار! در تعقیب آیات گذشته پیرامون مسأله جهاد این آیه به یکی از نکات مهم پیرامون «جهاد» اشاره می‌کند و آن این که افراد سست و ضعیف الایمان برای فرار از زیر بار جهاد و مشکلات میدان جنگ غالباً مسأله صلح را مطرح می‌کنند، مسلماً صلح بسیار خوب است اما در جای خود. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۶۱

از این رو می‌فرماید: «پس اکنون (که دستوره‌های گذشته را شنیدید) هرگز سست نشوید و (دشمنان را) به صلح (ذلت بار) دعوت نکنید در حالی که شما برترید» (فَلَا تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ).

یعنی حالا که نشانه‌های پیروزی و برتری شما آشکار شده چگونه با پیشنهاد صلح که مفهومی عقب نشینی و شکست است پیروزیهای خود را عقیم می‌گذارید؟ این در حقیقت صلح نیست، این تسلیم و سازشی است که از سستی و زبونی سر چشمه می‌گیرد، این یک نوع عافیت طلبی زشتی است که عواقب دردناک و خطرناک به بار می‌آورد.

و در پایان آیه برای تقویت روحیه مسلمانان مجاهد می‌افزاید: «و خداوند با شماست، و (چیزی از ثواب) اعمالتان را کم نمی‌کند» (وَ اللَّهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَتَرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ).

کسی که خدا با اوست همه عوامل پیروزی را در اختیار دارد، هرگز احساس تنهائی نمی‌کند، ضعف و سستی به خود راه

نمی‌دهد، به نام صلح، تسلیم دشمن نمی‌شود، و فرآورده‌های خونهای شهیدان را در لحظات حساس به باد نمی‌دهد.

سوره محمد(۴۷): آیه ۳۶ ص: ۴۶۱

(آیه ۳۶) - گفتیم سوره «محمد» سوره «جهاد» است، از مسأله جهاد آغاز شده و با مسأله جهاد پایان می‌گیرد. در آخرین آیات این سوره نیز به یکی دیگر از مسائل زندگی انسانها در این رابطه می‌پردازد، و برای تشویق و تحریک هر چه بیشتر مسلمانان در زمینه اطاعت خداوند عموماً و مسأله جهاد خصوصاً بی‌ارزش بودن زندگی دنیا را مطرح می‌کند، می‌فرماید: «زندگی دنیا تنها بازی و سرگرمی است» (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ). «لعب» (بازی) به کارهائی گفته می‌شود که دارای یک نوع نظم خیالی برای وصول به یک هدف خیالی است، و «لهو» (سرگرمی) به هر کاری گفته می‌شود که انسان را به خود مشغول داشته و از مسائل اصولی منحرف سازد. و به راستی زندگی دنیا «بازی» و «سرگرمی» است.

به دنبال آن می‌افزاید: «و اگر ایمان آورید و تقوا پیشه کنید خداوند پادشاهای برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۶۲ شما را (به نحو کامل و شایسته) می‌دهد، و (در برابر آن) اموال شما را نمی‌طلبد» (وَ إِن تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَ لَا يَسْئَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ).

و اگر مقدار ناچیزی از اموالتان به عنوان زکات و حقوق شرعی دیگر گرفته می‌شود آن هم برای خود شما مصرف می‌گردد، برای نگهداری یتیمان و مستمندان و در راه ماندگان شما، و برای دفاع از امنیت و استقلال کشورتان و برقراری نظم و آرامش و تأمین نیازمندیها و عمران و آبادی شهر و دیار شماست. بنابر این همین مقدار نیز برای خود شماست که خدا و پیامبرش از همگان بی‌نیازند، و به این ترتیب تناقضی بین مفهوم آیه و آیات انفاق و زکات و مانند آن وجود ندارد.

سوره محمد(۴۷): آیه ۳۷ ص: ۴۶۲

(آیه ۳۷) - در این آیه نشان دادن میزان دلبستگی غالب مردم به اموال و ثروتهای شخصی می‌افزاید: «هر گاه اموال شما را مطالبه کند، و حتی اصرار ورزد بخل می‌کنید، بلکه (از آن بالاتر) کینه‌ها و خشم شما را آشکار می‌سازد!» (إِن يَسْئَلْكُمْ مَوَالِيَهُمْ فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَ يُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ).

و به این ترتیب با این تازیانه ملامت روح خفته انسانها را بیدار می‌سازد، تا زنجیر اسارت و بردگی اموال را از گردن خویش بردارند و آن چنان شوند که در راه دوست از همه چیز بگذرند، و همه را بر پای او نثار کنند، در عوض ایمان و تقوا و رضا و خشنودی او را بطلبند.

سوره محمد(۴۷): آیه ۳۸ ص: ۴۶۲

(آیه ۳۸) - اگر سر پیچی کنید این رسالت را به گروه دیگری می‌دهد! آخرین آیه سوره محمد صلی الله علیه و اله تأکید دیگری است بر آنچه در آیات گذشته پیرامون مسائل مادی و دلبستگیهای مردم به آن و انفاق در راه خدا آمده است. می‌فرماید: «آری! شما همان گروهی هستید که برای انفاق در راه خدا دعوت می‌شوید، بعضی از شما (این فرمان الهی را

اطاعت می کنند در حالی که بعضی) بخل می ورزند» (ها أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ). در اینجا این سؤال مطرح می شود که در آیات قبل گفته شد خداوند اموال شما را مطالبه نمی کند چگونه در این آیه دستور به انفاق در راه خدا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۶۳ داده شده است؟

ولی دنباله خود آیه در حقیقت به این سؤال از دو راه پاسخ می دهد.

نخست می گوید: «و هر کسی (که در انفاق) بخل ورزد نسبت به خود بخل کرده است» (وَ مَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ). چرا که نتیجه انفاقها هم در دنیا به خود شما باز می گردد، زیرا فاصله های طبقاتی کم می شود، آرامش و امنیت در جامعه حکم فرما می گردد، محبت و صفا و صمیمیت جای کینه و عداوت را می گیرد این پاداش دنیوی شماست. و هم در آخرت در برابر هم درهم و دیناری مواهب و نعمتهائی به شما ارزانی می دارد که هرگز به فکر بشری خطور نکرده است، بنابر این هر قدر بخل کنید به خودتان بخل کرده اید! به تعبیر دیگر مسأله انفاق در اینجا بیشتر ناظر به انفاق برای جهاد است و واضح است که هر گونه کمک به پیشرفت امر جهاد ضامن حفظ موجودیت و استقلال و شرف یک جامعه است. پاسخ دیگر این که: «و خداوند بی نیاز است و شما همه نیازمندید» (وَ اللَّهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ).

او هم از انفاق شما بی نیاز است، و هم از اطاعتتان، این شما هستید که در دنیا و آخرت نیاز به لطف و رحمت و پاداش او دارید.

اصولا موجودات امکانیه و ما سوی الله سر تا پا فقر و نیازند، و غنی بالذات تنها خداست، آنها حتی در اصل وجودشان دائما وابسته به اویند، و لحظه به لحظه از منبع لا یزال فیض وجود او مدد می گیرند که اگر یک لحظه از آنها قطع فیض کند هستی همه بر باد می رود (و فرو ریزند قلبها)! آخرین جمله هشدار است به همه مسلمانان که قدر این نعمت بزرگ و موهبت عظیم را بدانید که خداوند شما را پاسدار آئین پاکش قرار داد تا حامیان دین و یاوران پیامبر او باشید «و هر گاه سرپیچی کنید، خداوند گروه دیگری را جای شما می آورد پس آنها مانند شما نخواهند بود» و سخاوتمندانه در راه خدا انفاق برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۶۴

می کنند (وَ إِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ).

آری! اگر شما این رسالت عظیم را نادیده بگیرید، خداوند قوم دیگری را بر می انگیزد قومی که در ایثار و فداکاری و بذل جان و مال و انفاق فی سبیل الله به مراتب از شما برتر و بالاتر باشند! این تهدید بزرگی است که نظیر آن در آیه ۵۴ سوره مائده نیز آمده است:

«ای کسانی که ایمان آورده اید! هر کس از شما از آیین خود باز گردد (به خدا زیانی نمی رساند) خداوند در آینده جمعیتی را می آورد که آنها را دوست دارد و آنها نیز خدا را دوست دارند، در برابر مؤمنان متواضع، و در برابر کافران نیرومند و شکست ناپذیرند، مردانی که در راه خدا جهاد می کنند و هرگز از سرزنش کنندگان هراسی به خود راه نمی دهند» اکثر مفسران نقل کرده اند که: بعد از نزول این آیه جمعی از اصحاب رسول خدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله عرض کردند: «این گروهی که خداوند در این آیه به آنها اشاره کرده کیانند؟! در این هنگام پیامبر دست بر پای سلمان - و طبق روایتی بر شانه سلمان - زد و فرمود: «منظور این مرد و قوم اوست، سوگند به آن کس که جانم به دست اوست، اگر ایمان به ثریا بسته باشد گروهی از مردان فارس آن را به چنگ می آورند!» حدیث دیگری از امام صادق علیه السلام نقل شده که مکمل حدیث فوق است.

فرمود: «به خدا سوگند که خداوند به این وعده خود وفا کرده و گروهی را از غیر عرب بهتر از آنها جانشین آنها فرمود».

سوره فتح [۴۸] ص: ۴۶۵

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و دارای ۲۹ آیه است

مختوای سوره: ص: ۴۶۵

- این سوره چنانکه از نامش پیداست پیام آور فتح و پیروزی است، پیروزی بر دشمنان اسلام، پیروزی چشمگیر و قاطع خواه پیروزی مربوط به فتح مکه باشد یا صلح حدیبیه یا فتح خیبر یا پیروزی بطور مطلق.
- موقعی که پیامبر صلی الله علیه و اله از حدیبیه به سوی مدینه می آمد مرکبش از حرکت باز ایستاد، و در همین حال چهره مبارکش غرق سرور و شادمانی بی سابقه‌ای گشت و فرمود: هم اکنون آیات سوره فتح بر من نازل شد.
- در یک بررسی می توان گفت که این سوره از هفت بخش تشکیل یافته است.
- ۱- سوره با مسأله بشارت فتح آغاز می شود، و آیات انجام آن نیز به همین مسأله مربوط است، و تأکید بر تحقق خواب پیامبر صلی الله علیه و اله دائر به وارد شدن به مکه و انجام مناسک عمره است.
 - ۲- بخش دیگری از سوره حوادث مربوط به «صلح حدیبیه» و «نزول سکینه» و آرامش بر دل‌های مؤمنان و مسأله «بیعت رضوان» را بازگو می کند.
 - ۳- در بخش دیگری از مقام پیامبر و هدف والای او سخن می گوید.
 - ۴- در قسمت دیگری، از کار شکنی‌های منافقان و نمونه‌هایی از عذرهای واهی‌شان در مورد عدم شرکت در میدان جهاد پرده بر می دارد.
 - ۵- در بخش دیگر قسمتی از تقاضاهای نابجای منافقان را منعکس می سازد. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۶۶
 - ۶- سپس کسانی را که از شرکت در میدان جهاد معذورند معرفی می کند.
 - ۷- و بالاخره در بخشی نیز از ویژگی‌های پیروان خط مکتبی پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله و صفات مخصوص آنها سخن می گوید.

فضیلت تلاوت سوره: ص: ۴۶۶

در حدیثی از امام صادق علیه السلام می خوانیم: «اموال و همسران و آنچه را در ملک شماست با قرائت «اَنَا فَتَحْنَا» از تلف حفظ کنید.

کسی که پیوسته آن را تلاوت کند روز قیامت منادی صدا می زند آن چنان که همه خلائق می شنوند: تو از بندگان مخلص منی، او را به بندگان صالحم ملحق سازید، و در باغهای پر نعمت بهشت او را وارد کنید، و از نوشابه مخصوص بهشتیان

سیرایش نمائید».

ناگفته پیداست این همه فضیلت و افتخار با تلاوت خالی از اندیشه و عمل حاصل نمی‌شود، بلکه هدف اصلی از تلاوت، تطبیق اعمال و خلق و خوی خویش بر مفاد این آیات است.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره الفتح (۴۸): آیه ۱ ص: ۴۶۶

اشاره

(آیه ۱) - فتح المبین! در نخستین آیه این سوره بشارت عظیمی به پیامبر صلی الله علیه و اله داده شده است، بشارتی که طبق بعضی از روایات نزد پیامبر صلی الله علیه و اله محبوبتر از تمام جهان بود، می‌فرماید: «ما برای تو پیروزی آشکاری فراهم ساختیم! ...» (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا).

منظور از این فتح پیروزی عظیمی است که از «صلح حدیبیه» نصیب مسلمانان شد.

اما برای روشن شدن تفسیر این آیات باید قبل از هر چیز فشرده‌ای از داستان حدیبیه را در اینجا بیاوریم که به منزله شأن نزول آن است.

داستان صلح حدیبیه: ص: ۴۶۶

در سال ششم هجرت ماه ذی القعدة پیغمبر اکرم صلی الله علیه و اله به قصد عمره به سوی مکه حرکت کرد و همه مسلمانان را تشویق به شرکت در این سفر نمود، اما گروهی خودداری کردند، ولی جمع کثیری از مهاجران و انصار برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۶۷

و اعراب بادیه نشین در خدمتش عازم مکه شدند.

این جمعیت که در حدود یک هزار و چهار صد نفر بودند همگی لباس احرام بر تن داشتند و جز شمشیر که اسلحه مسافران محسوب می‌شد هیچ سلاح جنگی با خود برنداشتند.

هنگامی که پیامبر به «عسفان» در نزدیکی مکه رسید با خبر شد که قریش تصمیم گرفته‌اند از ورود او به مکه جلوگیری نمایند، تا این که پیامبر صلی الله علیه و اله به «حدیبیه» رسید پیامبر صلی الله علیه و اله به «عمر» پیشنهاد فرمود که به مکه رود و اشراف قریش را از هدف این سفر آگاه سازد، عمر گفت: بهتر این است که «عثمان» به این کار مبادرت ورزد، عثمان به سوی مکه آمد و چیزی نگذشت که در میان مسلمانان شایع شد او را کشته‌اند، در اینجا پیامبر صلی الله علیه و اله تصمیم به شدت عمل گرفت و در زیر درختی که در آنجا بود با یارانش تجدید بیعت کرد که به نام «بیعت رضوان» معروف شد، و با آنان عهد بست که تا آخرین نفس مقاومت کنند، ولی چیزی نگذشت که عثمان سالم بازگشت و به دنبال او قریش «سهیل بن عمرو» را برای مصالحه خدمت پیامبر صلی الله علیه و اله فرستاد.

بعد از گفتگوهای زیاد پیمان صلحی منعقد شد. این پیمان در حقیقت یک پیمان عدم تعرض همه جانبه بود که به جنگهای

مداوم و مکرر بین مسلمانان و مشرکان موقتا پایان می داد.

«متن پیمان صلح» از این قرار بود که پیامبر صلی الله علیه و اله به علی علیه السلام دستور داد «بنویس: بسم الله الرحمن الرحیم».

«سهیل بن عمرو» که نماینده مشرکان بود گفت: من با چنین جمله‌ای آشنا نیستم، بنویس بسمک اللهم! پیامبر صلی الله علیه و اله فرمود: «بنویس: بسمک اللهم!» سپس فرمود: بنویس این چیزی است که محمد رسول الله صلی الله علیه و اله با سهیل بن عمرو مصالحه کرده! «سهیل» گفت: ما اگر تو را «رسول الله» می دانستیم با تو جنگ نمی کردیم، تنها اسم خودت، و اسم پدرت را بنویس. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۶۸

پیغمبر صلی الله علیه و اله فرمود: مانعی ندارد، بنویس: «این چیزی است که «محمد بن عبد الله» با سهیل بن عمرو صلح کرده که ده سال متارکه جنگ شود تا مردم امنیت خود را باز یابند.

علاوه بر این همه آزادند هر کس می خواهد در پیمان محمد وارد شود و هر کس می خواهد در پیمان قریش.

ازین گذشته محمّد امسال باز می گردد و وارد مکه نمی شود، اما سال آینده ما به مدت سه روز از مکه بیرون می رویم و یارانش بیایند اما بیش از سه روز توقف نکنند.

در اینجا پیامبر صلی الله علیه و اله دستور داد شترهای قربانی را که به همراه آورده بودند در همانجا قربانی کنند، سرهای خود را بتراشند و از احرام به در آیند. اما این امر برای جمعی از مسلمانان سخت ناگوار بود.

ولی پیغمبر شخصا پیشگام شد، و شتران قربانی را نحر فرمود، و از احرام بیرون آمد، و به مسلمانان تفهیم نمود که این استثنائی است در قانون احرام و قربانی که از سوی خداوند قرار داده شده است.

مسلمین هنگامی که چنین دیدند تسلیم شدند و دستور پیامبر صلی الله علیه و اله دقیقاً اجرا شد و از همانجا آهنگ مدینه کردند، اما کوهی از غم و اندوه بر قلب آنها سنگینی می نمود، چرا که ظاهر قضیه یک ناکامی و شکست بود ولی خبر نداشتند که در پشت داستان صلح حدیبیه چه پیروزیهایی برای مسلمانان و آینده اسلام نهفته است، و در همین هنگام بود که سوره فتح نازل شد و بشارت فتح عظیمی را به پیامبر گرامی اسلام داد.

به دنبال صلح حدیبیه مشرکین با مسلمانان ارتباط یافتند و اسلام در قلوب آنها جایگزین شد و در عرض سه سال گروه عظیمی اسلام آوردند، و جمعیت مسلمانان با آنها فزونی گرفت.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۲ ص: ۴۶۸

(آیه ۲) - نتایج بزرگ فتح المبین! در این آیه و آیه بعد قسمتی از نتایج پر برکت «فتح مبین» (صلح حدیبیه) که در آیه قبل آمده است تشریح شده. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۶۹

می فرماید: هدف این بود «تا خداوند گناهان گذشته و آینده‌ای را که به تو نسبت می دادند ببخشد (و حقانیت تو را ثابت نموده) و نعمتش را بر تو تمام کند و به راه راست هدایت فرماید» (لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا).

سوره الفتح (۴۸): آیه ۳ ص: ۴۶۹

(آیه ۳) - «و پیروزی شکست ناپذیری نصیب تو کند» (وَ يَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا).

و به این ترتیب خداوند چهار موهبت عظیم در سایه این فتح مبین نصیب پیامبرش کرد: مغفرت، تکمیل نعمت، هدایت و نصرت.

پاسخ به یک سؤال مهم: ص : ۴۶۹

با این که پیامبر به حکم مقام عصمت از هر گناهی پاک است منظور از این جمله چیست؟
برای پی بردن به جامعترین پاسخ، مهم این است که ما رابطه «فتح حدیبیه» را با مسأله «آمزش گناه» پیدا کنیم که کلید اصلی پاسخ به سؤال فوق در آن نهفته است.

با دقت در حوادث و رویدادهای تاریخی به این نتیجه می‌رسیم: هنگامی که مکتبی راستین ظاهر می‌شود و قد بر می‌افرازد، وفاداران به سنن خرافی که موجودیت خود را در خطر می‌بینند هر گونه تهمت و نسبت ناروا به آن می‌بندند.
اگر این مکتب در مسیر پیشرفت خود مواجه به شکست شود، دستاویزی محکم برای اثبات نسبتهای ناروا به دست مخالفان می‌افتد، و فریاد می‌کشند نگفتیم چنین است، نگفتیم چنان است؟

اما هنگامی که به پیروزی نائل گردد و برنامه‌های خود را از بوته آزمایش موفق بیرون آورد، تمام نسبتهای ناروا نقش بر آب می‌شود، و تمام «نگفتیم‌ها» به افسوس و ندامت مبدل می‌گردد و جای خود را به «ندانستیم‌ها» می‌دهد! مخصوصاً در مورد پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله این نسبتهای ناروا و گناهان پنداری بسیار فراوان بود، او را جنگ طلب، آتش افروز، بی‌اعتنا به سنتهای راستین، غیر قابل تفاهم، و مانند آن می‌شمردند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۷۰

صلح حدیبیه به خوبی نشان داد که آئین او بر خلاف آنچه دشمنان می‌پندارند یک آئین پیشرو و الهی است.
او به خانه خدا احترام می‌گذارد، هرگز بی‌دلیل به قوم و جمعیتی حمله نمی‌کند، او اهل منطق و حساب است او به راستی همه انسانها را به سوی محبوبشان «الله» دعوت می‌کند، و اگر دشمنانش جنگ را بر او تحمیل نکنند او طالب صلح و آرامش است.
به این ترتیب فتح حدیبیه تمام گناهانی که قبل از هجرت، و بعد از هجرت یا تمام گناهانی که قبل از این ماجرا و حتی در آینده ممکن بود به او نسبت دهند همه را شست، و چون خداوند این پیروزی را نصیب پیامبر صلی الله علیه و اله نمود می‌توان گفت خداوند همه آنها را شستشو کرد.

نتیجه این که این گناهان، گناهان واقعی نبود، بلکه گناهانی بود پنداری و در افکار مردم و در باور آنها، چنانکه در آیه ۱۴ سوره شعرا در داستان موسی (ع) می‌خوانیم که موسی به پیشگاه خدا عرضه داشت: «فرعونیان بر من گناهی دارند که می‌ترسم به جرم آن گناه مرا بکشند» در حالی که گناه او چیزی جز یاری فرد مظلومی از بنی اسرائیل و کوبیدن ستمگری از فرعونیان نبود.

(آیه ۴) - نزول سکینه بر دل‌های مؤمنان! آنچه در آیات گذشته خواندیم مواهب بزرگی بود که خدا در پرتو فتح مبین (صلح حدیبیه) نصیب پیامبر صلی الله علیه و اله کرد، اما در این آیه از موهبت عظیمی که بر همه مؤمنان مرحمت فرموده بحث می‌کند، می‌فرماید: «او کسی است که آرامش را در دل‌های مؤمن نازل کرد تا ایمانی بر ایمانشان بیفزایند» (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ).

چرا سکینه و آرامش بر دل آنها فرود نیاید در حالی که «لشکریان آسمانها و زمین از آن خداست، و خداوند دانا و حکیم است» (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا).

«سکینه» در اصل از ماده «سکون» به معنی آرامش و اطمینان خاطری است برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۷۱ که هر گونه شک و تردید و وحشت را از انسان زائل می‌کند و او را در طوفان حوادث ثابت قدم می‌دارد. این آرامش ممکن است جنبه عقیدتی داشته باشد، و تزلزل اعتقاد را بر طرف سازد، یا جنبه عملی، به گونه‌ای که ثبات قدم و مقاومت و شکیبایی به انسان بخشد، البته تعبیرات خود آیه در اینجا بیشتر ناظر به معنی اول است.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۵ ص: ۴۷۱

(آیه ۵) - نتیجه دیگر فتح المبین! نقل کرده‌اند هنگامی که بشارت «فتح مبین» و «اتمام نعمت» و «هدایت» و «نصرت» به پیغمبر اسلام صلی الله علیه و اله در آیات نخست این سوره داده شد بعضی از مسلمانان که از حوادث «حدیبیه» دل‌تنگ بودند عرض کردند: «گوارا باد بر تو این همه مواهب الهی ای رسول خدا! خداوند آنچه را به تو داده و می‌دهد بیان کرده، به ما چه خواهد داد؟» در اینجا آیه نازل شد و به مؤمنان بشارت داد که برای آنها نیز پادشاهی بزرگی فراهم شده.

قرآن همچنان در ارتباط با صلح «حدیبیه» و بازتابهای مختلف آن در افکار مردم، و نتایج پر بار آن سخن می‌گوید، و سرنوشت هر گروه را در این بوته آزمایش بزرگ مشخص می‌سازد.

نخست می‌فرماید: «هدف دیگر (از این فتح مبین) این بود که مردان و زنان با ایمان را در باغهایی (از بهشت) وارد کند که نهرها از زیر (درختانش) جاری است» (لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ).

در حالی که «جاودانه در آن می‌مانند»، و این نعمت بزرگ هرگز از آنان سلب نمی‌شود (خَالِدِينَ فِيهَا).

«و گناهانشان را می‌بخشد» (و يُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ).

«و این نزد خدا رستگاری بزرگی است!» (وَ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا).

به این ترتیب خداوند در برابر آن چهار موهبتی که به پیامبرش در فتح المبین داد، دو موهبت عظیم نیز به مؤمنان ارزانی داشت: بهشت جاویدان با تمام نعمتهایش، و عفو و گذشت از لغزشهای آنها، علاوه بر سکینه و آرامش روحی که در این دنیا

به آنها بخشید، و مجموعه این سه نعمت، فوز عظیم و پیروزی بزرگی است برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۷۲

برای کسانی که از این بوته امتحان سالم بیرون آمدند.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۶ ص: ۴۷۲

(آیه ۶) - ولی در برابر این گروه، گروه منافقان و مشرکان بی‌ایمان بودند که در این آیه سرنوشتشان این گونه ترسیم شده: «و نیز هدف دیگر این است که خداوند (مردان و زنان منافق، و مردان و زنان مشرک را که به خدا گمان بد می‌برند مجازات

کند» (وَ يُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ).

آری! منافقان و مشرکان به هنگام حرکت پیامبر صلی الله علیه و اله و مؤمنان از مدینه گمان داشتند که این گروه هرگز سالم به مدینه باز نخواهد گشت.

سپس به توضیح این عذاب و مجازات پرداخته و تحت چهار عنوان آن را شرح داده، می گوید: آری «حوادث ناگواری (که برای مؤمنان انتظار می کشند) تنها بر خودشان نازل می شود» (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ).

دیگر این که: «خداوند بر آنان غضب کرده» (وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ).

«و (نیز) خداوند آنان را) از رحمت خود دورشان ساخته» (وَ لَعَنَهُمْ).

«و جهنم را برای آنها (از هم اکنون) آماده کرده، و چه بد سر انجामी است» (وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا).

سوره الفتح (۴۸): آیه ۷ ص: ۴۷۲

(آیه ۷) - در این آیه بار دیگر به عظمت قدرت خداوند اشاره کرده، می گوید: «لشکریان آسمانها و زمین از آن خداست و خداوند شکست ناپذیر و حکیم است» (وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا).

این سخن یک بار در ذیل مقامات و مواهب اهل ایمان آمد، و یک بار هم در اینجا در ذیل مجازات منافقان و مشرکان، تا روشن شود خداوندی که تمام جنود آسمان و زمین تحت فرمانش قرار دارند هم قدرت بر آن دارد هم توانائی بر این، هر گاه دریای رحمتش موج زند شایستگان را هر جا باشند شامل می شود، و هر گاه آتش قهر و غضبش زبانه کشد مجرمی را قدرت فرار از آن نیست.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۸ ص: ۴۷۲

(آیه ۸) - تحکیم موقعیت پیامبر صلی الله علیه و اله و وظائف مردم در برابر او گفتیم صلح حدیبیه از سوی بعضی از ناآگاهان شدیداً مورد انتقام قرار گرفت برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۷۳

و حتی تعبیراتی در برابر پیامبر صلی الله علیه و اله گفتند که خالی از بی حرمتی نسبت به آن حضرت نبود مجموع این حوادث ایجاب می کرد که موقعیت یا عظمت پیامبر صلی الله علیه و اله بار دیگر مورد تأکید قرار گیرد.

لذا این آیه پیامبر صلی الله علیه و اله را مخاطب قرار داده، می گوید: «به یقین ما تو را گواه (بر اعمال آنها) و بشارت دهنده، و بیم دهنده فرستادیم» (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا). گواه بر تمام امت اسلام بلکه به یک معنی گواه بر همه امتها.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۹ ص: ۴۷۳

(آیه ۹) - در این آیه پنج دستور مهم به عنوان نتیجه و هدفی برای اوصاف پیشین پیامبر صلی الله علیه و اله بیان شده که دو دستور در باره اطاعت خداوند و تسبیح و نیایش اوست، و سه دستور در باره «اطاعت» و «دفاع» و «تعظیم» مقام پیامبر صلی الله علیه و اله است.

می فرماید: هدف این است «تا (شما مردم) به خدا و رسولش ایمان بیاورید، و از او دفاع کنید و او را بزرگ دارید، و خدا را صبح و شام تسبیح گوید» (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُعَزِّرُوهُ وَ تُوَفِّرُوهُ وَ تَسْبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أُصِيلاً).

سوره الفتح (۴۸): آیه ۱۰ ص: ۴۷۳

(آیه ۱۰) - در این آیه اشاره کوتاهی به مسأله «بیعت رضوان» می‌کند - که در آیه ۱۸ همین سوره بطور مشروحتر آمده است - می‌گوید: «کسانی که با تو بیعت می‌کنند (در حقیقت) تنها با خدا بیعت می‌کنند و دست خدا بالای دست آنهاست» (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ).

سپس می‌افزاید: «پس هر کس پیمان شکنی کند تنها به زیان خود پیمان شکسته است» (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ). «و آن کس که نسبت به عهده‌ی که با خدا بسته وفا کند، به زودی، پاداش عظیمی به او خواهد داد» (وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا).

در این آیه، قرآن مجید به همه بیعت کنندگان هشدار می‌دهد که اگر بر سر پیمان و عهد خود بمانند پاداش عظیمی خواهند داشت، اما اگر آن را بشکنند زیانش متوجه خود آنهاست، تصور نکنند به خدا ضرری می‌رسانند.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۱۱ ص: ۴۷۳

(آیه ۱۱) - عذر تراشی متخلفان! بعد از ذکر سرنوشت منافقان و مشرکان در آیات قبل، در اینجا وضع متخلفان و بازماندگان ضعیف‌الایمان را بازگو می‌کند، تا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۷۴ حلقات این بحث تکمیل گردد.

می‌فرماید: «به زودی متخلفان از اعراب بادیه نشین (عذر تراشی کرده) می‌گویند: (حفظ) اموال و خانواده‌های ما، ما را به خود مشغول داشت (و نتوانستیم در سفر حدیبیه تو را همراهی کنیم) برای ما طلب آمرزش کن!» (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا).

«آنها به زبان خود چیزی می‌گویند که در دل ندارند» (يَقُولُونَ بِاللَّيْسَ بِنَتْنِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ). آنها حتی در توبه خود صادق نیستند.

ولی به آنها «بگو: چه کسی می‌تواند در برابر خداوند از شما دفاع کند هر گاه زبانی برای شما بخواهد و یا اگر نفعی اراده کند» مانع گردد (قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا). آری «خداوند به همه کارهایی که انجام می‌دهید آگاه است» (بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا). او به خوبی می‌داند که این عذر و بهانه‌ها واقعیت ندارد آنچه واقعیت دارد شک و تردید و ترس و ضعف ایمان شماست.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۱۲ ص: ۴۷۴

(آیه ۱۲) - سپس برای توضیح بیشتر پرده‌ها را کاملا کنار زده می‌افزاید: «ولی شما گمان کردید پیامبر و مؤمنان هرگز به خانواده‌های خود باز نخواهند گشت» (بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا).

آری! علت عدم شرکت شما در این سفر تاریخی مسأله اموال و زن و فرزند نبود، بلکه عامل اصلی سوء ظنی بود که به خدا داشتید، و با محاسبات غلط خود چنین فکر می‌کردید که این سفر، سفر پایانی عمر پیامبر صلی الله علیه و اله و مؤمنان است و باید از آن کناره‌گیری کرد.

«و این (پندار غلط) در دلهای شما زینت یافته بود و گمان بد کردید» (و زَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْئًا). چرا که فکر می‌کردید خداوند پیامبرش را به این سفر فرستاده، و آنها را به چنگال دشمنان سپرده و از آنها حمایت نخواهد کرد! برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۷۵

«و سر انجام (در دام شیطان افتادید و) هلاک شدید!» (وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا). چه هلاکتی از این بدتر که از شرکت در این سفر تاریخی، و بیعت رضوان و افتخارات دیگر محروم شدید، و به دنبال آن رسوائی بزرگ بود، و در آینده عذاب دردناک آخرت است.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۱۳ ص: ۴۷۵

(آیه ۱۳) - از آنجا که این موضعگیریهای غلط گاه از عدم ایمان سر چشمه می‌گرفت در این آیه می‌گوید: «آن کسی که به خدا و پیامبرش ایمان نیاورده (سرنوشتش دوزخ است) چرا که ما برای کافران آتش فروزان آماده کرده‌ایم» (وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا).

سوره الفتح (۴۸): آیه ۱۴ ص: ۴۷۵

(آیه ۱۴) - و سر انجام برای اثبات قدرت خداوند بر مجازات کافران و منافقان می‌فرماید: «مالکیت و حاکمیت آسمانها و زمین از آن خداست، هر کس را بخواهد (و شایسته بداند) می‌بخشد و هر کس را بخواهد مجازات می‌کند، و خداوند آمرزنده و رحیم است» (وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يُعْزِزُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا).

سوره الفتح (۴۸): آیه ۱۵ ص: ۴۷۵

(آیه ۱۵) - متخلفان آماده طلب! هنگامی که پیامبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله از «حدیبیه» باز می‌گشت به فرمان خدا مسلمانان شرکت کننده در حدیبیه را بشارت به «فتح خیبر» داد و تصریح فرمود که در این پیکار فقط آنها شرکت کنند، و غنائم جنگی مخصوص آنهاست.

اما این دنیا پرستان ترسو همین که از قرائن فهمیدند پیامبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله در این جنگی که در پیش دارد قطعاً پیروز می‌شود و غنائم فراوانی به دست سپاه اسلام خواهد افتاد، از فرصت استفاده کرده، خدمت پیامبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله آمدند، و اجازه شرکت در میدان «خیبر» خواستند! غافل از این که آیات قرآن از قبل نازل شده بود، و سر آنها را فاش ساخته بود.

چنانکه در آیه می‌خوانیم: «هنگامی که شما برای به دست آوردن غنائمی حرکت کنید متخلفان (حدیبیه) می‌گویند: بگذارید ما هم در پی شما بیائیم» و در این جهاد شرکت کنیم (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۷۶

قرآن در پاسخ این گروه سودجو و فرصت طلب می‌گوید: «آنها می‌خواهند کلام خدا را تغییر دهند» (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ).

سپس می‌افزاید: «به آنها بگو: شما هرگز نباید به دنبال ما بیائید» و حق ندارید در این میدان شرکت کنید (قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا). این سخنی نیست که من از پیش خود بگویم «این گونه خداوند از قبل گفته (و ما را از آینده شما با خبر ساخته) است»

(كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ).

خداوند دستور داده «غنائم خبیر» مخصوص «اهل حدیبیه» باشد و احدی با آنها در این امر شرکت نکند! ولی این متخلفان بی شرم و پر ادعا، باز از میدان در نمی روند و شما را متهم به حسادت می کنند «و به زودی می گویند: (مطلب چنین نیست) بلکه شما نسبت به ما حسد می ورزید!» (فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا).

و به این ترتیب آنها حتی بطور ضمنی پیامبر صلی الله علیه و اله را تکذیب می کنند، و ریشه منع آنها را از شرکت در «غزوه خبیر» حسادت می شمرند! قرآن در آخرین جمله می گوید: «ولی آنها جز اندکی نمی فهمند!» (بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا). آری! ریشه تمام بدبختیهای آنها جهل و نادانی و بی خبری است که همیشه دامنگیر آنها بوده است، جهل در مورد خداوند، و عدم معرفت مقام پیامبر صلی الله علیه و اله و بی خبری از سرنوشت انسانها، و عدم توجه به ناپایداری ثروت دنیا.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۱۶ ص: ۴۷۶

(آیه ۱۶) - در ادامه همین بحث و گفتگو با متخلفان «حدیبیه» آیه شریفه پیشنهادی به آنها کرده، و راه بازگشت را به روی آنها چنین می گشاید و می فرماید:

«به متخلفان از اعراب (بادیه نشین) بگو: به زودی از شما دعوت می شود که به سوی قومی نیرومند و جنگجو بروید، و با آنها پیکار کنید تا اسلام بیاورند» (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ).

«پس اگر اطاعت کنید خداوند پاداش نیکی به شما می دهد، و اگر سرپیچی کنید - همانگونه که در گذشته نیز سرپیچی کردید - خداوند شما را با عذاب برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۷۷

دردناکی کیفر می دهد» (فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَ إِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا).

باید امتحان صداقت خود را در میدان سخت و سهمگین دیگری بدهید، و گر نه از میدانهای سخت اجتناب کردن، و در میدانهای راحت و پر غنیمت شرکت نمودن به هیچ وجه ممکن نیست.

این قوم جنگجو و پر قدرت که در این آیه به آنها اشاره کرده چه جمعیتی بودند؟

جمله «تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ» (با آنها پیکار کنید تا اسلام بیاورند) دلیل بر این است که اهل کتاب نبودند، زیرا آنها را مجبور به پذیرش اسلام نمی کنند، بلکه مخیر میان اسلام آوردن یا پذیرش شرائط اهل ذمه و همزیستی مسالمت آمیز با مسلمانان و پرداخت جزیه می کنند، تنها مشرکان و بت پرستان هستند که چیزی جز اسلام از آنان پذیرفته نمی شود، زیرا اسلام بت پرستی را به عنوان یک «دین» نمی شناسد، و اجبار در ترک بت پرستی جایز است.

و با توجه به این که در عصر پیامبر صلی الله علیه و اله بعد از ماجرای حدیبیه غزوه مهمی با مشرکان جز «فتح مکه» و غزوه «حنین» وجود نداشت، آیه فوق می تواند اشاره به آنها باشد، مخصوصاً غزوه حنین که مردان جنگجوی سخت کوشی از طایفه هوازن و بنی سعد در آن شرکت داشتند.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۱۷ ص: ۴۷۷

(آیه ۱۷) - بعد از نزول آیه قبل و تهدید متخلفان به «عذاب الیم» جمعی از معلولین یا بیماران خدمت پیامبر صلی الله علیه و اله آمدند و عرض کردند: ای رسول خدا! تکلیف ما در این میان چیست؟ در اینجا این آیه نازل شد و حکم آنها را چنین بازگو

کرد: «بر نایبنا و لنگ و بیمار گناهی نیست» اگر در میدان جهاد شرکت نکنند (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ).

تنها جهاد نیست که مشروط به قدرت و توانایی است، تمام تکالیف الهی یک سلسله شرائط عمومی دارد که از جمله آنها «توانایی و قدرت» است و در آیات قرآن کراراً به این معنی اشاره شده است. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۷۸

البته این گروه گرچه از شرکت در میدان جهاد معافند اما آنها نیز باید به مقدار توان خود برای تقویت قوای اسلام و پیشبرد اهداف الهی آن بکوشند.

و شاید جمله اخیر مورد بحث نیز اشاره به همین معنی باشد که می‌فرماید: «و هر کس خدا و رسولش را اطاعت نماید او را در باغهایی (از بهشت) وارد می‌کند که نه‌رها از زیر (درختانش) جاری است، و آن کس که سر پیچی کند او را به عذاب دردناکی گرفتار می‌سازد!» (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا).

سوره الفتح (۴۸): آیه ۱۸ ص: ۴۷۸

(آیه ۱۸) - خشنودی خدا از شرکت کنندگان در بیعت رضوان گفتیم در ماجرای حدیبیه سفرائی میان «پیامبر» صلی الله علیه و اله و «قریش» رد و بدل شد، از جمله پیامبر صلی الله علیه و اله «عثمان بن عفان» را به عنوان نماینده نزد مشرکان مکه فرستاد قریش عثمان را موقتاً توقیف کردند، و به دنبال آن در بین مسلمانان شایع شد که عثمان کشته شده پیامبر صلی الله علیه و اله فرمود: من از اینجا حرکت نمی‌کنم تا با این گروه پیکار کنم.

سپس به زیر درختی که در آنجا بود آمد، و با مردم تجدید بیعت کرد، و از آنها خواست که در پیکار با مشرکان کوتاهی نکنند، و کسی پشت به میدان جهاد نکند.

این بیعت به عنوان «بیعت رضوان» (بیعت خشنودی خداوند) معروف شد، و لرزه بر اندام مشرکان انداخت و نقطه عطفی در تاریخ اسلام بود.

قرآن در اینجا از این ماجرا سخن می‌گوید، می‌فرماید: «خداوند از مؤمنان - هنگامی که در زیر آن درخت با تو بیعت کردند - راضی و خشنود شد» (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ).

هدف از این «بیعت» انسجام هر چه بیشتر نیروها، تقویت روحیه، تجدید آمادگی رزمی، سنجش افکار، و آزمودن میزان فداکاری دوستان وفادار بود.

و خداوند به این مؤمنان فداکار چهار پاداش بزرگ داد که از همه مهمتر رضایت و خشنودی او بود، همان گونه که در آیه ۷۲ سوره توبه نیز می‌خوانیم:

«وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ» و رضا و خشنودی خداوند از همه نعمتهای بهشتی برتر است». برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۷۹

سپس می‌افزاید: «خدا آنچه را در درون دل‌هایشان (از صداقت و ایمان و آمادگی و وفاداری نسبت به این پیمان) نهفته بود می‌دانست، از این رو آرامش را بر دل‌هایشان نازل کرد» (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ).

آن چنان آرامشی که در میان انبوه دشمنان در میان سلاحهای آماده آنها ترس و وحشتی به دل راه نمی‌دادند. و این دومین موهبت الهی نسبت به آنها بود.

و در پایان این آیه به سومین موهبت اشاره کرده، می‌فرماید: «و پیروزی نزدیکی به عنوان پاداش نصیب آنها فرمود» (وَأَنْتَابُهُمْ

فَتْحاً قَرِيباً).

آری! این فتح- که به گفته اکثر مفسران «فتح خبیر» بود- سومین پاداش الهی برای این مؤمنان ایثارگر بود. و تعبیر به «قربیا» (به زودی) تأییدی است بر این که منظور «فتح خبیر» است.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۱۹ ص: ۴۷۹

اشاره

(آیه ۱۹)- چهارمین نعمتی که به دنبال بیعت رضوان نصیب مسلمانان شد غنائم فراوان مادی بود چنانکه در این آیه می‌فرماید: پاداش دیگر «غنائم بسیاری که آن را به دست می‌آورند» (وَ مَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا). این تعبیر می‌تواند تمام غنائم جنگهای اسلامی را که بعد از فتح خبیر رخ داد در بر گیرد. و از آنجا که باید مسلمانان به این وعده الهی کاملاً اطمینان کنند در آخر آیه می‌افزاید: «و خداوند شکست ناپذیر و حکیم است» (وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا). اگر به شما دستور داد که در حدیبیه صلح کنید بر اساس حکمت بود، و اگر به شما وعده فتح قریب و غنائم فراوان می‌دهد این توانائی را دارد که به وعده‌های خود جامه عمل بپوشاند. به این ترتیب مسلمانان ایثارگر در سایه بیعت رضوان پیروزی دنیا و آخرت را به دست آوردند، در حالی که منافقان بی‌خبر و ضعیف‌الایمانهای ترسو در آتش حسرت سوختند؟

بیعت و خصوصیات آن: ص: ۴۷۹

قرائن نشان می‌دهد که بیعت از ابداعات مسلمین نیست، بلکه سنتی بوده که قبل از اسلام در میان عرب رواج داشته است، برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۸۰

و به همین دلیل در آغاز اسلام که طایفه «اوس» و «خزرج» در موقع حج از مدینه به مکه آمدند و با پیامبر اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ در عقبه بیعت کردند برخورد آنها با مسأله بیعت برخورد با یک امر آشنا بود، بعد از آن پیغمبر گرامی اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و اله نیز در فرصتهای مختلف با مسلمانان تجدید بیعت کرد که یک مورد از آن همین «بیعت رضوان» در حدیبیه بود، و از آن گسترده‌تر بیعتی بود که بعد از فتح مکه انجام گرفت که در تفسیر «سوره ممتحنه» شرح آن به خواست خدا خواهد آمد. اما چگونگی «بیعت» بطور کلی از این قرار بوده که بیعت کننده دست به دست بیعت شونده می‌داده و با زبان حال یا قال اعلام اطاعت و وفاداری می‌نمود، و گاه در ضمن بیعت شرائط و حدودی برای آن قائل می‌شد، مثلاً بیعت تا پای مال، تا سر حد جان.

پیامبر اسلام بیعت زنان را نیز می‌پذیرفت، اما نه از طریق دست دادن، بلکه چنانکه در تواریخ آمده، دستور می‌داد ظرف بزرگی از آب حاضر کنند، او دست خود را در یک طرف ظرف فرو می‌برد، و زنان بیعت کننده در طرف دیگر.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۲۰..... ص: ۴۸۰

(آیه ۲۰) - باز هم برکات صلح حدیبیه! قرآن همچنان بحثهای مربوط به «صلح حدیبیه» و وقایع بعد از آن را بازگو می کند، و برکات و فوایدی را که از این رهگذر عائد مسلمانان شد شرح می دهد.

نخست می فرماید: «خداوند غنائم فراوانی به شما وعده داده که آنها را به دست می آورید، ولی این یکی را زودتر برای شما فراهم ساخت» (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ).

لحن آیه نشان می دهد که منظور از غنائم فراوان در اینجا تمام غنائمی است که خداوند نصیب مسلمانان کرد، چه در کوتاه مدت و چه در دراز مدت.

سپس به یکی دیگر از الطاف خداوندی نسبت به مسلمانان در این ماجرا اشاره کرده، می افزاید: «و دست تعدی مردم [دشمنان را از شما بازداشت» (وَ كَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ).

این لطف بزرگی بود که آنها با کمی نفرات و نداشتن ابزار جنگی کافی آن هم برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۸۱ در نقطه ای دور از وطن و بیخ گوش دشمن، مورد تهاجم قرار نگرفتند، و چنان رعب و وحشتی از آنان در دل دشمنان افکند که از هر گونه اقدام و حمله خودداری کردند.

سپس در ادامه آیه به دو نعمت بزرگ دیگر از مواهب الهی اشاره کرده، می فرماید: «و (هدف این بود که این وقایع) نشانه ای (بر حقانیت دعوت تو) برای مؤمنان باشد، و خداوند شما را به راه راست هدایت کند» (وَ لَتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَ يَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا).

سوره الفتح (۴۸): آیه ۲۱..... ص: ۴۸۱

(آیه ۲۱) - در این آیه بشارت بیشتری به مسلمانان داده، می گوید: «و نیز غنائم و فتوحات دیگری (نصیبتان می کند) که شما توانائی آن را ندارید ولی قدرت خدا به آن احاطه دارد، و خداوند بر همه چیز تواناست» (وَ الْآخِرَى لَمْ يُقَدِّرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا).

ممکن است این وعده غنیمت و پیروزیها اشاره به فتح «مکه» و غنائم «حنین» و یا فتوحات و غنائمی که بعد از پیغمبر صلی الله علیه و اله نصیب امت اسلامی شد- مانند فتح ایران و روم و مصر- و یا اشاره به همه آنها باشد.

این آیه از اخبار غیبی و پیشگوییهای قرآن مجید در باره حوادث آینده است، این پیروزیها در مدت کوتاهی به وقوع پیوست و عظمت این آیات را روشن ساخت.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۲۲..... ص: ۴۸۱

(آیه ۲۲) - قرآن همچنان ابعاد دیگری از ماجرای عظیم «حدیبیه» را بازگو می کند، و به دو نکته مهم در این رابطه اشاره می کند.

نخست این که: تصور نکنید اگر در سرزمین «حدیبیه» درگیری میان شما و مشرکان مکه رخ می داد، مشرکان برنده جنگ می شدند، چنین نیست «و اگر کافران (در سرزمین حدیبیه) با شما پیکار می کردند به زودی فرار می کردند، سپس ولی و

یاوری نمی یافتند» (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا).

سوره الفتح (۴۸): آیه ۲۳ ص: ۴۸۱

(آیه ۲۳) - این منحصر به شما نیست «این سنت الهی است که در گذشته نیز بوده است، و هرگز برای سنت الهی تغییر و تبدیلی نخواهی یافت» (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۸۲
این یک قانون همیشگی الهی است که اگر مؤمنان در امر جهاد ضعف و سستی نشان ندهند، و با قلبی پاک و نیتی خالص به مبارزه با دشمنان برخیزند، خدا آنها را پیروز می کند.

نکته مهمی که این آیات تعقیب می کند این است که قریش نشینند و بگویند افسوس که ما قیام نکردیم و این گروه اندک را درهم نکوبیدیم، افسوس که صید به خانه آمد و از آن غفلت کردیم، افسوس و افسوس!

سوره الفتح (۴۸): آیه ۲۴ ص: ۴۸۲

(آیه ۲۴) - نکته دیگری که در این آیات تبیین شده این است که می فرماید:

«او کسی است که دست آنها [کفار] را از شما و دست شما را از آنان در دل مکه کوتاه کرد، بعد از آن که شما را بر آنها پیروز ساخت، و خداوند به آنچه انجام می دهید بیناست» (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا).

به راستی این ماجرا مصداق روشن «فتح المبین» بود همان توصیفی که قرآن برای آن برگزیده، جمعیتی محدود بدون تجهیزات کافی جنگی وارد سرزمین دشمن شوند، دشمنی که بارها به مدینه لشکر کشی کرده، و تلاش عجیبی برای درهم شکستن آنها داشته، ولی اکنون که قدم در شهر و دیار او گذارده اند چنان مرعوب شود که پیشنهاد صلح کند.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۲۵ ص: ۴۸۲

(آیه ۲۵) - در این آیه به نکته دیگری در ارتباط با مسأله صلح حدیبیه و فلسفه آن اشاره کرده، می فرماید: «آنها (دشمنان شما) کسانی هستند که کافر شدند، و شما را از (زیارت) مسجد الحرام و رسیدن قربانیهاتان به محل قربانگاه باز داشتند» (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ الْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ).

یک گناه آنها کفرشان بود، و گناه دیگر این که شما را از مراسم عمره و طواف خانه خدا باز داشتند و اجازه ندادند که شترهای قربانی را در محلش یعنی مکه قربانی کنید.

این گناهان ایجاب می کرد که خداوندی آنها را به دست شما کیفر دهد برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۸۳
و سخت مجازات کند.

اما چرا چنین نکرد در ذیل آیه دلیل آن را روشن ساخته، می فرماید: «و هر گاه مردان و زنان با ایمانی در این میان بدون آگاهی شما زیر دست و پا، از بین نمی رفتند که از این راه عیب و عاری نا آگاهانه به شما می رسید» خداوند هرگز مانع این جنگ نمی شد و شما را بر آنها مسلط می ساخت تا کیفر خود را ببینند (وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيكُم مِّنْهُمْ مَعْرَةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ).

این آیه اشاره به گروهی از مردان و زنان مسلمان است که به اسلام پیوستند ولی به عللی قادر به مهاجرت نشده، و در مکه مانده بودند.

سپس برای تکمیل این سخن می‌افزاید: «هدف این بود که خدا هر کس را می‌خواهد در رحمت خود وارد کند» (لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ).

آری! خدا می‌خواست مؤمنان مستضعف «مکه» مشمول رحمت او باشند، و صدمه‌ای به آنها نرسد.

و در پایان آیه برای تأکید بیشتر می‌افزاید: «و اگر مؤمنان و کفار (در مکه) از هم جدا می‌شدند (و بیم از میان رفتن مؤمنان مکه نبود ما) کافران را عذاب دردناکی می‌کردیم» و آنها را با دست شما سخت کیفر می‌دادیم (لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا).

درست است که خداوند می‌توانست از طریق اعجاز این گروه را از دیگران جدا کند، ولی سنت پروردگار - جز در موارد استثنائی - انجام کارها از طریق اسباب عادی است.

از روایات متعددی که از طرق شیعه و اهل سنت ذیل این آیه نقل شده، استفاده می‌شود که منظور از آن، افراد با ایمانی بودند که در صلب کفار قرار داشتند، خداوند به خاطر آنها این گروه کفار را مجازات نکرد.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۲۶ ص: ۴۸۳

(آیه ۲۶) - تعصب و حمیت جاهلیت بزرگترین سدّ راه کفار! در اینجا باز مسائل مربوط به ماجرای «حدیبیه» تعقیب می‌شود، و صحنه‌های دیگری از این ماجرای عظیم را مجسم می‌کند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۸۴

نخست به یکی از مهمترین عوامل باز دارنده کفار از ایمان به خدا و پیامبر صلی الله علیه و اله و تسلیم در مقابل حق و عدالت اشاره کرده، می‌گوید: به خاطر بیاورید «هنگامی را که کافران در دل‌های خود خشم و نخوت جاهلیت داشتند» (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ).

و به خاطر آن مانع ورود پیامبر صلی الله علیه و اله و مؤمنان به خانه خدا و انجام مراسم عمره و قربانی شدند، و گفتند: اگر اینها که در میدان جنگ پدران و برادران ما را کشته‌اند وارد سرزمین و خانه‌های ما شوند و سالم باز گردند، عرب در باره ما چه خواهد گفت؟ و چه اعتبار و حیثیتی برای ما باقی می‌ماند؟

آنها با این عمل هم احترام خانه خدا و حرم امن او را شکستند، و هم سنتهای خود را زیر پا گذاشتند، و هم پرده ضخیمی میان خود و حقیقت کشیدند.

سپس می‌افزاید: «و (در مقابل) خداوند آرامش و سکینه خود را بر فرستاده خویش مؤمنان نازل فرمود» (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ).

این آرامش که مولود ایمان و اعتقاد به خداوند، و اعتماد بر لطف او بود، آنها را به خونسردی و تسلط بر نفس دعوت کرد، تا آنجا که برای حفظ اهداف بزرگ خود حاضر شدند جمله «بسم الله الرحمن الرحيم» را - که رمز اسلام در شروع کارها بود - بردارند، و به جای آن «بسمك اللهم» - که از یادگارهای دوران گذشته عرب بود - در آغاز صلحنامه حدیبیه بنگارند و حتی لقب «رسول الله» را از کنار نام گرامی «محمد» صلی الله علیه و اله حذف کنند. و حاضر شدند که بر خلاف عشق و علاقه سوزانی که به زیارت خانه خدا و مراسم عمره داشتند از همان «حدیبیه» به سوی مدینه باز گردند، و شترهای خود را بر خلاف

سنت حج و عمره در همانجا قربانی کنند، و بدون انجام مناسک از احرام به در آیند. آری! فرهنگ جاهلیت دعوت به «حمیت» و «تعصب» و «خشم جاهلی» می‌کند، ولی فرهنگ اسلام به «سکینه» و «آرامش» و «تسلط بر نفس».

سپس می‌افزاید: «و (خداوند) آنها را به حقیقت تقوا ملزم ساخت، و آنان از هر کس شایسته‌تر و اهل آن بودند» (وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَ أَهْلِهَا). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۸۵ در پایان آیه می‌فرماید: «و خداوند به همه چیز داناست» (وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا). او هم نیت سوء کفار را می‌داند، و هم پاکدلی مؤمنان راستین را، در اینجا سکینه و تقوا نازل می‌کند، و در آنجا حمیت جاهلیت را مسلط می‌سازد.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۲۷ ص: ۴۸۵

(آیه ۲۷) - رؤیای صادقه پیامبر صلی الله علیه و اله! این آیه نیز فراز دیگری از فرازهای مهم داستان «حدیبیه» را ترسیم می‌کند، ماجرا این بود:

پیامبر صلی الله علیه و اله در مدینه خوابی دید که به اتفاق یارانش برای انجام مناسک «عمره» وارد مکه می‌شوند، و این خواب را برای یاران بیان کرد، همگی شاد و خوشحال شدند، اما چون جمعی تصور می‌کردند تعبیر و تحقق این خواب در همان سال واقع خواهد شد، هنگامی که مشرکان راه ورود به مکه را در حدیبیه به روی آنها بستند، گرفتار شک و تردید شدند، که مگر رؤیای پیامبر هم ممکن است نادرست از آب درآید؟

پیامبر صلی الله علیه و اله در پاسخ این سؤال فرمود: مگر من به شما گفتم این رؤیا همین امسال تحقق خواهد یافت؟ این آیه در همین رابطه در طریق بازگشت به مدینه نازل شد و تأکید کرد که این خواب، رؤیای صادقه بوده و چنین مسأله‌ای حتمی و قطعی و انجام شدنی است.

می‌فرماید: «خداوند آنچه را به پیامبرش در عالم خواب نشان داد راست گفت» (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ). سپس می‌افزاید: «بطور قطع همه شما به خواست خدا وارد مسجد الحرام می‌شوید در نهایت امنیت، و در حالی که سرهای خود را تراشیده، یا (ناخنهای خود را) کوتاه کرده‌اید، و از هیچ کس ترس و وحشتی ندارید» (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ).

«ولی خداوند چیزهایی را می‌دانست که شما نمی‌دانستید» و در این تأخیر حکمتی بود (فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا). «و قبل از آن، فتح نزدیکی (برای شما) قرار داده است» (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۸۶ تعبیر به «فَتْحًا قَرِيبًا» تناسب بیشتری با فتح خیبر دارد، زیرا فاصله کمتری با تحقق عینی این خواب داشت «فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا».

آیه مورد بحث یکی از اخبار غیبی قرآن، و از شواهد آسمانی بودن این کتاب، و از معجزات پیغمبر گرامی اسلام صلی الله علیه و اله است که با این قاطعیت و تأکید هم خبر از ورود به مسجد الحرام و انجام مراسم عمره در آینده نزدیک می‌دهد، و هم فتح قریب و پیروزی نزدیکی قبل از آن، و چنانکه می‌دانیم این هر دو پیشگویی به وقوع پیوست.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۲۸ ص: ۴۸۶

(آیه ۲۸) - در این آیه و آیه بعد که آخرین آیات سوره فتح است به دو مسأله مهم دیگر در ارتباط با «فتح المبین» یعنی «صلح حدیبیه» اشاره می‌کند که یکی مربوط به عالمگیر شدن اسلام است، و دیگری اوصاف یاران پیامبر صلی الله علیه و اله و ویژگیهای آنان، و وعده الهی را نسبت به آنها بازگو می‌کند.

نخست می‌گوید: «او کسی است که رسولش را با هدایت و دین حق فرستاد، تا آن را بر همه ادیان پیروز کند، و کافی است که خدا گواه این موضوع باشد» (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا).

این وعده‌ای است صریح و قاطع، از سوی خداوند قادر متعال، در رابطه با غلبه اسلام بر همه ادیان. یعنی اگر خداوند از طریق رؤیای پیامبر صلی الله علیه و اله به شما خبر پیروزی داده که با نهایت امنیت وارد مسجد الحرام می‌شوید، و مراسم عمره را به جا می‌آورید بی آنکه کسی جرأت مزاحمت شما را داشته باشد، و نیز اگر خداوند بشارت «فتح قریب» (پیروزی خیر) را می‌دهد تعجب نکنید، اینها اول کار است سرانجام اسلام عالمگیر می‌شود و بر همه ادیان پیروز خواهد گشت.

در این که منظور از این پیروزی منطقی است یا پیروزی نظامی؟ باید بگوییم: کلمه «لیظهره» دلیل بر غلبه خارجی است، و به همین دلیل می‌توان گفت:

علاوه بر مناطق بسیار وسیعی که امروز در شرق و غرب و شمال و جنوب عالم در برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۸۷ قلمرو اسلام قرار گرفته، و هم اکنون بیش از چهل کشور اسلامی با جمعیتی حدود یک میلیارد نفر زیر پرچم اسلام قرار دارند، و زمانی فرا خواهد رسید که همه جهان رسماً در زیر این پرچم قرار می‌گیرد، و این امر به وسیله قیام حضرت مهدی - عج - تکمیل می‌گردد.

سوره الفتح (۴۸): آیه ۲۹ ص: ۴۸۷

(آیه ۲۹) - در این آیه به ترسیم بسیار گویائی از اصحاب و یاران خاص پیامبر صلی الله علیه و اله و آنها که در خط او بودند از لسان تورات و انجیل بیان کرده که هم افتخار و مباهاتی است برای آنها که در «حدیبیه» و مراحل دیگر پایمردی به خرج دادند، و هم درس آموزنده‌ای است برای همه مسلمانان در تمام قرون و اعصار.

در آغاز می‌فرماید: «محمد (ص) فرستاده خداست» (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ).

سپس به توصیف یارانش پرداخته و اوصاف ظاهر و باطن و عواطف و افکار و اعمال آنها را طی پنج صفت چنین بیان می‌کند: «و کسانی که با او هستند در برابر کفار سر سخت و شدیدند» (وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ).

و در دومین وصف می‌گوید: «و در میان خود مهربانند» (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ).

در حقیقت عواطف آنها در این «مهر» و «قهر» خلاصه می‌شود، اما نه جمع میان این دو در وجود آنها تضادی دارد، و نه قهر آنها در برابر دشمن و مهر آنها در برابر دوست سبب می‌شود که از جاده حق و عدالت قدمی بیرون نهند.

در سومین صفت که از اعمال آنها سخن می‌گوید، می‌افزاید: «پیوسته آنها را در حال رکوع و سجود می‌بینی» و همواره به عبادت خدا مشغولند (تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا).

این تعبیر عبادت و بندگی خدا را که با دو رکن اصلیش «رکوع» و «سجود» ترسیم شده، به عنوان حالت دائمی و همیشگی آنها ذکر می‌کند، عبادتی که رمز تسلیم در برابر فرمان حق، و نفی کبر و خود خواهی و غرور، از وجود ایشان است.

در چهارمین توصیف که از نیت پاک و خالص آنها بحث می‌کند، می‌فرماید:
«آنها همواره فضل خدا و رضای او را می‌طلبند» (يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا).

نه برای تظاهر و ریا قدم بر می‌دارند، و نه انتظار پاداش از خلق خدا دارند، برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۸۸ بلکه چشمشان تنها به رضا و فضل او دوخته شده.

و در پنجمین و آخرین توصیف از ظاهر آراسته و نورانی آنها بحث کرده می‌گوید: «نشانه آنها در صورتشان از اثر سجده نمایان است» (سِيْمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ).

قرآن بعد از بیان همه این اوصاف می‌افزاید: «این توصیف آنان در تورات است (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ).

این حقیقتی است که از پیش گفته شده و توصیفی است در یک کتاب بزرگ آسمانی که پیش از هزار سال قبل نازل شده است.

ولی نباید فراموش کرد که تعبیر «وَالَّذِينَ مَعَهُ» (و کسانی که با او هستند) سخن از افرادی می‌گوید که در همه چیز با پیامبر صلی الله علیه و آله بودند، در فکر و عقیده و اخلاق و عمل، نه تنها کسانی که همزمان با او بودند هر چند خطشان با او متفاوت بود.

سپس به توصیف آنها در یک کتاب بزرگ دیگر آسمانی یعنی «انجیل» پرداخته، چنین می‌گوید: «و توصیف آنها در انجیل، همانند زراعتی است که جوانه‌های خود را خارج ساخته، سپس به تقویت آن پرداخته تا محکم شده و بر پای خود ایستاده است و به قدری نمو و رشد کرده که زارعان را به شگفتی وا می‌دارد» (وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطَأُهُ فَأَرْزَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ).

در حقیقت اوصافی که در تورات برای آنها ذکر شده اوصافی است که ابعاد وجود آنها را از نظر عواطف و اهداف و اعمال و صورت ظاهر بیان می‌کند و اما اوصافی که در انجیل آمده بیانگر حرکت و نمو و رشد آنها در جنبه‌های مختلف است - دقت کنید.

آری! آنها انسانهایی هستند با صفات والا که آنی از «حرکت» باز نمی‌ایستند.

همواره اسلام را با گفتار و اعمال خود در جهان نشر می‌دهند و روز به روز خیل تازه‌ای بر جامعه اسلامی می‌افزایند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۸۹

سپس در دنباله آیه می‌افزاید: این اوصاف عالی، این نمو و رشد سریع، و این حرکت پر برکت، به همان اندازه که دوستان را به شوق و نشاط می‌آورد سبب خشم کفار می‌شود «این برای آن است که کافران را به خشم آورد» (لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ). و در پایان آیه می‌فرماید: «(ولی) کسانی از آنها را که ایمان آورده و کارهای شایسته انجام داده‌اند خداوند وعده آمرزش و اجر عظیمی داده است» (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا).

بدیهی است اوصافی که در آغاز آیه گفته شد ایمان و عمل صالح در آن جمع بود، بنابر این تکرار این دو وصف اشاره به تداوم آن است، یعنی خداوند این وعده را تنها به آن گروه از یاران محمد صلی الله علیه و آله داده که در خط او باقی بمانند، و ایمان و عمل صالح را تداوم بخشند، و گر نه کسانی که یک روز در زمره دوستان و یاران او بودند، و روز دیگر از او جدا شدند و راهی بر خلاف آن را در پیش گرفتند، هرگز مشمول چنین وعده‌ای نیستند.

«پایان سوره فتح»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۹۱

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و ۱۸ آیه دارد

محتوای سوره: ص: ۴۹۱

در این سوره مسائل بسیار مهمی در ارتباط با شخص پیامبر و جامعه اسلامی نسبت به یکدیگر مطرح شده است. بخشهای مختلف این سوره را این گونه می توان خلاصه کرد:

بخش اول: آیات آغاز سوره است که آداب برخورد با پیشوای بزرگ اسلام پیغمبر اکرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ را که مسلمانان در محضر او باید به کار بندند، بیان می کند.

بخش دوم: مشتمل بر یک سلسله اصول مهم «اخلاق اجتماعی» است.

بخش سوم: دستوراتی است که مربوط به چگونگی مبارزه با اختلافات و درگیریهاست که احیاناً در میان مسلمانان روی می دهد.

بخش چهارم: از معیار ارزش انسان در پیشگاه خدا و اهمیت مسأله تقوا سخن می گوید.

بخش پنجم: روی این مسأله تأکید دارد که ایمان تنها به گفتار نیست بلکه باید علاوه بر اعتقاد قلبی، آثار آن در اعمال انسانی و در جهاد با اموال و نفوس آشکار گردد.

و بالاخره آخرین قسمت این سوره از علم خداوند و آگاهی او از همه اسرار نهان عالم هستی و اعمال انسانها سخن می گوید که در حقیقت به منزله ضامن اجراست برای تمام بخشهایی که در این سوره آمده است. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۹۲

نامگذاری این سوره به سوره «حجرات» به تناسب آیه چهارم این سوره است که این کلمه در آن به کار رفته و تفسیر آن را به زودی خواهیم دانست.

فضیلت تلاوت سوره: ص: ۴۹۲

در حدیثی از پیامبر گرامی اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ می خوانیم:

«هر کس سوره «حجرات» را بخواند به عدد تمام کسانی که خدا را اطاعت یا عصیان کرده اند ده حسنه به او داده می شود!» و در حدیث دیگری از امام صادق علیه السّلام آمده است: «هر کس سوره حجرات را در هر شب یا هر روز بخواند از زائران محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خواهد بود».

بدیهی است این همه حسنات به عدد مطیعان و عاصیان در صورتی است که اعمال هر یک از این دو را که در آیات این سوره منعکس است دقیقاً در نظر بگیرد، و در آن بیندیشد، و مسیر خود را بر اولی منطبق و از دومی جدا سازد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

شأن نزول: ص: ۴۹۲

در مورد نزول نخستین آیه این سوره نقل شده که:

پیامبر صلی الله علیه و اله به هنگام حرکت به سوی «خیبر» می‌خواست کسی را به جای خود در «مدینه» نصب کند، عمر شخص دیگری را پیشنهاد کرد آیه نازل شد و دستور داد بر خدا و پیامبر پیشی مگیرید.

تفسیر: ص: ۴۹۲

چنانکه در محتوای سوره اشاره کردیم در این سوره یک رشته از مباحث مهم اخلاقی و دستورات انضباطی نازل شده که آن را شایسته نام «سوره اخلاق» می‌کند، در آغاز سوره به دو قسمت از این دستورات اشاره شده است:

نخست تقدم نیافتن بر خدا و پیامبر صلی الله علیه و اله، و دیگری در محضر پیامبر صلی الله علیه و اله سر و صدا و قال و غوغا راه نینداختن.

در مورد اول می‌فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده‌اید! چیزی را بر خدا و رسولش مقدم نشمرید (و پیشی مگیرید) و تقوای الهی پیشه کنید، که خداوند شنوا و داناست» (یا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۹۳

منظور از مقدم نداشتن چیزی در برابر خدا و پیامبر پیشی نگرفتن بر آنها در کارها، و ترک عجله و شتاب در مقابل دستور خدا و پیامبر صلی الله علیه و اله است.

سوره الحجرات (۴۹): آیه ۲ ص: ۴۹۳

شأن نزول: ص: ۴۹۳

گروهی از طایفه «بنی تمیم» و اشراف آنها وارد مدینه شدند هنگامی که داخل مسجد پیامبر صلی الله علیه و اله گشتند صدا را

بلند کرده، از پشت حجره‌هایی که منزلگاه پیامبر صلی الله علیه و اله بود فریاد زدند: «یا محمد اخرج الینا ای محمد! بیرون بیا». این سر و صداها و تعبیرات نا مؤدبانه، پیامبر صلی الله علیه و اله را ناراحت ساخت هنگامی که بیرون آمد گفتند: آمده‌ایم تا با تو مفاخره کنیم! اجازه ده تا «شاعر» و «خطیب» ما افتخارات قبیله «بنی تمیم» را بازگو کند، پیامبر اجازه داد. نخست خطیب آنها برخاست و از فضائل خیالی طائفه «بنی تمیم» مطالب بسیاری گفت.

پیامبر به «ثابت بن قیس» (۱) فرمود: پاسخ آنها را بده، او برخاست خطبه بلیغی در جواب آنها ایراد کرد. سپس «شاعر» آنها برخاست و اشعاری در مدح این قبیله گفت که «حسان بن ثابت» شاعر معروف مسلمان پاسخ کافی به او داد.

در این موقع پیامبر صلی الله علیه و اله برای جلب قلب آنها دستور داد هدایای خوبی به آنها دادند آنها تحت تأثیر مجموع این مسائل واقع شدند و به نبوت پیامبر صلی الله علیه و اله اعتراف کردند.

تفسیر: ص: ۴۹۳

این آیه اشاره به دستور دوم کرده، می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده‌اید! صدای خود را فراتر از صدای پیامبر نکنید و در برابر او بلند سخن نگوئید (و داد و فریاد نزنید) آن گونه که بعضی از شما در برابر بعضی بلند صدا می کنند مبادا اعمال شما نابود گردد در حالی که نمی دانید» (یا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا

(۱) «ثابت بن قیس» خطیب انصار و خطیب پیامبر صلی الله علیه و اله بود، همان گونه که «حسان بن ثابت» شاعر حضرت بود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۹۴

أَصْوَاتِكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ).

پیامبر صلی الله علیه و اله که جای خود دارد این کار در برابر پدر و مادر و استاد و معلم نیز مخالف احترام و ادب است.

بدیهی است اگر این گونه اعمال به قصد توهین به مقام شامخ نبوت باشد موجب کفر است و بدون آن ایذاء و گناه.

در صورت اول، علت حبط و نابودی اعمال روشن است زیرا کفر علت حبط (از بین رفتن ثواب عمل نیک) می شود.

و در صورت دوم نیز مانعی ندارد که چنین عمل زشتی باعث نابودی ثواب بسیاری از اعمال گردد.

سورة الحجرات (۴۹): آیه ۳ ص: ۴۹۴

(آیه ۳) - این آیه برای تأکید بیشتر روی این موضوع پاداش کسانی را که به این دستور الهی عمل می کنند، و انضباط و ادب را در برابر پیامبر صلی الله علیه و اله رعایت می نمایند چنین بیان می کند: «آنها که صدای خود را نزد رسول خدا کوتاه می کنند همان کسانی هستند که خداوند دل‌هایشان را برای تقوا خالص نموده برای آنان آمرزش و پاداش عظیمی است» (إِنَّ الَّذِينَ يُغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ).

سورة الحجرات (۴۹): آیه ۴ ص: ۴۹۴

(آیه ۴) - این آیه برای تأکید بیشتر، اشاره به نادانی و بی‌خردی کسانی می‌کند که این دستور الهی را پشت سر می‌افکنند، و چنین می‌فرماید: «(ولی) کسانی که تو را از پشت حجره‌ها بلند صدا می‌زنند بیشترشان نمی‌فهمند!» (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ).

اصولاً - هر قدر سطح عقل و خرد انسان بالاتر می‌رود بر ادب او افزوده می‌شود، زیرا «ارزشها» و «ضد ارزشها» را بهتر درک می‌کند.

سوره الحجرات (۴۹): آیه ۵ ص: ۴۹۴

اشاره

(آیه ۵) - در این آیه برای تکمیل این معنی می‌افزاید: «اگر آنها صبر می‌کردند تا خود به سراغشان آیی، برای آنها بهتر بود» (وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۹۵
درست است که عجله و شتاب گاه سبب می‌شود که انسان زودتر به مقصود خود برسد، ولی شکیبائی و صبر در چنین مقامی مایه رحمت و آموزش و اجر عظیم است، و مسلماً این بر آن برتری دارد.
و از آنجا که افرادی نا آگاهانه قبلاً مرتکب چنین کاری شده بودند، و با نزول این دستور الهی طبعاً به وحشت می‌افتادند، قرآن به آنها نیز نوید می‌دهد که اگر توبه کنند مشمول رحمت خداوند می‌شوند، لذا در پایان آیه می‌فرماید: «و خداوند آمرزنده و رحیم است» (وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

نکته‌ها: ص: ۴۹۵

۱- ادب برترین سرمایه است: ص: ۴۹۵

در اسلام اهمیت زیادی به مسأله رعایت آداب، و برخورد توأم با احترام و ادب با همه کس، و هر گروه، وارد شده است. علی علیه السلام می‌فرماید: «رعایت ادب همچون لباس نو، فاخر و زینتی است». و در جای دیگر می‌فرماید: «ادب انسان را از افتخارات پدران و نیاکان بی‌نیاز می‌کند». اصولاً - دین مجموعه‌ای است از آداب: ادب در برابر خدا، ادب در مقابل پیامبر صلی الله علیه و اله و پیشوایان معصوم علیهم السلام، ادب در مقابل استاد و معلم، و پدر و مادر، و عالم و دانشمند.

۲- انضباط اسلامی در همه چیز و همه جا: ص: ۴۹۵

مسأله مدیریت و فرماندهی بدون رعایت انضباط هرگز به سامان نمی‌رسد و اگر کسانی که تحت پوشش مدیریت و رهبری قرار دارند بخواهند بطور خود سرانه عمل کنند شیرازه کارها به هم می‌ریزد، هر قدر هم رهبر و فرمانده لایق و شایسته باشند. بسیاری از شکستها و ناکامیها که دامنگیر جمعیتها و گروهها و لشکرها شده از همین رهگذر بوده است، و مسلمان نیز طعم تلخ تخلف از این دستور را بارها در زمان پیامبر صلی الله علیه و اله یا بعد از او چشیده‌اند که روشترین آنها داستان شکست

احد به خاطر بی انضباطی گروه اندکی از جنگجویان بود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۹۶

سورة الحجرات (۴۹): آیه ۶ ص: ۴۹۶

اشاره

(آیه ۶)

شأن نزول: ص: ۴۹۶

نقل شده که: آیه (یا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ جَاءَكُمْ ...) در باره «ولید بن عقبه» نازل شده است که پیامبر صلی الله علیه و اله او را برای جمع آوری زکات از قبیله «بنی المصطلق» اعزام داشت.

هنگامی که اهل قبیله با خبر شدند که نماینده رسول الله صلی الله علیه و اله می آید با خوشحالی به استقبال او شتافتند، ولی از آنجا که میان آنها و «ولید» در جاهلیت خصومت شدیدی بود تصور کرد آنها به قصد کشتنش آمده اند.

خدمت پیامبر صلی الله علیه و اله بازگشت (بی آنکه تحقیقی در مورد این گمان کرده باشد) و عرض کرد: آنها از پرداخت زکات خودداری کردند! (و می دانیم امتناع از پرداخت زکات یک نوع قیام بر ضد حکومت اسلامی تلقی می شد، بنابر این مدعی بود آنها مرتد شده اند!).

پیامبر صلی الله علیه و اله سخت خشمگین شد، و تصمیم گرفت با آنها پیکار کند، آیه نازل شد (و به مسلمانان دستور داد که هر گاه فاسقی خبری آورد در باره آن تحقیق کنید).

تفسیر: ص: ۴۹۶

به اخبار فاسقان اعتنا نکنید! در آیات گذشته سخن از وظائف مسلمانان در برابر رهبر و پیشوایان پیامبر صلی الله علیه و اله بود، در اینجا ادامه وظائف امت در برابر این رهبر بزرگ است و می گوید هنگامی که اخباری را خدمت او می آورند باید از روی تحقیق باشد.

نخست می فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! اگر شخص فاسقی خبری برای شما بیاورد در باره آن تحقیق کنید» (یا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا).

سپس به علت آن اشاره کرده، می افزاید: «مبادا (در صورت عمل کردن بدون تحقیق) به گروهی از روی نادانی آسیب برسانید، و از کرده خود پشیمان شوید!» (أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ).

همان گونه که اگر پیامبر صلی الله علیه و اله به گفته «ولید بن عقبه» عمل می فرمود و با طایفه «بنی المصطلق» به عنوان یک قوم مرتد پیکار می کرد فاجعه و مصیبت دردناکی به بار می آمد. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۹۷

جمعی از علمای علم اصول برای «حجیت خبر واحد» به این آیه استدلال کرده‌اند، چرا که آیه می‌گوید: تحقیق و تبیین در خبر «فاسق» لازم است، و مفهوم آن این است که اگر شخص «عادل» خبری دهد بدون تحقیق می‌توان پذیرفت.

سوره الحجرات (۴۹): آیه ۷ ص: ۴۹۷

(آیه ۷) - در این آیه برای تأکید مطلب مهمی که در آیه گذشته آمد، می‌افزاید: «و بدانید رسول خدا در میان شماست، هر گاه در بسیاری از امور از شما اطاعت کند به مشقت خواهید افتاد» (وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَسْتُمْ).

او رهبر است و نسبت به شما از هر کس مهربانتر، برای تحمیل افکار خود به او فشار نیاورید که این به زیان شماست. در دنباله آیه به یکی دیگر از مواهب بزرگ الهی به مؤمنان اشاره کرده، می‌فرماید: «ولی خداوند ایمان را محبوب شما قرار داده، و آن را در دل‌هایتان زینت بخشیده» (وَ لَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَ زَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ). «و (به عکس) کفر و فسق و گناه را منفورتان قرار داده است» (وَ كَرِهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيَانَ). در پایان آیه به صورت یک قاعده کلی و عمومی می‌فرماید: «کسانی که دارای این صفاتند (ایمان در نظرشان محبوب و مزین، و کفر و فسق و عصیان در نظرشان منفور است) هدایت یافتگانند» (أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ). یعنی اگر این موهبت الهی (عشق به ایمان و نفرت از کفر و گناه) را حفظ کنید، و این پاکی و صفای فطرت را آلوده نسازید، رشد و هدایت، بی‌شک در انتظار شماست.

سوره الحجرات (۴۹): آیه ۸ ص: ۴۹۷

(آیه ۸) - در این آیه این حقیقت را روشن می‌سازد که این محبوبیت ایمان و منفور بودن کفر و عصیان از مواهب بزرگ الهی بر بشر است.

می‌فرماید: «(و این برای شما به عنوان) فضل و نعمتی از سوی خداست و خداوند دانا و حکیم است» (فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ نِعْمَةً وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

آگاهی و حکمت او ایجاب می‌کند که عوامل رشد و سعادت را در شما برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۹۸ بیافریند، و آن را با دعوت انبیا هماهنگ و تکمیل سازد، و سرانجام شما را به سر منزل مقصود برساند. بدون شک علم خداوند به نیاز بندگان، و حکمت او در زمینه تکامل و پرورش مخلوقات، ایجاب می‌کند که این نعمتهای بزرگ معنوی، یعنی محبوبیت ایمان و منفور بودن کفر و عصیان را به آنها مرحمت کند. بنابر این عشق به ایمان، و تنفر از کفر، در دل همه انسانها بدون استثنا وجود دارد، و اگر کسانی این زمینه‌ها را ندارند از ناحیه تربیتهای غلط و اعمال خودشان است، خدا در دل هیچ کس «حب عصیان» و «بغض ایمان» را نیافریده است.

سوره الحجرات (۴۹): آیه ۹ ص: ۴۹۸

شأن نزول: ص : ۴۹۸

در شأن نزول این آیه و آیه بعد آمده است که میان دو قبیله «اوس» و «خزرج» اختلافی افتاد، و همان سبب شد که گروهی از آن دو به جان هم بیفتند و با چوب و کفش یکدیگر را بزنند؟ آیه نازل شد و راه برخورد با چنین حوادثی را به مسلمانان آموخت.

تفسیر: ص : ۴۹۸

مؤمنان برادر یکدیگرند- قرآن در اینجا به عنوان یک قانون کلی و عمومی برای همیشه و همه جا می گوید: «و هر گاه دو گروه از مؤمنان با هم به نزاع و جنگ پردازند آنها را آشتی دهید» (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا). این یک وظیفه حتمی برای همه مسلمانان است که از نزاع و درگیری و خونریزی میان مسلمین جلو گیری کنند، و برای خود در این زمینه مسؤولیت قائل باشند، نه به صورت تماشاجی مانند بعضی بی خبران بی تفاوت از کنار این صحنه ها بگذرند. این نخستین وظیفه مؤمنان در برخورد با این صحنه هاست.

سپس وظیفه دوم را چنین بیان می کند: «و اگر یکی از آن دو بر دیگری تجاوز کند با گروه متجاوز پیکار کنید، تا به فرمان خدا باز گردد» (فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ). بدیهی است که اگر خون طائفه باغی و ظالم در این میان ریخته شود بر گردن برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۴۹۹ خود اوست، و به اصطلاح خونشان هدر است، هر چند مسلمانند.

به این ترتیب، اسلام جلو گیری از ظلم و ستم را هر چند به قیمت جنگ با ظالم تمام شود لازم شمرده و بهای اجرای عدالت را از خون مسلمانان نیز بالاتر دانسته است، و این در صورتی است که مسأله از طرق مسالمت آمیز حل نشود.

سپس به بیان سومین دستور پرداخته، می گوید: «و هر گاه (طایفه ظالم) بازگشت (و زمینه صلح فراهم شد) در میان آن دو طبق عدالت صلح برقرار سازید» (فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ).

یعنی تنها به درهم شکستن قدرت طایفه ظالم قناعت نکنید، بلکه این پیکار باید زمینه ساز صلح باشد، و مقدمه ای برای ریشه کن کردن عوامل نزاع و درگیری و گر نه با گذشتن زمان کوتاه یا طولانی بار دیگر که ظالم در خود احساس توانائی کند بر می خیزد و نزاع را از سر می گیرد.

و از آنجا که تمایلات گروهی، گاهی افراد را به هنگام قضاوت و داوری به سوی یکی از «دو طایفه متخاصم» متمایل می سازد، و بی طرفی داوران را نقض می کند قرآن در چهارمین و آخرین دستور به مسلمانان هشدار داده، می فرماید: «و عدالت پیشه کنید خداوند عدالت پیشه گان را دوست می دارد» (وَ أَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ).

(آیه ۱۰) - در این آیه برای تأکید این امر و بیان علت آن می‌افزاید: «مؤمنان برادر یکدیگرند، پس دو برادر خود را صلح و آشتی دهید» (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ).
 و از آنجا که در بسیاری از اوقات «روابط» در این گونه مسائل جانشین «ضوابط» می‌شود، بار دیگر هشدار داده و در پایان آیه می‌افزاید: «و تقوای الهی پیشه کنید باشد که مشمول رحمت او شوید» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ).
 و به این ترتیب یکی از مهمترین مسؤلیتهای اجتماعی مسلمانان در برابر یکدیگر و در اجرای عدالت اجتماعی با تمام ابعادش روشن می‌شود. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۰۰

اهمیت اخوت اسلامی: ص: ۵۰۰

جمله «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» که در آیات فوق آمده، یکی از شعارهای اساسی و ریشه‌دار اسلامی است.
 روی این اصل مهم اسلامی مسلمانان از هر نژاد و هر قبیله، و دارای هر زبان و هر سن و سال، با یکدیگر احساس عمیق برادری می‌کنند، هر چند یکی در شرق جهان زندگی کند، و دیگری در غرب.
 در مراسم «حج» که مسلمین از همه نقاط جهان در آن کانون توحید جمع می‌شوند این علاقه و پیوند و همبستگی نزدیک کاملاً محسوس است و صحنه‌ای است از تحقق عینی این قانون مهم اسلامی.
 به تعبیر دیگر اسلام تمام مسلمانها را به حکم یک خانواده می‌داند، و همه را خواهر و برادر یکدیگر خطاب کرده، نه تنها در لفظ و در شعار که در عمل و تعهدهای متقابل نیز همه خواهر و برادرند.
 در روایات اسلامی نیز روی این مسأله تأکید فراوان شده، به عنوان نمونه از پیغمبر اکرم صلی الله علیه و اله در باره حقوق سی گانه مؤمن بر برادر مؤمنش نقل شده که فرمود:
 «مسلمان بر برادر مسلمانش سی حق دارد که برائت ذمه از آن حاصل نمی‌کند مگر به ادای این حقوق یا عفو کردن برادر مسلمان او:

لغزشهای او را ببخشد، در ناراحتیها نسبت به او مهربان باشد، اسرار او را پنهان دارد، اشتباهات او را جبران کند، عذر او را بپذیرد، در برابر بدگویان از او دفاع کند، همواره خیر خواه او باشد، دوستی او را پاسداری کند، پیمان او را رعایت کند، در حال مرض از او عبادت کند، در حال مرگ به تشییع او حاضر شود.

دعوت او را اجابت کند، هدیه او را بپذیرد، عطای او را جزا دهد، نعمت او را شکر گوید، در یاری او بکوشد، ناموس او را حفظ کند، حاجت او را بر آورد، برای خواسته‌اش شفاعت کند، و عطسه‌اش را تحیت گوید.

گمشده‌اش را راهنمایی کند، سلامش را جواب دهد، گفته او را نیکو شمرد انعام او را خوب قرار دهد، سوگندهایش را تصدیق کند، دوستش را دوست دارد و با او دشمنی نکند، در یاری او بکوشد خواه ظالم باشد یا مظلوم: اما یاری او در برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۰۱

حالی که ظالم باشد به این است که او را از ظلمش باز دارد، و در حالی که مظلوم است به این است که او را در گرفتن حقش کمک کند.

او را در برابر حوادث تنها نگذارد، آنچه را از نیکبها برای خود دوست دارد برای او دوست بدارد، و آنچه از بدبها برای خود نمی‌خواهد برای او نخواهد.»

سورة الحجرات (۴۹): آية ۱۱ ص : ۵۰۱

اشاره

(آیه ۱۱)

شأن نزول: ص : ۵۰۱

مفسران نقل کرده‌اند: جمله «لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ» در باره «ثابت بن قیس» (خطیب پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نازل شده است که گوشه‌هایش سنگین بود، و هنگامی که وارد مسجد می‌شد کنار دست پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ برای او جایی باز می‌کردند، تا سخن حضرت را بشنود روزی وارد مسجد شد در حالی که مردم از نماز فراغت پیدا کرده، و جای خود نشسته بودند، او جمعیت را می‌شکافت و می‌گفت: جا بدهید! جا بدهید! تا به یکی از مسلمانان رسید، و او گفت همین جا بنشین! او پشت سرش نشست، اما خشمگین شد، هنگامی که هوا روشن گشت «ثابت» به آن مرد گفت: کیستی؟ او نام خود را برد و گفت فلان کس هستم.

«ثابت» گفت: فرزند فلان زن؟! و در اینجا نام مادرش را با لقب زشتی که در جاهلیت می‌بردند یاد کرد. آن مرد شرمگین شد و سر خود را به زیر انداخت.

آیه نازل شد و مسلمانان را از این گونه کارهای زشت نهی کرد.

و گفته‌اند: جمله «وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ» در باره «ام سلمه» نازل گردید که بعضی از همسران پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ او را به خاطر لباس مخصوصی که پوشیده بود، یا به خاطر کوتاهی قدش مسخره کردند، آیه نازل شد و آنها را از این عمل بازداشت.

تفسیر: ص : ۵۰۱

استهزا، عیبجویی و القاب زشت ممنوع! از آنجا که قرآن مجید در این سوره به ساختن جامعه اسلامی بر اساس معیارهای اخلاقی پرداخته، پس از بحث در باره وظائف مسلمانان در مورد نزاع و مخاصمه گروههای مختلف اسلامی در اینجا به شرح قسمتی از ریشه‌های این اختلافات پرداخته تا با قطع آنها اختلافات نیز برچیده شود، و درگیری و نزاع پایان گیرد.

در این آیه در زمینه مسائل اخلاق اجتماعی به سه حکم اسلامی به ترتیب برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۰۲

عدم سخریه، ترک عیبجویی و تناوب به القاب اشاره کرده، می‌فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده‌اید! نباید گروهی از مردان شما گروه دیگر را مسخره کند» (یا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ).

چه این که «شاید آنها (که مورد سخریه قرار گرفته‌اند) از اینها بهتر باشند» (عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ).

همچنین «و نه زنانی زنان دیگر را (نباید مسخره کنند) شاید آنان بهتر از اینان باشند» (وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ).

در اینجا مخاطب مؤمنانند، اعم از مردان و زنان، قرآن به همه هشدار می‌دهد که از این عمل زشت پرهیزند، چرا که سر چشمه استهزا و سخریه همان حسن خود برتر بینی و کبر و غرور است که عامل بسیاری از جنگهای خونین در طول تاریخ بوده.

سپس در دومین مرحله می‌فرماید: «و یکدیگر را مورد طعن و عیبجوئی قرار ندهید» (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ). و بالاخره در مرحله سوم می‌افزاید: «و با القاب زشت و ناپسند یکدیگر را یاد نکنید» (وَلَا تَنَابَرُوا بِالْألقَابِ). بسیاری از افراد بی‌بند و بار در گذشته و حال اصرار داشته و دارند که بر دیگران القاب زشتی بگذارند و از این طریق آنها را تحقیر کنند، شخصیتشان را بکوبند، و یا احیاناً از آنان انتقام گیرند، و یا اگر کسی در سابق کار بدی داشته سپس توبه کرده و کاملاً پاک شده باز هم لقبی که بازگو کننده وضع سابق باشد بر او بگذارند. اسلام صریحاً از این عمل زشت نهی می‌کند، و هر اسم و لقبی را که کوچکترین مفهوم نامطلوبی دارد و مایه تحقیر مسلمانی است ممنوع شمرده.

در حدیثی آمده است که روزی «صفیه» دختر «حی بن اخطب» (همان زن یهودی که بعد از ماجرای فتح خیبر مسلمان شد و به همسری پیغمبر اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارْحَمَهُ اللهُ) روزی خدمت پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارْحَمَهُ اللهُ در حالی که اشک می‌ریخت، پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارْحَمَهُ اللهُ از برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۰۳

ماجرا پرسید، گفت: عایشه مرا سرزنش می‌کند و می‌گوید: «ای یهودی زاده!» پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارْحَمَهُ اللهُ فرمود: «چرا نگفتی پدرم هارون است، و عمویم موسی، و همسرم محمد!» در اینجا بود که این آیه نازل شد.

به همین جهت در پایان آیه می‌افزاید: «بسیار بد است که بر کسی پس از ایمان نام کفر آمیز بگذارید» (بِئْسَ الْاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْاِيْمَانِ).

و در پایان آیه برای تأکید بیشتر می‌فرماید: «و آنها که توبه نکنند (و از این اعمال دست بر ندارند) ظالم و ستمگرند» (وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

چه ظلمی از این بدتر که انسان با سخنان نیش‌دار، و تحقیر و عیبجوئی، قلب مردم با ایمان را که مرکز عشق خداست بیازارد.

سورة الحجرات (۴۹): آية ۱۲ ص: ۵۰۳

اشاره

(آیه ۱۲)

شأن نزول: ص: ۵۰۳

مفسران نقل کرده‌اند: جمله «وَلَا يَعْتَبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» در باره دو نفر از اصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارْحَمَهُ اللهُ است که

رفیقشان «سلمان» را غیبت کردند، زیرا او را خدمت پیامبر فرستاده بودند تا غذائی برای آنها بیاورد، پیامبر سلمان را سراغ «اسامه بن زید» که مسؤول «بیت المال» بود فرستاد.

«اسامه» گفت: الآن چیزی ندارم، آن دو نفر از «اسامه» غیبت کردند و گفتند:

او بخل ورزیده و در باره «سلمان» گفتند: اگر او را به سراغ چاه سمیحه (که چاه پر آبی بود) بفرستیم آب آن فروکش خواهد کرد! سپس خودشان به راه افتادند تا نزد «اسامه» بیایند، و در باره موضوع کار خود تجسس کنند.

پیامبر صلی الله علیه و اله فرمود: من آثار خوردن گوشت را در دهان شما می بینم.

عرض کردند: ای رسول خدا ما امروز مطلقاً گوشت نخورده ایم! فرمود: آری گوشت «سلمان» و «اسامه» را می خوردید. آیه نازل شد و مسلمانان را از غیبت نهی کرد.

تفسیر: ص: ۵۰۳

در این آیه نیز در زمینه مسائل اخلاقی اجتماعی سه حکم اسلامی به ترتیب: اجتناب از گمان بد، تجسس و غیبت، بیان شده است.

نخست می فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! از بسیاری از گمانها برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۰۴
پرهیزید، چرا که بعضی از گمانها گناه است!» (یا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ).

منظور از این نهی، نهی از ترتیب آثار است. یعنی هر گاه گمان بدی نسبت به مسلمانی در ذهن شما پیدا شد، در عمل کوچکترین اعتنایی به آن نکنید، طرز رفتار خود را دگرگون نسازید و مناسبات خود را با طرف تغییر ندهید.

لذا در روایات دستور داده شده که اعمال برادرت را بر نیکوترین وجه ممکن حمل کن، تا دلیلی بر خلاف آن قائم شود، و هرگز نسبت به سخنی که از برادر مسلمان صادر شده گمان بد مبر، مادام که می توانی محمل نیکی برای آن بیابی! سپس در دستور بعد مسأله «نهی از تجسس» را مطرح کرده، می فرماید:

«و (هرگز در کار دیگران) تجسس نکنید» (وَلَا تَجَسَّسُوا).

و بالاخره در سومین و آخرین دستور- که در حقیقت معلول و نتیجه دو برنامه قبل است- می فرماید: «و هیچ یکی از شما دیگری را غیبت نکند» (وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا).

و به این ترتیب گمان بد سر چشمه تجسس، و تجسس موجب افشای عیوب و اسرار پنهانی، و آگاهی بر این امور سبب غیبت می شود که اسلام از معلول و علت همگی نهی کرده است.

سپس برای این که قبح و زشتی این عمل را کاملاً مجسم کند آن را در ضمن یک مثال گویا ریخته، می گوید: «آیا کسی از شما دوست دارد که گوشت برادر مرده خود را بخورد»؟! (أَلَيْسَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا).

به یقین «همه شما از این امر کراهت دارید» (فَكَرِهْتُمُوهُ).

آری آبروی برادر مسلمان همچون گوشت تن اوست، و ریختن این آبرو به وسیله غیبت و افشای اسرار پنهانی همچون خوردن گوشت تن اوست، و تعبیر به «میتا» به خاطر آن است که «غیبت» در غیاب افراد صورت می گیرد، که همچون مردگان قادر بر دفاع از خویشان نیستند.

و این ناجوانمردانه ترین ستمی است که ممکن است انسان در باره برادر خود برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۰۵

روا دارد.

و از آنجا که ممکن است افرادی آلوده به بعضی از این گناهان سه گانه باشند و با شنیدن این آیات متنبه شوند، و در صدد جبران برآیند در پایان آیه راه را به روی آنها گشوده، می‌فرماید: «و تقوای الهی، پیشه کنید (و از خدا بترسید) که خداوند بسیار توبه پذیر و مهربان است» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ).

نخست باید روح تقوا و خدا ترسی زنده شود، و به دنبال آن توبه از گناه صورت گیرد، تا لطف و رحمت الهی شامل حال انسان شود.

نکته‌ها: ص : ۵۰۵

۱- امنیت کامل و همه جانبه اجتماعی: ص : ۵۰۵

دستورهای ششگانه‌ای که در دو آیه فوق مطرح شده هر گاه بطور کامل در یک جامعه پیاده شود آبرو و حیثیت افراد جامعه را از هر نظر بیمه می‌کند.

انسان چهار سرمایه دارد که همه آنها باید در دژهای این قانون قرار گیرد و محفوظ باشد: جان، مال، ناموس و آبرو. تعبیحات آیات فوق و روایات اسلامی نشان می‌دهد که آبرو و حیثیت افراد همچون مال و جان آنهاست، بلکه از بعضی جهات مهمتر است! اسلام می‌خواهد در جامعه اسلامی امنیت کامل حکمفرما باشد نه تنها مردم در عمل و با دست به یکدیگر هجوم نکنند، بلکه از نظر زبان مردم، و از آن بالاتر از نظر اندیشه و فکر آنان نیز در امان باشند، و هر کس احساس کند که دیگری حتی در منطقه افکار خود تیرهای تهمت را به سوی او نشانه گیری نمی‌کند، و این امنیتی است در بالاترین سطح که جز در یک جامعه مذهبی و مؤمن امکان پذیر نیست.

پیغمبر گرامی صلی الله علیه و اله در حدیثی می‌فرماید: «خداوند خون و مال و آبروی مسلمان را بر دیگران حرام کرده، و همچنین گمان بد در باره او بردن».

۲- تجسس نکنید! ص : ۵۰۵

دیدیم قرآن با صراحت تمام تجسس را در آیه فوق منع نموده، و از آنجا که هیچ گونه قید و شرطی برای آن قائل نشده نشان می‌دهد که برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۰۶

جستجوگری در کار دیگران و تلاش برای افشاگری اسرار آنها گناه است، ولی قرائنی که در داخل و خارج آیه است نشان می‌دهد که این حکم مربوط به زندگی شخصی و خصوصی افراد است، و در زندگی اجتماعی تا آنجا که تأثیری در سرنوشت جامعه نداشته باشد نیز این حکم صادق است.

اما روشن است آنجا که ارتباطی با سرنوشت دیگران و کیان جامعه پیدا می‌کند مسأله شکل دیگری به خود می‌گیرد، لذا شخص پیغمبر صلی الله علیه و اله مأمورانی برای جمع آوری اطلاعات قرار داده بود که از آنها به عنوان «عیون» تعبیر می‌شود، تا آنچه را ارتباط با سرنوشت جامعه اسلامی در داخل و خارج داشت برای او گرد آوری کنند.

و نیز به همین دلیل حکومت اسلامی می‌تواند مأموران اطلاعاتی داشته باشد، یا سازمان گسترده‌ای برای گرد آوری اطلاعات

تأسیس کند، و آنجا که بیم توطئه بر ضد جامعه، و یا به خطر انداختن امنیت و حکومت اسلامی می‌رود به تجسس برخیزند، و حتی در داخل زندگی خصوصی افراد جستجوگری کنند.

ولی این امر هرگز نباید بهانه‌ای برای شکستن حرمت این قانون اصیل اسلامی شود، و افرادی به بهانه مسأله «توطئه» و «اخلال به امنیت» به خود اجازه دهند که به زندگی خصوصی مردم یورش برند، نامه‌های آنها را باز کنند، تلفن‌ها را کنترل نمایند و وقت و بی‌وقت به خانه آنها هجوم آورند.

خلاصه این که مرز میان «تجسس» و «به دست آوردن اطلاعات لازم برای حفظ امنیت جامعه» بسیار دقیق و ظریف است، و مسؤولین اداره امور اجتماع باید دقیقاً مراقب این مرز باشند، تا حرمت اسرار انسانها حفظ شود، و هم امنیت جامعه و حکومت اسلامی به خطر نیفتد.

۳- غیبت از بزرگترین گناهان است: ص: ۵۰۶

گفتیم سرمایه بزرگ انسان در زندگی حیثیت و آبرو و شخصیت اوست، و هر چیز آن را به خطر بیندازد مانند آن است که جان او را به خطر انداخته باشد، بلکه گاه ترور شخصیت از ترور شخص مهمتر محسوب می‌شود، و اینجا است که گاه گناه آن از قتل نفس نیز سنگین‌تر است. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۰۷

یکی از فلسفه‌های تحریم غیبت این است که این سرمایه بزرگ بر باد نرود، و حرمت اشخاص درهم نشکند.

نکته دیگر این که غیبت، بد بینی می‌آفریند، پیوندهای اجتماعی را سست می‌کند، سرمایه اعتماد را از بین می‌برد، و پایه‌های تعاون و همکاری را متزلزل می‌سازد.

از اینها گذشته «غیبت» بذر کینه و عداوت را در دلها می‌پاشد، و گاه سر چشمه نزاعهای خونین و قتل و کشتار می‌گردد.

در حدیثی آمده است: روزی پیامبر صلی الله علیه و اله با صدای بلند خطبه خواند و فریاد زد: «ای گروهی که به زبان ایمان آورده‌اید و نه با قلب! غیبت مسلمانان نکنید، و از عیوب پنهانی آنها جستجو ننمائید، زیرا کسی که در امور پنهانی برادر دینی خود جستجو کند خداوند اسرار او را فاش می‌سازد، و درون خانه‌اش رسوایش می‌کند!» و در حدیث دیگری آمده است که خداوند به موسی وحی فرستاد: «کسی که بمیرد در حالی که از غیبت توبه کرده باشد آخرین کسی است که وارد بهشت می‌شود و کسی که بمیرد در حالی که اصرار بر آن داشته باشد اولین کسی است که وارد دوزخ می‌گردد!» و نیز در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام صلی الله علیه و اله می‌خوانیم: «تأثیر غیبت در دین مسلمان از خوره در جسم او سریعتر است!» تمام این تأکیدات و عبارات تکان دهنده به خاطر اهمیت فوق العاده‌ای است که اسلام برای حفظ آبرو، و حیثیت اجتماعی مؤمنان قائل است، و نیز به خاطر تأثیر مخربی است که غیبت در وحدت جامعه، و اعتماد متقابل و پیوند دلها دارد.

سورة الحجرات (۴۹): آیه ۱۳ ص: ۵۰۷

اشاره

(آیه ۱۳) - تقوا بزرگترین ارزش انسانی! در آیات گذشته روی سخن به مؤمنان بود و مسائل متعددی که یک «جامعه مؤمن» را با خطر رو برو می‌سازد بازگو کرد و از آن نهی فرمود. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۰۸

در حالی که در آیه مورد بحث مخاطب کل جامعه انسانی است و مهمترین اصلی را که ضامن نظم و ثبات است بیان می کند، و میزان واقعی ارزشهای انسانی را در برابر ارزشهای کاذب و دروغین مشخص می سازد.

می فرماید: «ای مردم! ما شما را از یک مرد و زن آفریدیم، و شما را تیره ها و قبیله ها قرار دادیم تا یکدیگر را بشناسید» اینها ملاک امتیاز نیست (یا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا).

منظور از آفرینش مردم از یک مرد و زن همان بازگشت نسب انسانها به «آدم» و «حوّا» است، بنابر این چون همه از ریشه واحدی هستند معنی ندارد که از نظر نسب و قبیله بر یکدیگر افتخار کنند و اگر خداوند برای هر قبیله و طائفه ای ویژگی هایی آفریده برای حفظ نظم زندگی اجتماعی مردم است، چرا که این تفاوتها سبب شناسائی است. و بدون شناسایی افراد نظم در جامعه انسانی حکمفرما نمی شود.

به هر حال قرآن مجید بعد از آن که بزرگترین مایه مباهات و مفاخره عصر جاهلی یعنی نسب و قبیله را از کار می اندازد، به سراغ معیار واقعی ارزشی رفته می افزاید: «گرامی ترین شما نزد خداوند با تقواترین شماست» (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ).

به این ترتیب قلم سرخ بر تمام امتیازات ظاهری و مادی کشیده، و اصالت و واقعیت را به مسأله تقوا و پرهیزکاری و خدا ترسی می دهد، و می گوید: برای تقرب به خدا و نزدیکی به ساحت مقدس او هیچ امتیازی جز تقوا مؤثر نیست.

و از آنجا که تقوا یک صفت روحانی و باطنی است که قبل از هر چیز باید در قلب و جان انسان مستقر شود، و ممکن است مدعیان بسیار داشته باشد و متصفان کم، در آخر آیه می افزاید: «خداوند دانا و آگاه است» (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ).

پرهیزکاران را به خوبی می شناسد، و از درجه تقوا و خلوص نیت و پاکی و صفای آنها آگاه است، آنها را بر طبق علم خود گرامی می دارد و پاداش می دهد مدعیان دروغین را نیز می شناسد و کیفر می دهد. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۰۹

نکته ها: ص: ۵۰۹

۱- ارزشهای راستین و ارزشهای کاذب! ص: ۵۰۹

بدون شک هر انسانی فطرتاً خواهان این است که موجود با ارزش و پر افتخاری باشد، و به همین دلیل با تمام وجودش برای کسب ارزشها تلاش می کند.

ولی شناخت معیار ارزش، با تفاوت فرهنگها کاملاً متفاوت است، و گاه ارزشهای کاذب جای ارزشهای راستین را می گیرد.

گروهی ارزش واقعی خویش را در انتساب به قبیله معروف و معتبری می دانند.

مخصوصاً در میان اقوام جاهلی افتخار به انساب و قبائل، رایجترین افتخار موهوم بود، تا آنجا که هر قبیله ای خود را «قبیله برتر» و هر نژادی خود را «نژاد والا-تر» می شمرد، که متأسفانه هنوز رسوبات و بقایای آن در اعماق روح بسیاری از افراد و اقوام وجود دارد.

گروه دیگری مسأله مال و ثروت و داشتن کاخ و قصر و خدم و حشم و امثال این امور را نشانه ارزش می دانند.

و به همین ترتیب هر گروهی در مسیری گام بر می دارند و به ارزشی دل می بندند و آن را معیار می شمردند.

اما از آنجا که این امور همه اموری است متزلزل و برون ذاتی و مادی و زود گذر، یک آئین آسمانی همچون اسلام هرگز نمی تواند با آن موافقت کند، لذا خط بطلان روی همه آنها کشیده، و ارزش واقعی انسان را در صفات ذاتی او مخصوصاً تقوا

و پرهیزکاری و تعهد و پاکی او می‌شمرد حتی برای موضوعات مهمی، همچون علم و دانش، اگر در مسیر ایمان و تقوا و ارزشهای اخلاقی، قرار نگیرد اهمیت قائل نیست.

در کتاب «آداب النفوس» طبری آمده که پیامبر صلی الله علیه و اله در سرزمین «منی» در حالی که بر شتری سوار بود رو به سوی مردم کرد و فرمود: «ای مردم بدانید! خدای شما یکی است و پدرتان یکی، نه عرب بر عجم برتری دارد و نه عجم بر عرب، نه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۱۰»

سیاهپوست بر گندمگون و نه گندمگون بر سیاهپوست، مگر به تقوا آیا من دستور الهی را ابلاغ کردم؟ همه گفتند: آری! فرمود: این سخن را حاضران به غائبان برسانند»

۲- حقیقت تقوا: ص: ۵۱۰

از آیات قرآن به خوبی استفاده می‌شود که «تقوا» همان احساس مسئولیت و تعهدی است که به دنبال رسوخ ایمان در قلب بر وجود انسان حاکم می‌شود و او را از «فجور» و گناه باز می‌دارد، به نیکی و پاکی و عدالت دعوت می‌کند، اعمال آدمی را خالص و فکر و نیت او را از آلودگیها می‌شوید.

بعضی از بزرگان برای تقوا سه مرحله قائل شده‌اند:

۱- نگهداری نفس از عذاب جاویدان از طریق تحصیل اعتقادات صحیح.

۲- پرهیز از هر گونه گناه اعم از ترک واجب و فعل معصیت.

۳- خویشتنداری در برابر آنچه قلب آدمی را به خود مشغول می‌دارد و از حق منصرف می‌کند، و این تقوای خواص بلکه خاص الخاص است.

سورة الحجرات (۴۹): آية ۱۴ ص: ۵۱۰

اشاره

(آیه ۱۴)

شأن نزول: ص: ۵۱۰

بسیاری از مفسران شأن نزولی برای این آیه و آیه بعد ذکر کرده‌اند که خلاصه‌اش چنین است: جمعی از طایفه «بنی اسد» در یکی از سالهای قحطی و خشکسالی وارد مدینه شدند، و به امید گرفتن کمکی از پیامبر صلی الله علیه و اله شهادتین بر زبان جاری کردند، و به پیامبر صلی الله علیه و اله گفتند: «طوائف عرب بر مرکبها سوار شدند و با تو پیکار کردند، ولی ما با زن و فرزندان نزد تو آمدیم، و دست به جنگ نزدیم» و از این طریق می‌خواستند بر پیامبر صلی الله علیه و اله منت بگذارند. این آیه و آیه بعد نازل شد- و به آنها خاطر نشان کرد که اسلام آنها ظاهری است، و ایمان در اعماق قلبشان نیست.

فرق «اسلام» و «ایمان»: در آیه گذشته، سخن از معیار ارزش انسانها یعنی «تقوا» در میان بود، و از آنجا که «تقوا» ثمره شجره «ایمان» است، آن هم ایمانی که در اعماق جان نفوذ کند، در اینجا به بیان حقیقت «ایمان» پرداخته، چنین می گوید: «عربهای بادیه نشین گفتند: ایمان آورده‌ایم! به آنها بگو: شما ایمان برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۱۱

نیاورده‌اید ولی بگوئید اسلام آورده‌ایم، ولی هنوز ایمان وارد قلب شما نشده است!» (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ).

طبق این آیه تفاوت «اسلام» و «ایمان» در این است که «اسلام» شکل ظاهری قانونی دارد، و هر کس شهادتین را بر زبان جاری کند در سلك مسلمانان وارد می شود، و احکام اسلام بر او جاری می گردد. ولی ایمان یک امر واقعی و باطنی است و جایگاه آن قلب آدمی است، نه زبان و ظاهر او.

این همان چیزی است که در عبارت گویائی در بحث «اسلام و ایمان» آمده است، «فضیل بن یسار» می گوید: از امام صادق علیه السلام شنیدم فرمود: «ایمان با اسلام شریک است، اما اسلام با ایمان شریک نیست (و به تعبیر دیگر هر مؤمنی مسلمان است ولی هر مسلمانی مؤمن نیست) ایمان آن است که در دل ساکن شود، اما اسلام چیزی است که قوانین نکاح و ارث و حفظ خون بر طبق آن جاری می شود».

سپس در ادامه آیه می افزاید: «و اگر از خدا و رسولش اطاعت کنید (ثواب اعمالتان را بطور کامل می دهد) و چیزی از پاداش کارهای شما را فرو گذار نمی کند» (وَ إِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَا يَلْتَكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا). چرا که «خداوند آمرزنده مهربان است» (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ).

جمله‌های اخیر در حقیقت اشاره به یک اصل مسلم قرآنی است که شرط قبولی اعمال «ایمان» است، می گوید: اگر شما ایمان قلبی به خدا و پیامبر صلی الله علیه و اله داشته باشید - که نشانه آن اطاعت از فرمان خدا و رسول اوست - اعمال شما ارزش می یابد، و خداوند حتی کوچکترین حسنات شما را می پذیرد، و پاداش می دهد، و حتی به برکت این ایمان گناهان شما را می بخشد که او غفور و رحیم است.

سوره الحجرات (۴۹): آیه ۱۵ ص: ۵۱۱

(آیه ۱۵) - و از آنجا که دست یافتن بر این امر باطنی یعنی ایمان کار آسانی نیست در این آیه به ذکر نشانه‌های آن می پردازد، نشانه‌هایی که به خوبی مؤمن را از مسلم، و صادق را از کاذب، و آنها را که عاشقانه دعوت پیامبر صلی الله علیه و اله را پذیرفته‌اند، از برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۱۲

آنها که برای حفظ جان و یا رسیدن به مال دنیا اظهار ایمان می کنند جدا می سازد.

می فرماید: «مؤمنان واقعی تنها کسانی هستند که به خدا و رسولش ایمان آورده‌اند، سپس هرگز شک و ریبی به خود راه نداده، و با اموال و جانهای خود در راه خدا جهاد کرده‌اند» (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزْتَابُوا وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

آری! نخستین نشانه ایمان عدم تردید و دو دلی در مسیر اسلام است، نشانه دوم جهاد با اموال، و نشانه سوم که از همه برتر

است جهاد با انفس (جانها) است.

و لذا در پایان آیه می‌افزاید: «چنین کسانی راستگویانند» و روح ایمان در وجودشان موج می‌زند (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ). این معیار را که قرآن برای شناخت «مؤمنان راستین» از «دروغگویان متظاهر به اسلام» بیان کرده، معیاری است روشن و گویا برای هر عصر و زمان، برای جدا سازی مؤمنان واقعی از مدعیان دروغین، و برای نشان دادن ارزش ادعای کسانی که همه جا دم از اسلام می‌زنند و خود را طلبکار پیامبر صلی الله علیه و اله می‌دانند ولی در عمل آنها کمترین نشانه‌ای از ایمان و اسلام دیده نمی‌شود.

سورة الحجرات (۴۹): آیه ۱۶ ص : ۵۱۲

اشاره

(آیه ۱۶)

شأن نزول: ص : ۵۱۲

جمعی از مفسران گفته‌اند که: بعد از نزول آیات گذشته گروهی از اعراب خدمت پیامبر صلی الله علیه و اله آمدند و سوگند یاد کردند که در ادعای ایمان صادقند، و ظاهر و باطن آنها یکی است، آیه نازل شد (و به آنها اخطار کرد که نیازی به سوگند ندارد خدا درون و برون همه را می‌داند).

تفسیر: ص : ۵۱۲

منت نگذارید که مسلمان شده‌اید! در آیات گذشته نشانه‌های مؤمنان راستین بیان شده بود و چنانکه در شأن نزول ذکر شد جمعی از مدعیان اصرار داشتند که حقیقت ایمان در قلب آنها مستقر است، قرآن به آنها و به تمام کسانی که همانند آنها هستند اعلام می‌کند که نیازی به اصرار و سوگند نیست، در مسأله «ایمان» و «کفر» سر و کار شما با خدائی است که از همه چیز با خبر است.

مخصوصاً با لحنی عتاب آمیز در آیه مورد بحث می‌گویید: به آنها «بگو: آیا خدا را از ایمان خود با خبر می‌سازید؟ در حالی که خداوند تمام آنچه را در آسمانها برگزیده تفسیر نموده، ج ۴، ص: ۵۱۳ و زمین است می‌داند» (قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ). و برای تأکید بیشتر می‌افزاید: «و خداوند از همه چیز آگاه است» (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). ذات مقدس او عین علم است، و علمش عین ذات اوست، و به همین دلیل علمش ازلی و ابدی است.

سورة الحجرات (۴۹): آیه ۱۷ ص : ۵۱۳

(آیه ۱۷) - سپس به گفتگوی اعراب بادیه نشین باز می‌گردد که اسلام خود را به رخ پیامبر می‌کشیدند، و می‌گفتند: ما با تو از در تسلیم آمدیم در حالی که بسیاری از قبائل عرب از در جنگ آمدند.

قرآن در پاسخ آنها می‌گوید: «آنها بر تو منت می‌نهند که اسلام آورده‌اند!» (يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا).

به آنها «بگو: اسلام خود را بر من منت نگذارید» (قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ).

«بلکه خداوند بر شما منت می‌نهد که شما را به سوی ایمان هدایت کرد اگر (در ادعای ایمان) راستگو هستید!» (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).

منت بر دو گونه است: اگر جنبه عملی داشته باشد (به معنی بخشش نعمت گرانقدر) ممدوح است، و منت‌های الهی از این قبیل است، ولی اگر جنبه لفظی داشته باشد، مانند منت بسیاری از انسانها عملی است زشت و ناپسند.

«ایمان» قبل از هر چیز درک تازه‌ای از عالم هستی به انسان می‌دهد، حجابها پرده‌های خود خواهی و غرور را کنار می‌زند، افق دید انسان را می‌گشاید، و شکوه و عظمت بی‌مانند آفرینش را در نظر او مجسم می‌کند.

اینجاست که انسان باید هر صبح و شام شکر نعمت ایمان را به جا آورد و بعد از هر نماز و هر عبادت سر به سجده بگذارد، و خدا را بر این همه توفیق سپاس گوید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۱۴

سوره الحجرات (۴۹): آیه ۱۸ ص: ۵۱۴

(آیه ۱۸) - در این آیه که آخرین آیه سوره حجرات است باز هم آنچه را در آیه قبل آمده تأکید کرده، می‌فرماید: «خداوند غیب آسمانها و زمین را می‌داند، و نسبت به آنچه انجام می‌دهید بیناست» (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).

اصرار نداشته باشید که حتما مؤمن هستید، و نیازی به سوگند نیست، او در زوایای قلب شما حضور دارد، و از آنچه در آن می‌گذرد کاملاً-با خبر است. او از تمام اسرار اعماق زمین و غیب آسمانها آگاه است، بنابراین چگونه ممکن است از درون دل شما بی‌خبر باشد؟

«پایان سوره حجرات»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۱۵

سوره ق [۵۰] ص: ۵۱۵

اشاره

این سوره در «مکه» نازل شده، و دارای ۴۵ آیه است

محتوای سوره: ص: ۵۱۵

محور بحثهای این سوره مسأله «معاد» است و در مسائل مربوط به معاد انگشت روی امور زیر می‌گذارد.

۱- انکار و تعجب کافران از مسأله معاد (معاد جسمانی).

۲- استدلال بر مسأله معاد از طریق توجه به نظام آفرینش، و مخصوصاً احیای زمینهای مرده به وسیله نزول باران.

۳- استدلال بر مسأله معاد از طریق توجه به خلقت نخستین.

۴- اشاره به مسأله ثبت اعمال و اقوال برای «یوم الحساب».

۵- مسائل مربوط به مرگ و انتقال از این جهان به سرای دیگر.

۶- گوشه‌ای از حوادث روز قیامت و اوصاف بهشت و دوزخ.

۷- اشاره به حوادث تکان دهنده پایان جهان.

در این میان اشاراتی کوتاه و مؤثر به وضع اقوام طغیانگر پیشین و سرنوشت دردناک و شوم آنها- مانند قوم فرعون، عاد، لوط، شعیب، و تبع- نیز دستوراتی برای توجه به خدا و ذکر او به پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله داده شده است. و اشاره کوتاهی به عظمت قرآن در آغاز و پایان سوره به چشم می‌خورد.

فضیلت تلاوت سوره: ص : ۵۱۵

از روایات اسلامی استفاده می‌شود که پیامبر صلی الله علیه و اله اهمیت فراوانی برای این سوره قائل بود، تا آنجا که هر روز جمعه آن را در خطبه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۱۶ نماز جمعه قرائت می‌فرمود.

و نیز در حدیثی از امام باقر علیه السلام آمده است: «کسی که پیوسته در نمازهای فریضه و نافله سوره «ق» را بخواند خداوند روزی او را گسترده می‌کند، و نامه اعمالش را به دست راستش می‌دهد، و حساب او را در قیامت آسان می‌سازد». نیاز به یاد آوری ندارد که این همه افتخار و فضیلت تنها با خواندن الفاظ حاصل نمی‌شود، بلکه خواندن الفاظ سر آغازی است برای بیداری اندیشه‌ها و آن نیز وسیله‌ای است برای عمل صالح و هماهنگی با محتوای سوره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره ق(۵۰): آیه ۱ ص : ۵۱۶

(آیه ۱)- در اینجا بار دیگر در آغاز این سوره به بعضی از «حروف مقطعه» برخورد می‌کنیم و آن حرف «قاف» (ق) است. چنانکه قبلاً نیز گفته‌ایم یکی از تفسیرهای قابل توجه «حروف مقطعه» این است که «قرآن» با آن همه عظمت از مواد ساده‌ای همچون حروف «الفبا» تشکیل یافته، و این نشان می‌دهد که ابداع‌گر و نازل کننده قرآن مجید علم و قدرت بی‌پایان داشته که از چنین ابزار ساده‌ای چنان ترکیب عالی آفریده است.

برخی از مفسران نیز «ق» را اشاره به بعضی از اسماء الله مانند «قادر» و «قیوم» دانسته‌اند.

از جمله اموری که گواهی می‌دهد ذکر این حرف از حروف مقطعه برای بیان عظمت قرآن است این که بلافاصله بعد از آن می‌فرماید: «سوگند به قرآن مجید» که قیامت و رستاخیز حق است (وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ).

«مجید» از ماده «مجد» به معنی «شرافت گسترده» است قرآن عظمت و شرافتی بی‌پایان دارد ظاهرش زیبا، محتوایش عظیم، دستوراتش عالی، و برنامه‌هایش آموزنده و حیات‌بخش است.

سوره ق(۵۰): آیه ۲ ص: ۵۱۶

(آیه ۲) سپس به بیان پاره‌ای از ایرادهای بی‌اساس کفار و مشرکان عرب برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۱۷ پرداخته، از میان آنها به دو ایراد اشاره کرده، نخست می‌گوید: «آنها تعجب کردند که پیامبری انذارگر، از میان خودشان آمده، و کافران گفتند: این چیز عجیبی است؟! (بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ). این ایرادی است که قرآن بارها به آن و پاسخ آن اشاره کرده، و تکرار آن نشان می‌دهد که از ایرادهای اصلی کفار بوده که همواره آن را تکرار می‌کردند.

سوره ق(۵۰): آیه ۳ ص: ۵۱۷

(آیه ۳) - بعد از این ایراد به رسالت پیامبر صلی الله علیه و اله و اینکه چگونه از جنس بشر است؟ ایراد دیگری به محتوای دعوت او داشتند و انگشت روی مسأله‌ای می‌گذاشتند که برای آنها از هر نظر عجیب و غریب بود. آنها می‌گفتند: «آیا هنگامی که مردیم و خاک شدیم (دوباره به زندگی باز می‌گردیم) این بازگشتی بعید است؟! (أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ).

سوره ق(۵۰): آیه ۴ ص: ۵۱۷

(آیه ۴) - تنها در اینجا نیست که این ایراد را به پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله کردند، بارها گفتند، و بارها پاسخ شنیدند و باز هم از روی لجاجت تکرار کردند.

به هر حال قرآن مجید در اینجا از چند راه به آنها پاسخ می‌گوید:

نخست: به علم بی‌پایان خداوند اشاره کرده، می‌فرماید: «ما می‌دانیم آنچه را زمین از بدن آنها می‌کاهد و نزد ما کتابی است که همه چیز در آن محفوظ است» (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ).

اگر اشکال و ایراد شما به خاطر این است که استخوانهای آدمی می‌پوسد، و گوشت او خاک می‌شود، و جزء زمین می‌گردد و ذراتی از آن نیز تبدیل به بخار و گازهای پراکنده در هوا می‌گردد، چه کسی می‌تواند آنها را جمع آوری کند؟ و اصلاً چه کسی از آنها با خبر است؟

پاسخش معلوم است: خداوندی که علم او به تمام اشیاء احاطه دارد تمام این ذرات را می‌شناسد، و به هنگام لزوم همه را جمع آوری می‌کند، همان گونه که ذرات پراکنده آهن را در میان تلی از غبار با یک قطعه آهن ربا می‌توان جمع آوری کرد، جمع آوری ذرات پراکنده هر انسان برای خدا از این هم آسانتر است.

و اگر ایراد آنها این است که حساب اعمال انسان را چه کسی برای معاد برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۱۸ و رستاخیز نگه می‌دارد پاسخش این است که همه اینها در لوح محفوظ ثبت است، اصولاً چیزی در این عالم گم نمی‌شود، حتی اعمال شما باقی می‌ماند، هر چند تغییر شکل می‌دهد.

سوره ق(۵۰): آیه ۵ ص: ۵۱۸

(آیه ۵) - سپس به پاسخ دیگری می‌پردازد که بیشتر جنبه روانی دارد، می‌گوید: «بلکه آنها حق را هنگامی که به سراغشان آمد تکذیب کردند» (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ).

یعنی آنها آگاهانه منکر حق شده‌اند، و گر نه گرد و غباری بر چهره حق نیست، و چنانکه در آیات بعد می‌آید آنها صحنه معاد را با چشم خود مکرر در این دنیا می‌بینند و جای شک و تردید ندارد.

لذا در پایان آیه می‌افزاید: «از این رو پیوسته در کار پراکنده خود متحیرند» (فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ).

گاه پیامبر صلی الله علیه و اله را مجنون می‌خوانند، گاه کاهن، و گاه شاعر.

گاه می‌گویند: «بشری به او تعلیم می‌دهد!» و

این پراکنده گوئیها نشان می‌دهد که حق را دریافته‌اند، و به دنبال بهانه جوئی هستند و لذا هرگز روی یک حرف نمی‌ایستند.

سوره ق(۵۰): آیه ۶..... ص: ۵۱۸

(آیه ۶) - لحظه‌ای به آسمان بنگرید! قرآن همچنان بحث «دلایل معاد» را دنبال می‌کند، گاه از طریق قدرت بی‌انتهای حق و گاه از وجود صحنه‌های معاد در همین دنیا کمک می‌گیرد.

نخست توجه منکران را به آفرینش آسمانها جلب کرده، می‌گوید: «آیا به آسمان بالای سرشان نگاه نکردند که چگونه ما آن را بنا کرده‌ایم (بی آنکه ستون و پایه‌ای داشته باشد) و چگونه آن را (به وسیله ستارگان) زینت بخشیده‌ایم، و هیچ شکاف و شکستی در آن نیست!» (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ).

منظور از نگاه کردن در اینجا نگاهی توأم با اندیشه و تفکر است که انسان را به قدرت عظیم خالق این آسمان پهناور و شگفتیهایش آشنا سازد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۱۹

سوره ق(۵۰): آیه ۷..... ص: ۵۱۹

(آیه ۷) - سپس به عظمت آفرینش زمین پرداخته، می‌افزاید: «و زمین را گسترش دادیم و در آن کوههایی عظیم و استوار افکندیم، و از هر نوع گیاه بهجت انگیز در آن رویاندیم» (وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ).

آری! آفرینش زمین از یک سو، گسترش آن (بیرون آمدن از زیر آب) از سوی دیگر، پیدایش کوهها که ریشه‌های آن به هم پیوسته و همچون زرهی زمین را در برابر فشارهای درونی و برونی و جزر و مد‌های حاصل از جاذبه ماه و خورشید حفظ می‌کند، از سوی سوم، و پیدایش انواع گیاهان با آن همه عجائب و زیباییها از سوی چهارم همگی دلیل بر قدرت بی‌پایان اوست.

سوره ق(۵۰): آیه ۸..... ص: ۵۱۹

(آیه ۸) - در این آیه نتیجه گیری کرده، می‌گوید: همه اینها را آفریدیم «تا وسیله بینائی و یاد آوری برای هر بنده توبه کاری باشد!» (تَبْصِرَةً وَذِكْرًا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ).

آری! کسی که قدرت بر آفرینش آسمانها با آن همه عظمت و زیبایی، و زمین با این همه نعمت و جمال و نظم و حساب دارد، چگونه نمی‌تواند مردگان را بار دیگر لباس حیات ببوشاند، و قیامتی بر پا کند؟

سوره ق(۵۰): آیه ۹ ص: ۵۱۹

(آیه ۹) - در این آیه پایه استدلال دیگری را می‌نهد و می‌گوید: «و از آسمان آبی پر برکت نازل کردیم و به وسیله آن باغها و دانه‌هایی را که درو می‌کنند رویانندیم» (و نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ).

سوره ق(۵۰): آیه ۱۰ ص: ۵۱۹

(آیه ۱۰) - سپس می‌افزاید: «و (همچنین) نخلهای بلند قامت که میوه‌های متراکم دارند» (وَ النَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ).

سوره ق(۵۰): آیه ۱۱ ص: ۵۱۹

(آیه ۱۱) - در پایان این بخش می‌گوید: «همه اینها برای روزی بخشیدن به بندگان است، و به وسیله باران زمین مرده را زنده کردیم (آری) زنده شدن مردگان (و خروج آنها از قبرها) نیز همین گونه است!» (رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَ أَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ).

و به این ترتیب ضمن یادآوری نعمتهای عظیمش به بندگان، و تحریک حس برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۲۰ شکر گزاری آنها در مسیر شناخت او، به آنها یادآور می‌شود که شما نمونه معاد را همه سال در برابر چشمان خود در همین جهان می‌بینید، زمینهای مرده و خشک و خالی از هر گونه آثار زندگی بر اثر نزول قطرات باران به حرکت در می‌آیند، و غوغای رستاخیز را سر می‌دهند، از هر گوشه که گیاهی می‌روید «وحده لا شریک له» می‌گوید! این جنبش عظیم و حرکت به سوی حیات و زندگی در عالم گیاهان بیانگر این واقعیت است که آفریدگار عالم می‌تواند موجودات مرده را بار دیگر حیات بخشد چرا که «وقوع» چیزی اقوی دلیل بر «امکان» آن است.

سوره ق(۵۰): آیه ۱۲ ص: ۵۲۰

(آیه ۱۲) - تنها تو نیستی که گرفتار دشمنی! قرآن همچنان ادامه بحثهای مربوط به معاد از دریچه‌های مختلف را دنبال می‌کند، نخست برای دلداری پیامبر صلی الله علیه و اله می‌فرماید: فقط تو نیستی که این گروه کافر تو و محتوای دعوت را - خصوصاً در باره معاد - تکذیب کردند «پیش از آنان قوم نوح و اصحاب الراس و قوم ثمود (پیامبرانشان را) تکذیب کردند» (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ أَصْحَابُ الرَّسِّ وَ ثَمُودُ).

«قوم ثمود» همان قوم صالح پیامبر بزرگ خداست، که در سرزمین «حجر» در شما حجاز زندگی داشتند، و در مورد «اصحاب الرس» ، بسیاری عقیده دارند که آنها طائفه‌ای بودند که در سرزمین «یمامه» می‌زیستند و پیامبری به نام «حنظله» داشتند که او را تکذیب کردند و سرانجام در چاهش افکندند.

سوره ق(۵۰): آیه ۱۳ ص: ۵۲۰

(آیه ۱۳) - سپس می‌افزاید: «و هم چنین قوم عاد و فرعون و قوم لوط» (وَ عَادٌ وَ فِرْعَوْنُ وَ إِخْوَانُ لُوطٍ). منظور از برادران «لوط» همان قوم لوط است چرا که قرآن از این پیامبران بزرگ به عنوان برادر یاد کرده است.

سوره ق(۵۰): آیه ۱۴ ص: ۵۲۰

(آیه ۱۴) - «و نیز اصحاب الایکه [قوم شعیب و قوم تبع] که در سرزمین یمن زندگی می‌کردند (وَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَ قَوْمُ تُبَعٍ). «ایکه» به معنی درختان فراوان و درهم پیچیده، و یا به تعبیر دیگر بیشه مانند برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۲۱ است، و اصحاب الایکه گروهی از قوم شعیب هستند که در غیر شهر «مدین» زندگی می‌کردند، شهری که دارای درختان بسیار بود.

سپس به تمام این اقوام هشت گانه اشاره کرده، می‌گوید: «هر یک از آنها فرستادگان الهی را تکذیب کردند، و وعده عذاب من در باره آنها تحقق یافت» (كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ). این اقوام هم پیامبرانشان را تکذیب کردند، و هم مسأله توحید و معاد را، و سرانجام به سرنوشت دردناکی گرفتار شدند، بعضی گرفتار طوفان شدند، بعضی سیلاب، بعضی دیگر صاعقه، و بعضی زلزله، و یا غیر آن و سرانجام میوه تلخ تکذیب را چشیدند.

سوره ق(۵۰): آیه ۱۵ ص: ۵۲۱

(آیه ۱۵) - در این آیه به ذکر یکی دیگر از دلائل امکان رستاخیز پرداخته، می‌گوید: «آیا ما از آفرینش نخستین عاجز ماندیم» که قادر بر آفرینش رستاخیز نباشیم؟! (أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ). سپس می‌افزاید: آنها در آفرینش نخستین تردید ندارند، زیرا خالق انسانها را خدا می‌دانند «ولی آنها (با این همه دلائل روشن) باز در آفرینش جدید تردید دارند» (بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ). در حقیقت آنها بر اثر هوای نفس و تعصب و لجاجت گرفتار تناقضند، از یکسو خالق انسانها را در آغاز خداوند می‌دانند که همه را از خاک آفریده، اما از سوی دیگر وقتی به مسأله آفرینش مجدد انسانها از خاک می‌رسند آن را مطلبی عجیب و باور ناکردنی می‌شمرند، در حالی که هر دو مثل یکدیگرند.

سوره ق(۵۰): آیه ۱۶ ص: ۵۲۱

(آیه ۱۶) - کمترین سخنان شما را هم می‌نویسند! در اینجا بخش دیگری از مسائل مربوط به معاد مطرح می‌شود و آن مسأله ثبت و ضبط اعمال انسانها برای روز حساب است.

نخست از علم بی‌پایان خدا و احاطه علمی او به انسانها سخن گفته، می‌فرماید: «ما انسان را آفریدیم و وسوسه‌های نفس او را می‌دانیم» (وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ نَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۲۲ منظور از کلمه «توسوس» در اینجا این است که وقتی خداوند از خطورات قلبی آنها و وسوسه‌های زودگذری که از فکر آنها می‌گذرد آگاه است مسلماً از تمام عقائد و اعمال و گفتار آنها با خبر می‌باشد، و حساب همه را برای روز حساب نگه می‌دارد.

آری! او خالق است، و خلقتش دائم و مستمر، و ما در جمیع حالات وابسته به وجود او هستیم، با این حال چگونه ممکن است او از ظاهر و باطن ما بی‌خبر باشد؟! و در ذیل آیه برای روشنتر ساختن مطلب می‌افزاید: «و ما به او از رگ قلبش نزدیک‌تریم» (وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ).

این همان است که در جای دیگر می‌گوید: «بدانید خداوند بین انسان و قلب او حائل می‌شود، و همه شما نزد او در قیامت جمع خواهید شد». (انفال/ ۲۴) البته همه اینها تشبیه است و قرب خداوند از این هم برتر و بالاتر است، هر چند مثالی از اینها رساتر در محسوسات پیدا نمی‌شود.

توجه به این واقعیت انسان را بیدار می‌کند، و به مسؤولیت سنگین و پرونده دقیق او در دادگاه عدل الهی آشنا می‌سازد، و از انسان بی‌خبر و بی‌تفاوت، موجودی هوشیار و سر به راه و متعهد و با تقوا به وجود می‌آورد.

سوره ق(۵۰): آیه ۱۷ ص: ۵۲۲

(آیه ۱۷) - در این آیه می‌افزاید: به خاطر بیاورید «هنگامی را که دو فرشته راست و چپ که ملازم انسان هستند اعمال او را دریافت می‌دارند» (إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ).

یعنی علاوه بر احاطه علمی خداوند به ظاهر و باطن انسان، دو فرشته نیز مأمور حفظ و نگاهداری حساب اعمال اویند که از طرف راست و چپ از او مراقبت می‌کنند، پیوسته با او هستند و لحظه‌ای جدا نمی‌شوند، تا از این طریق اتمام حجت بیشتری شود، و تأکیدی باشد بر مسأله نگاهداری حساب اعمال.

در روایات اسلامی آمده است که: «فرشته سمت راست، نویسنده حسنات است، و فرشته سمت چپ نویسنده سیئات، و فرشته اول فرمانده فرشته دوم برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۲۳

است، هنگامی که انسان عمل نیکی انجام دهد، فرشته سمت راست ده برابر می‌نویسد، و هنگامی که عمل بدی از او سرزند، و فرشته سمت چپ می‌خواهد آن را بنویسد، فرشته اول می‌گوید: عجله مکن. لذا او هفت ساعت به تأخیر می‌اندازد، اگر پشیمان شد و توبه کرد چیزی نمی‌نویسد، و اگر توبه نکرد تنها یک گناه برای او می‌نویسد»

سوره ق(۵۰): آیه ۱۸ ص: ۵۲۳

(آیه ۱۸) - این آیه باز روی مسأله فرشتگان ثبت اعمال تکیه کرده، می‌گوید: «انسان هیچ سخنی را بر زبان نمی‌آورد مگر این که همان دم فرشته‌ای مراقب و آماده برای انجام مأموریت (و ضبط آن) است» (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ).

در آیه گذشته سخن از ثبت تمامی اعمال آدمی بود، و در این آیه روی خصوص الفاظ و سخنان او تکیه می‌کند، و این به خاطر اهمیت فوق العاده و نقش مؤثری است که گفتار در زندگی انسانها دارد، تا آنجا که گاهی یک جمله مسیر اجتماعی آنها را به سوی خیر یا شر تغییر می‌دهد.

سوره ق(۵۰): آیه ۱۹ ص: ۵۲۳

(آیه ۱۹) - قیامت و چشمهای تیز بین! در اینجا باز صحنه‌های دیگری از مسائل مربوط به «معاد» منعکس است: صحنه «مرگ»

صحنه «نفع صور» و صحنه «حضور در محشر».

نخست می‌فرماید: «و سر انجام سكرات (و بیخودی در آستانه) مرگ به حق فرا می‌رسد» (وَ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ). «سکره مرگ» حالتی است شبیه به «مستی» که بر اثر فرا رسیدن مقدمات مرگ، به صورت هیجان و انقلاب فوق العاده‌ای به انسان دست می‌دهد، و گاه بر عقل او چیره می‌گردد، و او را در اضطراب و نا آرامی شدیدی فرو می‌برد. چرا که روح سالیان دراز با این تن خو گرفته و پیوند داشته است.

علی علیه السلام ترسیم زنده و گویائی از لحظه مرگ و سكرات آن دارد، می‌فرماید:

«سكرات مرگ، توأم با حسرت از دست دادن آنچه داشتند بر آنها هجوم می‌آورد، اعضای بدنشان سست می‌گردد، و رنگ از صورت‌هایشان می‌پرد کم کم مرگ در آنها نفوذ کرده، میان آنها و زبان‌شان جدائی می‌افکند، در حالی که او در میان برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۲۴

خانواده خویش است، با چشمش می‌بیند و با گوشش می‌شنود و عقل و هوشش سالم است، اما نمی‌تواند سخن بگوید! در این می‌اندیشد که عمرش را در چه راه فانی کرده؟ و روزگارش را در چه راهی سپری نموده است؟! به یاد ثروت‌هایی می‌افتد که در تهیه آن چشم بر هم گذارده، و از حلال و حرام و مشکوک جمع آوری نموده، و تبعات و مسؤولیت گرد آوری آن را بر دوش می‌کشد، در حالی که هنگام جدائی و فراق از آنها رسیده است او به دست بازماندگان می‌افتد، آنها از آن متنعم می‌شوند و بهره می‌گیرند اما مسؤولیت و حسابش بر اوست؟

سپس قرآن ادامه می‌دهد: به کسی که در حال سكرات مرگ است گفته می‌شود: «این همان چیزی است که تو از آن می‌گریختی!» (ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ).

آری! مرگ واقعیتی است که غالب افراد از آن می‌گریزند، به خاطر این که آن را «فنا» می‌دانند، نه دریچه‌ای به عالم «بقاء» یا به خاطر علائق و پیوندهای شدیدی که با دنیا و مواهب مادی دارند و نمی‌توانند از آن دل بر کنند، و یا به خاطر تاریکی نامه اعمالشان! هر چه هست از آن گریزانند، اما چه سود که این سرنوشتی است که در انتظار همگان است، و احدی را توان فرار از آن نیست.

سوره ق(۵۰): آیه ۲۰ ص: ۵۲۴

(آیه ۲۰) - سپس به مسأله نفع صور پرداخته، می‌فرماید: «و در صور دمیده می‌شود و آن روز روز تحقق وعده وحشتناک است» (وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ).

منظور از «نفع صور» در اینجا همان نفع دوم است که نفعه «قیام» و «جمع» و «حضور» است، نفعه‌ای است که در آغاز «رستاخیز» انجام می‌گیرد، و با آن، همه انسانها زنده می‌شوند، و از قبرها برخاسته، برای حساب و جزا در محضر عدل الهی حاضر می‌شوند.

سوره ق(۵۰): آیه ۲۱ ص: ۵۲۴

(آیه ۲۱) - در این آیه وضع انسانها را به هنگام ورود در محشر چنین بیان می‌کند: «و (در آن روز) هر انسان وارد محشر می‌شود، در حالی که همراه او برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۲۵

حرکت دهنده و گواهی است» (وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ).
درست همچون دادگاههای این جهان که مأموری همراه شخص متهم است و شاهدی بر اعمال او، شهادت می دهد.

سوره ق(۵۰): آیه ۲۲ ص: ۵۲۵

(آیه ۲۲) - در اینجا به مجرمان، یا به همه انسانها، خطاب می شود که: «تو از این صحنه (و دادگاه بزرگ) غافل بودی، و ما پرده را از چشم تو کنار زدیم، و امروز چشمت کاملاً تیز بین است!» (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ).

آری! پرده های جهان ماده: آمال و آرزوها، عشق و علاقه به دنیا، زن و فرزند و مال و مقام، هوسهای سرکش و حسادتها، تعصب و جهل و لجاجت به تو اجازه نمی داد که امروز را از همان زمان بنگری، با این که نشانه های معاد و رستاخیز روشن بود و دلایل آن آشکار! امروز گرد و غبار غفلت فرو نشسته، حجابهای جهل و تعصب و لجاج کنار رفته، پرده های شهوات و آمال و آرزوها دریده شده، حتی آنچه در پرده غیب مستور بوده ظاهر گشته است.

سوره ق(۵۰): آیه ۲۳ ص: ۵۲۵

(آیه ۲۳) - همنشینان انسان از فرشتگان و شیاطین: باز در اینجا صحنه دیگری از معاد ترسیم شده، صحنه تکان دهنده ای که فرشته قرین انسان، محکومیت او را بر ملا می سازد، و فرمان خداوند برای مجازات او صادر می شود.
نخست می فرماید: «فرشته همنشین او می گوید: این نامه اعمال اوست که نزد من حاضر و آماده است» و از تمام کارهای کوچک و بزرگ او در سراسر عمر پرده بر می دارد (وَ قَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ).
منظور از «قرین» در اینجا فرشته ای است که در دنیا همراه انسان و مأمور ضبط اعمال اوست، و در دادگاه عدل الهی گواهی می دهد.

سوره ق(۵۰): آیه ۲۴ ص: ۵۲۵

(آیه ۲۴) - سپس خداوند دو فرشته مأمور ثبت اعمال را مخاطب ساخته، فرمان می دهد: «هر کافر متکبر لجوج را در جهنم افکنید» (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ).
برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۲۶

سوره ق(۵۰): آیه ۲۵ ص: ۵۲۶

(آیه ۲۵) - در این آیه به چند وصف از اوصاف زشت و مذموم این کافران عنید اشاره کرده، می گوید: «همان کسی که به شدت مانع خیر است و متجاوز، و در شک و تردید است» حتی دیگران را به تردید می افکند (مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ).

سوره ق(۵۰): آیه ۲۶ ص: ۵۲۶

(آیه ۲۶) - باز در ادامه اوصاف این گروه عنید می‌افزاید: «همان کسی که معبود دیگری با خدا قرار داده» و راه شرک و دوگانگی را پیش گرفته است (الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ). آری «او را در عذاب شدید بیفکنید» (فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ).

سوره ق(۵۰): آیه ۲۷ ص: ۵۲۶

(آیه ۲۷) - این آیه پرده از روی ماجرای دیگری از سرنوشت این گروه کافر لجوج بر می‌دارد، و آن مخاصمه و بحثی است که با شیطان در قیامت دارند، آنها تمام گناهان خویش را به گردن شیاطین اغواگر می‌افکنند، می‌فرماید: «و همنشینش (از شیاطین) می‌گوید: پروردگارا! من او را به طغیان و نداشتن (و به اجبار در این راه نیاوردم او خودش با میل و اراده خویش این راه را برگزید) و او در گمراهی دور و درازی بود» (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ وَ لَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ).

سوره ق(۵۰): آیه ۲۸ ص: ۵۲۶

(آیه ۲۸) - گر چه در این آیات تنها سخن از دفاع شیطان به میان آمده و سخنی از اعتراض کفار بر شیطان دیده نمی‌شود، ولی به قرینه سایر آیات قرآن که آنها در قیامت با هم جر و بحث می‌کنند و به قرینه آیه مورد بحث گفتار طرفین اجمالاً روشن می‌شود، زیرا در این آیه می‌خوانیم: خدا «فرمود: نزد من جدال و مخاصمه نکنید، من پیشتر به شما هشدار داده‌ام» و اتمام حجت کرده‌ام (قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ).

سوره ق(۵۰): آیه ۲۹ ص: ۵۲۶

(آیه ۲۹) - سپس برای تأکید بیشتر می‌افزاید: «سخن من تغییر ناپذیر است، و من هرگز به بندگانم ستم نخواهم کرد» (مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَ مَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ). این آیات دلیل بر اختیار و آزادی اراده بندگان است، نه شیطان مجبور است شیطنت کند، و نه کافران مجبورند راه کفر و عناد و راه شیطان را پیش گیرند و نه سرنوشت قطعی و خارج از اراده برای کسی مقرر شده است.

سوره ق(۵۰): آیه ۳۰ ص: ۵۲۶

(آیه ۳۰) - در این آیه به فراز کوتاه و تکان دهنده‌ای از حوادث قیامت اشاره برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۲۷ کرده، می‌گوید: به خاطر بیاورید «روزی را که به جهنم می‌گوئیم: آیا پر شده‌ای؟! و او می‌گوید: آیا افزون بر این هم هست!» (يَوْمَ نَقُولُ لِيَجْهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ). این آیه به خوبی نشان می‌دهد که دوزخیان بسیارند و جهنم منظره هولناک و وحشتناکی دارد و تهدید الهی جدی است، و به گونه‌ای است که فکر در باره آن لرزه بر اندام هر انسانی می‌افکند.

سوره ق(۵۰): آیه ۳۱ ص: ۵۲۷

(آیه ۳۱) - با توجه به این که بحثهای این سوره غالباً بر محور مسأله معاد و اموری که در ارتباط با آن است دور می‌زند و با توجه به این که در آیات گذشته از چگونگی افکندن کفار لجوج در جهنم و شدت عذاب آنها و صفاتی که آنها را به دوزخ می‌کشد سخن به میان آمد، در اینجا صحنه دیگری را ترسیم می‌کند، صحنه داخل شدن پرهیزکاران به بهشت با احترام کامل، و اشاره به انواع نعمتهای بهشتی و صفاتی که انسان را در صف بهشتیان قرار می‌دهد، تا در مقایسه با یکدیگر حقایق روشنتر گردد.

نخست می‌فرماید: «و در آن روز بهشت را به پرهیزکاران نزدیک می‌کنند و فاصله‌ای از آنان ندارد!» (وَ أُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ).

سوره ق(۵۰): آیه ۳۲ ص: ۵۲۷

(آیه ۳۲) - سپس در شرح اوصاف بهشتیان می‌گوید: «این چیزی است که به شما وعده داده می‌شود و برای کسانی است که به سوی خدا باز می‌گردند، و پیمانها و احکام او را حفظ می‌کنند» (هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ).

سوره ق(۵۰): آیه ۳۳ ص: ۵۲۷

(آیه ۳۳) - در ادامه این اوصاف در این آیه به دو وصف دیگر آنها اشاره می‌کند - که در حقیقت توضیح و تفسیری است برای اوصاف گذشته - می‌فرماید:

«آن کسی که از خداوند رحمان در نهان بترسد و با قلبی پر انابه در محضر او حاضر شود» (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَ جَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ).

آنها نه فقط در حضور جمع که در تنهایی و خلوت نیز مرتکب گناهی نمی‌شوند.

این خوف و خشیت سبب می‌شود که قلب آنها «منیب» باشد، دائماً متوجه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۲۸ خدا گردد، و به طاعت او اقبال کند، و از هر گناه و لغزشی توبه نماید، و این حال را تا پایان عمر ادامه دهد و با همین حالت وارد عرصه محشر گردد.

سوره ق(۵۰): آیه ۳۴ ص: ۵۲۸

(آیه ۳۴) - سپس می‌افزاید: کسانی که دارای این چهار صفتند هنگامی که بهشت به آنها نزدیک می‌شود، فرشتگان الهی به عنوان احترام و اکرام به آنها می‌گویند: «به سلامت وارد بهشت شوید» (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ). سلامت از هر گونه بدی و ناراحتی و آفت و بلا و کیفر و عذاب، سلامت کامل از نظر جسم و جان.

سپس برای آرامش خاطر آنها اضافه می‌کند: «امروز، روز جاودانگی است» جاودانی نعمتها، و جاودانی بهشت با تمام مواهبش (ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ).

سوره ق(۵۰): آیه ۳۵ ص: ۵۲۸

(آیه ۳۵) - و به دنبال این دو موهبت - بشارت سلامت، و بشارت جاودانگی در بهشت - خداوند منان دو بشارت دیگر به آنها می‌دهد که مجموعاً چهار بشارت است همانند چهار وصفی که آنها داشتند، می‌فرماید: «هر چه بخواهند در آنجا برای آنها هست» (لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ فِيهَا).

و علاوه بر آن «نزد ما نعمتهای بیشتری است» که به فکر هیچ کس نمی‌رسد (وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ).
تعبیری از این زنده‌تر و رساتر و دل‌انگیزتر تصور نمی‌شود.

سوره ق(۵۰): آیه ۳۶ ص: ۵۲۸

(آیه ۳۶) - بعد از پایان گرفتن گفتگو پیرامون بهشت و دوزخ، صفات بهشتیان و دوزخیان، و درجات و درکات آنها، برای نتیجه‌گیری کامل از این بحث، مجرمان را مورد توجه قرار داده، می‌فرماید: «چه بسیار اقوامی را که پیش از آنها هلاک کردیم، اقوامی که از آنها قویتر بودند، و شهرها (و کشورها) را گشودند» اما بر اثر کفر و ظلم و بیدادگری و گناه نابود شدند (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ).

«آیا هیچ راه فراری (از عذاب الهی برای این گونه افراد) وجود دارد؟ (هَلْ مِنْ مَّخِصٍ).

آیه به کفّار لجوج معاصر پیامبر صلی الله علیه و اله هشدار می‌دهد که سری به تاریخ گذشتگان بزنند و آثار آنها را بر صفحات تاریخ و صفحه روی زمین بنگرند، ببینند برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۲۹
خداوند با اقوام سرکشی که پیش از آنها بودند چه کرد؟ اقوامی که از آنها پر جمعیت‌تر و با قدرت‌تر بودند، آنگاه به آینده خود بیندیشند.

سوره ق(۵۰): آیه ۳۷ ص: ۵۲۹

(آیه ۳۷) - در این آیه برای تأکید بیشتر می‌افزاید: «قطعاً در این (سرگذشت پیشینیان) تذکر است، برای آن کس که عقل دارد، یا گوش فرا دهد در حالی که حاضر باشد!» (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ).

منظور از «قلب» در اینجا و در دیگر آیات قرآن که بحث از درک مسائل می‌کند همان «عقل» و شعور و ادراک است.
مجموع آیه چنین معنی می‌دهد، دو گروه می‌توانند از این مواضع، پند و اندرز گیرند، نخست آنها که دارای ذکاوت و عقل و هوشند، و خود مستقلاً می‌توانند مسائل را تحلیل کنند، و دیگر کسانی که در این حد نیستند اما می‌توانند «مستمع» خوبی برای دانشمندان باشند، و با حضور قلب به سخنان آنها گوش فرا دهند و حقایق را از طریق ارشاد و راهنمایی آنها فرا گیرند.

سوره ق(۵۰): آیه ۳۸ ص: ۵۲۹

(آیه ۳۸) - آفریدگار آسمانها و زمین قادر بر احیای مردگان است در تعقیب آیات گذشته و دلایل مختلفی که در باره معاد در آن آمده بود، در اینجا به یکی دیگر از دلایل امکان معاد اشاره کرده و بعد از آن به پیامبر صلی الله علیه و اله دستور صبر و شکیبائی و تسبیح و حمد پروردگار می‌دهد، تا کار شکنیهای مخالفان را از این طریق تحمل و خنثی کند.

نخست می‌فرماید: «و ما آسمانها و زمین و آنچه را در میان آن است در شش روز [شش دوران آفریدیم، و هیچ گونه رنج و سختی به ما نرسید!» (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ).

بدیهی است کسی که قدرتش محدود است اگر بخواهد کاری انجام دهد که بیش از توان او باشد خسته و درمانده و وامانده می‌شود، ولی در مورد وجودی که قدرتش نامحدود و توانایش بی‌نهایت است این امور مفهومی ندارد. بنابراین چنین کسی توانائی دارد که انسان را بعد از مردن بار دیگر به حیات بازگرداند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۳۰

سوره ق(۵۰): آیه ۳۹ ص: ۵۳۰

(آیه ۳۹) - بعد از ذکر دلائل مختلف معاد و ترسیم صحنه‌های مختلفی از قیامت چون به هر حال گروهی تسلیم حق نیستند و لجاجت و پافشاری بر باطل دارند پیامبر صلی الله علیه و اله را مخاطب قرار داده، می‌گوید: «در برابر آنچه آنها می‌گویند شکینا باش» (فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ). چرا که تنها با نیروی صبر و استقامت می‌توان بر این مشکلات پیروز شد، و توطئه‌های دشمن را درهم شکست، و نسبت‌های ناروای آنها را در مسیر حق تحمل کرد. و از آنجا که صبر و استقامت نیاز به پشتوانه‌ای دارد، و بهترین پشتوانه یاد خدا و ارتباط با مبدأ علم و قدرت جهان آفرین است در دنبال این دستور می‌افزاید: «و پیش از طلوع آفتاب و پیش از غروب تسبیح و حمد پروردگارت را به جا آور» (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ).

سوره ق(۵۰): آیه ۴۰ ص: ۵۳۰

(آیه ۴۰) - همچنین «در بخشی از شب او را تسبیح کن و بعد از سجده‌ها» (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ أَدْبَارَ السُّجُودِ). این یاد مداوم و تسبیح مستمر همچون قطره‌های حیاتبخش باران بر سرزمین قلب و جان تو می‌ریزد، و آن را سیراب می‌کند، دائما به تو نشاط و حیات می‌بخشد و به استقامت در مقابل مخالفان لجوج دعوت می‌کند. تسبیح خداوند در این مواقع چهار گانه اشاره به نمازهای پنجگانه روزانه و بعضی از نوافل پر فضیلت است، به این ترتیب که «قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ» اشاره به نماز صبح است، زیرا آخر وقت آن طلوع آفتاب می‌باشد. «وَقَبْلَ الْغُرُوبِ» اشاره به نماز ظهر و عصر است، چرا که آخر وقت هر دو غروب آفتاب است. «وَمِنَ اللَّيْلِ» نماز مغرب و عشا را بیان می‌کند، «وَأَدْبَارَ السُّجُودِ» نظر به نافله‌های مغرب دارد که بعد از مغرب به جا آورده می‌شود.

سوره ق(۵۰): آیه ۴۱ ص: ۵۳۰

(آیه ۴۱) - با صیحه رستاخیز همه زنده می‌شوند: در این آیه همانند سایر آیات این سوره تکیه بر مسأله معاد و رستاخیز شده و باز گوشه دیگری از آن را برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۳۱ مطرح می‌کند، و آن مسأله نفخ صور و خروج مردگان از قبر است. می‌فرماید: «و گوش فرا ده و منتظر روزی باش که منادی از مکانی نزدیک ندا می‌دهد» (وَ اسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ

قَرِيبٍ).

یعنی این صدا آن چنان در فضا پخش می‌شود که گویی بیخ گوش همه است.

سوره ق(۵۰): آیه ۴۲ ص: ۵۳۱

(آیه ۴۲) - «روزی که همگان صیحه رستاخیز را به حق می‌شنوند، آن روز، روز خروج (از قبرها) است!» (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ).

مخاطب در «و استمع» (گوش فراده) گر چه شخص پیامبر صلی الله علیه و اله است ولی مسلماً مقصود همه انسانها هستند. و منظور از «گوش فرادادن» یا انتظار کشیدن است، زیرا کسانی که در انتظار حادثه‌ای به سر می‌برند که با صدای وحشتناکی شروع می‌شود دائماً گوش فرا می‌دهند، و منتظرند. و یا منظور گوش فرا دادن به این سخن الهی است، و معنی چنین می‌شود: «این سخن را بشنو که پروردگارت در باره صیحه رستاخیز می‌گوید».

این منادی همان «اسرافیل» است که در «صور» می‌دمد، و در آیات قرآن نه با نام بلکه با تعبیرات دیگری به او اشاره شده است.

سوره ق(۵۰): آیه ۴۳ ص: ۵۳۱

(آیه ۴۳) - و برای این که روشن شود حاکم در این دادگاه بزرگ کیست؟ می‌افزاید: «مائیم که زنده می‌کنیم و می‌میرانیم و بازگشت تنها به سوی ماست» (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ).

سوره ق(۵۰): آیه ۴۴ ص: ۵۳۱

(آیه ۴۴) - سپس برای توضیح بیشتر در باره بازگشت مردم به سوی خداوند می‌فرماید: «روزی که زمین بسرعت از روی آنها شکافته می‌شود و (از قبرها) خارج می‌گردند» (يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا).

و در پایان آیه می‌افزاید: «و این جمع کردن (مردم در قیامت) برای ما آسان است» (ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ).

روشن است خداوندی که آفریننده آسمانها و زمین و آنچه در میان آن دو است حشر و نشور مردگان برای او کار ساده‌ای می‌باشد.

سوره ق(۵۰): آیه ۴۵ ص: ۵۳۱

(آیه ۴۵) - و در این آیه که آخرین آیه این سوره است بار دیگر به پیامبرش در برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۳۲ مقابل مخالفان سرسخت و لجوج تسلی و دل‌داری می‌دهد و می‌فرماید: «ما به آنچه آنها می‌گویند آگاه‌تریم» (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ).

«و تو مأمور اجبار آنها (به ایمان) نیستی» (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ).

وظیفه تو تنها ابلاغ رسالت، و دعوت به سوی حق و بشارت و انذار است «پس به وسیله قرآن، کسانی را که از عذاب من می‌ترسند متذکر ساز» (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ).

اشاره به این که قرآن برای انذار و بیدار ساختن افراد مؤمن کافی است هر صفحه‌ای از آن یاد آور قیامت، و آیات مختلفش بازگو کننده سرنوشت پیشینیان و توصیفهایش از مواهب بهشتی و عذابهای دوزخی و حوادثی که در آستانه رستاخیز و در دادگاه عدل الهی واقع می‌شود بهترین پند و اندرز برای همگان است.

«پایان سوره ق»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۳۳

سوره ذاریات [۵۱] ص: ۵۳۳

اشاره

این سوره در «مکه» نازل شده و دارای ۶۰ آیه است

مختوای سوره: ص: ۵۳۳

محور بحث در این سوره در درجه اول، مسائل مربوط به معاد و رستاخیز و پاداش و کیفر مؤمنان و مجرمان است، و بطور کلی می‌توان گفت مباحث این سوره بر پنج محور زیر دور می‌زند:

۱- قسمت مهمی از آن را مباحث معاد تشکیل می‌دهد یعنی آغاز و پایان سوره با معاد است.

۲- بخش دیگری از این سوره ناظر به مسأله توحید و آیات و نشانه‌های خدا در نظام آفرینش است که طبعا بحثهای معاد را تکمیل می‌کند.

۳- در بخش دیگر، از داستان فرشتگانی که میهمان ابراهیم (ع) شدند و مأمور درهم کوبیدن شهرهای قوم لوط بودند بحث می‌کند.

۴- آیات دیگری از این سوره اشارات کوتاهی به داستان موسی (ع) و قوم عاد و ثمود و قوم نوح دارد.

۵- و بالاخره قسمت دیگری از این سوره، مبارزه اقوام متعصب و لجوج را با انبیاء گذشته بازگو کرده، و پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله را که در برابر مخالفین سر سخت قرار داشت از این طریق دلداری می‌دهد، و دعوت به استقامت می‌کند.

فضیلت تلاوت سوره: ص: ۵۳۳

در حدیثی از امام صادق علیه السلام آمده است: «هر کس سوره ذاریات را در روز یا شب بخواند خداوند وضع زندگی و معیشت او را اصلاح برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۳۴

می‌کند، روزی وسیعی به او می‌دهد، و قبر او را با چراغی روشن می‌سازد که تا روز قیامت می‌درخشد!» کرارا گفته‌ایم تنها لقلقه زبان برای رسیدن به این همه پاداش عظیم کافی نیست بلکه هدف تلاوتی است اندیشه برانگیز، و اندیشه‌ای عمل آفرین! ضمنا نامگذاری سوره به «ذاریات» به تناسب نخستین آیه این سوره است.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۱ ص: ۵۳۴

(آیه ۱) - سوگند به طوفانها و ابرهای باران زا! بعد از سوره «و الصّافات» این دومین سوره‌ای است که با سوگندهای مکرر آغاز می‌شود، سوگندهائی پر معنی و تفکر آفرین، سوگندهائی بیدار کننده و آگاهی‌بخش. جالب این که محتوای این سوگندها ربط خاصی با مباحث رستاخیز دارد، و با ظرافت و زیبایی مخصوصی این بحث مهم را از جوانب گوناگون تعقیب می‌کند. حقیقت این است که سوگندهای قرآن که تعداد آن زیاد است یکی از چهره‌های اعجاز این کتاب آسمانی و از زیباترین و درخشنده‌ترین فرازهای آن است که شرح هر کدام در جای خود خواهد آمد. در آغاز این سوره خداوند به پنج موضوع مختلف سوگند یاد کرده است. نخست می‌فرماید: «سوگند به بادهائی که (ابرها را) به حرکت در می‌آورند» (وَ الذّٰرِیٰتِ ذَرْوًا). و گرد و غبارها و بذر گیاهان و نطفه‌های گلها را در روی زمین به هر سو می‌پراکنند.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۲ ص: ۵۳۴

(آیه ۲) - سپس می‌افزاید: «سوگند به آن ابرها که بار سنگینی (از باران را) با خود حمل می‌کنند» (فَالْحَامِلَاتِ وُقْرًا).

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۳ ص: ۵۳۴

(آیه ۳) - «و سوگند به کشتیهائی که (بر رودخانه‌های عظیم و صفحه دریاها) به آسانی به حرکت در می‌آیند» (فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا).

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۳۵

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۴ ص: ۵۳۵

(آیه ۴) - «و سوگند به فرشتگانی که کارها را تقسیم می‌کنند» (فَالْمُقَسَّمَاتِ أُمْرًا).

به این ترتیب سخن از بادهای، سپس ابرها، و بعد از آن نهرها، و سرانجام روئیدن گیاهان است که تناسب نزدیکی با مسأله معاد که بعد از آن آمده دارد، زیرا می‌دانیم که یکی از دلایل امکان معاد مسأله زنده کردن زمینهای مرده به وسیله نزول باران است که بارها در قرآن با عبارات مختلف ذکر شده است.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۵ ص: ۵۳۵

(آیه ۵) - بعد از ذکر این چهار سوگند - که همه بیانگر اهمیت مطلبی است که بعد از آن می‌آید - می‌فرماید: «آنچه به شما وعده داده شده قطعاً راست است» (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ).

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۶ ص: ۵۳۵

(آیه ۶) - و بار دیگر به عنوان تأکید می‌افزاید: «و بی شک (رستاخیز و) جزای اعمال واقع شدنی است» (وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ). «دین» در اینجا به معنی جزاست، و اصولاً یکی از نامهای قیامت «یوم الدین» (روز جزا) است و از آن روشن می‌شود که منظور از وعده‌های واقع شدنی در اینجا وعده‌های مربوط به قیامت و حساب و پاداش و کیفر و بهشت و دوزخ و سایر امور مربوط به معاد است، بنابراین جمله اول تمام وعده‌های قیامت را شامل می‌شود، و جمله دوم تأکیدی است بر مسأله جزا.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۷ ص: ۵۳۵

(آیه ۷) - سوگند به آسمان و چین و شکنهای زیبایش! این آیه همچون آیات گذشته با سوگند شروع می‌شود، نخست می‌فرماید:

«سوگند به آسمان که دارای چین و شکنهای زیباست» (وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ).

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۸ ص: ۵۳۵

(آیه ۸) - این آیه به جواب قسم یعنی مطلبی که به خاطر آن سوگند یاد شده است پرداخته، می‌افزاید: «همه شما (در باره قیامت) در گفتاری مختلف و گوناگون هستید» (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ). پیوسته ضد و نقیض می‌گوئید، و همین تناقض گوئی دلیل بر بی‌پایه بودن سخنان شماست.

در مورد معاد، گاه می‌گوئید: ما اصلاً باور نمی‌کنیم که استخوانهای پوسیده زنده شوند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۳۶ و گاه می‌افزایید: پدران و نیاکان ما را بیاورید تا گواهی دهند بعد از مرگ قیامت و رستاخیزی در کار است تا قبول کنیم! و در مورد پیامبر اسلام صلی الله علیه و اله گاه می‌گوئید: دیوانه است، گاه شاعرش می‌خوانید، گاه ساحرش می‌نامید. همچنین در مورد قرآن گاه آن را «اساطیر الاولین» (افسانه‌ها و خرافات پیشینیان) می‌نامید گاهی شعرش می‌خوانید، و گاه سحر، و گاه دروغ! این تعبیر در حقیقت استدلالی است بر بطلان ادعاهای مخالفان در مورد توحید و معاد و پیامبر و قرآن - هر چند تکیه اصلی این آیات به قرینه آیتی که بعداً می‌آید روی مسأله معاد است.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۹ ص: ۵۳۶

(آیه ۹) - در این آیه علت این انحراف از حق را بیان کرده، می‌فرماید:

«(تنها) کسی از ایمان به آن منحرف می‌شود که از قبول حق، سرباز می‌زند» و گر نه دلایل زندگی بعد از مرگ آشکار است (يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ).

با توجه به این که در آیات قبل سخن از رستاخیز در میان بود معلوم است که منظور اصلی انحراف از این عقیده است، و نیز از آنجا که در آیه گذشته سخن از گفتگوهای ضد و نقیض کافران در میان بود معلوم می‌شود منظور در اینجا کسانی است که از منطق و دلیل روشن منحرف می‌شوند.

بنابر این مجموع آیه چنین معنی می‌دهد: کسانی از ایمان به معاد منحرف می‌شوند که از مسیر دلیل عقل و منطق حق طلبی منحرف گشته‌اند.

سوره الذاریات(۵۱): آیه ۱۰ ص : ۵۳۶

(آیه ۱۰) - در این آیه دروغگویان و دروغ پردازان را شدیداً مورد مذمت و تهدید قرار داده، می گوید: «کشته باد دروغگویان» و مرگ بر آنها! (قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ).

منظور از «خَرَّاصُونَ» کسانی هستند که غرق جهل و نادانی خویشند، و برای فرار از زیر بار حق هر روز بهانه و سخن بی اساسی را عنوان می کنند.

اصولاً قضاوتهایی که مدرک روشنی ندارند و بر پایه حدس و تخمین و گمانهای بی اساس است کاری است همراه کننده و مستحق نفرین و عذاب.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۳۷

سوره الذاریات(۵۱): آیه ۱۱ ص : ۵۳۷

(آیه ۱۱) - سپس به معرفی این دروغگویان پرداخته، می افزاید: «همانها که در جهل و غفلت فرو رفته اند» (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ).

سوره الذاریات(۵۱): آیه ۱۲ ص : ۵۳۷

(آیه ۱۲) - «و (از این رو) پیوسته سؤال می کنند: روز جزا چه موقع است» و قیامت کی خواهد آمد؟ (يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ). این سخن به آن می ماند که بیماری از طبیب مرتباً سؤال کند پایان عمر من چه روزی خواهد بود؟ هر کس این سؤال را بی اساس می داند، و می گوید مهم این است که بدانی مرگ حق است تا خود را درمان کنی مبادا گرفتار «مرگ زودرس» شوی.

سوره الذاریات(۵۱): آیه ۱۳ ص : ۵۳۷

(آیه ۱۳) - ولی با این حال قرآن به آنها پاسخ کوبنده ای داده، می گوید: (آری) همان روزی است که آنها را بر آتش می سوزانند! (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْتَلُونَ).

سوره الذاریات(۵۱): آیه ۱۴ ص : ۵۳۷

(آیه ۱۴) - و به آنها گفته می شود: «بچشید عذاب خود را، این همان چیزی است که برای آن شتاب داشتید» (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ).

سوره الذاریات(۵۱): آیه ۱۵ ص : ۵۳۷

(آیه ۱۵) - پاداش سحر خیزان نیکو کار! در تعقیب آیات گذشته که سخن از دروغگویان جاهل و منکران قیامت و رستاخیز و

عذاب آنها در میان بود، در اینجا از مؤمنان پرهیزکار و اوصاف و پاداش آنها سخن می‌گویید، تا در مقایسه با یکدیگر - آن چنان که روش قرآن است - حقائق روشنتر شود.

می‌فرماید: «به یقین پرهیزکاران در باغهای بهشت و در میان چشمه‌ها قرار دارند» (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ). درست است که باغ طبیعتا دارای نهرهای آب است، اما لطفش در این است که چشمه‌ها از درون خود باغ بجوشد، و درختان را دائما مشروب کند، این امتیازی است که باغهای بهشت دارد، نه یک نوع چشمه که انواع مختلفی از چشمه‌ها در آن موجود است.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۱۶ ص: ۵۳۷

(آیه ۱۶) - سپس به نعمتهای دیگر بهشتی اشاره کرده و به صورت سر بسته برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۳۸ می‌گوید: «و آنچه پروردگارشان به آنها بخشیده دریافت می‌دارند» (أَخَذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ). یعنی آنها با نهایت میل و اشتیاق و کمال رضا و رغبت و خشنودی این مواهب الهی را پذیرا می‌شوند. و در دنبال آیه می‌افزاید: این پادشاهای عظیم بی‌جهت نیست «زیرا آنها پیش از آن (در سرای دنیا) از نیکو کاران بودند» (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ).

احسان و نیکو کاری که در اینجا آمده معنی وسیعی دارد که هم اطاعت خدا را شامل می‌شود و هم انواع نیکوها به خلق خدا.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۱۷ ص: ۵۳۸

(آیه ۱۷) - از این به بعد به توضیح چگونگی نیکو کار بودن آنها پرداخته، سه وصف را از میان اوصاف آنها بیان می‌کند. نخست این که: «آنها کمی از شب را می‌خوابیدند» (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ). یعنی همه شب، بخشی را بیدار بودند و به عبادت و نماز شب می‌پرداختند و شبهایی را که تماما در خواب باشند و عبادت شبانه از آنها بکلی فوت شود کم بوده است.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۱۸ ص: ۵۳۸

(آیه ۱۸) - دومین وصف آنها را چنین بیان می‌کند: «و در سحر گاهان استغفار می‌کردند» (و بِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ). در آخر شب که چشم غافلان در خواب است، و محیط از هر نظر آرام، قال و غوغای زندگی مادی فرو نشسته، و عواملی که فکر انسان را به خود مشغول دارد خاموش است بر می‌خیزند، و به درگاه خدا می‌روند، در پیشگاه معبود به راز و نیاز می‌پردازند، نماز می‌خوانند، و مخصوصا از گناهان خود استغفار می‌کنند.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۱۹ ص: ۵۳۸

(آیه ۱۹) - سپس به سومین وصف پرهیزکاران بهشتی اشاره کرده، می‌افزاید: «و در اموال آنها حقی برای سائل و محروم بود» (و فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ).

تعبیر به «حق» در اینجا یا به خاطر این است که خداوند بر آنها لازم شمرده بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۳۹ است- مانند زکات و خمس و سایر حقوق واجب شرعی- و یا آنها خود بر خویشتن الزام کرده‌اند و تعهد نموده‌اند و می‌توان گفت که فرق نیکو کاران با دیگران آن است که آنها این حقوق را ادا می‌کنند در حالی که دیگران مقید به آن نیستند. در روایاتی که از منابع اهل بیت علیهم السلام رسیده تأکید شده که منظور از «حق معلوم» چیزی غیر از زکات واجب است. در فرق میان «سائل» و «محروم» جمعی گفته‌اند: «سائل» کسی است که از مردم تقاضای کمک می‌کند، ولی «محروم» شخص آبرومندی است که برای معیشت خود نهایت تلاش و کوشش را به خرج می‌دهد اما دستش به جایی نمی‌رسد و کسب و کار و زندگیش به هم پیچیده است و با این حال خویشتنداری کرده، از کسی تقاضای کمک نمی‌کند. به هر حال این تعبیر اشاره به این نکته است که هرگز منتظر نشینید نیازمندان نزد شما آیند و تقاضای کمک کنند، بر شماست که جستجو کنید و افراد آبرومند محروم را پیدا کنید، و به آنها کمک نموده، گره مشکلاتشان را بگشائید و آبرویشان را حفظ نمایید.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۲۰ ص: ۵۳۹

(آیه ۲۰)- نشانه‌های خدا در وجود شماست آیا نمی‌بینید؟

در تعقیب آیات پیشین که پیرامون مسأله معاد و صفات دوزخیان و بهشتیان سخن می‌گفت در اینجا سخن از نشانه‌های خدا در زمین و در وجود خود انسان است، تا از یکسو به مسأله توحید و شناخت خدا و صفات او که مبدأ حرکت به سوی همه خیرات است آشنا شوند، و از سوی دیگر به قدرت او بر مسأله معاد و زندگی پس از مرگ، چرا که خالق حیات در روی زمین و این همه عجائب و شگفتیها قادر بر تجدید حیات نیز می‌باشد.

نخست می‌فرماید: «و در زمین آیاتی برای جویندگان یقین است» (وَ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ).

به راستی نشانه‌های حق و قدرت بی‌پایان و علم و حکمت نامحدود خدا در بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۴۰ همین کره خاکی آنقدر فراوان است که عمر هیچ انسانی برای شناخت همه آنها کافی نیست.

بد نیست در اینجا به گوشه‌ای از سخنان یکی از دانشمندان معروف جهان که در این زمینه مطالعات زیادی دارد گوش فرا دهیم.

کرسی مورسین می‌گوید: «در تنظیم عوامل طبیعی منتهای دقت و ریزه کاری به کار رفته است، مثلاً اگر قشر خارجی کره زمین ده پا ضخیمتر از آنچه هست می‌بود اکسیژن- یعنی ماده اصلی حیات- وجود پیدا نمی‌کرد، یا هر گاه عمق دریاها چند پا بیشتر از عمق فعلی بود آن وقت کلیه اکسیژن و کربن زمین جذب می‌شد و دیگر امکان هیچ گونه زندگی نباتی و یا حیوانی در سطح خاک باقی نمی‌ماند».

و در جای دیگر می‌گوید: «تنها بیست و یک در صد از هوای اطراف زمین اکسیژن است ... اگر مقدار اکسیژن موجود در هوا به جای بیست و یک در صد پنجاه در صد بود تمام مواد سوختنی این عالم محترق می‌شد، و اگر جرقه‌ای به درختی در جنگلی می‌رسید، تمام جنگل بطور کامل می‌سوخت!»

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۲۱ ص: ۵۴۰

(آیه ۲۱) - در این آیه می‌افزاید: «و در وجود خود شما» نیز آیاتی است (وَفِي أَنْفُسِكُمْ).

«آیا (چشم باز نمی‌کنید و این همه آیات و نشانه‌ای آشکار حق را) نمی‌بینید؟! (أَفَلَا تُبْصِرُونَ).

بدون شک انسان اعجوبه عالم هستی است و آنچه در عالم کبیر است در این عالم صغیر نیز وجود دارد، بلکه عجایی در آن است که در هیچ جای جهان نیست.

دستگاههایی که در بدن انسان است مانند قلب و کلیه و ریه و مخصوصا دهها هزار کیلو متر! رگهای درشت و باریک و حتی مویرگهایی که با چشم دیده نمی‌شود، و مسؤول آبرسانی و تغذیه و تهویه «ده میلیون میلیارد» سلول تن انسان هستند، و حواس

مختلفی مانند بینائی و شنوائی و حواس دیگر هر کدام آیتی عظیم از آیات اوست. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۴۱
و از همه مهمتر معمای «حیات» که اسرار آن همچنان ناشناخته مانده، و ساختمان روح و عقل انسان است که عقول همه انسانها از درک آن عاجز است.

و لذا پیغمبر گرامی اسلام صلی الله علیه و اله فرمود: «کسی که خویش را بشناسد خدای خویش را شناخته است».

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۲۲ ص: ۵۴۱

(آیه ۲۲) - در این آیه به سومین بخش از نشانه‌های عظمت پروردگار و قدرت او بر معاد اشاره کرده، می‌فرماید: «و روزی شما در آسمان است، و آنچه به شما وعده داده می‌شود» (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ).

مفهوم «رزق» هم باران را شامل می‌شود، هم نور آفتاب را که از آسمان به سوی ما می‌آید و نقش آن در حیات و زندگی فوق العاده حساس است، و همچنین هوا را که مایه حیات همه موجودات زنده است.

چیزی که مانع بصیرت آدمی می‌شود، همان حرص برای روزی است خداوند در این آیه به انسان اطمینان می‌دهد که روزی او تضمین شده است، تا بتواند با خیال راحت به شگفتیهای جهان هستی بنگرد.

به هر حال سه آیه فوق ترتیب لطیفی دارد: آیه نخست از عوامل وجود انسان در کره زمین سخن می‌گوید، و آیه دوم از خود وجود انسان، و آیه سوم از عوامل دوام و بقاء او.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۲۳ ص: ۵۴۱

(آیه ۲۳) - لذا برای تأکید مطلب در این آیه سوگند یاد کرده، می‌گوید:

«سوگند به پروردگار آسمان و زمین که این مطلب حق است، همان گونه که شما سخن می‌گوئید» (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ).

کار به جایی رسیده است که خداوند با آن عظمت و قدرتش برای اطمینان دادن به بندگان شکاک و دیر باور و ضعیف النفس و حریص سوگند یاد می‌کند که آنچه به شما در زمینه رزق و روزی و وعده‌های ثواب و عقاب قیامت وعده داده شده همه حق است، و هیچ شک و تردیدی در آن نیست.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۲۴ ص: ۵۴۱

(آیه ۲۴) - میهمانان ابراهیم (ع): از این به بعد گوشه‌هایی از سرگذشت انبیا و اقوام پیشین برای تأکید و تأیید مطالب گذشته

مطرح می‌شود، و نخستین فراز آن برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۴۲

سرگذشت فرشتگانی است که برای عذاب قوم لوط در شکل آدمیان بر ابراهیم (ع) ظاهر شدند، و او را بشارت به تولد فرزندی دادند با این که ابراهیم به سن پیری رسیده بود و همسرش نیز مسن و نازا بود.

از یکسو عطا کردن این فرزند برومند در این سن و سال به این پدر و مادر پیر و فرتوت تأکیدی است برای آنچه در باره مقدر بودن سایر روزیها که در آیات گذشته آمد.

و از سوی دیگر دلیلی است بر قدر و توانائی حق، و آیتی است از آیات خدا شناسی که در آیات گذشته از آن بحث شده است.

و از سوی سوم بشارتی است برای اقوام با ایمان که مشمول حمایت حق هستند، همان گونه که آیات بعد که سخن از عذاب هولناک قوم لوط می‌گوید هشدار و تهدیدی است برای مجرمان بی‌ایمان.

نخست روی سخن را به پیامبر کرده، می‌فرماید: «آیا خبر مهمانهای بزرگوار ابراهیم به تو رسیده است؟! (هَلْ أَتَاكَ خَبْرٌ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ).

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۲۵..... ص: ۵۴۲

(آیه ۲۵) - سپس به شرح حال آنها پرداخته، می‌گوید: «در آن زمان که بر او وارد شدند و گفتند: سلام بر تو! او گفت: سلام بر شما که جمعیتی نا شناخته‌اید!» (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ).

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۲۶..... ص: ۵۴۲

(آیه ۲۶) - به هر حال ابراهیم میهمان نواز و پر سخاوت، برای پذیرائی میهمانان خود فوراً دست به کار شد، «پس پنهانی به سوی خانواده خود رفت و گوساله فربه (و بریان شده‌ای را برای آنها) آورد» (فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ).

چرا ابراهیم چنین کرد؟ برای این که ممکن بود اگر میهمانان متوجه شوند مانع از چنین پذیرائی پر هزینه‌ای گردند.

اما چرا ابراهیم برای میهمانهای معدود که به گفته بعضی سه نفر و حد اکثر دوازده نفر بودند غذای فراوان و مفصل تهیه کرد، این به خاطر آن است که معمولاً اشخاص سخاوتمند هر گاه میهمانی برای آنها فرا رسد تنها به اندازه میهمانان غذا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۴۳

تهیه نمی‌کنند، بلکه غذائی فراهم می‌سازند که علاوه بر میهمانان تمام کسانی که برای آنان کار می‌کنند در آن شریک و سهم باشند، و حتی همسایگان و نزدیکان و اطرافیان دیگر را هم در نظر می‌گیرند.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۲۷..... ص: ۵۴۳

(آیه ۲۷) - ابراهیم شخصا این غذا را برای میهمانان آورد «و نزدیک آنها گذارد» (فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ).

ولی با تعجب دید که آنها دست به سوی غذا نمی‌برند «گفت: آیا شما غذا نمی‌خورید؟! (قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ).

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۲۸..... ص: ۵۴۳

(آیه ۲۸) - ابراهیم تصور می کرد آنها از جنس بشرند و هنگامی که دید دست به سوی غذا نمی برند «از آنان احساس وحشت کرد» (فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً).

زیرا در آن زمان و امروز هم در میان بسیاری از اقوام - که پایبند به اخلاق سنتی هستند - هر گاه کسی از غذای دیگری بخورد به او آزاری نمی رساند و خیانتی نمی کند. و اگر میهمان دست به غذا نبرد این گمان پیدا می شد که او برای کار خطرناکی آمده است.

در اینجا میهمانان - همان گونه که در آیه ۷۰ سوره هود آمده است - «به او گفتند: نترس» ما رسولان و فرشتگان پروردگار توایم (قَالُوا لَا تَخَفْ).

سپس می افزاید: «و او را بشارت به تولد پسری دانا دادند» (وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ).

بدیهی است فرزند به هنگام تولد «عالم» نیست، اما ممکن است استعدادی در او باشد که در آینده عالم و دانشمند بزرگی شود، و منظور در اینجا همین است. و مشهور این است که این فرزند «اسحاق» بوده است.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۲۹ ص: ۵۴۳

(آیه ۲۹) - «در این هنگام همسرش جلو آمد در حالی که (از خوشحالی و تعجب) فریاد می کشید به صورت خود زد و گفت: (آیا پسری خواهم آورد در حالی که) پیر زنی نازا هستم» (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَءٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ).

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۳۰ ص: ۵۴۳

(آیه ۳۰) - ولی قرآن در این آیه پاسخ فرشتگان را به او نقل می کند: «گفتند: برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۴۴ پروردگارت چنین گفته است و او حکیم و داناست» (قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ).
گر چه تو پیر زن فرتوتی هستی و شوهرت نیز چنین است، اما هنگامی که فرمان پروردگار تو صادر شود و اراده اش به چیزی تعلق گیرد بدون تردید تحقق می یابد

آغاز جزء ۲۷ قرآن مجید ص: ۵۴۴

ادامه سوره ذاریات ص: ۵۴۴

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۳۱ ص: ۵۴۴

(آیه ۳۱) - شهرهای بلا دیده قوم لوط آیت و عبرتی است: در تعقیب ماجرای ورود فرشتگان بر ابراهیم و بشارت دادن به او در باره تولد اسحاق بحث از گفتگویی است که میان «ابراهیم» و «فرشتگان» در باره قوم «لوط» در گرفت.

توضیح این که: ابراهیم پس از تبعید به شام، به دعوت مردم به سوی خداوند و مبارزه با هر گونه شرک و بت پرستی ادامه می داد، حضرت «لوط» که از پیامبران بزرگ بود در عصر او می زیست و احتمالاً از سوی او مأموریت یافت که برای تبلیغ و هدایت گمراهان به یکی از مناطق شام (یعنی شهرهای سدوم) سفر کند، او در میان قوم گنهکاری آمد که آلوده به شرک و

گناهان بسیاری بودند، و از همه زشت تر گناه همجنس بازی و لواط بود سر انجام گروهی از فرشتگان مأمور هلاک این قوم شدند اما قبلا نزد ابراهیم آمدند.

ابراهیم از وضع میهمانان فهمید اینها به دنبال کار مهمی می روند، و تنها برای بشارت تولد فرزند نزد او نیامده اند، چرا که برای چنین بشارتی یک نفر کافی بود، و یا به خاطر عجله ای که در حرکت داشتند احساس کرد مأموریت مهمی دارند. لذا در آیه مورد بحث می گوید: ابراهیم «گفت: مأموریت شما چیست ای فرستادگان» خدا؟ (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ).

سوره الذاریات(۵۱): آیه ۳۲ ص: ۵۴۴

(آیه ۳۲) - فرشتگان پرده از روی مأموریت خود برداشته، و به ابراهیم «گفتند: ما به سوی قوم مجرمی فرستاده شده ایم» (قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ). قومی که علاوه بر فساد عقیده گرفتار انواع آلودگیها و گناهان مختلف برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۴۵

زشت و ننگینی هستند

سوره الذاریات(۵۱): آیه ۳۳ ص: ۵۴۵

(آیه ۳۳) - سپس افزودند: ما مأموریت داریم «تا بارانی از سنگ گل بر آنها بفرستیم» (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ). تعبیر به «حِجَارَةً مِنْ طِينٍ» (سنگی از گل) همان چیزی است که در آیه ۸۲ سوره هود به جای آن «سَجِيلٍ» آمده است، و در مجموع شاید اشاره به این معنی است که برای نابود کردن این قوم مجرم حتی نیازی به نازل کردن صخره های عظیم از آسمان نبود، بلکه بارانی از ریگهای کوچک و نه چندان محکم و مانند دانه های باران بر آنها فرو بارید.

سوره الذاریات(۵۱): آیه ۳۴ ص: ۵۴۵

(آیه ۳۴) - سپس افزودند: «سنگهایی که از ناحیه پروردگارت برای اسرافکاران نشان گذاشته شده است» (مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُؤْسِرِينَ).

سوره الذاریات(۵۱): آیه ۳۵ ص: ۵۴۵

(آیه ۳۵) - قرآن در اینجا دنباله ماجرای این رسولان پروردگار را - که نزد حضرت لوط آمدند و به عنوان میهمانانی بر او وارد شدند، و قوم بی شرم به گمان این که آنها جوانانی زیبا روی از جنس بشرند به سراغ آنها آمدند، اما به زودی به اشتباه خود پی بردند، و چشمان همه آنها نابینا شد - رها کرده و دنباله سخن را از سوی خداوند بازگو می کند. می فرماید: «ما مؤمنانی را که در شهرها (ی قوم لوط) زندگی می کردند (قبل از نزول عذاب) خارج کردیم» (فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

سوره الذاریات(۵۱): آیه ۳۶ ص: ۵۴۵

(آیه ۳۶) - «ولی (در تمام این مناطق) جز یک خانواده با ایمان نیافتیم!» (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ). آری! ما هرگز خشک و تر را با هم نمی‌سوزانیم و عدالت ما اجازه نمی‌دهد مؤمن را گرفتار سرنوشت کافر کنیم، حتی اگر در میان میلیونها نفر بی‌ایمان و مجرم، یک فرد با ایمان و پاک باشد نجاتش می‌دهیم.

این همان مطلبی است که در سوره حجر آیه ۵۹ و ۶۰ به این صورت آمده:
«مگر خاندان لوط که همگی آنها را نجات خواهیم داد، به جز همسرش که مقدر داشتیم از بازماندگان (در شهر، و هلاک شوندگان) باشد!» برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۴۶

البته این بخش از ماجرای قوم لوط در سوره‌های مختلف قرآن با عبارات مختلف بیان شده که همه آنها یک حقیقت را بازگو می‌کند، ولی از آنجا که ممکن است به یک حادثه از زوایای مختلف نگاه کرد و در هر نگاه بعدی از آن را مشاهده نمود، در قرآن مجید نیز حوادث تاریخی غالباً به همین صورت مطرح و تکرار شده است، و در مقام تربیت گاه لازم می‌شود که روی یک مسأله مهم بارها تکیه شود، تا تأثیر عمیق در ذهن خواننده بگذارد.

به هر حال خداوند شهرهای این قوم آلوده را با زمین لرزه‌ای سخت و ویرانگر زیر و رو کرد سپس بارانی از سنگهای آسمانی بر آنها فرو بارید و اثری از آنها نماند، حتی جسد‌های پلیدشان زیر آوارها و سنگهای آسمانی مدفون گشت، تا عبرتی باشد برای آیندگان و برای همه افراد بی‌ایمان و مجرمان آلوده.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۳۷ ص: ۵۴۶

(آیه ۳۷) - و لذا در این آیه می‌افزاید: «و در آن (شهرهای بلا- دیده) نشانه‌ای روشن برای کسانی که از عذاب دردناک می‌ترسند به جای گذاردیم» (وَ تَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ). این تعبیر به خوبی نشان می‌دهد که از این آیات و نشانه‌های خدا تنها کسانی پند می‌گیرند که آمادگی پذیرش در وجودشان باشد، و احساس مسؤولیت کنند.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۳۸ ص: ۵۴۶

(آیه ۳۸) - این همه درس عبرت در تاریخ پیشینیان: قرآن در اینجا در تعقیب داستان قوم لوط و عاقبت دردناکی که بر اثر گناهان بسیار زشت و ننگین پیدا کردند اشاره به سرگذشت چند قوم دیگر از اقوام پیشین می‌کند.
نخست می‌فرماید: «و در (زندگی) موسی نیز (نشانه و درس عبرتی بود) در آن هنگامی که او را به دلیلی آشکار به سوی فرعون فرستادیم» (وَ فِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ).
«سلطان» چیزی است که مایه تسلط گردد، و منظور در اینجا معجزه یا دلیل و منطق نیرومند عقلی یا هر دو است که «موسی» (ع) در برابر فرعون از آن استفاده کرد.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۳۹ ص: ۵۴۶

(آیه ۳۹) - اما فرعون نه تسلیم معجزات بزرگ موسی (ع) که گواه ارتباطش با برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۴۷ خدا بود شد، و نه در مقابل دلائل منطقی او سر تعظیم فرود آورد، بلکه به خاطر غرور و تکبری که داشت «با تمام وجودش از

وی روی برتافت و گفت: (این مرد) یا ساحر است یا دیوانه! (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ).

جالب این که جباران زورگو در تهمتها و نسبتهای دروغین که به انبیاء بزرگ می‌دادند گرفتار سر در گمی و تناقض گوئی عجیبی بودند، گاه آنها را ساحر می‌خواندند، و گاه مجنون، با این که «ساحر» باید انسان هوشیاری باشد که با استفاده از ریزه کاریها و مسائل روانی و خواص مختلف اشیا کارهای اعجاب انگیزی را انجام دهد و مردم را اغفال نماید، در حالی که مجنون نقطه مقابل آن است.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۴۰ ص: ۵۴۷

(آیه ۴۰) - اما قرآن از نتیجه کار فرعون جبار و اعوانش چنین خبر می‌دهد:

«از این رو ما او و لشکریانش را گرفتیم و به دریا افکندیم، در حالی که در خور سرزنش بود» أَخَذْنَاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَ هُوَ مُلِيمٌ

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۴۱ ص: ۵۴۷

(آیه ۴۱) - سپس به سرنوشت اجمالی قوم «عاد» پرداخته، چنین می‌گوید:

«در سرگذشت قوم عاد نیز (آیتی است) در آن هنگام که تند بادی بی‌باران بر آنها فرستادیم» (وَ فِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ).

عقیم بودن بادها زمانی است که ابرهای باران‌زا با خود حمل نکند، گیاهان را تلقیح ننماید، و فایده و برکتی نداشته باشد، و جز هلاکت و نابودی چیزی همراه نیآورد.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۴۲ ص: ۵۴۷

(آیه ۴۲) - سپس به توصیف تند بادی که بر قوم عاد مسلط شد پرداخته، می‌افزاید: «بر هیچ چیز نمی‌گذشت مگر این که آن را همچون استخوانهای پوسیده می‌ساخت» (مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ).

این تعبیر نشان می‌دهد که تند باد قوم عاد یک تند باد معمولی نبود، بلکه علاوه بر تخریب و درهم کوبیدن و به اصطلاح فشارهای فیزیکی، دارای سوزندگی و مسمومیتی بود که اشیا گوناگون را می‌پوساند.

این بود اشاره کوتاهی به سرنوشت قوم نیرومند و ثروتمند «عاد» که در سرزمین «احقاف» (منطقه‌ای میان عمان و حضر موت) می‌زیستند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۴۸

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۴۳ ص: ۵۴۸

(آیه ۴۳) - بعد از آنها نوبت به قوم «ثمود» می‌رسد و در باره آنها می‌فرماید:

«و نیز در سرگذشت قوم ثمود (عبرتی است) در آن هنگام که به آنها گفته شد:

مدتی کوتاه بهره‌مند باشید» و سپس منتظر عذاب (وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ). منظور از «حَتَّىٰ حِينٍ» همان سه روز مهلتی است که در آیه ۶۵ سوره هود به آن اشاره شده است: «آنها شتری را که به عنوان اعجاز آمده بود از پای درآوردند و پیامبرشان صالح به آنها گفت: سه روز در خانه‌هایتان بهره‌گیرید (و بعد از آن منتظر عذاب الهی باشید) این وعده‌ای است تخلف‌ناپذیر».

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۴۴ ص: ۵۴۸

(آیه ۴۴) - آری «آنها از فرمان پروردگارشان سر باز زدند و صاعقه آنان را فرا گرفت، در حالی که (خیره خیره) نگاه می‌کردند» بی‌آنکه قدرت دفاع داشته باشند (فَعَنُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ). این جمله اشاره به تمام سرپیچی‌هایی است که آنها در طول دعوت صالح داشتند، مانند بت‌پرستی و ظلم و ستم و از پای درآوردن ناقه‌ای که معجزه «صالح» بود، نه فقط سرپیچی‌هایی که در طول این سه روز انجام دادند و به جای توبه و انابه به درگاه خدا در غفلت و غرور فرو رفتند.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۴۵ ص: ۵۴۸

(آیه ۴۵) - سرانجام آخرین جمله‌ای که در باره این قوم سرکش می‌فرماید این است که: «چنان بر زمین افتادند که توان برخاستن نداشتند و نتوانستند از کسی یاری طلبند» (فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتْتَصِرِينَ). آری! صاعقه چنان آنها را غافلگیر کرد و بر زمین کوبید که نه خود یارای برخاستن و دفاع از خویشان داشتند، و نه قدرت ناله و فریاد و کمک طلبیدن، و در همین حال جان دادند، و سرگذشتشان درس عبرتی برای دیگران شد.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۴۶ ص: ۵۴۸

(آیه ۴۶) - در این آیه اشاره کوتاهی به سرنوشت پنجمین قوم یعنی قوم نوح کرده، می‌فرماید: «همچنین قوم نوح را پیش از آنها هلاک کردیم، چرا که قوم فاسقی بودند» (وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ). «فاسق» به کسی می‌گویند که از محدوده فرمان خداوند قدم بیرون گذارد، برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۴۹ و آلوده به فکر و ظلم یا سایر گناهان شود.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۴۷ ص: ۵۴۹

(آیه ۴۷) - پیوسته آسمانها را گسترش می‌دهیم! قرآن بار دیگر به مسأله آیات عظمت خداوند در عالم آفرینش می‌پردازد و در حقیقت بحث‌هایی را که در آیات ۲۰ و ۲۱ همین سوره در باره آیات او در زمین و وجود انسان گذشت تکمیل می‌کند، و در ضمن دلیلی بر قدرت خداوند بر مسأله معاد و زندگی پس از مرگ است. نخست می‌فرماید: «و ما آسمان را با قدرت بنا کردیم، و همواره آن را وسعت می‌بخشیم» (وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ).

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۴۸ ص: ۵۴۹

(آیه ۴۸) - «و زمین را گسترده‌ایم و چه خوب گستراننده‌ای هستیم!» (وَ الْأَرْضَ فَرَشْنَا هَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ).

نشانه‌های این قدرت عظیم هم در عظمت آسمانها و هم در نظام خاصی که بر آنها حاکم است به خوبی آشکار می‌باشد. با توجه به کشفیات اخیر دانشمندان در مسأله «گسترش جهان» معنای آیه روشن است و آن این که خداوند آسمانها را آفریده و دائما گسترش می‌دهد.

علم امروز می‌گوید: نه تنها کره زمین، بر اثر جذب مواد آسمانی تدریجا فربه و سنگین تر می‌شود، بلکه آسمانها نیز در گسترشند، یعنی ستارگانی که در یک کهکشان قرار دارند بسرعت از مرکز کهکشان دور می‌شوند، حتی سرعت این گسترش را در بسیاری از مواقع اندازه‌گیری کرده‌اند.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۴۹ ص: ۵۴۹

(آیه ۴۹) - بعد از آفرینش آسمانها و زمین نوبت به موجودات مختلف آسمانی و زمین و انواع گیاهان و حیوانات می‌رسد آیه مورد بحث می‌فرماید:

«و از هر چیز دو جفت آفریدیم شاید متذکر شوید» (وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

«مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» (از هر چیزی) می‌تواند اشاره به این حقیقت باشد که تمام اشیای جهان از ذرات مثبت و منفی ساخته شده، و امروز از نظر علمی مسلم است که «اتمها» از اجزاء مختلفی تشکیل یافته‌اند، از جمله اجزائی که دارای بار الکتریسته منفی هستند، و «الکترون» نامیده می‌شوند، و اجزائی که دارای بار برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۵۰ الکتریسته مثبت هستند و «پروتون» نام دارد.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۵۰ ص: ۵۵۰

(آیه ۵۰) - در این آیه به عنوان یک نتیجه‌گیری از بحثهای توحیدی گذشته می‌افزاید: «پس به سوی خدا بگریزید که من از سوی او برای شما بیم دهنده‌ای آشکارم» (فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ).

تعبیر به «فرار» در اینجا تعبیر جالب و لطیفی است، معمولاً «فرار» در جائی گفته می‌شود که انسان از یک سو با موجود یا حادثه وحشتناکی رو برو شده، و از سوی دیگر پناهگاهی در نقطه‌ای سراغ دارد، لذا با سرعت تمام از محل حادثه دور می‌شود و به نقطه امن و امان روی می‌آورد، شما نیز از شرک و بت پرستی که عقیده وحشتناکی است بگریزید و به توحید خالص که منطقه امن و امان واقعی است روی آرید.

از زشتیها، بدیها، بی‌ایمانی، تاریکی جهل، و عذاب جاویدان بگریزید، و در آغوش رحمت حق و سعادت جاویدان قرار بگیرید.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۵۱ ص: ۵۵۰

(آیه ۵۱) - باز برای تأکید بیشتر، روی مسأله یکتا پرستی تکیه کرده، می‌فرماید: «و با خدا معبود دیگری قرار ندهید که من برای شما از سوی او بیم دهنده‌ای آشکارم» (وَ لَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ).

سوره الذاریات(۵۱): آیه ۵۲..... ص : ۵۵۰

(آیه ۵۲) - در آیه ۳۹ همین سوره خواندیم که فرعون در برابر دعوت موسی (ع) به سوی خداوند یکتا و ترک ظلم و بیدادگری، موسی را متهم ساخت که او «ساحر» یا «مجنون» است، این نسبت که از سوی مشرکان به پیامبر اسلام صلی الله علیه و آله نیز داده می شد برای مؤمنان اندک نخستین، بسیار گران بود، و روح پاک پیامبر صلی الله علیه و آله را آزرده می ساخت. آیه برای دلداری پیامبر صلی الله علیه و آله و مؤمنان می گوید: تنها تو نیستی که هدف این تیرهای زهر آگین تهمت قرار گرفته ای «این گونه است که هیچ پیامبری قبل از اینها به سوی قومی فرستاده نشد مگر این که گفتند: او ساحر است یا دیوانه» (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ).

آنها را «ساحر» می خواندند زیرا در برابر معجزات چشمگیرشان پاسخی برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۵۱
منطقی نداشتند، و «مجنون» خطاب می کردند چرا که همرنگ محیط نبودند و در برابر امتیازات مادی سر تسلیم فرود نمی آوردند.

سوره الذاریات(۵۱): آیه ۵۳..... ص : ۵۵۱

(آیه ۵۳) - سپس می افزاید: «آیا (این قوم کافر و معاند) یکدیگر را به آن سفارش می کردند» که همه چنین تهمتی بزنند (أَتَوَاصَوْا بِهِ).

آن چنان هماهنگ و یکنواخت عمل می کنند که گوئی همگی در ماوراء تاریخ مجلسی تشکیل داده، و به مشاوره نشسته، و به یکدیگر توصیه نموده اند که انبیاء را عموماً متهم به سحر و جنون کنند، تا از نفوذ اعتبار آنها در توده مردم کاسته شود. سپس می افزاید: «بلکه آنها قومی طغیانگرند» (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ).
این اثر روح طغیانگری است که برای بیرون کردن مردان حق از صحنه به هر دروغ و تهمتی متوسل می شوند.

سوره الذاریات(۵۱): آیه ۵۴..... ص : ۵۵۱

(آیه ۵۴) - باز برای تسلی خاطر و دلداری بیشتر به پیامبر صلی الله علیه و آله می فرماید:
«اکنون (که این قوم طاغی و سرکش حاضر به شنیدن حق نیستند) از آنها روی بگردان» (فَقَوْلًا عَنْهُمْ).
و مطمئن باش که تو وظیفه خود را بطور کامل انجام داده ای، و «هرگز در خور ملامت نخواهی بود» (فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ).
اگر آنها حق را نپذیرند غم مخور که دلهای شایسته ای در انتظار آن است.
این جمله در حقیقت یادآور آیات دیگری است که نشان می دهد پیامبر آن قدر دلسوز بود که گاه از عدم ایمان آنها نزدیک بود دق کند، چنانکه در آیه ۶ سوره کهف می خوانیم: «گوئی می خواهی خود را از غم و اندوه به خاطر اعمال آنها هلاک کنی چرا که آنها به این قرآن ایمان نیاورده اند».

سوره الذاریات(۵۱): آیه ۵۵..... ص : ۵۵۱

(آیه ۵۵) - مفسران گفته اند: هنگامی که آیه فوق نازل شد پیامبر صلی الله علیه و آله و مؤمنان اندوهگین شدند و تصور

کردند که این آخرین سخن در برابر مشرکان است، وحی آسمانی قطع شده، و عذاب الهی به زودی فرا می‌رسد، ولی چیزی نگذشت که این آیه نازل شد و به پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دستور داد: «و پیوسته تذکر و اندرز ده، زیرا تذکر مؤمنان را سود می‌بخشد» (وَ ذَكَرْ فَإِنَّ الذُّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۵۲

اینجا بود که همگی احساس آرامش کردند.

اشاره به این که دل‌های آماده‌ای در گوشه و کنار در انتظار سخنان توست، اگر گروهی به مخالفت در برابر حق برخاسته‌اند گروه دیگری از جان و دل مشتاق آند، و گفتار دلنشین تو تأثیر خود را در نفوس آنان می‌گذارد.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۵۶..... ص: ۵۵۲

(آیه ۵۶) - هدف خلقت انسان از دیدگاه قرآن: از مهمترین سؤالاتی که هر کس از خود می‌کند این است که «ما برای چه آفریده شده‌ایم؟» و «هدف آفرینش انسانها و آمدن به این جهان چیست؟»

آیه مورد بحث به این سؤال مهم و همگانی با تعبیرات فشرده و پرمحتوایی پاسخ می‌گوید، و بحثی را که در آیه قبل پیرامون تذکر و یادآوری به مؤمنان بیان شد تکمیل می‌کند، چرا که این از مهمترین اصولی است که پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ باید آن را تعقیب کند، ضمناً معنی فرار به سوی خدا را که در آیه ۵۰ همین سوره آمده بود روشن می‌سازد.

می‌فرماید: «من جن و انس را نیافریدم جز برای این که عبادتم کنند» و از این راه تکامل یابند و به من نزدیک شوند (وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيُعْبُدُونِ).

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۵۷..... ص: ۵۵۲

(آیه ۵۷) - من نیازی به آنها ندارم و «هرگز از آنها روزی نمی‌خواهم، و نمی‌خواهم مرا اطعام کنند!» (ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ مَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ).

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۵۸..... ص: ۵۵۲

(آیه ۵۸) - «خداوند روزی دهنده، و صاحب قوت و قدرت است» (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ).

اندکی تأمل در مفهوم آیات قرآن در زمینه هدف خلقت نشان می‌دهد که هدف اصلی همان «عبودیت» است که در آیه فوق به آن اشاره شده، و مسأله «علم و دانش» و «امتحان و آزمایش» اهدافی هستند که در مسیر عبودیت قرار می‌گیرند، و «رحمت و اسعه خداوند» نتیجه این عبودیت است.

بدین ترتیب روشن می‌شود که ما همه برای عبادت پروردگار آفریده شده‌ایم، اما مهم این است که بدانیم حقیقت «عبادت» چیست؟

آیا تنها انجام مراسمی مانند رکوع و سجود و قیام و قعود و نماز و روزه منظور برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۵۳ است؟ یا حقیقتی است ماورای اینها؟ هر چند عبادات رسمی نیز همگی واجد اهمیتند.

«عبودیت» - آن گونه که در متون لغت آمده - اظهار آخرین درجه خضوع در برابر معبود است، و به همین دلیل تنها کسی می‌تواند معبود باشد که نهایت انعام و اکرام را کرده است و او کسی جز خدا نیست.

بنابر این عبودیت نهایت اوج تکامل یک انسان و قرب او به خداست.

عبودیت کامل آن است که انسان جز به معبود واقعی یعنی کمال مطلق نیندیشد، جز در راه او گام بر ندارد، و هر چه غیر اوست فراموش کند، حتی خویشتن را! و این است هدف نهائی آفرینش بشر که خدا برای وصول به آن میدان آزمایشی فراهم ساخته و علم و آگاهی به انسان داده، و نتیجه نهائیش نیز غرق شدن در اقیانوس «رحمت» اوست.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۵۹ ص: ۵۵۳

(آیه ۵۹) - اینها نیز در عذاب الهی سهیمند: این آیه و آیه بعد که آخرین آیات سوره «ذاریات» است در حقیقت یک نوع نتیجه گیری از آیات مختلف این سوره است، مخصوصاً آیاتی که پیرامون سرنوشت اقوام پیشین همچون قوم فرعون و قوم لوط و عاد و ثمود سخن می گوید، همچنین آیات گذشته که از هدف آفرینش سخن می گفت.

می گوید: «و برای کسانی که ستم کردند، سهم بزرگی از عذاب است همانند سهم یارانشان» از اقوام ستمگر پیشین (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ).

«بنابر این عجله نکنند» (فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ). و پی در پی نگویند اگر عذاب الهی حق است چرا به سراغ ما نمی آید؟ تعبیر به «ظلم» در باره این گروه به خاطر آن است که «شُرک» و کفر بزرگترین ظلم است، زیرا حقیقت ظلم این است که چیزی را در غیر محل شایسته قرار دهند، و مسلماً بت را به جای خدا قرار دادن مهمترین مصداق ظلم محسوب می شود، و به برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۵۴

همین دلیل آنها هم مستحق همان سرنوشتی هستند که اقوام مشرک پیشین داشتند.

سوره الذاریات (۵۱): آیه ۶۰ ص: ۵۵۴

(آیه ۶۰) - در آخرین آیه این سوره تهدید به عذاب دنیا را با تهدید به عذاب آخرت تکمیل کرده، می گوید: «پس وای بر کسانی که کافر شدند از روزی که به آنها وعده داده می شود» (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ). همان گونه که این سوره از مسأله معاد و رستاخیز آغاز شد، با تأکید بر همین مسأله پایان می گیرد. «پایان سوره ذاریات»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۵۵

سوره طور [۵۲] ص: ۵۵۵

اشاره

این سوره در «مکه» نازل شده و دارای ۴۹ آیه است

محتوای سوره: ص: ۵۵۵

این سوره نیز از سوره هائی است که سنگینی بحثهای آن روی مسأله معاد و سرنوشت نیکان و پاکان از یکسو، و بدان و

مجرمان در آن روز عظیم از سوی دیگر است.

و روی هم رفته می‌توان محتوای این سوره را به شش بخش تقسیم کرد.

۱- آیات نخستین سوره که با سوگندهای پی در پی شروع می‌شود بحث از عذاب الهی و نشانه‌های قیامت و آتش دوزخ و کیفر کافران می‌کند (آیه ۱ تا ۱۶).

۲- بخش دیگری از این سوره نعمتهای بهشتی و مواهب الهی را در قیامت که در انتظار پرهیزکاران است مشروحا برمی‌شمرد، و یکی را پس از دیگری مورد توجه قرار می‌دهد، و در حقیقت به غالب نعمتهای بهشتی در این بخش از سوره اشاره شده است (آیه ۱۷ تا ۲۸).

۳- در بخش دیگری از این سوره از نبوت پیامبر صلی الله علیه و آله سخن می‌گویند، و اتهاماتی را که دشمنان برای او ذکر می‌کردند برمی‌شمرد، و بطور فشرده به آن پاسخ می‌دهد (آیه ۲۹ تا ۳۴).

۴- در بخش دیگر سخن از توحید است، و با استدلالی روشن این مسأله را تعقیب می‌کند (آیه ۳۵ تا ۴۳).

۵- در بخش دیگر سوره باز به مسأله معاد و پاره‌ای از مشخصات روز قیامت برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۵۶ باز می‌گردد (آیه ۴۴ تا ۴۷).

۶- سرانجام در آخرین بخش سوره که دو آیه بیشتر نیست با دستوراتی به پیامبر گرامی اسلام صلی الله علیه و آله در زمینه صبر و استقامت و تسبیح و حمد پروردگار و وعده حمایت او از سوی خداوند بحثهای گذشته را پایان می‌بخشد. نامگذاری این سوره به «طور» به تناسب نخستین آیه آن است.

فضیلت تلاوت سوره: ص: ۵۵۶

در حدیثی آمده که پیامبر صلی الله علیه و آله فرمود: «هر کس سوره طور را بخواند بر خداست که او را از عذابش ایمن سازد، و او را در بهشتش متعمم دارد».

و در حدیث دیگری از امام باقر علیه السلام می‌خوانیم: «کسی که سوره طور را تلاوت کند خداوند، خیر دنیا و آخرت را برای او جمع می‌کند».

روشن است که این همه اجر و پاداش عظیم در دنیا و آخرت از آن کسانی است که این «تلاوت» را وسیله‌ای برای «تفکر»، و آن را نیز به نوبه خود وسیله‌ای در راه «عمل» قرار دهند.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره الطور (۵۲): آیه ۱ ص: ۵۵۶

(آیه ۱)- این سوره یکی دیگر از سوره‌هایی است که با سوگند شروع می‌شود، سوگندهایی برای بیان یک واقعیت مهم یعنی مسأله قیامت و معاد و رستاخیز و محاسبه اعمال انسانها.

می‌فرماید: «سوگند به کوه طور» (وَ الطُّورِ).

«طور» در لغت به معنی «کوه» است، ولی با توجه به این که این کلمه در ده آیه از قرآن مجید مطرح شده که در نه مورد سخن از «طور سینا» همان کوهی که در آنجا وحی بر موسی نازل می‌شد به میان آمده، معلوم می‌شود که در آیه مورد بحث نیز

منظور همان معنی است.

سوره الطور (۵۲): آیه ۲ ص : ۵۵۶

(آیه ۲) - «و سو گند به کتابی که نوشته شده است ...» (وَ كِتَابٍ مَّسْطُورٍ).
به تناسب سو گندی که قبل از آن آمده این تعبیر یا اشاره به تورات است و یا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۵۷ همه کتب آسمانی.

سوره الطور (۵۲): آیه ۳ ص : ۵۵۷

(آیه ۳) - «در صفحه‌ای گسترده» (فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ).
در این آیه نیز سو گند به کتابی خورده شده که بر صفحه‌ای از بهترین صفحات نگاشته شده و در عین حال باز و گسترده است و نه پیچیده!

سوره الطور (۵۲): آیه ۴ ص : ۵۵۷

(آیه ۴) - «و سو گند به بیت المعمور» (وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ).
«بیت المعمور» را بعضی به «کعبه» و خانه خدا در زمین تفسیر کرده‌اند که به وسیله زوار و حاجیان همواره معمور و آباد است، و می‌دانیم نخستین خانه‌ای است که برای عبادت، در روی زمین ساخته و آباد شده است.

سوره الطور (۵۲): آیه ۵ ص : ۵۵۷

(آیه ۵) - «و سقف برافراشته» (وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ).
منظور از «سقف مرفوع» آسمان است، چرا که در آیه ۳۲ سوره انبیاء می‌خوانیم: «ما آسمان را سقف محفوظی قرار دادیم». تعبیر به «سقف» ممکن است از این نظر باشد که ستارگان و کرات آسمانی آن چنان سراسر آسمان را پوشانده‌اند و به سقفی می‌مانند، و نیز ممکن است اشاره به «جو اطراف زمین» باشد که قشر فشرده‌ای از هوا همچون سقف محکمی اطراف آن را فرا گرفته و آن را در برابر هجوم سنگهای آسمانی و اشعه زیانبار کیهانی به خوبی حفظ می‌کند.

سوره الطور (۵۲): آیه ۶ ص : ۵۵۷

(آیه ۶) - «و (سو گند به) دریای مملو و برافروخته»! (وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ).
«مسجور» به معنی «برافروخته» است چنانکه در آیه ۷۱ و ۷۲ سوره مؤمن می‌خوانیم: «آنها را در آب سوزان می‌کشند، سپس در آتش مشتعل خواهند شد».

این دریای برافروخته یا همین اقیانوسهای کره زمین ما است که در آستانه قیامت، برافروخته می‌شود و سپس منفجر می‌گردد. و یا دریائی از مواد مذاب که در دل کره زمین است و ممکن است آیه فوق قسم به هر دو باشد، چرا که هر دو از آیات

خداوند و شکفتیهای بزرگ این جهان است.

قابل توجه این که در ارتباط مفهوم این پنج سوگند با یکدیگر چنین به نظر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۵۸ می‌رسد که سه سوگند نخست رابطه نزدیکی با یکدیگر دارند چرا که همه از وحی و خصوصیات آن سخن می‌گویند «کوه طور» محل نزول وحی بود، و «کتاب مسطور» نیز اشاره به کتاب آسمانی است، خواه تورات باشد یا قرآن، و «بیت المعمور» محل رفت و آمد فرشتگان و پیک وحی خداست.

و اما دو سوگند دیگر از آیات «تکوینی» سخن می‌گوید- در برابر سه سوگند نخست که از آیات «تشریحی» سخن می‌گفت- این دو سوگند یکی اشاره به مهمترین نشانه توحید یعنی آسمان با عظمت است، و دیگری به یکی از نشانه‌های مهم معاد که در آستانه رستاخیز رخ می‌دهد.

بنابر این «توحید»، «نبوت» و «معاد» در این پنج سوگند جمع است.

سوره الطور (۵۲): آیه ۷ ص: ۵۵۸

(آیه ۷)- سپس در اینجا قرآن به بیان موضوعی که سوگندهای فوق به خاطر آن یاد شده اشاره کرده، می‌فرماید: «عذاب پروردگارت واقع می‌شود» (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ).

سوره الطور (۵۲): آیه ۸ ص: ۵۵۸

(آیه ۸)- «و چیزی از آن مانع نخواهد بود» (مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ). کوتاه سخن این که: سوگندهای پنج گانه که بر محور قدرت خداوند در عالم «تکوین» و «تشریح» دور می‌زند بیانگر این است که چنین کسی به خوبی قادر است مردگان را بار دیگر به زندگی و حیات بازگرداند، و قیامت را برپا کند، این همان چیزی است که سوگندها به خاطر آن یاد شده، همان گونه که در دو آیه فوق خواندیم.

سوره الطور (۵۲): آیه ۹ ص: ۵۵۸

(آیه ۹)- در آیات گذشته اشاره سر بسته‌ای به عذاب الهی در قیامت شده بود، در اینجا که توضیح و تفسیری بر این معنی است بعضی از ویژگیهای روز قیامت را بازگو می‌کند، و سپس کیفیت عذاب تکذیب کنندگان را. می‌فرماید: این عذاب الهی «در آن روزی است که آسمان (کرات آسمانی) به شدت به حرکت در می‌آید» (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا).

بدین ترتیب در آستانه قیامت نظام حاکم بر کرات آسمانی بر هم می‌ریزد آنها از مدارات خود منحرف می‌شوند، و به هر سو رفت و آمد می‌کنند، سپس درهم برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۵۹

نور دیده می‌شوند، و به جای آنها آسمانی نو به فرمان خدا بر پا می‌شود، چنانکه آیه ۱۰۴ سوره انبیاء می‌گوید: «روزی که آسمان را همچون طومار در هم می‌پیچیم».

و در آیه ۴۸ سوره ابراهیم می‌خوانیم: «روزی که این زمین به زمینی دیگر و آسمانها به آسمان دیگری تبدیل می‌شود».

سوره الطور (۵۲): آیه ۱۰ ص : ۵۵۹

(آیه ۱۰) - سپس می‌افزاید: «و (روزی که) کوهها از جا کنده و متحرک می‌شوند!» و به شهادت آیات دیگر قرآن سپس تلاشی می‌گردند (وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا). اینها همه اشاره به آن است که این دنیا و تمام پناهگاههای آن در هم کوبیده می‌شود، جهانی نو، با نظاماتی نوین جای آن را می‌گیرد و انسان در برابر نتایج اعمال خویش، قرار خواهد گرفت.

سوره الطور (۵۲): آیه ۱۱ ص : ۵۵۹

(آیه ۱۱) - لذا در این آیه می‌افزاید: چون چنین است «وای در آن روز بر تکذیب کنندگان!» (فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ). آری! در حالی که وحشت و اضطراب ناشی از دگرگونی جهان، همگان را فرا گرفته، وحشت عظیمتری به سراغ «مکذبین» می‌آید که همان عذاب الهی است چرا که «ویل» اظهار تأسف و اندوه است بر وقوع یک حادثه نا مطلوب.

سوره الطور (۵۲): آیه ۱۲ ص : ۵۵۹

(آیه ۱۲) - سپس به معرفی این مکذبین پرداخته، می‌فرماید: «همانها که در سخنان باطل به بازی مشغولند» (الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ). آیات قرآن را «دروغ»، و معجزات پیامبر صلی الله علیه و آله را «سحر» می‌خوانند، و آورنده آن را «مجنون» می‌شمردند، همه حقایق را به بازی گرفته، و به سخریه و استهزا در برابر آنها می‌پردازند. «خوض» به معنی ورود در سخنان باطل است، و در اصل به معنی وارد شدن در آب و عبور از آن است.

سوره الطور (۵۲): آیه ۱۳ ص : ۵۵۹

(آیه ۱۳) - بار دیگر برای معرفی آن روز و بیان سرنوشت این مکذبان به توضیح دیگری پرداخته، می‌افزاید: «در آن روز که آنها را به زور به سوی آتش دوزخ می‌رانند!» (يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۶۰

سوره الطور (۵۲): آیه ۱۴ ص : ۵۶۰

(آیه ۱۴) - به آنها می‌گویند: «این همان آتشی است که آن را انکار می‌کردید!» (هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ).

سوره الطور (۵۲): آیه ۱۵ ص : ۵۶۰

(آیه ۱۵) - و نیز به آنها گفته می‌شود: «آیا این سحر است یا شما نمی‌بینید؟ (أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ).

شما پیوسته در دنیا می‌گفتید: آنچه محمد آورده سحر است، او از طریق ساحری پرده بر چشمهای ما افکنده تا حقایق را نبینیم، عقل ما را می‌رباید و اموری را به نام «معجزه» به ما معرفی می‌کند، و سخنانی را به عنوان «وحی الهی» برای ما می‌خواند، اما اینها همه بی اساس است، و چیزی جز سحر نیست.

لذا روز قیامت به عنوان سرزنش و توبیخ به هنگامی که آتش دوزخ را با چشم می‌بینند و حرارت آن را لمس می‌کنند به آنها گفته می‌شود: «آیا اینها سحر است؟ یا پرده بر چشم شما افکنده شده؟!»

سوره الطور (۵۲): آیه ۱۶ ص : ۵۶۰

(آیه ۱۶) - همچنین به آنها گفته می‌شود: «در آن (آتش) وارد شوید، و بسوزید، و خواهید صبر کنید، یا نکنید، برای شما یکسان است» (اَصْلُوْهَا فَاصْبِرُوْا اَوْ لَا تَصْبِرُوْا سَوَاءٌ عَلَیْكُمْ).

«چرا که تنها به اعمالتان جزا داده می‌شوید» (اِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ).

آری! این اعمال خودتان است که به سوی شما بازگشته، و پاپیچ شما شده است، بنابر این جزع و فرع و آه و ناله و بی‌تابی تأثیری ندارد.

این آیه تأکید مجددی است بر مسأله «تجسم اعمال» و بازگشت آن به سوی انسان و نیز تأکید مجددی است بر مسأله عدالت پروردگار، چرا که آتش جهنم هر قدر سوزان باشد و مجازات آن دردناک چیزی جز نتیجه اعمال خود انسانها و اشکال تبدل یافته آن نیست.

سوره الطور (۵۲): آیه ۱۷ ص : ۵۶۰

(آیه ۱۷) - پاداش پرهیزکاران! به دنبال بحثهایی که در آیات قبل، پیرامون کیفرهای مجرمان و عذابهای دردناک آنها گذشت در اینجا به نقطه مقابل آنها یعنی مواهب فراوان و پاداشهای بی‌کران مؤمنان و پرهیزکاران اشاره می‌کند، تا در یک مقایسه روشن موقعیت هر کدام واضحتر شود. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۶۱

نخست می‌گوید: «ولی پرهیزکاران در میان باغهای بهشت و نعمتهای فراوان جای دارند» (اِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِيْ جَنَّاتٍ وَ نَعِيْمٍ).

تعبیر به «متقین» (پرهیزکاران) به جای «مؤمنین» به خاطر آن است که این عنوان هم ایمان را در بردارد، و هم جنبه‌های عمل صالح را، بخصوص این که «تقوا» در یک مرحله مقدمه و پایه ایمان است.

سوره الطور (۵۲): آیه ۱۸ ص : ۵۶۱

(آیه ۱۸) - سپس به تأثیر این نعمتهای بزرگ بر روحیه بهشتیان اشاره کرده، می‌گوید: «و از آنچه پروردگارشان به آنها داده شاد و مسرورند» و سخنان شیرین و دلپذیر در این باره می‌گویند (فَاَكْهَبِيْنَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ).

آری! از خوشحالی در پوست نمی‌گنجند، پیوسته با هم مزاح می‌کنند، و دلهای آنها از هر گونه اندوه و غم تهی است، و آرامش فوق العاده‌ای را احساس می‌کنند.

بخصوص این که: خدا به آنها اطمینان خاطر در برابر مجازات داده «و آنان را از عذاب دوزخ نگاهداشته است» (وَ وَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيْمِ).

این جمله دو معنی می‌تواند داشته باشد: نخست بیان نعمت مستقلى در مقابل نعمتهای دیگر پروردگار، دیگر این که: دنباله کلام سابق باشد یعنی بهشتیان از دو چیز مسرورند، نخست به خاطر نعمتهائی که خداوند به آنها داده، و دیگر به خاطر عذابهای که از آنها دور ساخته است.

سوره الطور (۵۲): آیه ۱۹ ص: ۵۶۱

(آیه ۱۹) - بعد از این اشاره اجمالی و سر بسته، به نعمتها و سرور و شادمانی پرهیزکاران در بهشت به شرح آنها پرداخته، چنین می‌گوید به آنها گفته می‌شود:

«بخورید و بیاشامید گوارا!» (كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا).

«اینها در برابر اعمالی است که انجام می‌دادید!» (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

تعبیر به «هنیئا» (گوارا) اشاره به این است، که خوردنیها و نوشیدنیهای بهشتی هیچ گونه عوارض نامطلوبی را به دنبال ندارد، و همچون نعمتهای این جهان نیست که گاه مختصر کم و زیاد در آن، بیماری و ناراحتی به دنبال می‌آورد.

مسلم است نعمتهای بهشتی ذاتا گواراست، اما این که فرشتگان به بهشتیان برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۶۲ می‌گویند گوارا باد خود لطف و گوارائی دیگری است.

سوره الطور (۵۲): آیه ۲۰ ص: ۵۶۲

(آیه ۲۰) - سپس به نعمت دیگری اشاره کرده، می‌فرماید: «این در حالی است که بر تختهای صف کشیده در کنار هم تکیه می‌کنند» (مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ).

و از لذت انس با دوستان و مؤمنان دیگر بهره فراوان می‌گیرند که این لذتی است معنوی ما فوق بسیاری از لذتها.

سپس می‌افزاید: «و حور العین را به همسری آنها در می‌آوریم» (و زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ).

سوره الطور (۵۲): آیه ۲۱ ص: ۵۶۲

(آیه ۲۱) - آیات فوق بخشی از نعمتهای «مادی» و «معنوی» بهشتیان را بازگو کرد، ولی به این اکتفا نمی‌کند، و بخش دیگری از مواهب معنوی و مادی را نیز بر آن می‌افزاید: «کسانی که ایمان آوردند و فرزندانشان به پیروی از آنها ایمان اختیار کردند فرزندانشان را (در بهشت) به آنها ملحق می‌کنیم، و از (پاداش) عملشان چیزی نمی‌کاهیم» (وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ مَا أَلْتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ).

این نیز خود یک نعمت بزرگ است که انسان، فرزندان با ایمان و مورد علاقه‌اش را در بهشت در کنار خود ببیند، و از انس با آنها لذت برد، بی‌آنکه از اعمال او چیزی کاسته شود.

این گونه افراد اگر از نظر عمل کوتاهی و تقصیراتی داشته باشند، خداوند به احترام پدران صالح، آنها را می‌بخشد و ترفیع مقام می‌دهد، و به درجه آنان می‌رساند، و این موهبتی است بزرگ برای پدران و فرزندان.

و در پایان آیه می‌افزاید: «و هر کس در گرو اعمال خویش است» (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ).

یعنی اعمال هر کسی ملازم و همراه اوست، و هرگز از او جدا نمی‌شود، خواه عمل نیک باشد یا بد! بنابر این تعجب ندارد که

از اعمال پرهیزکاران و پاداش آنها چیزی کاسته برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۶۳
نشود، چرا که این اعمال همه جا با انسان است، و اگر خداوند لطف و تفضلی در باره فرزندان متقین می کند، و آنها را به پرهیزکاران در بهشت ملحق می سازد این به معنی آن نیست که از پاداش اعمال آنها چیزی کاسته شود.

سوره الطور (۵۲): آیه ۲۲ ص: ۵۶۳

(آیه ۲۲) - در آیات گذشته به نه بخش از مواهب بهشتیان اشاره شد، و در ادامه آنها به پنج قسمت دیگر اشاره می کند، به گونه ای که از مجموع به خوبی استفاده می شود آنچه لازمه آرامش و آسایش و لذت و سرور و شادی است، برای آنها در بهشت فراهم است.

نخست به دو قسمت از غذای بهشتیان اشاره کرده، می فرماید: «و همواره از انواع میوه ها و گوشتها - از هر نوع که بخواهند - در اختیارشان می گذاریم» (وَ أَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ).

«أَمَدَدْنَاهُمْ» به معنی ادامه و افزایش اعطاء است، یعنی میوه ها و غذاهای بهشتی آن چنان نیست که با تناول کردن کمبودی پیدا کند، و یا مثل میوه های دنیا که در فصول سال نوسان زیادی دارد تغییری در آن حاصل شود، بلکه همیشگی و جاودانی و مستمر است.

تعبیر «مِمَّا يَشْتَهُونَ» (از آنچه بخواهند) نشان می دهد که بهشتیان در انتخاب نوع و کمیت و کیفیت این میوه ها و غذاها، کاملاً آزادند، هر آنچه بخواهند در اختیار دارند.

البته غذاهای بهشتی منحصر به این دو نیست ولی اینها دو غذای مهمند.

مقدم داشتن «فاکهه» (میوه ها) بر «لحم» (گوشتها) اشاره ای است به برتری «میوه ها» بر «گوشتها».

سوره الطور (۵۲): آیه ۲۳ ص: ۵۶۳

(آیه ۲۳) - سپس به مشروبات گوارای بهشتیان اشاره کرده، می افزاید: «آنها در بهشت جامهای پر از شراب طهور را که نه بیهوده گوئی در آن است و نه گناه از یکدیگر می گیرند» (يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ).

شرابی است گوارا و لذت بخش، نشاط آفرین و روح پرور، خالی از هر گونه تخدیر و فساد عقل، و به دنبال آن بیهوده گوئی و گناه هرگز نیست، بلکه سراسر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۶۴

هوشیاری و لذت جسمی و روحانی است.

جمله «یتنازعون» اشاره به آن است که بهشتیان به عنوان شوخی و مزاح و افزایش سرور و انبساط جامهای «شراب طهور» را از دست یکدیگر می کشند و می نوشند.

سوره الطور (۵۲): آیه ۲۴ ص: ۵۶۴

(آیه ۲۴) - سپس به چهارمین نعمت که نعمت وجود خدمتگذاران بهشتی است پرداخته، می گوید: «و پیوسته بر گردشان نوجوانانی برای (خدمت) آنان گردش می کنند که همچون مرواریدهای درون صدفند!» (وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكُونٌ).

«مروارید در درون صدف» به قدری تازه و شفاف و زیباست که حد ندارد هر چند در بیرون صدف نیز قسمت زیادی از زیبایی خود را حفظ می‌کند ولی گرد و غبار هوا و آلودگی دستها هر چه باشد از صفای آن می‌کاهد، خدمتگذاران بهشتی آنقدر زیبا و سفید چهره و با صفا هستند که گوئی مرواریدهائی در صدفند! گر چه در بهشت نیازی به خدمتکار نیست، و هر چه بخواهند در اختیار آنها قرار می‌گیرد، ولی این خود احترام و اکرام بیشتری برای بهشتیان است. در حدیثی آمده است که از رسول اکرم صلی الله علیه و آله سؤال کردند اگر خدمتگذار همچون مروارید در صدف باشد، مخدوم یعنی مؤمنان بهشتی چگونه‌اند فرمود:

«برتری مخدوم بر خدمتگذار در آنجا همچون برتری ماه در شب چهارده بر سایر کواکب است».

سوره الطور (۵۲): آیه ۲۵..... ص: ۵۶۴

(آیه ۲۵) - و آخرین نعمت در این سلسله همان نعمت آرامش کامل و اطمینان خاطر از هر گونه عذاب و کیفر است، چنانکه در این آیه می‌فرماید: «در این هنگام رو به یکدیگر کرده (از گذشته) سؤال می‌کنند» و آن را با وضع بهشت مقایسه کرده لذت می‌برند (وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ).

سوره الطور (۵۲): آیه ۲۶..... ص: ۵۶۴

(آیه ۲۶) - «می‌گویند: ما در میان خانواده خود ترسان بودیم» مبادا گناهان آنها دامن ما را بگیرد (قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ).

با این که در میان خانواده خود زندگی می‌کردیم و باید احساس امنیت کنیم برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۶۵

باز ترسان بودیم، از این بیم داشتیم که حوادث ناگوار زندگی و عذاب الهی هر لحظه فرا رسد. از این بیم داشتیم که فرزندان و خانواده ما راه خطا پیش گیرند، و در وادی ضلالت، گمراه و سرگردان شوند.

و ازین بیم داشتیم که دشمنان سنگدل، ما را غافلگیر سازند و عرصه را بر ما تنگ کنند.

سوره الطور (۵۲): آیه ۲۷..... ص: ۵۶۵

(آیه ۲۷) - «اما خداوند بر ما منت نهاد (و رحمت و اسعه او شامل حال ما شد) و از عذاب کشنده ما را حفظ کرد!» (فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ وَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ).

آری! پروردگار مهربان، ما را از زندان دنیا با تمام وحشتهایش نجات بخشید، و در کانون نعمتهایش، یعنی بهشت، جای داد.

سوره الطور (۵۲): آیه ۲۸..... ص: ۵۶۵

(آیه ۲۸) - بهشتیان در آخرین سخنی که از آنها در اینجا نقل شده به این واقعیت اعتراف می‌کنند که نیکوکار و رحیم بودن خدا را در آنجا از هر زمان دیگر، بیشتر احساس می‌کنند.

می‌گویند: «ما از پیش او را می‌خواندیم (و می‌پرستیدیم) که اوست نیکوکار و مهربان!» (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ

الرَّحِيمِ).

ولی در اینجا به واقعیت و عمق این صفات بیشتر پی می‌بریم که چگونه در مقابل اعمال ناچیز ما این همه نیکی کرده، و در برابر آن همه لغزشها ما را مشمول رحمتش ساخته است.

سورة الطور (۵۲): آية ۲۹..... ص: ۵۶۵

اشاره

(آیه ۲۹)

شأن نزول: ص: ۵۶۵

در مورد نزول این آیه و پنج آیه بعد در روایتی آمده است قریش در «دار الندوة» (۱) اجتماع کردند، تا برای جلوگیری از دعوت پیامبر اسلام صلی الله علیه و آله که خطر بزرگی برای منافع نامشروع آنها محسوب می‌شد چاره‌ای بیندیشند. یکی از مردان قبیله «بنی عبد الدار» گفت: ما باید منتظر باشیم که او بمیرد، زیرا به هر حال او شاعر است و به زودی از دنیا خواهد رفت، همان گونه که «زهیر»

(۱) «دار الندوة» خانه «قصی بن کلاب» جدّ معروف عرب بود، که برای مشاوره در امور مهم در آن جمع می‌شدند و به مشورت می‌پرداختند، این خانه در کنار خانه خدا قرار داشت، و در آن به سوی «کعبه» باز می‌شد، و مرکزیت آن برای مجالس مشاوره از زمان خود قصی بن کلاب بود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۶۶

و «نابغه» و «اعشی» (سه نفر از شعرای جاهلیت) از دنیا رفتند (و بساطشان برچیده شد و بساط محمّد نیز با مرگش برچیده خواهد شد) این را گفتند و پراکنده شدند، آیات مورد بحث نازل گشت و به آنها پاسخ گفت.

تفسیر: ص: ۵۶۶

در آیات گذشته، قسمت‌های قابل توجهی از نعمتهای بهشتی و پادشاهای پرهیزکاران آمده بود، و در اینجا بخشی از عذابهای دردناک دوزخیان.

نخست می‌فرماید: حال که چنین است «پس تذکر ده» (فَذَكِّرْ).

چرا که دل‌های حق‌طلبان با شنیدن این سخنان، آماده‌تر می‌شود، و هنگام آن رسیده است که سخنان حق را برای آنها بیان کنی. سپس به ذکر اتهامات و نسبت‌های ناروایی که دشمنان لجوج و معاند به پیامبر صلی الله علیه و آله می‌دادند پرداخته، می‌فرماید: «به لطف پروردگارت (و به برکت نعمتهایش) تو کاهن و مجنون نیستی!» (فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ).

قریش برای پراکنده ساختن مردم از اطراف پیامبر اسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ این تهمتها را به او می‌بستند، و عجب این که به تضاد این دو وصف نیز واقف نبودند، زیرا کاهنان افراد هوشیاری بودند، بر خلاف مجنون، و جمع این دو افترا در آیه فوق شاید اشاره به همین پراکنده‌گویی آنها باشد.

سوره الطور (۵۲): آیه ۳۰ ص: ۵۶۶

(آیه ۳۰) - سپس به سومین اتهام پرداخته - که آن نیز با صفات گذشته در تضاد است - می‌فرماید: «بلکه آنها می‌گویند: او شاعری است که ما انتظار مرگش را می‌کشیم» (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ).
تا او زنده است اشعارش رونقی دارد و مردم را به سوی خود جذب می‌کند، کمی صبر کنید تا مرگش فرا رسد و دفتر شعرش، همچون طومار عمرش، پیچیده شود، و در طاق نسیان قرار گیرد، آن روز ما راحت خواهیم شد!

سوره الطور (۵۲): آیه ۳۱ ص: ۵۶۶

(آیه ۳۱) - به هر حال آنها به این دلخوش می‌کردند که حوادثی پیش آید و طومار عمر پیامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ در هم پیچیده شود، و آنها به گمان خود از این مشکل بزرگی که دعوت آن حضرت در سراسر جامعه آنان به وجود آورده بود رهائی یابند.

قرآن با یک جمله پرمعنی و تهدیدآمیز به این کوردلان معاند پاسخ می‌دهد برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۶۷
و می‌فرماید: «بگو: انتظار بکشید که من هم با شما انتظار می‌کشم!» شما انتظار مرگ مرا و من انتظار نابودی شما را با عذاب الهی! (قُلْ تَرَبُّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمْتَرَبِّصِينَ).

سوره الطور (۵۲): آیه ۳۲ ص: ۵۶۷

(آیه ۳۲) - سپس آنها را مورد شدیدترین سرزنشها قرار داده، می‌گوید: «آیا عقلهایشان آنان را به این اعمال دستور می‌دهد یا قومی طغیانگرند؟» (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ).
این گونه تهمتها و افتراءات فرمان عقل آنها نیست، بلکه سرچشمه همه آنها روح عصیان و طغیانگری است که بر این افراد غالب است.

سوره الطور (۵۲): آیه ۳۳ ص: ۵۶۷

(آیه ۳۳) - بار دیگر به یکی دیگر از تهمتهای آنها که در حقیقت چهارمین تهمت در این سلسله اتهامات محسوب می‌شود اشاره کرده، می‌افزاید: «یا می‌گویند: قرآن را به خدا افترا بسته، ولی آنان ایمان ندارند» (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ).

سوره الطور (۵۲): آیه ۳۴ ص: ۵۶۷

(آیه ۳۴) - ولی قرآن مجید پاسخ دندان‌شکنی به آنها داده، می‌فرماید: «اگر راست می‌گویند (که این کلام بشر است، و ساخته

و پرداخته فکر انسان پس آنها نیز) سخنی همانند آن بیاورند» (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ).

شما هم انسانید و به گفته خود دارای هوش سرشار، و قدرت بیان، و آگاهی و تسلط بر انواع سخن، چرا گویندگان و متفکران شما قادر نیستند سخنی همانند آن بیاورند؟! جمله «فلیأتوا» (پس بیاورند...) به اصطلاح امر تعجیزی است، و هدف آن است که عجز و ناتوانی آنها را از مقابله به مثل در برابر قرآن روشن سازد، و این همان چیزی است که در علم کلام و عقائد از آن تعبیر به «تحدی» می‌کنند، یعنی دعوت مخالفان به معارضة و مقابله به مثل در برابر معجزات.

این یکی از آیاتی است که به روشنی اعجاز قرآن را روشن می‌کند، و مفهوم آن مخصوص معاصران پیامبر نیست، بلکه تمام کسانی که در همه قرون و اعصار می‌گویند قرآن سخن بشر است، و بر خدا افترا بسته شده، آنها نیز مخاطب به این برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۶۸

خطابند که اگر راست می‌گویند سخنی همانند آن بیاورند.

این ندای قرآن در این آیه و آیات مشابه همواره بلند بوده است، و در طی چهارده قرن که از بعثت پیامبر صلی الله علیه و آله می‌گذرد کسی نتوانسته است به آن پاسخ مثبت گوید و این عجز عمومی گواه زنده اصالت این وحی آسمانی است.

سورة الطور (۵۲): آیه ۳۵..... ص: ۵۶۸

(آیه ۳۵) - راستی حرف حساب شما چیست؟! قرآن همچنان ادامه بحث استدلالی گذشته در برابر منکران قرآن و نبوت پیامبر صلی الله علیه و آله و قدرت پروردگار را با یازده سؤال پی در پی ادامه می‌دهد، نخست از مسأله آفرینش شروع کرده، می‌گوید: «یا آنها بی‌هیچ آفریده شده‌اند یا خود خالق خویشند»؟! (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ).

این عبارت کوتاه و فشرده در حقیقت اشاره به «برهان معروف علیت» است که در فلسفه و کلام برای اثبات وجود خداوند آمده است، و آن این که عالمی که در آن زندگی می‌کنیم بدون شک حادث است زیرا دائماً در حال تغییر است، و آنچه در حال تغییر و دگرگونی است در معرض حوادث است، و چیزی که در معرض حوادث است محال است قدیم و ازلی باشد. اکنون این سؤال پیش می‌آید که اگر حادث است از سه حال بیرون نیست:

۱- بدون علت به وجود آمده است.

۲- خود علت خویش است.

۳- این جهان مخلوق خداوند واجب الوجود است که هستیش از درون ذات پاک اوست.

باطل بودن دو احتمال نخست معلوم است، زیرا وجود معلول بدون علت محال است، و گر نه هر چیز در هر شرائطی باید به وجود آید، در حالی که چنین نیست.

احتمال دوم که چیزی خودش را به وجود آورد نیز محال است، زیرا مفهومش این است که قبل از وجودش موجود باشد، و این اجتماع نقیضین است.

بنابر این راهی جز قبول احتمال سوم یعنی خالقیت واجب الوجود برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۶۹

باقی نمی‌ماند.

سورة الطور (۵۲): آیه ۳۶..... ص: ۵۶۹

(آیه ۳۶) - این آیه به سؤال دیگری که در باره ادعائی که در مرحله پائینتر قرار دارد پرداخته، می‌گوید: «آیا آنها آسمانها و زمین را آفریده‌اند؟» (أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ).

اگر بی‌علت به وجود نیامده‌اند، و نیز خود علت خویش نبوده‌اند، آیا آنها واجب‌الوجود و خالق آسمانها و زمینند؟ و اگر مبدأ عالم هستی نیستند آیا خداوند امر خلقت آسمان و زمین را به آنها واگذارده؟ و به این ترتیب مخلوقی هستند که خود فرمان خلقت دارند؟

مسلمانها هرگز نمی‌توانند چنین ادعای باطلی کنند، لذا در دنباله همین سخن می‌افزاید: «بلکه آنها (جویای) یقین نیستند» (بَلْ لَا يُوقِنُونَ).

آری آنها دنبال بهانه‌ای برای فرار از ایمانند.

سوره الطور (۵۲): آیه ۳۷ ص: ۵۶۹

(آیه ۳۷) - و اگر مدعی این امور نیستند و در امر خلقت نصیبی ندارند «آیا خزائن پروردگارت نزد آنهاست؟» (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ).

تا هر کس را بخواهند «نعمت نبوت و علم و دانش» یا ارزاق دیگر بخشند، و از هر کس بخواهند دریغ دارند. «یا بر همه چیز عالم سیطره دارند؟!» (أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ).

آنها هرگز نمی‌توانند ادعا کنند که خزینه‌دار پروردگارند، و نه سلطه‌ای بر امر تدبیر این جهان دارند، چرا که ضعف و زبونی آنها در برابر یک حادثه، یک بیماری و حتی یک حشره ناچیز، و همچنین نیاز آنها به ابتدائی‌ترین وسائل زندگی، بهترین دلیل بر نفی این قدرتها از آنهاست، تنها هوای نفس و جاه‌طلبی و خودخواهی و تعصب و لجاج است که آنها را به انکار حقایق کشیده.

«مصیطرون» اشاره به «ارباب انواع» است که جزء خرافات پیشینیان می‌باشد، آنها معتقد بودند که هر نوع از انواع جهان اعم از انسان و انواع حیوانات و گیاهان و غیر آنها دارای مدبر و مربی خاصی است که آن را ربّ النوع آن می‌نامیدند، و خدا را «ربّ الأرباب» خطاب می‌کردند، این عقیده شرک‌آمیز از نظر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۷۰ اسلام مردود است، و در آیات قرآن تدبیر همه جهان از آن خدا معرفی شده و او را «ربّ العالمین» می‌خوانیم.

سوره الطور (۵۲): آیه ۳۸ ص: ۵۷۰

(آیه ۳۸) - مسلم است نه منکران نبوت پیامبر صلی الله علیه و آله و مشرکان عصر جاهلیت، و نه غیر آنها، مدعی هیچ یک از امور پنجگانه فوق نبودند، لذا در این آیه به مرحله دیگری پرداخته، می‌گوید: «آیا نردبانی دارند که (به آسمان بالا می‌روند) و به وسیله آن اسرار وحی را می‌شنوند؟!» (أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ).

و از آنجا که ممکن بود آنها مدعی آگاهی از اسرار آسمان شوند قرآن بلافاصله از آنها مطالبه دلیل کرده، می‌گوید: «هر کسی از آنها این ادعا را دارد (و می‌گوید:

اسرار الهی را از طریق صعود به آسمان می‌شنوم) دلیل روشنی بیاورد» (فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ).

مسلمانا اگر چنین ادعائی داشتند از حدود حرف تجاوز نمی‌کرد و هرگز دلیلی بر این مطلب نداشتند.

سوره الطور (۵۲): آیه ۳۹ ص: ۵۷۰

(آیه ۳۹) - سپس می‌افزاید: آیا این نسبت ناروا را که به فرشتگان می‌دهند و می‌گویند: آنها دختران خدا هستند قابل قبول است؟ «آیا سهم خدا دختران است و سهم شما پسران» که فرشتگان را دختران خدا می‌نامید! (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ). اشاره به این که یکی از اعتقادات و افکار باطل آنها این بود که از دختران به شدت تنفر داشتند، و اگر با خبر می‌شدند که همسرشان دختری آورده چهره آنها از شدت اندوه و شرم سیاه می‌شد، ولی با این حال فرشتگان را دختران خدا می‌خواندند! بدیهی است دختر و پسر از نظر ارزش انسانی با هم تفاوتی ندارند، و تعبیر آیه فوق از قبیل استدلال به عقیده باطل طرف مخالف بر ضد خود اوست.

سوره الطور (۵۲): آیه ۴۰ ص: ۵۷۰

(آیه ۴۰) - سپس از این مرحله نیز تنزل کرده به ذکر یکی دیگر از اموری که امکان دارد وسیله بهانه‌جویی آنها شود اشاره کرده، می‌فرماید: «آیا تو از آنها پاداشی (در مقابل ابلاغ رسالت) می‌طلبی که در زیر بار گران آن قرار دارند!» (أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا بَرَكْرَبَةً تَفْسِيرِ نَمُونَه، ج ۴، ص: ۵۷۱
فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ)

سوره الطور (۵۲): آیه ۴۱ ص: ۵۷۱

(آیه ۴۱) - دگر بار آنها را مورد سؤال قرار داده، می‌گوید: «آیا اسرار غیب نزد آنهاست، و از روی آن می‌نویسند؟» (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ). اینها ادعا می‌کنند پیامبر شاعری است که در انتظار مرگ او و از هم پاشیدن شیرازه زندگی او هستیم، و با مرگش همه چیز پایان می‌گیرد و دعوتش به بوته فراموشی می‌افتد. آنها از کجا می‌دانند که بعد از وفات پیامبر زنده‌اند؟ این غیب را چه کسی به آنها گفته؟

سوره الطور (۵۲): آیه ۴۲ ص: ۵۷۱

(آیه ۴۲) - سپس به بیان احتمال دیگری پرداخته، می‌گوید: «آیا می‌خواهند نقشه شیطانی برای تو بکشند؟ ولی بدانند خود کافران در دام این نقشه‌ها گرفتار می‌شوند» و طرح خداوند بالاتر از طرح آنهاست! (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ).

آیه فوق مطابق این تفسیر همانند آیه ۵۴ سوره آل عمران است که می‌گوید:
«وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ و (یهود و دشمنان مسیح، برای نابودی او و آئینش) نقشه کشیدند و خداوند (برای حفظ او و آئینش) چاره‌جویی کرد و خداوند بهترین چاره‌جویان است».

سوره الطور (۵۲): آیه ۴۳ ص: ۵۷۱

(آیه ۴۳) - و بالاخره در آخرین پرسش از آنها می‌پرسد: آیا آنها خیال می‌کنند حامی و یآوری دارند؟ یا معبودی غیر خدا دارند؟ که قول یاری به آنها داده (أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ).

سپس می‌افزاید: «منزه است خدا از آنچه همتای او قرار می‌دهند» (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

بنابر این هیچ کس قادر به حمایت از آنها نیست.

به این ترتیب آنها را در برابر یک بازپرسی عجیب و یک رشته سؤالات زنجیره‌ای یازده گانه قرار می‌دهد، و مرحله به مرحله آنها را به عقب‌نشینی و تنزل از ادعاها و می‌دارد، و سپس تمام راههای فرار را به روی آنها می‌بندد، و در برگزیده تفسیر

نمونه، ج ۴، ص: ۵۷۲

بن بست کامل قرار می‌دهد.

سوره الطور (۵۲): آیه ۴۴ ص: ۵۷۲

(آیه ۴۴) - به دنبال بحثی که در آیات گذشته با مشرکان و منکران لجوج آمد، بحثی که برای هر انسان حق طلبی حقیقت را روشن می‌ساخت، در اینجا پرده از روی تعصب و لجاجت آنها برداشته، می‌گوید: «آنها (چنان لجوجند که) اگر ببینند قطعه سنگی از آسمان (برای عذابشان) سقوط می‌کند می‌گویند: (اشتباه می‌کنید، این سنگ نیست) این ابر متراکمی است» که بر زمین فرو می‌ریزد! (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ).

کسانی که این قدر لجوج باشند که حقایق حسی را منکر شوند و سنگهای آسمانی را به ابرهای متراکم تفسیر کنند، با این که همه کس ابر را به هنگامی که نزدیک به زمین می‌شود دیده که چیزی جز مجموعه بخار نیست، چگونه این بخار لطیف متراکم می‌شود و تبدیل به سنگ می‌گردد؟

این افراد تکلیفشان در برابر حقایق معنوی روشن است.

سوره الطور (۵۲): آیه ۴۵ ص: ۵۷۲

(آیه ۴۵) - لذا در این آیه می‌افزاید: «حال که چنین است آنها را رها کن (و برای هدایت این گروه لجوج پافشاری منما) تا روز مرگ خود را ملاقات کنند» و عذابهای الهی را که در انتظارشان است با چشم خود ببینند (فَدَرُّهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ).

جمله «ذرهم» (آنها را رها کن) امری است تهدیدآمیز و منظور از آن ترک اصرار بر تبلیغ این گونه افراد غیر قابل هدایت است بنابر این نه منافات با ادامه تبلیغ در سطح عموم از سوی پیامبر صلی الله علیه و آله دارد و نه منافاتی با فرمان جهاد.

سوره الطور (۵۲): آیه ۴۶ ص: ۵۷۲

(آیه ۴۶) - سپس به معرفی این روز پرداخته، می‌گوید: «روزی که نقشه‌های آنها سودی به حالشان نخواهد داشت، و تمام راههای فرار به روی آنها بسته می‌شود، و از هیچ سو) یاری نمی‌شوند» (يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ).

آری! هر کس می‌میرد قیامت صغرای او برپا می‌شود و سر آغازی است برای پاداش و کیفرها که بخشی جنبه برزخی دارد و

بخش دیگری در قیامت کبری یعنی برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۷۳

قیامت عمومی انسانها دامانشان را می‌گیرد، و در هیچ یک از این دو مرحله نه چاره‌جوییها مؤثر است، و نه در برابر اراده الهی یار و یابوری وجود دارد.

سوره الطور (۵۲): آیه ۴۷ ص: ۵۷۳

(آیه ۴۷) - در این آیه می‌افزاید: «آنها تصور نکنند که فقط عذاب برزخ و قیامت در کار است بلکه «برای ستمگران عذابی قبل از آن است در (همین جهان) ولی بیشترشان نمی‌دانند» (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ). آری! آنها در همین دنیا باید در انتظار عذابهایی همچون عذابهای اقوام پیشین باشند، مانند صاعقه‌ها، زلزله‌ها، سنگهای آسمانی و خشکسالی و قحطی و یا کشته شدن به دست توانای رزمندگان سپاه توحید - همان گونه که در جنگ بدر نسبت به گروهی از سران شرک اتفاق افتاد، مگر این که بیدار شوند و توبه کنند و به سوی خدا باز آیند. جمله «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» اشاره به این است که آنها غالباً از عذابهایی که در دنیا و آخرت در انتظارشان است بی‌خبرند و مفهومش این است که اقلیتی از آنها از این معنی آگاهند، و در عین حال بر اثر لجاجت و عناد در مخالفت خود اصرار می‌ورزند.

سوره الطور (۵۲): آیه ۴۸ ص: ۵۷۳

(آیه ۴۸) - در این آیه پیامبر را در مقابل این همه کارشکنیها و تهمتها و ناسزاها دعوت به صبر و استقامت می‌کند، می‌فرماید: «در راه ابلاغ حکم پروردگارت صبر و استقامت کن» (وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ). اگر تو را کاهن و مجنون و شاعر می‌خوانند صبر کن، و اگر آیات قرآن را افتراهائی می‌پندارند که به خدا بسته شده است شکیبائی نما، و اگر در برابر این همه براهین منطقی باز به لجاج و عناد ادامه می‌دهند استقامت به خرج ده، مبادا دلسرد و یا ضعیف و ناتوان شوی.

«زیرا تو در حفاظت کامل ما قرار داری» (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا).

ما همه چیز را می‌بینیم و از همه چیز با خبریم و تو را تنها نخواهیم گذارد.

و از آنجا که راز و نیاز با خدا، و نیایش و عبادت او، و تسبیح و تقدیس ذات برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۷۴

پاک او، به انسان آرامش و نیرو می‌بخشد به دنبال دستور صبر می‌فرماید:

«و هنگامی که بر می‌خیزی پروردگارت را تسبیح و حمد گوی» (وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ).

چه در سحرگاه برای نماز شب، و چه بعد از خواب برای ادای فریضه، و چه بعد از قیام از هر مجلس باشد.

آری! روح و جان را به تسبیح و حمد خدا نور و صفا ببخش، زبانت را به ذکر او خوشبو کن، از یاد او مدد بگیر، و برای مبارزه با کارشکنیهای دشمن آماده شو! در حدیثی آمده است پیامبر صلی الله علیه و آله هنگامی که از مجلس برمی‌خواست می‌فرمود: «سبحانک اللهم و بحمدک اشهد ان لا اله الا انت، استغفرک و اتوب الیک».

بعضی عرض کردند: ای رسول خدا! این چه کلماتی است که می‌گوئی فرمود: «اینها کلماتی است که جبرئیل به من آموخته و کفاره چیزی است که در مجالس واقع می‌شود».

سوره الطور (۵۲): آیه ۴۹ ص: ۵۷۴

(آیه ۴۹) - سپس در آخرین آیه می‌افزاید: همچنین «به هنگام شب او را تسبیح کن و به هنگام پشت کردن ستارگان» و طلوع صبح (وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ إِبْرَارَ النُّجُومِ).

زیرا عبادت و تسبیح و حمد خدا در دل شب، و در آغاز طلوع فجر، لطف و صفای دیگری دارد، و از تظاهر و ریا دورتر است، و آمادگی روحی برای آن بیشتر می‌باشد، چرا که کارهای مشغول کننده زندگی روزانه تعطیل است استراحت شبانه به انسان آرامش بخشیده، قال و غوغا فرو نشسته، و در حقیقت همزمان با وقتی است که پیامبر به معراج رفت، و در مقام «قاب قوسین» در آن خلوتگه راز قرار گرفت و با خدای خود به راز و نیاز پرداخت.

«پایان سوره طور»

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۷۵

سوره نجم [۵۳] ص: ۵۷۵

اشاره

این سوره در «مکه» نازل شده و ۶۲ آیه دارد

محتوای سوره: ص: ۵۷۵

این سوره به گفته بعضی نخستین سوره‌ای است که پیامبر بعد از علنی کردن دعوت خود آن را آشکارا و با صدای بلند در حرم مکه تلاوت کرد، و مشرکان به آن گوش دادند، و همه مؤمنان آن روز و حتی مشرکان سجده کردند! به هر حال این سوره به خاطر «مکی» بودنش بحثهایی از اصول اعتقادی مخصوصاً «نبوت» و «معاد» دارد، و با تهدیدهای کوبنده و انذارهای مکرر به بیداری کفار می‌پردازد.

محتوای این سوره را در هفت بخش می‌توان خلاصه کرد:

۱- در آغاز سوره بعد از سوگند پر معنائی، از حقیقت وحی سخن می‌گوید و تماس مستقیم پیامبر صلی الله علیه و آله را با پیک وحی «جبرئیل» روشن می‌سازد، و ساحت مقدس پیامبر صلی الله علیه و آله را از این که چیزی جز وحی الهی بگوید مبرا می‌کند.

۲- در بخش دیگری از این سوره از معراج پیامبر سخن گفته، و گوشه‌هایی از آن را با عباراتی کوتاه و پرمعنی مجسم می‌کند.
۳- سپس به خرافات مشرکان در زمینه بتها، و عبادت فرشتگان، و امور دیگری که جز از روی هوی و هوس نبود، پرداخته و آنها را سخت در این رابطه نکوهش می‌کند، و از پرستش آنها برحذر می‌دارد.

۴- در بخش دیگری راه توبه را به روی این منحرفین و عموماً گنهکاران باز برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۷۶ می‌کند، و آنها را به مغفرت و اسعه حق نوید می‌دهد، و تأکید می‌کند که هر کس مسؤول اعمال خویش است و هیچ کس بار گناه دیگری را بر دوش نمی‌کشد.

۵- برای تکمیل این اهداف در بخش دیگری از این سوره گوشه‌هایی از مسأله «معاد» را منعکس می‌سازد، و دلیل روشنی

برای این مسأله از آنچه در نشئه دنیا وجود دارد اقامه می کند.

۶- مطابق معمول اشاراتی به سرنوشت دردناک اقوام پیشین که در طریق دشمنی با حق پافشاری و لجاج و عناد داشتند، می کند.

۷- و سرانجام سوره را با امر به سجده و عبادت برای پروردگار پایان می بخشد.

ضمناً نامگذاری این سوره به «النجم» به خاطر نخستین آیه آن است.

فضیلت تلاوت سوره: ص : ۵۷۶

در حدیثی از رسول الله صلی الله علیه و آله می خوانیم: «هر کس سوره «النجم» را بخواند خداوند به عدد هر یک از کسانی که به پیامبر ایمان آوردند و کسانی که او را انکار کردند ده حسنه به او عطا می کند».

مسلمانان چنین پادشاهای عظیمی از آن کسانی است که تلاوت این سوره را وسیله ای برای اندیشیدن، و سپس عمل، قرار دهند، و تعلیمات مختلف این سوره در زندگی آنها پرتوافکن شود.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سوره النجم (۵۳): آیه ۱ ص : ۵۷۶

(آیه ۱) - قابل توجه این که سوره پیشین (سوره طور) با کلمه «النجوم» (ستارگان) پایان یافت، و این سوره با کلمه «النجم» (ستاره) آغاز می شود که خداوند به آن سوگند یاد کرده، می فرماید: «سوگند به ستاره هنگامی که افول می کند» (وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَى).

ظاهر آیه آنچنان که اطلاق واژه «النجم» اقتضا می کند سوگند به همه ستارگان آسمان است که از نشانه های بارز عظمت خداوند، و از اسرار بزرگ جهان آفرینش و از مخلوقات فوق العاده عظیم پروردگار است.

تکیه بر غروب آنها، در حالی که طلوع آنها بیشتر جلب توجه می کند به خاطر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۷۷ آن است که غروب ستارگان دلیل بر حدوث آنها می باشد و نیز دلیل است بر نفی عقیده ستاره پرستان همان گونه که در داستان ابراهیم (ع) آمده است.

سوره النجم (۵۳): آیه ۲ ص : ۵۷۷

(آیه ۲) - اما ببینیم این سوگند برای چه یاد شده است؟ آیه مورد بحث چنین توضیح می دهد: «که هرگز دوست شما [محمد صلی الله علیه و آله] منحرف نشده و مقصد را گم نکرده است» (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى). او همیشه در مسیر حق گام برمی دارد، و در گفتار و کردارش کمترین انحرافی نیست.

سوره النجم (۵۳): آیه ۳ ص : ۵۷۷

(آیه ۳) - سپس برای تأکید این مطلب، و اثبات این که آنچه می گوید از سوی خداست، می افزاید: «و هرگز از روی هوای

نفس سخن نمی گوید» (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ .

این تعبیر شبیه استدلالی است برای آنچه در آیه قبل در زمینه نفی ضلالت و غوایت آمده، چرا که سرچشمه گمراهیها غالبا پیروی از هوای نفس است.

سورة النجم(۵۳): آیه ۴ ص : ۵۷۷

(آیه ۴) - سپس با صراحت تمام می گوید: «آنچه می گوید چیزی جز وحی که بر او نازل شده نیست» (إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . او از خودش چیزی نمی گوید، و قرآن ساخته و پرداخته فکر او نیست، همه از ناحیه خداست، و دلیل این ادعا در خودش نهفته است، بررسی آیات قرآن نیز گواهی می دهد که هرگز یک انسان هر قدر عالم و متفکر باشد - تا چه رسد به انسان درس نخوانده ای که در محیطی مملو از جهل و خرافات پرورش یافته - قادر نیست سخنانی چنین پر محتوا بیاورد که بعد از گذشتن قرنهای متمادی بخش مغزهای متفکران است، و می تواند پایه ای برای ساختن اجتماع صالح، سالم، مؤمن و پیشرو گردد. ضمنا این سخن تنها در مورد آیات قرآن نیست، بلکه به قرینه آیات گذشته سنت پیامبر صلی الله علیه و آله را نیز شامل می شود چرا که این آیه با صراحت می گوید: او از روی هوی سخن نمی گوید هر چه می گوید وحی است. حدیث جالب زیر شاهد دیگری بر این مدعاست.

«سیوطی» که از دانشمندان معروف اهل سنت است در تفسیر «در المثور» چنین نقل می کند: «روزی رسول خدا صلی الله علیه و آله دستور داد درهای خانه هائی که به داخل برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۷۸ مسجد پیامبر صلی الله علیه و آله گشوده می شد (جز در خانه علی علیه السلام) بسته شود، این امر به مسلمانان گران آمد تا آنجا که «حمزه» عموی پیغمبر صلی الله علیه و آله از این کار گله کرد که چگونه در خانه عمویت و ابو بکر و عمر و عباس را بستی، اما در خانه پسر عمویت را باز گذاردی؟ (و او را بر دیگران ترجیح دادی). هنگامی که پیامبر صلی الله علیه و آله متوجه شد که این امر بر آنها گران آمده است مردم را به مسجد دعوت فرمود، و خطبه بی نظیری در تمجید و توحید خداوند ایراد کرد.

سپس افزود: «ای مردم! من شخصا درها را نبستم و نگشودم، و من شما را از مسجد بیرون نکردم، و علی را ساکن ننمودم (آنچه بود وحی الهی و فرمان خدا بود) سپس این آیات را تلاوت کرد: (وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ... إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . این حدیث که بیانگر مقام والای امیر مؤمنان علی علیه السلام در میان تمام امت اسلامی بعد از شخص پیامبر است، نشان می دهد که نه تنها گفته های پیامبر صلی الله علیه و آله بر طبق وحی است بلکه اعمال و کردار او نیز چنین است.

سورة النجم(۵۳): آیه ۵ ص : ۵۷۸

(آیه ۵) - نخستین دیدار دوست! در تعقیب آیات گذشته که سخن از نزول وحی بر پیامبر اسلام صلی الله علیه و آله می گفت در اینجا سخن از معلم وحی است.

می فرماید: «آن کس که قدرت عظیمی دارد او را تعلیم داده است» (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ .

سورة النجم(۵۳): آیه ۶ ص : ۵۷۸

(آیه ۶) - باز برای تأکید بیشتر می‌افزاید: «همان کسی که توانائی فوق العاده دارد او سلطه یافت» (ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى .

سوره النجم (۵۳): آیه ۷ ص : ۵۷۸

(آیه ۷) - این تعلیم را به او داد «در حالی که در افق اعلی قرار داشت» (وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى .

سوره النجم (۵۳): آیه ۸ ص : ۵۷۸

(آیه ۸) - «سپس نزدیکتر و نزدیکتر شد ...» (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى).

سوره النجم (۵۳): آیه ۹ ص : ۵۷۸

(آیه ۹) - «تا آنکه فاصله میان او (با پیامبر) به اندازه دو کمان یا کمتر بود!» (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى .

سوره النجم (۵۳): آیه ۱۰ ص : ۵۷۸

(آیه ۱۰) - «در اینجا خداوند آنچه را وحی کردنی بود به بنده‌اش وحی نمود!» (فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ مَا أَوْحَىٰ
برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۷۹

سوره النجم (۵۳): آیه ۱۱ ص : ۵۷۹

(آیه ۱۱) - «قلب (پاک او) در آنچه دید هرگز دروغ گفت!» (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى .

سوره النجم (۵۳): آیه ۱۲ ص : ۵۷۹

(آیه ۱۲) - «آیا با او در باره آنچه (با چشم خود) دیده مجادله می‌کنید؟»
(أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى .

در روایات وارد شده، منظور از این آیات شهود باطنی خاصی نسبت به ذات پاک خداست که برای پیامبر صلی الله علیه و آله در این صحنه روی داد و در معراج بار دیگر تکرار شد و رسول الله فوق العاده تحت تأثیر جذبه معنوی این دیدار قرار گرفت. طبق این تفسیر قرآن نزول وحی را بر پیامبر صلی الله علیه و آله چنین شرح می‌دهد: خداوند شدید القوی و پر قدرت، پیامبر صلی الله علیه و آله را تعلیم فرمود، در حالی که او به صورت کامل و در حد اعتدال درآمد و در افق اعلی قرار گرفت. سپس نزدیک شد، و نزدیکتر شد، آن چنان که میان او و پروردگارش به اندازه دو قوس بیشتر نبود، و در همین جا بود که آنچه وحی کردنی بود خداوند به بنده‌اش وحی کرد. و از آنجا که برای جمعی این شهود باطنی سنگین می‌آمد تأکید می‌کند که قلب پیامبر صلی الله علیه و آله آنچه را دیده به حق و راستی دیده است و نباید شما در برابر این سخن با او به مجادله برخیزید.

تفسیر این آیات به شهود باطنی پیامبر صلی الله علیه و آله نسبت به خداوند صریحتر و با روایات اسلامی موافقتر، و برای پیامبر فضیلتی است برتر، و مفهومی است لطیفتر.

از پیغمبر اکرم صلی الله علیه و آله پرسیدند: «آیا پروردگارت را هرگز دیده‌ای؟» در پاسخ فرمود: «رأیته بفؤادی من او را با چشم دل دیده‌ام!» و در نهج البلاغه در صدر خطبه «ذعلب یمانی» آمده است که از آن حضرت سؤال کرد: «آیا هرگز پروردگارت را ای امیر مؤمنان دیده‌ای؟» در پاسخ فرمود: «أ فأعبد ما لا اراه؟ ... آیا کسی را که نمی‌بینم پرستش کنم؟! ولی چشمها با مشاهده حسی هرگز او را ندیده اما دلها با حقیقت ایمان او را دریافته است».

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۸۰

سورة النجم (۵۳): آیه ۱۳ ص: ۵۸۰

(آیه ۱۳) - دومین دیدار! این آیات همچنان ادامه بحثهای آیات گذشته در باره مسأله وحی و ارتباط پیامبر صلی الله علیه و آله با خداوند و شهود باطنی اوست.

می‌فرماید: «و بار دیگر نیز او را مشاهده کرد» (وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى .

تعبیر به «نزله اخری» نشانگر این است که پیغمبر اکرم صلی الله علیه و آله در یک «شهود باطنی دیگر» به هنگام معراج بر فراز آسمانها ذات پاک خدا را مشاهده کرد، و به تعبیر دیگر خداوند بار دیگر بر قلب پاک او نزول فرمود و شهود کامل تحقق یافت، در محلی که منتها الیه قرب الی الله از سوی بندگان است، در کنار سدره المنتهی، در آنجا که «جنه المأوی» قرار دارد، در حالی که «سدره المنتهی» را حجابهایی از نور پوشانده بود.

دیده قلب پیامبر صلی الله علیه و آله در این شهود هرگز به غیر حق نیفتاد، و جز او ندید، و در همانجا بود که نشانه‌های عظمت خداوند را در آفاق و انفس نیز مشاهده کرد.

سورة النجم (۵۳): آیه ۱۴ ص: ۵۸۰

(آیه ۱۴) - و این شهود «نزد سدره المنتهی» روی داد (عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى .

در باره «سدره المنتهی» هر چند در قرآن مجید توضیحی نیامده، ولی در اخبار و روایات اسلامی توصیفهای گوناگونی پیرامون آن آمده است این تعبیرات نشان می‌دهد که هرگز منظور درختی شبیه آنچه در زمین می‌بینیم نبود، بلکه اشاره به سایبان عظیمی است در جوار قرب رحمت حق که فرشتگان بر برگهای آن تسبیح می‌کنند و امتهایی از نیکان و پاکان در سایه آن قرار دارند.

سورة النجم (۵۳): آیه ۱۵ ص: ۵۸۰

(آیه ۱۵) - همان «که جنه المأوی (و بهشت برین) در آنجاست» (عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى .

«جَنَّةُ الْمَأْوَى» به معنی بهشتی است که محل سکونت است و منظور از آن بهشت برزخی است که ارواح شهدا و مؤمنان موقتا به آنجا می‌روند.

سوره النجم (۵۳): آیه ۱۶ ص : ۵۸۰

(آیه ۱۶) - «در آن هنگام که چیزی [نور خیره کننده‌ای سدره‌المتهی را پوشانده بود] إِذِ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى .

سوره النجم (۵۳): آیه ۱۷ ص : ۵۸۰

(آیه ۱۷) - اینها واقعیاتی بود که پیامبر مشاهده کرده و «چشم او هرگز منحرف نشد و طغیان نکرد» آنچه دید واقعیت بود (ما زَاغَ الْبَصَرُ وَ مَا طَغَى .

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص : ۵۸۱

سوره النجم (۵۳): آیه ۱۸ ص : ۵۸۱

اشاره

(آیه ۱۸) - «او پاره‌ای از آیات و نشانه‌های بزرگ پروردگارش را دید» (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى .

نکته‌ها: ص : ۵۸۱

۱- هدف معراج، ص : ۵۸۱

رسیدن پیامبر صلی الله علیه و آله به شهود باطنی از یکسو، و دیدن عظمت خداوند در پهنه آسمانها با همین چشم ظاهر از سوی دیگر بوده است، که هم در آخرین آیه مورد بحث در اینجا «لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى و هم در آیه ۱ سوره اسراء «لَتُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا تا برخی از آیات خود را به او نشان دهیم». به آن اشاره شده است و نیز به مسائل زیاد و مهمی از فرشتگان و بهشتیان و دوزخیان و ارواح انبیا آگاهی یافت که در طول عمر مبارکش الهام‌بخش او در تعلیم و تربیت خلق خدا بود.

۲- گوشه‌ای از گفتگوهای خداوند با پیامبرش در شب معراج: ص : ۵۸۱

در کتب حدیث روایتی از امیر مؤمنان علی علیه السلام از پیامبر اسلام صلی الله علیه و آله در این زمینه آمده است که بسیار مشروح و طولانی است، و ما گوشه‌هایی از آن را در اینجا می‌آوریم.

در آغاز حدیث می‌خوانیم که پیامبر صلی الله علیه و آله در شب معراج از پروردگار سبحان چنین سؤال کرد: «یا رَبِّ اَيُّ الْاَعْمَالِ اَفْضَلُ؟ پروردگارا! کدام عمل افضل است؟».

خداوند متعال فرمود: «هیچ چیز نزد من برتر از توکل بر من و رضا به آنچه قسمت کرده‌ام نیست، ای محمد! آنها که به خاطر من یکدیگر را دوست دارند محبتم شامل حال آنهاست، و کسانی که به خاطر من مهربانند، و به خاطر من پیوند دوستی دارند آنها را دوست دارم، و نیز محبتم برای کسانی که توکل بر من می‌کنند فرض و لازم است، و برای محبت من حد و حدود، و مرز و نهایی نیست!» در فراز دیگری آمده است: «ای احمد! همچون کودکان مباش که سبز و زرد و زرق و برق را دوست

دارند، و هنگامی که غذای شیرین و دلپذیری به آنها می دهند مغرور می شوند، و همه چیز را به دست فراموشی می سپارند». پیامبر صلی الله علیه و آله در اینجا عرضه داشت: «پروردگارا! مرا به عملی هدایت کن که موجب قرب به درگاه توست». برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۸۲

فرمود: «شب را روز، و روز را شب قرار ده!» عرض کرد: «چگونه؟! فرمود: «چنان کن که خواب تو نماز باشد، و هرگز شکم خود را کاملاً سیر مکن».

در فراز دیگری آمده است: «ای احمد! محبت من محبت فقیران و محرومان است، به آنها نزدیک شو، و در کنار مجلس آنها قرار گیرد، تا من به تو نزدیک شوم، و ثروتمندان دنیاپرست را از خود دور ساز، و از مجالس آنها بر حذر باش!» در فراز دیگر می فرماید: «ای احمد! زرق و برق دنیا و دنیاپرستان را مبعوض بشمر، و آخرت و اهل آخرت را محبوب دار».

عرض می کند: «پروردگارا! اهل دنیا و آخرت کیانند؟»

فرمود: «اهل دنیا کسانی هستند که زیاد می خورند، و زیاد می خندند و می خوابند، و خشم می گیرند، و کمتر خشنود می شوند، نه در برابر بدیها از کسی عذر می خواهند، و نه اگر کسی از آنها عذر طلبد می پذیرند، در اطاعت خدا تنبل، و در معاصی شجاعند، آرزوهای دور و دراز دارند، و در حالی که اجلشان نزدیک شده هرگز به حساب اعمال خود نمی رسند، و نفعشان برای مردم کم است، افرادی پرحرف، فاقد احساس مسؤولیت، علاقه مند به خورد و خوراکند.

اهل دنیا نه در نعمت، شکر خدا به جا می آورند، و نه در مصائب صبورند.

خدمات فراوان در نظر آنها کم است (و خدمات کم خودشان بسیار!) خود را به انجام کاری که انجام نداده اند ستایش می کنند، و چیزی را مطالبه می کنند که حق آنها نیست.

پیوسته از آرزوهای خود سخن می گویند، و عیوب مردم را خاطر نشان می سازند و نیکیهای آنها را پنهان! عرض کرد: «پروردگارا! آیا دنیاپرستان غیر از این عیبی هم دارند؟»

فرمود: «ای احمد! عیب آنها این است که جهل و حماقت در آنها فراوان است، برای استادی که از او علم آموخته اند تواضع نمی کنند، و خود را عاقل برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۸۳

می دانند اما در نزد آگاهان، نادان و احمقند».

سپس به اوصاف اهل آخرت و بهشتیان پرداخته چنین ادامه می دهد:

«آنها مردمی با حیا هستند، جهل آنها کم، منافعشان بسیار، مردم از آنها در راحتند و خود از دست خویش در تعب، و سخنانشان سنجیده است.

پیوسته حسابگر اعمال خویشند، و از همین جهت خود را به زحمت می افکنند، چشمهایشان به خواب می رود اما دلهایشان بیدار است، چشمشان می گیرد، و قلبشان پیوسته به یاد خداست.

هنگامی که مردم در زمره غافلان نوشته شوند آنها از ذاکران نوشته می شوند.

در آغاز نعمتها حمد خدا می گویند، و در پایان شکر او را به جا می آورند، دعایشان در پیشگاه خدا مستجاب، و تقاضایشان مسموع است، و فرشتگان از وجود آنها مسرورند ... مردم (غافل) در نزد آنها مردگان، و خداوند نزد آنها حی و قیوم و کریم است (همیشان آن چنان عالی است که به غیر او نظر ندارند) ... مردم در عمر خود یکبار می میرند اما آنها به خاطر جهاد با نفس و مخالفت هوی هر روز هفتاد بار می میرند (و حیات نوین می یابند)!

هنگامی که برای عبادت در برابر من می ایستند همچون بنیان مرصوص و سدّی فولادینند، و در دل آنها توجیهی به مخلوقات

نیست.

به عزت و جلالم سوگند که من آنها را حیات و زندگی پاکیزه‌ای می‌بخشم، و در پایان عمر، خودم قبض روح آنها می‌کنم، و درهای آسمان را برای پرواز روح آنها می‌گشایم، تمام حجابها را از برابر آنها کنار می‌زنم، و دستور می‌دهم بهشت، خود را برای آنها بیاراید! ای احمد! عبادت ده جزء دارد که نه جزء آن طلب حلال است، هنگامی که غذا و نوشیدنی تو حلال باشد تو در حفظ و حمایت منی ...».

و در فراز دیگری آمده است: «ای احمد! آیا می‌دانی کدام زندگی گواراتر و پر دوامتر است؟»

عرض کرد: «خداوندا! نه» برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۸۴

فرمود: «زندگی گوارا آن است که صاحب آن لحظه‌ای از یاد من غافل نماند، نعمت مرا فراموش نکند، از حق من بی‌خبر نباشد، و شب و روز رضای مرا بطلبد.

اما زندگی باقی آن است که برای نجات خود عمل کند، و دنیا در نظرش کوچک باشد، و آخرت بزرگ، رضای مرا بر رضای خویشتن مقدم بشمرد، و پیوسته خشنودی مرا بطلبد، حق مرا بزرگ دارد و توجه به آگاهی من نسبت به خودش داشته باشد.

در برابر هر گناه و معصیتی به یاد من بیفتد، و قلبش را از آنچه ناخوش دارم پاک کند، شیطان و وساوس شیطانی را مبعوض دارد، و ابلیس را بر قلب خویش مسلط نسازد و به او راه ندهد.

هنگامی که چنین کند محبت خاصی در قلبش جای می‌دهم، آن چنان که تمام دلش در اختیار من خواهد بود، و فراغت و اشتغال و غم و سخنش از مواهبی است که من به اهل محبتم می‌بخشم! چشم و گوش و قلب او را می‌گشایم، تا با گوش قلبش حقایق غیب را بشنود و با دلش جلال و عظمت را بنگرد! و سرانجام این حدیث نورانی با این جمله‌های بیدار کننده پایان می‌گیرد:

«ای احمد! اگر بنده‌ای نماز تمام اهل آسمانها و زمین را به جا آورد، و روزه تمام اهل آسمانها و زمین را انجام دهد، همچون فرشتگان غذا نخورد و لباس (فاخری) در تن نپوشد (و در نهایت زهد و وارستگی زندگی کند) ولی در قلبش ذره‌ای دنیاپرستی یا ریاست‌طلبی یا عشق به زینت دنیا باشد در سرای جاویدانم در جوار من نخواهد بود! و محبتم را از قلب او بر می‌کنم! سلام و رحمتم بر تو باد، و الحمد لله رب العالمین».

این سخنان عرشی که روح انسان را با خود به اوج آسمانها می‌برد، و در معراج الهی سیر می‌دهد و به آستانه عشق و شهود می‌کشد تنها قسمتی از حدیث قدسی است.

افزون بر این ما اطمینان داریم که غیر از آنچه پیامبر صلی الله علیه و آله در سخنانش برای ما برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص:

۵۸۵

بازگو کرده، اسرار و گفتگوها و رموز و اشاراتی میان او و محبوبش، رد و بدل شده که نه گوشها توانائی شنیدن آن را دارد و نه افکار عادی قدرت درکش را، و به همین دلیل در درون جان پاک پیامبر صلی الله علیه و آله برای همیشه مکتوم مانده و جز خاصانش از آن آگاه نشده‌اند.

(آیه ۱۹) - این بتها زائیده هوای نفس شماست! پس از بیان بحثهای مربوط به توحید، وحی، معراج و آیات عظمت خداوند یگانه در آسمانها به بطلان شرک و عقائد خرافی مشرکان در زمینه بتها می‌پردازد.

می‌فرماید: بعد از آن که عظمت خداوند و آیات بزرگ او را دانستید «به من خبر دهید آیا بتهای لات و عزی ...» (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ).

سوره النجم (۵۳): آیه ۲۰ ص: ۵۸۵

(آیه ۲۰) - «و (همچنین بت) منات که سومین آنهاست» آیا دختران خدا هستند و منشأ سود و زیان برای شما می‌باشند؟! (وَمَنَاءَ الثَّلَاثَةِ الْأُخْرَى .

این سه بت در میان عرب از اهمیت و شهرت خاصی برخوردار بودند.

سوره النجم (۵۳): آیه ۲۱ ص: ۵۸۵

(آیه ۲۱) - «آیا سهم شما پسر است و سهم او دختر؟! (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى . در حالی که به زعم شما دختران کم ارزشترند و حتی هنگامی که می‌شنوید همسر شما دختر آورده از شدت اندوه و خشم سیاه می‌شوید!

سوره النجم (۵۳): آیه ۲۲ ص: ۵۸۵

(آیه ۲۲) - «اگر چنین باشد این تقسیمی ناعادلانه است» که میان خود و خدا قائل شدید! (تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى . چرا که سهم خدا را پست‌تر از سهم خود می‌دانید! به این ترتیب قرآن افکار منحط و خرافی آنها را به باد استهزا می‌گیرد که شما از یکسو دختران را زنده به گور می‌کنید و عیب و ننگ می‌دانید، و از سوی دیگر فرشتگان را دختران خدا می‌دانید، نه تنها خودشان را می‌پرستید که مجسمه‌های بی‌روح آنها نیز به صورت بتها در نظر شما این همه احترام دارد. و از اینجا روشن می‌شود که حد اقل بسیاری از بتهای سنگی و چوبی که مورد پرستش عرب واقع می‌شد به زعم آنها مجسمه‌های فرشتگان بود فرشتگانی که آنها را «رَبِّ النُّوعِ» و مدیر و مدبر عالم هستی می‌دانستند و نسبت آنها را با خدا نسبت دختر و پدر می‌پنداشتند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۸۶

از اینجا معلوم می‌شود که قرآن هرگز نمی‌خواهد اعتقاد عرب جاهلی را در مورد تفاوت دختر و پسر بپذیرد، بلکه می‌خواهد مسلمات طرف را به رخ او بکشد و الا نه دختر و پسر در منطق اسلام از نظر ارزش انسانی تفاوتی دارند، و نه فرشتگان دختر و پسر دارند و نه اصلاً آنها فرزندان خدا هستند، و نه خدا اصولاً فرزندی دارد.

سوره النجم (۵۳): آیه ۲۳ ص: ۵۸۶

(آیه ۲۳) - در این آیه، قرآن با قاطعیت می‌گوید: «اینها فقط نامهایی است که شما و پدرانتان بر آنها گذاشته‌اید (نامهایی بی‌محتوا و اسمهایی بی‌مسمی) و هرگز خداوند دلیل و حجتی بر آن نازل نکرده است» (إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ).

نه دلیلی از عقل بر آن دارید، و نه دلیلی از طریق وحی الهی، و جز یک مشت اوهام و خرافات و الفاظ تو خالی چیزی نیست. و در پایان می‌افزاید: «آنها فقط از گمانهای بی‌اساس و هوای نفس پیروی می‌کنند» و این موهومات همه زائیده پندار و هوی است (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ).

«در حالی که هدایت از سوی پروردگارشان برای آنها آمده است» (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى).

اما چشم می‌بندند و به آن پشت می‌کنند، و در ظلمات این اوهام غوطه‌ور می‌شوند.

اصولاً- هوای نفس خود بزرگترین و خطرناکترین بتهاست و سرچشمه پیدایش بتهای دیگر، و مایه گرمی بازار بت‌پرستی است.

سوره النجم (۵۳): آیه ۲۴ ص: ۵۸۶

(آیه ۲۴)- قرآن همچنان خرافه بت‌پرستی را تعقیب و محکوم می‌کند.

نخست به آرزوهای بی‌اساس بت‌پرستان و انتظاراتی که از بتها داشتند پرداخته، می‌گوید: «آیا آنچه انسان تمنا دارد به آن می‌رسد؟! (أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى).

آیا ممکن است این اجسام بی‌روح و بی‌ارزش به شفاعت او در پیشگاه خدا برخیزند؟ و یا در مشکلات و گرفتاریها در دنیا و آخرت به او پناه بدهند؟

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۸۷

سوره النجم (۵۳): آیه ۲۵ ص: ۵۸۷

(آیه ۲۵)- «در حالی که آخرت و دنیا از آن خداست» (فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى).

عالم اسباب بر محور اراده او می‌چرخد، و هر موجودی هر چه دارد از برکت وجود اوست، شفاعت از ناحیه او و حل مشکلات نیز به دست قدرت اوست.

و به این ترتیب قرآن مشرکان را بکلی از شفاعت بتها و حل مشکلات به وسیله آنها مأیوس و نومید می‌کند.

گسترش دامنه آرزوها! آرزو و تمنا از محدود بودن قدرت انسان و توانائی او سرچشمه می‌گیرد زیرا هر گاه به چیزی علاقه داشت و به آن نرسید شکل آرزو و تمنا به خود می‌گیرد.

البته آرزوهای انسان گاهی صادق است و از روح بلند او سرچشمه می‌گیرد و عاملی است برای حرکت و تلاش و جهاد و سیر تکاملی او، مثل این که انسان آرزو می‌کند در علم و دانش و تقوا و شخصیت و آبرو سرآمد جهانیان باشد.

ولی بسیار می‌شود که این آرزوها کاذب است، و مایه غفلت و بی‌خبری و تخدیر و عقب ماندگی است، مثل آرزوی رسیدن به عمر جاویدان، و خلود در زمین، و در اختیار گرفتن تمام اموال و ثروتها، و حکومت بر همه انسانها و موهومات دیگری از این قبیل.

و به همین دلیل در روایات اسلامی تشویق شده که مردم به سراغ آرزوهای خیر بروند، در حدیثی از پیغمبر اکرم صلی الله علیه و آله می‌خوانیم: «کسی که تمنای چیزی کند که موجب رضای خداست از دنیا بیرون نمی‌رود مگر به آن برسد».

سوره النجم (۵۳): آیه ۲۶ ص: ۵۸۷

(آیه ۲۶) - شفاعت هم به اذن اوست! در این آیه برای تأکید بیشتر روی همین مسأله می‌افزاید: «و چه بسیار فرشتگان آسمانها که شفاعت آنها هیچ سودی نمی‌بخشد، مگر پس از آن که خدا برای هر کس بخواهد و راضی باشد اجازه (شفاعت) دهد» (وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى .

جائی که فرشتگان آسمان با آن همه عظمت، حتی به صورت جمعی قادر بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۸۸ بر شفاعت نیستند، جز به اذن و رضای پروردگار، از این بت‌های بی‌شعور و فاقد هر گونه ارزش چه انتظاری دارید؟

سوره النجم (۵۳): آیه ۲۷ ص: ۵۸۸

(آیه ۲۷) - قرآن همچنان موضوع آیات قبل را در زمینه نفی عقائد مشرکان تعقیب کرده، نخست می‌فرماید: «کسانی که به آخرت ایمان ندارند فرشتگان را دختر (خدا) نامگذاری می‌کنند» (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى . آری! این سخن زشت و شرم‌آور تنها از کسانی سر می‌زند که به حساب و جزای اعمال معتقد نیستند که اگر عقیده داشتند این چنین جسورانه سخن نمی‌گفتند، سخنی که کمترین دلیلی بر آن ندارند، بلکه دلائل عقلی نشان می‌دهد نه خداوند فرزندی دارد نه فرشتگان دخترند.

سوره النجم (۵۳): آیه ۲۸ ص: ۵۸۸

(آیه ۲۸) - سپس به یکی از دلائل روشن بطلان این نامگذاری اشاره کرده، می‌افزاید: «آنها هرگز به این سخن دانشی ندارند، بلکه از گمان بی‌پایه پیروی می‌کنند با اینکه گمان هرگز انسان را بی‌نیاز از حق نمی‌کند» (وَ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً).

انسان متعهد و معتقد هرگز سخنی را بدون علم و آگاهی نمی‌گوید، و نسبتی را به کسی بی‌دلیل نمی‌دهد، تکیه بر گمان و پندار کار شیطان و انسانهای شیطان صفت است، و قبول خرافات و موهومات نشانه انحراف و بی‌عقلی است.

البته گمانهایی که معقول و موجه است و غالباً مطابق واقع و مبنای کار عقلا در زندگی روزمره می‌باشد، مانند شهادت شهود در محکمه و دادگاه، یا «قول اهل خبره» و یا «ظواهر الفاظ» و امثال آن داخل در این آیات نیست، این گونه گمانها در حقیقت یک نوع علم عرفی است نه گمان.

سوره النجم (۵۳): آیه ۲۹ ص: ۵۸۸

(آیه ۲۹) - سپس برای این که روشن کند این گروه اهل استدلال و منطق نیستند، و حب دنیا و فراموش کردن یاد خدا آنها را در لجزار این موهومات و خرافات غوطه‌ور ساخته، می‌افزاید: «حال که چنین است از کسی که از یاد ما روی می‌گرداند، و جز زندگی مادی دنیا را نمی‌طلبد اعراض کن و به آنها اعتنا بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۸۹ مکن که شایسته سخن نیستند! (فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا).

«ذکر خدا» مفهوم گسترده‌ای دارد که هر گونه توجه به خدا را چه از طریق قرآن، و دلیل عقل، و چه از طریق سنت، و یاد

قیامت شامل می‌گردد.

شاید نیاز به تذکر نداشته باشد که امر به اعراض از این گروه هرگز منافاتی با تبلیغ رسالت که وظیفه اصلی پیامبر صلی الله علیه و آله است ندارد. چرا که تبلیغ و انذار و بشارت مخصوص مواردی است که حد اقل احتمال تأثیر وجود داشته باشد، آنجا که یقین به عدم تأثیر است نباید نیروها را به هدر داد، و بعد از اتمام حجت باید اعراض کرد.

سوره النجم (۵۳): آیه ۳۰ ص: ۵۸۹

(آیه ۳۰) - در این آیه برای اثبات انحطاط فکری این گروه می‌افزاید: «این آخرین حد آگاهی آنهاست!» (ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ).

و در پایان می‌گوید: «پروردگار تو کسانی را که از راه او گمراه شده‌اند بهتر می‌شناسد و (همچنین) هدایت یافتگان را از همه بهتر می‌شناسد» (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى).

جمله «ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» می‌تواند اشاره به خرافاتی همچون بت پرستی و فرشتگان را دختران خدا دانستن باشد، یعنی نهایت آگاهی این گروه همین موهومات است. یا اشاره به دنیا پرستی و اسارت آنها در چنگال مادیات، یعنی نهایت فهم و شعورشان این است که به خواب و خور و عیش و نوش و متاع فانی و زود گذر و زرق و برق دنیا قناعت کرده‌اند.

در دعای معروفی که در اعمال ماه شعبان از پیغمبر گرامی اسلام صلی الله علیه و آله نقل شده می‌خوانیم: «خداوندا! دنیا را بزرگترین مشغولیات فکری ما و نهایت علم و آگاهی ما قرار مده».

پایان آیه اشاره به این حقیقت است که خداوند هم گمراهان را به خوبی می‌شناسد و هم هدایت یافتگان را، یکی را مشمول غضبش و دیگری را مشمول لطفش می‌سازد، و در قیامت هر کدام را بر طبق اعمالشان جزا خواهد داد.

سوره النجم (۵۳): آیه ۳۱ ص: ۵۸۹

(آیه ۳۱) - از آنجا که در آیات گذشته سخن از علم خداوند نسبت به برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۹۰

گمراهان و هدایت یافتگان بود، در این آیه در ادامه همین سخن می‌افزاید:

«و برای خداست آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است» (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ).

مالکیت مطلقه در عالم هستی از آن اوست، و نیز حاکمیت مطلقه از آن او، و به همین دلیل تدبیر عالم هستی نیز به دست اوست، و چون چنین است جز او شایسته عبودیت و شفاعت نیست.

هدف بزرگ او از این آفرینش گسترده این است که انسان یعنی گل سر سبد عالم هستی را با برنامه‌های تکوینی و تشریحی و تعلیم و تربیت انبیا در مسیر تکامل پیش برد.

لذا در پایان آیه به عنوان نتیجه این مالکیت می‌فرماید: غرض این است «تا بدکاران را به کیفر کارهای بدشان برساند، و نیکوکاران را در برابر اعمال نیکشان پاداش دهد» (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى).

سوره النجم (۵۳): آیه ۳۲ ص: ۵۹۰

(آیه ۳۲) - سپس به توصیف این گروه نیکوکار پرداخته، چنین می گوید: «آنها کسانی هستند که از گناهان بزرگ و اعمال زشت دوری می کنند، جز گناهان صغیره» که گاه آلوده آن می شوند (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ).
قرائن موجود در آیه گواهی می دهد که «لمم» به معنی گناهانی است که احیانا از انسان سر می زند، سپس متوجه می شود و آن را ترک می گوید.

به علاوه در جمله بعد قرآن می گوید: «آمزش پروردگار تو گسترده است» (إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ).
این نیز دلیلی است بر این که گناهی از او سر زده که نیاز به غفران پروردگار دارد، نه تنها قصد و نیت و نزدیک شدن به گناه بی آنکه آن را مرتکب شده باشد.

به هر حال منظور این است که نیکوکاران ممکن است لغزشی داشته باشند، ولی گناه بر خلاف طبع و سجه آنهاست، روح و قلب آنها همواره پاک است و آلودگیها جنبه عرضی دارد، و لذا به محض ارتکاب گناه پشیمان می شوند و از خدا تقاضای بخشش می کنند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۹۱

در دنباله آیه برای تأکید عدالت پروردگار، در مسأله پاداش و کیفر از علم بی پایان او که همه بندگان و اعمالشان را فرا می گیرد سخن می گوید.

می فرماید: «او نسبت به شما از همه آگاهتر است، از آن هنگام که شما را از زمین آفرید، و در آن موقع که به صورت جنینهایی در شکم مادرانتان بودید» (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ).

آفرینش انسان از زمین یا به اعتبار خلقت نخستین او از طریق حضرت آدم است که از خاک آفریده شده، و یا به اعتبار این است که تمام مواد تشکیل دهنده وجود انسان از زمین گرفته شده، که از طریق تغذیه در ترکیب بندی نطفه، و سپس در مراحل پرورش جنین مؤثر است، و در هر حال هدف این است که خداوند از همان زمان که ذرات وجود شما در لابلاهای خاکهای زمین بود و از آن روز که نطفه ناچیزی در رحم مادر در درون پرده های ظلمانی رحم بودید از تمام جزئیات وجود شما آگاه بوده است، با این حال چگونه ممکن است از اعمال شما بی خبر باشد؟! این تعبیر ضمنا مقدمه ای است برای سخن بعد که می فرماید: «پس خودستائی نکنید (و از پاک بودن خود سخن مگوئید، چرا که) او پرهیزکاران را بهتر می شناسد» (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى).

نه نیازی به معرفی شما دارد، و نه شرح اعمال نیکتان، او هم از اعمال شما آگاه است، و هم از میزان خلوص نیتتان، و حتی شما را از خودتان بهتر می شناسد.

«کبائر الاثم» چیست؟ ص: ۵۹۱

هر گناهی که یکی از شرائط زیر را داشته باشد کبیره محسوب می شود:

الف- گناهانی که خداوند وعده عذاب در باره آن داده است.

ب- گناهانی که در نظر اهل شرع و لسان روایات با عظمت یاد شده.

ج- گناهانی که در منابع شرع بزرگتر از گناهی شمرده شده که جزء کبائر است.

د- و بالاخره گناهایی که در روایات معتبر تصریح به کبیره بودن آن شده است.

در روایات اسلامی تعداد کبائر مختلف ذکر شده، در بعضی تعداد آنها هفت برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۹۲ گناه (قتل نفس، عقوق والدین، رباخواری، بازگشت به دار الکفر بعد از هجرت، نسبت زنا به زنان پاکدامن دادن، خوردن مال یتیم و فرار از جهاد).

و در بعضی دیگر تعداد آنها ده و در بعضی نوزده گناه و در بعضی تعداد بسیار بیشتری دیده می شود. در حدیثی از امام باقر علیه السلام در تفسیر آیه مورد بحث آمده است: «هیچ کس از شما نباید به فزونی نماز و روزه و زکات و مناسک حج و عمره افتخار کند زیرا خداوند پرهیزکاران شما را از همه بهتر می شناسد».

سوره النجم (۵۳): آیه ۳۳ ص: ۵۹۲

اشاره

(آیه ۳۳)

شأن نزول: ص: ۵۹۲

در مورد این آیه نقل شده: «ولید بن مغیره» به سوی پیامبر صلی الله علیه و آله آمد و به اسلام نزدیک شد، بعضی از مشرکان او را سرزنش کرده، گفتند:

آئین بزرگان ما را رها کردی، آنها را گمراه شمردی، و گمان کردی آنها در آتش دوزخند! او گفت: راستی من از عذاب خدا می ترسم! شخص سرزنش کننده گفت: اگر چیزی از اموالت را به من دهی و به سوی شرک باز گردی من عذاب تو را بر گردن می گیرم! ولید بن مغیره این کار را کرد، ولی مالی را که بنا بود پردازد جز قسمت کمی از آن را نپرداخت! آیه نازل شد و ولید را به خاطر روی گرداندن از ایمان نکوهش کرد.

تفسیر: ص: ۵۹۲

در آیات گذشته سخن از این بود که خداوند بدکاران را در برابر اعمال بدشان کیفر می دهد و نیکوکاران را پاداش، چون ممکن است بعضی تصور کنند می شود کسی را به گناه دیگری کیفر داد، یا گناه دیگری را بر گردن گرفت آیه در مقام نفی این توهم برآمده، و این اصل مهم اسلامی را که نتیجه اعمال هر کس فقط به خود او باز می گردد تشریح می کند. نخست می فرماید: «آیا دیدی آن کس را که (از اسلام- یا از انفاق) روی گردان شد» (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى).

سوره النجم (۵۳): آیه ۳۴ ص: ۵۹۲

(آیه ۳۴) - «و کمی عطا کرد و از (پرداخت مال) بیشتر امساک نمود» به گمان این که دیگری می تواند بار گناهان او را بر

دوش گیرد (وَ أُعْطِيَ قَلِيلًا وَ أَكْثَدَى .

برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۹۳

سوره النجم (۵۳): آیه ۳۵ ص: ۵۹۳

(آیه ۳۵) - «آیا نزد او علم غیب است و می بیند» که دیگران می توانند گناهان او را بر دوش گیرند؟! (أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوْ يَرَى .

چه کسی از قیامت آمده و برای آنها خبر آورده است که افراد می توانند رشوه گیرند و گناه دیگران را بر گردن نهند؟!

سوره النجم (۵۳): آیه ۳۶ ص: ۵۹۳

(آیه ۳۶) - بعد از این اعتراض شدید قرآن به بیان یک اصل کلی که در سایر آئینهای آسمانی نیز بوده است، پرداخته، چنین می گوید: کسی که با این وعده های خیالی دست از انفاق (یا ایمان) برداشته، و می خواهد خود را با پرداختن مختصر مالی از کیفر الهی رهائی بخشد «آیا از آنچه در کتب موسی نازل گردیده با خبر نشده است»؟! (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى .

سوره النجم (۵۳): آیه ۳۷ ص: ۵۹۳

(آیه ۳۷) - «و (همچنین آنچه) در کتب ابراهیم، همان کسی که وظیفه خود را بطور کامل ادا کرد» (وَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى). همان پیامبر بزرگی که به تمام عهد و پیمانهای الهی وفا کرد، حق رسالت او را ادا نمود، و برای تبلیغ آئین او از هیچ مشکل و تهدید و آزاری نهراسید، همان کسی که در راه خدا تن را به آتش سپرد و قلبش را به خدا، و فرزندش را به قربانی، و اموالش را به برادران و یاران.

سوره النجم (۵۳): آیه ۳۸ ص: ۵۹۳

(آیه ۳۸) - آیا با خبر نشده است که در تمام این کتب آسمانی این حکم نازل شده «که هیچ کس بار گناه دیگری را بر دوش نمی گیرد»؟! (أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى .

سوره النجم (۵۳): آیه ۳۹ ص: ۵۹۳

(آیه ۳۹) - سپس برای توضیح بیشتر می افزاید: آیا خبر ندارد در این کتب آسمانی آمده است «که برای انسان بهره ای جز سعی و کوشش او نیست»؟! (وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى .

سوره النجم (۵۳): آیه ۴۰ ص: ۵۹۳

(آیه ۴۰) - و آیا خبر ندارد «که تلاش او به زودی دیده می شود»؟! (وَ أَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى .

نه تنها نتیجه‌های این سعی و تلاش - چه در مسیر خیر باشد یا شر - بلکه خود اعمال او، در آن روز در برابرش آشکار می‌شود، همان گونه که در آیه ۳۰ سوره برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۹۴
آل عمران می‌فرماید: «روزی که هر کس اعمال نیکی را که انجام داده حاضر می‌بیند».

سوره النجم (۵۳): آیه ۴۱ ص: ۵۹۴

(آیه ۴۱) - «سپس (در برابر عملش) به او جزای کافی داده خواهد شد» (ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى . منظور از «جزاء اوفی» جزائی است که درست به اندازه عمل باشد، البته این منافات با تفضّل الهی در مورد اعمال نیک به ده برابر، یا صدها، و هزاران برابر ندارد.
در آیات فوق اشاره به سه اصل از اصول مسلم اسلامی شده، که در کتب آسمانی پیشین نیز به عنوان اصول مسلمی شناخته شده است:

الف - هر کس مسؤول گناهان خویش است.
ب - بهره هر کس در آخرت همان سعی و کوشش اوست.
ج - خداوند به هر کس در برابر عملش جزای کامل می‌دهد.
و به این وسیله قرآن خط بطلان بر بسیاری از اوهام و خرافات که عوام مردم دارند، و یا احیاناً در بعضی از مذاهب به صورت یک عقیده درآمده است می‌کشد.

سوره النجم (۵۳): آیه ۴۲ ص: ۵۹۴

(آیه ۴۲) - تمام خطوط به او منتهی می‌شود! قرآن در ادامه بحثهای گذشته پیرامون مسأله جزای اعمال می‌فرماید: آیا انسان خیر ندارد که در صحف موسی و ابراهیم آمده است «که همه امور به پروردگارت منتهی می‌گردد» (وَ أَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى . نه تنها حساب و ثواب و جزا و کیفر در آخرت به دست قدرت اوست که در این جهان نیز سلسله اسباب و علل به ذات پاک او منتهی می‌گردد، تمام تدبیرات این جهان از تدبیر او نشأت می‌گیرد، و بالاخره تکیه گاه عالم هستی و ابتدا و انتهای آن ذات پاک خداست.

در بعضی از روایات در تفسیر این آیه از امام صادق علیه السلام چنین می‌خوانیم:
«هنگامی که سخن به ذات خدا می‌رسد سکوت کنید».

یعنی در باره ذات او سخن نگوئید که عقلها در آنجا حیران است و به جایی نمی‌رسد، و اندیشه در ذات نامحدود برای عقول محدود غیر ممکن است، چرا که برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۹۵
هر چه در اندیشه گنجد محدود است و خداوند محال است محدود گردد.
این تفسیر با آنچه گفتیم منافات ندارد و هر دو می‌تواند در معنی آیه جمع باشد.

سوره النجم (۵۳): آیه ۴۳ ص: ۵۹۵

(آیه ۴۳) - سپس برای روشن ساختن حاکمیت او در امر ربوبیت، و منتهی شدن همه امور این جهان به ذات پاک او، می‌افزاید:

و نیز آمده است «اوست که خداند و گریاند» (وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكَى .

سوره النجم (۵۳): آیه ۴۴ ص : ۵۹۵

(آیه ۴۴) - «و اوست که میراند و زنده کرد» (وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا).

سوره النجم (۵۳): آیه ۴۵ ص : ۵۹۵

(آیه ۴۵) - «و اوست که دو زوج نر و ماده را آفرید» (وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى .

سوره النجم (۵۳): آیه ۴۶ ص : ۵۹۵

(آیه ۴۶) - «از نطفه‌ای هنگامی که خارج می‌شود» و در رحم می‌ریزد (مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى .

چند آیه فوق در حقیقت بیان جامع و توضیح جالبی است برای مسأله انتهایی همه امور به ربوبیت و تدبیر پروردگار، زیرا می‌گوید: مرگ و حیات شما به دست اوست، تداوم نسلها از طریق آفرینش زوجین نیز به تدبیر اوست همچنین تمام حوادثی که در طول زندگی انسان رخ می‌دهد از ناحیه اوست، او می‌گریاند یا می‌خداند، می‌میراند یا زنده می‌کند، و به این ترتیب سر رشته زندگی از آغاز تا انجام، همه به ذات پاکش منتهی می‌گردد. در حدیثی مفهوم خنده و گریه در این آیه توسعه داده شده و در تفسیر آن چنین می‌گوید: «خداوند آسمان را با باران می‌گریاند، و زمین را با گیاهان می‌خداند!»

سوره النجم (۵۳): آیه ۴۷ ص : ۵۹۵

(آیه ۴۷) - بعد از ذکر اموری که مربوط به ربوبیت و تدبیر پروردگار است به امر معاد پرداخته می‌گوید: آیا انسان خبر ندارد که در کتب پیشین آمده «که بر خداست ایجاد عالم دیگر» تا عدالت اجرا گردد! (وَ أَنَّ عَلَيهِ النَّشْأَةُ الْآخِرَى .

سوره النجم (۵۳): آیه ۴۸ ص : ۵۹۵

(آیه ۴۸) - سپس می‌افزاید: «و این که اوست که (بندگان را) بی‌نیاز کرد و سرمایه باقی بخشید» (وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَ أَقْنَى .

خداوند نه تنها در جنبه‌های مادی نیازمندیهای انسان را با لطف عمیمش برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۹۶ بر طرف ساخته، سرمایه‌های مستمری در اختیار او گذارده، که در زندگی معنوی نیز احتیاجات انسانها را در امر تعلیم و تربیت و تکامل از طریق اعزام رسولان، و انزال کتب آسمانی، و عطای مواهب معنوی مرتفع ساخته است.

سوره النجم (۵۳): آیه ۴۹ ص : ۵۹۶

(آیه ۴۹) - سر انجام در این آیه می‌فرماید: آیا انسان نمی‌داند که در کتب پیشین آمده «که اوست پروردگار ستاره شعرا»؟! (وَ

أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى .

تکیه بر خصوص «ستاره شعرا»- علاوه بر این که این ستاره درخشانترین ستارگان آسمان است که معمولاً به هنگام سحر در کنار صورت فلکی «جوزا» در آسمان ظاهر می‌شود و کاملاً جلب توجه می‌کند- به خاطر این است که گروهی از مشرکان عرب آن را می‌پرستیدند، قرآن می‌گوید: چرا شعرا را می‌پرستید؟ آفریدگار و پروردگار آن را پرستید.

سورة النجم(۵۳): آیه ۵۰..... ص : ۵۹۶

(آیه ۵۰)- این همه درس عبرت کافی نیست؟ در آیات گذشته ده مطلب در طی دو فراز ذکر شده بود، فراز اول ناظر به مسؤولیت هر کس در مقابل اعمالش می‌باشد، و فراز دوم در باره منتهی شدن تمام خطوط به پروردگار سخن می‌گوید، و در اینجا که تنها به ذکر یک مطلب می‌پردازد سخن از مجازات و هلاکت دردناک چهار قوم از اقوام ستمگر پیشین است که هشدار است برای آنها که از دستورات گذشته سرپیچی می‌کنند و به مبدأ و معاد ایمان ندارند. نخست می‌فرماید: آیا انسان خبر ندارد که در کتب پیشین آمده است «که خداوند قوم عاد نخستین را هلاک کرد»؟! (وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى .

توصیف قوم عاد به «الاولی» (نخستین) یا به خاطر قدمت این قوم است و یا به خاطر آن است که در تاریخ، دو قوم «عاد» وجود داشته‌اند و قوم معروف که پیامبرشان حضرت هود (ع) بود همان عاد نخستین است.

سورة النجم(۵۳): آیه ۵۱..... ص : ۵۹۶

(آیه ۵۱)- سپس می‌افزاید: «و همچنین قوم ثمود را (بر اثر طغیانشان هلاک کرد) و کسی از آنها را باقی نگذارد» (وَ تَمُودَ فَمَا أَبْقَى .

سورة النجم(۵۳): آیه ۵۲..... ص : ۵۹۶

(آیه ۵۲)- سپس در باره قوم نوح می‌فرماید: «و نیز قوم نوح را پیش از آنها» هلاک کرد (وَ قَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۹۷

«چرا که آنان از همه ظالمتر و طغیانگرتر بودند» (إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغَى . چرا که پیامبرشان نوح در مدتی طولانی‌تر از تمام انبیاء به تبلیغ آنان پرداخت، با این حال جز تعداد کمی به دعوت او پاسخ نگفتند، و در شرک و بت پرستی و تکذیب و آزار نوح پافشاری و سرسختی فوق العاده‌ای داشتند، چنانکه شرح آن به خواست خدا در تفسیر سوره نوح خواهد آمد.

سورة النجم(۵۳): آیه ۵۳..... ص : ۵۹۷

(آیه ۵۳)- قوم لوط چهارمین قومی هستند که به آنها اشاره کرده، می‌گوید:

«و نیز شهرهای زیر و رو شده (قوم لوط) را فرو کوبید» (وَ الْمُؤْتَفِكَاهُ أَهْوَى .

در ظاهر زلزله شدیدی این آبادیها را به آسمان پرتاب کرد و واژگون ساخت و بر زمین کوبید، و طبق روایات جبرئیل آنها را

به قوت خداداد از زمین برکند و وارونه کرد و بر زمین افکند.

سوره النجم (۵۳): آیه ۵۴ ص : ۵۹۷

(آیه ۵۴) - سپس «آنها را با عذاب سنگین پوشانید» (فَعَسَّاهَا مَا عَشَى).

آری! بارانی از سنگهای آسمانی بر آنها فرو ریخت و سراسر این شهرهای زیر و رو شده را زیر آواری از سنگ مدفون ساخت.

سوره النجم (۵۳): آیه ۵۵ ص : ۵۹۷

(آیه ۵۵) - در پایان این بحث به مجموعه نعمتهائی که در آیات گذشته آمده است، اشاره کرده و در شکل یک استفهام انکاری می‌فرماید: «در کدامیک از نعمتهای پروردگارت تردید داری» (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى). آیا در نعمت حیات، یا اصل نعمت آفرینش، و یا این نعمت که خداوند کسی را به جرم دیگری مجازات نمی‌کند و خلاصه آنچه در کتب پیشین آمده و در قرآن نیز تأکید شده است شک و تردید داری؟ درست است که مخاطب در این آیه شخص پیامبر صلی الله علیه و آله است. ولی مفهوم آن همگان را شامل می‌شود، بلکه هدف اصلی از آن بیشتر افراد دیگرند.

سوره النجم (۵۳): آیه ۵۶ ص : ۵۹۷

(آیه ۵۶) - به دنبال آیات گذشته که سخن از هلاکت اقوام پیشین به خاطر ستمگری و طغیان آنها می‌گفت، در اینجا روی سخن را به مشرکان و کفار و منکران دعوت پیامبر صلی الله علیه و آله کرده، می‌گوید: «این (پیامبر یا قرآن) بیم دهنده‌ای از بیم دهندگان پیشین است» (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۹۸ این که می‌گوید: پیامبر (یا قرآن) از نوع انذار کنندگان نخستین است، مفهومش این است که رسالت محمد صلی الله علیه و آله و کتاب آسمانیش قرآن موضوع بی‌سابقه‌ای نیست، شبیه آن در گذشته بسیار بوده است، چرا مایه تعجب شماست

سوره النجم (۵۳): آیه ۵۷ ص : ۵۹۸

(آیه ۵۷) - آنگاه برای این که مشرکان و کافران به خطری که در پیش دارند توجه بیشتر کنند، می‌افزاید: «آنچه باید نزدیک شود نزدیک شده است» و قیامت فرا می‌رسد (أَزَقَّتِ الْأَرْزَقَةُ). نامگذاری قیامت به این نام علاوه بر آیه مورد بحث در آیه ۱۸ سوره غافر نیز آمده است، و تعبیری است گویا و بیدار کننده، همین مفهوم را به صورت دیگری در آیه ۱ سوره قمر می‌خوانیم: «أَقْتَرَبَتِ السَّاعِيَةُ قِيَامَتُهَا» و به هر حال نزدیکی قیامت با توجه به کوتاهی عمر دنیا قابل درک است به خصوص این که هر کس می‌میرد، قیامت صغرایش برپا می‌شود.

سوره النجم (۵۳): آیه ۵۸ ص : ۵۹۸

(آیه ۵۸) - سپس می‌افزاید: مهم این است که «هیچ کس جز خدا نمی‌تواند در آن روز سختیهای آن را برطرف سازد» (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ).

حاکم و مالک و صاحب قدرت در آن روز (و همیشه) خداست، اگر نجات می‌خواهید دست به دامن لطف او زنید، و اگر آرامش می‌طلبید در سایه ایمان به او قرار بگیرید.

سوره النجم (۵۳): آیه ۵۹ ص: ۵۹۸

(آیه ۵۹) - در این آیه می‌افزاید: «آیا از این سخن تعجب می‌کنید» (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ). این جمله ممکن است اشاره به مسأله رستاخیز باشد که در آیات قبل آمده، یا اشاره به قرآن، چرا که در آیات دیگر از آن تعبیر به «حدیث» شده و یا سخنانی که در باره هلاک اقوام پیشین گفته شد و یا همه اینها.

سوره النجم (۵۳): آیه ۶۰ ص: ۵۹۸

(آیه ۶۰) - سپس می‌گوید: «و می‌خندید و نمی‌گریید»؟ (و تَضْحَكُونَ وَ لَا تَبْكُونَ).

سوره النجم (۵۳): آیه ۶۱ ص: ۵۹۸

(آیه ۶۱) - «و پیوسته در غفلت و هوسرانی به سر می‌برید»؟! (وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۵۹۹ در حالی که اینجا نه جای خنده است و نه جای غفلت و بی‌خبری، جای گریه بر فرصتهای از دست رفته، طاعات ترک شده، و معاصی و گناهانی است که از شما سر زده است، جای بیداری و جبران اموری است که از دست رفته، و بالاخره جای توبه و انابه و بازگشت به سایه لطف خداست.

سوره النجم (۵۳): آیه ۶۲ ص: ۵۹۹

(آیه ۶۲) - همه برای او سجده کنید! در آخرین آیه این سوره، و به دنبال بحثهای فراوانی که پیرامون اثبات توحید و نفی شرک بیان شد، می‌گوید: «اکنون که چنین است برای خدا سجده کنید و او را بپرستید» (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ اعْبُدُوا) «۱». اگر می‌خواهید در صراط مستقیم حق گام بردارید تنها برای او که تمام خطوط عالم هستی به ذات پاکش منتهی می‌گردد سجده کنید، و اگر می‌خواهید به سرنوشت دردناک اقوام پیشین که بر اثر شرک و کفر و ظلم و ستم در چنگال عذاب الهی گرفتار شدند گرفتار نشوید تنها او را عبادت کنید.

جالب توجه این که در روایات زیادی نقل شده است که وقتی پیامبر صلی الله علیه و آله به هنگام تلاوت این سوره به این آیه رسید همه مؤمنان و کافرانی که آن را شنیدند به سجده افتادند.

و این نخستین بار نیست که قرآن در قلوب منکران نیز اثر می‌گذارد و آنها را بی‌اختیار مجذوب خود می‌کند چنانکه در داستان ولید بن مغیره آمده است که وقتی آیات سوره «فصیلت» را شنید هنگامی که پیامبر صلی الله علیه و آله این آیه را تلاوت فرمود:

«فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ» (۲) از جا برخاست لرزید و مو بر تنش راست شد، به خانه آمد به گونه‌ای که مشرکان پنداشتند او کاملاً مجذوب آئین محمد صلی الله علیه و آله شده است. پایان سوره نجم و جلد چهارم برگزیده تفسیر نمونه

(۱) این آیه سجده واجب دارد.

(۲) ترجمه: «اگر آنها روی گردان شوند، بگو: من شما را از صاعقه‌ای همانند صاعقه عاد و ثمود می‌ترسانم!» فصلت/۱۳.

درباره مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (سوره توبه آیه ۴۱)

با اموال و جانهای خود، در راه خدا جهاد نمایید؛ این برای شما بهتر است اگر بدانید حضرت رضا (علیه السلام): خدا رحم نماید بنده‌ای که امر ما را زنده (و برپا) دارد ... علوم و دانشهای ما را یاد گیرد و به مردم یاد دهد، زیرا مردم اگر سخنان نیکوی ما را (بی آنکه چیزی از آن کاسته و یا بر آن بیافزایند) بدانند هر آینه از ما پیروی (و طبق آن عمل) می‌کنند

بنادر البحار-ترجمه و شرح خلاصه دو جلد بحار الانوار ص ۱۵۹

بنیانگذار مجتمع فرهنگی مذهبی قائمیه اصفهان شهید آیت الله شمس آبادی (ره) یکی از علمای برجسته شهر اصفهان بودند که در دلدادگی به اهل بیت (علیهم السلام) بخصوص حضرت علی بن موسی الرضا (علیه السلام) و امام عصر (عجل الله تعالی فرجه الشریف) شهره بوده و لذا با نظر و درایت خود در سال ۱۳۴۰ هجری شمسی بنیانگذار مرکز و راهی شد که هیچ وقت چراغ آن خاموش نشد و هر روز قوی تر و بهتر راهش را ادامه می‌دهند.

مرکز تحقیقات قائمیه اصفهان از سال ۱۳۸۵ هجری شمسی تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن امامی (قدس سره الشریف) و با فعالیت خالصانه و شبانه روزی تیمی مرکب از فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مختلف مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

اهداف: دفاع از حریم شیعه و بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) تقویت انگیزه جوانان و عامه مردم نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی، جایگزین کردن مطالب سودمند به جای بلوتوث های بی محتوا در تلفن های همراه و رایانه ها ایجاد بستر جامع مطالعاتی بر اساس معارف قرآن کریم و اهل بیت عليهم السلام با انگیزه نشر معارف، سرویس دهی به محققین و طلاب، گسترش فرهنگ مطالعه و غنی کردن اوقات فراغت علاقمندان به نرم افزار های علوم اسلامی، در دسترس بودن منابع لازم جهت سهولت رفع ابهام و شبهات منتشره در جامعه عدالت اجتماعی: با استفاده از ابزار نو می توان بصورت تصاعدی در نشر و پخش آن همت گمارد و از طرفی عدالت اجتماعی در تزریق امکانات را در سطح کشور و باز از جهتی نشر فرهنگ اسلامی ایرانی را در سطح جهان سرعت بخشید.

از جمله فعالیتهای گسترده مرکز:

الف) چاپ و نشر ده ها عنوان کتاب، جزوه و ماهنامه همراه با برگزاری مسابقه کتابخوانی

ب) تولید صدها نرم افزار تحقیقاتی و کتابخانه ای قابل اجرا در رایانه و گوشی تلفن همراه

ج) تولید نمایشگاه های سه بعدی، پانوراما، انیمیشن، بازیهای رایانه ای و ... اماکن مذهبی، گردشگری و...
د) ایجاد سایت اینترنتی قائمیه www.ghaemiyeh.com جهت دانلود رایگان نرم افزار های تلفن همراه و چندین سایت مذهبی دیگر

ه) تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و ... جهت نمایش در شبکه های ماهواره ای

و) راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی (خط ۰۲۴۰۵۳۵)

ز) طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

ح) همکاری افتخاری با دهها مرکز تحقیقی و حقوقی از جمله بیوت آیات عظام، حوزه های علمیه، دانشگاهها، اماکن مذهبی مانند مسجد جمکران و ...

ط) برگزاری همایش ها، و اجرای طرح مهد، ویژه کودکان و نوجوانان شرکت کننده در جلسه

ی) برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم و دوره های تربیت مربی (حضور و مجازی) در طول سال

دفتر مرکزی: اصفهان/خ مسجد سید/ حد فاصل خیابان پنج رمضان و چهارراه وفائی / مجتمع فرهنگی مذهبی قائمیه اصفهان

تاریخ تأسیس: ۱۳۸۵ شماره ثبت: ۲۳۷۳ شناسه ملی: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

وب سایت: www.ghaemiyeh.com ایمیل: Info@ghaemiyeh.com فروشگاه اینترنتی:

www.eslamshop.com

تلفن ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳-۲۳۱۱) (۰۳۱۱) فکس ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) دفتر تهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) بازرگانی و فروش ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور

کاربران ۲۳۳۳۰۴۵ (۰۳۱۱)

نکته قابل توجه اینکه بودجه این مرکز؛ مردمی، غیر دولتی و غیر انتفاعی با همت عده ای خیر اندیش اداره و تامین گردیده و لی جوابگوی حجم رو به رشد و وسیع فعالیت مذهبی و علمی حاضر و طرح های توسعه ای فرهنگی نیست، از اینرو این مرکز به فضل و کرم صاحب اصلی این خانه (قائمیه) امید داشته و امیدواریم حضرت بقیه الله الاعظم عجل الله تعالی فرجه الشریف توفیق روزافزونی را شامل همگان بنماید تا در صورت امکان در این امر مهم ما را یاری نمایندانشالله.

شماره حساب ۶۲۱۰۶۰۹۵۳، شماره کارت: ۶۲۷۳-۶۲۳۱-۵۳۳۱-۳۰۴۵-۱۹۷۳ و شماره حساب شبا: IR۹۰-۰۱۸۰-۰۰۰۰-۰۰۰۰

۵۳-۰۶۰۹-۰۶۲۱ به نام مرکز تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان نزد بانک تجارت شعبه اصفهان - خیابان مسجد سید

ارزش کار فکری و عقیدتی

الاحتجاج - به سندش، از امام حسین علیه السلام: - هر کس عهده دار یتیمی از ما شود که محنت غیبت ما، او را از ما جدا کرده است و از علوم ما که به دستش رسیده، به او سهمی دهد تا ارشاد و هدایتش کند، خداوند به او می فرماید: «ای بنده بزرگوار شریک کننده برادرش! من در کرم کردن، از تو سزاوارترم. فرشتگان من! برای او در بهشت، به عدد هر حرفی که یاد داده است، هزار هزار، کاخ قرار دهید و از دیگر نعمت ها، آنچه را که لایق اوست، به آنها ضمیمه کنید».

التفسیر المنسوب إلى الإمام العسکری علیه السلام: امام حسین علیه السلام به مردی فرمود: «کدام یک را دوست تر می داری: مردی اراده کشتن بینوایی ضعیف را دارد و تو او را از دستش می رَهانی، یا مردی ناصبی اراده گمراه کردن مؤمنی بینوا و ضعیف از پیروان ما را دارد، امّا تو دریچه ای [از علم] را بر او می گشایی که آن بینوا، خود را ببدان، نگاه می دارد و با حجت های خدای متعال، خصم خویش را ساکت می سازد و او را می شکنند؟».

[سپس] فرمود: «حتماً رهاندن این مؤمن بینوا از دست آن ناصبی. بی گمان، خدای متعال می فرماید: «و هر که او را زنده کند،

گویی همه مردم را زنده کرده است؛ یعنی هر که او را زنده کند و از کفر به ایمان، ارشاد کند، گویی همه مردم را زنده کرده است، پیش از آن که آنان را با شمشیرهای تیز بکشد.

مسند زید: امام حسین علیه السلام فرمود: «هر کس انسانی را از گمراهی به معرفت حق، فرا بخواند و او اجابت کند، اجری مانند آزاد کردن بنده دارد».



مرکز تحقیقاتی و ترجمانی

اصفهان

گام‌های

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

